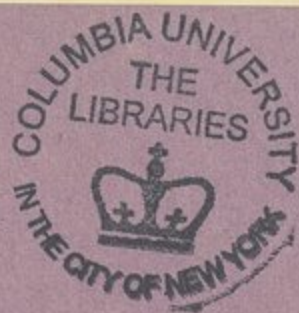






W. Arthur Jeffery









\* (فهرسة الجزء الثامن من تفسير فتح البيان) \* \* (فهرسة الجزء الثامن من تفسير ابن كثير) \*

صحيحة	صحيحة
تفسير سورة لقمان ٢	سورة يس ٢
تفسير سورة السجدة ٢٦	سورة الصافات ٤١
تفسير سورة الاحزاب ٤٠	سورة ص ٨٩
تفسير سورة سبأ ١٤٤	سورة الزمر ١٣٢
تفسير سورة فاطر ١٨٠	سورة غافر ١٨٢
تفسير سورة يس ٢٠٨	سورة حم السجدة ٢٢٠
تفسير سورة الصافات ٢٤٢	سورة الشورى ٢٥٣
تفسير سورة ص ٢٨٢	سورة الزخرف ٢٨٧
	سورة الدخان ٣١٩
	سورة الجاثية ٣٢٢
	سورة الاحقاف ٣٤٢

(تمت)

(تمت)

But istax

BP

130.9.

.M79

1882

v.8

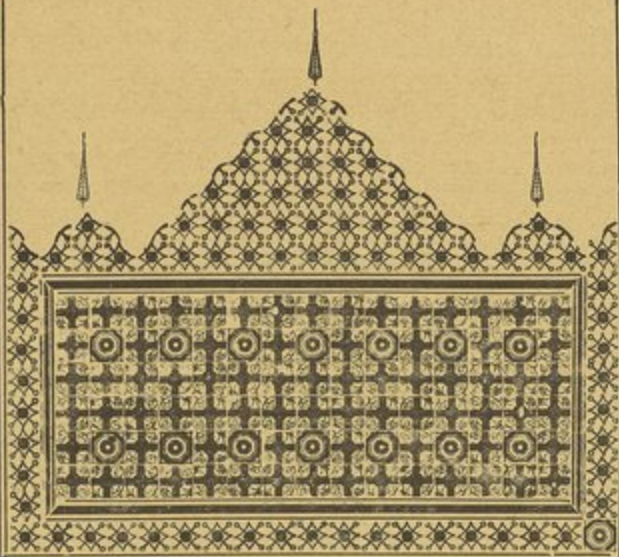
(الجزء الثامن)  
من التفسير المسمى فتح البيان  
في مقاصد القرآن للسيد الامام المجتهد المحقق  
الهمام المؤيد من مولاه القدير الباري أبي الطيب  
صديق بن حسن القنوجي البخاري ملك  
مدينة بهوبال حالا بالاقطار الهندية  
لا زالت كواكب فضله  
في الآفاق زاخرة  
مضيه آمين

وبها مشتهر تفسير الامام الجليل الكبير الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسمعيل بن عمر بن  
كثير القرشي الدمشقي المولود سنة سبع مائة وعشر المتوفى سنة سبع مائة وأربعة وسبعين  
وهذا التفسير جميل فسر بالاحاديث والآثار مسندة من أصحابها مع  
الكلام على ما يحتاج اليه جرحا وتعديلا ٥١ من كشف الظنون

—————  
\* (الطبعة الاولى) \*  
بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المحمية)  
سنة ١٣٠١ هجرية

\* (تفسير سورة لقمان وهي مكية) \*

(بسم الله الرحمن الرحيم)  
الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى  
ورحمة للمحسنين الذين يقيمون  
الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة  
هم يوقنون أولئك على هدى من  
ربهم وأولئك هم المفلحون) تقدم  
في أول سورة البقرة عامة الكلام  
على ما يتعلق بصدر هذه السورة  
وهو أنه سبحانه وتعالى جعل هذا  
القرآن هدى وشفاء ورحمة  
للمحسنين وهم الذين أحسنوا  
العمل في اتباع الشريعة فأقاموا  
الصلاة المفروضة بحمدودها  
وأوقاتها وما يتبعها من نوافل  
راتبه وغير راتبه وآتوا الزكاة  
المفروضة عليهم إلى مستحقها  
ووصلوا أرحامهم وقراباتهم وأيقنوا  
بالجزاء في الدار الآخرة فرغبوا  
إلى الله في ثواب ذلك لمراؤبه ولا  
أرادوا جزاءه من الناس ولا شكورا  
فمن فعل ذلك كذلك فهو من الذين  
قال الله تعالى أولئك على هدى  
من ربهم وأولئك هم المفلحون  
أي بصيرة وبنية ومنهج واضح جلي  
وأولئك هم المفلحون أي في الدنيا  
والآخرة (ومن الناس من  
يشترى لهو الحديث ليضل عن  
سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا  
أولئك لهم عذاب مهين وإذا أتتني  
عليه آياتناولى مستكبرا كأن لم  
يسمعهما كأن في أذنيه وقرا فبشره  
بعذاب أليم) لماذا كررت على حال



بسم الله الرحمن الرحيم

\* (سورة يس هي ثلاث أو ثنتان وعثمان آية) \*

والاول أولى وهي مكية قال القرطبي بالاجماع الا ان فرقة قالت ونكتب ما قدموا  
وأثارهم نزلت في بني سلمة من الانصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا إلى جوار  
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيأتي بيان ذلك وعن ابن عباس قال نزلت  
بمكة وعن عائشة مثله وأخرج الدارمي والترمذي ومحمد بن نصر والبيهقي في الشعب عن  
أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس من  
قرايس كتب له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات قال الترمذي هذا حديث غريب  
لانعرفه الا من حديث حميد بن عبد الرحمن وفي اسناده هرون أبو محمد وهو شيخ مجهول  
وفي الباب عن أبي بكر ولا يصح اضعاف اسناده وأخرج الدارمي وأبو يعلى والطبراني  
والبيهقي وغيرهم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرايس في ليلة  
استغاث وجه الله غفر له في تلك الليلة قال ابن كثير اسناده جيد وأخرج احمد وأبو داود  
والنسائي وابن ماجه والطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي عن معقل بن يسار أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم قال يس قلب القرآن لا يقرؤها عبد يدري الله والدار الآخرة  
الاغفر له ما تقدم من ذنبه فاقرؤها على موتاكم وقد ذكره أحمد اسنادين أحدهما فيه  
مجهول والآخذ كرفيه عن أبي عثمان وقال ليس بالنهدي عن ابيه عن معقل وأخرج



السعداء وهم الذين يهتدون بكباب الله وينتفعون بسماعه كما قال تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله الآية عطف بذكر حال الاشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله وأقبلوا على استماع الزمائر والغناء والالحان وآلات الطرب كما قال ابن مسعود في قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله قال هو والله الغناء روى ابن جرير حدثني يونس اخبرنا ابن وهب أخبرني يزيدي عن يونس عن أبي صخر عن أبي معاوية الجبلي عن سعيد بن جبيرة عن أبي الصمباء (٣) البكري انه سمع عبد الله بن مسعود وهو يستل

عن هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله فقال عبد الله بن مسعود الغناء والله الذي لا اله الا

هو يرددها ثلاث مرات حدثنا

عيسى أخبرنا جندب الخراط عن عمار عن سعيد بن جبيرة عن أبي

الصمباء انه سأل ابن مسعود عن قول الله ومن الناس من يشتري لهو

الحديث قال الغناء وكذا قال ابن عباس وجابر وعكرمة وسعيد بن

جبيرة وجاهد ومكحول وعمرو بن شعيب وعلي بن بنيمة وقال الحسن

البصري نزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث

ليضل عن سبيل الله بغير علم في الغناء والمزامير وقال قتادة قوله

ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم والله لعلة لا ينتق فيه مالا

ولكن شراؤه استحبابه بحسب المرء من الضلالة ان يختار حديث

الباطل على حديث الحق وما يضر على ما ينفع وقيل اراد بقوله

يشتري لهو الحديث اشتراء

الطبراني وابن مردويه قال السيموطي بسند ضعيف عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من داوم على قراءة يس كل ليلة ثم مات شهيدا

\*(بسم الله الرحمن الرحيم)\*

(يس) قرأ الجمهور بسكون النون وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وجرزة وحفص وقالون وورش بادغام النون في الواو التي بعدها وقرئ بفتح النون وبكسرهما فالفتح على البناء وعلى انه

مفعول فعل مقدر تقديره اتل يس والكسر على البناء أيضا بحير وقيل الفتح والكسر للفرار من التقاء الساكنين وأما وجه قراءة الجمهور فلكونها مسرودة على غط التعديد

فلاحظ لها من الاعراب وقرئ بضم النون على البناء كندوحيت وقط وقيل على انها خبر مبتدأ محذوف أي هذه يس ومنعت من الصرف للعلمية والتأنيث واختلف في معنى

هذه اللفظة فقيل معناها يارجل أيا انسان قال ابن الانباري الوقف على يس حسن لمن قال هو افتتاح السورة ومن قال معناها يارجل لم يقف عليه وقال سعيد بن جبيرة وغيره هو

اسم من أسماء محمد صلى الله عليه وآله وسلم دليله انك لمن المرسلين ومنه قوله تعالى سلام على آل ياسين أي آل محمد ومنه قول الشاعر

يا نفس لا تمحضي بالنصح جاحدة \* على المودة الآل ياسينا

وسأني في الصافات ما المراد بالياسين قال الواحدى قال ابن عباس والمفسرون يريد

يا انسان يعني محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال أبو بكر الوراق معناها ياسيد البشر وقال مالك هو اسم من أسماء الله تعالى روى ذلك عنه أشهب وحكى أبو عبد الرحمن السلمي

عن جعفر الصادق ان معناها ياسيد وقال كعب هو قسم أقسم الله به ورجح الزجاج ان معناها يا محمد واختلفوا هل هو عربي أو غير عربي فقال سعيد بن جبيرة وعكرمة حبشي وقال

الكلبى سرياني تكلمت به العرب فصارن اغتهم وقال الشعبي هو بلغة طى وقال الحسن هو بلغة كلب وقد تقدم في طه وفي مفتح سورة البقرة ما يغني عن التطويل ههنا

والاولى أن يقال الله أعلم بما راد به (والقرآن الحكيم) بالجر على انه مقسم به ابتداء وقيل هو معطوف على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار القسم قال النقاش لم يقسم

الله لاحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه الا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم تعظيما له وتمجيدا والحكيم المحكم الذي لا تناقض ولا يتخالف والحكيم قائله أوزى الحكمة اولانه دليل

المغنيات من الجوارى قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسماعيل الاخمي حدثنا وكيع عن خالد الصفار عن عبد الله بن زحر عن

علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجعل بيع المغنيات ولا شراؤها وكل

أعنانهم حرام وفيهم أنزل الله عز وجل على ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وهكذا رواه الترمذي

وابن جرير من حديث عبيد الله بن زحر بنحوه ثم قال الترمذي هذا حديث غريب وضعف علي بن يزيد المذکور قلت علي وشيخه والراوى عنه كلهم ضعفاء والله اعلم وقال الضحاك في قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال يعني الشرك وبه قال

قوله قرأ الجمهور بسكون النون لم يقرأ الجمهور بالسكون وانما القراءة عنهم بادغامها في الواو وقوله وقرأ ابن كثير الخ بادغام النون القراءة عنهم باظهارها من الواو كما لا يخفى اهـ معصمه

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختار ابن جرير أنه كل كلام يصد عن آيات الله واتباع سبيله وقوله ليضل عن سبيل الله أي انما يصنع هذا للتخالف للاسلام وأهلـه وعلى قراءة فتح الباء تكون اللام لام العاقبة أو تعليلا للام القدرى أي قبضوا ذلك ليكونوا كذلك وقوله تعالى و يتخذها هزوا قال مجاهدو يتخذ سبيل الله هزوا يستهزئ بها وقال قتادة يعني ويتخذ آيات الله هزوا وقول مجاهد أولى وقوله أولئك لهم عذاب مهين أي كما استهانوا بآيات الله وسبيله أهينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر ثم قال تعالى وإذا أتتني عليه آياتنا أولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن (٤) في أذنيه وقرأ أي هذا المقبل على الله واللعب والطرب إذا تلذت عليه

الآيات القرآنية وتولى عنها وأعرض وأدبر أي وتصامم ومابه صمم كأنه ما سمعها لأنه يتأذى بسماعها إذ لا انتفاع له بها ولا أرب له فيها فبشره بعذاب أليم أي يوم القيامة يؤلمه كما تألم بسماع كتاب الله وآياته (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم) هذا ذكر ما ل الأبرار من السعادة في الدار الآخرة الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وعملوا الاعمال الصالحة التابعة للشريعة لهم جنات النعيم أي يتنعمون فيها بأنواع الملاذ والمسار من المساك والمشارب والملابس والمسكن والمراكب والنساء والنصرة والسماع الذي لم يختر بيال أحد وهم في ذلك مقيمون دائما فيها لا يظعنون ولا يغيغون عنها حولا وقوله تعالى وعد الله حقا أي هذا كائن لا محالة لأنه من وعد الله والله لا يخلف الميعاد لأنه الكريم المنان الفعال لما يشاء القادر على كل شيء وهو العزيز الذي قد قهر كل شيء ودان له كل شيء الحكيم في أقواله وأفعاله

ناطق بالحكمة بطريق الاستعارة أو متصف والمتصف بها على الاسناد المجازي وجواب القسم (انك لمن المرسلين) الذين أرسلوا على طريقة مستقيمة وهذا رد على من أنكروا رسالته من الكفار بقوله لهم استمرسلا وقوله (على صراط مستقيم) خبر آخر لان أي انك على الطريق القيم الموصل الى المطلوب قال الزجاج على طريقة الانبياء الذين تقدموا ويجوز أن يكون في محل نصب على الحال (تنزيل العزيز الرحيم) قرأ نافع وغيره برفع تنزيل على انه خبر مبتدأ محذوف أي هو تنزيل ويجوز أن يكون خبرا لقوله ليس ان جعل اسمها للسورة وقرئ بالنصب على المصدرية أي نزل الله ذلك تنزيل العزيز والمعنى أن القرآن تنزيل العزيز الرحيم وقيل المعنى انك يا محمد تنزيل العزيز والاولى وقيل هو منصوب على المدح على قراءة النصب وغير سبحانه عن المنزل بالمصدر مبالغة حتى كأنه نفس التنزيل وقرئ بالجر على النعت للقرآن أو البديل منه واللام في قوله (لتنذر) يجوز أن يتعلق بتنزيل أو بفعل مضمرب يدل عليه من المرسلين أي أرسلناك لتنذر (قوما) أي العرب وغيرهم (ما أنذر) ما هي النافية أي لم تنذر أباهم) ويجوز أن تكون ما موصولة أو موصوفة أي لتنذر قوما الذي أنذر أباهم أو لتنذرهم عذابا أنذرهم أو مصدرية أي انذار أبائهم وعلى القول بانها نافية المعنى ما أنذر أباهم برسول من أنفسهم ويجوز أن يراد ما أنذر أباهم الاقربون لتطول مدة الفترة والافأ بأوهم الأبعدون قد أنذر وأبامعيل وبعبسى ومن قبلهما (فهم غافلون) أي فهم بسبب ذلك غافلون أو فهم غافلون عما أنذرنا به أباهم قال أبو السعود الضمير للفريقين أي فهم جميعا غافلون وقد ذهب أكثر أهل التفسير إلى ان المعنى على النفي وهو الظاهر من النظم القرآني لترتيب فهم غافلون على ما قبله (لقد حق) اللام هي الموطئة للقسم أي والله لقد ثبت وتحقق ووجب القول أي الحكم والقضاء الأزلي والعذاب (على أكثرهم) أي أكثر أهل مكة أو أكثر الكفار على الاطلاق أو أكثر كفار العرب وهم من مات على الكفر وأصر عليه طول حياته فينتزع قوله (فهم لا يؤمنون) على ما قبله هذا الاعتبار أي لان الله سبحانه قد علم منهم الاصرار على ما هم فيه من الكفر والموت عليه وقيل المراد بالقول المذكور هنا قوله سبحانه فالحق والحق أقول مني لا ملأن جهنم منك ومن تبعك وقيل نزلت هذه الآية في أبي جهل وصاحبيه الخزوميين وجملة (انا جعلنا في اعناقهم اغلالا) تقرير لما قبلها من تلذت حالهم

الذي جعل القرآن هدى للمؤمنين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو بحال عليهم عمى الآية وقوله ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا (خلق السموات بغير عمد ترونها والتي في الارض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبثنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين) بين سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خلق السموات والارض وما فيها وما بينهما فقال تعالى خلق السموات بغير عمد قال الحسن وقتادة ليس لها عمد مرئية ولا غير مرئية وقال ابن عباس وعكرمة

رجا هدها عمداً لآثرها وقد تقدم تقرير هذه المسئلة في أول سورة الرعد بما أغنى عن إعادته وألقى في الأرض روائى يعنى الجبال  
 أرست الأرض وثقلتها لثلاث تطرب باهلها على وجه الماء وله سدا قال ان تمسك بكم اى لثلاث تمسك بكم وقوله تعالى وبث فيها من كل  
 دابة اى وذرا فيها من اصناف الحيوانات مما لا يعلم عدداشكالها ولوانها الا الذى خلقها ولما قرر سبحانه انه الخالق نبه على انه  
 الرازق بقوله وأنزلنا من السماء ماء فانبثنا فيها من كل زوج كريم اى من كل زوج من النبات كريم اى حسن المنظر وقال الشعبي  
 والناس ايضا من نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار (٥) فهو لئيم الذى ذكره تعالى من خلق السموات

بجبال الذين غلت أعناقهم (فهى) اى الاغلال منتهية (الى الاذقان) جمع ذقن وهو  
 أسفل العيين لان الغل يجمع اليد الى العنق فلا يقدر ان يدرون عند ذلك على الالتفات ولا  
 يتمكنون من عطفها لان طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت  
 الذقن حلقة فيما رأس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلا يتخلسه بطاطى رأسه فلا  
 يزال مقمعا وهو معنى قوله (فهم مقمعون) اى رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم  
 قال الفراء والزجاج المقمع الغاض بصره بعد رفع رأسه ومعنى الاقحاح رفع الرأس وغض  
 البصر يقال أقحح البعير رأسه وقح اذا رفع رأسه ولم يشرب الماء قال الأزهرى أراد الله ان  
 ايديهم لما غلت عند اعناقهم رفعت الاغلال الى اذقانهم ورؤسهم سعداء فهم مرفوعو  
 الرؤس برفع الاغلال اياها وقال قتادة معنى مقمعون مغلولون والاول اولى وقال أبو  
 عبيدة قح البعير اذا رفع رأسه عن الحوض ولم يشرب وعنه أيضا هو مثل ضربه الله لهم  
 فى امتناعهم عن الهدى كما تمنع المغلول كما يقال فلان جمارأى لا يبصر الهدى قال الفراء  
 هذا ضرب مثل اى حبسناهم عن الاتفاق فى سبيل الله وهو كقوله ولا تجعل يدك مغلولة  
 الى عنقك وبه قال الضحاك وقيل الآية اشارة الى ما يفعل بقوم فى النار من وضع الاغلال  
 فى اعناقهم كما قال تعالى اذا لاغلال فى اعناقهم وقرأ ابن عباس انا جعلنا فى ايديهم  
 أغلالا قال الزجاج اى فى ايديهم قال النحاس وهذه القراءة تفسيرا ولا يقرأ بما خالف  
 المحصف قال وفى الكلام حذف على قراءة الجماعة اى انا جعلنا فى اعناقهم وفى ايديهم  
 أغلالا فهى الى الاذقان فلغظها كناية عن الايدي لاعتنق الاعناق والعرب تحذف مثل  
 هذا ونظيره سرايل تقيكم الحرأى وسرايل تقيكم البردان ما وقي من الحروقى من البرد  
 لان الغل اذا كان فى العنق فلا بد ان يكون فى اليد ولا سيما وقد قال الله فهى الى الاذقان  
 فقد علم انه يراد به الايدي فهم مقمعون اى رافعون رؤسهم لا يستطيعون الاطراق لان  
 من غلت يدها الى ذقنه ارتفع رأسه وروى عن ابن عباس انه قرأ انا جعلنا فى ايديهم  
 أغلالا وعن ابن مسعود انه قرأ انا جعلنا فى ايمانهم أغلالا كما روى سابقا عن ابن عباس  
 وعنه قال الاغلال ما بين الصدر الى الذقن فهم مقمعون كما تقمع الدابة بالجام (وجعلنا  
 من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا) اى منعناهم عن الايمان بوانع فهم لا يستطيعون  
 الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب امامه وخلفه بالاسداد والسد بضم السين

الذى ذكره تعالى من خلق السموات  
 والارض وما بينهما صادر عن فعل  
 الله وخلقته وتقديره وحده لا شريك  
 له فى ذلك ولهذا قال تعالى فأرونى  
 ماذا خلق الذين من دونه اى مما  
 تعبسون وتدعون من الاصنام  
 والانداد بل الظالمون يعنى المشركين  
 بالله العابدين معه غيره فى ضلال  
 اى جهل وعمى مبين اى واضح  
 ظاهر لا خفاء به (ولقد آتينا لقمان  
 الحكمة أن اشكر الله ومن يشكر  
 فانا يكثر له من فضله ومن كفر فان  
 الله غنى حميد) اختلاف السلف  
 فى لقمان هل كان نبيا وعبيدا  
 صالحا من غير نبوة على قولين  
 الاكثرون على الثانى وقال سفيان  
 الثوري عن الاشعث عن عكرمة  
 عن ابن عباس قال كان لقمان  
 عبدا حبشيا نجارا وقال قتادة عن  
 عبد الله بن الزبير قلت لجابر بن  
 عبد الله ما انتهى اليكم من شأن  
 لقمان قال كان قصيرا أفتس  
 الانف من النبوة وقال يحيى بن سعيد  
 الانصارى عن سعيد بن المسيب  
 قال كان لقمان من سودان مصر  
 ذو مشافر اعطاه الله الحكمة

ومنعه النبوة وقال الاوزاعى حدثنى عبد الرحمن بن حرمله قال جاء رجل اسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب  
 لا تحزن من اجل انك اسود فانه كان من اخير الناس ثلاثة من السودان بسلام ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمان الحكيم  
 كان اسود نوبيا ذامسافر وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا ابى عن ابى الاشهب عن خالد الربعى قال كان لقمان عبدا  
 حبشيا نجارا فقال له مولاه اذبح لنا هذه الشاة فذبحها قال اخرج اطيب مضغتين فيها فاخرج اللسان والقلب ثم مكث ماشاء الله  
 ثم قال اذبح لنا هذه الشاة فذبحها فقال اخرج اخبث مضغتين فيها فاخرج اللسان والقلب فقال له مولاه امرتك ان تحخرج

اطيب مضغتين فيها فأخرجتهما وامرته ان يخرج اخبث مضغتين فيها فأخرجتهما فقال لقمان انه ليس من شئ اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا وقال شعبة عن الحكم عن مجاهد كان لقمان عبدا صالحا ولم يكن نبيا وقال الاعمش قال مجاهد كان لقمان عبدا اسود عظيم الشفتين مشقة القدمين وقال حكيم بن سالم عن سعيد الزبيدي عن مجاهد كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا غليظ الشفتين مصفح القدمين قاضيا على بني اسرائيل وذكر غيره انه كان قاضيا على بني اسرائيل في زمان داود عليه السلام وقال ابن جرير حدثنا بن جيد حدثنا الحكم حدثنا (٦) عمرو بن قيس قال كان لقمان عبدا اسود غليظ الشفتين مصفح القدمين

فأناه رجل وهو في مجلس اناس يحدثهم فقال له ألسنت الذي كنت ترى معي الغنم في مكان كذا وكذا قال نعم قال فما بلغ بك ما ترى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعني وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال ان الله رفع لقمان الحكيم بحكمته فراه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال له ألسنت عبد بنى فلان الذي كنت ترى بالامس قال بلى قال فما بلغ بك ما ترى قال قدر الله واداء الامانة وصدق الحديث وتركى ما لا يعينني فهذه الآثار منها ما هو مصرح فيه بنى كونه نبيا ومنها ما هو مشعر بذلك لان كونه عبدا قدمه الرق يتنافى كونه نبيا لان الرسل كانت تبعث في احساب قومها ولهذا كان جهور السلف على انه لم يكن نبيا وانما ينقل كونه نبيا عن عكرمة ان صح السند اليه فانه رواه ابن جرير وابن ابي حاتم من حديث وكيع عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة قال كان لقمان نبيا وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي وهو ضعيف

وفتحها الغتان قال الضحاك سدا أي الدنيا وسدا أي الآخرة وقيل بالعكس (فأغشيناهم) بالغين المعجمة أي غطينا أبصارهم على حذف مضاف وقرئ بالعين المهملة من العشا وهو ضعف البصر ومنه ومن يعيش عن ذكر الرحمن فهم بسبب ذلك (لا يبصرون) أي لا يتقدرون على ابصار شئ قال الفراء فالبسنا أبصارهم غشوة أي عى فهم لا يبصرون سبيل الهدى وكذا قال قتادة ان المعنى لا يبصرون الهدى وقال السدي لا يبصرون محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين أتمر وعلى قتله وعن ابن عباس قال في السد كانوا يعترضون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينتظرون خروجه ليؤذوه فشق ذلك عليه فأناه جبريل بسورة يس وأمره بالخروج عليهم فأخذ كفا من تراب وخرج وهو يقرؤها ويذرا التراب على رؤسهم فأراه حتى جاز جعل أحدهم يلس رأسه فيجد التراب وجاء بعضهم فقال ما يجلسكم قالوا انتظر محمدًا فقال لقد رأيت ما داخل المسجد قال قوموا فقد سحركم قال الضحاك في الآية أي عمواعن البعث وعمواعن قبول الشرائع في الدنيا قال تعالى وقبضنا لهم قرانهم فما يقرئهم ما بين أيديهم وما خلفهم قال البيضاوي هذا تمثيل آخر بن أحاط بهم سدان فغطيا أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في انهم محجوبون في مطمورة الجهالة تمتوعون عن النظر في الآيات والدلائل (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) أي انذارك اياهم وعدمه سواء وهذا بيان لشأنهم بطريق التوبيخ بعد بيان بطريق التمثيل وجملة (لا يؤمنون) مستأنفة مبينة لما قبلها من الاستواء أو حال مؤكدة أو بدل منه روى أن عمر بن عبد العزيز قرأ هذه الآية على غيلان القدرى فقال كأنى لم أقرأها أشهدك أنى نائب عن قولى في الفسدر فقال عمر اللهم ان صدق فتب عليه وان كذب فسلط عليه من لا يرجه فأخذه هشام بن عبد الملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق وعن ابن عباس في الآية قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في المسجد فجهر بالقراءة حتى تأذى به ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه واذا أيديهم مجموعة بأعناقهم واذا هم عى لا يبصرون فجاءوا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا ننشدك الله والرحم يا محمد قال ولم يكن بطن من بطون قريش الا وللنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيهم قرابة فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى ذهب ذلك عنهم فترت يس الى قوله لا يؤمنون قال فلم يؤمن من ذلك النفر

احد

والله أعلم وقال عبد الله بن وهب أخبرني عبد الله بن عباس القسباني عن عمرو بن موفق قال وقف رجل

على لقمان الحكيم فقال انت لقمان انت عبد بنى الحسحاس قال نعم قال انت راعى الغنم قال نعم قال انت الاسود قال اما سوادى فظاهر في الذي يعجبك من امرى قال وطء الناس بساطك وغشيتهم بأك ورضاهم بقولك قال يا ابن ابي انى اصغيت الى ما أقول لك كنت كذلك قال لقمان غشى بصرى وكفى لسانى وعفة طمعى وحفظى فريشى وقولى بصدقى ووفائى بعهدى وتسكرومتى ضيفى وحفظى جارى وتركى ما لا يعيننى فذلك الذى صيرنى الى ماترى وقال ابن ابي حاتم حدثنا بن جيد حدثنا عمرو بن واقد

عن عبدة بن رياح عن ربيعة عن ابي الدرداء انه قال يوما ذكر لقمان الحكيم فقال ما اوتي ما اوتي عن اهل ولا مال ولا حسب ولا  
خصال ولكنه كان رجلا سمامة سكيئا طويل التفكير عميق النظر لم يغمض نهارا قط ولم يره احد قط يبزق ولا يتخفق ولا يبول ولا يتغوط  
ولا يغتسل ولا يعبت ولا يضحك وكان لا يعيد منطقا نطقه الا ان يقول حكمة يستعدها اياه احد وكان قد ترقح وولده اولاد فقاوا فلم  
يترك عليهم وكان يغشى السلطان ويأتي الحكام لينظروا ويتفكروا ويعتبروا فبذلك اوتي ما اوتي وقد ورد اثر غريب عن قتادة رواه ابن  
ابي حاتم فقال حدثنا ابي حدثنا العباس بن الوليد حدثنا زيد بن يحيى بن (٧) عبيد الخزاعي حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة

قال خير الله لقمان الحكيم بين النبوة  
والحكمة فاختار الحكمة على  
النبوة قال فانا جبريل وهو نائم  
فذكر عليه الحكمة أو ورس عليه  
الحكمة قال فأصبح ينطق بها قال  
سعيد فسمعت عن قتادة يقول قيل  
للقمان كيف اخترت الحكمة على  
النبوة وقد خسر بك فقال انه  
لو ارسل الى بالنبوة عزيمة لرجوت  
فيه الفوز منه ولكنني أرجو  
ان اقوم بها ولكنه خسرني فخفت  
ان اضعف عن النبوة فكانت  
الحكمة احب اليّ فهذا من رواية  
سعيد بن بشير وفيه ضعف قد تكلموا  
فيه بسببه فالتة اعلم والذي رواه سعيد  
ابن ابي عروبة عن قتادة في قوله تعالى  
ولقد آتينا لقمان الحكمة اى  
الفقه فى الاسلام ولم يكن نبيا ولم يوح  
اليه وقوله ولقد آتينا لقمان  
الحكمة اى الفهم والعلم والتعبير ان  
اشكر الله اى امرناه ان يشكر الله  
عز وجل على ما آتاه الله ومنحه  
ووهبه من الفضل الذى خصه به  
عن سواه من ابناء جنسه واهل  
زمانه ثم قال تعالى ومن يشكر فانا  
يشكر لنفسه اى انما يعود نفع

أحد وفي الباب روايات في سبب نزول ذلك هذه الرواية أحسنها وأقربها الى الصحة وقال  
الزجاج في الآية أى من أضله الله هذا الاضلال لم ينفعه الانذار وانما ينفع الانذار من ذكر  
في قوله (انما تنذر من اتبع الذكر) اى القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) اى فى الدنيا  
(فبشره) الفاء لترتيب البشارة أو الأهر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية اى بشر  
هذا الذى اتبع الذكر (بمغفرة) عظيمة (وأجر كريم) اى حسن وهو الجنة ثم أخبر  
سبحانه باحياؤه الموتى فقال (انما نحن نحى الموتى) اى نبعثهم بعد الموت وقال الحسن  
والضحاك اى يحييهم بالايان بعد الجهل والاول اولى وهو بيان لشأن عظيم ينطوى على  
الانذار والتبشير انطواء اجاليا ثم توعدهم بكتب آثارهم فقال (ونكتب) فى صحف  
الملائكة (ما قدموا) اى أسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة (وآثارهم) اى  
ما أبقوه من الحسنات التى لا ينقطع نفعها بعد الموت كمن سن سنة حسنة كعلم علموه أو  
كاتب صنفوه أو حبس حبسوه أو بنى بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك أو  
السيات التى تبقى بعد موت فاعلمها كمن سن سنة سيئة كوظيفة وظيفها بعض الظلام  
على المسلمين وسكة أحدثها فيهم بتحسيرهم وشى أحدث فيه صد عن ذكر الله من الخان  
وملاه ونحو ذلك قال مجاهد وابن زيد نظيره قوله علمت نفس ما قدمت وأخرت وقوله ينبؤ  
الانسان يومئذ بما قدم وأخر وقيل المراد بالآية آتانا المشائين الى المساجد وبه قال جماعة  
من الصحابة والتابعين قال التماس وهو اولى ما قيل فى الآية لانها نزلت فى ذلك ويحاج  
عنه بان الاعتبار بعموم الآية لا بخصوص سببها وعمومها يقتضى كتب جميع آثار الخير  
والشر والاحياء هو المعتبر والكتابة مؤكدة معظمة لا امره فلهاذا قدم الاحياء وقرئ  
نكتب على البناء للفاعل وللمفعول عن ابي سعيد الخدرى قال كان بنو سلمة فى ناحية  
من المدينة فأرادوا أن ينتقلوا الى قرب المسجد فأنزل الله انما نحن نحى الموتى ونكتب  
ما قدموا و آثارهم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال انه يكتب آثاركم ثم قرأ  
عليهم الآية فتركوها اخرج الترمذى وحسنه والبخارى صحيحه وغيرهم وفى صحيح  
مسلم وغيره من حديث جابر قال ان بنى سلمة أرادوا أن يبيعوا ديارهم ويتحولوا قريبا  
من المسجد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا بنى سلمة دياركم تكتب آثاركم  
(وكل شئ) من اعمال العباد وغيرها كما تاما كان وقرأ الجمهور بنصب كل على الاشتغال وقرئ

ذلك وثوابه على الشاكرين لقوله تعالى ومن عمل صالحا فلنا أنفسهم عهدون وقوله ومن كفر فان الله غنى عن العباد  
لا يتضرر بذلك ولو كفر أهل الارض كلهم جميعا فانه الغنى عما سواه فلا اله الا الله ولا نعبد الاياه (واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه  
يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنأ على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولو للدين  
الى المصير وانجاهدك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروف واتبع سبيل من أناب الى  
ثم الى امر جمعكم فأنتنكم بما كنتم تعملون) يقول تعالى مخبرا عن وصية لقمان لولده وهو لقمان بن عتقاء بن سديون واسم

أيسه ثاران في قول حكاه السهيلي وقد ذكره الله تعالى باحسن الذكر وانه آناه الحكمة وهو يوصى ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأجهم اليه فهو حقيق أن يحضه أفضل ما يعرف ولهذا أوصاه أولاً بان يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً ثم قال محذراً له ان الشرك لظلم عظيم اي هو أعظم الظلم قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أي نالم بليس ايمانهم بظلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) انه ليس بذلك الا تسمع الى قول لقمان يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم

عظيم ورواه مسلم من حديث الاعمش به ثم قرن بوصيته اياه بعبادة الله وحده البر بالوالدين كما قال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وكثيرا ما يقرن تعالى بين ذلك في القرآن وقال ههنا ووصينا الانسان بوالديه جلته أمه وهناعلى وهن قال مجاهد مشقة وهن الولد وقال قتادة جهدا على جهد وقال عطاء الخراساني ضعفا على ضعف وقوله وفصاله في عامين أي تربته وارضاعه بعد وضعه في عامين كما قال تعالى والوالدان يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة الآية ومن ههنا استنبط ابن عباس وغيره من الأئمة ان أقل مدة الحبل ستة أشهر لانه قال في الآية الاخرى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وانما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في شهرها ليلها ونهارها ليدكر الوالد باحسانها المتقدم اليه كما قال تعالى وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ولهذا قال أن اشكر لي ولوالديك الى المصير أي فاني سأجزيك على ذلك أو فجزء قال ابن أبي حاتم

بالرفع على الابتداء (أحصيناها في امام) اي كتاب مقتدى به (مبين) موضع لكل شئ قال مجاهد وقتادة وابن زيد أراد اللوح المحفوظ وقالت فرقة أراد صحائف الاعمال (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية) قد تقدم الكلام على نظير هذا في البقرة والنحل والمعنى اضرب لاجلهم مثلاً واضرب لاجل نفسك أصحاب القرية مثلاً اي مثلهم عند نفسك بأصحاب القرية فعلى الاول لما قال تعالى انك لمن المرسلين وقال لتندرقوا ما قل لهم ما أناب دعا من الرسل فان قبلي بقليل جاء أصحاب القرية المرسلون وأنذر وهم بما أنذرتكم وذكروا التوحيد وخوفوا بالقيامة وبشروا بنعيم دار المقامة وعلى الثاني لما قال ان الانذار لا ينفع من أضله الله وكتب عليه انه لا يؤمن قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اضرب لنفسك ولقومك مثلاً اي مثل لهم عند نفسك مثلاً بأصحاب القرية حيث جاءهم ثلاثة رسل ولم يؤمنوا وصر الرسل على الايذاء وأنت جئت اليهم واحدا وقومك اكثر من قوم الثلاثة فانهم جاؤا الى اهل قرية وانت بعثتكم الى الناس كافة والمعنى واضرب لهم مثلاً مثل أصحاب القرية اي اذ كلهم قصة معجبة قصة أصحاب القرية فترك المثل واقيم أصحاب القرية مقامه في الاعراب وقيل لاحاجة الى الاضمار بل المعنى اجعل أصحاب القرية لهم مثلاً على ان يكون مثلاً واصحاب القرية مفعولين لاضرب او يكون أصحاب القرية بدلاً من مثلاً وقد قدمنا الكلام على المفعول الاول من هذين المنعولين هل هو مثلاً واصحاب القرية وقد قيل ان ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى مثلها كما في قوله ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأتها مع طوطي يستعمل اخرى في ذكر حالة غريبة ويأينها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله وضربنا لكم الامثال اي بينا لكم احوال ابيدعة غريبة هي في الغرابة كالمثال فقوله سبحانه هنا واضرب لهم مثلاً ليصبح اعتبار الامرين فيه قال القرطبي هذه القرية هي انطاكية في قول جميع المفسرين وبه قال ابن عباس وبريدة وهي ذات عين وسور عظيم من صخر داخله خمسة اجبل دورها اثني عشر ميلا والعواصم بلاد قصبته انطاكية وهي بارض الروم (اذ جاءها المرسلون) بدل اشمال من اصحاب القرية والمرسلون هم أصحاب عيسى بعثهم الى اهل انطاكية للدعاء الى الله وكانوا عبدة أوثان وانما أضاف سبحانه الارسال الى نفسه في قوله (اذ أرسلنا اليهم اثنين) لان عيسى أرسلهم بأمر الله سبحانه

حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن أبي شيبه ومحمود بن غيلان قالوا حدثنا عبد الله أخبرنا اسرائيل عن ابي

اسحاق عن سعيد بن وهب قال قدم علينا معاذ بن جبل وكان بعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اي رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وان تطيعواي لا ألوكم خيرا وان المصير الى الله والى الجنة أو الى النار اقامة فلا ظعن وخلود فلا موت وقوله وان جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما أي ان حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما في الدين ما عرفوا اي

محمدنا اليهما واتبع سبيل من أناب الى يعنى المؤمنين الى مرجعكم فأبثكم بما كنتم تعملون قال الطبراني في كتاب العشرة  
 حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أحمد بن أيوب بن راشد حدثنا مسلمة بن علقمة عن داود بن أبي هندان سعد  
 ابن مالك قال أنزلت في هذه الآية وان جاهدك على أن تشرك في ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية قال كنت رجلا برأبأى فلما  
 أسلمت قالت يا سعد ما هذا الذي أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا اولا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعبرني فيقال يا فائل أمه  
 فقلت لا تفعل يا أمه فاني لأدع ديني هذا لشيء فكنت يوما وليله لم تأكل (٩) فأصحت قد جهدت فكنت يوما آخر وليله  
 لم تأكل فأصحت قد جهدت فكنت

يومًا وليله أخرى لا تأكل فأصحت  
 قد اشتد جهدها فلما رأيت ذلك قلت  
 يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة  
 نفس فخرجت نفسا لنفسا ما تركت  
 ديني هذا شيء فان شئت فكلى وان  
 شئت لا تأكلى فأكلت (بابي أنها  
 ان تلك مثقال حبة من خردل فتكن  
 في صخرة وفي السموات وفي الارض  
 يأتيهم الله ان الله لطيف خبير يابني  
 أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن  
 المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك  
 من عزم الامور ولا تصعرخن ذلك  
 للناس ولا تمس في الارض مراحا ان  
 الله لا يحب كل مختار فخور واقصد  
 في مشيك واغضض من صوتك  
 ان انكر الاصوات لصوت الحجر  
 هذه وصايا نافعة قد حكاها الله سبحانه  
 عن لقمان الحكيم ليمثلها الناس  
 ويقتدوا بها فقال يابني ان تلك  
 مثقال حبة من خردل أي ان المظلمة  
 أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل  
 وجوز بعضهم أن يكون الضمير في  
 قوله انها ضمير الشأن والقصة وجوز  
 على هذا رفع مثقال والاول أولى وقوله  
 عز وجل يأتيهم الله أي أحضرها الله  
 يوم القيامة حين يضع الموازين القسط

ويجوز أن يكون ارسلهم الله بعد رفع عيسى الى السماء من غير واسطة (فكذبوهما)  
 في الرسالة وقيل ضربوهما وسجنوهما قيل واسم الاثنين يوحنا وشمعون وقيل أسماء  
 الثلاثة صادق ومصدوق وشالوم قاله ابن جرير وغيره وقيل شمعان ويوحنا وبولس وقال  
 وهب اسمهما يحيى وبولس وقال كعب صادق وصدوق (فعرزنا بنات) قرئ بتشديد  
 الزاي وتخفيفها قال الجوهرى فعرزنا يخفف ويشدد أى قويا وشددا فالقراءتان على  
 هذا معنى وقيل التخفيف بمعنى غلبنا وقهرنا ومنه وعزنى في الخطاب والتشديد بمعنى قوينا  
 وكثرنا قيل وهذا الثالث هو شمعون وقيل غيره وعن ابن عباس قال كان بين موسى بن  
 عمران وبين عيسى بن مريم ألف سنة وتسعمائة سنة ولم تكن بينهما قرعة وانه ارسل بينهما  
 ألف نبي من بني اسرائيل سوى من ارسل من غيرهم وكان بين ميسلاد عيسى والنبي صلى  
 الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسع وستون سنة بعث في اولها ثلاثة أنبياء وهو قوله اذ ارسلنا  
 اليهم اثنتين فكذبوهما فعرزنا بنات والذي عزز به شمعون وكان من الحواريين وكانت  
 الفترة التي لم يعث الله فيها رسولا أربع مائة سنة وأربعين سنة أخرجه ابن سعد وابن  
 عساكر (فقالوا انا اليكم مرسلون) اى قال الثلاثة جميعا وجاءوا بكلامهم هذا وكذا  
 لسبق التكذيب للاثنين والتكذيب بهما ما تكذيب للثالث لانهم ارسلوا جميعا بشئ  
 واحد وهو الدعاء الى الله عز وجل وهذه الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل  
 ما قال هؤلاء الرسل بعد التعزير لهم بنات وكذلك جملة (قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا) فانها  
 مستأنفة كأنه قيل فما قال لهم أهل انطاكية فقبل قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا اى  
 مشاركون لنا في البشرية فليس لكم مزية علينا تختصون بها والخطاب للثلاثة ثم  
 صرحوا بجحد انزال الكتب السماوية فقلوا (وما أنزل الرحمن من شيء) مما تدعونه  
 أنتم ويدعيه غيركم بمن قبلكم من الرسل وأتباعهم (ان أنتم الا تكذبون) في دعوى  
 ما تدعون من ذلك (قالوا) اى فأجابوهم باثبات رسالتهم بكلام مؤكدا كيد ابديغا  
 لتكرار الانكار من أهل انطاكية وهو قولهم (ربنا يعلم انا اليكم مرسلون) فأكدوا  
 الجواب بالقسم الذي يفهم من قولهم ربنا يعلم وبان وباللام قال الزنجشري ووجه التكرار  
 ان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار انتهى وهذا مخالف لما في المفتاح من انهم  
 أكدوا في المرة الاولى لان تكذيب الاثنين تكذيب للثالث لا اتحاد المقالة فلما بالغوا

(فتح البيان ثامن) وجازى عليهم ان خيرا خيرا وان شرا شرا كما قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم  
 نفس شيئا الآية وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل  
 صخرة صماء أو غابسة ذاهبة في أرجاء السموات والارض فان الله يأتي بها لانه لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات  
 ولا في الارض ولهذا قال تعالى ان الله لطيف خبير أى لطيف العلم فلا يخفى عليه الاشياء وان دقت ولطفت وتضاءلت خبير بديب  
 الغل في الليل الهميم وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله فتكن في صخرة أنها صخرة تحت الارضين السبع وذكره السدي بأسناده ذلك

المطروق عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة ان صر ذلك ويروي هذا عن عطمة العوفى وأبي مالك والثوري والمنهال بن عمرو وغيرهم وهذا والله أعلم كأنه متلقى من الاسراييليات التي لا تصدق ولا تكذب والظاهر والله أعلم ان المراد ان هذه الحبة في حقايرها لو كانت داخل صخرة فان الله سيديها ويظهرها بلطيف علمه كما قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن ابى الهيثم عن ابى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة تلجج عمله للناس كأنما كان (١٠) ثم قال يا بنى أقم الصلاة أى بجدودها وفروضها وأوقاتها وأمر بالمعروف

وانه عن المنكر أى بحسب طاقتك وجهدك واصبر على ما أصابك علم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن يتاله من الناس أذى فأمره بالصبر وقوله ان ذلك من عزم الامور أى ان الصبر على أذى الناس لمن عزم الامور وقوله ولا تصعرخ ذلك للناس يقول لا تعرض بوجهك عن الناس اذا كلمهم او كملوك احتقار منك لهم واستكبارا عليهم ولكن أن جنبك وابسط وجهك اليهم كما جاء في الحديث ولو ان تلقى اخاك ووجهك اليه منبسط وايك واسبال الازار فانها من الخيلة والخيلة لا يحبها الله قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله ولا تصعرخ ذلك للناس يقول لا تكبر فتحقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك اذا كملوك وكذا روى العوفى وعكرمة عنه وقال مالك عن زيد بن أسلم ولا تصعرخ ذلك للناس لا تكلم وأنت معرض وكذا روى عن مجاهد وعكرمة ويزيد بن الاصم وأبى الجوزاء وسعيد بن جبير والضصاك وابن زيد وغيرهم وقال ابراهيم النخعي يهنى بذلك التشديق فى الكلام والصواب

فى تكذيبهم زادوا التأكيد وما ذهب اليه الرخصى نظر الى أن مجموع الثلاثة لم يسبق منهم اخبار ولا تكذيب لهم فى المرة الاولى فالتأكيدي فيها للاعتناء والاهتمام بالخبر انتهى قاله الشهاب (وما علمنا الا البلاغ المبين) أى ما يجب علينا من جهة ربنا الاتباع رسالته على وجه الظهور والوضوح بالدلالة الواضحة وهى ابراء الاكه والارص والمرضى واحياء الميت وليس علمنا غير ذلك وهذه جملة مستأنفة كالتى قبلها وكذلك جملة (قالوا انا تطيرنا بكم) فانها مستأنفة جوابا عن سؤال مقدر أى ان انشاء منابكم لا تقطع المطر عنا بسببكم لم يجردوا جوابا يجيبون به على الرسل الا هذا الجواب المبني على الجهل المنى عن الغباوة العظيمة وعدم وجود حجة يدفعون الرسل بها وعودة الجهال أن يتبينوا بئس ما لو اليه وقبلته طبعاهم ويتشاءموا بما نشروا عنه وكرهوه فان أصابهم بلاء أو نعمة قالوا بشؤم هذا وبركة هذا قال مقاتل حبس عنهم المطر ثلاث سنين فقالوا هذا بشؤمكم قسب انهم أقاموا يذرونهم عشرين سنين وقبيل انما تطير والمبا بلفهم من ان كل نبى اذا دعا قومهم فلم يجيبوه كان عاقبتهم الهلاك وأصل التطير التغاؤل بالطير فانهم كانوا يزعمون أن الطائر السائح سبب للخير والبارح سبب للشر ثم استعمل فى كل ما يتشاءم به وفى المختار وطائر الانسان عمله الذى قلده والطير ايضا الاسم من التطير ومنه قولهم لا طير الا طير الله وتطير من الشئ وبالشئ والاسم الطيرة بوزن عنبة وهو ما يتشاءم به من النمل الردى وفى الحديث انه كان يجب القائل ويكره الطيرة وقوله تعالى قالوا طيرنا بك أصله تطيرنا فادغم ثم رجعوا الى الخبير والتكبر لما ضاقت صدورهم وأعييتهم العمل فقالوا (لئن لم تنتهوا) اللام للقسم أى والله لئن لم تتركوا هذه الدعوى وتعرضوا عن هذه المقالة (لترجمنكم) بالحجارة قال الفراء عامة ما فى القرآن من الرجم المراد به القتل وقال قتادة هو على يابه من الرجم بالحجارة (وايسنكم منا عذاب أليم) أى شديد فطيع وقيل معناه التحريق بالنار أو القتل وقيل الستم وقيل هو التعذيب المؤلم من غير تقييمه بنوع خاص وهذا هو الظاهر لسكنهم حننوا فى هذا القسم لانهم لم يتمكنوا من بره لاهلاك الله لهم ثم أجاب عليهم الرسل دفعا لما زعموه من التطير بهم (قالوا طيركم معكم) أى شؤمكم معكم من جهة أنفسكم لازم فى أعناقكم وليس هو من شؤمنا قال الفراء طائر كم أى رزقكم وقد دركم وعلمكم وبه قال قتادة وقرأ الجمهور طائر كم اسم فاعل أى ما طار لكم من الخير والشر وقرأ

القول الاول قال ابن جرير وأصل الصعراء يأخذ الابل فى أعناقها أو رؤسها حتى تلتفت أعناقها عن رؤسها فشب به الرجل المتكبر ومنه قول عمرو بن حبي التغلبي وكذا اذا الجبار صعر خده \* أقناله من ميهله فتقوموا وقال أبو طالب فى شعره وكذا قد عيالنا تقترظ لامة \* اذا ما نواصع الرأس نقيها

وقوله ولا تأمن فى الارض مرحا أى خيلاء متكبرا جبارا عن عياد الاتفعل ذلك يغيضك الله ولهذا قال ان الله لا يحب كل مختال فخور أى مختال محجب فى نفسه فخور أى على غيره وقال تعالى ولا تأمن فى الارض مرحانك لن تحرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا وقد



تقدم الكلام على ذلك في موضعه وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى حدثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ثابت بن قيس بن شماس قال ذكرنا الكبر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فشد فيه فقال ان الله لا يحب كل مختال فخور فقال رجل من القوم والله يا رسول الله اني لا اغسل ثيابي في مجبني يياضها ويحبني شر الثعلبي وعلاقة سوطي فقال ليس ذلك الكبر انما الكبر ان تسفه الحق وتغمظ الناس ورواه من طريقه أخرى بثله وفيه قصة طويلة ومقتل ثابت ووصيته بعد موته وقوله واقصدي (١١) مشيك اى امش مشيا مقصدا ليس بالبطي

المتبسط ولا بالسريع المفرط بل عدلا وسطا بينين وقوله واغضض من صوتك اى لا تبالغ في الكلام اى لا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ولهذا قال ان أنكر الاصوات لصوت الحجر قال مجاهد وغير واحد ان أقمع الاصوات لصوت الحجر اى غاية من رفع صوته انه يشبه بالحجر في علوه ورفعه ومع هذا هو بغض الى الله تعالى وهذا التشبيه في هذا الحجر يتنضى تحريمه وذمه غاية الذم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس لنا مثل السوء العائد في هبته كالكلب يقي ثم يعود في قيمه وقال النسائي عنه لم ينفسر بهذه الاية حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله واذا سمعتم نقيق الجمار فتعوذوا بالله من الشيطان فانهارت شيطانها وقد اخرج به بقية الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن جعفر بن ربيعة وفي بعض الالفاظ بالليل فانه علم فهذه وصانا نافعة جدا وهى من قصص القرآن العظيم عن لقمان الحكيم

الحسن اطيركم اى تطيركم (أثذ كرتم) قرئ بهمزة استفهام بعد هاءان الشرطية على الخلاف بينهم في التسهيل والتخفيف وادخال ألف بين الهمزتين وعدمه وقرئ بهمزتين مفتوحتين وقرئ أين على صيغة الظرف واختلف سيبويه ويونس اذا اجتمع استفهام وشرط أي ما يجاب فذهب سيبويه الى انه يجاب بالاستفهام وذهب يونس الى انه يجاب بالشرط وعلى القولين فالجواب هنا محذوف اى أثذ كرتم ووعظتم وخوفتم فتطيرتم لذلالة ما تقدم عليه وقرئ أن ذ كرتم بهمزة مفتوحة اى لان ذ كرتم والقراآت كلها سبعة ثم أضربوا عما يقتضيه الاستفهام والشرط من كون التذكير سببا للشؤم أو مصححا للتوعد فقالوا (بل أنتم قوم مسرفون) اى ليس الامر كذلك بل أنتم قوم عادتكم الاسراف في المعصية فمن ثم أنكم الشؤم من قبلكم لان قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم مسرفون في تطيركم قاله قتادة وقال يحيى بن سلام مسرفون في كفركم وقال ابن بحر السرف هنا الفساد والاسراف فى الاصل مجاوزة الحد فى مخالفة الحق اى متجاوزون الحد بشرككم وهذا لا ينافى كون أهل انطاكية أول المؤمنين برسلى عيسى فان الملك وقومه آمنوا واهلك قاتلى حبيب لا يستلزم هلاك أهل انطاكية (وجاء من أقصى المدينة) وهى القرية السابق ذكرها وعبر عنها هنا بالمدينة إشارة لكبرها واتساعها (رجل يسعى) هو حبيب بن مرى وكان نجارا وقيل اسكافا وقيل قصارا وقال مجاهد ومقاتل هو حبيب بن اسرايل التجار وكان يبعث الاصنام وقال وهب كان يعمل الحرير وقال قتادة كان يعبد الله في غار فلما سمع بخبر الرسل جاء يسعى اى يشتم عدوا وقال ابن عباس اسم صاحب بس حبيب وكان الجذام قد أسرع فيه قال القرطبي وهو عن آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن أحد بنى غير نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الا بعد ظهوره وأمانينا فآمن به قبل ظهوره كثيرا انتهى وفيه من البعد والضعف ما لا يخفى ويدفعه قوله سبحانه (قال يا قوم اتبعوا المرسلين) اى رسل عيسى عليه السلام ولم يذكر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ولادلت الآية عليه والجله مستأنفة كانه قيل فاذا قال لهم عند مجيئه فقيل قال الخ اى اتبعوا هؤلاء الذين أرسلوا اليكم فانهم جاؤا بحق ثم كذالك وكرره فقال (اتبعوا من لا يسألكم) بدل من المرسلين باعادة العامل أو تابع له (أجرا) على ما جاؤكم به من الهدى (وهم) اى الرسل (مهتدون)

وقدرى عنه من الحكم والمواعظ أشياء كثيرة فلنذكر منها أنموذجا ودستورا الى ذلك قال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحق اخبرنا ابن المبارك اخبرنا سفيان اخبرني نعيم بن مجمع الضبي عن ابن عمر قال اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لقمان الحكيم كان يقول ان الله اذا استودع شيئا حفظه وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عيسى بن يونس عن الاوزاعي عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه يا بني اياك والوقنق فان خوفه بالليل مذمة بالنهار وقال حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان بن ضمرة حدثنا (٣) البري بن يحيى قال قال لقمان لابنه يا بني ان الحكمة اجلس المساكين قوله البري بن يحيى كذا بالاصل وحزر

محاسن الملوك وقال أيضا حدثنا في حديثنا عبد بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا عبد الرحمن المسعودي عن عون بن عبد الله قال قال لقسمان لا ننه بابي إذا أتيت نادى قوم فارمهم بسهم الاسلام يعني السلام ثم اجلس في ناحيتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا فان أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك معهم وان أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم الى غيرهم وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثر بن دينار حدثنا ضمرة عن حفص بن عمر قال وضع لقمان جرابا من خردل الى جانبه وجعل يعط ابنه وعظته ويخرج خردلة حتى نفذ الخردل فقال يا بني لقد وعظتك موعظة لو وعظها جبل تفطر قال فتفطر ابنه وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عبد الباقي المصمى حدثنا احمد بن عبد الرحمن (١٢) الحراني حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي حدثنا انس بن سفيان المقدسي

عن خليفة بن سلام عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا السودان فان ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة لقمان الحكيم والنخاشي وبلال المؤذن قال الطبراني أردنا الحبش \* (فصل في الخمول والتواضع) \* وذلك متعلق بوصية لقمان عليه السلام لانه وقد جمع في ذلك الخاقط أبو بكر ابن أبي الدنيا كما بمفرد نحن نذكر منه مقاصده قال حدثنا ابراهيم ابن المنذر حدثنا عبد الله بن موسى المدني عن اسامة بن زيد عن حفص ابن عبد الله بن أنس عن جده أنس ابن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رب أشعث في ظمير يصفح عن أبواب الناس اذا أقسم على الله لأبره ثم رواه من حديث جعفر بن سليمان عن ثابت وعلي بن زيد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وزاد منهم البراء بن مالك وقال أبو بكر بن سهل التميمي حدثنا ابن أبي هريرة حدثنا نافع بن يزيد عن عمار ابن عباس عن عيسى بن عبد الرحمن عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضی الله عنه انه دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر

ولو كانوا متمين بعدم الصدق لسألوكم المال فاهتدوا أنتم أيضا تبعا لهم ثم أبرز الكلام في معرض النصيحة لنفسه وهو يريد مناصحة قومه فقال (وما لي لأ عبد الذي فطرنى) أى اى مانع من جانبي يعنى من عبادة الذى خلقنى ثم رجح الى خطابهم لبيان انه ما أراد نفسه بل أرادهم بكلامه فقال (واليه ترجعون) أضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم أليق ولذلك لم يقل اليه أرجع وفيه مبالغة في التهديد وهذه الطريقة أحسن من ادعاء الالتفات ثم عاد الى المساق الاول وهو التلطف في الارشاد والنصيحة لقصد التأكيد ومن يريد الايضاح فقال (أأأخذ من دونه) أى غيره (آلهة) فجعل الانكار متوجها الى نفسه وهم المرادون به اى لاأخذ من دون الله آلهة وأعبدها وأترك عبادة من يستحقها وهو الذى فطرنى ثم بين حال هذه الاصنام التى يعبدونها من دون الله سبحانه انكارا عليهم وبياننا لضلال عقولهم وقصور ادراكهم فقال (ان يردن الرحمن بضر) أى بسوء ومكر وهو شرط وجوابه (لانن عنى شفاعتهم شيئا) من النفع كما نأما كان أى لاشفاعتها لغنى عنى (ولا ينقدون) من ذلك الضر الذى أرادنى الرحمن به وهذه الجملة صفة لآلهة أو مستأنفة لبيان حالها فى عدم النفع والدفع (انى اذا) أى اى اذا اتخذت من دونه آلهة وعبدت غير الله (انى ضلال مبين) ظاهر واضح لان اينا ما لا ينفع ولا يدفع ضر ابوجه ما على الخالق المقدر على النفع والضر واشرا كنه ضلال بين لا يخفى على عاقل وهذا قهر يرض بهم كما سبق والضلال الخسران ثم صرح بايمانه تصريحه بالحيثى بعده شك فقال (انى أمنت بربكم فأسمعون) بكسر النون وهى نون الوقاية وهى اللغة العالية وقرئ بفصحها وهى غلط قال المفسرون أرادوا القوم قتله فأقبل هو على المرسلين فقال انى أمنت بربكم أجب الرسل فاسمعوا أيماني واشهدوا لى به وقيل انه خاطب بهذا الكلام قومه لما أرادوا قتله لتصلبا فى الدين وتشددا فى الحق وعدم المبالاة بالقتل فلما قال هذا القول وصرح بالايان وثبوا عليه فقتلوه وقيل وطؤه بأرجلهم وقال الحسن حرقوه حرقا وعلقوه فى سور المدينة وقبره فى سورانظا كمة حكاة الثعلبي وقيل حفروا له حفرة وألقوه فيها وقيل انهم لم يقتلوه بل رفعه الله الى السماء وهو فى الجنة وبه قال الحسن وقال السدي رموه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى يقتلوه وقيل نشره بالمنشار حتى خرج من بين رجله فوالله ما خرجت

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما يبكيك يا معاذ قال حدثت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم روحه سمعته يقول ان اليسير من الرباء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الاثرياء الذين اذا غابوا لم ينتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يتخون من كل غبراء مظلمة حدثنا الوليد بن شجاع حدثنا عثمان بن علي عن جيسد بن عطاء الاعرج عن عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رب ذى ظمير لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم انى سألت الجنة لا أعطاء الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال أيضا حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن

سالم بن أبي الجعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أمتي من لو أتى باب أحدكم يسأله دينارا أو درهما أو فلسا لم يعطه ولو  
 سأل الله الجنة لا أعطاه اياها ولو سأله الدنيا لم يعطه اياها ولم يمنعه اياها لهوانه عليه ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وهذا  
 مرسل من هذا الوجه وقال أيضا حدثنا اسحاق بن ابراهيم أخبرنا جعفر بن سليمان حدثنا عوف قال قال أبو هريرة قال قال رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم ان من ملوك الجنة كل أشعث أغبر ذو طمرين لا يؤبه له الذين اذا استأذنوا على الأمر لم يؤذن لهم واذا  
 خطبوا الناس لم ينسجوا واذا قالوا لم ينصف لهم حوائج أحدهم تتجلبل (١٣) في صدره لو قسم نوره يوم القيامة بين الناس  
 لوسعهم قال وأنشدني عمر بن شبة  
 عن ابن عائشة قال قال عبد الله بن  
 المبارك

الأرب ذى طمرين في منزل غدا  
 زرابيه مبشوته ونعما رقه  
 قد طردت أنواره حول قصره  
 وأشرق والتفت عليه حدائقه  
 وروى من حديث عبيد الله بن زحر  
 عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي  
 امامة مرفوعا قال قال الله من أعجب  
 أوليائي عندي مؤمن خفيف الخاذ  
 ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه  
 وأعطاه في السر وكان غامضا في  
 الناس لا يشار اليه بالاصابع ان  
 صبر على ذلك قال ثم انفذ رسول الله  
 بيده وقال عجبت منيته وقل ترانه  
 وقلت بوا كيه وعن عبد الله بن  
 عمرو قال أحب عبدا لله الى الله  
 الغريب قيل ومن الغريباء قال  
 القزارون بدينهم يجتمعون يوم  
 القيامة الى عيسى بن مريم وقال  
 الفضيل بن عياض بلغني أن الله  
 تعالى يقول للعبيد يوم القيامة ألم  
 أنعم عليكم ألم أعطكم ألم أستر لكم ألم  
 ألم اجعل ذكركم ثم قال الفضيل ان  
 استطعت أن لا تعرف فافعل وما

روحه الا في الجنة فدخلها فذلك قوله تعالى (قيل ادخل الجنة) أي قيل له ذلك عند  
 موته تكريمه بانه يدخلها بعد قتله كما هي سنة الله في شهداء عباده ولم يذكر لفظه في نظم  
 الآية لان الغرض بيان القول دون المقول له فانه معلوم وعلى قول من قال انه رفع الى  
 السماء ولم يقتل يكون المعنى انهم لما أرادوا قتله نجاه الله من القتل وقيل له ادخل الجنة  
 وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة الا ان وعلمه فالامر أمر تكوينا لأمر امتثال على حد  
 قوله أن يقول له كن فيكون فالمعنى أدخله الله الجنة سريرا فادخلها ورأى نعيمها  
 وشاهدها (قال يابوت قومي يعلمون بما غفرت لي ربي وجعلني من المكرمين) الجملة مستأنفة  
 جواب سؤال مقدر أي فاذا قال بعد ان قيل له ادخل الجنة فدخلها فقال يابوت قومي الخ  
 وهم الذين قتلوه ففتحهم حيا وميتا قال ابن أبي ليلى سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة  
 عين على بن أبي طالب وهو أفضاهم ومؤمن آل فرعون وصاحب يس وهم الصديقون  
 ذكره الزمخشري وما في معاني المصدرة وقيل موصولة أي بالذي غفرت لي ربي والباء صلة  
 يعلمون والعائد محذوف أي غفرت لي ربي واستضعف هذا لانه لا معنى لثمنه أن يعلم قومه  
 بذنوبه المغفورة وليس المراد الا التني منه بان يعلم قومه بغفران ربه واليه أشار في التقرير  
 وقال القراء انها استفهامية جاءت على الاصل بمعنى التعجب والباء صلة غفرت كما قال يابوت  
 شي غفرت لي ربي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على أدينتهم قال الكسائي لو صح هذا  
 لقال بهم من غير أنف ويحباب عنه بانه قد ورد في لغة العرب اثباته وان كان مكثورا بالنسبة  
 الى حذفها وفي معنى ثمنه قولان أحدهما انه تنى أن يعلموا بحاله ليعلموا احسن ما له وحيد  
 عاقبه ارغامهم وقيل انه تنى أن يعلموا بذلك ليؤمنوا مثل ايمانه فيصبروا الى مثل حاله  
 ولما وقع ما وقع منهم مع حبيب التجار غضب الله له وعجل لهم النعمة وأهلكهم بالصيحة  
 فقال (وما أنزلنا على قومه من بعده) أي على قوم حبيب التجار من بعد قتلهم له أو من  
 بعد رفع الله له الى السموات على الاختلاف السابق (من جنس مدن السماء) لاهلاكهم  
 وللاستقام منهم أي لم تخرج الى ارسال جنود من السماء لاهلاكهم كما وقع ذلك للنبي صلى الله  
 عليه وآله وسلم يوم بدر من ارسال الملائكة لت نصرته وحرب أعدائه وذلك لان الله أجرى  
 هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض الحكمة اقتضت ذلك وعن ابن مسعود  
 في الآية قال يقول ما كبذناهم بالجوع أي الامر أيسر علينا من ذلك (وما كنا منزلة)

عليك أن لا يثنى عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس محمودا عند الله وكان ابن محبر يقول اللهم اني أسألك ذكرا خاملا  
 وكان الخليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني في نفسي من أوضع خلقك وعند الناس من أوسط  
 خلقك ثم قال باب ما جاء في الشهرة حدثنا أحمد بن عيسى المصري حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث وابن لهيعة عن يزيد بن أبي  
 حبيب عن سنان بن سعد عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حسب امرئ من الشر الا من عصم الله أن يبشر الناس  
 اليه بالا صابغ في دينه ودينه وان الله لا ينظر الى صوركم ولكن الى قلوبكم وأعمالكم وروى مثله عن اسحاق بن البهلول عن ابن أبي

قديك عن محمد بن عبد الواحد الاخسي عن عبد الواحد بن أبي كثير عن جابر بن عبد الله مرفوعاً مثله وروى عن الحسن مرسلاً نحوه فقيس للحسن فإنه يشار اليك بالاصابع فقال انما المراد من يشار اليه في دينه بالبدعة وفي دنياه بالفسق وعن علي رضي الله عنه قال لا تسبداً لان تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتفوا وصمت تسلم تسرا الاربار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم بن ادهم رحمه الله ما صدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب ما صدق الله عبد الاسره أن لا يشعر بكانه وقال محمد بن العلاء من أحب الله أحب أن لا يعرفه الناس وقال سماعة بن سلمة اياك (١٤) وكثرة الاخلاء وقال ابا بن عثمان ان أحببت أن يسلم اليك دينك فأقل

من المعارف وكان أبو العالية اذا جلس اليه أكثر من ثلاثة فخرج وتركهم وقال حدثنا علي بن الجعد أخبرنا سمعة عن عوف عن أبي رجا قال رأى طلحة قوما يعيشون معه فقال ذباب طمع وفرش النار وقال ابن ادريس عن هرون بن أبي عمرة عن سليمان بن حفظة قال بينما نحن حول أبي اذ علاه عمر بن الخطاب بالدرة وقال انما مذلة للتابع وقتنة للمتبوع وقال ابن عون عن الحسن خرج ابن مسعود فأسعه أناس فقال والله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما تبعني منكم رجلاً وقال حماد بن زيد كما اذا امر ربا على المجلس ومعنا أيوب فسلم ردوا ردا شديدا فكان ذلك نعمة وقال عبد الرزاق عن معمر كان أيوب يطيل قيضه فقيل له في ذلك فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طول القمصين واليوم في تشميره واصطنع مرة نعين على حزن وعلى النبي صلى الله عليه وسلم فلبسها أيا ما تم خلعهما وقال لم ار الناس يلبسونها وقال ابراهيم النخعي لا تلبس من الثياب ما يشهر في القتها ولا ما يزدرك

أى وما صح في قضاءنا وحكمتنا أن نزل لاهلا كهم جند السبق قضائنا وقد ربان اهلا كهم بالصيحة لا بانزال الجند وقال قتادة ومجاهد والحسن اى ما أنزلنا عليهم من رسالة من السماء ولا نبى بعد قتله وروى عن الحسن انه قال هم الملائكة النازلون بالوحى على الانبياء والظاهر ان معنى النظم القرآنى تحقير شأنهم وتصغير أمرهم اى ليسوا باحقاء بان نزل لاهلا كهم جند من السماء بل أهلكناهم بصيحة واحدة كما يفيد قوله (ان كانت) أى العقوبة أو النعمة أو الأخذ (الصيحة واحدة) صاح بها جبريل فأهلكهم قرئ صيحة بالنصب على ان كان ناقصة واسمها ضير يعود الى ما يفهم من السياق كما قدمنا وقرئ برفعها على ان كان تامة أى وقع وحدث وأنكرها أبو حاتم وكثير من النحويين بسبب التأنيت في قوله ان كانت وقيل غير ذلك وقرأ ابن مسعود ان كانت الازقية واحدة والازقية الصيحة قال الثعالب وهذا مخالف للمصحف وأيضاً فان اللغة المعروفة زقار قو اذا صاح ومنه المثل أثقل من الزواقى فكان يجب على هذا أن يكون زقوة وبجواب عنه بما ذكره الجوهري قال الزقو والزقي مصدر وقدر زقوا الصداير قوزقا أى صاح وكل صائح زاق والازقية الصيحة قال المفسرون أخذ جبريل بعضا من باب المدينة ثم صاح بهم صيحة فاذا هم ميتون لا يسمع لهم حس كالنار اذا طفئت وهو معنى قوله (فاذا هم خامدون) ميتون شبههم بالنار اذا طفئت لان الحياة كالنار الساطعة في الحركة والالتهاج والموت كخمودها (يا حسرة على العباد) النصب على أنهم نادى منكر كأنه نادى الحسرة وقال لها هذا وأنت فاحضرى وقيل انها منصوبة على المصدرية والمنادى محذوف والتقدير يا هؤلاء تحسروا وحسرة وقرئ بالضم على النداء قال الفراء في توجيه هذه القراءة ان الاختيار النصب وأنها لورفعت النكرة لكان صوابا واستشهد بابشياء نقلها عن العرب منها أنه سمع منهم يامهم بامر نالتهتم قال الثعالب وفى هذا ابطال باب النداء أو أكثره قال وتقدير ما ذكره يابها المهتم لانهتم بامرنا وحقيقة الحسرة أن يلحق الانسان من الندم ما يصير به حسيبا قال ابن جرير المعنى يا حسرة من العباد على أنفسهم وتندما وتلفظ فى اسمهم برسلى الله وقرئ يا حسرة العباد على الاضافة ورويت هذه القراءة عن أبي وقال الضحاک انها حسرة الملائكة على الكفار حين كذبوا الرسل وقيل هى من قول الرجل الذى جاء من أقصى المدينة وقيل ان القائل يا حسرة على العبادهم

السفهاء وقال النورى كانوا يكرهون من الثياب الجياد التى يشتهر بها ويرفعون الناس اليه فيها ابصارهم والثياب الكفار الرديئة التى يحتقر فيها ويستذل دينه وحدثنا خلد بن خدش حدثنا جاد عن أبي حسنة صاحب الزيادة قال كاعند ابى قلابة اذ دخل عليه رجل عليه ا كسبة فقال اياكم وهذا الجمار انها وقال الحسن رحمه الله ان قوما جعلوا الكبر فى قلوبهم والتواضع فى ثيابهم فصاحب الكساء بكسائه اعظم من صاحب المطرق عطره مالههم تفاقدا وفى بعض الاخبار ان موسى عليه السلام قال لبنى اسرايل مالكم تأتوني علىكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب اليسوا يا ابى الملوك وأينوا قلوبكم بالخشية (فصل فى

حسن الخلق) \* ابو الياح عن انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا عطاء عن ابن عمر قيل  
يارسول الله اى المؤمنين افضل قال احسنهم خلقا نوح بن عباد عن انس مرفوعا ان العبد يبلغ بحسن خلقه درجات الآخرة  
وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وانه ليبلغ بسوء خلقه درك جهنم وهو عابد سيار بن هرون عن جدي عن انس مرفوعا ذهب  
حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة المطلب عن عائشة مرفوعا ان العبد يبلغ بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار وقال ابن  
ابى الدنيا حدثني ابو مسلم عبد الرحمن بن يونس حدثنا عبد الله بن (١٥) ادريس اخبرني ابى وعي عن جدي عن ابى

هريرة رضى الله عنه سئل رسول الله

صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل

الناس الجنة فقال تقوى الله

وحسن الخلق وسئل عن اكثر

ما يدخل الناس النار فقال الاجوفان

القوم والفرج وقال اسامة بن شريك

كنت عند رسول الله صلى الله عليه

وسلم فجاءته الاعراب من كل

مكان فقالوا يا رسول الله ما خير

ما اعطى الانسان قال حسن الخلق

وقال يعلى بن سمالك عن ام الدرداء

عن ابى الدرداء يبلغ به قال ما شئ

انقل في الميزان من حسن الخلق

وكذا رواه عطاء عن ام الدرداء به

مسروق عن عبد الله بن عمرو مرفوعا

ان من خياركم احاسنكم اخلاقا

حدثنا عبد الله بن ابى بدر حدثنا

محمد بن عيينة عن محمد بن ابى سارة

عن الحسن بن على قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعطى

العبد من الثواب على حسن الخلق

كما يعطى الجاهل في سبيل الله يغدو

عليه الاجر وروح مكحول عن ابى

نعلبة مرفوعا ان احببكم الى

واقربكم منى مجلسا احاسنكم

اخلاقا وان ابغضكم الى وابعدكم

منى منزلا في الجنة مساويكم اخلاقا

منى منزلا في النار مساويكم اخلاقا

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حسن

الله خلقه فتطعمه النار عبد الله بن غالب الحداني عن ابى سعيد

مرفوعا خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال مجنون بن مهران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب اعظم

عند الله من سوء الخلق وذلك ان صاحبه لا يخرج من ذنب الا وقع في آخر حدثنا على بن الجعد حدثنا ابو المغيرة الاجمى حدثنا

الكفار المكذبون والعباد الرسل وذلك انهم لما راوا العذاب تحسروا على قتلهم وتمنوا

الايان قاله ابو العالسة ومجاهد وقيل ان التحسر عليهم هو من الله عز وجل بطريق

الاستعارة لتعظيم ما جنوه وقرى يا حسر به يسكون الهاء اجراء للوصل مجرى الوقف وقرى

يا حسرتا كما قرى بذلك في سورة الزمر قال ابن عباس اى يا ويل للعباد وعنه قال الندامة

على العباد يوم القيامة والى العباد للجنس (ما يأتهم من رسول الا كلوا به يستزؤن)

مستأنفة مسوقة لبيان ما كانوا عليه من تكذيب الرسل والاستتراء بهم وان ذلك هو

سبب التحسر عليهم ثم نجح سبحانه من حالهم حيث لم يعتبروا بما مثلهم من الامم الخالية

فقال (الم يروا كم اهلكنا) اى لم يعلموا اكثر من اهلكنا (قبلهم من القرون) التى

اهلكنا من الامم الخالية والاستفهام للتقرير على حد قوله ألم نشرح لك صدرك (انهم

اليهم لا يرجعون) يدل من اهلكنا على المعنى قال سيبويه انه بدل من كم وهى الخبرية فلذلك

جاز ان يبدل منها ما ليس باستفهام والمعنى ألم يروا ان القرون الذين اهلكناهم انهم اليه

لا يرجعون وقال الفراء كم فى موضع نصب من وجهين أحدهما يروا والوجه الآخر

بأهلكنا قال الخاس القول الاول محال لان كم لا يعمل فيها ما قبلها لانها استفهام ومحال

ان يدخل الاستفهام فى حين ما قبله وكذا حكمها اذا كانت خبرا وان كان سيبويه قدأوما

الى بعض هذا فجعل أنهم بدلا من كم وقد رد ذلك المبرد أشد رد ثم بين سبحانه رجوع الكل

الى الخسر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا فقال (وان كل لما جميع لدينا محضرون)

قرى لما مشددا ومحققا قال الفراء من شدد جعل لما بمعنى الا وان معنى ما اى ما كل الا

جميع ومعنى جميع مجموعون فهو فعيل بمعنى مفعول ولدىنا ظرف له وأما على قراءة

التخفيف فان هى الخفيفة من الثقيلة وما بعدها مرفوع بالابتداء واللام هى الفارقة بين

الخفيفة والنافية قال أبو عبيدة وما على هذه القراءة زائدة والتقدير عنده وان كل لجمع

والحاصل ان كل أشير بها الاستغراق الافراد وشمولهم وجميع أشير بها الاجتماع الكل

فى مكان واحد وهو الخسر وقيل معنى محضرون معذبون والاولى انه على معناه الحقيقى

من الاحضار للحساب والجزاء ثم ذكر سبحانه البرهان على التوحيد والخسر مع تعدد

النعم وتذكيرها فقال (واية لهم) على البعث والتوحيد (الارض الممتة) فآية خبر

مقدم وتشكيها للتفخيم ولهم صفتها أو متعلقة بآية لانها معنى علامة والارض مبتدأ

منى منزلا فى الجنة مساويكم اخلاقا الثرثارون المتشدقون المتبينون ابو اويس عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا ألا اخبركم  
بأكلكم ايماننا احاسنكم اخلاقا الموطون اكلنا الذين يؤلفون ويألفون وقال الليث عن يزيد بن عبد الله بن اسامة عن بكر بن ابى  
القرات قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلقه رجل وخلقته فتطعمه النار عبد الله بن غالب الحداني عن ابى سعيد  
مرفوعا خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق وقال مجنون بن مهران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب اعظم  
عند الله من سوء الخلق وذلك ان صاحبه لا يخرج من ذنب الا وقع فى آخر حدثنا على بن الجعد حدثنا ابو المغيرة الاجمى حدثنا

عبد الرحمن بن اسحق عن رجل من قریش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب اعظم عند الله من سوء الخلق ان الخلق الحسن ليديب الذنوب كما تذيب الشمس الجليد وان الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخلق العسل وقال عبد الله بن ادریس عن ابيه عن جده عن ابي هريرة مر فوعا انكم لا تسعون الناس بأعوانكم ولكن يسعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق وقال محمد ابن سيرين حسن الخلق عون على الدين (فصل في ذم الكبر) قال علقمة عن ابن مسعود رفعه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة (١٦) ذرة من ايمان وقال ابراهيم بن ابي عيلة عن ابي سلمة عن عبد الله بن عمرو

مر فوعا من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر اكبه الله على وجهه في النار حدثنا اسحاق بن اسماعيل حدثنا أبو معاوية عن عمر بن راشد عن اياس بن سلمة عن ابيه مر فوعا لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتبه عند الله من الجبارين فيصبيه ما أصابهم من العذاب وقال مالك ابن دينار ركب سليمان بن داود عليهم السلام ذات يوم البساط في مائتي ألف من الانس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع تسبيح الملائكة في السماء ثم خفض حتى مست قدمه ماء البحر فسمعوا صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال حبة ذرة من كبر لخسف به أبعدهما رفع حدثنا أبو خيثمة حدثنا يزيد عن هرون عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال كان أبو بكر يخطبنا فسد كبره مخلق الانسان حتى ان أحدنا ليقدر نفسه يقول خرج من مجرى البول مرتين وقال الشعبي من قتل اثنين فهو جبار ثم تلا أثر يدان تقتلني كما قتلت نفسها بالاسن ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض وقال الحسن بن عجلان بن

ويجوز أن يكون آية مبتدأ لكونها قد تخصصت بالصفة وما بعد هذا الخبر قرئ ممتدة بالتشديد والتخفيف (أحيناها) مستأنفة مبنية لكيفية كونها آية وقيل هي صفة للارض فنبههم الله بهذا على احياء الموتى وذكركم نعمه وكمال قدرته فانه سبحانه أحيا الارض بالنبات وأخرج منها الحبوب التي يأكلونها ويتغذون بها وهو معنى قوله (وأخر جناها حبا فنه يأكلون) وهو ما يقتاتونه من الحبوب وتقدم منه للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل وأكثر ما يقوم به المعاش (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) أي جعلنا في الارض جنات من أنواع النخل والعنب وخصها بالذرة لانها أعلى الثمار وأنفعها للعباد والنخل والتخيل بمعنى الواحدة نخلة وفي المصباح النخل اسم جمع والواحدة نخلة وكل جمع يفرق بينه وبين واحد بالهاء فاهل الحجاز يؤنثونه وأهل نجد وتميم يذكرونه وأما التخيل بالياء فثؤنة قال ابن أبي حاتم لا اختلاف في ذلك والاعناب جمع عنب والعنبة الواحدة من العنب (ونجرتنا من العيون) أي نجرتنا في الارض بعضا من العيون فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو المفعول العيون ومن مزيدة على رأى من جوز زيادتها في الاثبات والمراد بالعيون عيون الماء وقرأ الجهور بالتشديد وقرئ بالتخفيف والتعجب والتعجب كالفتح والفتح لفظا ومعنى واللام في قوله (لأكلوا من ثمرة) متعلقة بجعلنا والضمير المجرور يعود الى المذكور من الجنات والنخيل وقيل هو راجع الى ماء العيون لان الثمر منه قاله الجرجاني وقرئ ثمرة بضمين وبفتحتين وهما اسمعيتان وقرأ الاعمش بضم الشاء واسكان الميم وقد تقدم الكلام على هذا في الانعام (وماعلمته أيديهم) أي لياكلوا من ثمرة وياكلوا ما علمته أيديهم كالعصير واللبس وشحوهما وكذلك ما غرسوه وحفروه وما جوهه على ان ما موصولة وفيه تجوز على هذا وقيل هي نافية والمعنى لم يعملوه بل العامل له هو الله عز وجل أي وجدوهما معمولة ولا صنع لهم فيها وهو قول الضحاك ومقاتل وقيل انها مذكورة موصوفة والكلام فيها كالذي في الموصولة وقيل انها مصدرية أي ومن عمل أيديهم والمصدر واقع موقع المفعول به فيعود المعنى الى معنى الموصولة أو الموصوفة وعن ابن عباس في الآية قال وجدوهما معمولة لم تعملها أيديهم يعنى القران ودجله ونهر بلخ واشباهاها (أفلا يشكرون) الاستفهام للتقريع والتوبيخ لهم بعدم شكرهم للنعم المدودة والثناء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أيرون هذه

آدم يغسل الخزي يده في اليوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات حدثنا خالد بن خداس حدثنا النعم حاد بن زيد عن علي بن الحسين عن النعمان بن سفيان فذكر حديث ضرب مثل الدنيا بما يخرج من ابن آدم (٣) وقال الحسن بن يحيى عن أبي قال ان مطعم ابن آدم ضرب مثلا للدنيا وان فرخه وملمحه وقال محمد بن الحسين بن علي من ولد علي رضي الله عنه ما دخل قلب رجل شيء من كبر الا نقص من عقله بقدر ذلك وقال يونس بن عبيد ليس مع السجود كبر ولا مع التوحيد نفاق ونظر طاوس الى عمر بن عبد العزيز وهو يخطب في مشيته وذلك قبل أن يستخلف فطعن طاوس في جنبه بأصبعه وقال ليس هذا شأن من في بطنه خرء (٣) قوله وقال الحسن بن يحيى الى قوله وملمحه كذا في النسخ وحزر اه

فقال له كالمعتد إليه ناعم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها قال ابو بكر بن ابي الدنيا كان ثنوا مية بضر يون  
 اولادهم حتى يتعلمون هذه المشية (فصل في الاختيال) \* بن ابي ليلى عن ابن بريدة عن ابيه مر فوعا من جرثوبه خيلا لم ينظر الله  
 اليه ورواه عن اسحق بن اسمعيل عن سفيان عن زيد بن اسلم عن ابن عمر مر فوعا مثله وحدثنا محمد بن بكار حدثنا عبد الرحمن بن  
 ابي الزناد عن ابيه عن الاعرج عن ابي هريرة مر فوعا لا ينظر الله يوم القيامة الى من جازاهه وينما رجل يتختر في برديه أبعثته  
 نفسه خسف الله به الارض فهو يتجبل فيها الى يوم القيامة وروى الزهري (١٧) عن سالم عن ابيه بينما رجل الى آخره (ألم تر  
 أن الله سخّر لكم ما في السموات

والزم أو أتعلمون بها فلا يشكرونها (سبحان الذي خلق الأزواج كلها) مستأنفة مسوقة  
 لتزيينها سبحانه عما وقع منهم من ترك الشكر لنعمة المذكورة والتعجب من اخلاصهم بذلك  
 وقد تقدم الكلام مستوفى في معنى سبحان وهو في تقدير الامر للعباد بان ينزهوه عما يليق  
 به والأزواج الأنواع والأصناف فكذلك زوج صنف لانه مختلف في الألوان والطعوم  
 والأشكال والصغور والكبر فاختلا فيها هو ازواجها قال قتادة يعني الذكور والانثى (وما  
 تنبت الأرض) بيان للأزواج والمراد كل ما نبت فيها من الاشياء المذكورة وغيرها لانه  
 أصناف (ومن انفسهم) أي خلق الأزواج من انفسهم وهم الذكور والاناث (وما  
 لا يعلمون) من أصناف خلقه في البر والبحر والسماء والارض في الاودية والبحار أشياء  
 لا يعلمها الناس ولم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها ووجه الاستدلال في هذه الآية  
 انه اذا انفرد باخلق فلا ينبغي ان يشرك به (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) الكلام في هذا  
 كما قدمنا في قوله وآية لهم الارض الخ والمعنى ان ذلك علامة دالة على توحيد الله وقدرته  
 ووجوب الهيته والسيخ الكشط والزرع يقال سلخه الله من بدنه ثم يستعمل بمعنى  
 الاخراج فجعل سبحانه ذهاب الضوء ومجيء الظلمة كالسلخ من الشيء وهو استعارة بليغة  
 (فاذا هم مظلمون) أي داخلون في الظلام مفاجأة وبغته يقال أظلمنا أي دخلنا في ظلام  
 الليل وأظهرنا دخلنا في وقت الظهر وكذلك أصبحنا وأمسينا وقيل منه بمعنى عنه والمعنى  
 نسلخ عنه ضوء النهار فاذا هم في ظلمة لان ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضيء فاذا خرج  
 منه أظلم قال الفراء يرمي بالنهار على الليل فيأني بالظلمة وذلك ان الاصل هي الظلمة والنهار  
 داخل عليه فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل أي كسشط وأزيل فتظهر الظلمة  
 وظاهره يشعر بان النهار طار على الليل قال المرزوقي الآية بدلت على ان الليل قبل النهار  
 لان المسلوخ منه يكون قبل المسلوخ كان المعطى قبل الغطاء لكن كلامه في سورة الرعد  
 مؤذن بان بين الليل والنهار تواخا وتداخل قال تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار  
 على الليل (والشمس تجري لمستقر لها) يحتمل أن تكون الواو للعطف على الليل والتقدير  
 وآية لهم الشمس ويجوز أن تكون ابتدائية والشمس مبتدأ وما بعدها الخبر ويكون  
 الكلام مستأنفا مشتملا على ذكر آية مستقلة قبل وفي الكلام حذف والتقدير تجري  
 لجري مستقر لها أي تنهى في سيرها لاجل مستقر لها وقيل اللام بمعنى الى قيل والمراد

أن الله سخّر لكم ما في السموات وما في الارض وأسبغ عليكم نعمه  
 ظاهرة وباطنة ومن الناس من  
 يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا  
 كتاب منير واذ قيل لهم اتبعوا  
 ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا  
 عليه آباءنا أو لو كان الشيطان  
 يدعوهم الى عذاب السعير) يقول  
 تعالى منها خلقه على نعمه عليهم  
 في الدنيا والآخرة بانه سخّر لهم  
 ما في السموات من نجوم يستضيئون  
 بها في ليالهم ونهارهم وما يخلق  
 فيها من سبح وأمطار ونبل وبرد  
 وجعل له اياها سقفا محفوظا وما  
 خلق لهم في الارض من قرار وأنهار  
 وأشجار وزروع ونمار وأسبغ  
 عليهم نعمه الظاهرة والباطنة  
 من ارسال الرسل وانزال الكتب  
 وازاحة الشبه والعلل ثم مع هذا كله  
 ما آمن الناس كلهم بل منهم من  
 يجادل في الله اي في توحيد وارساله  
 الرسل ومجادلته في ذلك بغير علم ولا  
 مستند من حجة صحيحة ولا كتاب  
 ما تور بصحيح ولهذا قال تعالى ومن  
 الناس من يجادل في الله بغير علم  
 ولا هدى ولا كتاب منير أي ميين

(٣ فتح البيان ثامن) مضى واذ قيل لهم اي لهؤلاء المجادين في توحيد الله اتبعوا ما أنزل الله اي على رسوله من  
 الشرائع المظهرة فالواو بل تتبع ما وجدنا عليه آباءنا أي لم يكن لهم حجة الاتباع الا بآه الاقدمين قال الله تعالى أو لو كان آباؤهم  
 لا يعقلون شيئا ولا يمدون اي فما ظنكم أيها المتحجبون بصنيع آباءهم انهم كانوا على ضلالة وأنتم خلف لهم فيما كانوا فيه ولهذا قال  
 تعالى أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله  
 عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره ينادي جمعهم فنبتهم بما عملوا ان الله عليهم بذات الصدور نعمتهم قليلا ثم نضطرهم الى

عذاب غليظ ) يقول تعالى مخبرا عن اسلم وجهه لله اى اخلص له العمل وانقاد لامره واتبع شرعه ولهذا قال وهو محسن اى فى عمله باقباع ما به امر وترك ما نهى زجر فقد استسك بالهروة الوثقى اى فقد اخذ موثقامن الله متيناً انه لا يعذبه والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره اى لا تحزن عليهم يا محمد فى كفرهم بالله وبما جئت به فان قدر الله نافذ فيهم والى الله مرجعهم فينبئهم بما عملوا اى فينبئهم عليه ان الله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية ثم قال تعالى نعمهم قليلا اى فى الدنيا ثم تضطرهم اى الخبثهم الى عذاب غليظ اى فظيع صعب مشق ( ١٨ ) على النفوس كما قال تعالى ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع فى

بالمستقر يوم القيامة فعنده تستقر فلا تبقى لها حركة وقيل مستقرها هو اى بعد ما انتهى اليه ولا تجاوزه وقيل نهاية ارتفاعها فى الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء وقيل مستقرها تحت العرش لانها تذهب الى هنالك فتمسك بها فتستأذن فى الرجوع فيؤذن لها وهذا هو الراجح وقال الحسن ان للشمس فى السنة ثلثمائة وستين مطلعاً تنزل فى كل يوم مطلعاً ثم لاتنزل الى الخول فهى تجرى فى تلك المنازل وهو مستقرها وقيل ان الشمس فى الليل تسير وتشرق على عالم آخر من اهل الارض وان كانا لا يعرفه ويؤيد هذا القول ما قاله النقيهاء فى باب المواقيت كالشمس الرملى من ان الاوقات الخمسة تختلف باختلاف الجهات والنواحي فقد يكون المغرب عندنا عصر عند آخرين ويكون الظهر صبحاً عند آخرين وهكذا وقيل غير ذلك وقرئ لامستقر لها بال التى لنى الجنس وبناء مستقر على الفتح وقرئ لامستقر بلا التى بمعنى ليس ومستقر اسمها ولها خبرها ( ذلك ) اى ذلك الجرى على ذلك الحساب الذى بكل النظر عن استخراجه وتخيير الافهام عن استنباطه ( تقدير العزيز ) اى الغائب القاهر بقدرته على كل مقدور ( العلم ) اى المحيط علمه بكل شئ ويحتمل أن تكون الاشارة راجعة الى المستقر اى ذلك المستقر تقدير الله اخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله والشمس تجرى لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفى لفظ للبخارى وغيره من حديثه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى المسجد عند غروب الشمس فقال يا ابا ذر اأندرى أين تغرب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال انها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله والشمس تجرى لمستقر لها وفى لفظ من حديثه أيضاً عند اجدو الترمذى والنسائى وغيرهم قال يا ابا ذر اأندرى أين تذهب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تذهب حتى تسجد بين يدي ربه افتستأذن فى الرجوع فيأذن لها وكانها قد قيل لها اطلعي من حيث جئت فتطلع من مغربها ثم قرأ ذلك مستقر لها وذلك قراءة عبد الله واخرج الترمذى والنسائى وغيرهما من قول ابن عمر نحوه قال النووى اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدي فعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش الى أن تطلع وقيل تجرى الى مستقر لها وأصل لا تتعداه وعلى هذا فسقطت عنها اسما عند انقضاء الدنيا وأما سجود الشمس فهو تمييز وادراك الخلقه الله تعالى فيها والله أعلم ( والقمر

الدنيا ثم المياحرجهم ثم نديتهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ) ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد ) يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء المشركين به انهم يعرفون ان الله خالق السموات والارض وحده لا شريك له ومع هذا يعبدون معه شركاً يعترفون انها خلق له وملك له ولهذا قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله اى اذا قامت عليكم الحجة باعترا فكم بل أكثرهم لا يعلمون ثم قال تعالى لله ما فى السموات والارض اى هو خلقه وملك ان الله هو الغنى الحميد اى الغنى عما سواه وكل شئ فقير اليه الحميد فى جميع ما خلق له الحمد فى السموات والارض على ما خلق وشرع وهو المحمود فى الامور كلها ( ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر عتده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير ) يقول تعالى مخبرا عن عظمته

وكبريائه وجلاله وأسماؤه الحسنى وصفاته العلا وكمياته التامة التى لا يحيط بها احد ولا اطلاع لبشر على كنهها قدرناه واحصائها كما قال سيد البشر وخاتم الرسل لا احصى شئ عليك انت كما اثبت على نفسك فقال تعالى ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر عتده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله اى ولو ان جميع اشجار الارض جعلت اقلاماً وما جعل البحر مداداً وانه سبعة ابحر معه فكشبت بها الكلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الاقلام ونفذ ماء البحار ولو جاء امننا لها مددا وانما كرت السبعة على وجه المبالغة ولم يرد الحصر ولا ان ثم سبعة ابحر موجودة محيطه بالعالم كما يقوله من تلقاه من الاسرائيليات



التي لا تصدق ولا تكذب بل كما قال تعالى في الآية الاخرى قل لو كان البحر مدا الكلمات لربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات  
ربى ولو جئت بما جعله مددا لفلس المراد بقوله بعمله آخر فقط بل بعمله ثم بعمله ثم بعمله ثم بعمله لا حصر لآيات الله وكلماته قال الحسن  
البصرى لو جعل شجر الارض أقلاما وجعل البحر مداداً وقال الله ان من أمرى كذا ومن أمرى كذا لنفد ماء البحور وقسرت  
الأقلام وقال قتادة قال المشركون انما هذا كلام يوشك أن ينفد فقال الله تعالى ولو ان ما فى الارض من شجرة أقلام اى لو كان  
شجر الارض أقلاما ومع البحر سبعة اجراما كان لينفد بما نبى وحكمته (١٩) وخلقوه وعلمه وقال الربيع بن أنس ان مثل

قد نراد منازل) قرأ نافع وابن كثير أبو عمرو ورفيع القمري على الابتداء وقرأ الباقر بالنصب  
على الاشتغال واتصاف منازل على انه مفعول لان قدرنا بمعنى صيرنا ويجوز أن يكون  
منتصبا على الحال اى قدرنا سيره حال كونه ذا منازل ويجوز أن يكون منتصبا على  
الظرفية اى فى منازل واختار أبو عبيد النصب فى القمر قال لان قبله فعلا وهو نسلخ  
وبعد فعله وهو قدرنا قال النحاس أهل العربية جميعا فيما علمت على خلاف ما قال منهم  
الفراء قال الرفع أعجب الى قال وانما كان الرفع عندهم أولى لانه معطوف على ما قبله  
ومعناه واية لهم القمر قال أبو حاتم الرفع أولى لانك شغلت الفعل عنه بالضمير فرغته  
بالابتداء والمنازل هى الثمانية والعشرون التى ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه  
ولا يتقاصر عنه على تقدير مستوي سير فيها من ليلة المسهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر  
ليلتين أو ليلة اذا نقص الشهر وهى معروفة وسأنى ذكرها فاذا صار القمر فى آخرها عاد الى  
أولها فيقطع الفلك فى ثمان وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين ثم يطبع هلا لا فيعود فى قطع تلك  
المنازل من الفلك كالعرجون أخرج الخطيب عن ابن عباس فى الآية قال هى ثمانية  
وعشرون منزلا ينزلها القمر فى كل شهر أربعة عشر منها شامية وأربعة عشر منها يمائية  
فالوا الشريطين والبطين والثريا والذبران والهقعة والهقعة والذراع والذرة والظرف  
والجبهة والزبرة والصرفة والعرواء والسماك وهو آخر الشامية والغفر والزبانى والاكيل  
والقلب والشولة والنعام والبلدة وسعد الذايح وسعد بلع وسعد السعد وسعد الاخبية  
ومقدم الدلو ومؤخر الدلو والحوت وهو آخر يمائية سـ مثل الرملى هل القمر الموجود  
فى كل شهر هو الموجود فى الآخر وغيره فأجاب بان فى كل شهر قرأ جديد انتهى وهذا  
يدل على صحة سجدة الامثال ان ثبت بالنص من الشارع ويمكن بعمله القول فى الشمس  
لكن لا دليل على ذلك كله (حتى عاد) فى آخر منازلها فى رأى العين (كالعرجون القديم)  
هو عود الشمراخ بالضم اذا يبس واعوج والقديم الذى أتى عليه الحول فاذا قدم عتق  
ويبس وتقوس واصفر فشمه القمر به من ثلاثة أوجه فاذا سار هذه الثمانية وعشرين  
منزلا عاد كالعرجون القديم كما كان فى أول الشهر وهذا يدفع ما ذكره الرملى فليستأمل وقال  
ابن عباس العرجون القديم أصل العذق العتيق قال الزجاج العرجون هو عود العذق  
الذى فيه الشمراخ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف اى سار فى منازلها حتى اذا

علم العباد كلهم فى علم الله كقطرة  
من ماء البحور كلها وقد أنزل الله  
ذلك ولو ان ما فى الارض من شجرة  
أقلام الآية يقول لو كان البحر مدا  
لكلمات الله والشجار كلها أقلاما  
لانكسرت الأقلام وفنى ماء  
البحر وبقيت كلمات الله قائمة  
لا يفنىها شئ لان أحد الأيسر يستطيع  
أن يقدر قدره ولا يثنى عليه كما ينبغي  
حتى يكون هو الذى يثنى على نفسه  
ان رسا كما يقول وفوق ما يقول وقد  
روى ان هذه الآية نزلت جوايا  
للهود قال ابن اسحق حدثنى ابن أبى  
محمد عن سعيد بن جبيرة وعكرمة عن  
ابن عباس ان أحبار يهود قالوا  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة  
يا محمد أرايت قولك وما أوتيت من  
العلم الا قليلا ايانا تريد أم قومك  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
كلا فقالوا ألسنت تتلوف فيما جاءك  
انا قد أوتينا التوراة فيها نبيان  
لكل شئ فقال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم انها فى علم الله قليل وعندكم  
من ذلك ما يكفيكم وأنزل الله فيما  
سأله عنه من ذلك ولو ان ما فى  
الارض من شجرة أقلام الآية

وهكذا روى عن عكرمة وعطاء بن يسار وهذا يقتضى ان هذه الآية مدنية لامكية والمشهور انها مكية والله أعلم وقوله ان الله عزيز  
حكيم اى عزيز قد عز كل شئ وقهره وغلبه فلا مانع لما أراد ولا مخالف ولا معقب لحكمه حكيم فى خلقه وأمره وأقواله وأفعاله وشرعه  
وجميع شؤنه وقوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اى ما خلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة الى قدرته الا  
كنسبة نفس واحدة الجميع هين عليه انما أمره اذا أراد شئ أن يقول له كن فيكون وما أمرنا الا واحدة كلح بالبصر اى لا يأمر  
بالشئ الا مرة واحدة فيكون ذلك الشئ لا يحتاج الى تكرره ولو كره فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة وقوله ان الله سميع

بصير أرى كما هو سميع لا قوا لهم بصير بأفعالهم كسمعه وبصره بالنسبة إلى نفس واحدة كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة ولهذا قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة الآية (ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير) يخبر تعالى أنه يولج الليل في النهار بمعنى يأخذ منه في النهار فيطول ذلك ويقصر هذا وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية ثم يشرع في (٢٠) النقص فيطول الليل ويقصر النهار وهذا يكون في الشتاء وسخر الشمس والقمر

كل يجرى إلى أجل مسمى قيل إلى غاية محددة وقيل إلى يوم القيامة وكلا المعنيين صحيح ويستشهد للقول الأول بحديث أبي ذر رضي الله عنه الذي في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا ذر أتدري أين تذهب هذه الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأذن ربها فيمشي إن يقال لها ارجعي من حيث جئت وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثنا يحيى بن أيوب عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال الشمس بمنزلة الساقية تجرى بالنهار في السماء في فلكتها فإذا غربت جرت بالليل في فلكتها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها قال وكذلك القمر اسناده صحيح وقوله وأن الله بما تعملون خبير كقوله ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض ومعنى هذا أنه تعالى الخالق العالم بجميع الأشياء كقوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن الآية وقوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون

كان في آخر هادق واستقوس وصغر حتى صار كالعرجون القديم وعلى هذا فالنون زائدة قال قتادة هو العذق اليابس المحتنى من النخلة قال ثعلب العرجون الذي يتقى في النخلة إذا قطعت والقديم البالي وقال الخليل العرجون أصل العذق وهو أصفر عريض يشبه به الهلال إذا فتحني وكذلك قال الجوهري أنه أصل العذق الذي يعوج ويقطع منه الشمار يخفي سبق على النخل يابس وعرجنه ضرب به العرجون وعلى هذا فالنون أصلية قرأ الجمهور بضم العين والجيم وقرأ بكسر العين وفتح الجيم وهما لغتان (الشمس ينبغي لها) مرفوعة بالابتداء أي لا يصبغ ولا يمكن للشمس ولا يستقيم ولا يتسهل (أن تدرك القمر) في سرعة السير وتنزل في المنزل الذي فيه القمر وتجت مع معه في وقت واحد وتدخله في سلطانه فتطمس نوره لأن ذلك يحل بتكوين النبات وتعيش الحيوان ولأن لكل واحد منهما سلطانا على انفراد فلا يمكن أحدهما من الدخول على الآخر فيذهب سلطانه إلى أن يأذن الله بالقيامه فتطلع الشمس من مغربها ويفسهم من الآية أن حركتها بالتسخير لا بإرادتها ونفى الله تعالى الإدراك عن الشمس دون عكسه لأن مسير القمر أسرع لأنه يقطع فلكه في شهر والشمس لا تقطع فلكها إلا في سنة فكانت جذيرة بان توصف بتقيد الإدراك لبطء سيرها وكان القمر خليفة بان بوصف بتقيد السابق لسرعة سيره كما سيأتي وقال الضحاك معناه إذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء وإذا طلعت القمر لم يكن للشمس ضوء وقال مجاهد أي لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر وقال الحسن انهما لا يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة وكذا قال يحيى بن سلام وقيل معناه إذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر في منزل لا يشتركان فيه وقيل القمر في سماء الدنيا والشمس في السماء الرابعة ذكره النحاس والمهدوي قال النحاس وأحسن ما قيل في معناه وأبينه أن سير القمر سريع والشمس لا تدركه في السير وأما قوله تعالى وجمع الشمس والقمر فذلك حين حبس الشمس عن الطلوع على ما تقدم بيانه في الانعام وبأن في سورة القيامة أيضا وجمعهما علامة لانقضاء الدنيا وقيام الساعة (والليل سابق النهار) أي لا يسبقه فينوته ولكن يعاقبه ويحجب كل واحد منهما في وقته ولا يسبق صاحبه وقيل المراد من الليل والنهار آياتها وهما الشمس والقمر فيكون عكس قوله لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر أي ولا القمر سابق الشمس وإيراد السابق مكان الإدراك لسرعة سير القمر

من دونه الباطل أي إنما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها على أنه الحق أي الموجود والحق ألا أنه الحق وإن كل ما سواه باطل فإنه الغنى عما سواه وكل شيء تفسير إليه لأن كل ما في السموات والأرض الجميع خلقه وعبيده لا يقدر أحد منهم على تحريك ذرة إلا بإذنه ولوا جمع كل أهل الأرض على أن يخلقوا ذبابا المعجزوا عن ذلك ولهذا قال تعالى ذلك بأن الله هو الحق وإنما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير أي العلي الذي لا أعلى منه الكبير الذي هو أكبر من كل شيء فكل شيء خاضع حقيق بالنسبة إليه (ألم تر أن الفلك تجرى في البحر بنعمة الله ليربكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور وإذا غشيهم موج

كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاههم الى البر فنهزم مقتصدوما يجحد باياتنا الاكل خنار كفور) يخبر تعالى انه الذي سخر  
البحر لتجربى فيه الفلك بامرہ اى بلطفه وتسخيرہ فانه لولا ما جعل في الماء من قوة يحمل بها السفن لما جرت ولهذا قال ايريكهم  
من آياته اى من قدرته ان في ذلك لايات لكل صبار شكوراى صبار في الضراء شكور في الرخاء ثم قال تعالى واذا غشيهم موج  
كالظلل اى كالجبال والغمام دعوا الله مخلصين له الدين كما قال تعالى واذا مسكم الضرفى البحر ضل من تدعون الاياه وقال تعالى  
فاذا ركبوا في الفلك الاية ثم قال تعالى فلما نجاههم الى البر فنهزم مقتصد قال (٢١) مجاهد اى كافر كانه فسر المقتصد ههنا

بالخا ح د كما قال تعالى فلما نجاههم  
الى البر اذ ادهم يشركون وقال  
ابن زيد هو المتوسط في العمل وهذا  
الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله  
تعالى فنهزم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد  
الاية فالمقتصد ههنا هو المتوسط  
في العمل ويحتمل ان يكون مرادا  
هنا ايضا ويحتمل ان يكون من باب  
الانكار على من شاهد تلك  
الاهوال والامور العظام والآيات  
الماهرات في البحر ثم بعد ما انعم  
الله عليه بالخلاص كان ينبغي ان  
يقابل ذلك بالعمل التام والدؤوب  
في العبادة والمبادرة الى الخيرات فن  
اقتصد بعد ذلك كان مقصرا والحالة  
هذه والله اعلم وقوله تعالى وما يجحد  
باياتنا الاكل خنار كفور فالتخار هو  
الغدار قاله مجاهد والحسن وقتادة  
ومالك عن زيد بن اسلم وهو الذي  
كلم اياه نقض عهده والختر  
اتم الغدر واى بلغه قال عمرو بن  
معد يكرب

وانك لو رأيت ابا عمير

ملائت يديك من غدر وختر

وقوله كفور اى بخود للنعم

لا يشكرها بل يتناساها ولا يذكرها

وهما نيران لا يزال امرهما على هذا الترتيب الى ان تقوم الساعة فيجمع الله بين الشمس  
والقمر وتطلع الشمس من مغربها وهذا لا ينافي ان الليل برمته سابق في الوجود على النهار  
برمته وهو احد قولين واستدل بعضهم بهذه الاية على ان النهار مخلوق قبل الليل وان  
الليل لم يسبقه بالخلق ووجه الاستدلال ان المعنى ايس الليل سابق النهار يعنى بل النهار هو  
السابق وهذا ينظر الى مقابلة جملة الليل بجملة النهار والاية محتملة لكل من القولين  
(وكل في فلك يسبحون) التوسين في كل عوض من المضاف اليه اى وكل واحد منهما  
والفلك هو الجسم المستدير او السطح المستدير او الدائرة قال العماد بن كثير في البداية  
والنهاية حكى ابن حزم وابن الجوزى وغير واحد الاجماع على ان السموات كربة مستديرة  
واستدل عليه بهذه الاية قال الحسن يدورون وقال ابن عباس في فلكة مثل فلسكة المغزل  
قالوا ويدل على ذلك ان الشمس تغرب كل ليلة من المغرب ثم تطلع في آخرها من المشرق قال  
ابن حجر حكى الاجماع على ان السموات مستديرة جمع واى قاموا عليه الاذلة وخالف في ذلك  
فرق يسيرة من اهل الجدل وقال ابن العربي السموات ساكنة لا حركه فيها جعلها الله ثابتة  
مستقرة هي لنا كالسقف للبيت ولهذا سماها السقف المرفوع واستخرج اهل البديع  
من لفظ كل في فلك صنعة التلب ونحوه قوله تعالى وربك فكبر والسيح السير بانسباط  
وسهولة والجمع باعتبار اختلاف مطالعها فكانها امتدادان بتعددها والمراد الشمس  
والقمر والكواكب ثم ذكر سبحانه وتعالى نوعا آخر مما امتن به على عباده من النعم  
فقال (واية لهم) ارتفاع آية على انها خبر مقدم والمبتدأ انا جملنا والعكس اى علامة  
ودلالة وقيل معنى آية هنا العبرة وقيل النعمة وقيل النذارة وقد اختلف في معنى (انا  
جملنا ذرياتهم) والى من يرجع الضمير لان الضمير الاول وهو قوله وآية لهم لاهل مكة او  
لكفار العرب وللكفار على الاطلاق الكائنين في عصر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقيل  
الضمير يرجع الى القرون الماضية والمعنى ان الله جعل ذرية القرون الماضية (في الفلك  
المسحون) فالضمير ان مختلفان وهذا حكاية النحاس عن الاخفش وقيل الضمير ان لكفار  
مكة ونحوهم والمعنى ان الله جعل ذرياتهم من اولادهم وضعفائهم على الفلك فامتن الله  
عليهم بذلك اى انهم يملونهم معهم في السفن اذا سافروا ويسعون اولادهم للتجارة لهم  
فيها وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم واى بلغ في التعجب من قدرته وقيل

(يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والدعن والده ولا مولود هو جازعن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة  
الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) يقول تعالى منذر للناس يوم المعاد وامر الهم يتقوا وان الخوف منه والخشية من يوم القيامة حيث  
لا يجزى والدعن والده اى لو اراد ان يفديه بنفسه لما قبل وكذلك الولد لو اراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه ثم عاب بالوعظة عليهم بقوله  
فلا تغرنكم الحياة الدنيا اى لا تلهينكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة ولا يغرنكم بالله الغرور يعنى الشيطان قاله ابن عباس  
ومجاهد والضحاك وقتادة فانه يغتر ابن آدم ويعده ويمنيه وليس من ذلك شئ كما قال تعالى يعدهم ويمنيه وما يعدهم الشيطان

الاعرورا قال وهب بن منبه قال عزير عليه السلام لما رأيت بلاء قومي اشتد حزني وكثر همي وأرق نومي فتضرعت الى ربّي  
وصليت وصمت فاناني ذلك التضرع أبكي اذا أتاني الملك فقلت له اخبرني هل تشفع ارواح المصدقين الظلمة أو الالباء لابنائهم قال ان  
القيامه فيمافصل القضاء ومالك ظاهر ليس فيه رخصة لا يتكلم فيه أحد الا باذن الرحمن ولا يؤخذ فيه والد عن ولده ولا ولد عن  
والده ولا أخ عن أخيه ولا عبد عن سيده ولا يهتم أحد بهم غيرهم ولا يحزن لحزنه ولا أحيد رحمة كل مشفق على نفسه ولا يؤخذ انسان  
عن انسان كل همهمه ويبيك عوله (٢٢) ويحمل وزره ولا يحمل وزره معه غيره رواه ابن أبي حاتم ان الله عنده علم الساعة

وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام  
وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا  
وما تدرى نفس باي أرض تموت ان  
الله عليم خبير) هذه مفاتيح الغيب  
التي استأثر الله تعالى بعلمها فلا  
يعلمها أحد الا بعد اعلامه تعالى بها  
فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل  
ولا ملك مقرب لا يجليها الوقتها الا هو  
وكذلك انزال الغيث لا يعلمه الا الله  
ولكن اذا أمر به علمته الملائكة  
الموكلون بذلك ومن شاء الله من  
خلقه وكذلك لا يعلم ما في الارحام  
عما يريد أن يخلقته تعالى سواه ولكن  
اذا أمر بكونه ذكرا أو أنثى أو شقيا  
أو سعيدا علم الملائكة الموكلون  
بذلك ومن شاء الله من خلقه وكذلك  
لا تدرى نفس ماذا تكسب غدا  
في دنياها وآخرها وما تدرى نفس  
باي أرض تموت في بلدتها أم غيره  
من أي بلاد الله كان لا علم لاحد  
بذلك وهذه شبهة بقوله تعالى وعنده  
مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو الآية  
وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس  
مفاتيح الغيب قال الامام أحمد  
حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين  
ابن واقد حدثني عبد الله بن بريدة

الذرية الالباء والاجداد والفلك هو سفينة نوح أي ان الله حمل آباءه هؤلاء وأجدادهم  
في سفينة نوح قال الواحدى والذرية تقع على الالباء كما تقع على الاولاد قال أبو عثمان  
وسمى الالباء ذرية لان منهم ذرة الالباء وقيل الذرية النطف الكائنة في بطون النساء وشبهه  
البطون بالفلك المشحون قاله علي بن أبي طالب ذكره الماوردي والراجح القول الثاني ثم  
الاول ثم الثالث وأما الرابع ففي غاية البعد والنعارة وقد تقدم الكلام في الذرية  
واشتقاقها في سورة البقرة متوفى وقيل ان الضمير في قوله لهم يرجع الى العباد  
المذكورين في قوله يا حسرة على العباد لانه قال بعد ذلك وآية لهم الارض الميتة وقال وآية  
لهم الليل ثم قال وآية لهم انما نحن اذ ذريتهم فكانت آية لهم للعباد انما نحن اذ ذريات العباد ولا  
يلزم أن يكون المراد باحد الضميرين البعض منهم وبالضمير الآخر البعض الآخر وهذا  
قول حسن والمشحون المملوء الموقر والفلك يطلق على الواحد والجمع كما تقدم في يونس  
عن أبي مالك في الآية قال في سفينة نوح حمل فيها من كل زوجين اثنين وعن أبي صالح  
نحوه وعنه في الآية قال يعني الابل خلقها الله كجارات فمضى سفن البر يحملون عليها  
ويركبونها ومثله عن الحسن وعكرمة وعبد الله بن شداد ومجاهد (وخلقنا لهم من مثله  
ما يركبون) أي وخلقنا لهم مما يماثل الفلك ما يركبونه على ان ما هي الموصولة ومن زائدة  
وقال مجاهد وقتادة وجماعة من أهل العلم من المفسرين وهي الابل خلقها لهم للركوب  
في البر مثل السفن المركوبة في البحر والعرب تسمى الابل سفائن البر وقيل المعنى وخلقنا  
لهم سفنا امثال تلك السفن يركبونها قاله الحسن والبخاري وأبو مالك وقال النحاس  
وهذا أصح لانه متصل الاسناد عن ابن عباس وقيل هي السفن المتخذة بعد سفينة نوح  
قلت والعموم أولى ولا وجه للتخصيص فيشمل كل ما يركب حيوانا كان أو جادا دانا  
كان أو ريحا كالعجلات الحادثة في هذا الزمان وما سيحدث في المستقبل بتلاحق الافكار  
وتعامل الأيدي والانظار (وان نشأ نعرقهم) هذا من تمام الآية التي امتن الله بها عليهم  
وجه الامتنان انه لم يعرقهم في لجم البحار مع قدرته على ذلك ولم يعرقهم بنار العجلات  
الدخانية الحادثة الآن والضمير يرجع الى أصحاب الذرية أو الى الذرية والى الجميع على  
اختلاف الأقوال (فلا صريح لهم) الصريح بمعنى المصرخ والمصرخ هو المغيث أي فلا  
مغيث لهم يعينهم ان شئنا اغرقهم أو احرقهم وقيل هو المنعة وكما يطلق الصريح على

سمعت أبي بريدة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خمس لا يعلمن الا الله عز وجل ان الله عنده  
علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باي أرض تموت ان الله عليم خبير  
هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخبره (حدث ابن عمر) قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن  
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم  
ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باي أرض تموت ان الله عليم خبير انفر دباخراجه البخاري فرواه في

كتاب الاستسقاء في صحيحه عن محمد بن يوسف الفرابي عن سفيان بن سعيد الثوري به ورواه في التفسير من وجه آخر فقال حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب حدثني عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر أن أباه حدثه أن عبد الله بن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم مفتاح الغيب خمس ثم قرأ أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام انفرده أيضا ورواه الامام أحمد عن غندر عن شعبة عن عمر بن محمد انه سمع أباه يحدث عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أوتيت مفتاح كل شيء الا الخس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس باي أرض

(٢٣)

تتوت ان الله عليم خبير وكذا رواه عن محمد بن جعفر عن شعبة عن عمرو بن مرة به وزاد في آخره قال قلت له انت سمعته من عبد الله قال نعم أكثر من خمسين مرة ورواه أيضا عن وكيع عن مسعر عن عمرو بن مرة به وهذا السنن أحسن على شرط السنن ولم يخرجوه (حديث أبي هريرة) قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا اسحق عن جابر عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما بارزا للناس إذ أتاه رجل يمشي فقال يا رسول الله ما الإيمان قال الإيمان ان تؤمن بالله وما لكنته وكتبته ورسوله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر قال يا رسول الله ما الاسلام قال شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتقوم رمضان قال يا رسول الله ما الاحسان قال الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسئول عنها باعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أسرارها اذا ولدت الامة ربها

المغيث يطلق على الصراخ وهو المستغيث فهو من الاضداد كما صرح به أهل اللغة ويكون مصدر بمعنى الأمانة لانه في الاصل بمعنى الصراخ وهو صوت مخصوص وكل منهما صحيح هنا قاله الشهاب (ولا هم يتقدون) أي لا يخلصون ولا ينجون يقال أنقذه واستنقذه اذا خلصه من مكرهه (الارحمة منا) استثناء مفرغ من أعم العلل أي لا صريح لهم ولا يتقدون لشيء من الاشياء الارحمة منا كذا قال الكسائي والزجاج وغيرهما وقيل هو استثناء منقطع أي لكن لرحمة منا (ومتاعا) أي تمتعهم بالحياة الدنيا (الى حين) وهو الموت قاله قتادة وقال يحيى بن سلام الى القيامة (واذا قيل لهم) بيان لاعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان اعراضهم عن الآيات الالفائية التي كانوا يشاهدونها وعدم تأسلمهم فيها (اتقوا ما بين أيديكم) من الآفات والنوازل فانها محيططة بكم (وما خلفكم) منها قال قتادة أي اتقوا ما بين أيديكم من الوقائع فمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم في الآخرة وقال سعيد بن جبير ومجاهد ما بين أيديكم ماضى من الذنوب وما خلفكم ما بقى منها وقيل ما بين أيديكم الدنيا وما خلفكم الآخرة قاله سفيان وحكى عكس هذا القول الثعلبي عن ابن عباس وقيل ما بين أيديكم ما ظهر لكم وما خلفكم ما خفى عنكم وجواب اذا محذوف والتقدير اذا قيل لهم ذلك أعرضوا كما يدل عليه الا كانوا عندهم معرضين (لعلمكم ترجون) أي رجاء ان ترجوا أو رجاء ان ترجوا (ومتأتمهم من آية من آيات ربهم) ما هي النافية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد ومن الاولى مزيدة للتوكيد والثانية للتبعض والمعنى متأتمهم من آية دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى صحة ما دعا اليه من التوحيد في حال من الاحوال (الا كانوا عندهم معرضين) وظاهره يشمل الآيات التنزيلية والتكوينية والمراد بالاعراض عدم الالتفات اليها وترك النظر الصحيح فيها وهذه الآية متعلقة بقوله يا حنيفة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا يستمزقون اذا جاءتهم الرسل كذبوا واذا أتوا بالآيات أعرضوا عنها (واذا قيل لهم) إشارة الى أنهم أخلوا بجميع التكاليف لان جملتها ترجع الى أمرين التعظيم لجانب الله والشفقة على خلق الله (أنفقوا مما رزقكم الله) أي تصدقوا على الفقراء مما أعطاكم الله وأنعم به عليكم من الاموال قال الحسن يعني اليهود أمر وابطاعام الفقراء وقال مقاتل ان المؤمنين قالوا الكفار قرئش أنفقوا على المساكين مما رزقهم الله من أموالكم

فذلك من أسرارها واذا كان الحفافة العسرة رؤس الناس فذلك من أسرارها في خمس لا يعلمن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام الآية ثم انصرف الرجل فقال ردوه على فاحذروا ليردوه فلم يروا شيئا فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم ورواه البخاري أيضا في كتاب الايمان ومسلم من طرق عن ابي حيان به وقد تكلمنا عليه في أول شرح البخاري وذكرنا ثم حدثت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في ذلك بطوله وهو من افراد مسلم (حديث ابن عباس) قال الامام أحمد حدثنا ابو النضر حدثنا عبد الجليل حدثنا جده شاذان بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فأتاه جبريل فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا كفيه لى ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الاسلام قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم الاسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل وتشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله قال  
فاذا فعلت ذلك فقد أسلت قال اذا فعلت ذلك فقد أسلت قال يا رسول الله فخذني ما الايمان قال الايمان ان تؤمن بالله واليوم  
الآخر والملائكة والكتب والنبين وتؤمن بالموت والحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان وتؤمن بالقدر كله  
خير به وشره قال فاذا فعلت ذلك فقد آمنت قال اذا فعلت ذلك فقد آمنت قال يا رسول الله فخذني ما الاحسان قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم الاحسان ان تعمل لله كأنك

(٢٤) تراه فان كنت لاتراه فانه يرأه قال يا رسول الله فخذني متى الساعة قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله خمس لا يعلمهن الا هو ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت الاية ولكن ان شئت حدثتكم بعالم لهادون ذلك قال أرجل يا رسول الله فخذني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الامة ولدت ربها أوربها ورأيت أصحاب البنيان يتطاولون في البنيان ورأيت الخفاة الجياع العالة رؤس الناس فذلك من معالم الساعة وأشراطها قال يا رسول الله ومن أصحاب البنيان الخفاة الجياع العالة قال (١) العرب حديث غريب ولم يخرجوه حديث رجل من بني عامر عن ربي بن حراش روى الامام احمد عن رجل من بني عامر انه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أسلج فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرجني اليه فانه لا يحسن الاستئذان فقولى له فليقل السلام عليكم أأدخل قال فسمعته يقول ذلك فقلت السلام عليكم أأدخل فاذن لي فدخلت فقلت ب آتيتنايه قال لم آتكم الا بخيراً آتيتكم

من الحرث والانعام كما في قوله سبحانه وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فكان جوابهم ما حكاه الله عنهم بقوله (قال الذين كفروا للذين آمنوا) استهزاء بهم وهم كما يقولهم (أنطم من لو يشاء الله أطعمه) أى من لو يشاء الله رزقه وقد كانوا سمعوا المسلمين يقولون ان الرزق هو الله وانه يغني من يشاء ويفقر من يشاء فكأنهم حاولوا بهذا القول الالزام للمسلمين وقالوا نحن نوافق مشيئة الله فلانطم من لم يطعمه الله وهذا غلط منهم ومكابرة ومجادلة بالباطل فان الله سبحانه أغنى بعض خلقه وأفقر بعضاً ابتلاءً فنع الدينامن الفقير لا يجلا وأعطى الدنيا للغني لاستحقاقها وأمر الغني أن يطعم الفقير وابتلاء به فيما فرض له من ماله من الصدقة ولا اعتراض لاحد في مشيئة الله وحكمته في خلقه والمؤمن يوافق أمر الله وقولهم من لو يشاء الله أطعمه هو وان كان كلاماً صحيحاً في نفسه ولكنهم لما قصدوا به الانكار لقدرة الله وانكار جواز الامر بالانفاق مع قدرة الله كان احتجاجهم من هذه الخبيثة باطلا (ان أنتم) في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا (الافى ضلال مبين) أى بين وهذا من تمام كلام الكفار والمعنى انكم أيها المسلمون في سؤال المال وأمرنا باطعام الفقراء اني ضلال في غاية الوضوح والظهور وقيل هو من كلام الله سبحانه جواباً على هذه المقالة التي قالها الكفار وقيل هو من قول أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم وقال القشيري والماوردي ان الآية نزلت في قوم من الزنادقة وقد كان في كفار قريش وغيرهم من سائر العرب قوم يتزندقون فلا يؤمنون بالصانع فقالوا هذه المقالة استهزاء بالمسلمين ومناقضة لهم وحكى نحو هذا القرطبي عن ابن عباس ولهذا أظهر في مقام الاضمار قيل كان العاص بن وائل السهمي اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو أولى مني بك ويقول قدمه الله فأطعمه أنا (ويقولون متى هذا الوعد) الذي تعدونابه من البعث والعذاب والقيامة والمصير الى الجنة والنار وهذا رجوع للكلام مع الكفار من قريش المعترفين بوجود الله تعالى (ان كنتم صادقين) فيما تقولونه وتعدونابه قالوا ذلك استهزاء منهم وخبثية بالمؤمنين ومقصودهم انكار ذلك بالمرة ونفي تحققه وسجد وقوعه فاجاب الله سبحانه عنهم بقوله (ما ينظرون) أى ما ينتظرون (الاصححة واحدة) وهي نفخة اسرافيل في الصور وهذه النفخة هي الاولى وهي نفخة الصعق التي يموت بها من كان موجوداً على وجه الارض وجعلوا منتظرين نظر الى قولهم متى تقع لان من قال متى يقع

أن تعبدوا الله وحده لا شريك له وأن تدعوا اللات والعزى وان تصلوا بالليل والنهار خمس صلوات وأن تصوموا الشيء من السنة شهر او ان تتجوا البيت وان تأخذوا الزكاة من مال أغنيائكم فتدوها على فقراءكم قال فقال فهل بقي من العلم شيء لاتعلمه قال قد علمني الله عز وجل خير او ان من العلم ما لا يعلمه الا الله عز وجل الخس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الاية وهذا اسناد صحيح وقال ابن أبي نجيج عن مجاهد جاء رجل من أهل البادية فقال ان امرأتى حبلت ما تلد وبلادنا جديبة فاخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فاخبرني متى أموت فانزل الله عز وجل ان الله عنده علم الساعة الى قوله علم خير قال (١) قوله العرب: قوله بعد أسلج كذا بالنسخ التي بايدينا وحرر اه

مجاهدوهي مفاتيح الغيب التي قال الله تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو رواه ابن ابي حاتم وابن جرير وقال الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها انها قالت من حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وقوله تعالى وما تدرى نفس باي ارض تموت قال قتادة اشياء استأثر الله بهن فلم يعلمها من ملكا مقربا ولا نبيا مرسلان الله عنده علم الساعة فلا يدري احد من الناس متى تقوم الساعة في أي سنة أو في أي شهر أو ليل أو نهار وينزل الغيث فلا يعلم احد متى ينزل الغيث الا سيلا ونهارا او يعلم ما في الارحام فلا يعلم احد ما في الارحام اذ كرام (٢٥) انبي احرأ أو سود وما هو وما تدرى نفس ماذا

تكسب غدا اذ خيرا أم شرا ولا تدرى يا ابن آدم متى تموت لعلك الميت غدا لعلك المصاب غدا وما تدرى نفس باي ارض تموت اي ليس احد من الناس يدري أين مخرجها من الارض اني بجرأم برأوسهل أو جبل وقد جاء في الحديث اذا اراد الله قبض عبد بارض جعل له اليها حاجة فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير في منند أسامة بن زيد حدثنا اسحق بن ابراهيم اخبرنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن ايوب عن ابى المليلج عن اسامة ابن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جعل الله ميتة عبد بارض الا جعل له فيها حاجة وقال عبد الله بن الامام احمد حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن أبي اسحق عن مطر بن عكاش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قضى الله ميتة عبد بارض جعل له فيها حاجة وهكذا رواه الترمذي في القدر من حديث سفيان الثوري به ثم قال حسن غريب ولا يعرف لمطر بن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا

الشيء الفلاني يفهم من كلامه انه ينتظر وقوعه (تأخذهم وهم يخلصون) أي يختصمون في ذات بينهم في البيع والشراء ونحوه ما من أمور الدنيا ويتكلمون في الاسواق والجالس وفي متصرفاتهم فماتيم الساعة أغفل ما كانوا عنها وقد صرح هذا في الاحاديث الصحيحة وهي معروفة في كتب السنة وقرئ يخلصون بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصم يخلص والمعنى يخلص بعضهم بعضا وقرئ باخفاء فتحة الخاء وتشديد الصاد وبإظهار فتحة الخاء وتشديد الصاد وبكسر الخاء وتشديد الصاد والاصل في القراءات الثلاث يخلصون وقرأ أبو على الاصل والقراءات كلها سبعة (فلا يستطيعون توصية) أي لا يستطيع بعضهم أن يوصي الى بعض بماله وما عليه أو لا يستطيع أن يوصيه بالتوبة والاقلاع عن المعاصي بل يموتون في أسواقهم ومواقعهم قال أبو هريرة تقوم الساعة والناس في أسواقهم يتبايعون ويذرعون الثياب ويلبسون اللقاح وفي حوائجهم فلا يستطيعون توصية الآية وعن الزبير بن العوام قال ان الساعة تقوم والرجل يذرع الثوب والرجل يحلب الناقة ثم قرأ الآية وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقوم الساعة وهو يلمط حوضه فلا يسطي فيه ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقعه ولا يطعمه ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها (ولا الى أهلهم يرجعون) أي الى منازلهم التي ما اخرجوا عنها بل يموتون حيث يسهون الصحيحة لان الساعة لا تمهلهم بشيء وقيل المعنى لا يرجعون الى أهلهم قولوا هذا اخبار عما ينزلهم عند النفخة الاولى ثم أخبر سبحانه عما ينزلهم عند النفخة الثانية فقال (ونفخ في الصور) وهي النفخة التي يبعثون بها من قبورهم وما بين النفختين أربعون سنة أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين النفختين أربعون فالوايا بأبهريرة أربعين يوما قال آيت قالوا أربعين شهرا قال آيت قالوا أربعين سنة قال آيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وعبر عن المستقبل بلفظ الماضي حيث قال ونفخ تنبها على تحقق وقوعه كما ذكره أهل البيان وجعلوا هذه الآية منالاله والصور بانسكان الواو وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل

(٤ فتح البيان ثامن) الحديث وقد رواه أبو داود في المراسيل قاله أعلم وقال الامام احمد حدثنا اسمعيل حدثنا ايوب عن ابى المليلج بن اسامة عن أبي عزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله قبض روح عبد بارض جعل له فيها أو قال بها حاجة وأبو عزة هذا هو بشار بن عبيد الله ويقال ابن عبد الهذلي وأخرجه الترمذي من حديث اسمعيل حدثنا عبيد الله بن أبي حميد عن أبي المليلج عن أبي عزة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله قبض عبد بارض جعل له فيها حاجة فلم ينته حتى يقدمها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة الى علم خبير حديث آخر قال الحافظ أبو بكر البرقاني حدثنا أحمد بن ثابت الخدري ومحمد بن يحيى القطعي قالوا حدثنا عمر بن علي حدثنا اسمعيل عن قيس عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم إذا أراد الله قبض عبد بارض جعل له اليها حاجة ثم قال البزار وهذا الحديث لا نعلم أحدا يرفعه الا عمر بن علي المقدمي  
وقال ابن أبي الدنيا حدثني سليمان بن أبي مسيح قال انشدني محمد بن الحكم لأعشى همدان  
فما تزود مما كان يجمعه \* سوى حنوط غداة البين مع خرق وغير نفعه أعود تشبه له \*  
ولا تأسين علي شيء فكل فتى \* الى منيته سيار في غسق وكل من ظن أن الموت يحطه \*  
معلل باعالي بل من الحق بايما بلدة تقدر منيته \* إن لا يسير اليها طائعا يعسق (٢٦) أوردته الحافظ ابن عساكر رحمه الله

في ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث وهو أعشى همدان وكان الشعبي زوج أخنه وهو من قح باخت الشعبي وقد كان ممن طلب العلم والتفقه ثم عدل الى صناعة الشعر فعرف به وقد روى ابن ماجه عن أحمد بن ثابت وعمر بن شبة كلاهما عن عمر بن عكرمة مرفوعا اذا كان أجل احدكم بارض أتته اليها حاجة فإذا بلغ أقصى أثره قبضه الله عز وجل فتقول الارض يوم القيامة يارب هذا ما أودعتني قال الطبراني حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن أبي المليح عن امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جعل الله منية عبد بارض الا جعل له اليها حاجة آخر تفسير سورة لقمان والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل

(تفسير سورة الم السجدة وهي مكية)

روى البخاري في كتاب الجمعة حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن سعد بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن هرمز الاعرج عن أبي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في

كما وردت بذلك السنة واطلاق هذا الاسم على القرن معروف في لغة العرب وقد مضى هذا مستوفى في سورة الانعام وقال قتادة الصور جمع صورة أي نفخ في الصور الارواح فاذا هم من الاحداث أي القبور جمع جدد وهو القبر وقرئ الاجداف بالقاء وهي لغة واللغة الفصيحة بالناء المثلثة (الريهم ينسلون) أي يسرعون ويعدون ويخرجون منها أحياء بسرعة بطريق الجبر والقهر لا بطريق الاختيار فالنسل والنسلان الاسراع في السير يقال نسب الذئب ينسل كضرب يضرب ويقال ينسل بالضم أيضا وهو الاسراع في المشي (قالوا) عند بعثهم من القبور بالنفخة (يا ويلنا) نادوا ويلهم كأنهم قالوا له احضر فهدنا أو ان حضورك وهو مصدر لا فعل له من لفظه بل من معناه وهو هلك وهؤلاء القائلون هم الكفار قال ابن التبراري الوقف على يا ويلنا وقف حسن ثم يندى الكلام بقوله (من بعثنا من مرقدنا) أي من قبورنا فظنوا الاختلاط عقولهم بما شاهدوا من الهول وما داخلهم من الفزع انهم كانوا يما قرئ من بعثنا على الاستفهام وبكسر الميم على انها حرف جر وفي قراءة أبي من أهبننا من هب من نومه اذا اتبته وقيل انهم يقولون ذلك اذا عابوا جهنم وقال أبو صالح اذا نفخ النفخة الاولى رفع العذاب عن أهل القبور وهجروا هجعة الى النفخة الثانية وعن أبي بن كعب في الآية قال ينامون قبل البعث نومة وعن مجاهد أنهم يستريحون من العذاب قبيل النفخة الثانية ويذوقون طعم النوم انتهى فعليه يكون قولهم من مرقدنا حقيقة لان المرقد حقيقة هو مكان النوم وقيل ان الله يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا في الثانية عابوا أهوال القيامة ودعوا بالويل (هدا ما وعد الرحمن) جواب عليهم من جهة الملائكة أو من جهة المؤمنين المتقين وقيل هو من كلام الكفرة يجيب به بعضهم على بعض قال بالاول القراء وبالثاني مجاهد وقال قتادة هي من قول الله سبحانه وما في ما وعد موصولة وعائد ما حذف أي هذا الذي وعده الرحمن (وصدق) فيه (المرسلون) قد حق عليكم وزن بكم ومفعولا الوعد والصدق محذوفان أي وعدكم كوه الرحمن وصدقكم وه المرسلون والاصل وعدكم به وصدقكم فيه أو وعدناه الرحمن وصدقناه المرسلون على ان هدا من قول المؤمنين أو من قول الكفار أقر واحين لا ينفعهم الاقرار (ان) أي (ما كانت) تلك النفخة الثانية التي حكيت عنهم آتينا (الاصححة واحدة) صاحبها سرا فيل بنفخه في الصور (فاذا هم جميع لدينا محضرون)

الفجر يوم الجمعة الم تنزيل السجدة وهل أتى على الانسان ورواه مسلم أيضا من حديث سفيان الثوري وقال الامام اي أحمد حدثنا اسود بن عامر اخبرنا الحسن بن صالح عن ليث عن أبي الزبير عن جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي سيده الملك تفريده أحمد (بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك انشذرو ما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تنزيل



الكتاب لا ريب فيه أى لا شك فيه ولا هربة أنه منزل من رب العالمين ثم قال تعالى مخبر عن المشركين أم يقولون افتراه أى اختلقه من تلقاء نفسه بل هو الحق من ربك لتندرقوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلمهم بتدون أى يتبعون الحق (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم) يخبر تعالى انه الخالق للاشياء فخلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش (٢٧) وقد تقدم الكلام على ذلك مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أى بل هو المالك

لازمة الامور الخالق لكل شئ المدبر لكل شئ القاهر على كل شئ فلا ولى لخلق سواه ولا شفيع الا من بعد اذنه أفلا تتذكرون يعنى أيها العابدون غيره المتوكلون على من عداه تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو وزير أو نبيد أو عدل لاله الا هو ولا رب سواه وقد أورد النساءى ههنا حديثنا فقال حدثنا ابراهيم بن يعقوب حدثنى محمد بن الصباح حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا الاخضر بن عجلان عن أبي جريح المكي عن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يدي فقال ان الله خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش فى اليوم السابع فخلق التربة يوم السبت والجبال يوم الاحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة فى آخر ساعة من النهار بعد العصر وخلقها من آدم الارض أجرها وأسودها وطيمها وخيبتها من اجل ذلك جعل

أى فاذا هم بمجموع محضرون لدينا بسرعة للحساب والعقاب (فالذي لا تطلم نفس) من النفوس (شياً) مما استحقه أى لا ينقص من ثواب عملها شيئاً من النقص ولا تطلم فيه بنوع من أنواع الظلم وهذا حكاية لما سيقال له حين يرون العذاب المعد لهم بتحقيق الحق وتقر يعالهم (ولا تجزون الا) جزاء (ما كنتم تعملون) فى الدنيا والأبما كنتم تعملونه أى بدينه أو فى مقابلته ولما ذكر الله سبحانه حال الكافرين أتبعه بحكاية حال عباده الصالحين وجعله من جملة ما يقال للكفار يومئذ زيادة لحسرتهم وتكميل الجزع عنهم وتبليغهم لما نزل بهم من البلاء وما شاهدوه من الشقاء فاذا رأوا ما أعد الله لهم من العذاب وما أعدته لأوليائهم من أنواع النعيم بلغ ذلك من قلوبهم مبلغاً عظيماً وزاد فى ضيق صدورهم زيادة لا يقدر قدرها فقال (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) لما هم فيه من اللذات التى هى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر عن الاهتمام بأمر الكفار ومصيرهم الى النار وان كانوا من قريباتهم والاولى عدم تخصيص الشغل بشئ معين والشغل هو الشأن الذى يصدر المرء يشغله عما سواه من شؤنه لكونه أهم عنده من الكل اما لا يجابه كمال المسرعة والبهجة أو كمال المسامحة والغم والمراد هنا هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايدان بارتفاعه عن رتبة البيان وقال قتادة ومجاهد شغلهم ذلك اليوم باقتضاض العذارى وبه قال ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعن ابن عمر أن المؤمن كلما أراد زوجته وجدها عذراء وقد روى نحوه مرفوعاً وعن ابن عباس أيضاً قال فى ضرب الاوتار وقال أبو حاتم هذا له خطأ من المستمع وانما هو اقتضاض الابكار على شط الانهار تحت الاشجار وقال وكيع شغلهم بالسماع وقال ابن كيسان بزيارة بعضهم بعضاً وقيل شغلهم كونهم ذلك اليوم فى ضيافة الله الجبار وقيل شغلهم عما فيه أهل النار على الاطلاق وعن أهل الهمم فى النار لا يهمهم أمرهم ولا يالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص فى نعيمهم والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذات التى تلهيهم عما عداها بالكلية واسألت المراد به اقتضاض الابكار أو السماع أو ضرب الاوتار أو التزاور أو ضيافة الجبار كما روى كل واحد مناه عن واحد من أكبر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكره فقط بل بيان انه من جملة أشغالهم وتخصيص كل منهم كلاماً من تلك الامور بالذکر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه قرى شغل بضم شين وبضم الشين ويسكون الغين

الله من بنى آدم الطيب والخبيث هكذا ورد هذا الحديث اسناداً وقد أخرج مسلم والنسائى أيضاً من حديث حجاج بن محمد الا عور عن ابن جريح عن اسمعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو من هذا السياق وقد علمه البخارى فى كتاب التاريخ الكبير فقال وقال بعضهم أبو هريرة عن كعب الاحبار وهو أصح وكذا علمه غير واحد من الحفاظ والله أعلم وقوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه أى يتنزل أمره من أعلى السموات الى أقصى تخوم الارض السابعة كما قال تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن الآية وترفع الاعمال الى ديوانها

فوق سماء الدنيا ومسافة ما بينها وبين الارض مسيرة خمسمائة سنة وسمك السماء خمسمائة سنة وقال مجاهد وقتادة والضحاك النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام وعوده في مسيرة خمسمائة عام واكنه يقطعها في طرفه عين ولهذا قال تعالى في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة أي المدبر لهذه الامور الذي هو شهيد على اعمال عباده يرفع اليه جليلها وحقيرها وصغيرها وكبيرها هو العزيز الذي قد عز كل شيء فقهه وغلبه ودان له العباد والرقاب الرحيم بعباده المؤمنين فهو عزيز في رحمة رحيم في عزته (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ (٢٨) خالق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه

من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) يقول تعالى مخبرا انه الذي احسن خلق الاشياء وأتقنها وأحكمها وقال مالك عن زيد بن اسلم الذي احسن كل شيء خلقه قال احسن خلق كل شيء كانه جعله من المقدم والمؤخر ثم المذكر تعالى خلق السموات والارض شرع في ذكر خلق الانسان فقال تعالى وبدأ خلق الانسان من طين يعنى خلق أبا البشر آدم من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين أي يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صاب الرجل وترائب المرأة ثم سواه يعنى آدم لما خلق من تراب خلقه سوا مستقيما ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة يعنى العقول قليلا ما تشكرون أي بهذه القوى التي رزقكموها الله عز وجل فالسعيد من استعملها في طاعة ربه عز وجل (وقالوا انذاضلنا في الارض أننا انى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون) يقول تعالى مخبرا عن

وهما الغتان كما قال القراء وقرئ بفقتين وبنخ الشين وسكون الغين (فا كهون) وقرئ فاكهين وفكهون قال القراء هما الغتان كالنار والقره والحاذر والحذر وقال الكسائي وأبو عبيدة النفا كوا الفاكهة مثل تامر ولاين والفكه المتفكه المتسم وقال قتادة الفكهون المعجمون وقال أبو زيد يقال رجل فكه اذا كان طيب النفس ضحوكا وقال مجاهد والضحاك كما قال قتادة وقال السدي كما قال الكسائي وقال ابن عباس فاكهون فرحون وقيل ناعمون متلذذون في النعمة من الفكاهة وهي التمتع والتلذذ مأخوذ من الفكاهة وفسرها زاده بطيب العيش والنشاط (هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متمكنون) مستأنفة مسوقة لبيان كيفية شغلهم وتفكهم وتكميلهم بما يزيدهم سرورا وبهجة من كون أزواجهم معهم على هذه الصفة من الاتكاء على الارائك تحت تلك الظلال والظلال جمع ظل وقرئ ظلل بضم الظاء جمع ظلة والظل هو الموضع الذي لا تقع عليه الشمس والظلة ما سترت عن الشمس وعلى القراءتين فالمراد الفرش والستور التي تظللهم كالخيام والجمال والارائك جمع أريكة كسفائن جمع سفينة والمراد بها السرر التي في الجمال قال أحمد بن يحيى أغلب الأريكة لا تكون الاسرير في قبعة وقال مقاتل ان المراد بالظلال أكان القصور وجملة (لهم فيها فاكهة) مدينة لما يتمتعون به في الجنة من الماء كل والمشارب ونحوها ويتلذذون به من الملاذ الجسمية والروحية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس أي ولهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه (ولهم ما يدعون) ما هذه هي الموصولة والعائد محذوف أو موصوفة أو مصدرية ويدعون مضارع ادعى قال أبو عبيد يدعون يمتنون والعرب تقول ادع على ماشئت أي تمن وفلان في خير ما يدعى أي تقنى قال الزجاج هو من الدعاء أي ما يدعونه أهل الجنة يأتيهم من دعوت غلامى فيكون الافتعال بمعنى الفعل كلاحتمال بمعنى الخجل والارتجال بمعنى الرحل قيل افتعل بمعنى تفاعل أي ما يدعونه كقولهم ارتعوا وتراموا وقيل المعنى ان من ادعى منهم شيئا فهو له لان الله قد طبعهم على ان لا يدعى أحد منهم شيئا الا وهو يحسن ويحمله به أن يدعوه وقرئ يدعون بالتخفيف ومعناه واضح قال ابن الأنباري والوقف على يدعون وقف حسن ثم يندى (سلام) على معنى لهم سلام وقيل ان سلام هو خبر ما أي مسلم خالص أو ذو سلامة وقال الزجاج سلام بدل من ما أي

المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا انذاضلنا في الارض أي تمزقت أجسامنا وتفرقت في اجزاء الارض وذهبت اننا في خلق جديد أي اننا نعود بعد تلك الحال يستبعدون ذلك وهذا انما هو بعيد بالنسبة الى قدرهم العاجزة لابلان نسبة الى قدرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم الذي انما امره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ولهذا قال تعالى بل هم بلقاء ربهم كافرون ثم قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم الظاهر من هذه الآية ان ملك الموت شخص معين من الملائكة كما هو المتبادر من حديث البراء المتقدم ذكره في سورة ابراهيم وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل وهو المشهور وقاله قتادة

وغير واحد وله أعوان وهكذا ورد في الحديث ان أعوانه يتزعون الارواح من سائر الجسد حتى اذا بلغت الخلقوم تناولها ملك الموت قال مجاهد حوييت له الارض فجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء ورواه زهير بن محمد عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه مرسلًا وقاله ابن عباس رضي الله عنهما زروى ابن أبي حاتم حدثنا ابي حنيفة بن ابي يحيى المقرئ حدثنا عمر بن سمرة عن جعفر بن محمد قال سمعت ابي يقول نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملك الموت عند رأس رجل من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ملك الموت ارفق بصاحبي فانه مؤمن فقال ملك الموت يا محمد (٢٩) طب نفسا وقرعينا بكل فاني مؤمن رفيق

واعلم ان ما في الارض بيت مدر ولا  
شعري بر ولا بحر الا وانا تصفحهم  
في كل يوم خمس مرات حتى اني  
أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم  
بانفسهم والله يا محمد لو اني اردت ان  
اقبض روح بعوضة ما قدرت على  
ذلك حتى يكون الله هو الا امر بقبضها  
قال جعفر بلغني انه انما تصفحهم  
عند مواقيت الصلاة فاذا حضرهم  
عند الموت فان كان ممن يحافظ  
على الصلاة دامنه الملك ودفع عنه  
الشیطان ولقنه الملك لا اله الا الله  
محمد رسول الله في ذلك الحال العظيمة  
وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن  
مسلم عن ابراهيم بن ميسرة قال  
سمعت مجاهد يقول ما على ظهر  
الارض من بيت شعرا ومدرا الا وملك  
الموت يطوف به كل يوم مرتين  
وقال كعب الاحبار والله مامن  
بيت فيه احد من اهل الدنيا الا  
وملك الموت يطوف به كل يوم مرتين  
يقوم على باب كل يوم سبع مرات  
ينظر هل فيه احد امر يتوفاه رواه  
ابن ابي حاتم وقوله تعالى ثم الى ربكم  
ترجعون اي يوم معادكم وقيامكم  
من قبوركم لجزائكم (ولو ترى اذ

ولهم ان يسلم الله عليهم وهذا مني اهل الجنة والاولى ان يحمل قوله ولهم ما يدعون  
على العموم وهذا السلام يدخل تحتهم دخولا اوليا ولا وجه لقصده على نوع خاص وان  
كان اشرف انواعه تحقيقا للمعنى العموم ورعاية لما يقتضيه النظم القرآني وقيل ان سلام  
مبتدأ وخبره الناصب لقولا اي سلام يقال لهم (قولا) وقيل التقدير سلام عليكم  
وقرى سلاما على المصدرية وعلى الحالية بمعنى خالصا والسلام امان التحية او من  
السلامة وقرى يسلم كانه قال يسلم لهم لا يتنازعون فيه واتصاب قولنا على انه مصدر لفعل  
مخذوف اي قال الله لهم ذلك قولاً او بقوله لهم قولاً (من رب رحيم) اي من جهةه قيل  
يرسل الله سبحانه اليهم بالسلام وقال مقاتل ان الملائكة تدخل على اهل الجنة من كل  
باب يقولون سلام عليكم يا اهل الجنة من رب رحيم وأخرج ابن ماجه وابن ابي الدنيا  
في صفة الجنة والبرار وابن ابي حاتم والابري في الروية وابن مردويه عن جابر قال قال  
النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور ففرغوا رؤسهم فاذا  
الرب قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة وذلك قول الله سلام  
قولاً من رب رحيم قال فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ماداموا  
ينظرون اليه حتى يحبب عنهم ويبقى نوره ويركته عليهم في ديارهم قال ابن كثير في اسناده  
نظر وأخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابن عباس في الآية قال ان الله هو يسلم عليهم  
(وامتازوا اليوم أيها المجرمون) هو على اضممار القول مقابل ما قيل للمؤمنين اي ويقال  
للمجرمين امتازوا اي اعتزلوا من مازه يميزه يقال مزت الشيء من الشيء اذا عزلته عنه  
وفحشته قال مقاتل معناه اعتزلوا اليوم يعني في الآخرة من الصالحين وقال السدي  
كونوا على حدة وقال الزجاج ان تردوا عن المؤمنين وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار  
بهم الى الجنة وقيل ان لكل كافر في النار بيتا فيدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه  
أبد الآبدين لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول يمتاز بعضهم عن بعض وقال قتادة عزلوا عن  
كل خير وقال الضمالي يمتاز المجرمون بعضهم من بعض فيمتاز اليهود فرقة والنصارى  
فرقة والمجوس فرقة والصابئون فرقة وعبد الاوثان فرقة وقال داود بن الجزاح يمتاز  
المسلمون من المجرمين الا اصحاب الالهواء فانهم يكونون مع المجرمين ثم ويحببهم سبحانه  
وقرعهم بقوله (الم أعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان) وهذا من جملة ما يقال

المجرمون ناكس رؤسهم عند ربنا ابصرنا وبعثنا فارجعنا نعمل صالحا انما وقتون ولو شئنا الا لتبنا كل نفس هذاها ولو لكن  
حق القول مني لا ملائجهن من الجنة والناس اجمعين فذوقوا عذابنا نعيم لقاء يومكم هذا اننا نسيناكم وذكروا عذاب الخلد بما  
كنتم تعملون) يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة وقالهم حين عاينوا البعث وقاموا بين يدي الله عز وجل حقيين ذليلين  
ناكس رؤسهم اي من الحياء والتخجل يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا اي نحن الان نسمع قولك ونطمع امرك كما قال تعالى اسمعهم  
وابصر يوم يأتوننا وكذلك يعودون على انفسهم بالملامة اذ دخلوا النار بقولهم لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في اصحاب السعير وهكذا

هؤلاء يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا الى دار الدنيا نعمل صالحا انما موقنون اي قد ايقنا وتحققنا فيها ان وعدك حق ولقائك  
حق وقد علم الرب تعالى منهم انه لو اعادهم الى دار الدنيا كانوا كما كانوا فيه ما كفاروا يكذبون بآيات الله ويخالفون رسوله كما قال تعالى  
ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا تردونا لنتكذب بآيات ربنا الآية وقال ههنا ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها كما قال تعالى  
ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا ولكن حق القول مني لاملائن جهنم من الخنة والناس اجمعين اي من الصنفين  
فدراهم النار لا يحميهم عنها ولا يحميهم (٣٠) لهم منها نعوذ بالله وكلما ه التامة من ذلك فذوقوا ما نسيتم لقاء يومكم هذا

اي يقال لاهل النار على سبيل  
التقريع والتوبيخ ذوقوا هذا  
العذاب بسبب تكذيبكم به  
واستبعادكم وقوعه وتناسيكم له اذ  
عاملتموه معاملة من هو ناس له انا  
نسيتا كم اى سنعاملكم معاملة  
الناسى لانه تعالى لا ينسى شيئا ولا  
يضل عنه شئ بل من باب المقابلة  
كما قال تعالى فاليوم ننساكم كما نسيتم  
لقاء يومكم هذا وقوله تعالى وذوقوا  
عذاب الخلد بما كنتم تعملون اى  
بسبب كفركم وتكذيبكم كما قال في  
الآية الاخرى لا يذوقون فيها باردا  
ولا شربا الا حميما وغساقا الى قوله  
فان يزيدكم العذابا انما يؤمن  
بآياتنا الذين اذا ذكروا به سجدوا  
وسجدوا وسجدوا بحمد ربهم وهم  
لا يستكبرون تجافي جنوبهم عن  
المضاجع يدعون ربهم خوفا  
وطمعا وعما رزقناهم ينفقون فلا  
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين  
جزاء بما كانوا يعملون يقول تعالى  
انما يؤمن بآياتنا اى انما يصدق  
بها الذين اذا ذكروا به سجدوا  
اى استمعوا لها واطاعوها قولاً  
وفعلاً وسجدوا بحمد ربهم وهم

لهم والعهد الوصية والتقدم باهر فيه خير ومنفعة والمراد هنا ما كلفهم الله به على السنة  
الرسول من الاوامر والنواهي اى ألم اوصيكم وأبلغكم على السن رسلى أن لا تطيعوا  
الشیطان قال الزجاج المعنى ألم اتقدم اليكم على لسان الرسل يا بنى آدم وقال مقاتل  
يعنى الذين أمر وبالاعتزال وقيل المراد بالعهد هذا الميثاق المأخوذ عليهم حين أخرجوا  
من ظهر آدم وقيل هو ما نصبه الله لهم وركره فيهم من الدلائل العقلية التى فى صواته  
وأرضه وما أنزل عليهم من أدلة السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم  
ويزينه لهم وانما عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها فى مقابلة عبادة  
الله وجملة (انه لكم عدو مبين) تعليل لما قبلها من النهى عن طاعة الشيطان وقبول  
وسوته (وأن اعبدون) أن فى الموضوعين هى المفسرة للعهد الذى فيه معنى القول  
وبجوز أن تكون مصدرية فيها ما اى ألم اهد اليكم بان لا تعبدوا و بان اعبدونى أو ألم  
أعهد اليكم فى ترك عبادة الشيطان وفى عبادتى وتقديم النهى على الامر لما ان حق  
التخلية التقديم على التخلية كما فى كلمة التوحيد وليتصل به قوله (هذا) اى عبادة الله  
وتوحيده أو دين الاسلام (صراط مستقيم) بليغ فى الاستقامة ولا صراط أقوم منه  
ثم ذكر سبحانه عداوة الشيطان لبنى آدم فقال (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) اللام  
هى الموطئة للقسمة والجملة مستأنفة لتشديد التقريع وتأكيد التوبيخ اى والله لقد أضل  
قرى جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وبضم الجيم وسكون الباء وبضميتين مع  
تحفيف اللام وبضميتين مع تشديد اللام وقرى بكسر الجيم واسكان الباء وتحفيف اللام  
قال الخاس وأبينها القراءة الاولى والدليل على ذلك أنهم قد قرؤا جميعا والجملة الاولى  
بكسر الجيم والباء وتشديد اللام فيكون جبلا جمع جبلة واشتقاق الكل من جبل الله  
الخلق اى خلقهم ومعنى الآية ان الشيطان قد أعوى خلقا كثيرا كما قال مجاهد وقال  
قتادة جوعا كثيرة وقال الكلبي أعمما كثيرة قال الثعلبي والقراآت كلها بمعنى الخلق  
وقرى جبلا بالجيم والياء التسمية قال الضحاك الجبل الواحد عشرة آلاف والكثير  
ما يحصى به الا الله عز وجل (أفلم تكونوا تعقلون) الهمة للتوبيخ والتقريع والفاء للعطف  
على مقدر يقتضيه المقام كما تقدم فى نظائره اى أن شاهدون آثار العقوبات فلم تكونوا  
تعقلون أو أفلم تكونوا تعقلون عداوة الشيطان لكم أو أفلم تكونوا تعقلون شيئا أصلا

قرى

لا يستكبرون اى عن اتباعها والانقياد لها كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة قال الله تعالى ان الذين

يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ثم قال تعالى تجافي جنوبهم عن المضاجع يعنى بذلك قيام الليل وترك  
النوم والاضطجاع على القرش الوطيمة قال مجاهد والحسن فى قوله تعالى تجافي جنوبهم عن المضاجع يعنى بذلك قيام الليل وعن  
أنس وعكرمة ومحمد بن المنكدر وأبى حازم وقتادة هو الصلاة بين العشاءين وعن أنس أيضا هو انتظار صلاة العتمة رواه ابن جرير  
باسناد جيد وقال الضحاك هو صلاة العشاء فى جماعة وصلاة الغداة فى جماعة يدعون ربهم خوفا وطمعا اى خوفا من وبال عقابه

وطمعا في جزيل ثوابه وعمار قناهم ينفقون فيجوعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية ومقدم هؤلاء وسيدهم وخرهم في الدنيا والآخرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

وفينا رسول الله يتلو كتابه \* اذا انشق معروف من الصبح ساطع يبيت بجاني جنبه عن فراشه \* اذا استمقلت بالمشركين المضاجع وقال الامام احمد - دثار روح عثمان قال احمد ثنا جاد بن سلمة اخبرنا عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عجب ربنا من رجلين رجل (٣١) ثار من وطائه وخافه من بين حبه وأهله

الى صلواته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ورجل غزاني سبيل الله تعالى فانهم موافع لم اعلم ما عليه من الفرار وماله في الرجوع فرجع حتى أهرى بدمه رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا الى عبدى رجوع رغبة فيما عندي ورهبة مما عندي حتى أهرى بدمه وهكذا رواه ابو داود في الجهاد عن موسى بن اسمعيل عن جاد بن سلمة به نحوه وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق اخبرنا عمر بن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فاصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا نبي الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة وصلاة الرجل في جوف

قرى الفعلان بالخطاب والغيبة (هذه جهنم التي كنتم توعدون) ثم في الدنيا على السنة الرسل والقائل لهم الملائكة وهو استئناف خوطبوا به بعد تمام التوبيخ عند انشراحهم على شفيع جهنم ثم يقولون لهم (اصلوها) أمر بتكيت واهانة كقوله ذق انك أنت العزيز الكريم أي قاسوا حراها وادخلوها (اليوم) وذروا أنواع العذاب فيها (بما كنتم تكفرون) أي بسبب كفركم بالله في الدنيا واطاعتكم للشيطان وعبادتكم للآوثان (اليوم نختم على أفواههم) قال المفسرون انهم يسكرون الشرك وتكذيب الرسل كافي قولهم والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم ختما لا يقدررون معه على الكلام وفي هذا التفات من الخطاب الى الغيبة للآيدان بان أفعالهم القبيحة مستدعية للاعراض عن خطابهم ثم قال (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم عما كانوا يكسبون) أي تكلمت أيديهم عما كانوا يفعلونه وشهدت أرجلهم عليهم عما كانوا يعملون باختيارها بعد اقدار الله تعالى لها على الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم وقرئ لتكلمنا ولتشهد بلام كي قبل سبب الختم على أفواههم ليعرفهم اهل الموقف وقيل ختم على أفواههم لاجل ان يكون الاقرار من جوارحهم لان شهادة غير الناطق أبلغ في الحجته من شهادة الناطق لخروجه مخرج الابعجاز وقيل ليعلموا أن أعضائهم التي كانت أعوانا لهم في معاصي الله صارت شهودا عليهم وجعل ما ينطق به الأيدي كلاما و اقرارا لانها كانت المباشرة لغالب المعاصي وجعل نطق الأرجل شهادة لانها حاضرة عند كل معصية وكلام الفاعل اقرار وكلام الحاضر شهادة وهذا اعتبار الغالب والا فالرجل قد تكون مباشرة للمعصية كما تكون الأيدي مباشرة لها وأخرج احمد ومسلم والنسائي والبخاري وغيرهم عن أنس في الآية قال كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضحك حتى بدت نواجذته قال أتدرون مما ضحكت قلنا لا يا رسول الله قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجزني من الظلم فيقول بلى فيقول اني لأجيز على الأشاهد اذ مني فيقول كفى بنسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكتابين شهودا فختم على فيه وبقا لاركانه انطقت فمنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعد التكن وسحفا فمنكن كنت أناضل وأخرج مسلم والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد وأبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يلق العبد ربه فيقول الله له ألم أكرمك وأسودك وأزودك وأسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى أي

الدليل ثم قرأ تجبا في جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزءا مما كانوا يعملون ثم قال ألا اخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه فقلت بلى يا رسول الله فقال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله ثم قال ألا اخبرك بملك ذلك كله فقلت بلى يا نبي الله فاخذ بلسانه ثم قال كف عليك هذا فقلت يا رسول الله وانالموا أخذون بما تاتى كما به فقال شككتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد السنتهم ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه في سنتهم من طرق عن معمر به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه ابن جرير من حديث شعبة عن الحكم قال سمعت عروة بن الزبير يحدث عن معاذ بن

جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ألا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام العبد من جوف الليل وتلاه هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ورواه أيضاً من حديث الثوري عن منصور بن المعتمر عن الحكم عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ومن حديث الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت والحكم عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ مرفوعاً نحوه ومن حديث حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر عن معاذ أيضاً عن النبي صلى الله (٣٢) عليه وسلم في قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال قيام العبد من

الليل وروى ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد ابن هرون حدثنا فطر بن خليفة عن حبيب بن أبي ثابت والحكم وحكيم بن جبير عن ميمون بن شبيب عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال ان شئت بناك يا ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تظننى الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية ثم قال حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن عبد الرحمن بن اسحق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق سيعلم أهل الجمع اليوم من أولي بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية فيقومون وهم قليل وقال التزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا الوليد بن عطاء بن الأغر

رب فيقول أظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول اني أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول مثل ذلك ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول أنت بك وبكتابك وبرسولك وصلت وصمت وصدقت وبنيت بخير ما استطاع فيقول ألا نبعث شاهدنا عليك فيفكر في نفسه من الذي يشهد على فيحتم على فيه ويقال لفيغذه انطق فتسطق فغذه وعظامه بعمله ما كان وذلك ليعذر من نفسه وذلك المناقق وذلك الذي يسخط عليه وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث أبي موسى نحوه (ولونشاء) أن نظممس (لظمسنا على أعينهم) أي أذهبنا أعينهم وجعلناها بحيث لا يبصرون ولا يشق ولا يحسن قال الكسائي طمس يطمس ويطمس والطميس والطموس عند أهل اللغة الذي ليس في عينيه شق كما في قوله ولونشاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم قال السدي والحسن المعنى اتركناهم عما يترددون لا يبصرون طريق الهدى واختار هذا ابن جرير قال ابن عباس في الآية أعيناهم وأضلناهم عن الهدى وقال عطاء ومقاتل وقتادة المعنى لونشاء لفقناهم وأعميناهم عن غيرهم وحوطنا أبصارهم من الضلالة الى الهدى فأبصروا رشدهم واهتدوا وتبادروا الى طريق الآخرة (فاستبقوا الصراط) معطوف على لظمسنا أي تبادروا الى الطريق ليجوزوه ويمضوا فيه والصراط منصوب بنزع الخافض أي فاستبقوا اليه وقرئ فاستبقوا على صيغة الامر أي فيقال لهم استبقوا وفي هذا تهديد لهم (فأني) أي فكيف (يبصرون) الطريق ويحسنون سلوكه ولا أبصار لهم ثم كثر التهديد لهم فقال (ولونشاء لمسخناهم على مكانتهم) المسخ تبديل الخلقة أي تغيير الصورة وابطال القوى الى حجر أو غيره من الجاد أو بهيمة والمكانة المكان أي لوشنا بل لنا خلقهم على المكان الذي هم فيه قيل والمكانة أخص من المكان كالمقامة والمقام قال الحسن أي لا تعدناهم وقيل لمسخناهم في المكان الذي فعلوا فيه المعصية وقيل المعنى لونشاء لاهلكناهم في مساكنهم قاله ابن عباس وقال يحيى بن سلام هذا كله يوم القيامة قرأ الجمهور على مكانتهم بالافراد وقرئ على مكاناتهم بالجمع (فاستطاعوا مضياً ولا يرجعون) أي لا يقدرون على ذهاب ولا رجوع قال الحسن فلا يستطيعون أن يرضوا وأمامهم ولا يرجعوا وراءهم وكذلك الجاد لا يتقدم ولا يتأخر وقرئ مضياً بضم الميم وفتحها وبكسرها قيل والمعنى لا يستطيعون رجوعاً يقال مضى مضى مضياً اذا ذهب في الارض ورجع رجوعاً اذا عاد من

حدثنا عبد الحميد بن سليمان حدثني مصعب عن زيد بن اسلم عن ابيه قال قال بلال لما نزلت هذه الآية حيث تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية كأنجلس في المجلس وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون بعد المغرب الى العشاء فنزلت هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع ثم قال لا نعلم روى زيد بن اسلم عن بلال سواه وليس له طريق عن بلال غير هذه الطريق وقوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين الآية أي فلا يعلم احد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم والذات التي لم يطلع على مثلها احد لما اخفوا اعمالهم كذلك أخفى الله لهم من الثواب جزاء وفافان الجزاء من

جنس العمل قال الحسن البصري أخفى قوم عملا فآخى الله لهم ما لم تر عين ولم يحظر على قلب بشر رواه بن أبي حاتم قال البخاري قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين الآية حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان بن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال أبو هريرة قالوا فما قرأوا أو شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين قال وحدثنا سفيان حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال الله مثل ذلك لسفيان (٣٣) رواية قال فاي شئ ورواه مسلم والترمذي

من حديث سفيان بن عيينة به وقال الترمذي حسن صحيح ثم قال البخاري حدثنا اسحق بن نصر حدثنا أبو اسامة عن الاعمش حدثنا أبو صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا لمن يله ما أطلعتم عليه ثم قرأ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون قال أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح قرأ أبو هريرة قرات أعين انفرد به البخاري من هذا الوجه وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر آخر جه في الصحيحين من رواية عبد الرزاق قال ورواه الترمذي في التفسير وابن جرير من حديث عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول

حيث جاء (ومن نعمه تنكسه في الخلق) قرأ الجمهور تنكسه بفتح النون الاولى وسكون الثانية وضم الكاف مخففة وقرئ بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة والتنكيس جعل الشئ أعلا وأسفله والمعنى من نفل عمره تغير خلقه وتجهله على عكس ما كان عليه وأولامن القوة والطراوة قال الزجاج المعنى من أظننا عمره نكسه منا خلقه فصار يبدل القوة الضعف ويبدل الشباب الهرم ومثل هذه الآية قوله سبحانه ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وقوله ثم ردناه أسفل سافلين (أقلا يعقلون) قرأ الجمهور بالتخفيف وقرئ بالفوقية على الخطاب أي أقلا يعلمون بعبقروا لهم ان من قدر على ذلك قدر على البعث والنشور ولما قال كذا مكة ان القرآن شعروا ان محمد اشعر رد الله عليهم بقوله (وما علمناه الشعر) والمعنى في كون القرآن شعرا لان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع مندوج على منوال الوزن والقافية مبنى على خيالات وأوهام واهية فإين ذلك من التنزيل الجليل المتزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصول الى سعادة الدنيا والآخرة ثم نفي ان يكون النبي شاعرا فقال (وما ينبغي له) أي لا يصح له الشعر ولا يتأتى منه ولا يتسهل عليه لو طلبه وأراد ان يقوله بالطبع والسجية كما جعلناه أميا لا يمتدى الى الخط لتكون الحجة أثبت والشبهة ادحض بل كان صلى الله عليه وآله وسلم اذا أراد ان ينشد يتفقد قاله شاعر متملا به كسر وزنه فانه لما أنشده بيت طرفه بن العبد المشهور وهو قوله سبدي لك الايام ما كنت جاهلا \* ويأتيك بالاخبار من لم تزود قال ويأتيك من لم تزود بالاخبار وان شذرة أخرى قول العباس بن مرداس السلمي أتجعل نهي ونهب العبيد \* دبين عيينة والاقرع فقال بين الاقرع وعيينة وأنشده أيضا \* كفي بالاسلام والشيب ناهيا \* فقال أبو بكر يا رسول الله انما قال الشاعر \* كفي للشيب والاسلام للمر ناهيا \* فقال أشهد انك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقد وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم كثير من مثل هذا قال الخليل كان الشعر أحب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كثير من الكلام ولكن لا يتأتى منه انتهى ووجه عدم تعليمه الشعر وعدم قدرته عليه التكميل للعجوة والحض للشبهة كما جعله الله أميا لا يقرأ ولا يكتب وأما ما روى

(فتح البيان ثامن) الله صلى الله عليه وسلم بمثله ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وقال جاد بن سلمة عن ثابت بن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاد أحسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفتى شبابه في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر رواه مسلم من حديث جاد بن سلمة به وروى الامام أحمد حدثنا هرون حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر أن أبا حازم حدثه قال سمعت سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه يقول شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا ووصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال في آخر حديثه فيها ما لا عين رأت ولا أذن

سُمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قرأ هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع الى قوله يعملون وأخرجه مسلم في صحيحه عن هرون بن معروف وهرون بن سعيد كلاهما عن ابن وهب به وقال ابن جرير حدثني العباس بن أبي طالب حدثنا علي بن أسد حدثنا سلام ابن أبي مطيع عن قيادة عن عقبه بن عبد الغافر عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى عن ربه عز وجل قال أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لم يخبره وقال مسلم أيضا في صحيحه حدثنا ابن أبي عمير وغيره حدثنا سفيان بن مطرف بن طريف (٣٤) وعبد الملك بن سعيد سمعا الشعبي يخبر عن المغيرة بن شعبة قال سمعته على

المغيرة يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت موسى عليه السلام ربه عز وجل ما أدنى أهل الجنة منزلة قال هو رجل يحيى بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول أي رب كيف وقد أخذ الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى ان يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله في الجنة الخامسة رضيت رب فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما شئت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال رب فاعلاهم منزلة قال أولئك الذين غرست كرامتهم يدي وختت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر قال ومصدقهم كتاب الله عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين الآية ورواه الترمذي عن ابن أبي عمير وقال حسن صحيح قال ورواه بعضهم عن الشعبي عن المغيرة ولم يرفعه والمرفوع أصح قال ابن أبي حاتم حدثنا ابن منير المدائني حدثنا أبو بدر بن شجاع

عنه من قوله صلى الله عليه وآله وسلم

هل أنت الأصبغ دميت \* وفي سبيل الله ما لقيت

وأنا النبي لا كذب \* أنا ابن عبد المطلب

وقوله

وتحذ ذلك فن الاتفاق الوارد من غير قصد كما يأتي ذلك في بعض آيات القرآن وليس بشعر ولا مراد به الشعر بل اتفق ذلك اتفاقا كما يقع في كثير من كلام الناس فانهم قديت كلمون بما لو اعتبره معتبر لكان على وزن الشعر ولا يعدونه شعرا وذلك كقوله تعالى ان تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله وجفان كالجواب وقد ورر اسيات على انه قد قال الاخفش ان قوله أنا النبي لا كذب ليس بشعر وقال الخليل في كتاب العين ان ما جاء من السجع على جزأين لا يكون شعرا قال ابن العربي والظاهر من حاله انه قال لا كذب يرفع الباس من كذب ويخفضها من عبد المطلب قال النحاس قال بعضهم انما الرواية بالاعراب واذا كانت بالاعراب لم يكن شعرا لانه اذا فتح الباس من الاول أو ضمها أو نونها وكسر الباس من الثاني خرج عن وزن الشعر وقيل ان الضمير في له عائذ الى القرآن أي وما ينبغي للقرآن ان يكون شعرا أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم قال بلغني انه قيل لعائشة هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان أبغض الحديث اليه غير انه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس فيجعل أوله آخره يقول ويأتيك من لم تزود بالخبار فقال أبو بكر ليس هكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني والله ما أنا شاعر ولا ينبغي لي وهذا يريد ما نقلناه عن الخليل سابقا ان الشعر كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كثير من الكلام وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا استراخ الخبر يتمثل ببيت طرفة ويأتيك بالخبار من لم تزود \* وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتمثل من الأشعار ويأتيك الخ وأخرج البيهقي في سننه عن عائشة قالت ما جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيت شعر قط الا يتساوا حدا تفاعل بعاتهموي يكن قلقلما \* يقال لشيء كان الاتحقيق

قالت عائشة ولم يقل تحققا لثلاث بعير به فيصير شعرا واسناده هكذا قال أخبرنا أبو عبد الله الحافظ يعني الحاكم حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن نعيم حدثنا أبو محمد عبد الله بن هلال

ابن الوليد حدثنا يزيد عن خيمته عن محمد بن بخادة عن عباس بن عبد الواحد قال بلغني ان الرجل من أهل الجنة التحوى يكت في مكانه سبعين سنة ثم يلتفت فاذا هو بامرأة احسن مما كان فيه فتقول له قد آن لك ان يكون لنا منك نصيب فيقول انما من المزيد فيمكت معها سبعين سنة ثم يلتفت فاذا هو بامرأة احسن مما كان فيه فتقول له قد آن لك ان يكون لنا منك نصيب فيقول من انت فتقول انا التي قال الله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وقال ابن لهيعة حدثني عطاب بن دينار عن سعيد بن جبير قال تدخل عليهم الملائكة في مقدار كل يوم من ايام الدنيا ثلاث مرات معهم التحف من الله من جنات عدن ما ليس



في جناتهم وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ويخبرون ان الله عنهم راض وروى ابن جرير حدثنا سهل بن موسى الرازي حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن ابي اليمان الغزاري وغيره قال الجنة مائة درجة اولها درجة فضة وارضها فضة ومساكنها فضة وترابها المسك والثانية ذهب وارضها ذهب ومساكنها ذهب وانيتها ذهب وترابها المسك والثالثة لؤلؤ وارضها لؤلؤ ومساكنها لؤلؤ وانيتها اللؤلؤ وترابها المسك وسبع وتسعون بعد ذلك ما لعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم تلا هذه الآية فلا تعلم نفس ما أخفي لهم الآية (٣٥) وروى ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم

حدثنا معتمر بن سليمان عن الحكم ابن ابان عن الغطريفة عن جابر ابن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح الامين قال بوئى بحسنات العبد وسيأته يتقص بعضها من بعض فان بقيت حسنة وسع الله له في الجنة قال فدخلت على يزيد حدثت بمثل هذا الحديث قال فقلت فابن ذهب الجنة قال اولئك الذين تقبل عنهم احسن ما عملوا وتجاوز عن سيئاتهم الآية قلت قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين قال العبد يعمل سر أسره الى الله لم يعلم به الناس فاسر الله له يوم القيامة قرة عين (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فإغاهاهم النار كلما أرادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه ثم أعرض عنها انا

التخوي الضريبر حدثنا علي بن عمرو الانصاري حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة فذكره وقد سئل المزي عن هذا الحديث فقال هو منكر ولم يعرف شيخ الجاحم ولا الضريبر في اسناده قال البيضاوي والخازن قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وان تمثل بيت شعر جرى على لسانه الشريف مكسرا ولو كان ممن يقول الشعر لتطرفت التهمة عقلا في أن ما جاء به من عند نفسه ولهذا قال ويحق القول الخ كما يأتي لانه لم يبق الا العناد الموجب للهلاك وقال القرطبي اصابة الوزن منه صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الاحيان لا توجب أنه يعلم الشعر كقوله أنا النبي لا كذب الخ والمعول عليه في الانفصال على تسليم ان هذا شعر ان التمثل بالبيت لا يوجب ان يكون قائله عالما بالشعر ولا ان يسمى شاعرا باتفاق العلماء كما ان من خاط خطا على سبيل الاتفاق لا يكون خطا طبا قال الزجاج أي ما جعلناه شاعرا وهذا لا ينافي ان ينشئ شيئا من الشعر من غير قصد كونه شعرا قال النحاس وهذا احسن ما قيل في هذا وقد قيل انما أخبر الله عز وجل انه ما علمه الشعر ومن لم يخبراته لا ينشئ الشعر وقد قالوا كل من قال قولاً موزوناً لا يقصد به الى شعر فليس بشاعر وانما وافق الشعر فما يجري على اللسان من موزون الكلام لا يعد شعرا وانما يعد منه ما يجري على وزن الشعر مع القصد اليه ولما نفي ان يكون القرآن من جنس الشعر قال (ان هو) أي ما القرآن (الاذكر) من الاذكار وموعظة من المواعظ ويعظمها الانس والجن (وقرآن مبين) أي كتاب من كتب الله السماوية مشتمل على الاحكام الشرعية يقرأ في المحارب ويأتي في المتعبات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين والدرجات فكمن بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشاطين واقاويل الشعراء الكاذبين (امينذر) قرى بالتحمية وبالفوقية وعلى الاولى المراد القرآن وعلى الثانية المراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من كان حيا) يعقل ما يخاطب به أي مؤمنا قلبه صحيح يقبل الحق ويأبى الباطل لان الكافر كالميت لا يتدبر ولا يتفكر (ويحق القول على الكافرين) أي ويتجيب كلمة العذاب على المصيرين على الكفر المستعين من الايمان بالله وبرسوله وايرادهم في مقابلة من كان حيا فيه اشعار بأنهم خلوه عن آثار الحياة التي هي المعرفة اموات في الحقيقة ثم ذكر سبحانه قدرته العظيمة وانعامه على عبده وسجد الكفار لنعمة فقال (أولم يروا) الهمزة للانكار والتعجب من حالهم والواو للعطف على مقدر

من المجرمين مستقيمون) يخبر تعالى عن عدله وكرمه انه لا يساوي في حكمه يوم القيامة من كان مؤمنا باياته متبعارسله بمن كان فاسقا أي خارجا عن طاعة ربه مكنيا رسله اليه كما قال تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالتجار وقال تعالى لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة الآية ولهذا قال تعالى ههنا أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون أي عند الله يوم القيامة وقد ذكر عطاء بن يسار والسدي وغيرهما انها نزلت في علي بن

أبي طالب وعقبة بن أبي معيط ولهذا فصل حكمهم فقال أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها وهي الصالحات فلم حنات المأوى أي التي فيها المساكن والدور والغرف العالية نزلا أي ضيفا وكرامة بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا أي خرجوا عن الطاعة فأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها الآية قال النضيل بن عياض والله إن الأيدي لموثقة وإن الأرجل لمقيدة وإن اللهب ليرفعهم والملائكة تقيهم وقيل (٣٦) لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون أي يقال لهم ذلك تقريرا

كافي نظائره والرواية هي القلبية أي ولم يعلموا بالتفكير والاعتبار (أنا خلقنا لهم) أي لاجلهم وانقاعهم (مما علمت أيدينا) أي مما أبدعناه وعلمناه من غير واسطة ولا شركة وأسناد العمل إلى الأيدي مبالغته في الاختصاص والتفرد بالخلق كما يقول الواحد منا علمته يدي للدلالة على تفرد عمله وما يعنى الذي وحذف العائد لطول الصلة ويجوز أن تكون مصدرية واتي به في الجملة بعد قوله خلقنا للإشارة إلى حصر الخلق لهذه النعم فيه تعالى واسعة قلاله بهم فهو كناية عرفية وقيل تمثيلية أي مما أولينا أحدها ولم يقدر على أحدها غيرنا وقوله (أنعام) منعول خلقنا وهي جمع نعم وهي البقر والغنم والأبل وإنما خصم بالذكور وإن كانت الأشياء كلها من خلق الله وإيجاده لأن النعم أكثر أموال العرب والنفع بها أعم وقد سبق تحقيق الكلام فيها ثم ذكر سبحانه المنافع المترتبة على خلق الأنعام فقال (فهم لها ما لكون) أي ضابطون فأهرون يتصرفون بها كيف شاؤوا ولو خلقناها وحشية لنفرت عنهم ولم يقدروا على ضبطها والمراد أنها صارت في أملاكهم ومعدودة في جلة أموالهم المنسوبة إليهم نسبة الملك وهذا الظاهر ليكون قوله (وذللناهم) تأسيسا للنعمة على حيالها لا تتمه لما قبلها أي جعلناهم مسخرة لا تمتنع مما يريدون منها من منافعهم حتى الذبح ويقودها الصبي فتساقده ويرزحها فتزجر (فمنها ركوبهم) الفاء لتفريع أحكام التذليل عليه أي فمنها ركوبهم الذي ركوبه كما يقال ناقه حلوب أي محلوبة يعني معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للعمل لكونه من تمته الركوب قرأ الجمهور ركوبهم بفتح الراء وقرئ بضمها على المصدر وقرأ أبي وعائشة ركوبهم والركوب والركوبة واحد مثل الحلوب والحلوبة والحول والحولة وقال أبو عبيدة الركوبة تكون للواحدة والجماعة والركوب لا يكون إلا للجماعة وزعم أبو حاتم أنه لا يجوز فنهاركوبهم بضم الراء لأنه مصدر والركوب ساير كركب وأجاز ذلك الفراء كما يقال فنهاركوبهم بضم (ومنها ما لكون) أي ما ياكلونه من لحما ومن للتبعض وإنما غير الأسلوب هنا لأن الأكل يعم الأنعام كلها بخلاف الركوب فهو خاص بالأبل منها (ولههم فيها) أي لهم في الأنعام بقسميها (منافع) غير الركوب لها والأكل منها وهي ما ينتفعون به من أصوافها وأوبارها وأشعارها وما يتخذونه من الأدهان من شحومها وكذلك الحبل عليها والحرائث بها وجلودها ونسلها (و) لهم فيها (مشارب) مما يحصل من ألبانها جمع مشرب وهو موضع

وتوبخا وقوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال ابن عباس يعني بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأقسامها وآفاتهما وما يحل باهلها مما يتلى الله به عباده ليشربوا إليه وروى مثله عن أبي بن كعب وأبي العالية والحسن وإبراهيم الخنفي والضحاك وعائقة وعطية ومجاهد وقتادة وعبد الكريم الجزري وخصيف وقال ابن عباس في رواية عنه يعني به إقامة الحدود عليهم وقال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة يعني به عذاب القبر وقال التساني أخبرنا عمرو بن علي أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي عن أسراييل عن أبي اسحق عن أبي الاحوص وأبي عبيدة عن عبيد الله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال سنون أصابهم وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثني عبد الله بن عمر القواريري حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن عروة عن الحسن العرنى عن يحيى بن الجزار عن ابن أبي ليلى عن أبي بن كعب في

هذه الآية ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال القمر والدخان قدمضيا والبطشة الشرب والزام ورواه مسلم من حديث شعبة به موقوفا نحوهم وعند البخاري عن ابن مسعود نحوه وقال عبد الله بن مسعود أيضا في رواية عنه العذاب الأدنى ما أصابهم من القتل والسبي يوم بدر وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم قال السدي وغيره لم يبق بيت بمكة إلا دخله الحزن على قتل لهم أو أسير فاصبوا أو هزموا ومنهم من جمع له الأمران وقوله تعالى ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها أي لأظلم ممن ذكره الله بآياته وبينها له ووضعتها بعد ذلك تركها ووجدناها وأعرض عنها وناساها كأنه لا يعرفها قال

قتادة اياكم والاعراض عن ذكر الله فان من اعرض عن ذكره فقد اعترا كبر العزة وأعوذ أشد العوز وعظم من عظم الذنوب ولهذا قال تعالى متهدد المن فعل ذلك انما من الجرمين منتقمون أى سأنقم من فعل ذلك أشد الانتقام وروى ابن جرير حدثني عمران ابن بكار الكلاعي حدثنا محمد بن المبارك حدثنا اسمعيل بن عباس حدثنا عبد العزيز بن عبيد الله عن عبادة بن نسي عن جنادة بن أمية عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث من فعلهن فقد أجرم من عقد لواء في غير حق أو عقى والديه أو مشى مع ظالم ينصره فقد أجرم يقول الله تعالى انما من الجرمين (٣٧) منتقمون ورواه بن أبي حاتم من حديث

الشرب او الشراب والظاهر ان المراد به ضروعها (افلا يشكرون) الله على هذه النعم ويوحدهونه ويخصونه بالعبادة ثم ذكر سبحانه جهلهم واعتراهم ووضعهم كفران النعم موضع شكرها فقال (واتخذوا من دون الله آلهة) من الاصنام ونحوها يعبدونها ولا قدرة لها على شيء ولم يحصل لهم منها فائدة ولا عا د عليهم من عبادتها عائدة (لعلهم ينصرون) أى رجاء ان ينصروا من جهنم ان نزل بهم عذاب أو دهمهم أمر من الامور (لا يستطيعون نصرهم) مستأنفة لبيان بطلان ما رجوه منها وأملوه من فنعها وانعكاس تدبيرهم ووجههم بالواو والنون جمع العقباء بناء على زعم المشركين انهم يتفعون وينصرون ويعقلون (وهم لهم جند محضون) أى والى الكفار جند للاصنام يحضرونهم فى الدنيا قال الحسن يمنعون منهم ويدفعون عنهم وقال قتادة أى يغضبون لهم فى الدنيا قال الزجاج يقتضون للاصنام وهى لا تستطيع نصرهم وقيل المعنى يعبدون الآلهة ويقومون بها فهم لهم بمنزلة الجند هذه الاقوال على جعل ضميرهم للمشركين وضميرهم للآلهة وقيل وهم أى الآلهة لهم أى للمشركين جند معدون ومحضون معهم فى النار فلا يدفع بعضهم عن بعض وقيل معناه وهذه الاصنام لهؤلاء الكفار جند الله عليهم فى جهنم لانهم يلغونهم ويتبرؤن منهم وقيل المعنى ان الكفار يعتقدون ان الاصنام جند لهم يحضرون يوم القيامة لا عاتتهم ثم سلب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (فلا يحزبك قولهم) الفاء لترتيب النهى على ما قبله فلا بد ان يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به أطماعهم الفارغة وانعكاس الامر عليهم بترتيب الشر على ما تبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطر ويورث السلوة والنهى وان توجه بحسب الظاهر الى قولهم لكنهم فى الحقيقة متوجه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا القول هو ما يقيد قوله واتخذوا من دون الله آلهة فانهم لا بد ان يقولوا هؤلاء آلهتنا وانما نشر كآلهة فى المعبودية ونحو ذلك وهو نهى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن التأثر لذلك بطريق السكابة الى أبلغ وجهه وآكده وقيل انه نهى لهم عن الاسباب التى تحزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان النهى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن التأثر لما يصدر منهم هو من باب لا أرى نكها فانه يراد به نهى من خاطبه عن الحضور راديه لانه نفسه عن الرؤية وهذا بعيد والاول أولى والكلام من باب التسلية كما ذكرنا ويجوز

اسمعيل بن عباس به وهذا حديث غريب جدا (ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مريية من لقاءه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم أمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله موسى عليه السلام انه آتاه الكتاب وهو التوراة وقوله تعالى فلا تكن فى مريية من لقاءه قال قتادة يعنى به ليله الاسراء ثم روى عن ابى العالمة الرياحى قال حدثني ابن عم نبيكم يعنى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت ليله أسرى بن موسى بن عمران رجلا آدم طوا واجعدا كأنه من رجال شنوءة ورايت عيسى رجلا مربوع الخلق الى الحجره والبياض سبط الراس ورايت ما لساكازن النار والدجال فى آيات أراه من الله اياه فلا تكن فى مريية من لقاءه انه قد رأى موسى ولقى موسى ليله أسرى به وقال الطبرانى حدثنا محمد بن عثمان بن ابي شيبة حدثنا الحسن بن على الحلوانى حدثنا روح بن عبادة حدثنا سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن ابى العالمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وجعلناه هدى لبني اسرائيل قال جعل موسى هدى لبني اسرائيل وفى قوله فلا تكن فى مريية من لقاءه قال من لقاء موسى وقوله تعالى وجعلناه اى الكتاب الذى آتينا هدى لبني اسرائيل كما قال تعالى فى سورة الاسراء وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ان لا تتخذوا من دونى وكيلاً وقوله تعالى وجعلنا منهم أمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون اى لما كانوا صابرين على اوامر الله وترك زواجره وتصدق رسله واتباعهم فيما جاؤهم به كان منهم أمة يهدون الى الحق

بأمر الله ويدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ثم لما بدوا وحرفوا ولو اسلبوا ذلك المقام وصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه فلا عمل صالح ولا اعتقاد صحيح ولهذا قال تعالى ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب قال قتادة وسفيان لمصابر وعن الدنيا وكذلك قال الحسن بن صالح قال سفيان هكذا كان هؤلاء ينبغي للرجل أن يكون له اماما يقتدى به حتى يتحاشى عن الدنيا قال وكيع قال سفيان لا بد للدين من العلم كالأبد للجسد من الخبر وقال ابن بنت الشافعي قال قرأ أبي على عبي أو غمي على أبي سئل سفيان عن قول علي (٣٨) رضى الله عنه الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد لم تسمع قوله وجعلناهم

أن يكون المراد بالقول المذكور هو قولهم انه ساحر وشاعر ومجنون (انا نعلم ما يسرون وما يعلنون) تعليل لما تقدم من النهي فان علمه سبحانه بما ينظرون وما يضررون مستلزم للمجازاة لهم بذلك وان جميع ما صدر منهم لا يعزب عنه سواء كان خافيا أو باديا سيرا أو جهرًا منظرًا أو مضمرا أو تقديم السر على الجهر لدمالغته في شمول علمه بجميع المعلومات وقرئ انا بالكسر وبالفتح على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن والشعر وفي كل كلام وكسرها أبو حنيفة وفتح الشافعي وكلاهما تعليل كما تقدم (أولم ير الانسان) مستأنفة مسوقة لسان اقامة الحججة على من أنكر البعث والتعجب من جهله فان مشاهدته خلقهم في أنفسهم على هذه الصفة من البداية الى النهاية مستلزمة للاعتراف بقدرته القادر الحكيم على ما هو دون ذلك من بعث الاجسام وردّها كما كانت والانسان المذكور في الآية المراد به جنس الانسان كما في قوله أولاد كرا الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ولا وجه تخصصه بانسان معين كما قيل انه عبد الله بن أبي وانه قيل له ذلك لما أنكر البعث وقال الحسن هو أمية بن خلف وقال سعد بن جبيرة هو العاص بن وائل السهمي وقال قتادة ومجاهد هو أبي بن خلف الجعفي فان أحدهم هؤلاء وان كان سببا للزول فعني الآية خطاب الانسان من حيث هو لانسان معين ويدخل من كان سببا للزول تحت جنس الانسان دخولا أوليا (انا خلقناه من نطفة) قدرة خسيصة مدبرة خارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة والنطفة هي اليسير من الماء وقد تقدم تحقيق معناها (فاذا هو خصيم مبين) هذه الجملة معطوفة على الجملة المنقصة قبلها داخله معها في حيز الانكار المفهوم من الاستفهام واذا هي الفجائية أي ألم ير الانسان انا خلقناه من أضعف الاشياء وأخسها وأمهنها ففاجأ خصومنا في أمر قد قامت فيه عليه حجج الله وبراهينه وشهدت بعظمته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة أصله ودناءة أوله كيف يتصدى لخصامة الجبار ويبرز لجألته في انكار البعث ولا يتفكر في بدء خلقه وانه من نطفة قدرة وهو غاية المكابرة والخصيم الشديد الخصومة الكثير الجدال ومعنى المبين المظهر لما يقوله الموضح له بقوة عارضته وطلاقة لسانه قال ابن عباس جاء العاص بن وائل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعظم حائل ففته بيده فقال يا محمد أيجي الله هذا بعد ما أرى قال نعم يبعث الله هذا ثم يبيئك ثم يبيئك ثم يخلق نار جهنم فترت

أثم يدون بأمرنا لمصابر وقال لما اخذوا برأس الامر صاروا رؤسا ولهذا قال تعالى ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والتسوية ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الامر الآية كما قال هنا ان ربك هو ينصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أي من الاعتقادات والاعمال (اولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنتهم ان في ذلك لآيات افلا يسمعون اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فتخرج به زرعانا كل منه أنعامهم وأنفسهم افلا يصرون) يقول تعالى اولم يهدل هؤلاء المكذبين بالرسول ما هلك الله قبلهم من الامم الماضية بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم اياهم فيما جاؤهم به من قويم السبل فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا اثر هل يحسن منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ولهذا قال يمشون في مساكنتهم اي وهؤلاء المكذبون يمشون في مساكنتهم أولئك المكذبين فلا يرون فيها احدا ممن كان يسكنها

ويعمرها ذهبوا منها كأن لم يغبوا فيها كما قال فنلك بيوتهم حاوية بما ظلموا وقال وكا من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي حاوية على عرشها وبئر معظلة وقصر مشيد فلم يسروا في الارض الى قوله ولكن نعلم القلوب التي في الصدور ولهذا قال ههنا ان في ذلك لآيات أي ان في ذهاب أولئك القوم ودمارهم وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل ونجاة من آمن بهم لآيات وعبراء ومواعظ ودلائل متناظرة افلا يسمعون أي اخبار من تقدم كيف كان أمرهم وقوله تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز بين تعالى لطفه بخلقه واحسانه اليهم في ارساله الماء امان السماء أو من السج وهو ما تحمله الانهار ويتحدرون الجبال الى الاراضي المحتاجة اليه في أوقاته ولهذا قال تعالى الى الارض الجرز وهي التي لا نبات فيها كما قال تعالى وانا لخالعون

ما عليها صعيدا جريزا أي يسالالتبت شيئا وليس المراد من قوله إلى الأرض الجريز أرض مضر فقط بل هي بعض المقصود وان مثلها  
بها كثير من المفسرين فليست المقصودة وحدها ولكنها مراد من هذه الآية فانه في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من  
الماء ما لو نزل عليها مطر التهدمت أبنيتها فيسوق الله تعالى إليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة وفيه طين  
أجر فيعشى أرض مصر وهي أرض سبخة مرمله محتاجة إلى ذلك الماء وذلك الطين أيضا ينبت الزرع فيه فيستغلون كل سنة على  
ما جديد مطور في غير بلادهم وطين جديد من غير أرضهم فسبحان (٣٩) الحكيم الكريم المنان الحمود أبدا قال ابن

لهبعة عن قيس بن حجاج عن حماد بن  
قال لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو  
ابن العاص حين دخل بؤنة من  
أشهر العجم فسالوا أيها الأمير ان  
لننلنا هذا سنة لا يجري إلا بها قال  
وما ذالك قالوا اذا كانت ثنتا عشرة ليلة  
خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية  
بكرين أبوهم فأرضينا أبوهم  
وجعلنا عليها من الحلى والثياب  
أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا  
النيل فقال لهم عمرو ان هذا  
لا يكون في الاسلام ان الاسلام  
يهدم ما كان قبله فاقاموا بؤنة  
والنيل لا يجري حتى هموا بالجلد  
فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب  
بذلك فكتب إليه عمر انك قد أصبت  
بالذي فعلت وقد بعثت إليك  
بطاقة داخل كالي هذا فالتها في  
النيل فلما قدم كتابه أخذ عمر والبطاقة  
ففتحتها فاذا فيها من عبد الله عمر  
أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر  
أما بعد فانك ان كنت انما تجري من  
قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد  
القهار هو الذي يجريك فنسأل الله  
ان يجريك قال فالتى البطاقة في  
النيل فاصبحوا يوم السبت وقد

الآيات من آخريس أو لم ير الانسان أن اخلقناه من نطفة الخ أخرجه ابن جرير وابن المنذر  
وابن أبي حاتم في مجمله وعنه قال جاء عبد الله بن أبي في يده عظم حائل إلى النبي صلى الله عليه  
 وآله وسلم وذ كرمثل ما تقدم قال ابن كثير وهذا منكر لان السورة مكية وابن أبي انما كان  
 بالمدينة وعنه قال جاء أبي بن خلف الجعفي وذ كرمثل ما تقدم وعنه أيضا قال نزلت في أبي  
 جهل وذ كرمثل ما تقدم (وضرب لنا مثلا) بقتة العظم والجملة معطوفة على الجملة المنفية  
 داخله في حيز الانكار المفهوم من الاستفهام فهي تكميل للتعجب من حال الانسان  
 وبيان جهله بالحقائق واهماله للتفكير في نفسه فضلا عن التفكير في سائر مخلوقات الله  
 ويجوز ان تكون جملة فاذا هو خصيم ميين معطوفة على خلقنا وهذه معطوفة عليها أي أورد  
 في شأننا قصة عجيبة في نفس الامر كالمثل في الغرابة وهي انكاره احياءنا للعظام او قصة  
 عجيبة في زعمه واستبعدها واعداهم من قبيل المثل وانكرها أشد الانكار وهي احياءنا اياها  
 او جعل لنا مثلا وتظير من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم فالمثل  
 على الاول هو انكار احياءنا للعظام وعلى الثاني هو احياءنا لها وأما على الثالث فلا فرق  
 بين ان يكون المثل هو الانكار والمنكر (ونسى خلقه) أي خلقنا اياه من المنى الدال  
 على بطلان ما ضربه من المثل وذهل عنه وترك ذكره على طريقة اللداد والمكابرة فهو  
 اغرب من احياء العظم (قال من يحيي العظام وهي رميم) بالية استئناف جوابا عن  
 سؤال مقدر كأنه قيل ما هذا المثل الذي ضربه فقيل قال من يحيي العظام وهي رميم وهذا  
 الاستفهام للانكار لانه قاس قدرة الله على قدرة العبد فانكر ان الله يحيي العظام البالية  
 حيث لم يكن ذلك في مقدور البشر يقال رم العظم رم ما اذا بلى فهو رميم ورامم وانما قال  
 رميم ولم يقل رميمه مع كونه خبر الممؤث لانه اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرمة  
 والرفات وقيل لكونه معدولا عن فاعله وكل معدول عن وجهه يكون مصر وفاعن اعرابه كما  
 في قوله وما كانت أمك بغيا لانه مصر وف عن باغية كذا قال البغوي والقرطبي وقال  
 بالاول صاحب الكشاف والاولى ان يقال انه فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسما  
 بالغلبة او مفعول وهو يستوي فيه المذكر والمؤنث كما قيل في جر يح وصبو روم من ثبت  
 الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها  
 يتشبه بهذه الآية وهي عند الحنفية طاهرة وكذا الشعر والعصب لان الحياة لا تحلها فلا

أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة وقد قطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم رواه الحافظ أبو القاسم اللالكاني  
 الطبري في كتاب السنة له ولهذا قال تعالى أولم ير واناسوق الماء إلى الأرض الجريز فخرج به زرعاً كل منه أنعامهم  
 وأنفسهم أفلا يبصرون كما قال تعالى فلينظر الانسان إلى طعامه أن أصبحنا من الماء صبا الآية ولهذا قال ههنا أفلا يبصرون وقال ابن  
 أبي شحيب عن رجل عن ابن عباس في قوله إلى الأرض الجريز قال هي التي لا تمطر الا مطر الا يعني عنها شيئا الا ما يأتونها من السيول  
 وعن ابن عباس ومجاهد هي أرض بالين وقال الحسن بن رحمه الله هي قرى فيما بين اليمن والشام وقال عكرمة والضجالة وقتادة

والسدى وابن زيد الارض الجزالتي لانيات فيها وهي مغبرة قلت وهذا كقوله تعالى وايقولهم الارض الميتة احييناها الايتين  
 (ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا وامايتهم ولا هم ينظرون فاعرض عنهم وانتظروناهم  
 منتظرون) يقول تعالى مخبرا عن استعمال الكفار وقوع باس الله بهم وحلول غضبه ونقمته عليهم استبعادا وتكدينا  
 وعنادا ويقولون متى هذا الفتح اى متى تنصر علينا يا محمد كما تزعم انك وقت ادال علينا وينتقم لك منافقك يكون هذا ما نزل  
 انت واهحابك المختلفين خائفين (٤٠) ذليلين قال الله تعالى قل يوم الفتح اى اذا حل بكم باس الله وسخطه

وغضبه فى الدنيا وفى الآخرة لا ينفع  
 الذين كفروا وامايتهم ولا هم  
 ينظرون كما قال تعالى فلما جاءتهم  
 رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم  
 من العلم الايتين ومن زعم ان  
 المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد  
 ابعد النجعة واخطأ فاشرف فان يوم  
 الفتح قد قبل رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم اسلام الظلقاء وقد كانوا  
 قريبا من الفين ولو كان المراد فتح  
 مكة لما قبل اسلامهم لقوله تعالى  
 قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا  
 امايتهم ولا هم ينظرون وانما المراد  
 الفتح الذى هو القضاء والفصل  
 كقوله فافتح بيني وبينهم فتح الآية  
 وكقوله قل يجمع بيننا وبينهم  
 بيننا بالحق الآية وقال تعالى  
 واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد  
 وقال تعالى وكانوا من قبل  
 يستفتحون على الذين كفروا وقال  
 تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح  
 ثم قال تعالى فاعرض عنهم وانتظر  
 انهم منتظرون اى اعرض عن  
 هؤلاء المشركين وبلغ ما نزل اليك  
 من ربك كقوله تعالى اتبع ما وحي  
 اليك من ربك لاله الا هو الآيات

يؤثر فيها الموت والمراد باحياء العظام فى الآيات ردها الى ما كانت عليه غصه رطبة فى  
 بدن حى حساس وقد استدلل ابو حنيفة وبعض اصحاب الشافعى بهذه الآيات على ان العظام  
 مما تحيا له الحياة وقال الشافعى لا تحلها الحياة وان المراد بقوله من يحيى العظام من يحيى  
 اصحاب العظام على تقدير مضاف محذوف ورددان هذا التقدير خلاف الظاهر ثم اجاب  
 سبحانه عن الضارب لهذا المثل فقال (قل) اى على سبيل تكيسه وتدبيره بما نسبته من فطرته  
 الدالة على حقيقة الحال (يحييها الذى انشأها) اى ابتدأها وخلقها (اول مرة) من  
 غير شئ ومن قدر على النشأة الاولى قدر على النشأة الثانية (وعو بكل خلق عليم) لا تخفى  
 عليه خافية ولا يخرج عن علمه خارج كما انما كان اى يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية  
 خلقها فيعلم اجزاء الانخاص المتفتحة المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق  
 تمييزها ووضم بعضها الى بعض على اللفظ السابق واعادة الاعراض والقوى التى كانت فيها  
 أو أحداث مثلها وقال الكرخى بعلمه مجملا ومفصلا أى قبل خلقه وبعد خلقه والآية حجة  
 على من ينكر علمه سبحانه بالجزئيات ونظيره قوله سبحانه ان الله قد اخطأ بكل شئ علما  
 (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) هذا جوع منه سبحانه الى تقرير ما تقدم من  
 دفع استبعادهم قبه سبحانه على وحدانيته ودل على قدرته على احياء الموات بما  
 يشاهدونه من اخرج النار المحرقة من العود الندى الرطب وذلك ان الشجر المعروف بالمرخ  
 والشجر المعروف بالعقار اذا قطع منها عودان مثل السواكين وضرب أحدهما على  
 الآخر اذ تدمت منهما النار وهما أخضر ان قيل المرخ هو الذكر والعقار هو الانثى  
 ويسمى الاول الرند والثانى الزندة تقول العرب فى كل شجر نار واستجد المرخ والعقار اى  
 استكثر منهما وذلك ان هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نار وقال الحكيم فى كل شجر نار  
 الا العناب المحلحة الدق للثياب ولذلك تتخذ منه مطارق القصارين وبالجملة فن بدائع  
 خلقه ان قد اح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفأها به فن قدر على  
 جمع الماء والنار فى الشجرة قدر على المعاتبة بين الموت والحياة فى البشر واجراء أحد  
 الضدين على الآخر بالتعقيب أسهل فى العقل من الجمع معا بالترتيب وقال الاخضر ولم  
 يقل الخضر اعتبارا باللفظ وقرئ الخضر اعتبارا بالمعنى وقد تقرر انه يجوز تدبيره كبراهم  
 الجنس وتأنيده كفى قوله نخل منقعه وقوله نخل حاوية فبنو تميم ونجد يد كرونه وأهل الحجاز

وانتظر فان الله سينجز لك ما وعدك وسيصرك على من خالفك انه لا يخالف الميعاد وقوله انهم منتظرون اى أنت  
 منتظر وهم منتظرون ويتربصون بكم الدوائر اى يقولون شاعر تربص به رب المنون وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء  
 رسالة الله فى نصرتك وتأنيديك وسجدون شجب ما ينتظر ونه فيك وفى اصحابك من يبيل عقاب الله لهم وحلول عذابهم وحسبنا  
 الله ونعم الوكيل آخر تفسير سورة السجدة والله الحمد والمنة  
 \* (تفسير سورة الاحزاب وهى مدينية) \* قال الامام أحمد حدثنا خلف بن هشام حدثنا جاد بن زيد عن عاصم بن بهدلة

عن زر قال قال لي أبي بن كعب كان يقرأ سورة الاحزاب وكان يعدها قال قلت لثلاث وسبعين آية فقال قطع قدر ايها  
وانها التعادل سورة البقرة ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة اذا زينا فارجوهما البتة نكالا من الله والله عزير حكيم ورواه النسائي  
من وجه آخر عن عاصم وهو ابن أبي النجود وهو ابو بهدلة به وهذا السناد حسن وهو يقتضى انه قد كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه  
وحكمه أيضا والله أعلم (بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليا حكيما واتسع  
ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا و توكل على الله وكفى بالله (٤١) وكيفا) هذا تنبيه بالاعلى على الادنى فانه  
تعالى اذا كان يأمر عبده ورسوله

بهم هذا فلان يأتمر من دونه بذلك  
بطريق الاولى والاخرى وقد قال  
طلق بن حبيب التقوى ان يعمل  
بطاعة الله على نور من الله يرجو  
ثواب الله وان يترك معصية الله  
على نور من الله مخافة عذاب  
الله وقوله تعالى ولا تطع الكافرين  
والمنافقين أى لا تسمع منهم ولا  
تستشرهم ان الله كان عليا حكيما  
اى فهو احق ان تتبعه او امره  
وتطيعه فانه علم بعواقب الامور  
حكيم فى اقواله وافعاله ولهذا قال  
تعالى واتبع ما يوحى اليك من ربك  
أى من قرآن وسنة ان الله كان بما  
تعملون خبيرا أى فلا تخفى عليه  
خافية وتوكل على الله فى جميع  
أمورك واحوالك وكفى بالله وكيفا أى  
وكفى به وكيفا لمن توكل عليه وأتاب  
اليه ما جعل الله لرجل من قلوبين فى  
جوفه وما جعل أزواجكم اللاتي  
تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل  
أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم  
بأنواهكم والله يقول الحق وهو

يؤثرونه الانادرا والموصول بدل من الموصول الاول (فاذا أنتم منه توقدون) أى تقدحون  
منه النار وتوقدون من ذلك الشجر الاخضر ثم ذكر سبحانه ما هو أعظم من الانسان  
خلقا فقال (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) والهزيمة  
للانكار والواو للعطف على مقدر كظايره ومعنى الآية ان من قدر على خلق السموات  
الارض وهما فى غاية العظم وكبر الاجزاء يقدر على إعادة خلق البشر الذى هو صغير الشكل  
ضعيف القوة كما قال سبحانه خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس قال الشهاب  
أى مثل هؤلاء الاناسى الذين ماتوا والمرادهم وأمثالهم على سبيل التقديم والتأخير  
أو المرادهم على طريق الكناية فى نحو مثلك يفعل كذا قرأ الجمهور بقادر بصيغة اسم  
الفاعل وقرئ يقدر بصيغة الفعل المضارع ثم أجاب سبحانه عما أفاده الاستفهام من  
الانكار التقريرى بقوله (بلى وهو الخلاق العليم) أى بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ  
فى الخلق والعلم على أكمل وجه وأتمه وقرئ وهو الخالق ثم ذكر سبحانه ما يدل على كمال  
قدرته وتيسير المبدأ والاعادة عليه فقال (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)  
أى انما شأنه سبحانه اذا تعلق ارادته بشئ من الاشياء ان يقول له احدث فيحدث من غير  
توقف على شئ آخر أصلا وقد تقدم تفسير هذا فى سورة النحل وفى البقرة قرأ الجمهور  
فيكون بالرفع على الاستئناف وقرأ الكسائى بالنصب عطف على يقول ثم زنه سبحانه نفسه  
عن ان يوصف بغير القدرة فقال (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ) هذا تنزيه له  
تعالى عما وصفت به وتجبب عما ألوا فى شأنه والملكوت فى كلام العرب انظ مبالغته فى  
الملك كالجبروت والرحوت كانه قال فسبحان من بيده ملكية الاشياء الكمية قال قتادة  
ملكوت كل شئ من شئ كل شئ وقضى ملكه بزنه شجرة وقرئ بملكه بزنه مفعلة وملك  
والملكوت أبلغ من الجميع (وايه ترجعون) قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب مبني  
للمفعول وقرئ بالتحسية على الغيبة مبني للمفعول أيضا وقرأ زيد بن على على البناء  
للفاعل أى ترجعون اليه لالى غيره وتردون وتعادون بعد الموت بلا فوت وذلك فى الدار  
الآخرة بعد البعث

\* (سورة الصافات هى مائة وثنتان وثمانون آية وهى مكية) \*

(٦ فتح البيان ثامن) فاحوا نكم فى الدين وموالكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم  
وكان الله غفورا رحيم) يقول تعالى موثقا قبل المقصود المعنوى أمر معروف وحسبوا هو انه لا يكون للشخص الواحد قلبان  
فى جوفه ولا تصير زوجته التى يظاها منها بقوله أنت على كظها أى أماله كذلك لا يصير الذى ولد للرجل اذا تبناه فدعاها ابنه  
فقال ما جعل الله لرجل من قلوبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم كقوله عز وجل ما هن أمهاتهم ان  
أمهاتهم الا اللاتي ولدنهم الآية وقوله تعالى وما جعل أدعياءكم أبناءكم هذا هو المقصود بالثنى فانها نزلت فى شأن زيد بن حارثة

رضي الله عنه مولى النبي صلى الله عليه وسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبناه قبل النبوة فكان يقال له زيد بن محمد فاراد الله تعالى أن يقطع هذا الاطلاق وهذه النسبة بقوله تعالى وما جعل أديعياكم أبناءكم كما قال تعالى في أثناء السورة ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً وقال ههنا ذلكنكم قولكم يا فواهاكم يعني تبنيكم لهم قول لا يقتضى أن يكون ابناً حقيقياً فإنه مخلوق من صلب رجل آخر فيمكن أن يكون له أبوان كالأبوان أن يكون للبشر الواحد قلبان والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل (٤٢) قال سعيد بن جبير يقول الحق أى العدل وقال قتادة وهو يهدي السبيل

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر نابت الخفيف ويؤمنا بالصافات أخرجه النسائي والبيهقي في سننه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ يس والصافات يوم الجمعة ثم سأل الله أعطاه سؤاله أخرجه ابن أبي داود في فضائل القرآن وابن الجار في تاريخه وعنه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سأله لولده حضره وقت عند قدومهم عليه ان يقرأ عليهم شيئاً مما أنزل اليه قرأ والصافات صفا حتى بلغ رب المشارق والمغرب الحديث أخرجه أبو نعيم في الدلائل والسنن في الطيوريات

(بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا) الواو للقسمة والمقسمة بالملائكة والمراد بالصافات التي تصف في السماء من الملائكة كصفوف الخلق في الدنيا قاله ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وعن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قالوا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف أخرجه أبو داود وقيل انها تصف أجنحتها في الهواء واقفة فيه حتى يأمرها الله بما يريد وقال الحسن صفا كصفوفهم عند ربهم في صلاتهم وقيل المراد بالصافات هنا الطير كما في قوله أولم يروا الى الطير فوقهم صافات والاولى هو الاول والصف ترتيب الجمع على خط كما يصف في الصلاة وقيل الصافات جماعة الناس المؤمنين اذا قاموا صفافاً في الصلاة وفي الجهاد ذكره القشيري (قال اجرات زجراً) أى الفاعلات للزجر من الملائكة اما لانها تزجر السحاب كما قال السدي واما لانها تزجر عن المعاصى بالمواعظ والنصائح وقال قتادة المراد بالاجرات الزواجر من القرآن وهى كل ما ينهى ويرزح عن القبيح والاولى أولى وانتصاب صفا وزجر اعلى المصدرية لتأكيد ما قبلها وقيل المراد بالاجرات العلماء لانهم هم الذين يزجرون أهل المعاصى عن المعاصى والزجر فى الاصل الدفع بقوة وهو هنا قوة التصويت ومنه زجرت الابل والغنم اذا فزعها بصوتك (فالتاليات ذكراً) أى الملائكة التي تتلو القرآن كما قال ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وابن جبير والسدي وقيل المراد جبيل وحده فذكر بلفظ الجمع تعظيماً له مع انه لا يتناول من أتباعه من الملائكة وقال قتادة المراد كل من تلاذ كرا لله وكتبه وقيل المراد

أى الصراط المستقيم وقد ذكر غير واحد من هذه الآية نزلت في رجل من قريش كان يقال له ذو القليين وانه كان يزعم ان له قليين كل منهما يعذره فأنزل الله تعالى هذه الآية رداً عليه هكذا روى العوفي عن ابن عباس وقال له مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة واختاره ابن جرير وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن قابوس بن يعنى ابن أبي ظبيان قال ان أبا جده قال قلت لابن عباس أرايت قول الله تعالى ما جعل الله لرجل من قليين في جوفه ما عني بذلك قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بصلى فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا ترون له قليين قلباً معكم وقلبا معهم فأنزل الله تعالى ما جعل الله لرجل من قليين في جوفه وهكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن صاعد الجرائني عن عبد بن حميد وعن أحمد بن يونس كلاهما عن زهير وجواب معاوية به ثم قال وهذا حديث حسن وكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من

حديث زهير به وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري في قوله ما جعل الله لرجل من قليين في جوفه قال آيات بلغنا ان ذلك كان في زيد بن حارثة ضرب له مثل يقول ليس ابن رجل آخر ابنته وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد انها نزلت في زيد ابن حارثة رضي الله عنه وهذا يوافق ما قدمناه من التفسير والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله عز وجل ادعوهم لا بأبائهم هو أقسط عند الله هذا أمرنا نسخنا كان في ابتداء الاسلام من جزاء ادعاء الابناء الاجانب وهم الادعياء فأمر تبارك وتعالى بردنسبهم الى آبائهم في الحقيقة وان هذا هو العدل والقسط والبر قال البخاري رحمه الله حدثنا معلى بن أسد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن موسى



ابن عقبة قال حدثني سالم عن عبد الله بن عمر قال ان زيدا بن حارثة رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يدعو الا زيدا بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم لا بآبائهم هو اقسط عند الله واخرجه مسلم والترمذي والنسائي من طرق عن موسى بن عقبة به وقد كانوا يعاملونهم معاملة الابناء من كل وجه في الخلوة بالمحارم وغير ذلك ولهذا قالت سهلة بنت سهيل امرأة ابي حذيفة رضى الله عنها يا رسول الله انا كاندعوسا لما بناوا ان الله قد انزل ما انزل وانه كان يدخل على واني اجد في نفس ابي حذيفة من ذلك شيئا فقال صلى الله عليه وسلم ارضعهم تحرمي عليه الحديث ولهذا ما نسخ هذا (٤٣) الحكم ابا ح تبارك وتعالى زوجة الدعى

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وزوج زينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة رضى الله عنه وقال عز وجل لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وقال تبارك وتعالى في آية التحريم وحلائل ابناءكم الذين من اصلا بكم احتراما عن زوجة الدعى فانه ليس من الصلب فاما ابن الولد من الرضاة فقتل منزلة ابن الصلب شرعا بقوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين حرما من الرضاة ما يحرم من النسب فاما دعوة الغير ابناء على سهيل التكريم والتعيب فليس مما نهى عنه في هذه الآية بدليل ما رواه الامام احمد واهل السنن الا الترمذي من حديث سفیان الثوري عن سلمة بن كهيل عن الحسن العرني عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قدمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمت بنى عبد المطلب على بجرات لنا من جمع جعل بلطخ اخاذنا ويقول ابني لا ترموا بالحجرة حتى تطلع الشمس قال ابو عبيدة وغيره ابني تصغرا ابني وهذا ظاهر

آيات القرآن وصفها بالتلاوة وان كانت متلوة كافي قوله ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل وقيل لان بعضها يتلو بعضها ويتبعه وذكروا في ان التاليات هم الانبياء يتلون الذكرك على امهم وانتصاب ذكرا على انه مفعول به ويجوز ان يكون صدرا كما قيل في قوله الفاعل في قوله فالزاجرات فالتاليات اما لترتيب الصفات انفسها في الوجود او لترتيب موصوفاتها في الفضل وفي السكلى نظر (ان الهكلم لواحد) جواب القسم اى اقسم الله بهذه الاقسام انه واحد ليس له شريك وازال الكسائي فتح ان الواقعة في جواب القسم وانما اقسام هذه الاشياء للتنبية على شرف ذواتها وكال مراتبها والرعد على عبدة الاصنام في قولهم وللتا كيد لما تقدم لاسما والقرآن انزل بلغة العرب واثبات المطالب بالخلف واليمين طريقته ما لوقفة عندهم قال ابن الانبارى الوقف على لواحد وقف حسن ثم يتدنى (رب السموات والارض) على معنى هو ربهما وقيل غير ذلك والمعنى في الآية ان وجود هذه المخلوقات على هذا الشكل البديع من اوضح الدلائل على وجود الصانع وقدرته وانه رب ذلك كله اى خالقهم ومالكهم (وما بينهما) اى من المخلوقات والكائنات (ورب المشارق) أعاد الرب فيها لما فيها من غاية ظهور آثار الربوبية وتجدها كل يوم قيل أراد مشارق الكواكب والظواهر انما مشارق الشمس قيل ان الله خلق الشمس كل يوم مشرقا ومغربا بعدد ايام السنة تطلع كل يوم من واحد منها وتغرب في واحد كذا قال ابن الانبارى وابن عبد البر واما قوله في سورة الرحمن رب المشرقين ورب المغربين فالمراد بالمشرقين أقصى مطلع تطلع منه الشمس في الايام الطوال وأقصى يوم في الايام القصار وكذلك في المغربين واما ذكر المشرق والمغرب بالافراد فالمراد بهما الجهة التي تشرق منها الشمس والجهة التي تغرب فيها واقتصر على المشارق اكتفاء على حدس رايبيل تقيمكم الحرأى والمغرب للشمس ولم يعكس لان شروق الشمس سابق على غروبها وايضا فالشروق ابلغ في النعمة واكثر نفعا من الغروب فذكر المشرق تنبيها على كثرة احسان الله تعالى على عباده ولهذه الدقيقة استدلال ابراهيم عليه السلام بالمشرق فقال ان الله يأتى بالشمس من المشرق قال الكرخى وجمع هنا المشرق وحذف مقابله وشاء في الرحمن وجمعه في اعراب وافرد في المزمع مع ذكر مقابله في الثلاثة لان القرآن نزل على المعهود من اساليب كلام العرب وقنونه ومنها الاجمال والتفصيل والذكروا الحذف والتنمية والجمع والافراد

الدلالة فان هذا في حجة الوداع سنة عشر وقوله ادعوهم لا بآبائهم في شأن زيد بن حارثة رضى الله عنه وقد قتل في يوم موثة سنة ثمان وايضا في صحيح مسلم من حديث ابي عوانة الواضاح بن عبد الله اليشكري عن ابي عثمان البصرى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى ورواه ابو داود والترمذي وقوله عز وجل فان لم تعلموا آباءهم فاعوانكم في الدين ومواليكم امر تعالى برد انساب الادعياء الى آباءهم ان عرفوا فان لم يعرفوا فهم اخوانهم في الدين ومواليهم اى عوضا عما فاتهم من النسب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوم خرج من مكة عام عمرة القضاء وتبعتهم ابنة جزة رضى الله عنها

تنادى يا عم يا عم فأخذها على رضى الله عنه وقال لفاطمة رضى الله عنها وولدت ابنة عمك فأحتملتها فأخصم فيها على وزيد وجعفر رضى الله عنهم في أيهم يكن لها فكل أدلى بحجة فقال على رضى الله عنه أنا أحق بها وهي ابنة عمي وقال زيد ابنة أخي وقال جعفر ابن أبي طالب ابنة عمي وخالتها حتى يعنى أسماء بنت عميس فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخلة بمنزلة الام وقال لعلى رضى الله عنه أنت منى وأنامنك وقال جعفر رضى الله عنه أشبهت خلقى وخلقى وقال زيد رضى الله عنه أنت أخونا ومولانا ففي هذا الحديث أحكام كثيرة من أحسنها (٤٤) أنه صلى الله عليه وسلم حكم بالحق وأرضى كل من المتنازعين وقال زيد رضى

الله عنه أنت أخونا ومولانا كما قال تعالى فإخوانكم في الدين ومواليكم وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن ابن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال قال أبو بكر رضى الله عنه قال الله عز وجل ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آبائهم فإخوانكم في الدين ومواليكم فإن لم يعرفوا يعرفوا فإخوانكم في الدين قال النبي والله انى لأظنه انه لو علم ان أباه كان حجارا لا اتى اليه وقد جاء في الحديث (٣) من ادعى الى غير أبيه وهو يعلمه الا كفر وهذا تشديد وتهديد ووعد وكيد في التبرى من النسب المعلوم ولهذا قال عز وجل ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آبائهم فإخوانكم في الدين ومواليكم ثم قال تعالى وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به اى اذا نسبتهم بعضهم الى غير أبيه في الحقيقة خطأ بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع فان الله تعالى قد وضع الحرج في الخطأ ورفع اثمكم كما ارشد اليه في قوله تبارك وتعالى أمرا

عباده ان يقولوا ربنا لا تأخذنا ان نسينا واخطأنا وثبت في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا قال الله عز وجل قد فعلت وفي صحيح البخارى عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران وان اجتهد فخطأ فله اجر وفي الحديث الاخر ان الله تعالى رفع عن امتي الخطأ والتسيان والامر الذى يكرهون عليه وقال تبارك وتعالى ههنا وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً اى وانما الاثم على من تعمد الباطل كما قال عز وجل لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم الآية وفي الحديث المتقدم من ادعى الى غير (٣) قوله من ادعى الخ كذافي النسخ التى بأيدينا وحرر الرواية اه صححه

أبيه وهو يعلمه الا كفر وفي القرآن المنسوخ فان كفر بكم أن ترغبوا عن آباءكم قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنهم أنه قال ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل معه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرحمة فرحم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجنا بعده ثم قال قد كنا نقرأ ولا ترغبوا عن آباءكم فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آباءكم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تطروني كما تطروا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فاعلمنا عبد الله فقولوا عبده ورسوله وربما قال (٤٥) معمر كما أطرت النصارى ابن مريم ورواه

في الحديث الآخر ثلاث من الناس كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت والاستسقاء بالنجوم (الني أولي بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الارحام بعضهم أولي ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفسهوا إلى أوليائكم معروفان كان ذلك في ان كتاب مسطورا) قد علم الله تعالى شفقة رسوله صلى الله عليه وسلم على أمة ورضيخه لهم فجعله أولي بهم من أنفسهم وحكمه فيهم أنه كان مقدما على اختيارهم لانفسهم كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وفي الصحيح والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين وفي الصحيح أيضا ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله والله لانت أحب إلى من كل شيء الا من نفسي فقال صلى الله عليه وسلم لا يا عمر حتى أكون أحب اليك من نفسك فقال والله يا رسول الله لانت أحب

الذي يصابيح وجهنا هارجوما للشياطين (لا يسمعون إلى الملا الاعلى) مستأنفة لسان حالهم بعد حفظ السماء منهم وقال أبو حاتم أي لئلا يسهوا ثم حذف ان فرفع الفعل وكذا قال الكلبى قال النسفي وفيه تعسف يجب صون القرآن عن مثله فان كل واحد من الطرفين غير مردود على انفراده ولكن اجتماعهما منكر والفرق بين سمعت فلا ياتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه ان المعنى بنفسه يفيد الادراك والمعنى بالي يفيد الاصغاء مع الادراك انتهى والملا الاعلى أهل السماء الذين انما فوقها وسمى الكل منهم أعلى باضاتته إلى ملا الارض لانهم سكان السماء والضمير في يسمعون للشياطين وقيل ان جملة لا يسمعون صفة لكل شيطان وقيل جواب عن سؤال مقدر كأنه قيل فما حالهم بعد حفظ السماء عنهم فقال لا يسمعون إلى الملا الاعلى قرأ الجمهور بسكون السين وتخفيف الميم وقرى بتشديد هما والاصل يسمعون فالأولى تدل على انتفاء سماعهم دون استماعهم والثانية تدل على انتفاءهما وفي معنى الأولى قوله تعالى انهم عن السمع لم يعزولون قال مجاهد كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون واختار الثانية أبو عبيدة قال لان العرب لا تكاد تقول سمعت اليه وقول سمعت اليه وكان ابن عباس يقرأ مخففة وقال انهم كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون (ويقدفون من كل جانب دحورا) أي يرمون من كل جانب من جوانب السماء ونواحيها وجهاتها بالشهب اذا أرادوا الصعود لاستراق السمع والدحور الطرد تقول دحرت دحرا ودحورا طردته قرى يقدفون مبيد للمفعول وللفاعل وهى غير مطابقة لما هو المراد من النظم القرآنى وقيل دحورا أي مدحورين وقيل هو جمع داحر نحو قاعد وقعود فيكون حالا وقيل انه مصدر لمصدر رأى يدحرون دحورا وقال القراء ان المعنى يقدفون بما يدحرونهم أي بدحور ثم حذف الباء فاتصبت بنزع الخافض قرأ الجمهور دحورا بضم الدال وقرى بفتحها واختلف هل كان هذا الرمي لهم بالشهب قبل المبعث أو بعده فقال بالاول طائفة وبالآخر آخرون وقالت طائفة بالجمع بين القولين ان الشياطين لم تكن ترى قبل المبعث ربما يقطعها عن السمع ولكن كانت ترى وقتا ولا ترى وقتا آخر وترى من جانب ولا ترى من جانب آخر ثم بعد المبعث رميت في كل وقت ومن كل جانب حتى صارت لا تقدر على استماع شيء (ولهم عذاب واصب) أي دائم لا ينقطع والمراد به العذاب في الآخرة غير العذاب الذي لهم في الدنيا من

التي من كل شيء حتى من نفسي فقال صلى الله عليه وسلم الا نيا عمر ولهذا قال تعالى في هذه الآية النبي أولي بالمؤمنين من أنفسهم وقال البخارى عندها حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح حدثنا ابي عن هلال بن على عن عبد الرحمن بن ابي عمرة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولي بالمؤمنين من أنفسهم فاما مؤمن ترك ما لا يقر به عصبته من كانوا وان ترك دينا أو ضياعا فليأتني فانا مولاه تفرده البخارى ورواه أيضا في الاستقراض وابن جرير وابن أبي حاتم عن طريق عن فليح به مثله ورواه أحمد من حديث أبي حصين عن أبي صالح عن

ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله النبي اولى المؤمنين من انفسهم عن ابى سلمة عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول انا اولى بكل مؤمن من نفسه فاما رجل مات وترك ديناً فالى ومن ترك مالا فهو لورثته ورواه ابو داود عن احمد بن حنبل به نحوه وقوله تعالى وازواجه امهاتهم اى فى الحرمة والاحترام والتوقير والاكرام والاعظام ولكن لا تجوز الاخوة بين ولا يتشر التحريم الى بناتهم واخواتهن بالاجماع وان سمي

الرجى بالشهب وقال مقاتل يعنى دائماً الى النفخة الاولى والاولى وقذف جمهور المفسرين الى ان الواصب الدائم وقال السدى وأبو صالح والكبى هو الموجع الذى يصل وجعه الى القلب مأخوذ من الوصب أو الوصوب وهو المرض وقيل هو الشديد (الامن خطف الخطفة) الاستثناء هو من قوله لا يسعون أو من قوله ويقذفون وقيل الاستثناء راجع الى غير الوحي لقوله انهم عن السمع لم عزولون بل يخطف الواحد منهم خطفة مما يتفاض فيه الملائكة ويدور بينهم مما سيكون فى العالم قبل ان يعلمه أهل الارض والخطف الاختلاس مسارقة وأخذ الشئ بسرعة قرأ الجمهور خطف بفتح الخاء وكسر الطاء مخففة وقرئ بكسرهما وتشديد الطاء وهى لغة تميم بن مر بن بكر بن وائل وقرئ بفتح الخاء وكسر الطاء مشددة وقرأ ابن عباس بكسرهما مع تخفيف الطاء وقيل ان الاستثناء منقطع (فأتبعه) أى لحقه وتبعه (شهاب ناقب) أى نجم مضى أو مستوقد فيحرقه أو يقتله ويحمله ويربما لا يحرقه فيملق الى اخوانه ما خطفه وليست الشهب التى ترجم بها هى من الكواكب الثوابت بل من غير الثوابت وأصل الثقوب الاضاءة قال الكسائى ثقت النار ثقتب ثقابه اذا اتمتت وهذه الآية هى كقوله الامن استرق السمع فأتبعه شهاب ميين قال ابن عباس اذا رمى الشهاب لم يخطف من ربه به وتلا فأتبعه شهاب ناقب وقال لا يقتلون بالشهاب ولا يعمونون ولكنها تحرق وتخبل وتجرح غير قتيل قال سليمان الجمل قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز ان تنفصل منها شهابة يرمى بها الشيطان والكواكب باقية بحالها وهذا كمثل القبس الذى يؤخذ من النار وهى على حالها ويعود الشيطان مرة أخرى مع انه يعلم انه يصاب ولا يصل الى مقصوده رجاء نيل المطلوب وطمعة فى السلامة كراكب البحر فانه يشاهد الفرق احياً نالكن يعود الى ركو به رجاء السلامة ونيل المقصود (فاستفتهم) اى اسأل الكفار المنكرين للبعث (أهم أشد خلقاً) وأقوى اجساماً وأعظم أعضاء وأمتن بنية وأشق ايجاداً وأصعب خلقاً (أم من خلقنا) من السموات والارض والجبال والملائكة قال الزجاج المعنى فاسألهم سؤال تقرير أهم أحكام صنعة أم من خلقنا قلوبهم ممن قبلهم من الامم السالفة يريد انهم ليسوا باحكم خلقاً من غيرهم من الامم وقد أهلكهم بالكذب فما الذى يؤمنهم من العذاب قرئ أم من خلقنا بتشديد الميم وهى أم المتصلة عطفت من على هم وقرئ بتخفيفها وهو

فى المختصر وهو من باب اطلاق العبارة لا اثبات الحكم وهل يقال معاوية وامثاله خال المؤمنين فيه قولان للعلماء رضى الله عنهم ونص الشافعى رضى الله عنه على انه يقال ذلك وهل يقال له صلى الله عليه وسلم أبو المؤمنين فيدخل النساء فى جمع المذكر السالم تغليبا فيه قولان صح عن عائشة رضى الله عنها انها قالت لا يقال ذلك وهذا اصح الوجهين فى مذهب الشافعى رضى الله عنه وقد روى عن ابى بن كعب وابن عباس رضى الله عنهم انه ما قرأ النبى اولى المؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وروى نحوه هذا عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن وهو احد الوجهين فى مذهب الشافعى رضى الله عنه حكاه البغوى وغيره واستأنسوا عليه بالحديث الذى رواه ابو داود رحمه الله حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي حدثنا ابن المبارك عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن ابى صالح عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا لكم بمنزلة

الوالد اعلمكم فاذا اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه وكان يأمر بثلاثة اشجار وهو وينهى عن الروث والرمة واخرجه النساءى وابن ماجه من حديث ابن عجلان والوجه الثانى انه لا يقال ذلك واحتجوا بقوله تعالى ما كان محمد اباً احد من رجالكم وقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى حكم الله من المؤمنين والمهاجرين اى القرابات اولى بالتوارث من المهاجرين والانصار وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالخلف والمواخاة التى كانت بينهم كما قال ابن عباس وغيره كان المهاجرى يرث الانصارى دون قراباته وذوى رحمه للاخوة التى آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكذا قال سعيد بن جبير وغير واحد من السلف والخلف وقد ورد فيه ابن ابي حاتم حديثا عن الزبير بن العوام فقال حدثنا ابي  
حدثنا احمد بن ابي بكر المصعبى من ساكنى بغداد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن هشام بن عروة عن ابيه عن الزبير بن العوام رضى  
الله عنه قال انزل الله عز وجل فينا خاصة معشر قريش والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وذلك انامعشر قريش لما قدمنا  
المدينة قدمنا ولا أموال لنا فوجدنا الانصار من الاخوان فواخيذناهم ووارثناهم فآخى ابو بكر رضى الله عنه طارحة بن زيد وآخى  
عمر رضى الله عنه فلانا وآخى عثمان رضى الله عنه رجلا من بنى زريق بن سعد (٤٧) الزرقى ويقول بعض الناس غيره قال الزبير رضى  
الله عنه وواخت انا كعب بن مالك

(٣) فبنته خرفا فبنته فبنته  
فوجدت السلاح قد ثقله فيما يرى  
فوالله يا بنى لومات يومئذ عن الدنيا  
ما ورثه غيرى حتى انزل الله تعالى  
هذه الآية فينا معشر قريش  
والانصار خاصة فرجعنا الى  
موارثنا وقوله تعالى الا ان تفعلوا  
الى اولياتكم معروفا أى ذهب  
الميراث وبقى النصر والبر والصلوة  
والاحسان والوصية وقوله تعالى  
كان ذلك فى الكتاب مسطورا أى  
هذا الحكم وهو ان اولى الارحام  
بعضهم اولى ببعض حكم من الله  
مفسر مكتوب فى الكتاب الاول  
الذى لا يبدل ولا يغير قاله مجاهد  
 وغير واحد وان كان تعالى قد شرع  
خلافه فى وقت لما له فى ذلك من  
الحكمة البالغة وهو يعلم انه  
سينسخه الى ما هو جار فى قدره  
الازلى وقضائه القدرى الشرعى  
والله اعلم (واذا أخذنا من النبيين  
ميثاقهم ومنك ومن نوح و ابراهيم  
وموسى وعيسى بن مريم واخذنا  
منهم ميثاقا غليظا لسأل الصادقين  
عن صدقهم واعدا للكافرين عذابا

وهو استفهام ثان فالهمزة للاستفهام أيضا ومن مبتدأ وخبره محذوف اى الذين خلقناهم  
أشد فقه ما جعلتان مستقلتان وغلب من يعقل على غيره فلذلك أتى بمن قاله السمين  
وتكتب أم مفصولة من من فى هذا الموضع ثم ذكر خلق الانسان فقال (انا خلقناهم) اى  
فى ضمن خلق أيهم آدم (من طين لازب) اى لاصق يقال لزب يلزب لزو وبالذال الصق من باب  
دخل وقال قتادة وابن زيد اللازب اللاصق وقال عكرمة اللازب اللزج وقال سعيد  
ابن جبير اللازب الجيد الذى يلقى باليد وقال مجاهد هو اللازم والعرب تقول طين لازب  
ولازم تبدل الباء من الميم واللازم الثابت كما يقال صار الشئ ضربة لازب ومنه قول النابغة  
لا تحسبون الخير لا شربعه \* ولا تحسبون الشر ضربة لازب  
وحكى القراء عن العرب طين لاتب بمعنى لازم واللاتب الثابت قال الاصمعى واللاتب  
اللاصق مثل اللازب والمعنى فى الآية ان هؤلاء كف يستبعدون المعاد وهم مخلوقون من  
هذا الخلق الضعيف ولم ينكروهم من هو مخلوق خلقا أقوى منهم وأعظم وأكمل وأتم وقيل  
ان اللازب هو الممتن قاله مجاهد والضحاك قيل وقد قرئ لازم ولا تب ولا أدري من قرأ  
بذلك قال ابن عباس لازب ملتصق وقال اللزج الجيد وقال اللازب والحما والطين  
واحد كان أوله ترابا ثم صار طينا لا يزال خلق الله منه آدم وعن ابن مسعود  
اللازب الذى يلقى بعضه الى بعض والآية تشهد عليهم بالضعف لان ما يصنع من الطين  
غير موصوف بالصلابة والقوة واحتجاج عليهم بان الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب  
فن أين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أنذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده  
ما يتلوهم ذكر انكارهم البعث والغرض من هذا السياق اثبات المعاد والرد عليهم  
فى دعوى استحالة ثم ضرب سبحانه عن الكلام السابق فقال (بل عجب) يا محمد من  
قدرة الله سبحانه ومن تكذيبهم اياه قرأ الجمهور بفتح التاء من عجب على الخطاب للنبي  
صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ بضمها وقال القراء قرأها الناس بضم التاء ورفعها  
والرفع أحب الى لانها عن على وعبد الله وابن عباس قال والعجب ان أسند الى الله فليس  
معناه من الله كعنا من العباد قال الهروى قال بعض الأئمة معنى بل عجب بل جازيتهم  
على عجبهم لان الله أخبر عنهم فى غير موضع بالتعجب من الخلق كما قال وعجبوا أن جاءهم منذر  
منهم وقالوا ان هذا الشئ عجاب أكان للناس عجايبا ان أوحينا الى رجل منهم وقال على

أليها) يقول تعالى مخبرا عن أولى العزم الخمسة وبقصة الانبياء انه أخذ عليهم العهد والميثاق فى اقامة دين الله تعالى وابلغ  
رسالته والتعاون والتناصر والاتفاق كما قال تعالى واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق  
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتهم وأخذتهم على ذلكم اصرى قالوا أقررتنا قال فاشهدوا وانامعكم من الشاهدين فهذا  
العهد والميثاق أخذ عليهم بعد ارسالهم وكذلك هذا ونص من بينهم على هؤلاء الخمسة وهم اولو العزم وهو من باب عطف الخاص  
على العام وقد صرح بذلكهم أيضا فى هذه الآية وفى قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الذى أوحينا اليك وما وصىنا به  
(٣) قوله فبنته خرفا فبنته الخ هكذا فى الاصل وسر الرواية اه معصمه

ابراهيم وموسى وعيسى ان اقموا الدين ولا تتقروا فيه فذكر الطرفين والوسط الفاتح والخاتم ومن بينهما على الترتيب فهذه هي  
 الوصية التي اخذ عليهم الميثاق بها كما قال تعالى واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح و ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم  
 قبدأ في هذه الآية بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم قال ابن حاتم حدثنا ابو زرعة  
 الدمشقي حدثنا محمد بن بكار حدثنا سعيد بن بشير حدثني قتادة عن الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 في قول الله تعالى واذا اخذنا من النبيين (٤٨) ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم كنت اول النبيين

في الخلق و آخرهم في المبعث فبدأ في  
 قبلهم سعيد بن بشير فيه ضعف وقد  
 رواه سعيد بن ابي عمرو بن قتادة  
 مرسل وهو أشبه ورواه بهضهم  
 عن قتادة موقوفا والله أعلم وقال  
 أبو بكر البزار حدثنا عمر بن علي  
 حدثنا أبو أحمد حدثنا حجة الزيات  
 حدثنا عدى بن ثابت عن ابي حازم  
 عن ابي هريرة رضي الله عنه قال  
 خيار ولد آدم خمسة نوح و ابراهيم  
 وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله  
 وسلامه عليهم اجمعين وخبرهم محمد  
 صلى الله عليه وسلم موقوف وجزء فيه  
 ضعف وقد قيل ان المراد بهذا الميثاق  
 الذي اخذ منهم حين اخرجوا  
 في صورة الذر من صلب آدم عليه  
 الصلاة والسلام كما قال أبو جعفر  
 الرازي عن الربيع بن أنس عن ابي  
 العالية عن ابي بن كعب قال ورفع  
 أباهم آدم فنظر اليهم بعين ذريته  
 وان فيهم الغنى واقبقر وحسن  
 الصورة ودون ذلك فقال رب لو  
 سويت بين عبادك فقال اني احببت  
 ان أشكر وأرى فيهم الانبياء مثل  
 السرج عليهم النور وخصوصا ميثاق  
 آخر من الرسالة والنسوة وهو الذي  
 يقول الله تعالى واذا اخذنا من

ابن سليمان معنى القراءتين واحد والتقدير قل يا محمد بل عجب لان النبي صلى الله عليه  
 وآله وسلم مخاطب بالقرآن قال النحاس وهذا قول حسن واضمار القول كثير وقيل  
 ان معنى الاخبار من الله سبحانه عن نفسه بالعجب انه ظهر من أمره وسخطه على من كفر  
 به ما يقوم مقام العجب من الخلق قال الهروي ويقال معنى عجب ربكم أي رضى ربكم  
 وأثاب فسماه عجا وليس بعجب في الحقيقة فيكون معنى عجب هنا عظم فعلهم عندي  
 وحكي النقاش ان معنى بل عجب بل أنكرت قال الحسن بن الفضل التعجب من الله  
 انكار الشيء وتعظيمه وهو لغة العرب وقيل معناه الانكار والذم وسئل الجنيد رجه  
 الله عن هذه الآية فقال ان الله لا يعجب من شيء ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال  
 وان تعجب فعجب قولهم أي هو كما تقوله وقيل معناه انه بلغ في كمال قدرته وكثرة مخلوقاته الى  
 حيث عجب منها (و) هو لا بل لهم (يستخرون) منها والاول للعال أي والحال انهم يستخرون  
 اول الاستئناف والمعنى ويستخرون منك بسبب تعجبك أو بما تقوله من اثبات المعاد  
 (واذا ذكروا الايدى كرون) أي واذا وعظوا بعظمة من مواضع الله أو مواضع رسوله  
 لا يتعظون بها ولا ينتفعون بما فيها قال سعيد بن المسيب أي اذا ذكر لهم ما حل بالمكذبين  
 ممن كان قبلهم أعرضوا عنه ولم يتدبروا (واذا رآوا آية) أي معجزة من معجزات رسول الله  
 صلى الله عليه وآله وسلم كأنشق القمر (يستخرون) أي يبالغون في السخرية قال  
 قتادة يستخرون ويقولون انها سخرية يقال سخر واستخبر بمعنى مثل قر واستقر وعجب  
 واستعجب والاول أولى لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى وقيل المعنى يستدعون  
 السخري من غيرهم وقال مجاهد يستهزؤن (وقالوا ان هذا الاسخريمين) أي ما هذا  
 الذي تأتينا به الاسخري واضح ظاهر (أندامتنا وكأثر ابوابنا وعظامنا مثل المبعوثون) الاستفهام  
 للانكار أي أتبعنا اذا امتنا فالعامل في اذا هو ما دل عليه أئنا المبعوثون وهو أتبعنا لانفس  
 مبعوثون لتوسط ما يمنع من عله فيه فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا  
 الهمزة مبالغتي الانكار وأشعار بان المبعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحالة أشد  
 استنكارا وهذا الانكار للمبعث منهم هو السبب الذي لاجله كذبوا الرسل وما نزل عليهم  
 واستهزؤا بما جاؤا به من المعجزات وقد تقدم تفسير معنى هذه الآية في مواضع (أواباونا  
 الاولون) هو مبتدأ وخبره محذوف أي أباؤنا الاولون مبعوثون يعنون انهم أقدم فبعثهم

النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح و ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وهذا قول مجاهد أيضا وقال ابن عباس الميثاق أبعد  
 الغليظ العهد وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال مجاهد المبلغين المؤدين عن الرسل وقوله تعالى وأعدد للكافرين  
 أي من أجمعهم عذابا أليما أي موجعا فخص شهدان الرسل قد بلغوا رسالات ربهم ونصحو الامم وأفصحوا لهم عن الحق المبين الواضح  
 الجلي الذي لا لبس فيه ولا شك ولا امتراء وان كذبهم من كذبهم من الجهلة والمعاندين والمارقين والقاسطين فاجامت به الرسل هو الحق  
 ومن خالفهم فهو على الضلال (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحا و جنود الم ترها

وكان الله بما عملون بصيرا اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذا غابت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا  
 يقول تعالى محجرا عن نعمته وفضله واحسانه الى عباده المؤمنين في صرفه اعداءهم وهزمه اياهم عام تألبوا عليهم وتحزبوا وذلك عام  
 الخندق وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور وقال موسى بن عقبه وغيره كان في سنة اربع وكان بسبب قدوم  
 الاحزاب ان نفر من اشرف يهود بني النضير الذين كانوا قد اجدوا جلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى خيبر منهم سلام  
 ابن ابي الحقيق وسلام بن مسكهم وكانه بن الربيع خرجوا الى مكة (٤٩) فاجتمعوا باشراف قريش واليهوهم على

حرب النبي صلى الله عليه وسلم  
 ووعدهوهم من انفسهم النصر والاعانة  
 فاجابوهم الى ذلك ثم خرجوا الى  
 غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم  
 ايضا وخرجت قريش في احيائها  
 ومن تابعها وقائدهم ابوسفيان  
 صخر بن حرب وعلى غطفان عيينة  
 ابن حصن بن بدر والجميع قريب من  
 عشرة آلاف فلما سمع رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم بمسيرهم امر  
 المسلمين بحفر الخندق حول المدينة  
 مما يلي الشرق وذلك باشارة سلمان  
 الفارسي رضي الله عنه فعمل  
 المسلمون فيه واجتهدوا ونقل  
 معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 التراب وحفر وكان في حفره ذلك  
 آيات بنات ودلائل واضحات وجاء  
 المشركون فنزلوا شرقي المدينة  
 قريبا من احدونزات طائفة منهم  
 في اعالي ارض المدينة كما قال الله  
 تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن  
 اسفل منكم وخرج رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ومن معه من  
 المسلمين وهم نحو من ثلاثة آلاف  
 وقيل سبعمائة فاسندوا ظهورهم  
 الى سلع ووجوههم الى نحو العدو

أبعدوا بطل وقيل معطوف على ان واسمه او قيل على الضم في مبعوثون لوقوع الفصل  
 بينهما والهمزة للانكار داخله على حرف العطف ولهذا قرأ الجمهور بفتح الواو وقرأ  
 بسكونها على ان وهي العاطفة وليست الهمزة للاستفهام ثم امر الله سبحانه رسوله بان  
 يجيب عنهم تبكيته لهم فقال (قل نعم) كلكم مبعوثون (وانتم داخرون) اى صاغرون  
 ذليلون والخطاب لهم ولا بآتهم بطريق التغليب والجملة حل من فاعل ما دل عليه نعم قال  
 الواحدى والدخورا شد الصغار ثم ذكر سبحانه ان بعثهم يقع بزجره واحدة فقال (فانما) اى  
 اذا كان الامر كذلك فانما (هى زجرة واحدة) اولاً تستصعبوه فانما هى زجرة واحدة  
 والضمير للقصة أو البعثة المفهومة مما قبلها اى انما قصة البعث أو البعثة صحيحة واحدة من  
 اسرافيل بنفخه في الصور عند البعث وقال الحسن هى النفخة الثانية وسميت الصحيحة  
 زجرة لان المقصود منها الزجر من قولك زجر الراعى الابل أو الغنم اذا صاح عليها (فاذا هم)  
 احياء بصراء (يتظرون) اى يصرون سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يفعل الله بهم من  
 العذاب والاول اولى (وقالوا) اى قال أولئك المبعوثون لما علموا ان البعث الذى كانوا  
 يكذبون به فى الدنيا (ياويلنا) دعوا بالويل على انفسهم قال الزجاج الويل كلمة يقولها  
 القائل وقت الهلكة وقال الفراء ان أصله ياويل لنا ووى بمعنى الحزن كانه قال يا حزن لنا قال  
 النحاس ولو كان كما قال لكان منفصلا وهو فى المصحف متصل ولا نعلم احدا يكتبه الامتصلا  
 والوقف هنا تام لان ما بعده كلام مستقل وجمله (هذا يوم الدين) تعليل لدعائهم بالويل على  
 انفسهم والدين الجزاء فكانهم قالوا هذا اليوم الذى تجازى فيه باعمالنا من الكفر  
 والتكذيب للرسول فاجابتهم الملائكة بقولهم (هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون)  
 ويجوز ان يكون هذا من قول بعضهم لبعض والفصل الحكم والقضاء لانه ينصل فيه بين  
 المحسن والمسيء (احشروا الذين ظلموا) هو امر من الله سبحانه للملائكة ان يحشروا  
 المشركين (وأزواجهم) وهم أشباههم فى الشرك والتابعون لهم فى الكفر والمشايعون  
 لهم فى تكذيب الرسل كذا قال قتادة وأبو العالية وقال الحسن ومجاهد المراد بازواجهم  
 نسأؤهم المشركات الموافقات لهم على الكفر والظلم وقال الضحالك أزواجهم قرناؤهم  
 من الشياطين يحشركل كافر مع شيطانه وبه قال مقاتل قال ابن عباس تقول الملائكة  
 للزانية هذا القول أو خطاب من بعضهم لبعض يحشرك الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل

(٧ فتح البيان ثامن) والخندق حفير ليس فيه ماء بينهم وبينهم يحجب الخيالة والرجال ان تصل اليهم وجعل النساء  
 والذراري فى أطام المدينة وكانت بنو قريظة وهم طائفة من اليهود لهم حصن شرقى المدينة ولهم عهد من النبي صلى الله عليه وسلم  
 وذمة وهم قريب من ثمانمائة مقاتل فذهب اليهم حبي بن أخطب النضرى فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد ومال الاحزاب عنى رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم فغضبوا واشتد الامر وضاق الحال كما قال الله تبارك وتعالى هنالك ابلى المؤمنون وزلزلوا زلازا شديدا  
 ومكثوا محاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قريبا من شهر الا انهم لا يصلون اليهم ولم يقع بينهم قتال الا ان عمرو بن عبد

وذا العامرى وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في الجاهلية ركب ومعه فوارس فاقتحموا الخندق وخلصوا الى ناحية المسلمين فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيل المسلمين اليه فيقال انه لم يبرز اليه احد فامر عمار بنى الله عنه فخرج اليه فقتلوا ساعة ثم قتله على رضى الله عنه فكان علامة على النصر ثم ارسل الله عز وجل على الاحزاب ريحا شديدة الهبوب قوية حتى لم يبق لهم خيمة ولا شئ ولا توذ لهم نار ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين كما قال الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فارس فلما علمهم (٥٠) ريحا وجنودا قال مجاهد وهى الصبا ويؤيده الحديث الاخر نصرت بالصبا

من الموقف الى الجحيم وعن عمر بن الخطاب قال أمنالهم الذين هم مثلهم يحبى أصحاب الربا مع أصحاب الربا وأصحاب الزنا مع أصحاب الزنا وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر وأزواج في الجنة وأزواج في النار وعن ابن عباس أيضا قال أشبه باهمهم وفي لفظ نظر أو هم أى من العصاة عابد الصنم مع عبدة الاصنام وعابد الكوكب مع عبدة الكواكب كقوله وكنتم أزواجاً ثلاثه ولا مانع من جعل الآية على الجميع (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الاصنام والسياطين ونحوها وهذا العموم المستفاد من الموصولة فانها عبارة عن المعبودين لاعتن العابدين كما قيل مخصوص لان من طوائف الكفار من عبد المسيح ومنهم من عبد الملائكة فيخبرون بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ووجه حشر الاصنام مع كونها اجسادات لا تعقل هو زيادة التبيكيت لعابديها وتجليلهم واظهار انها لا تنفع ولا تضر وقيل الموصول عبارة عن المشركين خاصة تجر به لتعليل الحكم بما فى حين صلته فلا عموم ولا تخصيص (فأهدوهم الى صراط الجحيم) أى عرفوا هؤلاء المشركين طريق النار وسوقوهم اليها يقال هديته الطريق وهديته اليها أى دللته عليها وفي هذا تكلم بهم وقال ابن عباس وجهوهم ودلوهم الى طريق النار (وقفوهم) أى احبسوهم فى الموقف يقال وقفت الدابة اقفها ووقفا فوقفت هى وقفا وتعدى ولا يتعدى وهذا الحس لهم يكون قبل السوق الى جهنم أى وقفوهم للحساب ثم سوقوهم الى النار بعد ذلك كان الملائكة سارعوا الى ما أمر وا به من حشرهم الى الجحيم فامر وا بذلك (انهم مسؤولون) لتعليل الجملة الاولى أى ذلك ليس للعفو عنهم ولا يستترى بحوا بتأخير العذاب فى الجملة بل ليسئلو المكن لان عن عقابئهم وأعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله الا ترى ما لكم بطريق التهم والتوبيخ قال الكلبي أى مسؤولون عن أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم أى جميعها وقال الضحاك عن خطاياهم وقيل عن لاله الا الله وقيل عن ظلم العباد وقال ابن عباس احبسوهم انهم محبوسون وأخرج البخارى فى تاريخه والدارى والترمذى وابن جرير والحاكم وغيرهم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من داع دعا الى شئ الا كان موقوفا معه يوم القيامة لازمابه لا يفارقه وان دعا رجلا رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤولون وعن ابن هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تزول قدمنا عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع

وأهلكت عاد بالبور وقال ابن جرير حدثني محمد بن المثنى حدثنا عبد الاعلى حدثنا داود عن عكرمة قال قالت الجنوب للشمال ليله الاحزاب انطلق تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تنسرى بالليل قال فكأت الريح التى أرسلت عليهم الصبا ور واها ابن أبى حاتم عن أبى سعيد الأشج عن حفص بن غياث عن داود عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم اذ ذكره وقال ابن جرير أيضا حدثنا يونس حدثنا ابن وهب حدثني عبد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم ما قال أرسلنى خالى عثمان بن مظعون رضى الله عنه ليله الخندق فى برد شديد وريح الى المدينة فقال اتنا بطعام ولحاف قال فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لى وقال من أتيت من أصحابي فروهم يرجعوا قال فذهبت والريح تسنى كل شئ فبعلت لألنى أحد الأمرته بالرجوع الى النسبى صلى الله عليه وسلم قال فما يلوى أحد منهم عنقه قال وكان معى ترس لى

فكأنت الريح تنضربه على وكان فيه حديد قال فضرته الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفى فانقذها عن الارض وقوله وجنود الم تر وهاهم الملائكة زلزلتهم وألقت فى قلوبهم الرعب والخوف فكان رئيس كل قبيلة يقول يا بنى فلان الى فيجتمعون اليه فيقول النجاء النجاء ألم ألقى الله عز وجل فى قلوبهم من الرعب وقال محمد بن اسحق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان رضى الله عنه يا أبا عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه يومه قال نعم يا ابن ابي قال وكيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الارض



ولجئنا على أعناقنا قال قال حديثه رضي الله عنه يا ابن أخي والله لو رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يامن الليل ثم التفت فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم بشرط له النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع أدخله الله الجنة قال فاقام رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يامن الليل ثم التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع بشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة أسأل الله تعالى ان يكون رفيقي (٥١) في الجنة فاقام رجل من القوم من شدة الخوف

وشدة الجوع وشدة البرد فلم يقيم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بدمن القيام حين دعاني فقال صلى الله عليه وسلم يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا قال فذهبت ودخلت في القوم والريح وجنود الله عز وجل تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قرارا ولا نارا ولا بناء فقام أبو سفيان فقال يا معشر قريش لينظر كل امرئ من جلسه قال حذيفة رضي الله عنه فاخذت بيد الرجل الذي الى جنبي فقلت من أنت فقال أنا فلان بن فلان ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما تزون والله ما نطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فاني مررت حل ثم قام الى جله وهو معقول فجلس عليه ثم ضرب به فوثب به على ثلاث فاطلق عقله الا وهو قائم ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الي أن لا تحدث شيئا حتى تأتيني

عن عمره فيما افناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أفنقه وعن جسمه فيما أبلاه وفي رواية عن شيبه فيما أبلاه أخرجه الترمذي (مالككم لاتنصرون) اي اي شيء لكم لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا وتأخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تحيز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ حينئذ أشد وقعا وتأثرا وأصل تنصرون تنصرون فطرح احدى التائبين تخفيفا وقيل الاشارة بقوله مالككم الى قول أبي جهل يوم بدر نحن جميع منتصر ثم أضرب سبحانه عما تقدم الى بيان الحالة التي هم عليها هنالك فقال (بل هم اليوم مستسلمون) اي منقادون لعجزهم عن الحيلة قال قتادة مستسلمون خاضعون في عذاب الله وقال الاخفش ملقون بأيديهم يقال استسلم للشئ اذا انقاد له وخضع (وأقبل بعضهم) اي بعض الكفار (على بعض يتساءلون) اي يتسألون ويتخاصمون قيل هم الاتباع والرؤساء يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة قال ابن عباس ذلك اذا بعثوا في النخبة الثانية وقال مجاهد هو قول الكفار للشياطين وقال قتادة هو قول الانس للجن والاول اولى لقوله (قالوا انكم تأتوننا) في الدنيا (عن اليمين) اي من جهة الحق والدين والطاعة وتصدوننا عنها قال الزجاج كنتم تأتوننا من قبل الدين فترونا ان الدين والحق ما تفضلونا به واليمين عبارة عن الحق وهذا كقوله تعالى اخبارا عن ابليس ثم لا تبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيانهم قال الواحدى قال أهل المعاني ان الرؤساء كانوا اقد حلفوا لهؤلاء الاتباع ان ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بايمانهم فعنى تأتوننا عن اليمين اي من ناحية الايمان التي كنتم تحلفونها فوثقنا بها قال والمفسرون على القول الاول وقيل المعنى تأتوننا عن اليمين التي نحبها ونفضلها بها نتغرونا بذلك عن جهة النصيح والعرب تفعل بما جاء عن اليمين وتسميه السائح وقيل اليمين بمعنى القوة أي تمنعونا بقوة وغلبة وقهر كما في قوله فراغ عليهم ضربا باليمين أي بالقوة وهذه الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر وكذلك جملة (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) اي قال الرؤساء والشياطين لهؤلاء القائلين كنتم تأتوننا عن اليمين بل لم تكونوا مؤمنين ولم تمنعكم من الايمان والمعنى انكم لم تكونوا مؤمنين قط حتى ننقلكم عن الايمان الى الكفر بل كنتم من الاصل على الكفر فاقتم عليه اجابوا جوبة تخسة الاول بل لم تكونوا الخ والثاني قوله (وما كان لنا عليكم من

لوشئت لقتلته بسهم قال حذيفة رضي الله عنه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نساءه مر رجل فلما رأني أدخلني بين رجله وطرح على طرف المرط ثم ركع وسجد وانى فقيه فلما سلم أخبرته الخبر وسعت عطفان بما فعلت قريش فاستمر وارجعين الى بلادهم وقدر واه مسلم في صحبته من حديث الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال كنا عند حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فقال له رجل لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت معموأ بليت فقال له حذيفة أنت كنت تفعل ذلك لتدرا يتنامع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاحزاب في ليلة ذات برد شديد وقرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا الرجل يأتي

بجبر القوم يكون معي يوم القيامة فلم يجبه منا أحد ثم الثانية ثم الثالثة ثم قال صلى الله عليه وسلم يا حذيفة قم فأتنا بجزير من القوم فلم أجدها اذ دعاني باسمي ان أقوم فقال اتيتي بجزير القوم ولا تذعرهم على قال فضيت كأنما مشى في حمام حتى أتيتهم فاذا أبو سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهماني كمد قوسي وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذعرهم على ولو رميته لاصبته قال فرجعت كأنما مشى في حمام فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أصابني البرد حين فرغت وقررت فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبسني (٥٢) من فضل هناة كانت عليه يصلي فيها فلم أزل نائمًا حتى الصبح فلما ان

أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم بانومان ورواه يونس ابن بكير عن هشام بن سعد عن زيد ابن أسلم قال ان رجلا قال لحذيفة رضي الله عنه نشكوا الى الله سبحانه رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم أدركتموه ولم ندره ورايتوه ولم نره فقال حذيفة رضي الله عنه ونحن نشكوا الى الله ايمانكم به ولم نره والله لا تدري يا ابن أخي لو أدركته كيف كنت تكون لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الخندق في ليلة باردة مطيرة ثم ذكر نحو ما تقدم مطولا وروي بلال بن يحيى العباسي عن حذيفة رضي الله عنه نحو ذلك أيضا وقد أخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل من حديث عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي عن عبد العزيز بن أخي حذيفة قال ذكر حذيفة رضي الله عنه مشاهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جلساؤه أما والله لو شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا فقال حذيفة لا تخشوا ذلك لقد رأيتنا ليلة الاحزاب ونحن صافون قعودا وأبو

سفيان ومن معه من الاحزاب فوقنا وقرية اليهود أسفل منا تخافهم على ذرارينا وما أتت علينا قط أشد ظلمة صدقهم ولا أشد ريحًا في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه فجعل المنافقون يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة فما يستأذنه أحد منهم الا أنله ويأذن لهم فيتسللون ونحن ثلثمائة أو نحو ذلك اذا استقبلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا رجلا حتى أتى على وما على جنة من العدو ولا من البرد الا مرأتى ما يجاوز ركبتي قال فانانى صلى الله عليه وسلم واناجث على ركبتي فقال من هذا فقلت حذيفة قال حذيفة فقاصرت الارض فقلت بلى يا رسول

سلطان) اى قوة وقدرة وتسلط بقهر وغلبة حتى ندخلكم في الكفر ونخر حكمكم من الايمان والثالث قوله (بل كنتم قومًا طاعينين) اى متجاوزين الحد في الكفر والضلال والرابع قوله (حق علينا) اى وجب علينا وعليكم ولزمننا (قول ربنا) يعنون قوله تعالى لا ملأن جهم منكم ومن تبعك منهم أجمعين (انا) جميعا (لذا تقولون) العذاب الذى ورد به الوعيد قال الزجاج اى ان المضل والضال في النار الخامس (فأغويناكم) اى أضلناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كلفه من الغي وزيينا لكم ما كنتم عليه من الكفر فاستجبتم لنا باختياركم واستجاب لكم الغي على الرشد (انا كنا عاوين) فلا عتب علينا فى تعرضنا لاغوائكم بتلك الدعوة لانا أردنا أن تكونوا امثالنا فى الغواية ومعنى الآية أقدمنا على اغوائكم لانا كنا موصوفين فى انفسنا بالغواية فافروا ههنا بانهم تسبوا لاغوائهم لكن لا بطريق القهر والغلبة ونفوعنا انفسهم فيما سبق أنهم قهروهم وغلبوهم فقالوا وما كان لنا عليكم من سلطان ثم اخبر الله سبحانه عن الاتباع والتبوعين بقوله (فانهم يومئذ) اى يوم اذ يتساءلون ويتحاورون ويتخاصمون بما سبق (فى العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين فى الغواية (انا كذلك نفعل بالجحريمين) اى باهل الاجرام وهم المشركون كما يفيد قوله سبحانه (انهم كانوا اذا قيل لهم) قولوا (لا اله الا الله يستكبرون) عن القبول واخرج ابن جرير وابن ابى حاتم وابن مردويه والبيهقي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله وأتى الله فى كتابه وذكر قوما استكبروا فقال انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وقال اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وهى لا اله الا الله محمد رسول الله استكبر عنها المشركون يوم الحديبية يوم كاتبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قضية المدعة عن ابن عباس قال كانوا اذا لم يشركوا بالله يستنكفون (ويقولون أنما اتاركوها أهتنا للشاعر) اى لقول شاعر (مجنون) لا يعقل يعنون النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكفى الله سبحانه صدقه ورد عليهم بقوله (بل جاء بالحق) يعنى القرآن المشتمل على التوحيد والوعود والوعيد (وصدق المرسلين) اى

الله كراهية ان اقوم ففتمت فقال انه كائن في القوم خبر فأتى بخبر القوم قال وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدهم قرأ قال فخرجت  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال فوالله  
ما خلق الله تعالى فزعاً ولا قرأ في جوفى الا خرج من جوفى فما أجد فيه شيئاً قال فلما وليت قال صلى الله عليه وسلم يا حذيفة لا تتحدثن  
في القوم شيئاً حتى تأتيني قال فخرجت حتى اذ انوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقد فاذا رجل أدهم ضخم يقول بيده  
على النار ويسمع خاصرته ويقول الرحيل الرحيل ولم أكن أعرف (٥٣) أباسفيان قبل ذلك فانتزعت سهماً من كنانتي

أبيض الريش فاضعه في كبدي  
فوسى لارسه به في ضوء النار فذكرت  
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لا تتحدثن فيهم شيئاً حتى تأتيني قال  
فامسكت ورددت سهمي الى كنانتي  
ثم اتى شجعت نفسي حتى دخلت  
العسكر فاذا أدنى الناس مني بنو  
عامر يقولون يا آل عامر الرحيل  
الرحيل لا مقام لكم واذا الرياح  
في عسكرهم ماتجا وز عسكرهم  
شبر افوالله اني لاسمع صوت الحجارة  
في رحالهم ورشهم الرياح تضربهم  
بها ثم خرجت نحو النبي صلى الله  
عليه وسلم فلما انتصفت في الطريق  
أوتسحوا من ذلك اذا أنا بنحوم من  
عشرين فارساً أو نحو ذلك معتمين  
فقالوا أخبر صاحبك ان الله تعالى  
كفاه القوم فرجعت الى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وهو مشتمل في  
شمله يصلي فوالله ما عدا أن رجعت  
راجعي القرو جعلت اقرقب فاولماً  
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بيده وهو يصلي فدنوت منه فاسبل  
على شمله وكان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم اذا حزبه أمر صلى فاخبرته  
خبر القوم وأخبرته اني تركتهم  
يرحلون وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فارس لما علمهم ريحاً و جنود التمر وهاو كان الله  
بما تعملون بصيراً وأخرج أبو داود في سننه منه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر صلى من حديث عكرمة بن عمار به  
وقوله تعالى اذ جاءكم من فوقكم أي الاحزاب ومن أسفل منكم تقدم عن حذيفة رضي الله عنه انهم بنو قريظة واذا زاعجت  
الابصار وبلغت القلوب الحناجر أي من شدة الخوف والفرع وتظنون بالله الظنون قال ابن جرير بن بعض من كان مع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ان الدائرة على المؤمنين وان الله سيفعل ذلك وقال محمد بن اسحق في قوله تعالى واذا زاعجت الابصار وبلغت

صدقهم فيما جاؤا به من التوحيد والوعيد واثبات الدار الآخرة ولم يخالفهم ولا جاء بشيء  
لم تأت به الرسل قبله (انكم) بسبب شرككم وتكذيبكم (لذا اتقوا العذاب الاليم) أي  
الشديد وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب لانه يهاكم كمال الغضب عليهم قرأ الجمهور لاذ اتقوا  
بجذف النون وحذف العذاب وقرئ بجذفها ونصب العذاب وأجاز سيبويه أيضاً  
والمقبى الصلاة بنصب الصلاة على هذا التوجيه وقد قرئ باثبات النون ونصب العذاب  
على الاصل ثم بين سبحانه ان ما ذاقوه من العذاب ليس الاسباب أعمالهم فقال (وما  
تجزون الا) جزء (ما) أو بما (كنتم تعملون) من الكفر والمعاصي ثم استثنى المؤمنين فقال  
(الاعباد الله المخلصين) قرأ أهل المدينة والكوفة بفتح اللام أي الذين أخلصهم الله لطاعته  
وتوحيده وقرئ بكسرهما أي الذين اخلصوا الله العبادة والتوحيد والاستثناء امام متصل  
على تقدير تعميم الخطاب في تجزون لجميع المكلفين أو منقطع أي لكن عباد الله المخلصين  
لا يذوقون العذاب (أو لئلك) المخلصون (لهم رزق) يرزقهم الله اياه (معلوم) في حسن  
منظره وطيبه ولذته ورائحته وطعمه وعدم انقطاعه قال قتادة يعني الجنة وقيل معلوم  
الوقت وهو ان يعطوا منه بكرة وعشياً كما في قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً والنفس  
اليه أسكن وقيل معلوم خصائصه من الدوام وتحض اللذة وقيل معلوم القدر الذي  
يستحقونه باعمالهم من ثواب الله تعالى وقيل هو المذكور في قوله بعده (فواكه) فانه  
بديل من رزق أو هو فواكه وهذا هو الظاهر والقوا كجوع فاكهة وهي الثمار كلها رطبها  
ويابسها وخصص القوا كمال ذلك لان رزاق أهل الجنة كلها فواكه كذا قيل والاولى ان  
يقال ان تخصيصها بالذكر لانها أطيب ما يأكونه والذمات شتمية أنفسهم وقيل ان  
القوا كمن اتباع سائر الاطعمة فذكرا يغنى عن ذكر غيرها (وهم مكرمون) في محل  
نصب على الحال أي ولهم من الله عز وجل اكرام عظيم يرفع درجاتهم عنده وسماع كلامه  
واقائه في الجنة أو مكرمون في نيل ثواب يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق  
الذي قرئ مكرمون بتخفيف الراء وتشديدها (في جنات النعيم على سرر متقابلين)  
قال عكرمة ومجاهد معنى التقابل انه لا ينظر بعضهم في قفا بعضهم تواصلاً وتحاباً وقيل  
انها تدور بهم الاسرة كيف شاءوا فلا يرى بعضهم قفا بعض قرأ الجمهور سرر بضم الراء  
وقرئ بفتحها وهي لغة بعض تميم قيل على سرر مكاله بالدر والياقوت والزبرجد والسرير

القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون اظن المؤمنون كل ظن ونعيم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف كان محمد بعدنا أن نأكل كوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر على ان يذهب الى الغائط وقال الحسن في قوله عز وجل وتظنون بالله الظنونا ظنون مختلفة ظن المنافقون ان محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه يستأصلون وأيقن المؤمنون ان ما وعد الله ورسوله حتى وان سظهروه على الدين كله ولو كره المشركون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عاصم الانصاري حدثنا أبو عامر سرح وحديثنا بن حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا الزبير يعني (٥٤) ابن عبد الله مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه عن ربيع بن عبد الرحمن

ما بين صنعاء الى الجابية وما بين عدن الى ايلة وقيل تدور باهل المنزل الواحد والله أعلم ذكره القرطبي ثم ذكر سبحانه صفة أخرى لهم فقال (يطاف عليهم بكأس) مستأنفة جواب سؤال مقدر وفي محل نصب على الحال والكأس عند أهل اللغة ما كان من الزجاج وهو اسم شامل لكل اناء فيه الشراب فان كان فارغا فليس بكأس وقد تسمى الخمر نفسها كأسا تسمية للشئ باسم محله قال الشاعر

وكأسا شربت على لذة \* وأخرى تداويت منها بها

وقال الضحاك والسدي كل كأس في القرآن فهي الخمر قال النحاس وحكي من يوثق به من أهل اللغة ان العرب تقول للقدح اذا كان فيه خمر كأسا فاذا لم يكن فيه خمر فهو قدح كما يقال للخوان اذا كان فيه طعام مائدة فاذا لم يكن عليه طعام لم يقل له مائدة (من معين) صفة لكأس قال الزجاج أى من خمر تجرى كما تجرى العيون على وجه الارض ظاهرة تراها العيون والمعين الماء الجارى وقوله (بيضاء لشاربين) صفتان لكأس قال الزجاج أى ذات لذة مخدفة المضاف ويجوز ان يكون الوصف بالمصدر لتقصيد المبالغة في كونها لذة ولا يحتاج الى تقدير المضاف قال الحسن خمر الخنة أشد بيضا من اللبن له لذة لذيدة يقال شراب لذون لذيد كما يقال نبات غض وغضيض واللذيد كل شئ مستطاب وقيل البيضا هى التى لم تعتصرها الرجال ثم وصف هذه الكأس من الخمر بغير ما يتصف به خمر الدنيا فقال (لا فيها غول) أى لا تغتال عقولهم فتذهب بها ولا يصيبهم منها مرض ولا صداع قال الفراء العرب تقول ليس فيها غيلة ونعائله وغول سواء وقال أبو عبيدة الغول ان تغتال عقولهم وقال الواحدى الغول حقيقته الاهلاك يقال غاله غولا وغتاله أى أهلكه والغول كل ما غتالك أى أهلكك ومنه الغول بالضم شئ توهمته العرب ولها فيه أشعار كالعنقاء (ولاهم عنها ينزفون) أى يسكرون يقال نزف الشارب فهو منزوف ونزيف اذا سكر قرأ الجمهور ينزفون مبنيا للمفعول وقرئ بضم الياء وكسر الزاى من أنزف الرجل اذا ذهب عقله من السكر فهو نزيف ومنزوف ومنزف يقال أحصد الزرع اذا آن حصاده واقطف السكر اذا حان قطافه قال الفراء من كسر الزاى فله معنيان يقال أنزف الرجل اذا فنت خمره وأنزف اذا ذهب عقله من السكر وتحمل هذه القراءة على معنى لا ينفد شرابهم لزيادة القائدة قال النحاس والقراءة الاولى أبين وأصح فى المعنى

ابن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد رضى الله عنه قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شئ نقول فقد بلغت القلوب الحناجر قال صلى الله عليه وسلم نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال فضرب وجوه أعدائه بالريح فهزهم بالريح وكذا رواه الامام احمد بن حنبل عن أبي عامر العقدي (هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلازلا شديدا واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان يئوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا) يقول تعالى محبرا عن ذلك الحال حين نزلت الاحزاب حول المدينة والمسلمون محصورون فى غاية الجهد والضيق ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم انهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا زلا شديدا فحينئذ ظهر النفاق وتكلم الذين فى قلوبهم مرض بما فى أنفسهم واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم

مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ما المنافق فنجيم نفاقه والذى فى قلبه شبهة أو حسكة تضعف حاله فتتنفس بما لا يجد من الوسواس فى نفسه لضعف ايمانه وشدة ما هو فيه من ضيق الحال وقوم آخرون قالوا كما قال الله تعالى واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب يعنى المدينة كما جاء فى الصحيح أريت فى المنام دار هجرتك أرض بين حرتين فذهب وهلى انها هجر فاذا هى يثرب وفى لفظ المدينة فاما الحديث الذى رواه الامام احمد حدثنا ابراهيم بن مهدي حدثنا صالح بن عمر عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن البراء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمى المدينة يثرب فليست غنم الله تعالى انما هى طابطة

تفرد به الامام أحمد وفي اسناده ضعف والله أعلم ويقال انما كان أصل تسميتها يرب برجل نزلها من العماليق يقال له يرب بن عبيد  
ابن مهلايل بن عوص بن عملاق بن لاذ بن آدم بن سام بن نوح قاله السهيلي قال ورى عن بعضهم انه قال ان لها في التوراة أحد  
عشر اسما المدينة وطابة وطيبسة والجليلة والخابرة والمحبة والمحبوبة والقاصمة والمجبورة والعدراة والمرحومة وعن  
كعب الاحبار قال انما نجد في التوراة يقول الله تعالى للمدينة قاطبة ويا طابة ويا مسكينة لا تبتي الكنوز ارفع اجارك على اجابر  
القرى وقوله لا مقام لكم أي ههنا يعنون عند النبي صلى الله عليه وسلم في مقام (٥٥) المرابطة فارجعوا أي الى بيوتكم

ومنازلكم ويستأذن فريق منهم  
النبي قال العوفي عن ابن عباس  
رضي الله عنهما هم بنو حارثة قالوا  
بيوتنا تخاف عليها السرق وكذا  
قال غير واحد وكذا ابن اسحق ان  
القائل ذلك هو أوس بن قيطي  
يعنى اعتذروا في الرجوع الى  
منازلهم بانها عورة أي ليس دونها  
ما يحجبها من العدو فهم يخشون  
عليها منهم قال الله تعالى وما هي  
بعورة أي ليس كما يزعمون ان يريدون  
الافرار أي هربا من الزحف (ولو  
دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا  
القتلة لا توها وما تلبسوا بها الا يسيرا  
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل  
لا يولون الا دبارا وكان عهد الله  
مسؤلا قل لن ينفعكم الفرار  
فررت من الموت او القتل واذا  
لا تمتعون الا قليلا قل من ذا الذي  
يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا  
او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من  
دون الله وليا ولا نصيرا) يخبر تعالى  
عن هؤلاء الذين يقولون ان بيوتنا  
عورة وما هي بعورة ان يريدون  
الافرار انهم لو دخل عليهم الاعداء  
من كل جانب من جوانب المدينة

لان معنى ينفون عند جهور المفسرين لا تذهب عقولهم فنفي الله سبحانه عن خمر الجنة  
الاتات التي تلحق في الدنيا من خمرها من الصداع والسكر وقال الزجاج وأبو علي  
الفارسي معنى لا ينفون بكسر الزاي لا يسكرون قال المهدي لا يكون معنى ينفون  
يسكرون لان قبله لا فيها غول أي لا تغتال عقولهم فيكون تكريرا وهذا يقوى ما قاله  
قتادة ان الغول وجع البطن وكذا روى ابن أبي شبيب عن مجاهد وقال الحسن ان الغول  
الصداع وبه قال ابن عباس وقال ابن كيسان هو المغص فيكون معنى الآية لا يكون فيها  
نوع من انواع الفساد المصاحبة لشرب الخمر في الدنيا من مغص أو وجع بطن أو صداع  
أو عريضة أو لغو أو تأثيم ولا هم يسكرون منها ويؤيدها ان أصل الغول الفساد الذي  
يلحق في خفاء يقال اغتاله اذا فسد عليه أمره في خفية ومنه الغول والغيلة القتل  
خفية وقرئ ينفون بفتح الياء وكسر الزاي وقرئ بفتح الياء وضم الزاي عن ابن عباس  
قال في الخمر أربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فتره الله خمر الجنة عنها فقال  
لا فيها غول أي لا تغول عقولهم من السكر ولا هم عنها ينفون قال لا يقيمون عنها كما بقى  
صاحب خمر الدنيا عنها وعنه قال هي الخمر ليس فيها وجع بطن قال في النهرد كرا ولا  
الرزق وهو ما تلذذه الاجسام وثانيا الاكرام وهو ما تلذذه النفوس ثم ذكر المحل الذي  
هم فيه وهو جنات النعيم ثم أشرف المحل وهو السرور ثم لذة التأنس بان بعضهم مقابل  
بعضا وهو أتم السرور وانسه ثم المشروب وانهم لا يتناولون ذلك بأنفسهم بل يطاف عليهم  
بالكؤس ثم ووصف ما يطاف عليهم به من الطيب واتقانا المقاسد ثم ذكر نعم النعمة  
الجسمانية وختم بها كما بدأ بالذمة الجسمانية من الرزق وهي أبلغ المسالذ وهي التأنس  
بالنساء فقال (وعندهم قاصرات الطرف) أي نساء حاسبات الاعين غاضات العيون  
قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم والقصر معناه الحبس وقيل القاصرات  
المحبوسات على أزواجهن والاول أولى لانه قال قاصرات الطرف ولم يقل مقصورات  
(عين) أي عظام العيون جمع عيناء وهي الواسعة العين والذكر أعين قال الزجاج معنى  
عين كبار العين حسنها وقال مجاهد العين حسان العيون عظام المقلة وقيل مجل العيون  
بضم النون جمع نجلاء وهي التي اتسع شقها ساعة غير مفرطة وقال الحسن هن الشديديات  
بياض العين الشديديات سوادها والاول أولى (كأنهن بيض) جمع بيضة وهو معروف

وقطر من اقطارها ثم سئلوا الفتنة وهي الدخول في الكفر والكفر واسر يعاوهم لا يحافظون على الايمان ولا يستمسكون به مع أدنى  
خوف وفزع هكذا فسره قتادة وعبد الرحمن بن زيد وابن جرير وهذا لم يرد في غاية الذم ثم قال تعاني يذكرهم بما كانوا عاهدوا  
الله من قبل هذا الخوف ان لا يولوا الا دبارا ولا يفرون من الزحف وكان عهد الله مسؤلا أي وان الله تعالى سيسألهم عن ذلك  
العهد لا بد من ذلك ثم أخبرهم ان فرارهم لا يؤخر آجالهم ولا يطول أعمارهم بل ربما كان ذلك سببا في تعجيل أخذهم غرة ولهذا  
قال تعالى واذا لا تمتعون الا قليلا أي بعد هربكم وفراركم قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ثم قال تعالى قل من ذا الذي

يعصمكم من الله أي يمنعكم أن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجردون لهم من دون الله ولا يولوا نصيراً أي ليس لهم ولا غيرهم من دون الله بحير ولا مغيب (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم لهم الدنيا ولا يؤتون الأساس الا قليلاً أشح عليكم فإذا جاء الخوف رأيتم ينظرون اليك تدوراً عينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداداً شحاً على الخير أولئك لم يؤمنوا فاحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً) يخبر تعالى عن احاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب والقائلين لاخوانهم أي اصحابهم وعشائرهم (٥٦) وخطأهم لهم الدنيا أي ما نحن فيه من الاقامة في الظلال والثمار وهم

(مكنون) أي مصون مستور من كنته اذا جعلته في كن قال الحسن وابن زيد شهن بيض النعام تكنها النعامة بالريش من الريح والغبار فلو نه أبيض في صفرة وهو أحسن ألوان النساء عند العرب والأفاحسها عند العجم والروم الأبيض المشرب بحمرة وقال سعيد بن جبيرة والسدي شبهه من يطن البيض قبل ان يقشر وتسمه الأيدي وبه قال ابن جرير قال المبرد وتقول العرب اذا وصفت الشيء بالحسن والنظافة كأنه بيض النعام المغطى بالريش وقيل المكنون المصون عن الكسر أي انهن عذاري وقيل المراد بالبيض اللؤلؤ كما في قوله وحور عين كما مثال اللؤلؤ المكنون والاولى وأما قال مكنون ولم يقل مكنونات لانه وصف البيض باعتبار اللفظ وعن ابن عباس في قوله كأنهن بيض مكنون قال اللؤلؤ المكنون وعنه قال يياض البيضة ينزع عنها فوفها وغشاؤها (فأقبل بعضهم على بعض) يعني أهل الجنة في الجنة (يتساءلون) أي يسأل هذا ذلك وذلك هذا حال شربهم عن أحوالهم التي كانت في الدنيا وما جرى لهم وما عملوه وذلك من تمام نعيم الجنة والتقدير فيقبل بعضهم على بعض وانما عبر عنه بالماضي للتأكيد والدلالة على تحقق وقوعه قبل المعنى بشرى بون ويتحادثون على الشراب كعادة الشراب قال الشاعر فباقيت من اللذات الا \* أحاديث الكرام على المدام

(قال قائل منهم) أي من أهل الجنة في حال اقبال بعضهم على بعض بالحديث وسؤال بعضهم لبعض (انني كان لي قرين) أي صاحب ملازم لي في الدنيا كافر بالبعث منكره قيل كان قرينه شيطاناً وقيل كان من الانس وقيل كان أخوين وقيل كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه هوذا وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة الكهف في قوله واضرب لهم مثلاً رجلين واول اولى (يقول لي) (أنتك لمن المصدقين) بالبعث والجزاء وهذا الاستفهام من القرين لتوب بجزء ذلك المؤمن وتبكيته بإيمانه وتصديقه بما وعد الله به من البعث وكان هذا القول منه في الدنيا قرأ الجمهور مصدقين بتحقيق الصادق التصديق أي لمن المصدقين بالبعث وقرئ بتشديدها ولا أدري من قرأها ومعناها بعيد لانها من التصديق لامن التصديق ويمكن تأويلها بأنه انكر عليه التصديق بما له لطلب الثواب وعلل ذلك باستبعاد البعث ثم ذكر ما يدل على الاستبعاد للبعث عنده وفي زعمه فقال (انذا امتنا وكاترا باوعظا ما أئنا لمدنيون) أي الجزيون بأعمالنا

مع ذلك لا يؤتون الأساس الا قليلاً أشح عليكم أي بخلاف المودة والشفقة عليكم وقال السدي أشح عليكم أي في الغنائم فاذا جاء الخوف رأيتم ينظرون اليك تدوراً عينهم كالذي يغشى عليه من الموت أي من شدة خوفه وجزعه وهكذا خوف هؤلاء الجناء من القتال فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداداً أي فاذا كان الأمن تكلموا كلاماً بليغاً فصيحاً لبادعوا لانفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة وهم يكذبون في ذلك وقال ابن عباس رضي الله عنهما سلقوكم أي استقبلوكم وقال قتادة أما عند الغنمية فأشح قوم وأسوأهم مقاسمة أعطونا فأعطونا قد شهدنا معكم واما عند البأس فأجبن قوم وأخذلة للحق وهم مع ذلك أشح على الخير أي ليس فيهم خير قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير فيهم كما قال في امثالهم الشاعر افي السلم اعيار جفاء وغلظة

وفي الحرب امثال النساء العواتك أي في حال المسالمة كأنهم الحر

والاعيار جمع غير وهو الجار وفي الحرب كأنهم النساء الحيض ولهذا قال تعالى أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً أي سهل حينئذ (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم يادون في الاعراب يسألون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما فاتوا الا قليلاً) وهذا ايضا من صفاتهم القبيحة في الجبن والخوف يحسبون الاحزاب لم يذهبوا بل هم قريب منهم وان لهم عودة اليهم وان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم يادون في الاعراب يسألون عن انبائكم أي يودون اذا جاءت الاحزاب انهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة بل في البادية يسألون عن أخباركم وما كان من أمركم مع

عدوكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا اي ولو كانوا بين اظهركم لما قاتلوا معكم الا قليلا لكثرة جنيتهم وذلتهم وضعف يقينهم والله سبحانه وتعالى العالم بهم (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولم يرأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما) هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانظاره (٥٧) الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه

علمه دائما الى يوم الدين ولهذا قال تعالى للذين تفرقوا وطمعوا واظطربوا في أمرهم يوم الاحزاب لقد ركان لكم في رسول الله أسوة حسنة أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشماله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ثم قال تعالى محسبا عن عباده المؤمنين المصدقين بعوود الله لهم وجعله العاقبة حاصلة لهم في الدنيا والآخرة فقال تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة يعنون قوله تعالى في سورة البقرة أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب أي هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب ولهذا قال تعالى وصدق الله ورسوله وقوله تعالى وما زادهم

ومحاسبون بهم بعد ان صرنا نرا ابا وعظاما وقيل معنى مدينون مسوسون يقال دانته اذا ساسه وقد اختلف القراء في هذه الاستفهامات الثلاثة فقرأت الاولى والثانية بالاستفهام بهمزة والناسبة بكسر الالف من غير الاستفهام ووافقه الكسائي الا انه يستفهم الثالثة بهمزتين وابن عامر الاولى والثالثة بهمزتين والثانية بكسر الالف من غير استفهام والباقيون بالاستفهام في جميعها ثم اختلفوا في كثير يستفهم بهمزة واحدة غير مطولة وبعده ساكنة خفيفة وابو عمرو مطولة وعاصم وحزرة بهمزتين (قال هل انتم مطلعون) القائل هو المؤمن الذي في الجنة بعدما حكى جلسائه فيها ما قاله له قرينه في الدنيا اي هل انتم يا اخواني مطلعون الى اهل النار لا يكم ذلك القرين الذي قال لي تلك المقالة كيف منزلته في النار فيقول اهل الجنة أنت أعرف به منا قال ابن الاعراب والاستفهام هو بمعنى الامر أي اطعوا وقيل القائل هو الله سبحانه وقيل الملائكة والاولى أولى قرأ الجمهور مطلعون بتشديد الطاء مفتوحة وبفتح النون فاطلع ماضيا مبنيا للفاعل من الطلوع وقرأ ابن عباس ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو ومطلعون بسكون الطاء وفتح النون فاطلع بقطع الهمزة مضمومة وكسر اللام ماضيا مبنيا للمفعول وقرئ مطلعون بتخفيف الطاء وكسر النون فاطلع مبنيا للمفعول وأنكرها أبو حاتم وغيره قال النحاس هي لمن لانه لا يجوز الجمع بين النون والاضافة ولو كان مضافا لقال هل انتم مطلعي وان كان سيبويه والقراء قد حكوا مثله ولكنه شاذ خارج عن كلام العرب (فاطلع فراه في سوا الخيم) أي فاطلع ذلك المؤمن على النار الذي صار يحدث أصحابه في الجنة بما قال له قرينه في الدنيا فرأى قرينه في وسط الخيم وقال الزجاج سوا كل شيء وسطه قال النحاس فاطلع فيه قولان أحدهما ان يكون فعلا مستقبلا أي فاطلع أي أنا والثاني ان يكون فعلا ماضيا أي المؤمن قال ابن مسعود في الآية اطلع ثم التفت الى أصحابه فقال لقد رأيت جاجم القوم تغلي قال ابن عباس ان في الجنة كوى ينظر منها أهلها الى النار جمع كوة وهي الثقب في الحائط وهي بفتح الكاف وضمة هاء وفي الجمع وجهان كسرهما وضمة الكن مع الكسر يصح المد والقصر ومع الضم يعين القصر (قال ذلك الذي من أهل الجنة لما اطلع على قرينه ورآه في النار) (تالله ان كدت لتردين) أي لتهلكني بالاعواء وفيه معنى التمجيب قال الكسائي الردى الهلاك قال المبرد لو قيل لتردين لتوقعني في النار

(٨ فتح البيان ثامن) الايمان وتسليما دليل على زيادة الايمان وقوته بالنسبة الى الناس وأحوالهم كما قال جمهور الأئمة انه يزيد وينقص وقد قررنا ذلك في أول شرح البخاري والله الحمد والمنة ومعنى قوله جللت عظمته وما زادهم أي ذلك الحال والاضيق والسدة الايمان بالله وتسليما أي انقياد الاوامر وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان عفورا رحيفا) لما ذكر عز وجل عن المنافقين انهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا الله لا يولون الا دبارا وصف المؤمنين بانهم

استروا على العهد والميثاق وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه قال بعضهم أصله وقال البخاري عهده وهو يرجع الى الاول ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا أي وما غيروا عهد الله ولا تقضوه ولا بدلوه قال البخاري حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال لما نسخنا المصحف فقدت آية من سورة الاحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها لم أجدها مع أحد الا مع خزيم بن ثابت الانصاري رضى الله عنه الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين من المؤمنين (٥٨) رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه انفرد به البخاري دون مسلم وأخرجه أحمد في

مسنده والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح وقال البخاري أيضا حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري حدثني أبي عن ثمامة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر رضى الله عنه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية انفرد به البخاري من هذا الوجه ولكن له شواهد من طرق آخر قال الامام احمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال قال انس بن النضر رضى الله عنه سميت به لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فشق عليه وقال اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه لئن أرا في الله تعالى مشهدا فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله عز وجل ما صنع قال فهاب ان يقول غير هافش هدمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فاستقبل سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال له انس رضى الله عنه

لكان جائزا قال مقاتل المعنى والله لقد كدت أن تغويني فانزل منزلتك والمعنى متقارب فمن أعوى انسا فان فقد أهلكه (ولو لا نعمة ربي) أي رحته وانعامه على الاسلام وهدايتي الى الحق وعصمتي عن الضلال (لكنت) معد في النار (من المخضرين) قال الماوردي ولا يستعمل أحضر الا في الشر ولما تم كلامه مع ذلك القرين الذي هو في النار عاد الى مخاطبة جلسائه من أهل الجنة فقال (أفما نحن بميتين) الهمزة للاستفهام التقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على محذوف كما في نظائره أي أفما نحن بميتون منعمون فاشحن بميتين وقرأ زيد بن علي بماتين قال ابن عباس في الآية قول الله لاهل الجنة كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون قال هنيئا أي لا تموتون فيها فعند ذلك قالوا أفما نحن بميتين الى قوله الفوز العظيم وقيل هذا السؤال من أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت وقيل من قولهم تو بيا للكفار لما كانوا ينكرونه من البعث وانه ليس الا الموت في الدنيا والاول اولى (الاموتنا الاولى) التي كانت في الدنيا وقوله هذا كان على طريقة الابتهاج والسرور بما أنعم الله عليهم من نعيم الجنة الذي لا ينقطع وانهم محذون لا يموتون أبدا والاستثناء مفرغ وقيل منقطع بمعنى لكن (وما نحن بمعذبين) كما يعذب الكفار ثم قال مشيرا الى ما هم فيه من النعيم (ان هذا) الامر العظيم والنعيم المقيم والخلود الدائم الذي نحن فيه (لهو الفوز العظيم) الذي لا يقادر قدره ولا يمكن الاطاعة بوصفه (لمثل) أي لنيل مثل (هذا) العطاء والفضل العظيم (فليعمل العاملون) فان هذه هي التجارة الرابحة لا العمل للدنيا الزائلة وخطوطها المشوبة بالآلام السريعة الانصرام فانها صفة خاسرة فعيها منقطع وخيرها زائل وصاحبها عن قريب منها راحل وهذا من تمام كلامه وقيل ان هذا من قول الله سبحانه قاله ابن عباس وقيل من قول الملائكة والاول اولى وأخرج ابن مردويه عن البراء بن عازب قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يدي فرأى جنازة فأسرع المشي حتى أتى القبر ثم جئنا على ركبتيه فجعل يبكي حتى بل الثرى ثم قال لمثل هذا فليعمل العاملون وأخرج ابن مردويه عن انس قال دخلت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم على مريض فيجود بنفسه فقال لمثل هذا فليعمل العاملون (أذلك) الذي ذكره من نعيم الجنة وهو مبتدأ وخبره (خير) و(نزلا) تمييز والنزل في أصل اللغة الفضل والربح فاستعير للمعاني من الشيء والرزق

يا أبا عمرو والى ابن واها لربح الجنة انى اجده دون أحد قال فقالت لهم حتى قتل رضى الله عنه قال فوجدني جسده الذي بضع عثمانون من ضربة وطعنة ورمية فقالت اخته عمى الربيع ابنة النضر فاعرفت اخي الابنانه قال فنزلت هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا قال فكانوا يرون انها نزلت فيه وفي أصحابه رضى الله عنهم ورواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة به ورواه النسائي أيضا وابن جرير من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن انس رضى الله عنه به نحوه وقال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا يزيد بن هرون حدثنا احمد بن



انس رضى الله عنه قال ان عمه يعنى انس بن النضر رضى الله عنه غاب عن قتال بدر فقال غبت عن اول قتال فاتله رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين لئن شهدنى الله عز وجل قتالا للمشركين ليرين الله تعالى ما صنع قال فلما كان يوم احد انكشف المسلمون فقال اللهم انى اعدت لك هذا يا يعنى اصحابه و ابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم فلقية سعد يعنى ابن معاذ رضى الله عنه دون احد فقال انامعك قال سعد رضى الله عنه فلم استطع ان اصنع ما صنع فلما قتل قال فوجدي فيه بضع وثمانون ضربة سيف و طعنة رمح و رمية سهم وكانوا يقولون فيه وفي اصحابه (٥٩) نزلت ففمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر

واخرجه الترمذى فى التفسير عن عبد بن حميد والنسائى فيه ايضاً عن اسحق بن ابراهيم كلاهما عن يزيد بن هرون به وقال الترمذى حسن وقد رواه البخارى فى المغازى عن حسان بن حسان عن محمد بن طلحة عن مصرف عن حميد عن انس رضى الله عنه به ولم يذكر نزول الآية ورواه ابن جرير من حديث المعتمر بن سليمان عن حميد عن انس رضى الله عنه به وقال ابن ابى حاتم حدثنا احمد بن الفضل العسقلانى حدثنا سليمان بن ايوب بن سليمان حدثنا عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثني ابي عن جدي عن موسى بن طلحة عن ابيه طلحة رضى الله عنه قال لما ان رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من احد سعد المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه وعزى المسلمين بما اصابهم واخبرهم بما لهم فيه من الاجر والذخر ثم قرأ هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ففمنهم من قضى نحبه الآية كلها فقام اليه رجل من المسلمين فقال يا رسول الله من هؤلاء فاقلت

الذى يصلح ان ينزلوا معه و يقيموا فيه والخيرة بالنسبة الى ما اختاره الكفار على غيره والمعنى قل يا محمد لتقومك على سبيل التوب و التمسك والتكلم بذلك الرزق المعلوم الذى حاصله الازفة والسرو و خبز زولا (أم شجرة الزقوم) أى التى حاصلها الالم والغم قال الزجاج المعنى اذ ذلك خبرى فى باب الانزال التى يقون بها نزل الام نزل اهل النار وهو الزقوم وهو ما يكره تناوله قال الواحدى وهو شئ مترك به يكره اهل النار على تناوله فهم يتزقونه فهى على هذا مشتقة من التزقم وهو البلع على جهل كراهتها وتنها واختلاف فيها اهل هى من شجر الدنيا التى تعرفها العرب ام لا على قولين احدهما انها معروفة من شجر الدنيا فقال قطرب انها شجرة حمرة كريمة الرائحة تكون بهامة من اخشب الشجر وقال غيره بل هو كل نبات قاتل وقيل شجرة مسمومة متى مست جسداً احد تورم فمات والاضافة من اضافة المسمى الى الاسم القول الثانى انها غير معروفة فى شجر الدنيا وقيل انه قال ابن الزبير لصناديد قريش ان محمداً يخوفنا بالزقوم وهى بالسان بر الزيدو الترو قيل هى بلغة اهل اليمن قال قتادة لما ذكر الله هذه الشجرة اذ فتن بها الظلمة فقالوا كيف تكون فى النار شجرة قاتل الله تعالى (انا جعلناها قسنة للظالمين) قال الزجاج اى حين اقتنوا بها وكذبوا بوجودها ولم يعلموا ان من يقدر على خلق حيوان وهو السمندل يعيش فى النار ويتلذذ بها يقدر على خاق الشجر فى النار وحفظه منها وقيل معنى جعلها قسنة لهم انها سخنة لهم لكونهم يعذبون بها والمراد بالظالمين هنا الكفار وأهل المعاصى الموجهة للنار ثم بين سبحانه اوصاف هذه الشجرة رد على منكرها فقال (انها شجرة تخرج) أى تبتت (فى أصل الجحيم) أى فى قعرها وأسفلها قال الحسن أصلها فى قعر جهنم وأغصانها ترفع الى دركاتها تخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال مر أبو جهل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو جالس فلما بعد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اولى لك فأولى ثم اولى لك فأولى فلما سمع أبو جهل قال من توعد يا محمد قال اياك قال لم توعدنى قال أوعدك بالعزير الكريم فقال أبو جهل أليس أنا العزير الكريم فانزل الله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم الى قوله ذق انك أنت العزير الكريم فلما بلغ أبو جهل ما نزل فيه جمع اصحابه فأخرج اليهم زبدا وترا فقال تزقوا من هذا فوالله ما يتوعدكم محمد الا بهذا فانزل الله انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم الآية وعنه قال لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت الى الارض لافسدت على الناس معاشهم ثم قال الله

وعلى ثوبان أخضران حضر ميان فقال أيها السائل هذا منهم وكذا رواه ابن جرير من حديث سليمان بن ايوب الطلمى به وأخرجه الترمذى فى التفسير والمناقب ايضاً وابن جرير من حديث يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى ابني طلحة عن ابيهما رضى الله عنه به وقال حسن غريب لا تعرفه الا من حديث يونس وقال ايضاً حدثنا احمد بن عصام الانصارى حدثنا أبو عامر يعنى العقدي حدثني اسحق يعنى ابن طلحة بن عبيد الله عن موسى بن طلحة قال دخلت على معاوية رضى الله عنه فلما خرجت دعاني فقال الأضع عندك يا ابن أخي حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

طلحة عن قضي نخبه ورواه ابن جرير حدثنا أبو بكر بن محمد بن عبد الجسد الجاني عن اسحق بن يحيى بن طلحة الطلحي عن موسى بن طلحة قال قام معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه فقال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة عن قضي نخبه ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى فمنهم من قضى نخبه يعنى موته على الصدق والوفاء ومنهم من ينتظر الموت على مثل ذلك ومنهم من لم يدل تبديلا وكذا قال قتادة وابن زيد وقال بعضهم نخبه نذره وقوله تعالى وما (٦٠) بدلو اتبديلا أى وما غير واعهدهم وبدلوا الوفاء بالعدول استمروا على ما عاهدوا

تعالى (طلعها) الطلع حقيقة اسم لثمر الخمل أول بروزه فاطلاقه على ثمر هذه الشجرة مجاز بالاستعارة والمعنى ثمرها وما تحمله (كأنه) فى تناهى قبضه وهوله وشئ مناعة منظره (رؤس الشياطين) فشبها المحسوس بالمتخيل وان كان غير مرئى للدلالة على انه غاية فى القبح كما يقولون فى تشبيهه من يستحقونه كأنه شيطان وفى تشبيهه من يستحسنونه كأنه ملك كما فى قوله تعالى ما هذا بشر ان هذا الا لك كريم قال الزجاج والفراء الشياطين حيات هائلة لها رؤس وأطراف وهى من أقبج الحيات وأخبثها وأخفها جسمها وقيل ان رؤس الشياطين اسم لنبت قبيح معروف باليمن يقال له الاستن ويقال له الشيطان قال النحاس وليس ذلك معروفا عند العرب وقيل هو شجر رخشن منتمن من منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين وقيل هو شجر يقال له الصرم فعلى هذا قد خوطب العرب بما تعرفه وهذه الشجرة موجودة فالكلام حقيقة وقيل انه خاطبهم بما ألفوه من الاستعارات (فأنهم لا يكون) لشدة وجوعهم وألقهرهم على الاكل (منها) أى من الشجرة أو من طلعها والتأنيث لاكتساب الطلع التأنيث من اضافته الى الشجرة (فالتلون منها البطون) وذلك انهم يكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم فهذا طعامهم وفا كهتم بدليل رزق أهل الجنة (ثم ان لهم عليها) أى على الشجرة بعد الاكل منها (لشوبا من حميم) الشوب الخلط قال الفراء يقال شاب طعامه وشرا به اذا خلطه ما بشئ يشوبه شوبا وشيا به وقال ابن عباس شوبا من أى يخالط طعامهم ويشاب بالحميم وهو الماء الحار فأخبر الله سبحانه أنه يشاب لهم طعامهم من تلك الشجرة بالماء الحار ليكون أقطع لعذابهم وأشنع لحالهم كما فى قوله وسقوا ماء حميم فقطع أمعاءهم قرأ الجمهور بفتح الشين وهو مصدر وقرأ شيبان النحوى بالضم قال الزجاج المفتوح مصدر والمضموم اسم بمعنى المشوب كالتنقض بمعنى المنقوض (ثم ان مرجعهم) بعد شرب الحميم واكل الرقوم (لالى الخميم) وذلك انهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج الخميم كما تورد الابل ثم يردون الى الخميم كما فى قوله سبحانه يطوفون بينها وبين حميم آن وهذا قول الاقل والجمهور على انه داخلها وانهم لا يخرجون أصلا وقيل ان الرقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها قال أبو عبيدة ثم عنى الواو وقرأ ابن مسعود ثم ان مقيلهم لالى الخميم وعنه قال لا يتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء ويقتيل هؤلاء أهل الجنة وأهل النار وقرأ ان مقيلهم

الله عليه وما تنتصوه كفعل المنافقين الذين قالوا ان بيوتنا عورة وما هى بيوتنا ان يريدون الا فرارا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وقوله تعالى ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم اى انما يختبر عباده بالخوف والزوال ليميز الخبيث من الطيب فيظهر أمر هذا بالفعل وأمر هذا بالفعل مع انه تعالى يعلم الشئ قبل كونه ولكن لا يعذب الخلق يعلمه فيهم حتى يعملوا بما يعلمه منهم كما قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم الجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم فهذا علم بالشىء بعد كونه وان كان العلم السابق حاصله قبل وجوده وكذا قال تعالى ما كان الله ليجزى المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولهذا قال تعالى ههنا ليجزى الله الصادقين بصدقهم اى بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه ويعذب المنافقين وهم الناقضون لعهد الله الخالقون

لا وأمره فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه ولكن هم تحت مشيئته فى الدنيا ان شاء استمرهم على ما فعلوا حتى يلقوه به فعذبهم عليه وان شاء تاب عليهم بان أرشدهم الى التزوع عن النفاق الى الايمان والعمل الصالح بعد الفسوق ولما كانت رحمة وراقته تبارك وتعالى بخلقها هى الغالبة لغضبه جل جلاله قال تعالى ان الله كان عفورا رحيفا (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) يقول تعالى مخبرا عن الاحزاب لما اجلاهم عن المدينة بما أرسل عليهم من الریح والجنود الالهية ولولا ان الله تعالى جعل رسوله رحمة للعالمين لكانت هذه الریح عليهم أشد من الریح العقيم على عاد

لالى

ولكن قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فسلط عليهم هواه فرق شملهم كما كان سبب اجتماعهم من الهوى وهم اخلاط من قبائل شتى احزاب وآراء فناسب ان يرسل عليهم الهوا الذي فرق جماعتهم وردهم خائبين خاسرين بغيظهم وحقنهم لم ينالوا خيرا لافي الدنيا كما كان في انفسهم من الظفر والمغصم ولا في الآخرة بما تحملون من الاثم في مبارزة الرسول صلى الله عليه وسلم بالعداوة وهمهم بقتله واستئصال جيشه ومن هم بشئ وصداق همه بقتله فهو في الحقيقة كفاعله وقوله تبارك وتعالى وكفى الله المؤمنين القتال أي لم يحتاجوا الى منازلهم ومبارزتهم حتى يجالوهم عن بلادهم (٦١) بل كفى الله وحده ونصر عبده وأعز جنده

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده فلا شئ بعده أخرجاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي الصحيحين من حديث اسمعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم وفي قوله عز وجل وكفى الله المؤمنين القتال إشارة الى وضع الحرب بينهم وبين قريش وهكذا وقع بعدها لم يغزهم المشركون بل غزاهم المسلمون في بلادهم قال محمد بن اسحق لما انصرف اهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم فلم تغز قريش بعد ذلك وكان صلى الله عليه وسلم هو يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله تعالى مكة عليه وهذا الحديث الذي ذكره محمد بن اسحق حديث صحيح كما قال

لا الى الخبيم (انهم ألقوا) أي وجدوا (آباءهم صالحين) تعليل لاستحقاقهم ما تقدم ذكره أي صادفوههم كذلك فاقتدوا بهم تقليدا ووضلاله لا لجهة أصلا قال أبو السعود أي بتقليد آباءهم في الدين من غير ان يكون لهم أولا بآبائهم شئ يتمسك به أصلا (فهم على آثارهم يهرعون) أي من غير ان يتدبروا انهم على الحق أو لامع ظهور كونهم على الباطل بادني تأمل والاهراع الاسراع الشديد وقال الفراء الاسراع برعدة وقال أبو عبيدة يهرعون يستحثون من خلفهم يقال جاء فلان يهرع الى النار اذا استحمته البرد اليها وقال المنفصل يرنجعون من شدة الاسراع قال الزجاج هرع وأهرع اذا استحثت وازعج والمعنى يتبعون آباءهم في سرعة كلتهم يرنجعون الى اتباع آباءهم وذلك في الدنيا (ولقد ضل قبلهم) أي قبل هؤلاء المذكورين (اكثر الاولين) من الامم الماضية بالتقليد ورفض الدليل وترك النظر وابتشار التأويل (ولقد ارسلنا في هؤلاء الاولين رسلا أنذروهم العذاب وحذروهم عواقب التقليد وبينوا لهم الحق فلم ينجع ذلك فيهم وكذلك لا ينجع في مقلدة هذا الزمان فاشبهه الله بالبارحة) فانظر كيف كان عاقبة المذنين) أي الذين أنذرتهم الرسل فانهم صاروا الى النار قال مقاتل يقول كان عاقبتهم العذاب يحذر كفار مكة والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أول كل من يتأتى منه التمكن من مشاهدة آثارهم ثم استثنى عباده المؤمنين فقال (الاعباد الله المخلصين) أي الامن أخلصهم الله بتوفيقهم الى الايمان والتوحيد وابتشار الدليل وترك التقليد وقرئ المخلصين بكسر اللام أي الذين أخلصوا الله طاعتهم ولم يشوبوها بشئ مما يغيرها \* ولما ذكر سبحانه انه أرسل في الامم الماضية منذرين ذكر تفصيل بعض ما أجمله فيما سبق فقال (ولقد نادانا نوح) اللام هي الموطئة للقسم والمراد ان نوحا دعا ربه على قومه لماعصوه فاجاب الله دعاءه وأهلك قومه بالطوفان فان دعاءه نداء الدعاء لله والاستغاثة به كتوله رب لا تدرك على الارض من الكافرين ديارا وقوله اني مغلوب فانتصر وحاصل ما ياتي من القصص سبع قصة نوح وقصة ابراهيم وقصة اسمعيل وقصة موسى وهارون وقصة الياس ولوط ويونس (فلنم الجيبون) له نحن أي دعانا فاجابناه وأهلكنا قومه والواو والتعظيم (ونجيناها وأهلها) المراد باهلها أهل دينه وهم من آمن معه وكانوا ثمانين أزواجا وبناته وأولاده

الامام أحمد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني أبو اسحق قال سمعت سليمان بن صرد رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب الا ان تغزوهم ولا يغزونا وهكذا رواه البخاري في صحيحه من حديث الثوري واسرائيل عن أبي اسحق به وقوله تعالى وكان الله قويا عزيزا أي بجوله وقوته ردهم خائبين لم ينالوا خيرا وأعز الله الاسلام واهله وصدق وعده ونصر رسوله وعبده فله الحد والمنة (وأزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصياهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضالم تطوؤها وكان الله على كل شئ قديرا) قد تقدم ان بنى قريظة لما قدمت جنود الاحزاب ونزلوا على

المدينة نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد وكان ذلك بسفارة حي بن أخطب النضري لعنه الله دخل حصنهم ولم يزل يسيدهم كعب بن أسد حتى نقض العهد وقال له فيما قال ويحك قد جئت بك بعز الدهر أتيتك بقريش وأحايشها وغطفان وأتباعها ولا يزالون ههنا حتى يستأصلوا محمد أو أصحابه فقال له كعب بل والله أتيتني بذل الدهر ويحك يا حي انك مشؤم فدعنا منك فلم يزل يقتل في الذروة والغارب حتى أجابه واشتد له حتى ان ذهب الاحزاب ولم يكن من أمرهم شيء ان يدخل معهم في الحصن فيكون له أسوتهم فلما انقضت (٦٤) قريظة وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ساءه وشق عليه وعلى

المسلمين جدا فلما أيدته الله تعالى ونصره وكبت الاعداء وردهم خائبين باخسر صفقة ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة مؤيدا منصورا ووضع الناس السلاح فيئثار رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل من وعاء تلك المرابطة في بيت أم سلمة رضی الله عنها اذ تبدي له جبريل عليه الصلاة والسلام معتبرا بمامة من استبرق على بغلة عليها قטיפه فديباخ فقال أوضعت السلاح يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم قال لكن الملائكة لم تضع أسلحتها وهذا الان رجوعي من طلب القوم ثم قال ان الله تبارك وتعالى يأمرك ان تنهض الى بنى قريظة وفي رواية فقل له عذرك من يقا تل وأضعتم السلاح قال نعم قال لكالم تضع أسلحتنا بعد انهض الى هؤلاء قال صلى الله عليه وسلم أين قال بنى قريظة فان الله تعالى أمرني ان ازلزل عليهم فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم من فوره وأمر الناس بالمسير الى بنى قريظة وكانت على أميال من

الثلاثة وزوجاتهم الثلاث (من الكرب العظيم) هو الغرق وقيل تكذيب قومه له وما يصدر اليه منهم من أنواع الاذى (وجعلنا ذرية هم الباقين) وحدهم دون غيرهم كما يشعر به ضمير الفصل وذلك لان الله أهلك الكفرة بدعائه ولم يبق منهم باقية ومن كان معه في السفينة من المؤمنين ما نوا كما قيل ولم يبق الا اولاده قال سعيد بن المسيب كان ولد نوح ثلاثة والناس كلهم من ولد نوح فسام أبو العرب وفارس والروم واليهود والنصارى وحام أبو السودان من المشرق الى المغرب الهند والهند والنوب والزنج والحبشة والقبط والبربر وغيرهم وياث أبو الصقالب والترك والخزروم وأجوج وغيرهم وقيل انه كان من مع نوح ذرية كما يدل عليه قوله ذرية من جلد نوح وقوله قيسل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سمعتهم ثم عسيهم مناعذاب أليم فيكون على هذا معنى الآية ذرية وذرية من معه دون ذرية من كفر فان الله أغرقهم فلم يبق لهم ذرية والاولى أولى وأخرج الترمذى وحسنه ابن جرير وابن أبي حاتم عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال حام وسام وياث وأخرج أحمد والترمذى وحسنه وأبو يعلى وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه عن سمرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال سام أبو العرب وحام أبو الحبش وياث أبو الروم والحديتان هما من سماع الحسن عن سمرة وفي سماعه منه مقال معروف وقد قيل انه لم يسمع منه الا حديث العقيقة فقط وما عداه فبواسطة قال ابن عبد البر وقد روى عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثله وأخرج البزار وابن أبي حاتم والخطيب في تالي التلخيص عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولد نوح ثلاثة سام وحام وياث فولد سام العرب وفارس والروم والخبز فيهم وولديا يث بأجوج ومأجوج والترك والصقالبة ولا خير فيهم وولد حام القبط والبربر والسودان وهو من حديث اسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عنه قلت في الآية دليل على ان الطوفان عم كل البلاد وشمل جميع العباد ولم يبق أحد من الناس سوى من كان معه في السفينة والفرس وسائر النجوس والكلدانيون أهل بابل والهند وأهل الصين وأصناف الامم المشركية يشكرون الطوفان وأقر به بعض الفرس لكنهم قالوا لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب ولم يعم العميران كله ولا أغرق الا بعض الناس ولم يتجأ وزعقبة حلوان

المدينة وذلك بعد صلاة الظهر وقال صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد منكم العصر الا في بنى قريظة ففسار ولا الناس فادركتهم الصلاة في الطريق فصلى بعضهم في الطريق وقالوا لم يرد منا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتجمل السير وقال آخرون لا تصلها الا في بنى قريظة فلم يعنف واحد من الفريقين وتبعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استخلف على المدينة ابن ام مكتوم رضی الله عنه وأعطى الراية لعل بن أبي طالب رضی الله عنه ثم نازلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمسا وعشرين ليلة فلما طال عليهم الحال نزوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس رضی الله عنه لانهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية واعتقدوا

انه يحسن اليهم في ذلك كما فعل عبد الله بن أبي بن سلول في مواليه بنى قينقاع حين استطلقهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فطن هؤلاء سعدا سيفعل فيهم كما فعل ابن ابي في اولئك ولم يعلموا ان سعد ارضى الله عنه كان قد اصابه سهم في اكله أيام الخندق  
فكواه رسول الله صلى الله عليه وسلم في اكله وانزله في قبة في المسجد ليعوده من قريب وقال سعد رضى الله عنه فيما دعا به اللهم ان  
كنت ابقيت من حرب قر يش شيئا فابقني لها وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجرها ولا تمنني حتى تقر عيني من بنى قريظة  
فاستجاب الله تعالى دعاه وقدر عليهم ان ينزلوا على حكمه باختيارهم (٦٣) طلبا من تلقا أنفسهم فعند ذلك استدعاه

رسول الله صلى الله عليه وسلم من  
المدينة ليحكم فيهم فلما اقبل وهو  
راكب على جار قد وطأه عليه  
جعل الاوس يلوذون به ويقولون  
يا سعد انهم مواليك فاحسن فيهم  
ويرققونه عليهم ويتعطفونه وهو  
سأكت لا يرد عليهم فلما كثروا  
عليه قال رضى الله عنه لقد ان لسعد  
ان لا تأخذ في الله لومة لائم  
فعرفوا انه غير مستبقيهم فلما دنا  
من الخيمة التي فيها رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قوموا الي سيدكم  
فقام اليه المسلمون فانزلوه اعظاما  
واكراما واحتراما له في محل ولايته  
ليكون انفذ حكمه فيهم فلما جلس  
قال له رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ان هؤلاء وأشار اليهم قد نزلوا  
على حكمك فاحكم فيهم بما شئت  
فقال رضى الله عنه وحكمى نافذ  
عليهم قال صلى الله عليه وسلم نعم  
قال وعلى من في هذه الخيمة قال  
نعم قال وعلى من ههنا وأشار الى  
الجناب الذي فيه رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وهو معرض بوجهه  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
اجلالا وكراما واعظاما فقال له

ولا بلغ الى ممالك المشرق قالوا ووقع في زمان طهمورث وان أهل المغرب لما أنذر حكماؤهم  
بالطوفان اتخذوا المباني العظيمة كالمهرمين بمصر ونحوهما ليدخلوا فيها عند حدوثه ولما  
بلغ طهمورث الانذار بالطوفان قبل كونه بمائة واحدى وثلاثين سنة أمر باختيار  
مواقع في مملكته صحيحة الهواء والترية فوجد ذلك باصهان فاهم بتجليد العلوم ودفنها  
فيها في أسلم المواضع ويشهد لهذا ما وجد بعد الثمانمائة من سنى الهجرة في حى من مدينة  
أصفهان من التلال التي انشقت عن بيوت مملوئة أعدا الأعداة كثيرة قدملت من لحاء  
الشجر التي تلبس بها القسي وتسمى التور مكتوبة بكتابة لم يدركها أحد ما هي ذكره المقرئ  
في الخطوط وقال بعض محققى الهندون سرى كشن الهندي قد أخبر قبل وفاته بسبعة أيام  
ان بلدة دوار كاستغرق عن قريب وأشار الى حصول الطوفان بارض الهند والحق ما دلت  
عليه هذه الآية وغزيرها من عموم الغرق للعمران وشمول الطوفان لجميع الارض ونوع  
الانسان ولا يلتفت الى قول من أنكره أو أوله أو خصه ببعض الامكنة دون بعضها فإنه  
اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل والله يعلم وأنتم لا تعلمون (وتركنا عليه في الآخرة) يعنى  
في الذين يأتون بعده الى يوم القيامة من الامم وقال ابن عباس يقول يذكر بخير والمترولة  
هذا هو قوله (سلام على نوح) أى تركنا هذا الكلام بعينه والسلام هو الشفاء الحسن  
أى يثنون عليه ثناء حسنا ويدعون له ويترجون عليه قال الزجاج تركنا عليه الذكرا الجميل  
الى يوم القيامة وذلك الذكرا هو قوله سلام على نوح قال الكسائى في ارتفاع سلام وجهان  
أحدهما تركنا عليه في الآخرة يقال سلام والثانى ان يكون المعنى وأبقينا عليه وتم  
الكلام ثم ابتدأ فقال سلام على نوح أى سلامه من ان يذكر بسوء فى الآخرة قال  
المبرد أى تركنا عليه هذه الكلمة باقية يعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام  
المحكى كقوله سورة أنزلناها وقبل انه ضمن تركنا معنى قلنا قال الكسائى وفي قراءة ابن  
مسعود سلاما منصوب بتركنا أى تركنا عليه ثناء حسنا وقيل المراد بالآخرة بن أمة محمد صلى  
الله عليه وآله وسلم (فى العالمين) أى سلام ثابت أو مستمرا ومستقر على نوح فى العالمين من  
الملائكة والجن والانس وهذا يدل على عدم اختصاص ذلك بأمة محمد صلى الله عليه وآله  
وسلم كما قيل (انا كذلك نجزي المحسنين) هذه الجملة تعليل لما قبلها من التكرمة لنوح  
باجابة دعائه وبقاء الثناء من الله عليه وبقائه ذريته أى انا كذلك نجزي من كان محسنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال رضى الله عنه انى احكم ان تقتل مقاتلتهم وتبني ذريتهم وأموا لهم فقال له رسول الله صلى  
الله عليه وسلم لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة وفي رواية لقد حكمت بحكم الملائكة ثم أمر رسول الله صلى الله عليه  
وسلم بالآخاديد فخذت فى الارض وبنى بهم مكثفين فضرب أعناقهم وكانوا ما بين السبعمائة الى الثمانمائة وسبى من لم ينبت منهم  
مع النساء وأموا لهم وهذا كله مقرر مفصل بأدلته وأحاديثه وبسطه فى كتاب السيرة الذى أفردهناه موجزا وبسيطا والله الحمد والمنة  
ولهذا قال تعالى وأنزل الذين ظاهروهم أى عاونوا الاحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب

يعني بنى قريظة من اليهود من بعض أسباط بني اسرائيل كان قد نزل آباؤهم الحجاز قديما طمعا في اتباع النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله وقوله تعالى من صياصيمهم يعني حصونهم قال مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والسدي وغيرهم ومنه سمي صياصى البقر وهي قرونها لانها اعلى شئ فيها وقذف في قلوبهم الرعب وهو الخوف لانهم كانوا ملوا المشركين على حرب النبي صلى الله عليه وسلم وليس من يعلم كمن لا يعلم واخافوا المسلمين وراموا قتلهم ليعزوه في الدنيا فانعكس عليهم الحال وانقلب اليهم (٦٤) القتال اشمر المشركون فنازوا بصفقة المغبون فكأروا العزولوا واراوا

في اقواله وافعاله راسخا في الاحسان معروفة والكاف في كذلك نعت مصدر محذوف  
أى جزء كذلك الجزء (انه من عبادنا المؤمنين) هذا بيان لكونه من المحسنين وتعامل  
له بانه كان عبدا مؤمنا مخلصا لله وذلك اجلال لشأن الايمان وشرفه وترغيب في تحصيله  
والنبات عليه والازدياد منه كما قال في مدح ابراهيم وانه في الآخرة لمن الصالحين وفيه من  
الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى فلا يقال كيف مدح الرسول بذلك مع ان مرتبهم  
فوق مرتبة المؤمنين (ثم اغرقنا الاخرين) أى الكفرة الذين لم يؤمنوا بالله  
ولا صدقوا ووافقوا معطوف على نجيذاه والترتيب حقيقى لان نجاتهم بركوب السفينة  
حصلت قبل غرق الباقيين والشهاب فهم انه معطوف على قوله وجعلنا ذريته فجعل  
الترتيب اخبار بالان اغراق الاخرين كان قبل جعل ذريته باقين ثم ذكر سبحانه قصة  
ابراهيم وبين انه ممن شايح نوحا فقال (وان من شيعته لابراهيم) أى من أهل دينه ومن  
شايعه وواقفه على الدعاء الى الله والى توحيدده والايان به قال مجاهد وابن عباس  
أى على منهاجه وسنته قال الاصمعي الشيععة الاعوان وهو مأخوذ من الشيعاع وهو  
الخطب الصغار التى تودع الجار حتى تستوقد وكان بين نوح و ابراهيم ألفان وسمائة  
واربعون سنة وما كان بينهما الايمان هود و صالح والذين قبل نوح ثلاثة ادريس وشيث  
وآدم جملة من قبل ابراهيم من الانبياء ستة والمعنى كان من اتباعه فى أصل الدين وان  
اختلفت فروع شرائعها وكان بين شريعتها اتفاق كلى او أكثرى وان طال الزمان وقال  
الفراء المعنى وان من شيعته محمد لابراهيم فالهاء على هذا فى شيعته لمحمد صلى الله عليه وآله  
وسلم وكذا قال الكلبى ولا يخفى ما فى هذا من الضعف والمخالفة للسياق (اذ جاء به بقلب  
سليم) أى مخلص من الشرك والشرك أو من آفات القلوب وقيل هو الناصح لله فى خلقه  
وقيل الذى يعلم ان الله حق وأن الساعة فأتة وان الله يبعث من فى القبور ومعنى مجيئه  
الى ربه يحتمل وجهين أحدهما عند دعائه الى توحيدده وطاعته الثانى عند لقائه فى النار  
وجاء استعارة تصريحية بعمية شبه اخلاصه قلبه بمجيئه بعمية كأنه جاء به تحفة من عنده  
فى انه فاز بما يستجلب به رضاء والظرف فى قوله اذ جاء منصوب بفعل محذوف أى اذكر  
وقيل بما فى الشيعة من معنى المتابعة قال أبو حيان لا يجوز لان فيه الفصل بين العامل  
والمعمول باجنبي وهو ابراهيم والاولى ان يقال ان لام الابتداء تنمق ما قبلها عن العمل فيما

استنصت المسلمين فاستؤصلوا  
وأضيف الى ذلك شقاوة الآخرة  
فصارت الجملة ان هذه هى الصفة  
الخاسرة ولهذا قال تعالى فريقتا  
تقتلون وتأسرون فريقتا فالدن  
قتلواهم المقاتلة والاسراء هم الاصغر  
والنساء وقال الامام أحمد حدثنا  
هشيم بن بشير أخبرنا عبد الملك بن  
عمير عن عطية القرظى قال عرضت  
على النبي صلى الله عليه وسلم يوم  
قريظة فشكوتنى فامر بنى النبي  
صلى الله عليه وسلم ان ينظروا  
هل أتيت بعد فنظرونى فلم يجدونى  
أنتب نخلى عني وألحقنى بالسبي  
وكذا رواه أهل السنن كلهم من  
طرق عن عبد الملك بن عمير به وقال  
الترمذى حسن صحيح ورواه  
النسائى أيضا من حديث ابن  
جرير عن ابن أبى نجيح عن مجاهد  
عن عطية بنحوه وقوله تعالى  
وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم  
أى جعلها لكم من قتلكم لهم  
وأرضاً لم تطوها قبل خيبر وقيل  
مكة رواه مالك عن زيد بن أسلم وقيل  
فارس والروم وقال ابن جرير يجوز  
ان يكون الجميع مرادا وكان الله

على كل شئ قدير وقال الامام احمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال أخبرتنى بعدها  
عائشة رضى الله عنها قالت خرجت يوم الخندق أقفوا الناس فسمعت وتبىء الأرض ورأى فاذا أباسعد بن معاذ رضى الله عنه  
ومعه ابن أخيه الحرث بن أوس يحمل مجننه قالت جلست الى الأرض فرسعد رضى الله عنه وعليه درع من حديد قد خرجت منه  
أطرافه فانا أتخوف على أطراف سعد قالت وكان سعد رضى الله عنه من أعظم الناس وأطولهم فر وهو يرتجز ويقول  
ليث قليلا يشهد الهيجا جل \* ما أحسن الموت اذا حان الاجل

قالت فقامت فاقتمت خديقة فاذا فيها نفر من المسلمين واذا فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفيهم رجل عليه تسبغة يعنى المغفر فقال عمر رضى الله عنه ما جاء بك لعمرى والله انك لجرىسة وما يؤمنك ان يكون بلاء ان يكون تجوز قالت فما زال يلومنى حتى تمت ان الارض انشقت لى ساعتئذ فدخلت فيم افرغ الرجل التسبغة عن وجهه فاذا هو طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه فقال يا عمر ويحك انك قد اكرت منذ اليوم واين التجوز والفرار الا الى الله تعالى قالت ويرمى سعد رضى الله عنه رجل من قريش يقال له ابن العرقة بسهم له وقال له خذها وان ابن العرقة فاصاب اكله فقطعه فدعا الله (٦٥) تعالى سعد رضى الله عنه فقال اللهم لا تمتنى حتى تقر عيني من بنى قريظة قالت

وكافوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قالت فرقا كلمه وبعث الله تعالى الربح على المشركين وكنى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا فلحق اباوسفان ومن معه بهامة ولحق عبيدة بن بدر ومن معه بنجد ورجعت بنوا قريظة فخصنوا في صياصيمهم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأمر بقبة من آدم فضربت على سعد رضى الله عنه في المسجد قالت فجاها جبريل عليه السلام وان على ثيابه لتقع الغبار فقال أوقد وضعت السلاح لا والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح اخرج الى بنى قريظة فمات لهم قالت فلدس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا فخر على بنى تميم وهم حيران المسجد حوله فقال من مر بكم قالوا عربنا دحية الكلبي وكان دحية الكلبي يشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عليه الصلاة والسلام فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة فلما

بعدها (اذ) أى وقت اذ (قال لايه) آزر (وقومه) من الكفار (ماذا) أى أى شئ (تعبدون) انفكا آلهة دون الله تريدون) انتصاب افكاعلى انه مفعول لاجله اى تريدون آلهة من دون الله للافك وتقديم هذه المعمولات للفعل عليه للاهتمام وقيل انتصاب افكاعلى انه مفعول به تريدون والا آلهة بدل منه جعلها نفس الافك مبالغة وهذا أولى من الوجه الاول وقيل اريدون آلهة آفكين اذوى افك قال المبرد الافك أسوأ الكذب وهو الذى لا يثبت ويضطرب ومنه ائفكت بهم الارض (فما ظنكم برب العالمين) اذا القيمتوه وقد عبدتم غيره وما توربه يصنع بكم وهو تحذير مثل قوله ما غرل ربك الكبريم وقيل المعنى اى شئ تؤهمتوه وبالله حتى اشر كتم به غيره (فنظر نظرة في النجوم) أى اليها (فقال اى سقيم) قال الواحدى قال المفسرون كانوا يتعاطون علم النجوم فعاملهم بذلك لئلا ينكروا عليه وذلك انه أراد ان يكيدهم فأصنامهم لتزيمهم الخفة في انهم اغرر معبودة وكان لهم من الغديوم عبيد يخرجون اليه وأراد ان يتخلف عنهم فاعتل بالسقم وذلك انهم كلفوه ان يخرج معهم الى عيدهم فنظر الى النجوم أى فى علمها أوفى كتبها يريدون انهم مستدل بها على حاله فلما نظر اليها قال اى سقيم أى مشارف للسقم وقال الحسن انهم لما كلفوه ان يخرج معهم تفكر فيما يعمل فالعنى على هذا انه نظر فيما نجم له من الرأى أى فيما طلع له منه فعلم ان كل شئ يسقم فقال اى سقيم قال الخليل والمبرد يقال للرجل اذا فكر فى الشئ يدره نظره في النجوم وقيل كانت الساعة التى دعوه الى الخروج معهم فيها ساعة تعناده فيها الخي وقال الضحاك معنى اى سقيم سأسقم سقم الموت لان من كتب عليه الموت يسقم فى الغالب ثم يموت وهذا توربه وتعرض كما قال للملك لما سأله عن سارة هى أختى يعنى أخوة الدين وقال سعيد بن جبيرة اشار لهم الى مرض يسقم ويعدى وهو الطاعون وكانوا يهربون من ذلك قال ابن عباس سقيم أى مريض وقال أيضا مطعون ولهذا قال (فتولوا عنه مدبرين) أى تركوه وذهبوا وخافة العدوى (فراغ الى آلهتهم) يقال راغ بروغ وروغا وروغانا اذا مال ومنه طريق راغى مائل وقال السدي ذهب اليهم وقال أبو مالك جاء اليهم وقال الكلبي أقبل عليهم والمعنى متقارب وكانت اثنتين وسبعين صنمان من حجر وخشب وذهب وفضة ونحاس وحديد ورمصاص وكان كبيرها من ذهب مكللا بالجوهر (فقال) ابراهيم للاصنام التى راغ اليها

(٩ فتح البيان ثامن) اشتد حصارهم واشتد البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروا اباالباب بن عبد المنذر فاشار اليهم انه الذبح قالوا انزل على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلوا على حكم سعد بن معاذ فنزلوا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ رضى الله عنه فأتى به على جاره عليه أكاف من ليف قد جل عليه وحف به قومه فقالوا يا ابا عمر وحلفائوك وواليدك وأهل الكتاب ومن قد علمت قالت فلما رجع اليهم شيا ولا يلتفت اليهم حتى اذا نامن دورهم التفت الى قومه فقال قد ان لى أن لا أبالي فى الله لومة لائم قالت قال ابو سعيد فلما طلع قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم فانزلوه فقال عمر رضي الله عنه سيدنا الله قال انزلوه فانزلوه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم فيهم قال سعد رضي الله عنه فاني احكم فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتبني ذراريهم وتقسيم اموالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى وحكم رسوله ثم دعا سعد رضي الله عنه فقال اللهم ان كنت ابقيت على نبيك من خرب قريش شيئا فابقني لها وان كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فابقبني اليك قال فان فجر كلمه وكان قد برأ منه الامثل الخرص ورجع الى قبته التي ضرب عليه رسول الله صلى (٦٦) الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها فخره رسول الله صلى الله عليه

استهزاء وخبرة (ألا تأكون) من الطعام الذي كانوا يصنعونه لها وخطبها كما يخاطب من يعقل لانهم أنزلوها بتلك المنزلة وكذا قوله (مالكم لا تنطقون) فانه خاطبهم خطاب من يعقل والاستفهام للتكريم لانهم قد علم انها اجادات لا تنطق قيل انهم تركوا عند اصنامهم طعامهم للتبرك بها ولأياكلوه اذ ارجعوا من عيدهم وقيل تركوه للسنة وقيل ان ابراهيم هو الذي قرب اليها الطعام مستهزئا بها (فراغ عليهم ضربا باليمين) أي قال عليهم ضربهم ضربا مصدروا كدلفعل محذوف أو هو مصدر لراغ لانه بمعنى ضرب قال الواحدى قال المفسرون يعنى بيده اليمنى يضربهم بها وقال السدى بالقوة والقدرة لان اليمين أقوى اليمين قال الفراء وتعبض بيا بالقوة واليمين القوة وقال الضحاك والربيع ابن أنس المراد باليمين اليمن التي حلقها حين قال وتالله لا كيدت أصنامكم وقيل المراد باليمين هنا العدل كما في قوله ولو تقول علمنا بعض الاقوال لا نأخذنا منه باليمين أي بالعدل واليمين كتابة عن العدل كما ان الشمال كتابة عن الجور وأولى هذه الاقوال وأولها (فأقبلوا اليه يزفون) أي أقبل اليه عبدة تلك الاصنام يسرعون لما عملوا بما صنعها بها فقالوا نحن نعبدها وانت تكسرها وانت تكسرها يزفون في محل نصب على الحال حال من فاعل أقبلوا قرأ الجمهور بفتح الياء من زف الظليم يزف اذا عدا بسرعة وقرئ بضم الياء من أزف يزف أي دخل في الزفيف أو يحملون غيرهم على الزفيف قال الاصمعي أزففت الابل أي حملتها على ان ترف وقيل هما الغتان يقال زف القوم وازفوا وزفت العروس وازففتها حكى ذلك عن الخليل قال النحاس زعم ابو حاتم انه لا يعرف هذه اللغة يعنى يزفون بضم الياء وقد عرفها جماعة من العلماء منهم الفراء وشبهها بقولهم أطردت الرجل أي صيرته الى ذلك وقال المبرد الزفيف الاسراع وقال الزجاج الزفيف أول عدا والنعام وقال قتادة والسدى معنى يزفون يشون وقال الضحاك يسعون وقال يحيى بن سلام يردون غضبا وقال مجاهد يخطون أي يشون مشى الخيلاء وقيل يتسالمون تسلا بين المشى والعدو والاول تفسيره يسرعون وقال ابن عباس يزفون يخرجون وقرئ يزفون على البناء المحفول وقرئ على زنة يرمون وحكى الثعلبي عن الحسن ومجاهد وابن السميع انهم قرؤا يزفون بالراء المهملة وهى ركض بين المشى والعدو ولما أنكر وا على ابراهيم ما فعله بالاصنام ذكر لهم الدليل الدال على فساد عبادتها و(قال) مبكأ لهم ومنكرا

وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهم ما قالت فوالذي نفس محمد بيده انى لاعرف بكاء أبى بكر رضي الله عنه من بكاء عمر رضي الله عنه وأنا فى حجرى وكانوا كما قال الله تعالى رجاء بينهم قال علقمة فقلت أي أمه فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع قالت كانت عينه لا تدمع على أحد ولو لكنه كان اذا وجد فنامها هو واخذ بلحيته صلى الله عليه وسلم وقد أخرج البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن عمر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها من هذا ولكن أخصر منه وفيه دعاء سعد رضي الله عنه (يا أيها النبي قل لا زواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتكئن وأسرحكن سراحا جيلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعلم بما تهنن منكن اجرا عظيما) هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بان يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن الى غيره ممن يحصل لهن من عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين

الصبر على ما عنده من ضيق الحال ولهن عند الله تعالى فى ذلك الثواب الجزيل فاخترن رضى الله عنهن وأرضاهن الله عليهم ورسوله والدار الآخرة فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة قال البخارى حدثنا ابو اليمان اخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ان عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمره الله تعالى أن يخبر أزواجه قالت فبدأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى ذا كررك أم افلا عليك أن لا تستجلى حتى تستأمرى أبويك وقد علم ان أبوي لم يكوا نيا أمرا انى بفراقه قالت ثم قال ان الله تعالى قال يا أيها النبي قل



لازواجك الى تمام الايتين فقلت له ففي اي هداستأمر أبوي فاني أريد الله تعالى ورسوله والدار الآخرة وكدارواه معلقان  
الليث حدثني يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن عائشة رضی الله عنها فذكره وزاد قالت ثم فعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم  
مثل ما فعلت وقد حكى البخاري ان معمر الاضطرب فيه فقارة رواه عن الزهري عن ابى سلمة وتارة رواه عن الزهري عن عروة عن  
عائشة رضی الله عنها وقال ابن جرير حدثنا احمد بن عبد الصبي حدثنا ابو عوانة عن عمر بن ابى سلمة عن ابيه قال قالت عائشة رضی  
الله عنها لما نزل الخيار قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى اريد ان اذكر لك (٦٧) أمر افلا تقضى فيه شيأ حتى تستأمرى ابويك

قالت قلت وما هو يا رسول الله قالت  
فردده عليها فقالت وما هو يا رسول الله  
قالت فردده عليها فقالت وما هو  
يا رسول الله قالت فقرا صلى الله عليه  
وسلم عليها يا ايها النبي قل لازواجك  
ان كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها  
الى آخر الآية قالت فقلت بل تختار  
الله ورسوله والدار الآخرة قالت  
ففرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم  
وحدثنا ابن وكيع حدثنا محمد بن  
ابن بشر عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة  
عن عائشة رضی الله عنها قالت لما  
نزلت آية التخيير بدأ بى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فقال يا عائشة انى  
عارض عليك امرى فلا تفتانى فيه  
حتى تعرضه على ابويك ابى بكر وام  
رومان رضی الله عنهما فقالت  
يا رسول الله وما هو قال صلى الله عليه  
وسلم قال الله عز وجل يا ايها النبي  
قل لازواجك ان كنتم تردن الحياة  
الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن  
واسرحكن سرا حابجلا وان كنتم  
تردن الله ورسوله والدار الآخرة  
فان الله أعدل للمحسنات منكن  
اجرا عظيما قالت فاني اريد الله  
ورسوله والدار الآخرة ولا أوامر فى

عليهم (أتعبدون ما تفتنون) أى أن تعبدون أصناما أنتم تختصونها والنجس والتجبر والبرى  
فحتمه يفتنه بالكسر فحتما أى براده والنجاسة البرية ووجه التوبيخ ظاهر وهو ان الخشب  
والحجر قبل النجس والاصلاح ما كان معبودا البتة فاذا نجسته وشكله على الوجه المخصوص  
لم يحدث فيه الا آثار تصرفه عن هيئته فلو صار معبودا لهم عند ذلك لزم ان الشئ الذى لم  
يكن معبودا اذا حصل فيه آثار صار معبودا وفساده واضح (والله خلقكم وما نعم لولن)  
أى وخلق الذى تصنعونه على العموم ويدخل فيها الاصنام التى تختصونها دخولا اوليا  
ويكون معنى العمل هنا التصوير والتحت ونحوهما نحو عمل الصانع السوار أى صاعقه  
ويرجحه ما قبله أى أن تعبدون الذى تختصون أو خلقكم وخلق علكم وجعلها الاشعرية دليلا  
على خلق أفعال العباد لله تعالى وهو الحق فان فعلهم كان بخلق الله فيهم فكان مفعولهم  
المتوقف على فعلهم أى بخلقهم ويرجع على الاول بعدم الحذف ويجوز أن تكون  
ما استفهامية أى أى شئ تعملون ومعنى الاستفهام التوبيخ والتقريع ويجوز أن تكون  
نافية أى ان العمل فى الحقيقة ليس لكم فانتم لا تعملون شيأ وقد طول صاحب الكشاف  
الكلام فى رد قول من قال انها مصدرية ولكن بما لا طائل تحتها وجعلها موصولة أولى  
بالمقام وأوفق بسياق الكلام والجملة اما حالية أو مستأنفة (قالوا ابناؤه نبيا نألقوه فى  
البحيم) مستأنفة جواب سؤال مقدر كجملة التى قبلها قالوا هذه المقالة لما عجزوا عن جواب  
ما أوردده عليهم من الحجة الواضحة فتشاوروا فيما بينهم أن يبنوا له حائطان من حجارة وعلوه  
حطبا ويضرموه ثم يلقوه فيه والجميم النار الشديدة الاتقاد قال الزجاج وكل نار بعضها  
فوق بعض فهى الجميم واللام فى جميم عوض عن المضاف اليه أى فى بحيم ذلك البنيان ثم لما  
ألقوه فيها انجاه الله منها وجعلها عليه بردا وسلاما وهو معنى قوله (فارادوا به كيدا) مكرا  
وحيلة أى احتالوا الالهلا كه (جعلناهم الاسقلين) أى المقهورين المغلوبين بابطال كيدهم  
وجعله برهانا نيرا على علوشانه لانها قامت له بذلك عايمهم الحجة التى لا يقدر ان على دفعها  
ولا يمكنهم جدها فان النار الشديدة الاتقاد العظيمة الاضطرام المتركمة الجار اذا صارت  
بعد القائه فيها بردا وسلاما ولم تؤثر فيه اقل تأثير كان ذلك من الحجة يمكن يفهمه كل من له  
عقل وصار المنكر له سافلا ساقط الحجة ظاهر التعصب واضح التعسف وسبحان من يجعل  
المن ان يدعو الى دينه منحا ويسوق اليهم الخير بما هو من صور الضير (ولما انقضت هذه

ذلك أبوي ابابكر وام رومان رضی الله عنهما فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقرأ الحجر فقال ان عائشة رضی الله عنها قالت  
كذاو كذا فقلن ونحن نقول مثل ما قالت عائشة رضی الله عنهن كلهن ورواه ابن ابى حاتم عن ابى سعيد الأشج عن ابى اسامة عن محمد  
ابن عمرو به قال ابن جرير وحدثنا سعيد بن يحيى الاموى حدثنا ابى عن محمد بن اسحق عن عبد الله بن ابى بكر عن عمرة عن عائشة  
رضی الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل (١) الى نساءه أمر أن يخبرهن فدخل على فقال  
سأذرك لأمى افلا تعجبلى حتى تستشيرى أبالك فقالت وما هو يا رسول الله قال انى امرت ان اخبركن وتلا عليها آية التخيير الى آخر الآيتين  
(١) بياض بالأصل

قالت فقلت وما الذي تقول لا تعجلى حتى تستشيرى أبالك فأتى أختار الله ورسوله فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وعرض على نسائه فتتابعن كلهن فاخترن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا يزيد بن سنان البصرى حدثنا أبو صالح عبد الله ابن صالح حدثني الليث حدثني عقيل عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن أبي نور عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قالت عائشة رضي الله عنها أنزلت آية التحيير فبدأت في أول امرأته من نسائه فقال صلى الله عليه وسلم انى ذا كركك أمر افلا عليك ان لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك قالت قد علم (٦٨) ان أبوي لم يكونا بأمر انى بفراقه قالت ثم قال ان الله تبارك وتعالى قال يا ايها

النبي قل لازواجك الا يتين قالت عائشة رضي الله عنها فقلت انى هذا استأمر أبوي فأتى أريد الله ورسوله والدار الآخرة ثم خير نسائه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة رضي الله عنهن وأخرج به البخارى ومسلم جميعا عن قتيبة عن الليث عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها مثله وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعدها علينا شيئا أخرجه من حديث الاعمش وقال الامام أحمد حدثنا ابو عامر عبد الملك بن عمر وحدثنا زكريا ابن اسحق عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال اقبل ابو بكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يبابه جالس فلم يؤذن له ثم اقبل عمر رضي الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لابي بكر وعمر رضي الله عنهما فدخلوا والنبي صلى الله عليه وسلم

الواقعة واسفر الصبي لذي عينين وظهرت حجة الله لآبراهيم وقامت براهين بموته وسطعت أنوار معجزته (قال انى ذاهب الى ربى) أى مهاجر من مولدى وبلد قومي الذين فعلوا ما فعلوا وتعصبا للاصنام وكفرا بالله وتكذبا لرسوله الى حيث امرنى بالمهاجرة اليه أو الى حيث أتمكن من عبادته وهذه الآية أصل فى الهجرة والعزلة وأول من فعل ذلك ابراهيم عليه السلام وذلك حين خلصه الله من النار (سيهدين) فيما نويت الى المكان الذى أمرنى بالذهاب اليه أو الى مقصدى وقيل ذاهب بعملى وعبادتى وقلبي ونيتى فعلى هذا ذهابه بالعمل لا بالبدن والاول أظهر قيل ان الله سبحانه أمره بالمصير الى الشام وقد سبق بيان هذا فى سورة الكهف مستوفى قال ابن عباس قال هذا حين هاجر قال مقاتل فلما قدم الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال (رب هب لى) ولدا صالحا (من الصالحين) يعيننى على طاعتك ويؤنسنى فى الغربة هكذا قال المفسرون وعلوا ذلك بأن الهبة قد غلب معناها فى الولد فتحمل عند الاطلاق عليه واذا وردت مقيدة جلت على ما قيدت به كما فى قوله ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وعلى فرض انها لم تغلب فى طلب الولد فقوله (فبشرناه بغلام حلیم) يدل على انه ما أراد بقوله رب هب لى من الصالحين الا الولد والمعنى بشرناه به على لسان الملائكة الذين جاؤا له فى صورة الاضياف ثم اتفقوا من قريته الى قرية لوط كما تقدم فى هود وبأقربى الذاريات ومعنى حلیم أن يكون حليما عند كبره فكأنه بشر ببقاء ذلك الغلام حتى يكبر ويصير حليما لان الصغير لا يوصف بالحلم قال الزجاج هذه البشارة تدل على انه مبشر بان ذكروا انه يبقى حتى ينتهى فى السن ويوصف بالحلم (فلم يبلغ معه السعى) فى الكلام حذف كما تشعر به هذه الفاء الفصيحة والتقدير فوهبنا له الغلام فتسأ حتى صار الى السن التى يسعى فيها مع أبيه فى أمور دينه معبنا له على أعماله قال مجاهد أى لما شب وأدرى سعيه سعى ابراهيم قال ابن عباس شب حتى بلغ سعيه سعى ابيه فى العمل وقال مقاتل لما مشى معه قال القراء كان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وقال الحسن هو سعى العقل الذى تقوم به الحجية وقال ابن زيد هو السعى فى العبادة وقيل هو الاحتمال (قال) ابراهيم لانه لما بلغ ذلك المبلغ (يا بنى) بفتح اليا وكسر هاء سبعيتان (انى أرى فى المنام انى أذبحك) أى أفعل الذبح أو أمر به فهما احتمالان وبشير للثانى قوله أفعل ما تومر وبشير للاول قد صدقت الرؤيا والمعنى انى رأيت فى المنام هذه الرؤيا

قال قال الله صلى الله عليه وسلم لا تكن النبي صلى الله عليه وسلم لعلك يضحك فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله لو رايت ابنة زيد امرأة عرسألتنى النفقة آنفا فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدا نواجذه وقال هن حولى يسألتنى النفقة فقام ابو بكر رضي الله عنه الى عائشة ليضربها وقام عمر رضي الله عنه الى حفصة كلاهما يقولان تسألان النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن نسأوه والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده قال وانزل الله عز وجل الخيا ربمدا بعائشة

رضي الله عنها فقال اني اذ كنت امرأنا أحب ان تعجلى فيسه حتى تستأمرى أبو ينيك قالت وما هو قال فتسلا عليا يا أيها النبي قل  
 لازواجك الآية قالت عائشة رضي الله عنها أفيدك أستأمر أبو يني بل اختار الله تعالى ورسوله واسألك ان لا تذركا امرأة من نساءك  
 ما اخترت فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يعثنى معنفا ولكن بعثنى معلما يسر الاتسألني امرأة منهن عما اخترت الا  
 اخبرتها انفرد بانراجه مسلم دون البخاري فرواه هو والنسائي من حديث زكريا بن اسحق المكي به وقال عبد الله ابن الامام  
 أحمد حدثنا شيخ بن يونس حدثنا علي بن هاشم بن البريد عن محمد بن (٦٩) عبيد بن علي بن أبي رافع عن عثمان بن علي

قال مقاتل رأى ابراهيم ذلك ثلاث ليال متتابعات قال قتادة رؤيا الانبياء حق اذا رآوا  
 شيئا فعلوه وقد اختلف أهل العلم في الذبيح هل هو اسحق أو اسمعيل عليه السلام قال  
 القرطبي فقال أكثرهم الذبيح اسحق ومن قال بذلك العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله  
 وهو الصحيح عن ابن مسعود ورواه أيضا عن جابر وعلى وابن عمرو وعمر بن الخطاب قال  
 فهو لاسبعة من الصحابة قال ومن التابعين وغيرهم علقمة والشعبي ومجاهد وسعيد بن  
 جبيرة وكعب الاحبار وقاتادة ومسروق وعكرمة والقاسم بن أبي برزة وعطاء ومقاتل وعبد  
 الرحمن بن سابط والزهري والسدي وعبد الله بن أبي الهذيل ومالك بن أنس كلهم قالوا  
 الذبيح اسحق وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى واختاره غير واحد منهم النخاس  
 وابن جرير الطبري وغيرهما قال وقال آخرون هو اسمعيل ومن قال بذلك أبو هريرة وأبو  
 الطفيل عامر بن واثلة وروى ذلك عن ابن عمر ورواها بن عباس أيضا كما سيأتي ومن التابعين  
 سعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهراون ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب  
 القرظي والكوفي وعلقمة وعن الاصمعي قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال  
 يا أصمعي أين عزب عندك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة قال ابن كثير  
 في تفسيره وقد ذهب جماعة من أهل العلم الى ان الذبيح هو اسحق وحكى ذلك عن طائفة من  
 السلف حتى يقال عن بعض الصحابة وليس في ذلك كتاب ولا سنة وما أظن ذلك تلقى الا  
 عن أخبار أهل الكتاب وأخذ المسلمان غير حجة وكتاب الله شاهد ومحمد شدي ان اسمعيل  
 فانه ذكر البشارة بالغلام الحليم وذكر انه الذبيح وقال بعد ذلك وبشرناه باسمعيل نبيامن  
 الصالحين انتهى واحتج القائلون بانه اسحق بان الله عز وجل قد أخبرهم عن ابراهيم حين  
 فارق قومه وهاجر الى الشام مع امرأته سارة وابن أخيه لوط فقال اني ذاهب الى ربي  
 سيهدين انه دعا فقال رب هب لي من الصالحين وقال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من  
 دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب ولان الله قال وفديناه بذبح عظيم فذكر انه في الغلام  
 الحليم الذي بشر به ابراهيم وانما بشر باسمعيل لانه قال وبشرناه باسمعيل وقال هبنا بغلام  
 حليم وذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل ان يصير له اسمعيل وليس في القرآن انه بشر بولدا الا  
 اسحق قال الزجاج الله أعلم أيهما الذبيح انتهى وهذا مذهب ثالث وهو الوقف عن الحزم  
 بأحد القولين وتفويض علم ذلك الى الله تعالى وما استدل به الفريقان يمكن الجواب

ابن الحسين عن أبيه عن علي رضي  
 الله عنه قال ان رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم خير نساء الدنيا  
 والاخرة ولم يخبرهن الطلاق وهذا  
 منقطع وقد روى عن الحسن وقاتادة  
 وغيرهما نحو ذلك وهو خلاف  
 الظاهر من الآية فانه قال فتعالين  
 أمتعن وأسرحكن سرا حجابا  
 أي أعطيكن حقوقكن وأطلق  
 سراحكن وقد اختلف العلماء في  
 جواز تزويج غيره لهن لو طلقهن  
 على قولين أحقهما نعم لو وقع ليحصل  
 المقصود من السراح والله أعلم قال  
 عكرمة وكان تحته يومئذ تسع  
 نسوة خمس من قريش عائشة  
 وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة  
 رضي الله عنهن وكانت تحته صلى  
 الله عليه وسلم صفيمة بنت حيي  
 النضرية وميمونة بنت الحارث  
 الهلالية وزينب بنت جحش  
 الاسدية وجويرية بنت الحارث  
 المصطلقية رضي الله عنهن  
 وأرضاهن أجمعين (يا نساء النبي  
 من يات منكن بفاحشة مبينة  
 يضاعف لها العذاب ضعفين وكان  
 ذلك على الله يسيرا ومن يقنت

منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتيها أجرها مرتين وأعتدنا لهارزقا كريما) يقول تعالى واعظا نساء النبي صلى الله عليه وسلم  
 اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة واستقر أمرهن تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبرن بحكمهن وبخصيصة من دون  
 سائر النساء من يات منهن بفاحشة مبينة قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو النشور وسوء الخلق وعلى كل تقدير فهو شرط  
 والشرط لا يقتضى الوقوع كقوله تعالى ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك وكقوله عز وجل ولو  
 أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين الوارد الله أن يتخذ ولدا الا صطفى مما يشاء سبحانه

هو الله الواحد القهار لما كانت محلتهم ربيعة ناسب ان يجعل الذنب لو وقع منهم مغظا صيانة لجنابهم من وجابهن الرفيع  
ولهذا قال تعالى من يأت منكن بفاحشة مينة يضاعف لها العذاب ضعفين قال مالك عن زيد بن اسلم يضاعف لها العذاب  
ضعفين قال في الدنيا والآخرة وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وكان ذلك على الله يسيرا أي سهلا هينا ثم ذكر عدله وفضله في قوله  
ومن يقنت منكن لله ورسوله أي يطع الله ورسوله ويستجب نوتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما أي في الجنة فانهم في  
منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم في (٧٠) أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة

عنه والمناقشة له ومن جملة ما احتج به القائلون بأنه اسمعيل ان الله وصفه بالصبر دون اسحق  
كما في قوله واسمعيل واليسع وكذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه  
بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به  
ولان الله سبحانه قال وبشرناه باسمحق نبيا فكيف يأمره بذبحه وقد وعده ان يكون نبيا  
وأيضافان الله قال فبشرناها باسمحق ومن وراء اسمحق يعقوب فكيف يؤمره بذبح اسمحق  
قبل انجاز الوعد في يعقوب وأيضاً ورد في الاخبار تعليق قرن الكعبش في الكعبة فدل على  
ان الذبيح اسمعيل ولو كان اسمحق لكان الذبيح واقعا بيت المقدس وكل هذا أيضا يحتمل  
المناقشة والمسئلة ليست من العقائد التي كلفنا بجمعها فلان سئل عنها في القيامة فهي  
مما لا ينفع علمه ولا يضر جهله وزعم ابن عباس ان الذبيح اسمعيل وعنه قال المقدي اسمعيل  
وهو الاظهر وعنه قال فدى اسمعيل بكبشين أملحين أقرنين أعينين وعن ابن عمر قال  
اسمعيل ذبح عنه ابراهيم الكعبش وعن الفرزدق الشاعر قال رأيت أباهم مرة يخضب على  
منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقول ان الذي أمره بذبحه اسمعيل وعن العباس  
ابن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال نبى الله داود يارب أسمع  
الناس يقولون رب ابراهيم واسحق ويعقوب فاجعاني رابعا قال ان ابراهيم أتى في النار  
فصبر من أجل وان اسحق جادل بنفسه وان يعقوب غاب عنه يوسف وتلك بليمة لم تلتك  
أخرجه البزار وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه وفي اسناده الحسن بن دينار  
البصرى وهو متروك عن علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف وأخرج الديلمي عن أبي سعيد  
الخدري مرفوعا نحوه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذبيح  
اسحق أخرجه الدارقطني في الاقراد والديلمي وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعا  
مثله وعن ابن مسعود قال سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اكرم الناس قال يوسف  
ابن يعقوب بن اسحق ذبيح الله أخرجه الطبراني وابن مردويه وعن ابن مسعود موقوفا  
مثله وعن العباس مثله أخرجه البخاري في تاريخه وغيره في غيره وعن علي قال كبش أعين  
أبيض أقرن قدر بيط بسمرة في أصل ثبر وعن ابن عباس قال فدى اسمعيل بكبشين أملحين  
أقرنين أعينين وبما سقناه من الاختلاف في الذبيح هل هو اسحق أو اسمعيل وما استدلل  
به المختلفون في ذلك تعلم انه لم يكن في المقام ما يوجب القطع أو يتعين رجحانه تعيينا ظاهرا

الى العرش (يا نساء النبي لستن  
كأحد من النساء ان اتقين فلا  
تخضعن بالقول فيطمع الذي  
قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن  
في بيوتكن ولا تبرجن تبرج  
الجاهلية الاولى وأقن الصلاة  
وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله  
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس  
أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن  
ما يتلى في بيوتكن من آيات الله  
والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا)  
هذه آداب أمر الله تعالى به نساء  
النبي صلى الله عليه وسلم ونساء  
الامة تبع لهن في ذلك فقال تعالى  
مخاطبا للنساء النبي صلى الله عليه  
وسلم بانهن اذا اتقين الله عز وجل  
كأمرهن فإنه لا يشبههن أحد من  
النساء ولا يلحقهن في الفضيلة  
والمنزلة ثم قال تعالى فلا تخضعن  
بالقول قال السدي وغيره يعنى  
بذلك تريق الكلام اذا خاطبن  
الرجال ولهذا قال تعالى فيطمع  
الذى في قلبه مرض أى دغل وقلن  
قولا معروفا قال ابن زيد قولا حسنا  
جيلا معروفا في الخير ومعنى هذا  
انها تتخاطب الاجانب بكلام ليس

فيه ترخيم أى لا تتخاطب المرأة الاجانب كما تتخاطب زوجها وقوله تعالى وقرن في بيوتكن أى الزمى بيوتكن وقد  
فلا تخرجن لغير حاجة ومن الخواص الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتنعموا اماء الله  
مساجد الله وليخرجن وهن ثقلات وفي رواية ويؤمن خير لهن وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا أبو رجاء  
الكبي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جئت النساء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن  
يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى فما عمل ندرلنك به عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من قعدت أو كلمة نحوها منكن في بيته فانها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى ثم قال لا تعلم رواه عن ثابت  
 الاروح بن المسيب وهو رجل من أهل البصرة مشهور وقال البراء أيضا حدثنا محمد بن المثني حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا همام  
 عن قتادة عن مورق عن أبي الاحوص عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة عورة فاذا خرجت  
 استشرفها الشيطان وأقرب ما يكون بروحة ربه اوهى في قعر بيتها رواه الترمذي عن بندار عن عمرو بن عاصم به نحوه وروى  
 البراء باسناد المتقدم وأبو داود أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة المرأة (٧١) في محدها أفضل من صلاتها في بيتها

وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها  
 في حجرها وهذا السناد جيد وقوله  
 تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية  
 الاولى قال مجاهد كانت المرأة  
 تخرج عشي بين يدي الرجال فذلك  
 تبرج الجاهلية وقال قتادة ولا  
 تبرجن تبرج الجاهلية الاولى يقول  
 اذا خرجت من بيتك وكانت  
 لهن مشية وتكسرو وتغنج فنهى  
 الله تعالى عن ذلك وقال مقاتل بن  
 حيان ولا تبرجن تبرج الجاهلية  
 الاولى والتبرج انها تلبس الخمار على  
 رأسها ولا تشده فيواري قلائدها  
 وقرطها وعنقها ويسد ذلك  
 كله منها وذلك التبرج ثم عمت  
 نساء المؤمنين في التبرج وقال ابن  
 جرير حدثني ابن زهير حدثنا موسى  
 ابن اسمعيل حدثنا اوديع بن ابن  
 أبي الفرات حدثنا علي بن حجر عن  
 عكرمة عن ابن عباس رضي الله  
 عنهما قال تلا هذه الآية ولا تبرجن  
 تبرج الجاهلية الاولى قال كانت  
 فيما بين نوح وادريس وكانت ألف  
 سنة وان بطنين من ولد آدم كان  
 أحدهما يسكن السهل والآخر  
 يسكن الجبل وكان رجال الجبل

وقدر ربح كل قول طائفة من المحققين المنصفين كابن جرير فانه ربح انه اسحق واسحق لم  
 يستدل على ذلك الا ببعض ما سقناه ههنا وكان كثير فانه ربح انه اسمعيل وجعل الأدلة  
 على ذلك أقوى وأصح وليس الامر كما ذكره فانها ان لم تكن دون أدلة القائلين بان الذبيح  
 اسحق لم تكن فوقها ولا أرحج منها ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك  
 شيء وما روى عنه فهو امام موضوع أو ضعيف جدا ولم يبق الا مجرد استنباطات من القرآن  
 كما أشرفنا الى ذلك فيما سبق وهي محتملة ولا تقوم حجة بمحتمل فالوقف هو الذي لا ينبغي  
 مجاوزته وفيه السلامة من الترجيح بلا مرجح ومن الاستدلال بالمحتمل (فانظر ماذا ترى)  
 قرئ بضم التاء الفوقية وكسر الراء والمعولان محذوفان أي انظر ماذا ترى ايها من صبرك  
 واحتمالك وقرئ بفتح التاء والراء من الرأي وهو مضارع رأيت وقرئ ترى بضم التاء وفتح  
 الراء مبني للمفعول أي ماذا يحيل اليك ويسخ غا طرك قال الفراء في بيان معنى القراءة  
 الاولى انظر ماذا ترى من صبرك وجزعك وقال الزجاج لم يقل هذا أحد غيره وانما قال  
 العلماء ماذا تشي رأي ما ترى نفسك من الرأي وقال أبو عبيد انما يكون هذا من رؤية  
 العين خاصة وكذا قال أبو حاتم وغلطهما النحاس وقال هذا أي يكون من رؤية العين وغيرها  
 ومعنى القراءة الثانية ظاهر واضح وانما ساوره ليعلم صبره لامر الله والافروا بالانبياء وحى  
 وامتثالها لازم لهم متعم عليهم (قال يابوت افعال ما تومر) به مما أوحى اليك من ذبحي وما  
 موصولة وقيل مصدرية على معنى افعال أمرك والمصدر مضاف الى المفعول وتسمية  
 المأمور به أمر او الاول أولى (سجدني ان شاء الله من الصابر بن) على ما ابتلاني به من  
 الذبيح والتعليق بمشية الله سبحانه تبرك بهامنه (فلم أسلم) أي استسلم الامر الله  
 وأطاعاه وانقاد له وخضعوا لجهور أسلموا وقرأ علي وابن مسعود وابن عباس فلما سلم أي  
 فوضأ أمرهما الى أمر الله وروى عن ابن عباس انه قرأ استسلما قال قتادة أسلم أحدهما  
 نفسه لله وأسلم الآخر لله يقال سلم الامر لله وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد اختلف في  
 جواب لما اذا هو فقبل هو محذوف تقديره ظهر صبرهما أو أجزلنا لهما أجرهما أو  
 فديناه بكبش هكذا قال البصريون وقال الكوفيون الجواب هو نديناه والواو زائدة  
 مقعنة واعترض عليهم النحاس بان الواو من حروف المعاني ولا يجوز أن تزداد وقال  
 الاخفش الجواب وتله للجين والواو زائدة وروى هذا أيضا عن الكوفيين ويرد عليه

صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس لعنه الله أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام  
 فأجر نفسه منه فكان يخدمه فاتخذ ابليس شيئا من مثل الذي يرم فيه الرعاء فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوله  
 فانتابوهم يسمعون اليه واماخذوا عيدا يجمعون اليه في السنة فيتبرج الرجال للنساء قال وينزل الرجل لهن وان رجلا من أهل  
 الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأثنى أصحابه فأخبرهم بذلك فحملوا الهن فنزلوا معهن وظهرت الفاحشة  
 فيهن فهو قول الله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقوله تعالى وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله فهان اولاً

عن الشر ثم أمرهن بالخير من إقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى المخلوقين وأطعن الله  
ورسوله وهذا من باب عطف العام على الخاص وقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا  
وهذا نص في دخول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في أهل البيت ههنا لأن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولاً  
واحداً ما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح وروى ابن جرير عن عكرمة انه كان ينادى في السوق انما يريد الله ليذهب عنكم  
الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (٧٢) نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وهكذا روى ابن أبي حاتم قال

اعتراض النحاس كما ورد على الاقول (وتله الجبين) أي صرعه وأسقطه على شقه وقيل  
هو الرمي بقوة وأصله من رماه على التل وهو المكان المرتفع أو من التليل وهو العنق أي  
رماه على عنقه ثم قيل لكل اسقاط وان لم يكن على تل ولا على عنق وفي القاموس تله تلامن  
باب قتل فهو متلول وتليل صرعه وألقاه على عنقه وخده يقال تلت الرجل اذا ألقته  
والتل الصرع والدفع والمراد انه أفضجه على جبينه على الارض والجبين ما انكشف من  
الجبهة قاله السمين وفي المصباح الجبين ناحية الجبهة من محاذة النزعة إلى الصدغ وهما  
جبينان عن يمين الجبهة وشمالها قاله الأزهرى وابن فارس وغيرهما فتكون الجبهة بين  
جبينين وجعه جبن بضمين مثل برید وبرد وأجبنه مثل أسلحة وقيل المعنى كبه على  
وجهه كيلا يرى منه ما يثر الرقة لقلبه واختلف في الموضوع الذي أراد دمج فيه فقيل هو  
مكة في المقام وقيل في المنحرف عن عند الجمار وقيل على الصخرة التي بأصل جبل ثبير وقيل  
بالشام (ونادىناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أي عزمتم على الاتيان بما رأيت قال  
المفسرون لما أضجعه للذبح نودي من الجبل يا ابراهيم الخ وجعله صدقاً مجرد العزم وان  
لم يذبحه لانه قد أتى بما أمكنه والمطلوب استسلامهما لا امر الله وقد فعلا قال القرطبي  
قال أهل السنة ان نفس الذبح لم يقع ولو وقع لم يتصور رفعه فكان هذا من باب التسخير قبل  
الفعل لانه لو حصل الفراغ من امتثال الامر بالذبح ماتت حق الفداء قال ومعنى صدقت  
الرؤيا فعلت ما أمكنك ثم امتنعت لما منعناك هذا أصح ما قيل في هذا الباب وقالت طائفة  
ليس هذا مما ينسخ نوجه لان معنى ذبحت الشيء قطعته وقد كان ابراهيم يأخذ السكن  
فيمزجها على حلقه فتقلب كما قال مجاهد وقال بعضهم كان كلما قطع جزأ التام وقالت  
طائفة منهم السدي ضرب الله على عنقه صفقة نحاس فجعل ابراهيم يحز ولا يقطع شيئاً  
وهذا كله جائز في القدرة الالهية لكنه يقتصر الى نقل صحيح فانه امر لا يدرك بالنظر وانما  
طريقه الخبر ولو كان قد جرى ذلك لينه الله تعظيم الرتبة اسمعيل و ابراهيم وكان أولى  
بالبیان من الفداء وقال بعضهم ان ابراهيم ما أمر بالذبح الحقيقي الذي هو فرى الوداج  
وانهار الدم وانما رأى انه أضجعه للذبح فتوهم انه أمر بالذبح الحقيقي فلما أتى بما أمر به  
من الاضجاع قيل له قد صدقت الرؤيا وهذا كله خارج عن المفهوم ولا يظن بالخليل  
والذبح ان يفهما من هذا الامر ما ليس له حقيقة حتى يكون منهما التوهم وأيضاً لو صحت

حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا  
زيد بن الحباب حدثنا حسين بن  
واقد عن يزيد النخعي عن عكرمة  
عن ابن عباس رضي الله عنهما في  
قوله تعالى انما يريد الله ليذهب  
عنكم الرجس أهل البيت قال  
نزلت في نساء النبي صلى الله عليه  
وسلم خاصة وقال عكرمة من شاء  
باهلته انما نزلت في شأن نساء النبي  
صلى الله عليه وسلم فان كان المراد  
انهم كن سبب النزول دون غيرهن  
فصحيح وان اريد انهن المراد فقط  
دون غيرهن ففي هذا نظر فانه قد  
وردت أحاديث تدل على ان المراد  
أعم من ذلك الحديث الاول قال  
الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا  
جماد اخبرنا علي بن زيد عن أنس بن  
مالك رضي الله عنه قال ان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم كان يري باب  
فاطمة رضي الله عنها ستة اشهر اذا  
خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة  
يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب  
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم  
تطهيرا ورواه الترمذي عن عبد  
ابن حميد عن عفان به وقال حسن  
غريب حديث آخر قال ابن جرير

حدثنا ابن وكيع حدثنا ابو نعيم حدثنا يونس عن ابي اسحق اخبرني ابو داود عن ابي الجراء قال رابت المدينة هذه  
سبعة اشهر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طلع الفجر جاء الى باب علي وفاطمة  
رضي الله عنهما فقال الصلاة الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ابو داود الاعمى هو تقيع  
ابن الحرث كذاب حديث آخر وقال الامام احمد ايضا حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الاوزاعي حدثنا شاذان بن عمار قال دخلت على  
واثلة بن الاسقع رضي الله عنه وعنده قوم فدروا عليا رضي الله عنه فستوه فستته معهم فلما قاموا قال لي شئت هذا الرجل قلت

قد شتموه فشمته معهم قال الأخرى بمأريث من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت بلى قال أعتت فاطمة رضي الله عنها أسألهما  
عن علي رضي الله عنه فقالت توجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست انتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه  
علي وحسن وحسين رضي الله عنهم أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة رضي الله عنهما وأجلسهما بين يديه  
وأجلس حسنا وحسينا رضي الله عنهما كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءه ثم تلا صلى الله عليه وسلم هذه  
الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا (٧٣) وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق

وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن  
عبد الكريم عن ابن أبي عمير عن الوليد  
ابن مسلم عن أبي عمرو والأوزاعي  
بسند نحوه زادني آخره قال واثلة  
رضي الله عنه فقلت وانا يا رسول  
الله صلى الله عليك من أهلك قال  
صلى الله عليه وسلم وأنت من أهلي  
قال واثلة رضي الله عنه وانهم ان  
أرجى ما رتجى ثم رواه أيضا عن  
عبد الأعلى بن زامل عن الفضل بن  
دكين عن عبد السلام بن حرب  
عن كلثوم المخاربي عن شداد بن أبي  
عمار قال اني جلست عند واثلة بن  
الاسقع رضي الله عنه اذ ذكروا عليا  
رضي الله عنه فشتموه فلما قاموا  
قال اجلس حتى أخبرك عن هذا  
الذي شتموه اني عند رسول الله صلى  
الله عليه وسلم اذ جاء علي وفاطمة  
وحسن وحسين رضي الله عنهم  
فألقى صلى الله عليه وسلم عليهم كساء  
له ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم  
أذهب عنهم الرجس وطهرهم  
تطهيرا قلت يا رسول الله وانا قال  
صلى الله عليه وسلم وأنت قال فوالله  
انها لا وثق عمل عندي حديث  
آخر قال الامام أحمد حدثنا

هذه الاشياء لما احتج إلى الفداء أخرجه الطبراني عن ابن عباس قال لما أراد ابراهيم ان يذبح  
اسحق قال لا يبه اذا ذبحتني فاعتزل لا اضرب فيمنضخ عليك دمي فشدته فلما أخذ الشفرة  
وأراد ان يذبحه نودي من خلفه ان يا ابراهيم قد صدقت الرويا وأخرج أحمد عنه مرفوعا  
مثله مع زيادة وأخرجه عنه موقوفا وأخرج ابن المنذر والحاكم وصححه من طريق مجاهد عنه  
قال فلما أسلمت ما أمر به وتله وضع وجهه إلى الارض فقال لا تذبحني وأنت تنظر عسي ان  
ترجني فلا تجهز علي وان اجرع فانتكص فأمتنع منك ولكن اربط يدي إلى رقبتي ثم ضع  
وجهي إلى الارض فلما ادخل يده ليذبحه فلم تحل المدينة حتى نودي ان يا ابراهيم قد صدقت  
الرويا فامسك يده وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رؤيا الانبياء وحى  
اخرجه ابن ابي حاتم واخرجه البخاري وغيره من قول عبيد بن عمير واستدل بهذه الآية  
(انا كذلك) أي كاجزيناك (تجزى الحسين) أي تجزيهم بامثال الامر بالخلاص من  
الشدائد والسلامة من الحن فالجمله كالتعليل لما قبلها قال مقاتل جزاه الله سبحانه  
باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه (ان هذا هو البلاء المبين) الابتلاء والبلاء  
الاختبار والمعنى ان هذا هو الاختبار الظاهر حيث اختبره الله في طاعته بذبح ابنه وقيل  
ان هذا هو النعمة الظاهرة حيث سلم الله ولده من الذبح وفداه بالكبش يقال ابلاه الله  
ابلاء وبلاء اذا أتم عليه والاول وأولى وان كان الابتلاء يستعمل في الاختبار بالخير  
والشر ومنه ونبلوكم بالشر والخير فنته ولكن المناسب للمقام المعنى الاول قال أبو يزيد  
هذا في البلاء الذي نزل به في ان يذبح ولده قال وهذا من البلاء المكروه (وفديناه بذبح  
عظيم) الذبح اسم المذبح ووجهه ذبوح كالطحن اسم للمطعون وبالفتح المصدر ومعنى  
عظيم عظيم القدر ولم يرد عظيم الجنة وانما عظم قدره لانه فدى به الذبيح اولانه متقبل قال  
النجاش عظيم في اللغة يكون للكبير وللشريف وأهل التفسير على انه ههنا للشريف  
أي المتقبل قال الواحدى قال أكثر المفسرين ومنهم ابن عباس أنزل عليه كبش قدرى  
في الجنة أربعين خريفا وقال الحسن ما فدى الابليس من الأروى أهبط عليه من ثبير  
فذبحه ابراهيم فداء عن ابنه قال الزجاج قد قيل انه فدى بوعلى والوعلى التيس الجبلى  
ومعنى الآية جعلنا الذبح فداء له وخلصناه به من الذبح قال ابن عباس بكبش عظيم

(١٠ فتح البيان ثامن) عبد الله بن نمير حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عذابة بن أبي رباح حدثني من مع أم سلمة رضي  
الله عنها تذكرا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيته فأثنته فاطمة رضي الله عنها بمرمة فيها خيرة فدخلت عليه بها فقال صلى الله  
عليه وسلم لها ادعي زوجك وابنيك قالت ففأعلى وحسن وحسين رضي الله عنهم فدخلوا عليه فجلسوا ويايأ كلون من تلك الخزيرة  
وهو على منامة له وكان تحته صلى الله عليه وسلم كساء خيبرى قالت وانا في الحجرة أصلى فأنزل الله عز وجل هذه الآية انما يريد  
الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا قالت رضي الله عنها فأخذ صلى الله عليه وسلم فضل الكساء فغطاهم به ثم

أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فأدخلت رأسي  
البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أنك إلى خير أنك إلى خير في إسناده من لم يسم وهو شيخ عطاء وبقية  
رجاله ثقات طريق أخرى قال ابن جرير حدثنا أبو بكر بن محمد بن عيسى بن المقدام حدثنا سعيد بن زكريا عن محمد بن سيرين عن  
أبي هريرة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببرمة لها قد صنعت فيها  
عصيدة تحملها على طبق فوضعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال أين ابن عمك وابنة فقالت رضي الله عنها (٧٤)

متقبل قيل قد بقي قرناه معلقين على الكعبة إلى أن احترق البيت في زمن ابن الزبير قال  
الشعبي رأيت قرني الكعبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده لقد  
كان أول الإسلام وان رأس الكعبش لم يعلق بقبريه في ميزاب الكعبة وقد يدس انتهى ومن  
المعلوم المقرر أن كل ماهو من الجنة لا تؤثر فيه النار فلم يطبخ لحم الكعبش بل أكلته السباع  
والطيور تأمل قال أبو السعود لما ذبحه السيد إبراهيم قال جبريل الله أكبر الله أكبر الله  
أ أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال إبراهيم الله أكبر والله الحمد في هذا سنة  
انتهى عن ابن عباس أن رجلا قال لذبح نفسي فقال ابن عباس لقد كان لكم  
في رسول الله أسوة حسنة ثم تلا وفد يناهذ بدمع عظيم فأمره بكبش فدبحه وقد استشهد  
أبو حنيفة بهذه الآية فمن نذر بدمع ولده انه يلزمه ذبح شاة (وتركا عليه في الآخرة)  
أي في الامم الآخرة التي تأتي بعده ولا وقف عليه لان قوله (سلام على إبراهيم) مفعول  
وتركا والسلام الثناء الجميل وقال عكرمة سلام منا وقيل سلامة من الآفات والكلام  
في هذا كالكلام في قوله سلام على نوح في العالمين وقد تقدم في هذه السورة بيان معناه  
(كذلك نجزي المحسنين) أي مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي من انقاد لامر الله ولم يقل أنا  
كذلك هنا كما في غيره لانه قد سبق في هذه القصة فاستخف بتركه كقصة بذر كره مرة عن  
ذكرة ثابته (انه من عبادنا المؤمنين) أي الذين أعطوا العبودية حقها ورسخوا في الايمان  
بالله وتوحيده (وبشرنا بالحق نبيامن الصالحين) أي بشرنا إبراهيم بولده ويصير نبيا  
بعد ان يبلغ السن التي يتأهل فيها لذلك ونبيامن صوب على الحال وهي حال مقدرة وقال ابن  
عباس انما بشر نبينا حين فداه الله من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده قال  
الزجاج ان كان الذبيح اسحق فيظهر كونهما مقدرة والاولى ان يقال ان من فسر الذبيح  
باسحق جعل البشارة هنا خاصة بنبوته وفي ذكر الملاح بعد النبوة تعظيم لشأنه ولا حاجة  
إلى وجود المبتشر به وقت البشارة فان وجود ذى الحال ليس بشرط وانما الشرط المقارنة  
للفعل وقوله من الصالحين كما يجوز ان يكون صفة لتنبأ بجوز أن يكون حال من الضمير  
المستتر فيه فتسكون أحوال امتدأه (وباركنا عليه) أي على إبراهيم (وعلى اسحق)  
بمرادفة نعم الله عليهم وقيل كثيرا أولادهما وقيل ان الضمير في عليه يعود إلى اسمعيل وهو  
بعيد وقيل المراد بالباركة هنا هي الثناء الحسن عليهم إلى يوم القيامة وقيل آخر جنان

في البيت فقال صلى الله عليه وسلم  
ادعهم خفت إلى علي رضي الله  
عنه فقالت أجب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم أنت وابنة قالت  
أم سلمة رضي الله عنها فلما رآهم  
مقبلين متصلي الله عليه وسلم يده  
إلى كساء كان على المنامة فغده  
وبسطه وأجلسهم عليه ثم أخذ  
صلى الله عليه وسلم بأطراف  
الكساء الأربعة بشماله فوضعه  
فوق رؤسهم وأومأ بيده اليمنى إلى  
ربه فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي  
فأذهب عنهم الرجس وطهرهم  
تطهيرا طريق أخرى قال ابن جرير  
حدثنا ابن جريد حدثنا عبد الله بن  
عبد القدوس عن الأعشى عن  
حكيم بن سعد قال ذكرنا على بن أبي  
طالب رضي الله عنه عند أم سلمة  
رضي الله عنها فقالت في بيتي نزلت  
انما يريد الله ليجذب عنكم الرجس  
أهل البيت ويظهركم تطهيرا قالت  
أم سلمة جاء رسول الله صلى الله عليه  
وسلم إلى بيتي فقال لا تأذني لاحد  
خفت فاطمة رضي الله عنها فلم  
أستطع ان أحجها عن أبيها ثم جاء  
الحسن رضي الله عنه فلم أستطع ان

أحجبه عن جده صلى الله عليه وسلم وأمره رضي الله عنها ثم جاء  
علي رضي الله عنه فلم أستطع أن أحجبه فاجتمعا فاجتمعا فاجتمعا فاجتمعا  
فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقلت يا رسول الله وأنا قالت فواته ما أنعم  
وقال أنك إلى خير طريق أخرى قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن أبي المعدل عن عطية الطفاوى عن أبيه قال  
ان أم سلمة رضي الله عنها حدثته قالت بينما ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي يوما إذ قالت الخادم ان فاطمة وعليها رضي الله عنهما



بالسدة قالت فقال صلى الله عليه وسلم لي قومي فتخى عن أهل بيتي قالت فقمت ففتحت في البيت فربما فدخل علي وفاطمة  
ومعهما الحسن والحسين رضي الله عنهم وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيان فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق عليا رضي الله  
عنه باحدى يديه وفاطمة رضي الله عنها باليسد الاخرى فقبل فاطمة وقبل عليا وأغدق عليهم خميسة سوداء وقال اللهم  
الملك لا الى النار انا واهل بيتي قالت فقلت وانا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم وانت طريق اخرى قال ابن جرير حدثنا  
أبو كريب حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطيبة عن أبي سعيد عن أم سلمة (٧٥) رضي الله عنها قالت ان هذه الآية نزلت

في بيتي انما يريد الله ليذهب عنكم  
الرجس أهل البيت ويطهركم  
تطهيرا قالت وانا جالسة على باب  
البيت فقلت يا رسول الله أأنت  
من أهل البيت فقال صلى الله عليه  
وسلم انك الى خير أنت من أزواج  
النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي  
البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وعلى وفاطمة والحسن والحسين  
رضي الله عنهم طريق اخرى رواه  
ابن جرير أيضا عن أبي كريب عن  
وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن  
شهر بن حوشب عن أم سلمة رضي  
الله عنها بنحوه طريق اخرى قال  
ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا  
خالد بن مخلد حدثني موسى بن  
يعقوب حدثني هشيم بن هشيم بن  
عتبة بن أبي وقاص عن عبد الله بن  
وهب بن زمعة قال أخبرني أم سلمة  
رضي الله عنها قالت ان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم جمع فاطمة  
والحسن والحسين رضي الله عنهم ثم  
ادخلهم تحت ثوبه ثم جأ الى الله  
عز وجل ثم قال هؤلاء أهل بيتي  
قالت أم سلمة رضي الله عنها فقلت  
يا رسول الله ادخلني معهم فقال صلى

صلبه ألقني أولهم يعقوب وآخرهم عيسى (ومن ذريته ما محسن وظالم لنفسه مبين)  
أى محسن في عمله بالايان والتوحيد وظالم لها بالالكفر والمعاصي لما ذكر الله سبحانه البركة  
في الذرية بين ان كون الذرية من هذا العنصر الشريف والمحتمل المبارك ليس نافع لهم  
ولا يجبري أمر الخبث والطيب على العسوق والعنصر فقد بلد البر الفاجر والناجر البر  
وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر بل انما ينتفعون بأعمالهم لا بأبائهم فان  
اليهود والنصارى وان كانوا من ولد اسحق فقد صاروا الى ما صاروا اليه من الضلال المبين  
وان العرب وان كانوا من ولد اسمعيل فقد ما توأمو على الشرك الامن أنقذه الله بالاسلام  
وفيه تنبيه على ان الظلم في أعقابهم لم يعد عليهم ما يعيب ولا تقيصة وان المرء انما يعاب  
بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت يده لا على ما وجد من أصله وفرعه ولما فرغ سبحانه  
من ذكر انجاء الذبيح من الذبح وما من عليه بعد ذلك من النبوة كرامت به على موسى  
وهرون فقال (ولقد مننا على موسى وهرون) يعني بالنبوة وغيرهما من النعم العظيمة التي  
أنعم الله بها عليهما (ونحنيناهما وقومهما) المراد بقومهما هم المؤمنون من بني اسرائيل  
(من السكر العظيم) هوما كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وما كان يصيهم من جهته  
من البلاء وقيل هو الغرق الذي أهلك فرعون وقومه والاول اولى (ونصرناهم) جاء بضمير  
الجمع قال القراء الضمير لموسى وهرون وقومهما لان قلبه ونحنيناهما وقومهما وقيل  
الضمير عائد على الاثنين موسى وهرون تعظيما لهما والاول اولى (فكانوا) بسبب نصرنا  
وتأييدنا (هم الغالين) على عدوهم من القبط بعد ان كانوا تحت أسرهم وقهرهم وهم  
تأكيدا وبدل أو فصل وهو الاظهر (وأيناهما الكتاب) أى التوراة (المستبين) الين  
الظاهر فيما أتى به من الحدود والاحكام يقال استبان كذا أى صار بينا (وهديناهما  
الصراط المستقيم) أى القيم الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الاسلام فانه الطريق الموصلة  
الى الحق والصواب عقلا وسعلا والى المطلوب وهو الجنة (وتركنا عليهما في الاخرين  
سلام) منا (على موسى وهرون) اى أبقينا عليهما فى الامم المتأخرة الشاء الجميل وقد قدمنا  
الكلام فى السلام وكذلك تقدم فى هذه السورة تفسير قوله (انا كذلك) أى كما جزيناها  
(نجزي المحسنين انهم امن عبادنا المؤمنين) تعليل لاحسانهم بالايان واطهار الجلالة

الله عليه وسلم أنت من اهلى طريق اخرى رواها ابن جرير ايضا عن احمد بن محمد الطوسى عن عبد الرحمن بن صالح عن محمد بن سليمان  
الاصماني عن يحيى بن عبيد المكي عن عطاء عن عمرو بن ابى سلمة عن امه رضي الله عنها بنحو ذلك حديث آخر قال ابن جرير حدثنا  
ابن وكيع حدثنا محمد بن بشر عن زكريا عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت قالت عائشة رضي الله عنها خرج النبي صلى  
الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن رضي الله عنه فأدخله معه ثم جاء الحسين رضي الله عنه فأدخله  
معه ثم جاءت فاطمة رضي الله عنها فأدخلها معه ثم جاء علي رضي الله عنه فأدخله معه ثم قال صلى الله عليه وسلم انما يريد الله ليذهب

عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن بشر به طريق أخرى قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا شرح بن يونس أبو الحرث حدثنا محمد بن يزيد عن العوام يعني ابن حوشب رضي الله عنه عن عمه قال دخلت مع أبي علي عائشة رضي الله عنها فسألتها عن علي رضي الله عنه فقالت رضي الله عنها تسألني عن رجل كان من أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تحته ابنته و أحب الناس إليه لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليا وفاطمة وحسنا وحسينا رضي الله عنهم فألقى عليهم ثوبا فقال اللهم (٧٦) هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فدثوث

منهم فقلت يا رسول الله وأنا من أهل بيتك فقال صلى الله عليه وسلم تعنى قاتك على خير حديث آخر قال ابن جرير حدثنا ابن المنني حدثنا بكر بن يحيى عن زيان العنزي حدثنا مبدل عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة أعمار يد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا قد تقدم ان فضيل بن مرزوق رواه عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة رضي الله عنها كما تقدم وروى ابن أبي حاتم من حديث هرون بن سعد العجلي عن عطية عن أبي سعيد رضي الله عنه موقوفا والله سبحانه وتعالى أعلم حديث آخر قال ابن جرير حدثنا ابن المنني حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا بكير بن مسمار قال سمعت عامر بن سعد رضي الله عنه قال قال سعد رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه الوحي فأخذ عليا وابنيه وفاطمة رضي الله عنهم فأدخلهم

قد رده واصله أمره (وان الياس لمن المرسلين) قال المفسرون هونبي من أنبياء بني اسرائيل وقصته مشهورة مع قومه قيل وهو الياس بن ياسين من سبط هرون أخي موسى قال ابن اسحق وغيره كان الياس هو القيم بأمر بني اسرائيل بعد يوشع وقال قتادة هو ادريس وقيل هو ابن عم اليسع والاول وأولى وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخضر هو الياس أخرجه ابن مردويه عن ياقوت بن يعقوب الياس بهمة مكية مقطوعة وبوصلها وهما سبعيتان وتوجهما انه اسم أعجمي تلاعبت به العرب فقطعوا همزة تارة ووصلوها أخرى وقرأ ابن مسعود والاعمش ويحيى بن وثاب وان ادريس لمن المرسلين وقرأ ابيدس وقالوا فيه الياسين كسر ايميل قيل في الالياس والخضر انه ما حيان وقيل الياس وكل بالقيافي كما وكل الخضر بالبحار قال السيوطي في الامتقان قال وهب ان الياس عمر كما عمر الخضر وأنه بقي إلى آخر الدنيا اه وقال الحسن البصري قد هلكا ولا نقول كما يقول الناس انه ما حيان وهو الراجح نظر في الأدلة والله أعلم وعلما ثم وأحكم ثم اختلف في كون الخضر نبيا مرسلأ أو نبيا فقط أو هو من الاولياء وأما الياس فهو نبي مرسل باتفاق وذكر الثعلبي أنه كان الياس على صفة موسى في الغضب والقوة نشأ نشأة حسنة بعبد الله جعله الله نبيار سولا وآتاه آيات وسخر له الجبال والاسود وغيرهما وتوهم قوم أن اليسع هو الياس وليس كذلك لان الله تعالى أفرده لكل واحد بالذكر وقال وهب اليسع صاحب الياس وكان قبل ذكر يا ويحيى وعيسى وقيل الياس هو ادريس وهذا غير صحيح لان ادريس جد نوح والياس من ذريته وقيل الياس هو الخضر وقيل لابل الخضر هو اليسع (اذ) ظرف لقوله لمن المرسلين أو متعلق بمحذوف أي اذ ذكر يا محمد اذ (قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله ثم انكر عليهم بقوله (أندعون بعلا) هو اسم لصنم كانوا يعبدونه أي أتعبدون صنما وتطمبون الخير منه قال نعلب اختلف الناس في قوله سبحانه بعلا فقالت طائفة البعل هنا الصنم وكان الشيطان يدخل في جوفه ويتكلم بالضللال والخدمة يحفظونه ويعلمونه الناس وكان طولها عشرين ذراعا وله أربعة اوجه فاعتنوا به وعظموه حتى أخذموه بأربعمائة خادم وجعلوهم أبناءه وقالت طائفة البعل هنا الملك وقال اسحق امرأة كانوا يعبدونها قال الواحدى والمفسرون يقولون ربا وهو بلغة اليمن يقولون للسيد والرب البعل قال النحاس القولان صحيحان أي

تحت ثوبه ثم قال رب هؤلاء أهلي وأهل بيتي حديث آخر وقال مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب وشجاع بن مخلد أندعون جميعا عن ابن عمية قال زهير حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثني ابن حبان حدثني يزيد بن حبان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلمة إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه فلما جلسنا إليه قال له حصين لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت حديثه وعزوت معه ووليت خلفه لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا حدثنا يزيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعني من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حدثتكم فاقبلوا وما لا

فلا تكفوا فيه ثم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطيباً بما يدعى حساً بين مكة والمدينة حمد الله تعالى وثني عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد الأيها الناس فإنا أنا بشر يوشك أن يأتي نبي رسول ربى فأجيب وأنا نارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثاً فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل (٧٧) وآل جعفر وآل عباس رضى الله عنهم

قال كل هؤلاء حرم الصدقة بعده قال نعم ثم رواه عن محمد بن الزيان عن حسان بن إبراهيم عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حبان عن زيد بن أرقم رضى الله عنه فذكر الحديث كنهوا ماتقدم وفيه فقلت له من أهل بيته نساؤه قال لا إيم الله ان المرأة تكون مع الرجل المعصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أيها وقومها أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده هكذا وقع في هذه الرواية والاولى أولى والاخذ فيها أخرى وهذه الثانية تحتل أنه أراد تفسير أهل المذكورين في الحديث الذي رواه إنما المراد بهم آل الذين حرموا الصدقة وأنه ليس المراد بالاهل الأزواج فقط بل هم مع آل وهذا الاحتمال أرجح جمعاً بينها وبين الرواية التي قبلها وجمعاً أيضاً بين القرآن والحديث المتقدمة ان

صحبت فان في بعض أسانيدنا نظر والله تعالى أعلم ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في قوله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً فان سياق الكلام معهم ولهذا قال تعالى بعد هذا كما واذ كرن ما تيلي في بيوتكن من آيات الله والحكمة أي واعلمن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم في بيوتكن من الكتاب والسنة قاله قتادة وغير واحد واذ كرن هذه النعمة التي خصصن بها من بين الناس ان الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس وعائشة بنت الصديق رضى الله عنها أولاهن بهذه النعمة وأحظاهن بهذه الغنمة واخصهن من هذه الرحمة العميمة فإنه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي في فراش امرأة سواها كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه قال بعض العلماء رحمه الله لأنه لم يتزوج بكر سواها ولم يتم معها رجل في فراشها

أندعون صنماً علمته ورأوا وكان موضعه يقال له بك فركب وصار بليد وهو من بلاد الشا (وتذرون أحسن الخالقين) أي وتركون عبادة أحسن من يقال له خالق باي معنى كان كما قاله الأمدى وانتصاب الاسم الشريف في قوله (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) على انه بدل من أحسن هذا على قراءة حمزة والكسائي والريسي بن خنيم وابن أبي اسحق وغيرهم فانهم قرأوا ب نصب الثلاثة الاسماء وقيل النصب على المدح وقيل على عطف البيان وحكى أبو عبيد ان النصب على النعت قال النحاس وهو غلط وإنما هو بدل ولا يجوز النعت لانه ليس بتعليمة واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وغيرهم بالرفع قال أبو حاتم يعني هو الله ربكم قال النحاس وأولى ما قيل انه مبتدأ وخبر بغير ضمير ولا حذف وحكى عن الاخفش ان الرفع أولى وأحسن قال ابن الانباري من رفع أو نصب لم يتفق على أحسن الخالقين على جهة التمام لان الله مترجم عن أحسن الخالقين على الوجهين جميعاً والمعنى انه خالقكم وخالق من قبلكم فهو الذي تحق له العبادة (فكذبوه فانهم) بسبب تكذيبه (لمحضرون) في العذاب أو في النار وقد تقدم ان الاحضار المطلق مخصوص بالشرك (العباد الله المخلصين) أي من كان مؤمناً به من قومه قرئ بكسر اللام وفتحها كما تقدم والمعنى على الكسر انهم أخلصوا لله وعلى الفتح ان الله استخلصهم من عباده والاستثناء متصل وفيه دلالة على ان في قومه من لم يكذب به فلذلك استثنوا وقد تقدم تفسير قوله (وتركنا عليه في الآخر من سلام على آل ياسين) قرأ نافع وابن عامر بإضافة آل بمعنى آل ياسين وقرأ الباقر بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة بياسين الاحسن فانه قرأ الياسين بادخال آله التعريف على ياسين قيل المراد على هذه القراءة كلها الياس وعليه وقع التسليم ولكنه اسم أعجمي والعرب تضطرب في هذه الاسماء الأعجمية ويكثر تغييرهم لها قال ابن جنى العرب تتلاعب بالاسماء الأعجمية تلاعباً فياسين والياس والياسين شيء واحد قال الاخفش العرب تسمى قوم الرجل باسم الرجل الجليل منهم فيقولون المهالبة على انهم هموا كل رجل منهم بالمهلب قال فعلى هذا انه سمي كل رجل منهم بالياسين قال الفراء نذهب بالياسين الى أن نجعله جمعاً فيجعل أصحابه داخلين معه في اسمه قال أبو علي الفارسي تقديره الياسين الا ان الياسين للنسبة حذفنا كما حذفنا في الأشعرين والأعجمين ورجح الفراء وأبو عبيد قراءة الجمهور قال لانه لم يقل في

البيت ويطهركم تطهيراً فان سياق الكلام معهم ولهذا قال تعالى بعد هذا كما واذ كرن ما تيلي في بيوتكن من آيات الله والحكمة أي واعلمن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم في بيوتكن من الكتاب والسنة قاله قتادة وغير واحد واذ كرن هذه النعمة التي خصصن بها من بين الناس ان الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس وعائشة بنت الصديق رضى الله عنها أولاهن بهذه النعمة وأحظاهن بهذه الغنمة واخصهن من هذه الرحمة العميمة فإنه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي في فراش امرأة سواها كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه قال بعض العلماء رحمه الله لأنه لم يتزوج بكر سواها ولم يتم معها رجل في فراشها

سواء فناسب ان تخصص بهذه المزية وان تفرد بهذه المرتبة العلية ولكن اذا كان أزواجه من أهل بيته فقربته أحق بهذه التسمية كما تقدم في الحديث وأهل بيته أحق وهذا يشبه ما ثبت في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال هو مسجدى هذا فهذا من هذا القبيل فان الآية انما نزلت في مسجد قباء كما ورد في الأحاديث الأخرى ولكن اذا كان ذلك أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بتسميته بذلك والله أعلم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد (٧٨) حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن عن ابن جهم قال ان الحسن بن

شئ من السور على آل فلان انما جاء بالاسم كذلك الياسين لانه انما هو بمعنى الياس أو بمعنى الياس واتباعه وقال الكافي المراد بالياسين آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال الواحدى وهذا بعيد لان ما بعده من الكلام وما قبله لا يدل عليه قال ابن عباس نحن آل محمد آل ياسين وقيل آل القرآن لان ياسين من أسماء القرآن وفيه بعد بعيد وقد تقدم تفسير قوله (انا كذلك نجزي المحسنين) أى كما حزننا به ببقاء سيرته الحسنة في الآخرين وتقدم أيضا تفسير قوله (انه من عبادنا المؤمنين) مستوفى (وان لو طامن المرسلين) قد تقدم ذكر قصة لوط عليه السلام مستوفى (اذ نجيناها وأهلها أجمعين) الظرف متعلق بمخوف هو اذ كروا ليصبح تعلقه بالمرسلين لانه لم يرسل وقت تسميته (الاعجوزا في الغابرين) قد تقدم ان الغابر يكون بمعنى الماضى ويكون بمعنى الباقي فالمعنى الاعجوزا في الباقيين في العذاب أو الماضين الذين قد هلكوا (ثم دمرنا الآخرى) أى أهل كذا هم بالعقوبة والمعنى ان في نجاةه وأهلها جميعا الاعجوزا وتدبير الباقيين من قومه الذين لم يؤمنوا به دلالة بينة على ثبوت كونه من المرسلين (وانكم لترون عليهم) خاطب بهذا العرب أو كفار مكة على الخصوص أى ترون على منازلهم التى فيها آثار العذاب (مصحين) أى داخلين فى وقت الصباح وهو من أصبح التامة (وبالليل) المعنى ترون على منازلهم فى ذهابكم الى الشام ورجوعكم منه نهارا و ليلا والوقف عليه مطلق والباء للملابسة (أفلاتعقوبون) ما تشاهدونه فى ديارهم من آثار عقوبة الله النازلة بهم فان فى ذلك عبرة للمعتبرين وموعظة للمتدبرين وانما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهما لان الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين فى آخر السورة فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منهم فردا بالسلام (وان يونس لمن المرسلين) يونس هو ذوالنون وهو ابن متى قال المفسرون وكان يونس قد وعد قومه العذاب فلما تأخر عنهم العذاب خرج عنهم وقصد البحر وركب السفينة فكان يذاهبه الى البحر كالنار من مولاة فوصف بالاباق وهو معنى قوله (اذ أبق الى الفلك المشحون) أى المملوء وأصل الاباق الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه ووصف به فهو استعارة تصريحية أو مجاز مرسل من استعمل المقيد فى المطلق وقال المبرد تأويل أبق تباعد أى ذهب اليسه ومن ذلك قولهم عبد أبق وقد اختلف أهل العلم

على رضى الله عنهما استخلف حين قتل على رضى الله عنهما قال فينا هو يصلى اذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر وزعم حصين انه بلغه ان الذى طعنه رجل من بنى أسد وحسن رضى الله عنه ساجد قال فيزعمون ان الطعنة وقعت فى ورثة فرض منها أشهر ثم أرفق عد على المنبر فقال بأهل العراق اتقوا الله فينا فانا أمرناكم ووضفناكم ووصنعناكم ونحن أهل البيت الذى قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال فما زال يقولها حتى ما بقى أحد من أهل المسجد الا وناح بكاء وقال السدى عن أبي الديلم قال قال على بن الحسين رضى الله عنهما الرجل من أهل الشام اما قرأت فى الاحزاب انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال نعم ولا تتمهم قال نعم وقوله تعالى ان الله كان لطيفا خبيرا أى بلطفه بكن بلغت هذه المنزلة وبخبرته بكن وانكن أهل لذلك أعطا كن ذلك وخصكن بذلك قال ابن جرير رحمه الله

واذ كن نعمة الله عليكم بان جعلكن فى بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة فاشكرن الله تعالى على ذلك واجدنه هل ان الله كان لطيفا خبيرا أى ذا لطف بكن اذ جعلكن فى البيوت التى تتلى فيها آيات الله والحكمة وهى السنة خبيرا بكن اذا اختاركن لرسوله أزواجا وقال قتادة واذا كن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة قال يمتن عليهم بذلك رواه ابن جرير وقال عطية العوفى فى قوله تعالى ان الله كان لطيفا خبيرا يعنى لطيفا باستخراجهما خبيرا بموضعهما رواه ابن أبي حاتم ثم قال وكذا روى عن الربيع بن أنس عن قتادة (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقات والصادقات والصابرين

والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والخافطين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجر عظيما قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عثمان بن حكيم حدثنا عبد الرحمن بن شيبه قال سمعت أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال قالت فليرعى منس ذات يوم الا ونداؤه على المنبر قالت وأنا أسرح شعري فلفقت شعري ثم خرجت الى حجر في حجرتي فجلعت سمعي عند الجريد (٧٩) فاذا هو يقول عند المنبر يا أيها الناس ان الله

تعالى يقول ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الى آخر الآية وهكذا رواه النسائي وابن جرير من حديث عبد الواحد بن زياد به مثله طريق أخرى عنها قال النسائي أيضا حدثنا محمد بن حاتم حدثنا سويدا أخبرنا عبد الله عن شريك عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم يا نبي الله مالي أسمع الرجال يذكرون في القرآن والنساء لا يذكرون فانزل الله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات وقد رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي معاوية عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة أن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب حدثه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله أئذ ذكر الرجال في كل شيء ولأندكر فانزل الله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية طريق أخرى قال سفيان الثوري عن ابن ابي شيح عن مجاهد قال قالت أم سلمة رضي الله عنها يا رسول الله يذكرك الرجال ولأندكر فانزل الله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية

هل كانت رسالته قبل التمام الحوت اياه أو بعده (فساهم فكان من المدحضين) المساهمة أصلها المغالبة وهي الاقتراع وهو أن يخرج السهم على من غلب قال المبرد أي فقارع أهل السفينة قال وأصله من السهام التي تجال والمعنى فصار من المغلوبين قال يقال دحضت حخته وأدحضها الله وأصله من الزلق عن مقام الظفر قال ابن عباس اقترع فكان من المقروعين وعنه قال بعث الله يونس الى أهل قريته فردوا عليه ما جاءهم به فامتنعوا منه فلما فعلوا ذلك أوحى الله اليه اني امرسل اليهم العذاب في يوم كذا وكذا فخرج من بين أظهرهم فاعلم قومه الذي وعده الله من عذابه اياهم فقالوا ارمقوه فان خرج من بين أظهرهم فهو والله كاش ما وعدكم فلما كانت اللسلة التي وعدوا بالعباد في صبيحتها ألدج فراه القوم فخذروا وخرجوا من القرية الى براز من أرضهم وفرقوا بين كل دابة وولدها ثم بجوا الى الله وأنابوا واستقالوا فاقالهم الله وانتظر يونس الخبير عن القرية وأهلها حتى مر به مار فقال ما فعل أهل القرية قال ان نبيهم لما خرج من بين أظهرهم عرفوا انه قد صدقهم ما وعدهم من العذاب فخرجوا من القرية الى براز من الارض ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها ثم بجوا الى الله وأنابوا فاقبل منهم وأخر عنهم العذاب فقال يونس عند ذلك لأرجع اليهم كذبا أبدا ومضى على وجهه أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم ومعنى هذه المساهمة ان يونس لما ركب السفينة احتبست فقال الملاحون ههنا عبد ابق من سيده وهذا رسم السفينة اذا كان فيه آبق لا تجرى فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج نفسه في الماء وقد قدمنا الكلام على قصته وما روى فيها في سورة يونس فلانكره (فالتقمه الحوت) يقال لقمته اللقمة والتقمته اذا ابتلعها أي فابتلعه الحوت ومعنى (وهو مليم) هو مستحق للوم يقال رجل مليم اذا أتى بما يلام عليه واما المعلوم فهو الذي يلام سواء أتى بما يستحق أن يلام عليه أم لا وقيل المليم المعيب يقال ألام الرجل اذا عمل شيئا صار به معيبا وقيل داخل في الملامة وقال ابن عباس المليم المسيء قال سعيد بن جبيرة لما سألهم ما جاء حوت الى السفينة فاغراه ينتظروا مر به حتى اذا أتى نفسه في الماء أخذته الحوت (فلولا أنه كان من المسبحين) أي الذاكرين لله والمصلين له أو من القائلين لا اله الا أنت الآية وقيل من العابدين وقال ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وقال الحسن ما كانت له صلاة في بطن الحوت

حديث آخر قال ابن جرير حدثنا عثمان بن مظاهر الضمري حدثنا أبو كريمة يحيى بن المهلب عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهم ما قال قال النساء للنبي صلى الله عليه وسلم ما لي يذكرك المؤمنون ولا يذكرك المؤمنات فانزل الله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد بن قتادة قال دخل نساء على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقلن قد ذكرن الله تعالى في القرآن ولم نذكر بشيء أما فيما يذكرك فانزل الله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية فقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات دليل على ان الايمان غير الاسلام وهو أخص منه لقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل

لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما دخل الإيمان في قلوبكم وفي الصحيحين لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فيسلبه الإيمان ولا يلزم من ذلك كفره بإجماع المسلمين فدل على أنه أخص منه كما قررناه في أول شرح البخاري وقوله تعالى والقانتين والقانتات القنوت هو الطاعة في سكون آمن هو قانت آناه الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقال تعالى وله من في السموات والارض كل له قانتون يا مريم اقبتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين وقوموا لله قانتين فالاسلام بعده مرتبة يرتقي اليها وهو الايمان ثم القنوت ناشئ عنهما (٨٠) والصادقين والصادقات هذا في الاقوال فان الصدق خصلة محمودة

ولهذا كان بعض الصحابة رضى الله عنه لم تجرب عليه كذبه لاني الجاهلية ولا في الاسلام وهو علامة على الايمان كان الكذب امارة على النفاق ومن صدق نجا عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البروان البر يهدي الى الجنة واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا والا حديث فيه كثيرة جدا والصابرين والصابرات هذه نتيجة الاثبات وهي الصبر على المصائب والعلم بان المقدر كائن لا محالة وتلقى ذلك بالصبر والثبات وانما الصبر عند الصدمة الاولى اى اضعبه في اول وهله ثم ما بعده اسهل منه وهو صدق السجينة وثباتها والخاشعين والخاشعات اى السكون والطمانينة والتؤدة والوقار والتواضع والحامل عليه الخوف من الله تعالى ومراقبته اعبد الله

ولكنه قدم عملا صالحا فسكر الله تعالى له طاعته القديمة (اللبث في بطنه الى يوم يبعثون) اى اصاب بطن الحوت له قبر الى يوم البعث وقيل للبت في بطنه حيا واختلف المفسرون كم اقام في بطن الحوت فقال السدي والكبي ومقاتل بن سليمان اربعين يوما وقال الضحاك عشرين يوما وقال عطاء سبعة ايام وقال مقاتل بن حيان ثلاثة ايام وقيل ساعة واحدة وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية وفي هذه الآية ترغيب في ذكر الله وتنشيط للذاكرين له (فنبذناه بالعراء) النبذ الطرح والعراء قال ابن الاعرابى هو العجرا وقال الاخفش الفضاء وقال ابو عبيدة الواسع من الارض وقال الفراء المكان الخالى وروى عن ابي عبيدة ايضا انه قال هو وجه الارض وقيل الارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل قاله ابن عباس والمعنى ان الله طرحه من بطن الحوت في العجرا الواسعة التي لانبات فيها وأمرنا الحوت بنسذه وانما اضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو التابذ لان أعمال العباد مخلوقة لله (وهو) عند القائه (سقيم) لما ناله في بطن الحوت من الضرر وقيل صار بدنه كبطن الطفل حين يولد وقيل كالفرخ الممعد أى المنتوف شعره وقيل كان قد بلى لحمه ورق عظمه ولم تبق له قوة وقد استشكل بعض المفسرين الجمع بين ما وقع هنا من قوله فنبذناه بالعراء وقوله في موضع آخر لولا ان تداركه نعمه من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فان هذه الآية تدل على انه لم ينبذ بالعراء وأجاب النحاس وغيره بان الله سبحانه أخبرهم انها ينبذ بالعراء وهو غير مذموم ولولا رحمة عز وجل لنبذ بالعراء وهو مذموم (وأبتنا عليه شجرة) فوقع تظلل عليه وقيل معنى عليه عندة وقيل معنى عليه له اى مظله (من يقطين) هو شجرة الدباء وقال المبرد اليقطين يقال لسلك شجرة ليس لها ساق بل يمتد على وجه الارض نحو الدباء والبطيخ والخنظل فان كان لها ساق تقلها فيقال لها شجرة فقط وهذا قول الحسن ومقاتل وغيرهما وقال سعيد بن جبير هو كل شئ ينبت ثم يموت من عامه قال الجوهرى اليقطين ما لا ساق له من الشجر كشجر القرع ونحوه قال الزجاج اشتقاق اليقطين من قطن بالمكان اى اقام به فهو يفعل وقيل هو اسم اعجمى قال المفسرون كان يستظل بظله من الشمس وقبض الله له ارويته من الوحش تروح عليه بكرة وعشية فكان يشرب من لبنها حتى اشتد لحمه ونبت شعره ثم أرسله الله بعد ذلك قال ابن عباس يقطين القرع وعليه الجمهور وقائده ان

كانت تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والمتصدقين والمتصدقات الصدقة هي الاحسان الى الناس المحاويج الضعفاء النباب الذين لا كسب لهم ولا كاسب يعطون من فضول الاموال طاعة لله تعالى واحسانا الى خلقه وقد ثبت في الصحيحين سبعة نزلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله فذكر منهم ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وفي الحديث الآخر والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار والا حديث في الحديث عليها كثيرة جدا له موضع بذاته والصابئين والصابئات في الحديث الذى رواه ابن ماجه والصوم زكاة البدن اى تركه وتطهره وتنقيه من الاخلاط الرديئة طبعوا وشرعا قال سعيد بن جبير من صام

رمضان وثلاثة أيام من كل شهر دخل في قوله تعالى والصائمين والصائمات ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ناسب أن يذكر بعده والحافظين فروجهم والحافظات أي عن المحارم والمآثم الاعن المباح كما قال عز وجل والذين هم لقروجهم حافظون الاعلى أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون وقوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات (٨١) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام

ابن عبيد الله حدثنا محمد بن جابر عن علي بن الاقر عن الاغرأبي مسلم عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا يقظ الرجل امرأته من الليل فصلها ركعتين كانتا لك اللسلة من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقد رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الاعمش عن الاغرأبي مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن الهيعة حدثنا راجح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال قلت يا رسول الله أى العباد أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم الذى كثر اقال قال قلت يا رسول الله ومن الغازى فى سبيل الله تعالى قال لوضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله تعالى أفضل منه وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا ابراهيم بن عبد الرحمن عن العلاء عن أبيه عن

الذباب لا يجتمع عنده وانه أسرع الأشجار نبا واما تمداد ارتفاعا قال ابن جزى وخص الله القرع لانه يجتمع برد الظل ولين الملمس وكبر الورق وان الذباب لا يقربه فان جسد يونس حين ألقى لم يكن يتحمل الذباب وقيل اليقطين شجرة التين وقيل الموز وقال سعيد بن جبير اليقطين كل شئ يذهب على وجه الارض وعنه قال انما كانت رسالة يونس بعد ما نبذته الحوت وهو معنى قوله (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) هم قومه الذين هرب منهم الى البحر وجرى له ماجرى بعد غيره بكافسه الله علينا فى هذه السورة وهم أهل نينوى قال قتادة أرسل الى أهل نينوى من أرض الموصل قبل ان يصيبه ما أصابه وأوفى قوله أو يزيدون قيل معنى الواو والمعنى يزيدون وقال الفراء أو ههنا بمعنى بل وهو قول مقاتل والسكبي وأبي عبيدة وقال المبرد والزجاج والاحفش أو ههنا على أصله والمعنى أو يزيدون فى تقدير كم اذا رآهم الرأى قال هو لامة ألف أو يزيدون فالشك انما دخل على حكاية قول الخلقين وقرأ جعفر بن محمد يزيدون بدون ألف الشك قال السمين الشك بالنسبة الى مخاطبين والابهام بالنسبة الى ان الله أبهم أمرهم والاباحة بالنسبة الى الناظر وكذلك التخيير أى هو مخير بين أن يحزهم كذا وكذا وقد وقع الخلاف بين المفسرين هل هذا الارسال هو الذى كان قبل التقام الحوت له ونكون الواو فى وأرسلناه مجرد الجمع بين ما وقع له مع الحوت وبين ارساله الى قومه من غير اعتبار تقديم ما تقدم فى السياق وتأخير ما تأخر أو هو ارساله له بعد ما وقع له من الحوت ما وقع على قولين وقد قدمنا الاشارة الى الاختلاف بين أهل العلم هل كان قد أرسل قبل أن يهرب من قومه الى البحر أو لم يرسل الا بعد ذلك والراجح انه كان رسولا قبل أن يذهب الى البحر كما يدل عليه ما قدمنا فى سورة يونس وبقي مستمرا على الرسالة وهذا الارسال المذكور ههنا هو بعد تقدم نبوته ورسالته قال سعيد بن جبير انما كانت رسالة يونس بعد ما نبذته الحوت ثم تلافى بناه بالعرأى الى قوله الى مائة ألف أو يزيدون وقد قدم ما يدل على ان رسالته كانت من قبل ذلك وليس فى الآية ما يدل على ما ذكره كما قدمنا وقيل يجوز ان يكون ارساله الى قوم آخر من غير القوم الاولين وفيه بعد وأخرج الترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي بن كعب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله هذا قال يزيدون عشرين ألفا قال الترمذى غريب وكذا روى عن السكبي ومقاتل وعن ابن عباس قال

(١١ فتح البيان ثامن) أبي هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى طريق مكة فأتى على جدان فقال هذا جدان سير وافقد سبق المفردون قالوا وما المفردون قال صلى الله عليه وسلم الذى كثر اقال ثم قال صلى الله عليه وسلم اغفر للمعلقين قالوا والمقصرين قال صلى الله عليه وسلم اغفر للمعلقين قالوا والمقصرين تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم دون آخره وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن المنثى حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة قال انه بلغنى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عمل

أدعى عملاقاً أُنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل وقال معاذ رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاهم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من أعتابى الذهب والفضة ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم ذكر الله عز وجل وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رجلا سأله فقال أي الجاهدين (٨٢) أعظم أجر يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله تعالى ذكرًا قال فأي

الصائين أكثر أجرًا قال صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله عز وجل ذكرًا ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله ذكرًا فقال أبو بكر عمر رضي الله عنهما ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل وسند أن شاء الله تعالى بقية الأحاديث الواردة في كثرة الذكر عند قوله تعالى في هذه السورة يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسجودا بكرة وأصيلا الآية وقوله تعالى أعند الله لهم مغفرة وأجر عظيمًا خير عن هؤلاء المذكورين كلهم أي أن الله تعالى قد أعد لهم أيها لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجر عظيمًا وهو الجنة (وما كان المؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل الأيمنين) قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى وما كان المؤمن ولا مؤمنة الآية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه

يزيدون ثلاثين ألفًا وروى عنه أنهم يزيدون بضعة وثلاثين ألفًا وكذا روى عن الحسن وروى عن ابن عباس أنهم يزيدون بضعة وأربعين ألفًا وقال سعيد بن جبير سبعين ألفًا ولا يتعلق بالخلاف في هذا كثير فائدة (فأمنوا فتمتعنا بهم في الدنيا إلى حين انقضاء آجالهم ومنتهى أعمالهم ولما كانت قریش وقبائل من العرب يزعمون أن الملائكة بنات الله أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم باستفتائهم على طريقة التقرير والتوبيخ فقال (فاستفتهم) أي استخبرهم يا محمد (ألم يك البنات ولهم البنون) أي كيف يجعلون لله على تقدير صدق ما زعموه من الكذب أدنى الجنسين وأوضعهما وهو الأناث ولهم أعلاهما وأرفعهما وهم الذكور وهل هذا إلا حيف في القسمة لضعف عقولهم وسوء ادراكهم ومثله قوله ألكم الذكور إلا الشيء تلك إذا قسمة ضيزى ثم زاد في توبيخهم وتقريرهم فقال (أم خلقنا الملائكة أنثانا وهم شاهدون) فأضرب عن الكلام الأول إلى ما هو أشد منه في التبكيت والتهميم بهم أي كيف جعلوهم أنثانا وهم لم يحضروا عند خلقنا لهم وهذا كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن أنثانا أشهدوا خلقهم فبين سبحانه أن مثل ذلك لا يعلم إلا بالمشاهدة ولم يشهدوا ولا دل دليل على قولهم من السمع ولا هو مما يدرك بالعقل حتى ينسبوا ادراكه إلى عقولهم ثم أخبر سبحانه عن كذبهم فقال (الإنهم من أفيكم ليقولون ولد الله وإنهم لكانون) استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت الأمر بالاستفتاء مسوق لابطال مذهبهم الفاسد ببيان أنه ليس ممناه إلا الأفك الصريح والافتراء القبيح من دون دليل ولا شبهة دليل فانه لم يلد ولم يولد قرأ الجهور وولد الله فعلا ما ضامسند إلى الله وقرى بأضافة ولد إلى الله على أنه خبر مبتدأ محذوف أي يقولون الملائكة ولد الله والولد بمعنى مفعول يستوى فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ثم كرر سبحانه تقريرهم وتوبيخهم فقال (أصطفى البنات على البنين) قرأ الجهور بفتح الهمزة على أنها الاستفهام الإنكارى وقد حذف معها همزة الوصل استغناء بها عنها وقرى بهمزة وصل تثبت ابتداء وتسقط درجاو يكون الاستفهام منوياً قاله القراء وحذف حرفه للعلم به من المقام وعلى أن أصطفى وما بعده بدل من الجملة المحكية بالقول وعلى تقدير عدم الاستفهام والبدل فقد حكي جماعة من المحققين منهم القراء أن التوبيخ يكون باستفهام وبغير استفهام كما في قوله

وسلم انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الاسديّة رضي الله عنها أذهبتم نخطبهم أفاة الت لست بنا كخته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فانكحيه قالت يا رسول الله أو امر في نفسي فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان المؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا الآية قالت قدر ضيقه لي يا رسول الله منكحا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت إذا الأعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحته نفسي وقال ابن لهيعة عن ابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد



ابن حارثة رضي الله عنه فاستنكفت منه وقاتلها فانا خير منه حسبنا وكانت امرأه فيها حدة فأنزل الله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الاية كلها وهكذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان انها انزلت في زينب بنت جحش رضي الله عنها حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فامتنعت ثم أجابت وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها وكانت أول من هاجر من النساء يعني بعد صلح الحديبية فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت فزوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه يعني والله أعلم (٨٣) بعد فراقه زينب فمستحطت هي وأخوها وقالوا

انما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرجنا عبده قال فنزل القرآن وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذ قضى الله ورسوله أمر الى آخر الآية قال وجاء أمر أجمع من هذا النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال فذلك خاص وهذا اجمع وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم على جليبيب امرأة من الانصار الى أيها فقال حتى أستأمر امها فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم اذا قال فانطلق الرجل الى امرأته فذكر ذلك لها فقالت لاها الله اذن ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاجليبيبا وقد منعناها من فلان وفلان قال والجارية في سترها تسمع قال فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقالت الجارية أتريدون ان تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ان كان قدرضيه لكم فأنكحوه قال فكانت جلست عن أبيها وقالت صدقت فذهب أبوها الى رسول الله

أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وقيل هو على اضممار القول والاصطفاة أخذ صفوة الشيء (مالكم كيف تحكمون) جملتان استفهاميتان ليس لاحداهما تعلق بالآخرى من حيث الاعراب استفهامهم أو لاعمما استقرارهم وثبت استفهام انكاروا بنا استفهام تعجب من هذا الحكم الذي حكموا به والمعنى أى شئ ثبت لكم كيف تحكمون الله بالبنات وهو القسم الذي تكرهونه ولكم بالبنين وهو القسم الذي تحبونه (أفلا تدكرون) أى تدكرون والمعنى الاتعبرون وتفكرون فتدكرون بطلان قولكم (أم لكم سلطان مبين) أى حجة واضحة ظاهرة على هذا الذي تقولونه ضرورة ان الحكم بذلك لا بد له من مستند حسى أو عقلى وحيث اتقى كلاهما فلا بد من مستند عقلى وهو اضراب عن توبيخ الى توبيخ وانتقال من تقرير الى تقرير (فأتوا بكابكم) أى فأتوا بحجبتكم الواضحة على هذا أو فأتوا بالكاب الذى ينطق لكم بالحجة ويستعمل عليها (ان كنتم صادقين فيما تقولونه (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) التفات للغيبة للايدان بانقطاعهم عن درجة الخطاب واقضاء حالهم ان يعرض عنهم وتحكى جنائياتهم للآخرين قال أكثر المفسرين ان المراد بالجنة هنا الملائكة قيل لهم جنة لانهم لا يرون وقال مجاهد هم بطن من بطون الملائكة يقال لهم الجنة وقال أبو مالك انما قيل لهم الجنة لانهم خزان على الجنان والنسب الصهر قال قتادة والكبي قالوا لعنهم الله ان الله صاهر الجن فكانت الملائكة من أولادهم فالواقائل بهذه المقالة اليهود وقال مجاهد والسدى ومقاتل ان القائل بذلك كناية وخراعة قالوا ان الله خطب الى سادات الجن فزوجوه من سروات بناتهم فالملائكة بنات الله من سروات بنات الجن وقال الحسن أشركوا الشيطان في عبادة الله فهو النسب الذى جعلوه وقال ابن عباس زعم أعداء الله انه تبارك وتعالى هو وابليس أخوان ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أى علموا ان هؤلاء الكفار الذين قالوا هذا القول لمحضرون النار ويعذبون فيها الكذبهم في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان ان الذين ادعى هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون انهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجله حكيم مؤبدا وقيل علمت الجنة انهم أنفسهم محضرون للحساب والاول أولى لان الاحضار اذا أطلق

صلى الله عليه وسلم فقال ان كنت رضىته فقد رضيناها قال صلى الله عليه وسلم فانى قدرضيته قال فزوجها ثم فرج أهل المدينة فركب جليبيب فوجدوه قد قتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم قال أنس رضي الله عنه فلقد رأيتها وانها لمن انفق بيت بالمدينة وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد يعني ابن سلمة عن ثابت عن كنانة بن نعيم العدوى عن أبي برزة الاسلمى قال ان جليبيبا كان امرأ يدخل على النساء يمرنهن ويلاعنهن فقلت لامرأتى لا تدخلن عليك جليبيبا فانه ان دخل عليك لا فعلن ولا فعلن قالت وكانت الانصار اذا كان لاحد أيم لم يزوجها حتى يعلم هل للنبي صلى الله عليه وسلم فيها حاجة أم لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل

من الانصار زوجي ابتك قال نعم وكرامة يارسول الله ونعمة عين فقال صلى الله عليه وسلم اني لست اريدها لنفسى قال فلن يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم جليبيب فقال يارسول الله اشاورا مها فأتى أمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتنب ابتك فقالت نعم ونعمة عين فقال انه ليس يجتنبها نفسه انما يجتنبها جليبيب فقالت اجليبيب انتم الله جليبيب انتم لا لعمر الله لا تزوجه فلما أراد ان يقوم ليأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره بما قالت أمها قالت الجارية من خطبتي اليكم فاخبرتهم بها قالت أتزدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم امره ادفعوني اليه فانه لن يضيعني فانطلق أبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨٤)

فالمراية العذاب وقيل المعنى ولقد علمت الجنة انهم يحضرون الى الجنة ثم نزه سبحانه وتعالى نفسه الكريمة قال (سبحان الله عما يصفون) وهو حكاية لتنزيه الملائكة عز وجل عما وصفه به المشركون ذكره العمادى وأشار له أبو السعود والاستثناء في قوله (الاعباد لله المخلصين) منقطع والتقدير لكن عباد الله المخلصين يرون عن ان يصفوا الله بشئ من ذلك وقد قرئ بفتح اللام وكسرها ومعناها ما ينادى قريبا وقيل هو استثناء من المحضرين أى انهم يحضرون النار الا من أخلص فيكون متصلا بالمنقطع كما قاله أبو البقاء وعلى هذا تكون جملة التسييح معترضة ثم خاطب الكفار على العموم أو كفار مكة على الخصوص فقال (فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين) أى فانكم وألهتكم التى تعبدون من دون الله لستم بفاتنين على الله بافساد عباده واضلالهم وعلى متعلقة بفاتنين والواو في وما تعبدون اما للعطف على اسم ان أو هو بمعنى مع وما موصولة أو مصدرية أى فانكم والذى تعبدون أو عبادتكم ومعنى فاتنين مضمين يقال فنتت الرجل وأفتنته ويقال فنتته على الشئ وبالشئ كما يقال أضله على الشئ وأضله به قال الفراء أهل الحجاز يقولون فنتته وأهل نجد يقولون أفتنته ويقال فنت فلان على فلان امر أنه أى أفسدها عليه فالفتنة هنا بمعنى الاضلال والافساد قال مقاتل يقول ما أنتم بمخلصين أحدا بألهتكم الا من قدر الله ان يصلح الى الخيم وما فى ما أنتم فانية وأنتم خطاب لهم ولن يعبدونه على التغليب قال الزجاج أهل التفسير مجمعون فيما علمت ان المعنى ما أنتم بمخلصين أحدا الا من قدر الله عز وجل عليه ان يضل والجملة تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والاتفات الى الخطاب لظهار كمال الاعتماء بتحقيق مضمون الكلام (الامن هو صال الخيم) أى الامن سبق له فى علم الله الشقاوة وانه سيدخل النار والاستثناء مفرغ قاله السمين وهذا من حيث اللفظ وامان من حيث المعنى فهو استثناء من المفعول المقدر قال ابن عباس فى الآية انكم يامعشر المشركين وما تعبدون يعنى الآلهة ما أنتم عليه بمخلصين الا من سبق فى علمه انه سيصلح الى الخيم وعنه قال يقول انكم لا تصلون أنتم ولا أضل منكم الا من قضيت عليه انه صال الخيم وعنه قال لا تفتنون الا من هو صال الخيم قرأ الجمهور صال بكسر اللام لانه منقوص مضاف حذف الباء لالتقاء الساكنين وجل عن لفظ من فأفرد كما أفرد هو وقرأ الحسن وابن أبي عمير بضم

الله عليه وسلم فقال شأنك بها فزوجها جلييبا قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة له فلما أفاء الله عليه قال لا صحابه رضى الله عنهم هل تفقدون من أحد قالوا ننفق فلانا ونفقد فلانا قال صلى الله عليه وسلم انظروا هل تفقدون من أحد قالوا لا صلى الله عليه وسلم لكنى أفقد جلييبا قال صلى الله عليه وسلم فاطلبوه فى القتلى فطلبوه فوجدوه الى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فقالوا يارسول الله ها هو ذا الى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عليه فقال قتل سبعة وقتلوه هذا منى وأنا منه مرتين أو ثلاثا ثم وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ساعديه وحفر له ماله سير الا ساعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم وضعه فى قبره ولم يذكر انه رضى الله عنه غسله قال ثابت رضى الله عنه فما كان فى الانصار أيام أنفق منها وحدث الحق بن عبد الله بن أبي طلحة ثابته هل تعلم ما دعاهها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قال اللهم صب عليها صبا واجعل عيشها

كذا وكذا قال فما كان فى الانصار أيام أنفق منها هكذا أورده الامام أحمد بطوله واخرج منه مسلم والنسائى اللام فى الفضائل قصة قتله وذكر الحافظ ابو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب ان الجارية لما قالت فى خدرها أتزدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم امره نزلت هذه الآية وما كان المؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امر ان تكون لهم الخيرة من امرهم وقال ابن جرير اخبرني عامر بن معصب عن طاوس قال انه سأل ابن عباس عن ركعتين بعد العصر فنهاه وقرأ ابن عباس رضى الله عنه وما كان المؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمر ان تكون لهم الخيرة من أمرهم فهذه الآية عامة فى جميع الامور وذلك انه انا

حكّم الله ورسوله بشئ فليس لاحد مخالفته ولا اختيار لاحدهمنا ولا رأى ولا قول كما قال تبارك وتعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلووا تسليما وفي الحديث والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبع لما حمت به ولهذا شد في خلاف ذلك فقال ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا كقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه (٨٥) فلما قضى زيد مناه وطرأ زوجنا كهل الكيلا

يكون على المؤمنين حرج في أزواج آديعتهم اذ اقضوا منهن وطرأ وكان أمر الله مفهولا) يقول تعالى مخبرا عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال لمولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه وهو الذي أنعم الله عليه أي بالاسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنعمت عليه أي بالعتق من الرق وكان سيديا كبيرا انسانا جليل القدر حبيبا الى النبي صلى الله عليه وسلم يقال له الحب ويقال لانسائه أسامة الحب بن الحب قالت عائشة رضي الله عنها ما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية إلا امره عليهم ولو عاش بعده لاستخلفه رواده أحمد بن سعيد بن محمد الوراق ومحمد بن عبيد بن وائل بن داود عن عبد الله البهي عنها وقال البزار حدثنا خالد بن يوسف حدثنا أبو عوانة حدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو داود حدثنا أبو عوانة أخبرني عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال حدثني أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال كنت في المسجد فأتاني العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقالا يا أسامة

اللام مع او بعدها وروى عنهما انهما قرآ بضم اللام بدون الواو فأما مع الواو فعلى انه جمع سلامة بالواو وجلا على معنى من وحذفت نون الجمع للاضافة وأما بدون الواو فيحتمل أن يكون جمعاً وانما حذفت الواو خطأ كما حذفت لفظاً ويحتمل ان يكون مفرداً وحقه على هذا كسر اللام قال النحاس وجماعة أهل التفسير يقولون انه لحن لانه لا يجوز هذا قاض المدينة والمعنى ان الكفار وما يعبدونه لا يقدر على اضلال أحد من عباد الله الا من هو من أهل النار وهم المصرون وانما يصير على الكفر من سبق القضاء عليه بالشقاوة وانه من يصلى النار أى يدخلها ثم قال الملائكة مخبرين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كما حكاها الله سبحانه عنهم (واماننا) في الكلام حذف والتقدير واماننا أحدأ ومامنا ملك (الاله مقام معلوم) في عبادة الله وقيل التقدير واماننا الا من له مقام معلوم يرجح البصريون التقدير الاول ويرجح الكوفيون الثاني قال الزجاج هذا قول الملائكة وفيه مضمحل والمعنى واماننا ملك الاله مقام معلوم يعبد ربه فيه لا يتجاوز وقيل مقام معلوم في القرية والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة كالتخوف والرجاء والمحبة والرضا والاولى وقيل هو من كلام النبي والمؤمنين أى واماننا الاله مقام معلوم في الجنة أو بين يدي الله في القيامة وفيه بعدم قالوا (وانالحن الصافون) أى في مواقف الطاعة أو حول العرش داعين للمؤمنين قال قتادة هم الملائكة صغفوا أفداهم وقال الكلبى صغفوا الملائكة في السماء كصغفوا أهل الدنيا في الارض وأنحن الصافون له في الصلاة وهذا على القول الثاني انهم المؤمنون والاول أظهر (وانالحن المسجون) أى المنزهون لله المقديسون له عما أضافه اليه المشركون وقيل المصلون وقيل المراد بقولهم المسجون مجموع التسبيح باللسان وبالصلاة والمقصود ان هذه الصفات هي صفات الملائكة وليسوا كما وصفهم به الكفار من انهم سميات الله ومن ابن عباس قال هذه الملائكة وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما في السماء موضع قدم الا عليه ملك ساجداً وقائم وذلك قول الملائكة واماننا الاله مقام معلوم وانالحن الصافون أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه وغيرهم وعن العلاء بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم لا صحابه أظت السماء وحق لها ان تظ ليس فيها موضع قدم الا عليه ملك راكع أو ساجد ثم قرأ وانالحن الصافون وانالحن المسجون أخرجه محمد بن نصر وابن عساکر وعن ابن

استاذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقالت على والعباس يستأذنان فقال صلى الله عليه وسلم أتدري ما حاجتكم قلت لا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم لكني أدري قال فاذن لهما قال يا رسول الله جئناك لتخبرنا أى أهالك أحب اليك قال صلى الله عليه وسلم أحب أهلى الى قاطمة بنت محمد قال يا رسول الله ما نسألك عن قاطمة قال صلى الله عليه وسلم فاسامة بن زيد بن حارثة الذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوجه بياسة عمته زينب بنت جحش الاسديّة رضي الله عنها وأمه أمية بنت عبد المطلب وأصدقها عشرة دنانير وستين درهما

ونجارا ومحفقة ودرعا وخسين مدامن طعام وعشرة أمدا من تمر قاله مقاتل بن حيان فحكمت عنده قريسا من سنة أو فوقها ثم وقع بينهما جواز يدسكوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أمسك عليك زوجك واتق الله قال الله تعالى وتختفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا أنارا عن بعض السلف رضى الله عنهم أحيينا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها وقد روى الامام أحمد ههنا أيضا من رواية جاد بن زيد عن ثابت عن أنس رضى الله (٨٦) عنه فيه غرابه تركنا سياقه أيضا وقد روى البخارى أيضا بعضه مختصرا فقال

حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا معلى بن منصور عن جاد بن زيد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ان هذه الآية وتختفي في نفسك ما الله مبديه نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضى الله عنهما وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن هشيم بن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سألت علي بن الحسين رضى الله عنهم ما يقول الحسن في قوله تعالى وتختفي في نفسك ما الله مبديه فذكرت له فقال لا ولكن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل ان يتزوجها فلما أتاه زيد رضى الله عنه ليشكوها اليه قال اتق الله وأمسك عليك زوجا فقال قد أخبرتك انى مزوجكها وتختفي في نفسك ما الله مبديه وهكذا روى عن السدى انه قال نحو ذلك وقال ابن جرير حدثني اسحق بن شاهين حدثني خالد بن داود عن عامر عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لو كنت محمد صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى اليه من كتاب الله تعالى

مسعود قال ان من السموات لسماء ما فيها موضع شبر الا وعليه جبهة ملك أو قدامه قائما أو ساجدا ثم قرأ وأنا نحن الصافون وأنا نحن المسبحون وأخرج الترمذى وحسنه وابن جرير وابن مردويه عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ان السماء أطقت وحقوق لها ان تنطق ما فيها موضع أربع أصابع الا وملائك واضع جبهته ساجدا لله قيسل الا طيط أصوات الاقتاب وقيل أصوات الابل وحينها وقد ثبت في الصحيح وغيره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر أصحابه بان يصفوا كما تصف الملائكة عند ربهم فقالوا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يقيون الصفوف المقدمة ويتراصون في الصف قال القرطبي قال مقاتل هذه الايات الثلاث نزلت ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند سدرة المنتهى فتأخر جبريل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهنا تغارقتي فقال جبريل ما استطيع أن أتقدم عن مكاني هذا وأنزل الله حكاية عن قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم الى آخرها (وان كانوا يقولون) ان محففة من الثقيلة وفيها ضمير شان محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين الناقبة أى وان الشأن كان كفار العرب ليقولون الخ وهذا يرجوع الى الاخبار عن المشركين أى كانوا قبل المبعث المحمدي اذا عيروا بالجهل قالوا (لو أن عندنا ذكرا من الاولين) أى كتابا من كتبهم كالتوراة والانجيل (لكن عباد الله المخلصين) أى لخلصنا العبادة له ولم نكفر به كما كفروا بغيره الذى هو سيد الازكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب (فكفروا به) قال ابن عباس لما جاء المشركين من أهل مكة ذكرا الاولين وعلم الاخرين كفروا بالكتاب والفاء هي الفصيحة الدالة على محذوف مقدر فى الكلام قال الفراء تقديره بغيره بغيره محمد بالذكركفروا به وهذا على طريق التعجب منهم ونظير ذلك قوله فى سورة فاطر وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا والمراد بالنذير الرسول وقد قيل هنا أن الذكركهو الرسول (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم ومعينة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وفى هذا تمديد لهم شديد ولقد سبقنا لكتنا لعبادنا المرسلين) مستأنفة مقررة للوعيد وتصديرها بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونها أى وبالله والمراد بالكلمة ما وعدهم الله به من النصر والغلبة والظفر على الكفار

لكم وتختفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجنا بها قال الوطر هو الحاجة والارب أى لما فرغ منها وافرقتها زوجها كما هو كان الذى ولي تزويجها منه الله عز وجل بمعنى انه أوحى اليه ان يدخل عليها بلاولى ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر قال الامام أحمد حدثنا هشام بن عمار عن ابن القاسم اخبرنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال لما انقضت عدت زينب رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة اذهب فاذا كرها على فانطلق حتى أتاهوا هي تخمربعينيها قال فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما استطيع ان أنظر اليها

وأقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي وقلت يا زينب أشيرى أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي عز وجل فقامت الى مسجد ها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أطمعنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل صلى الله عليه وسلم يتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك فأدري أنا (٨٧) أخبرني ان القوم قد خرجوا وأخبر فانطلق

حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فالتقى الستريني وبينه ونزل الجباب ووعظ القوم بما وعظوا به لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الآية كلها ورواه مسلم والنسائي من طرق عن سليمان بن المغيرة به وقد روى البخاري رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ان زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات وقد مننا في سورة النور عن محمد بن عبد الله بن جحش قال تفاخرت زينب وعائشة رضي الله عنهما فقالت زينب رضي الله عنها نا التي نزل تزويجي من السماء وقالت عائشة رضي الله عنها أنا التي نزل عذري من السماء فاعترفت لها زينب رضي الله عنهما وقال ابن جرير حدثنا ابن جريح حدثنا جرير عن المغيرة عن الشعبي قال كانت زينب رضي الله عنها تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادى عليك بثلاث مامن نسائك امرأة تدلي بهن ان جدى وجدك واحد

قال مقاتل عنى بالكلمة قوله سبحانه كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وقال الفراء سبقت كلمتنا بالسعادة لهم والاولى تفسير هذه الكلمة بما هو مذكور هنا فانه قال (انهم لهم المنصورون) فهذه هي الكلمة المذكورة سابقا وهذا تفسير لها وانما سماها كلمة وهي كلمتان لانها انما تنظم في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة فهو مجاز من اطلاق الجزء على الكل (وان جندنا) المراد بجند الله حربه وهم الرسل وأتباعهم والجند الانصار والاعوان والجمع اجناد وجنود والواحد جندي فالياء للوحدة مثل روم ورومي وجند يفحشتين بلد بالين قال الشيباني جاء هنا على الجمع يعني قوله (لهم الغالبون) من أجل انه رأس آية وهذا الوعد لهم بالنصر والغلبة لا ينافيه انهم في بعض المواطن وغلبة الكفار لهم فان الغالب في كل موطن هو انتصارهم على الاعداء وغلبتهم لهم فخرج الكلام مخرج الغالب على ان العاقبة المحمودة لهم على كل حال وفي كل موطن كما قال سبحانه والعاقبة للمتقين والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقام الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة وعن ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في العقبى والحاصل ان قاعدة أمرهم وأساسه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعف ذلك شوب من الابتلاء والخنة فالعبرة للغالب ويعطى الاكثر حكم الكل ويلحق القليل بالعدم أو الغلبة باعتبار عاقبة الحال وملاحظة المال ثم أمر الله سبحانه رسوله بالاعراض عنهم والانغماض عما يصدر منهم من الجهالات والضلالات فقال (فتول عنهم حتى حين) أي أعرض عنهم الى مدة معلومة عند الله سبحانه وهي مدة الكف عن القتال قال السدي ومجاهد حتى تأمرك بالقتال وقال قتادة الى الموت وقبل الى يوم بدر وقبل الى يوم فتح مكة قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف والاولى وكان صلى الله عليه وآله وسلم أول الامر مأمورا بالتبليغ والانداز والصبر على أذى الكفار تأليها لهم ثم أمر بالجهاد في السنة الثانية من الهجرة قال ابن جرير رحمه الله وغزواته صلى الله عليه وآله وسلم سبع وعشرون غزوة قاتل في ثمان منها بنفسه بدر وأحد والمصطلق والخندق وقرينة وخيبر وحنين والطائف انتهى (وأبصرهم) اذ انزل بهم العذاب بالقتل والاسروما هيا نالهم (فسوف يبصرون) ذلك عن قريب حين لا ينفعهم الابصار وسوف هنال للوعيد لا للتبعية اذ ليس المقام مقامه كما تقول سوف أنتقم منك وأنت متئى للانتقام قاله

واي أنسك نيك الله عز وجل من السماء وان السفير جبريل عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذ اقضوا منهم وطرا أي انما أجبنا لك تزويجها وفعلمنا ذلك لتلايق حرج على المؤمنين في تزويج المطلقات الادعياء وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة رضي الله عنه فكان يقال له زيد بن محمد فلما قطع الله تعالى هذه النسبة بقوله تعالى وما جعل ادعياءكم أبناءكم الى قوله تعالى ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله ثم زاد ذلك بيانا وتأكيذا بوقوع تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش رضي الله عنها الماطقة لزيد بن حارثة رضي الله عنه ولهذا

قال تعالى في آية التحريم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم اجتزمن الابن الدعي فان ذلك كان كثيرا فيهم وقوله تعالى وكان أمر الله مفعولا أي وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله تعالى وحتمه وهو كائن لا محالة كانت زينب رضي الله عنها في علم الله ستصير من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له أي فيما أحل له وأمر به من تزويج زينب رضي الله عنها التي طلقها مقدورا) يقول تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له أي فيما أحل له وأمر به من تزويج زينب رضي الله عنها التي طلقها دعيه زينب حارثة رضي الله عنه وقوله (٨٨) تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل أي هذا حكم الله تعالى في الأنبياء قبله

الكرخي ولذا عبر بالابصار عن قرب الأمر كأنه حاضر قدامه مشاهد له خصوصا إذا قيل ان الأمر للفور وقيل يصرون العذاب يوم القيامة ثم هددهم سبحانه بقوله (أفبعذابنا يستجلبون) كانوا يقولون من فرط تكذيبهم متى هذا العذاب (فأنازل بساحتهم) إذا نزل عذاب الله لهم بفنائهم والساحة في اللغة فناء الدار الواسع الخالي من الابنية وجعها سوح قال الفرع نزل بهم ونزل بساحتهم سواء قال الزجاج وكان عذاب هؤلاء بالقتل قيل المراد به نزول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بساحتهم يوم فتح مكة شبيه العذاب بجيش هجم عليهم فأناب بفنائهم بغنة وهم في ديارهم في الضمير المستتر في نزل استعارة بالكناية والنزول تخييل قرأ الجمهور نزل مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول والجار والمجرور قائم مقام الفاعل (فساء صباح المنذرين) أي بس صباح الذين أنذروا بالعذاب والمخصوص بالذم محذوف أي صباحهم وخص الصباح بالذم لأن العذاب كان يأقهم فيه وان وقع في وقت آخر وفي التعبير بالمنذرين إقامة الظاهر مقام المضمرة واللام للجنس لا للعهد فان أفعال الذم والمدح تقتضي الشروع للابهام والتفصيل فلا يجوز أن تقول بئس الرجل هذا ونعم الرجل هذا إذا أردت رجلا بعينه أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال صح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيبر وقد خرجوا بالمساحي فلما نظروا إليه قالوا الحمد وانهم يس فقال الله أكبر خربت خيبر أنا أنزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين الحديث ثم كر سبحانه ما سبق تأكيدهم بالعذاب وتسليمه على تسليمة فقال (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) حذف مفعول أبصر هنا وذكروا أولا ما للدلالة الأولى عليه فتركه هنا اختصارا وأقصد إلى التعميم للإيدان بأن ما يبصره من أنواع عذابهم لا يحيط به الوصف وقيل هذه الجملة المراد بها أحوال القيامة والجملة الأولى المراد بها عذابهم في الدنيا وعلى هذا فلا يكون من باب التأكيدي بل من باب التأسيس ثم زه سبحانه نفسه عن قبج ما يصدرونهم فقال (سبحان ربك ذي العزة عما يصفون) العزة الغلبة والقوة المراد تنزيهه عن كل ما يصفونه مما لا يليق بجنابه الشريف ورب العزة بدل من ربك وأضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذي العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه به وقيل المراد العزة المخلوقة الكائنة بين خلقه ويرتب على القولين مسئلة اليمين فعلى الأولى بعقد اليمين لأنها صفة من صفاته بخلاف الثاني فإنه لا يعتقد

لم يكن لأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج وهذا رد على من توهم من المناقنين نقصا في تزويجه امرأة زيد مولاه ودعيه الذي كان قد تمناه وكان أمر الله قدرا مقدورا أي وكان أمره الذي يقدره كما لنا لا محالة وواقعا لا محيد عنه ولا معدل فإشياء كان وما لم يشأ لم يكن (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما) يمدح تبارك وتعالى الذين يبلغون رسالات الله أي إلى خلقه ويؤدونها بأماناتها ويخشونه أي يخافونه ولا يخافون أحدا سواه فلا تمتعهم سطوة أحد عن ابلاغ رسالات الله تعالى وكفى بالله حسيبا أي وكفى بالله ناصرنا ومعينا وسيد الناس في هذا المقام بل وفي كل مقام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قام بإداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغرب إلى جميع أنواع بني آدم وأظهر الله تعالى كلمته ودينه وشرعه على جميع

الاديان والشرائع فإنه قد كان النبي قبله انما يعث إلى قومه خاصة وأما هو صلى الله عليه وسلم فإنه بعث إلى جميع لا يعتقد الخلق عربهم وعجمهم قل يأبى الناس انى رسول الله اليكم جميعا ثم وردت مقام البلاغ عنه أمته من بعده فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه رضي الله عنهم بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله في ليله ونهاره وحضره وسفره وعلايته فرضى الله عنهم وأرضاهم ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا فبنورهم يقتدى المهتدون وعلى منتهجهم يسلك الموفقون فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم قال الامام أحمد حدثنا ابن غير أخبرنا الامام عمن عن عمرو بن مرة عن أبي بصير عن أبي سعيد

الحدري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقرن أحدكم نفسه ان يرى أمر الله فيه فقال ثم لا يقوله فيقول الله ما يمنعك ان تقول منه فيقول رب خشيت الناس فيقول فانما أحق أن يخشى ورواه أيضا عن عبد الرزاق عن الثوري عن زيد بن عمرو بن مرة ورواه ابن ماجه عن أبي كريب عن عبد الله بن عمر وأبي معاوية كلاهما عن الاعمش به وقوله تعالى ما كان محمد أباً أحداً من رجالكم نهى ان يقال بعد هذا زيد بن محمد أى لم يكن أباه وان كان قد بناه فانه صلى الله عليه وسلم لم يعش له ولد حتى بلغ الحلم فانه صلى الله عليه وسلم ولده القاسم والطيب والظاهر من خديجة رضى (١٩) الله عنها فاقوا صغاراً وولده صلى الله

عليه وسلم ابراهيم من مارية القبطية فأتى أيضاً رضيعاً وكان له صلى الله عليه وسلم من خديجة أربع بنات زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة رضى الله عنهم أجمعين فأتى في حياته صلى الله عليه وسلم ثلاث وتأخرت فاطمة رضى الله عنها حتى أصيبت به صلى الله عليه وسلم ثم ماتت بعده لسته أشهر وقوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليماً كقوله عز وجل الله أعلم حيث يجعل رسالته فهذه الآية نص في انه لا نبى بعده واذا كان لا نبى بعده فلا رسول بالطريق الاولى والاخرى لان مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فان كل رسول نبى ولا يعكس وبذلك وردت الاحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة رضى الله عنهم قال الامام أحمد حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثلى في النبيين كمثل

لا ينعقد بها اليمين قاله السمين ثم ذكر ما يدل على تشرىف رسوله وتكريمهم فقال (وسلام على المرسلين) أى الذين أرسلهم الى عبادك وبلغوا رسالاتك وهومن السلام الذى هو التحية وقيل معناه أمن لهم وسلامته من المكارة أخرج ابن سعد وابن مردويه عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سلمتم على المرسلين فسلموا على قائمها تأبشروا من المرسلين وعن أنس مر فوعانجوه باطول منه عند ابن مردويه وعمه الرسل بالسلام بعد ما خص البعض فى السورة لان فى تخصيص كل بالذ كرتطويلا (والحمد لله رب العالمين) ارشاد لعباده الى حمده على ارسال رساله اليهم وبشرى ومنذرين وتعليم لهم كيف يصنعون عند انعامه عليهم وما يثنون به عليه وقيل انه الحمد على هلاك المشركين ونصر الرسل عليهم والاولى انه حمد لله سبحانه على كل ما أنعم به على خلقه أجمعين كما يفيد حذف الحمد عليه فان حذفه مشعر بالعميم كما تقرر فى علم المعانى والحمد هو الثناء الجميل لقصد التعظيم عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان اذا أراد ان يسلم من صلواته قال سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو يعلى وابن مردويه وأخرج الطبرانى عن ابن عباس قال كان يعرف انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الصلاة بقوله سبحان ربك الى آخرها وأخرج الخطيب نحوه من حديث أبى سعيد وأخرج الطبرانى عن زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من قال دبر كل صلاة سبحان ربك الايات ثلاث مرات فقد اكمل بالميكال الاوفى من الاجر وأخرج حميد بن زنجويه فى ترغيبه عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه نحوه وعن على رضى الله تعالى عنه من أحب أن يكال بالميكال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الى آخرها ذكره النسفى والخازن قال النسفى اشتمت السورة على ذكر ما قاله المشركون فى الله ونسبوه اليه مما هو منزعه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه فى العاقبة من النصر عليهم فحتمها بجموع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قبض لهم من حسن العواقب (٢)

\* (سورة ص آياتها ست وثمانون وقيل خمس وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية) \*

وهى مكية قال القرطبي فى قول الجميع قال ابن عباس نزلت بمكة وعنده قال المامرض

(١٢ فتح البيان ثامن) رجل بنى دارا فاحسنها وأكلها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة فانافى النبيين موضع تلك اللبنة ورواه الترمذى عن بنى دار عن أبى عامر العقدي به وقال حسن صحيح حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا المختار بن فلفل حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرسالة والنبوة قد انقطعوا بعدى ولا نبى قال فشق ذلك على الناس فقال ولكن البشرا قالوا يا رسول الله وما المشرقات قال رؤيا الرجل المسلم وهو حر من أجر النبوة وهكذا رواه الترمذى عن

(٣) تم التقييدات فى ٢٦ رمضان ذوالفقار

الحسن بن محمد الزعفراني عن عفان بن مسلم به وقال صحيح غريب من حديث المختار بن فلفل حديث آخر قال أبو داود الطيالسي حدثنا سليمان بن حيان عن سعيد بن مينا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فاكلها واوحسها الاموضع لبنة فكان من دخلها فنظر اليها قال ما احسنها الاموضع هذه اللبنة فانما موضع اللبنة ختمت في الانبياء عليهم الصلاة والسلام ورواه البخاري ومسلم والترمذي من طرق عن سليمان بن حيان به وقال الترمذي صحيح غريب من هذا الوجه قال الامام أحمد (٩٠) حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي

الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل النبيين كمثل رجل بنى دارا فآتمتها اللبنة واحدة فحيت انافاتمت تلك اللبنة انفرد باخر اجه مسلم من رواية الاعمش به حديث آخر قال أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا جاد بن زيد حدثنا عثمان بن عبيد الراسبي قال سمعت أبا الطفيل رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبوة بعدي الا المبشرات قبل وما المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا الحسنة أو قال الرؤيا الصالحة

حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا

عبد الرزاق أخبرنا عمر بن همام ابن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل ابني بيوتافا كملها واوحسها واوجلها الاموضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون ويحجهم البنيان ويقولون الا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيناك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أنا اللبنة آخر جاء من حديث عبد الرزاق

أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل فقال ان ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت اليه فنهيتة فبعث اليه فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل غشي أبو جهل ان يجلس الى أبي طالب ويكون أرقى عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس فلم يجدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجلسا قرب عمة فجلس عند الباب فقال له أبو طالب اي ابن أخي ما بال قومك يشكونك يزعمون انك تشتم آلهتهم وتقول وتقول قال وأكثروا عليه من القول وتكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا عم اني اريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدى اليهم بها العجم الجزية ففزعوها لكلمته ولقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وايبك عشرا قالوا فاشه قال لا اله الا الله فقاموا فزعين يتفضون ثيابهم وهم يقولون اجعل الالهة الها واحدا ان هذالشيء عجاب فنزل فيهم ص والقرآن ذى الذكر الى قوله بل لما يذوقوا عذاب أخرجه الترمذي وصححه والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن جرير وابن المنذر

\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*

(ص) قرأ الجمهور صاد بسكون ال دال كسا ر حروف التهجي في أوائل السور فانها ساكنة الا واخر على الوقف وقرئ بكسر هامن غير تنوين لالتقاء الساكنين وهذا أقرب وقيل وجه الكسر انه من صا دي يصادى اذا عارض والمعنى صاد القرآن بعملك أي عارضه وقابله فاعمل به وهذا حكاية النحاس عن الحسن البصرى وقال انه فسر قراءة هذه بهذا وعنه ان المعنى اتله وتعرض لقراءة ته وقرئ صاد بفتح ال والفتح لالتقاء الساكنين وقيل نصب على الاغراء وقيل معناه صاد محمد لقلب الخلق واستمالها حتى آمنوا به ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو وروى عن ابن أبي اسحق أيضا انه قرأ صاد بالكسر والتنوين تشبيها لهذا الحرف بما هو غير متمكن من الاصوات وقرئ صاد بالضم من غير تنوين على البناء نحو من مذوحيت كما قرئ به في ق ون وقد بسط السمين الكلام على توجيه الشكل وقال الحفناوى يجوز السكون على الحكاية والفتح لمنع الصرف للعلمية والتأنيث باعتبار ان هذا الاسم علم على السورة والجرمع التنوين نظرا الى كون السورة قرآنا يقال لها سورة

داود

حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا قال مسلم حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وعلى بن حجر قالوا

حدثنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختمت في النبيون ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث اسمعيل بن جعفر وقال الترمذي حسن صحيح حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم



مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل نجي دارا فأتته الاموضع لبنة واحدة جئت أنا فأتمت تلك البنية ورواه مسلم عن أبي بكر بن  
أبي شيبة وأبي كريب كلاهما عن أبي معاوية به حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح  
حدثنا سعيد بن سويد الكلبى عن عبد الاعلى بن هلال السلمى عن العرياض بن سارية رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه  
وسلم انى عند الله لخاتم النبيين وان آدم لم تجدل فى طينته حديث آخر قال الزهري أخبرنى محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضى الله  
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لى أسماء أنا محمد وأنا (٩١) أحمد وأنا الماسحى الذى يحمى الله تعالى بى

الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر  
الناس على قدمى وأنا العاقب الذى  
ليس بعده نبي أخرجاه فى الصحيحين  
وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن  
اسحق حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله  
ابن هبيرة عن عبد الرحمن بن جبير  
قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول  
خرج علينا رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يوما كالمودع فقال أنا  
النبي الامى ثلاثا ولا نبي بعدى  
أوتيت فواتح الكلم وجوامعها  
وخواتمها وعلمت كم خزانة النار وجملة  
العرش وتجوزى وعرفت وعرفت  
أسمى فاطموا وأطيعوا مادمت  
فيكم فاذا ذهب بى فعليكم بكتاب  
الله تعالى أحلوا حلاله وحرموا  
حرامه تفرد به الامام احمد ورواه الامام  
احمد ايضا عن يحيى بن اسحق عن  
ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن  
عبد الله بن شريح الخولانى عن أبي  
قيس مولى عمرو بن العاص عن  
عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما  
فذكر مثله سواء والا حديث فى هذا  
كثيرة فمن رحمة الله تعالى بالعباد  
ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم  
ثم من تشرى به له ختم الانبياء

داود وقد اختلف فى معنى ص فقال الضحاك معناه صدق الله وقال عطاء صدق محمد  
وقال سعيد بن جبير هو يجرح يحيى الله به الموتى بين النفختين وقال محمد بن كعب هو مفتاح  
اسم الله وقال قتادة هو اسم من أسماء الله وعنه هو اسم من أسماء الرحمن وقال محمد هو  
فاتحة السورة وقال ابن عباس ص محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو مما استأثر الله  
بعلمه وهو أعلم بمراده به وهذا هو الحق كما قدمنا فى فاتحة سورة البقرة قيل وهو اسم للجروف  
مسرودا على غط التعديد واسم للسورة وأخبر مبتدأ محذوف أو منصوب باضمار إذ كرر  
أو اقرأ (والقرآن) هى واو القسم والاقسام بالقرآن فيه تنبيه على شرف قدره وعلو محله  
ومعنى (ذى الذكر) انه مشتبل على الذكر الذى فيه بيان كل شئ وقال مقاتل معنى ذى  
الذكر ذى البيان وقال الضحاك وابن عباس ذى الشرف والعظمة كما فى قوله لقد أنزلنا  
اليكم كتابا فيه ذكركم أى شرفكم وألوهية وقيل ذى الموعظة وقيل فيه ذكرا يحتاج اليه  
فى أمر الدين وقيل فيه ذكرا أسماء الله تعالى وتعبده وقيل فيه ذكرا العقائد والشرائع  
والمواعيد وجواب القسم قوله ان ذلك لحق قاله الزجاج والكسائى والكوفيون وقال  
الفراء لا تجده مستقيما لتأخره جاد عن قوله والقرآن ورجح هو ثعلب ان الجواب قوله كم  
أهلكنا وقال الاخفش الجواب هو ان كل الاكذب الرسل وقيل هو صادق لان معناه حق  
فهو جواب لقوله والقرآن كما تقول حقا والله واجب والله ذكره ابن الأنبارى وروى أيضا  
عن ثعلب والفراء وهو مبنى على ان جواب القسم يجوز تقديمه وهو ضعيف وقيل الجواب  
محذوف والتقدير لتبعين ونحو ذلك وقال الخوفى تقديره لقد جاءكم الحق ونحوه وقال  
الزمخشري انه المعجز والحلى انك لمن المرسلين وقال ابن عطية تقديره ما الامر كما يزعم  
الكفار من تعدد الالهة والقول بالخذف أولى وقيل ان قوله ص مقسم به وعلى هذا  
القول تكون الواو فى القرآن للعطف عليه ولما كان الاقسام بالقرآن دال على صدقه وانه  
حق وانه ليس بعمل للرب قال سبحانه (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) فأضرب عن ذلك  
وكأنه قال لا ريب فيه قطعاً ولم يكن عدم قبول المشركين له ريب فيه بل هم فى عزة عن  
قبول الحق أى تكبر ويحجرون شقاق أى امتناع عن قبول الحق يعنى ليس الحامل لهم عليه  
الدليل بل مجرد الجحمة والخصام والتقليد والعزة عند العرب الغلبة والقهر يقال من عزز  
أى من غلب أخذ السلب ومنه عززنى فى الخطاب أى غلبنى والشقاق مأخوذ من الشق

والمرسلين بهوا كمال الدين الحنيف له وقد أخبر الله تبارك وتعالى فى كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم فى السنة المتواترة عنه انه لاني  
بعده ليعلموا ان كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ولو تحرق وشعبذ وأتى بانواع السحر والطلاسم  
والنيرنجيات فكلمها محال وضلال عند أولى الالباب كما جرى الله سبحانه وتعالى على يد الاسود اعنسى بالين ومسيمة الكذاب  
باليامة من الاحوال الفاسدة والاقوال الباردة ما علم كل ذى لب وفهم وحجى انهما كاذبان ضالان لعنهما الله وكذلك كل مدع لذلك  
الى يوم القيامة حتى يتخيموا بالمسيح الدجال يخلق الله تعالى معه من الامم ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها وهذا من تمام

لطف الله تعالى بخلقه فانهم بضرورة الواقع لا يأمر ولا ينهون عن منكر الاعلى سبيل الاتفاق أو لمالهم فيه من المقاصد الى غيره ويكون في غاية الاذث والفجور في أقوالهم وأفعالهم كما قال تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم الآية وهذا بخلاف حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والادلة الواضحات والبراهين الباهرات فصلوات الله وسلامه عليهم دائماً مستمرا مادامت الارض والسموات (يا أيها ٩٢) الذين آمنوا ذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصل

وهو الخلاف والعداوة وقد تقدم بيانه والتسكير فيهما للدلالة على شدتهما واتفاقهما وقرئ في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق والاول أولى ثم خوفهم سبحانه وهددهم بما فعله من قبلهم من الكفار فقال (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) يعني الامم الخالصة المهلكة بتكذيب الرسل أي كم أهلكنا الذين كانوا أمتنع من هؤلاء وأشده قوة وأكثر أموالا وكم هي الخيرة الدالة على التكثير وهي في محل نصب بأهلكنا على انها مفعول به ومن قرن تميز من في من قبلهم هي لابتداء الغاية (فنادوا اولات حين مناص) النداء هنا هو نداء الاستغاثة منهم عند نزول العذاب بهم وليس الحين حين مناص قال الحسن نادوا بالتوبة وليس حين التوبة ولا حين يتفجع العمل والمناص مصدر ناص ينوص وهو الفوت والتأخر ولات بمعنى ليس بلغة أهل اليمن وقال النخعي هي لا التي بمعنى ليس زيدت عليها التاء كما في قولهم رب وربت وثمرت قال الفراء النوص التأخر وأنشد قول امرئ القيس

أمن ذكرك لي اذ نأتك نوص \* فتقصر عنها خطوة وتبوص

قال يقال ناص عن قرينه نوص نوصا ومناصا أي فروراع قال الفراء ويقال ناص نوص اذا تقدم وقيل المعنى انه قال بعضهم لبعض مناص أي عليكم بالفرار والهزيمة فلما أتاهم العذاب قالوا مناص فقال الله ولات حين مناص قال سيبويه والخليل لات مشبهة بليس والاسم فيها ضمير أي ليس حيننا حين مناص وقال الزجاج التقدير وليس أو اتنا قال ابن كيسان والقول قول سيبويه والوقف عليها عند الكسائي بالهاء وبه قال المبرد والاختفش وقال الاختفش انها اللاتية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنى الاحيان قال الكسائي والفراء والخليل وسيبويه والاختفش والتاء تكتب منقطعة عن حين وكذلك هي في المصاحف وقال أبو عبيد تكتب متصلة بحين فيقال ولا تحين وقد يستغنى بحين عن المضاف اليه قال أبو عبيد لم يجد العرب تزيد هذه التاء الا في حين وأوان والآن قلت قد يزيدونها في غير ذلك أيضا وقال ابن عباس ليس بحين نزول فرار أو أخرج ابن أبي من طريق عكرمة عنه قال نادوا النداء حين لا ينفعهم وأنشد

تذكرت ليلى حين لات تذكر \* وقد بنت منها والمناص بعيد

وعنه قال ليس هذا حين زوال وعنه قال لا حين فرار وقرأ الجمهور لات بفتح التاء وقرئ

عليكم وملائكته ليخرحكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحمة تحييتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما يقول تعالى أمر اعباده المؤمنين بكثرة ذكركم لرهبهم تبارك وتعالى المنعم عليهم بأنواع النعم وصنوف المن لمالههم في ذلك من جزيل الثواب وجبيل المآب قال الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن سعيد حدثني مولى ابن عياش عن أبي بكرة عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخيرا أعمالكم وأزكاهما عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من أن تلقوا الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما هو يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم ذكر الله عز وجل وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن سعيد ابن ابي عبيد عن زياد مولى ابن عياش عن ابي بكرة واسمه عبد الله ابن قيس البراعني عن ابي الدرداء رضي الله عنه به قال الترمذي ورواه

بعضهم عنه فأرسله قلت وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات في مسند بكسرهما الامام احمد من حديث زياد بن ابي زياد مولى عبد الله بن عياش انه بلغه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه فالتة اعلم وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا روح بن فضالة عن ابي سعيد الحمصي قال سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول دعاء سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدعه اللهم اجعلني أعظم شكرك وأتبع نصيحتك وأكثر ذكرك وأحفظ وصيتك ورواه الترمذي عن يحيى بن موسى عن وكيع عن ابي فضالة الفرج بن فضالة عن ابي سعيد الحمصي عن ابي هريرة رضي الله عنه فذكر

مثله وقال غريب وهكذا رواه الامام احمد ايضا عن ابي النضر هاشم بن القاسم عن فرج بن فضالة عن ابي سعيد المري عن ابي هريرة رضي الله عنه فذكره وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس قال سمعت عبد الله بن بشر يقول جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما يا رسول الله أي الناس خير قال صلى الله عليه وسلم من طال عمره وحسن عمله وقال الآخر يا رسول الله ان شرائع الاسلام قد كثرت علينا فبني باهر أن شئت به قال صلى الله عليه وسلم لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى وروى الترمذي وابن ماجه الفصل (٩٣) الثاني من حديث معاوية بن صالح به وقال

الترمذي حديث حسن غريب وقال الامام احمد حدثنا شريح حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحرث قال ان دراجا ابنا السهم حدثه عن ابي الهيثم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثر واذا كرا الله تعالى حتى يقولوا مجنون وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن احمد حدثنا عقبه بن مكرم العمري حدثنا سعيد بن سفيان الخدري حدثنا الحسن بن ابي جعفر عن عقبه بن ابي شبيب الرازي عن ابي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كروا الله ذكرا كثيرا (١) يقول المتناقون يراون وقال الامام احمد حدثنا ابي سعيد مولى بني هاشم حدثنا ابي طلحة الرازي سمعت ابا الوازع جابر بن عمرو يحدث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم جلسوا مجلسا لم يذكر الله تعالى فيه الا رآوه حسرة يوم القيامة وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى اذ كروا الله ذكرا كثيرا ان الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكرا فان الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر احد في تركه الا مغلوبا على تركه فقال اذ كروا الله قياما وعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار في البر والبحر وفي السفرو والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلاينة وعلى كل حال وقال عز وجل وسبحوه بكرة وأصيلا فاذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته والاحاديث والآيات والآثار في الحديث على ذكر الله تعالى كثيرة جدا وفي هذه الآية الكريمة الحديث على الاكثر من ذلك وقد صنف الناس في الاذكار المتعلقة باناء الليل والنهار (١) بياض باصله

بكسر ها بكسر وجله لات حين مناص في محل نصب على الحال من ضمير نادوا (وعجبوا وان جاءهم منذر منهم) أي عجب الكفار الذين وصفهم الله سبحانه بنهم في عزة وشقاق ان جاءهم رسول من انفسهم يذريهم بالعذاب ان استمروا على الكفر وان وما في حيزها في محل نصب بنزع الخافض أي من ان جاءهم وهو كلام مستأنف مشتق على ذكروا من انواع كفرهم (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) قالوا هذا القول لما شاهدوا ما جاء به من المعجزات الخارجة عن قدرة البشر أي هذا المدعى للرسالة ساحر فيما يظهره من المعجزات كذاب فيما يدعيه من ان الله ارسله قيل ووضع الظاهر موضع الضمير لانه لا يظهر الغضب عليهم وان ما قالوه لا يتجاسر على مثله الا المتوغلون في الكفر انهم يكون في الغي اذ لا كفر أعظم من ان يسموا من صدقه الله كذبا ساحرا او يتعجبوا من التوحيد وهو الحق الا يبلغ ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل الجلي ثم أنكر ما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم من التوحيد وما نفاه من الشركاء الله فقالوا (أجعل الآلهة) أي صيرها (الهوا واحدا) وقصرها على الله سبحانه (ان هدا الشيء عجاب) أي الامر بالغ في العجب الى الغاية تعجبوا من هذا القصر والحصر وقالوا كيف يسع الخلق كلهم له واحد ومنشؤه ان القوم ما كانوا أصحاب نظر واستدلال بل كانت أوهامهم تابعة لمعسوسات فلما وجدوا في الشاهد ان الناعل الواحد لا تفي قدرته وعلمه بحفظ الخلائق قاسوا الغائب على الشاهد وان اسلافهم لكثرتهم وقوة عقولهم كانوا مطبقين على الشرك توهموا ان كونهم على هذه الحال محال ان يكونوا مبطلين فيه ويكون الانسان الواحد محقا فلعمري لو كان التقليد حقا كانت هذه الشبهة لازمة قاله الكرخي قال الجوهرى العجيب الامر الذي يتعجب منه وكذلك العجاب بالضم والعجاب بالتشديد أكثر منه قرأ الجهور عجاب بالتحفيف وقرئ بتشديد الجيم قال مقاتل بالتحفيف لغة أزدشنة قبل والعجاب بالتحفيف والتشديد يدل على انه قديم الجاهل في العجب كما يقال الطويل للذي فيه طول والطوال للذي قد تجاوز حد الطول وكلام الجوهرى يفيد اختصاص المبالغة بعجاب مشدد الجيم لا بالتحفيف وقد قدمنا في صدر هذه السورة سبب نزول هذه الآيات (وانطلق الملائمة) المراد بالملائمة الاشراف كما هو مقرر في غير موضع من تفسير الكتاب العزيز عن ابن عباس قال نزلت حين انطلق اشراف قريش الى ابي طالب فكلّمه في النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلين

الله عنهما في قوله تعالى اذ كروا الله ذكرا كثيرا ان الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكرا فان الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر احد في تركه الا مغلوبا على تركه فقال اذ كروا الله قياما وعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار في البر والبحر وفي السفرو والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلاينة وعلى كل حال وقال عز وجل وسبحوه بكرة وأصيلا فاذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته والاحاديث والآيات والآثار في الحديث على ذكر الله تعالى كثيرة جدا وفي هذه الآية الكريمة الحديث على الاكثر من ذلك وقد صنف الناس في الاذكار المتعلقة باناء الليل والنهار (١) بياض باصله

كالنساني والمعمري وغيرهما من أحسن الكتب المؤلفة في ذلك كتاب الأذكار للشيخ محيي الدين النووي رحمه الله وقوله تعالى وسجوه بكرة وأصيلا أي عند الصباح والمساء كقوله عز وجل فسبحان الله حين تسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تطهرون وقوله تعالى هو الذي صلى عليكم وملائكته هذا تهيج إلى الذكر أي أنه سبحانه يذكركم فاذا كروه أنتم كقوله عز وجل كما أرسلنا فيكم رسولا منكم نلوأ عليكم آياتنا ويزككم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذا كروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال (٩٤) النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرتني في

نفسى ومن ذكرني في ملاذ كرتني في ملاخير منهم والصلاة من الله تعالى ثناءه على العبد عند الملائكة حكاية البخاري عن أبي العالية ورواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عنه وقال غيره الصلاة من الله عز وجل الرحمة وقد يقال لامنافاة بين القولين والله أعلم وأما الصلاة من الملائكة فمعنى الدعاء للناس والاستغفار كقوله تبارك وتعالى الذين يحلمون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات الآية وقوله تعالى يخرجكم من الظلمات إلى النور أي بسبب رحمة بكم وثنائه عليكم ودعائه ملائكته لكم يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين وكان بالمؤمنين رحمة أي في الدنيا

بعضهم لبعض (أن أمشوا) أي امضوا على ما كنتم عليه ولا تدخلوا في دينه (واصبروا على آلهتكم) أي اثنوا على عبادتها وقيل المعنى وانطلق الأشرف منهم فقالوا للعوام امشوا واصبروا على آلهتكم وأن هي المفسرة للقول المقدراً ولقوله وانطلق لأنه مضمن معنى القول ويجوز أن تكون مصدرية معمولة للمقدراً وللمذكور أي بأن أمشوا وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها أي اجتمعوا أو كثروا وهو بعيد جدا وخلاف ما يدل عليه الانطلاق والمشى بحقيقةهما وخلاف ما تقدم في سبب النزول وجملة (ان هذا الشيء يراد) تعليل لما تقدمه من الأمر بالصبر أي يريد محمد بننا وآلهتنا ويود تمامه من غير صارف بلويه ولا عاطف يشبهه لعلنا علينا ونكون له اتباعا فيتحكم فينا بما يريد فيكون هذا الكلام خارجا مخرج التحذير منه والتنفير عنه وقيل ان هذا الأمر يريد الله سبحانه وما أرادوه ويحكم بامضائه فهو كائن لا محالة ولا ينتفع فيه إلا الصبر فاصبروا على عبادة آلهتكم وقيل المعنى ان دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه أو ان هذا الأمر شيء من نواب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه أو أمر يراد بأهل الأرض والأول أولى (ما سمعنا بهذا) الذي يقوله محمد من التوحيد (في الملة الآخرة) وهي ملة النصرانية فانها آخر الممل قبل ملة الإسلام كذا قال محمد بن كعب القرظي وقيادة ومقاتل والكلبي والسدي وبه قال ابن عباس وقال مجاهد يعنون به ملة قريش أي التي أدركا عليها آباءنا وعن قتادة مثله وقال الحسن المعنى ما سمعنا ان هذا يكون في آخر الزمان وقيل ان المعنى ما سمعنا من اليهود والنصارى ان محمد رسول الله (ان هذا الاختلاق) أي ما هذا الا كذب اختلقه محمد واقتراه من تلقاء نفسه واقعله ثم استنكروا أن يخص الله رسوله بمزية النبوة دونهم فقالوا (أنزل عليه الذكر من بيننا) والاستفهام للانكار أي كيف يكون ذلك ونحن الرؤساء والأشراف قال الزجاج قالوا كيف أنزل على محمد القرآن من بيننا ونحن أكبر سنا وأعظم شرفا منه وهذا مثل قولهم لو أنزل هذا القرآن على رجل من القريةين عظيم فأنكر وأن يتفضل الله سبحانه على من يشاء من عباده بما شاء ولما ذكر استنكارهم لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دونهم بين السبب الذي لاجله تركوا التصديق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما جاء به فقال (بل هم في شك من ذكرى)

الآخرة أما في الدنيا فإنه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم وبصرهم الطريق الذي ضل عنه وهداهم من سواهم من أي الدعوة إلى الكفر والبذعة وأساعفهم من الطعام وأما رحمة بهم في الآخرة فآمنهم من الفزع الأكبر وأمر ملائكته يتلقونهم بالنبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار وما ذلك إلا لخبثته لهم ورأفته بهم قال الامام أحمد حدثنا محمد بن عدي عن جده عن أنس رضي الله عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه رضي الله عنهم وصبي في الطريق فلما رأته أمه القوم خشيت على وادها أن يوطأ فاقبلت تسمي وتقول ابني ابني وسعت فأخذته فقال القوم يا رسول الله ما كانت هذه لتلقى ابنها في النار قال خففهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا والله لا يلقى حبيبه في النار اسناده على شرط الصحيحين ولم يخرجها أحد من أصحاب الكتب الستة ولكن في صحيح الامام البخارى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة من السبي قد أخذت صيها لها فالصقتة الى صدرها وأرضعتها فقال صلى الله عليه وسلم أترون هذه تلقى ولدها في النار وهى تقدر على ذلك قالوا لا قال صلى الله عليه وسلم فوالله لله أرحم بعباده من هذه بولدها وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام الظاهر ان المراد والله أعلم تحيتهم أى من الله تعالى يوم يلقونه سلام أى يوم يسلم (٩٥) عليهم كما قال عز وجل سلام قولاً من رب

رحيم رزعم قتادة ان المراد انهم يحيون بعضهم بعضا بالسلام يوم يلقون الله في الدار الآخرة واختاره ابن جرير قلت وقد يستدل له بقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقوله تعالى وأعد لهم أجرا كريما يعنى الجنة وما فيها من المآكل والمشرب والملابس والمسكن والمناجى والملاذ والمناظر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (يأبها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وادعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً) قال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا فليج بن سليمان حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصي رضى الله عنهم فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله انه لوصوف

أى من القرآن أو الوحي لا عرضهم عن النظر الموجه لتصديقه واهم اللهم للدلالة الدالة على انه حق منزل من عند الله (بل لما يذوقوا عذاب) أى بل السبب انهم لم يذوقوا عذابى فاعتروا بطول المهلة ولو ذاقوا عذابى على ما هم عليه من الشرك والشك لصدقوا ما جئت به من القرآن ولم يشكوا فيه وذوقهم له متوقع فاذا ذاقوه زال عنهم الشك وصدقوا وتصديقه لا ينفعهم حينئذ لانهم صدقوا مضطرين فقوله بل لما يذوقوا اضراب عن الاضراب الا اول خلاف ما يفهم من الكشاف من تعلقه بالكلامين قبله (أم) أى بل أ (عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أى مفاتيح نعم ربك وهى النبوة وما هو دونها من النعم حتى يعطوهم من شأوا فما لهم ولا نكار ما تفضل الله به على هذا النبي واختاره له واصطفاه لرسالته والمعنى ان النبوة عظيمة من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز الغالب القاهر الذى لا يغلب الوهاب المعطى بغير حساب الذى له أن يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) أى بل لهم ملك هذه الاشياء حتى يعطوا من شأوا ويمنعوا من شأوا ويعترضوا على اعطاء الله سبحانه ما شاء لمن شاء والمعنى انه ليس لهم مدخل فى أمر هذا العالم الجسمانى الذى هو جزء يسير من خزائنه فمن أين لهم أن يتصرفوا فيها وقوله (فليتقوا فى الاسباب) جواب شرط محذوف أى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى الاسباب أى المعارج والمناهج والطرق التى توصلهم الى السماء وألى العرش حتى يستوا واعلمه ويحكموا بما يريدون من عطاء ومنع ويديروا أمر العالم بما يشتهون أو فليصعدوا وليمنعوا الملائكة من نزولهم بالوحي على محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاسباب أبواب السموات التى تنزل الملائكة منها قاله مجاهد وقتادة قال الربيع بن أنس الاسباب أدق من الشعر وأشد من الحديد ولكن لا ترى وقال السدى فى الاسباب فى الفضل والدين وقيل فليعملوا فى اسباب القوة ان ظنوا انها مانعة وهو قول أبى عبيدة وقيل الاسباب الحبال أى ان وجدوا حبالا يصعدون فيها الى السماء فعملوا والاسباب عند أهل اللغة كل شئ يتوصل به الى المطلوب كائنا ما كان وفى هذا الكلام تهكم بهم وتعجيز لهم قال ابن عباس الاسباب السماء أى لانها أسباب الحوادث السفلية (جندها هناك مهزوم من الاحزاب) هذا وعد من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالنصر عليهم والظفر ووجد

في التوراة ببعض صفته في القرآن يأبها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرز اللامين فأت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غلظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله فيفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وقد رواه البخارى فى اليسوع عن محمد بن سنان عن فليج بن سليمان عن هلال بن علي به ورواه فى التفسير عن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو به ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عبد الله بن رجاء عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون به وقال البخارى

في اليسوع وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه وقال وهب بن منبه ان الله تعالى أوحى الى نبي  
 من أنبياء بني اسرائيل يقال له شعيب ان قم في قومك بني اسرائيل فاني منطلق لسانك ليوحي وأبعث أميما من الأميين أبعثه ليس  
 بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق لويح الى جنب سراج لم يطفئه من سكينته ولو عيشى على القصب لم يسمع من تحت قدميه أبعثه  
 مبشرا ونذيرا لا يقول الخنى افتح به أعينا كما هو آذانا صما وقلوبا غلفا أسدده لكل أمر جميل وأهب له كل خلق كريم واجعل  
 السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى (٩٦) ضميره والحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف

خلقه والحق شريعته والعدل  
 سيرته والهدى امامه والاسلام  
 ملته وأجد اسمه أهدي به بعد  
 الضلال وأعلم به بعد الجهالة  
 وارفع به بعد الخالة واعرف به بعد  
 النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى  
 به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة  
 وأولف به بين أمم متفرقة وقلوب  
 مختلفة وأهواء متشتتة واستنقذ  
 به فئاما من الناس عظيمة من  
 الهلكة وأجعل أمته خير أمة  
 أخرجت للناس يأمرون بالمعروف  
 وينهون عن المنكر موحدون  
 مؤمنين مخلصين مصدقين لما جاءت  
 به رسلى أنهمم التسبيح والتحميد  
 والثناء والتكبير والتوحيد في  
 مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم  
 ومنقلبهم ومشاوهم يصلون لي قياما  
 وقعودا ويقفون لي في سبيل الله  
 صنفوا وزحفوا ويخرجون من  
 ديارهم ابتغاء مرضاتى ألؤفا  
 يظهرن الوجوه والاطراف  
 ويشدون الثياب في الانصاف  
 قربانهم دماؤهم وأنجيلهم في  
 صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار  
 وأجعل في أهل بيته وذريته

مر ترفع على أنه خير مبتدأ محذوف أى هم جند حقير يعنى الكفار مهزوم مكسور عما  
 قريب فلا تبال بهم ولا تظن أنهم يصلون الى شئ مما يضرونه بك من الكيد وما في قوله  
 ما هنا لك هي صفة جند لا فائدة التعظيم أو التحقير أى جند أى جند وقيل هي زائدة يقال  
 هزمت الجيش كسرته وهزمت القرية اذا تأسرت وهذا الكلام متصل بما تقدم وهو  
 قوله بل الذين كفر وافي عزة وشقاق وهم جند من الاحزاب مهزومون فلا تتجزن لهزتهم  
 وشقاقهم فاني أسلب عزهم وأهزم جمعهم وقد وقع ذلك والله الخدفي يوم بدر وفيما بعده من  
 مواطن الله وهو اخبار بالغيب وقيل مشاربه الى نصرته الاسلام وقيل الى حفر الخندق  
 يعنى الى مكان ذلك قال الرازى والاصح عندي جملة على يوم فتح مكة لان المعنى انهم جند  
 سيصرون مهزومين في الموضع الذي ذكر وفيه هذه الكلمات وذلك الموضع هو مكة  
 وما ذالك الا في يوم الفتح (كذبت قبلهم) استئناف مقرر لمضون ما قبله ببيان أحوال العتاة  
 الطغاة الذين هو لا جند من جنسهم عما فعلوا من الكفر والتكذيب وفعل بهم من العقاب  
 والعذاب (قوم نوح) أى كذبوا رسولهم نوحا وكذا يقدر فيما بعده وتأنيت قوم باعتبار المعنى  
 وهو أنهم أمة وطائفة وجماعة (وعاد وفرعون ذوالاوتاد) قال المفسرون كانت له اوتاد  
 يعذب بها الناس وذلك انه كان اذا غضب على أحد وتديده ورجليه ورأسه على  
 الارض وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وما أبر هذا القول وقيل ذوالقوة  
 والبطش وقيل المراد بالاوتاد الجوع والجند الكثرة يعنى أنهم كانوا يقوتون أمره  
 ويشدون سلطانه كما يقوى الاوتاد ما ضربت عليه فالكلام خارج مخرج الاستعارة على  
 هذا قال ابن قتيبة العرب تقول هم في عز أو في ملك ثابت الاوتاد ويريدون ملكا دائما  
 شديدا وأصل هذا ان اليت من بيوت الشعرا عما يشب ويقوم بالاوتاد وقيل المراد  
 بالاوتاد هنا البناء المحكم أى وفرعون ذوالابنية المحكمة قال الضحاك والبيان يسمى اوتادا  
 والاوتاد جمع وتد وفيه لغات أفصحها فتح الواو وكسر التاء ويقال وتد بفتحهما وتد باعنام  
 التاء في الدال بوزن وج وودت وهي لغة أهل نجد قال الاصمعي ويقال وتدوات مثل شغل  
 شاغل (وتعود وقوم لوطوا أصحاب الأيكة) أى الغيضة وهي اشجار الملتفة للجمعة وقد  
 تقدم تفسيرها في سورة الشعراء ومعنى (أولئك الاحزاب) أنهم الموصوفون بالقوة والكثرة  
 كقولهم فلان هو الرجل وقريش وان كانوا حزبا كما قال الله تعالى فيما تقدم جند ما هنا لك

السابقين والصدقيين والشهداء والصالحين أمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون وأعزم من نصرهم وأو يد من دعاهم مهزوم  
 وأجعل دائرة السوء على من خالفهم أو بغى عليهم أو أراد أن ينتزع شئ مما في أيديهم وأجعلهم ورثة لنبيهم والدا عيسى الى ربهم  
 يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم أختم بهم الخير الذي بدأته بأولهم ذلك  
 فضلى أوتيه من أشاء وأنادو الفضل العظيم هكذا رواه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه اليماني رجه الله ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي  
 حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله القرشي عن شيبان النخعي أخبرني بقيادة عن عكرمة عن ابن

عباس رضي الله عنهما قال لما زلت يأيها النبي ان أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وقد كان امر عليا ومعاذ رضي الله عنهما أن يسيرا الى اليمن فقال انطلقا مبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا انه قد أنزل علي يأيها النبي ان أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ورواه الطبراني عن محمد بن نصر بن محمد الزرار البغدادي عن عبد الرحمن بن صالح الأزدي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزي بأسناده مثله وقال في آخره فانه قد أنزل علي يأيها النبي ان أرسلناك شاهدا على أمتك ومبشرا بالجنة ونذيرا من النار وداعيا الى شهادة ان لا اله الا الله بآذنه وسراجا نيرا بالقرآن فقولته تعالى شاهدا (٩٧) أي لله بالوحدانية وانه لا اله غيره وعلى الناس

بأعمالهم يوم القيامة وجنابك على هؤلاء شهيدا كقوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقوله عز وجل ومبشرا ونذيرا أي بشيرا للامؤمنين بجزيل الثواب ونذيرا للكافرين من ويسل العقاب وقوله جلت عظمته وداعيا الى الله بآذنه أي داعيا الخلق الى عبادة ربه عن أمره لك بذلك وسراجا نيرا أي وأمره كظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في اشراقها واضائها لا يبجدها الامعاند وقوله جلا وعلا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم أي لا تطعهم وتسمع منهم في الذي يقولونه ودع أذاهم أي اصفع وبجأوزع عنهم وكل امرهم الى الله تعالى فان فيه كفاية لهم ولهذا قال جل جلاله وتوكل على الله وكني بالله وكيفا (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدوة تعتدونها فتعوهن وسرووهن سرا حجيلا) هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة منها اطلاق النكاح على العقد

مهزوم من الاحزاب ولكن هؤلاء الذين قصهم الله علينا من الامم السالفة هم أكثر منهم عددا وأقوى أبدا وأوسع أموالا وأعمارا وقيل ان المعنى ان مشركي قريش من أولئك الاحزاب وهم هم ومنهم وجد التكذيب وهذه الجملة مستأنفة أو خبر والمبتدأ قوله وعاد كذا قال أبو البقاء وهو ضعيف بل الظاهر ان عاد وما بعده معطوفات على قوم نوح والاولى أن تكون هذه الجملة خبر المبتدأ محذوف أو بدلا من الامم المذكورة (ان كل) أي ما كل حرب من هذه الاحزاب (الا كذب الرسل) لان تكذيب الحزب لرسله المرسل اليه تكذيب لجميع الرسل لان دعوتهم واحدة وهي التوحيد وهو من مقابلة الجمع بالجمع والمراد تكذيب كل حرب لرسله والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال أي ما كان أحد من الاحزاب في جميع أحواله الا وقع منه تكذيب الرسل وفي تكرير التكذيب وايضا حبه بعد ايهامه والتنويح في تكرير الجملة الخبرية أولا بالاستثناء ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه ثم قال (حق عقاب) أي حق عليهم عقابي بتكذيبهم ومعنى حق ثبت ووجب وان تأخر فكانه واقع بهم وكل ماهوات قريب قرئ عقاب باثبات الماء وحذفها مطابقة لرؤس الآي وفي الآية زجر وتخويف للسامعين (وما ينظر) أي ما ينظر (هؤلاء) أي كفار مكة (الاصححة واحدة) وهي النفخة الكائنة عند قيام الساعة وقيل هي النفخة الثانية وعلى الاول المراد من عاصر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من الكفار وعلى الثاني المراد كفار الامم المذكورة أي ليس بينهم وبين ما عهد الله لهم من عذاب النار الا ان ينفخ في الصور النفخة الثانية وقيل المراد بالصيحة عذاب يجرأهم في الدنيا وجملة (مالها من فواق) في محل نصب صفة لصيحة قال الزجاج فواق بفتح الفاء وضمها الغتان بمعنى واحد وهو الزمان الذي بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع وهو مشتمق من الرجوع أيضا لانه يعود اللبن الى الضرع بين الحلبتين ويقال أفاق من مرضه أي رجع الى الصحة ولهذا قال مجاهد ومقاتل ان الفواق الرجوع وقال قتادة مالها من مننوية وقال السدي مالها من افاقة وقيل مالها من مرد قال الجوهري مالها من نظرة وراحة وافاقة وقال ابن عباس مالها من رجعة والقيمة اسم اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين وجمعها فبق وفواق وأما فواق فجمع الجمع قال الفراء والسدي وأبو

(١٣ فتح البيان ثامن) وحده وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها وقد اختلفوا في النكاح هل هو حقيقة في العقد وحده أو في الوطء أو فيهما على ثلاثة أقوال واستعمال القرآن انما هو في العقد والوطء بعده الا في هذه الآية فانه استعمل في العقد وحده لقوله تبارك وتعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وفيها دلالة لا باحة طلاق المرأة قبل الدخول بها وقوله تعالى المؤمنات خرج مجازا اذا لفرق في الحكم بين المؤمنة والكافية في ذلك بالاتفاق وقد استدل ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعلي بن الحسين ووزن العابدين وجماعة من من السلف بهذه الآية على ان

الطلاق لا يقع الا اذا تقدمه نكاح لان الله تعالى قال اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن فعبق النكاح بالطلاق فدل على انه لا يصح ولا يقع قبله وهذا مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من السلف والخلف رجهم الله تعالى وذهب مالك وأبو حنيفة رجهم الله تعالى الى صحة الطلاق قبل النكاح فيما اذا قال ان تزوجت فلانة فهي طالق فعندهما متى تزوجها طلقت منه واختلفا فيما اذا قال كل امرأة أتزوجها فهي طالق فقال مالك لا تطلق حتى يعين المرأة وقال أبو حنيفة رجح الله كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه فاما الجمهور (٩٨) فاحتجوا على عدم وقوع الطلاق بهذه الآية قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن

منصور المروزي حدثنا النضر بن شميل حدثنا يونس يعني ابن أبي اسحق قال سمعت آدم مولى خالد عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا قال كل امرأة أتزوجها فهي طالق قال ليس بشيء من أجل ان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن الا ترى ان الطلاق بعد نكاحنا محمد بن اسمعيل الاحمسي حدثنا وكيع عن مطر عن الحسن بن مسلم بن ياق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال انما قال الله عز وجل اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن الا ترى ان الطلاق بعد النكاح وهكذا روى محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال الله تعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن فلا طلاق قبل النكاح وقد ورد الحديث بذلك عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وقال

عبيدة وابن زيد والسدي الفواق بفتح الفاء الراحة والافاقه أى لا يفيقون فيها كما يفيق المريض والغشى عليه وبالضم الانتظار ومعنى الآية ان تلك الصيغة هي ميعاد عذابهم فاذا جاءت لم ترجع ولا ترد عنهم ولا تصرف منهم ولا تتوقف مقدار فواق ناقة وهي ما بين حلفتي الخالب لها وهذا في المعنى كقوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (و) لما سمعوا ما توعدهم الله به من العذاب (قالوا) استهزاء وسخرية (ربنا) مجل لنا قطننا قبل يوم الحساب) والقطف في اللغة النصيب من القطف وهو القطف وهو هذا قال قتادة وسعيد بن جبيرة قال الفراء القطف في كلام العرب الحظ والنصيب ومنه قيل للصك قطف قال أبو عبيدة والكسائي القطف الكتاب بالجواز والجمع القطوط وأصله من قط الشيء أى قطعه ومنه قط القلم ومعنى الآية سؤالهم لربهم أن يجعل لهم نصيبهم وحظهم من العذاب وهو مثل قوله ويستجيبونك بالعذاب وقال السدي سألوهم ان يجعل لهم من منازلهم من الجنة ليعلموا حقيقة ما وعدون به وقال اسمعيل بن أبي خالد المعنى جعل لنا ارزاقنا ربه قال سعيد بن جبيرة والسدي وقال أبو العالمة والكلبي ومقاتل لما نزل قوله وأما من أوفى كتابه بشماله قالت قريش زعمت يا محمد اننا نؤتى كتابنا بشمالنا فجعل لنا قطننا قبل يوم الحساب قال ابن عباس سألو الله ان يجعل لهم وقال قطننا نصيبنا من الجنة ثم أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يصبر على ما يسمعه من أقوالهم فقال (اصبر على ما يقولون) من أقوالهم الباطلة التي هذا القول المحكي عنهم من جعلتها وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم ويحمل اذاهم قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل محكمة وهو الصحيح ولمافرغ من ذكر قرون الضلالة وأتم الكفر والتكذيب وأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على ما يسمعه زاد في تسليمته وتأسيسه بذكر قصة داود وما بعدها فقال (واذ كرعبداود ذا الابد) أى اذ كركسته فانك تجد فيها ما تتسلى به والابد القوة قاله ابن عباس ومنه رجل أيدى قوى وتأييد الشيء تقوى والابد مفسر بوزن البيع وهو مصدر وليس جمع يدي يقال آد الرجل يئيد أيدا وايدا بالكسر اذا قوى واشتد فهو أيد مثل سيد وهين ومنه قولهم أيدك الله تأييدا والمراد ما كان فيه عليه السلام من القوة على العبادة قال الزجاج وكانت قوة داود على العبادة أتم قوة ومن قوته ما أخبرنا به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يصوم يوما ويفطر يوما

الترمذي هذا حديث حسن وهو أحسن شيء روى في هذا الباب وهكذا روى ابن ماجه عن علي والسورين مخزومة وكان رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا طلاق قبل النكاح وقوله عز وجل فالكم عليهم من عدة تعتدونها هذا أمر مجمع عليه بين العلماء ان المرأة اذا طلقت قبل الدخول بها الاعدة عليها فتذهب فتزوج في فورها من شاءت ولا يستثنى من هذا الا المتوفى عنها زوجها فانها تعتد منه أربعة أشهر وعشرا وان لم يكن دخل بها بالاجماع أيضا وقوله تعالى فتعوهن وسرحوهن سرا حجيلا المتعة ههنا أعم من أن يكون نصف الصداق المسمى أو المتعة الخاصة ان لم يكن قد سمي لها قال الله تعالى



وان طلقة وهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم وقال عز وجل لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد وأبي أسيد رضي الله عنهما قالان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أمية بنت شراحيل فلما أدخلت عليه صلى الله عليه وسلم بسط يده اليها فكأتمها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسها وهاتوبين رازقين قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان كان سمي لها صدا فافليس لها الا النصف (٩٩) وان لم يكن سمي لها صدا فافتمتعها على قدر

عسره ويسره وهو السراح الجميل (يا أيها النبي انا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات أخاك وبنات أخواتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد ان ينسب أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قدا علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما) يقول تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن وهي الاجور ههنا كما قال مجاهد وغير واحد وقد كان مهرهن لثلاثمائة درهم أو ثمنه وهو نصف أو ثمنه فجميع خمسمائة درهم الأم حبيبة بنت أبي سفيان فانه مهرها عنه النجاشي رحمه الله تعالى أربع مائة دينار والاصفية بنت حبي فانه اصطفاها من سبي خيبر ثم أعتقها وجعل عتقها صدقها وكذلك جويرة بنت الحارث المصطلقية أدى عنها

وكان يصلى نصف الليل وكان لا يتراد الا في العدو وجله (انه أواب) لتعليل لكونه ذا الايد والابواب الرجاع عن كل ما يكرهه الله سبحانه الى ما يحبه ولا يستطيع ذلك الا من كان قويا في دينه وقيل معناه كما ذكرته استغفر منه وتاب عنه وهذا داخل تحت المعنى الاول يقال آب يؤب اذا رجع وقال ابن عباس الاواب المسبج بلغة الحبشة وأخرج الديلمي عن مجاهد قال سألت ابن عمر عن الاواب فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه فقال هو الذي يذكر ذنوبه في الخلافة استغفر الله وعن ابن عباس قال الاواب الموقن (انا سخرنا الجبال معه) استئناف مسوق لتعليل قوته في الدين وكونه رجعا الى مرضاته تعالى واينار مع على اللام لما أشير اليه في سورة الانبياء من ان تسخير الجبال لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها اليه كتسخير الريح وغيره لسلامان بل بطريق التبعية له والاقتران به قيل كان تسخيرها انها تسير معه اذا أراد سيرها الى حيث يريد (يسجن) ولم يقل مسجات ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيئا وحالا بعد حال أي يقدر الله سبحانه وينزله عمالا يلقونه ويسجن في محل نصب على الحال وفي هذا بيان ما أعطاه الله من البرهان والمعجزة وهو تسبيح الجبال معه قال مقاتل كان داود اذا ذكر الله ذكرت الجبال معه وكان يفقه تسبيح الجبال وقال محمد بن اسحق أوتي داود من حسن الصوت ما يكون له في الجبال دوى حسن فهذا معنى تسبيح الجبال والاول أولى ومعنى يسجن يصلين ومعه متعلق بسخرنا (بالعشي) أي وقت صلاة العشاء (والاشراق) أي وقت صلاة الضحى وهو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوءها والمعنى كان داود يسبح اثر صلاته عند طلوع الشمس وغروبها وقال الكلبى أي غدوة وعشية يقال أشرقت الشمس اذا أضاءت وذلك وقت الضحى وأما شرقها فطلوعها قال الزجاج شرقت الشمس اذا طلعت وأشرقت اذا أضاءت عن عطاء الخرساء عن ابن عباس قال لم ير في نفسى من صلاة الضحى حتى قرأت هذه الآية وعنه قال لقد أتى على زمان وما أدري وجه هذه الآية حتى رأيت الناس يصلون الضحى أخرجه ابن المنذر وابن مردويه وأخرج الطبراني في الاوسط وابن مردويه عنه قال كنت أمر به هذه الآية فقرأت ما أدى ما هي حتى حدثتني أم هانئ بنت أبي طالب ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها يوم الفتح فسدعها بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى ثم قال يا أم هانئ هذه صلاة الاشراف

كاتبها الى ثابت بن قيس بن شماس وتزوجها رضي الله عنهن اجمعين وقوله تعالى وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك أي وأباح لك التسرى مما أخذت من المغامر وقد ملكت صفيمة وجويرة فاعتقهما وتزوجهما وملك ربحانة بنت شمعون النضرية ومارية القبطية ام ابنة ابراهيم عليه السلام وكانتا من السراري رضي الله عنهما وقوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات أخاك وبنات أخواتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد ان ينسب أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قدا علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما) يقول تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن وهي الاجور ههنا كما قال مجاهد وغير واحد وقد كان مهرهن لثلاثمائة درهم أو ثمنه وهو نصف أو ثمنه فجميع خمسمائة درهم الأم حبيبة بنت أبي سفيان فانه مهرها عنه النجاشي رحمه الله تعالى أربع مائة دينار والاصفية بنت حبي فانه اصطفاها من سبي خيبر ثم أعتقها وجعل عتقها صدقها وكذلك جويرة بنت الحارث المصطلقية أدى عنها

بنات العم والعمة وبنات الخال والخالة وحرم ما أفرطت فيه اليهود من اباحة بنت الاخ والاخت وهذا شع فطبيع وانما قال وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك فوجدنا لفظ الذكر شرفه وجمع الاناث لنقصهن كقوله عن اليمين والشمائل يخرجهم من الظلمات الى النور وجعل الظلمات والنور وله نظائر كثيرة وقوله تعالى اللاتي هاجرن معك قال ابن ابي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عمار بن الحرث الرازي حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا اسرائيل عن السدي عن ابي صالح عن أم هانئ قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت (١٠٠) اليه فعذرني ثم أنزل الله تعالى انا أحللت لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما

ملكك يمينك مما آفاه الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرت معك قالت فلم أكن أحل له لم أكن ممن هاجر معه كنت من الطلقاء ورواه ابن جرير عن ابي كرييب عن عبد الله بن موسى به ثم رواه ابن ابي حاتم من حديث اسمعيل بن ابي خالد عن ابي صالح عنها بنحوه ورواه الترمذي في جامعته وهكذا قال أبو رزين وقتادة ان المراد من هاجر معه الى المدينة وفي رواية عن قتادة اللاتي هاجرن معك أي أسلمن وقال الضحاك قرأ ابن مسعود واللاتي هاجرن من معك وقوله تعالى وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك الآية أي ويجل للباياها النبي المرأة المؤمنة ان وهبت نفسها لك ان تزوجها بغير مهر ان شئت ذلك وهذه الآية نوال فيها شرطان كقوله تعالى اخبارا عن نوح عليه السلام انه قال لتومعه ولا يتنعمكم نصحي ان اردت ان أتصح لکم ان كان الله يريد أن يغويکم وکقول موسى

والاحاديث في صلاة الضحى كثيرة جدا قد ذكرها الشوكاني في شرحه للمنتقى (والطير محشورة) أي وسخر ناله الطير حال كونها محشورة أي مجموعة اليه من كل ناحية تسبح الله معه قيل كانت تجتمع اليه الملائكة وقيل كانت تجتمعها الريح (كل له أو اب) أي كل واحد من داود والجال والطير رجاع الى طاعة الله وأمره والضمير في له راجع الى الله عز وجل وقيل الى داود أي لاجل تسبيح داود مسبح فوضع أو اب موضع مسبح والاول أولى وقد قدمنا ان الاواب الكثير الرجوع الى الله سبحانه (وشددنا ملكه) أي قويناه وثبتناه بالنصر في المواطن على أعدائه والقاء الرعب منه في قلوبهم وقيل بكثرة الجنود كان يبني حول محرابه كل ليلة ستة أو ثلثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه وكان أشد ملوك الارض سلطانا وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس قال استعدى رجل من بني اسرائيل عند داود على رجل من عظماءهم فقال ان هذا غصبي بقري فسأل داود الرجل عن ذلك فجعله فسأل الآخر البينة فلم تكن له بيعة فقال له ما داود قوما حتى أنظر في أمركما فقاما من عنده فأتى داود في منامه فقيل له اقتل الرجل الذي استعدى فقال ان هذه رؤيا ولست أفعل حتى أتيت فأتى الليلة الثانية في منامه فأمر أن يقتل الرجل فلم يفعل ثم أتى الليلة الثالثة فقيل له اقتل الرجل أو تأتيك العقوبة من الله فأرسل داود الى الرجل فقال ان الله أمرني ان أقتلك قال فقتلني بغير بيعة ولا ثبت قال نعم والله لا ننذرك أمر الله فيك فقال الرجل لا نجل على حتى أخبرك اني والله ما اخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلبت والاهذا فقتلته فبذلك اخذت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبتة في بني اسرائيل وشدده ملكه فهو قول الله وشددنا ملكه (وآتيناه الحكمة) المراد بها النبوة والعرفة بكل ما يحكم به وقال مقاتل النهيم والعلم وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل الاصابة في الامور وقيل كل كلام وافق الحق فهو الحكمة وقال مجاهد العدل وقال أبو العالية العلم بكتاب الله وقال شريح السنة ولا مانع من حمل الآية على السكل (وفصل الخطاب) المراد به الفصل في القضاء وبه قال الحسن والكبي ومقاتل وحكى الواحدى عن الاكثر أن فصل الخطاب النهم ودو الايمان لانها انما تقطع الخصومة بهذه وبه قال ابي ابن كعب وقال علي بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه البيسة على المدعى واليمين على من انكر وقيل الفصل بين الحق والباطل وقاله شريح والشعبي وقتادة أيضا وقيل هو

الايجاز عليه السلام يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال ههنا وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها الايجاز للنبي الآية وقد قال الامام احمد حدثنا اسحق اخبرنا مالك عن ابي حازم عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت يا رسول الله اني قد رهب نفسي لك فقامت قياما طويلا فقام رجل فقال يا رسول الله تزوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عندك من شيء تصدقها اياه فقال ما عندى الا ازارى هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعطيتهم ازارك جلست لا ازار لك فالتمس شيئا فقال لا اجد شيئا فقال التمس ولو خاتم من حديد فالتمس فربجد شيئا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل معك من القرآن شيء قال نعم سورة كذا وسورة كذا السور يسميها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم زوجتكها بما عهد من القرآن أخرجه من حديث مالك وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا مرحوم سمعت ثابتاً يقول كنت مع أنس جالساً وعنده ابنة له فقال أنس جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله هل لك في حاجة فقالت ابنته ما كان أفضل حياها فقال هي خير منك رغبت في النبي فعرضت عليه نفسها انفرديا خراج البخاري من حديث مرحوم بن عبد الغفار عن ثابت البناني عن أنس به وقال أحمد أيضاً حدثنا عبد الله بن بكير (١٠١) حدثنا سنان بن ربيعة عن الحضرمي

عن أنس بن مالك ان امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ابنتي كذا وكذا فذكرت من حسناتها وجمالها فانثرتك بها فقال قد قبلتها فلم تزل تمدحها حتى ذكرت انها لم تصدع ولم تشك شيئاً قط فقال لا حاجة لي في ابنتك لم يخبره وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابن حشدان منصور بن أبي مزاحم حدثنا ابن أبي الوضاح يعني محمد بن مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم خولة بنت حكيم وقال ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن وابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه ان خولة بنت حكيم بن الاوص من بني سليم كانت من اللاتي وهبت أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية له عن سعيد بن عبد الرحمن عن هشام عن أبيه ان خولة بنت حكيم كانت وهبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة سالحة فحتمل ان ام سلم هي خولة بنت حكيم أو هي امرأة اخرى وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسمعيل الاصبهاني حدثنا وكيع

الايجاز يجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل وقيل بيان الكلام وقيل علم الحكم والتبصر بالقضاء والمعاني متقاربة وعن أبي موسى الأشعري قال أول من قال ما بعد داود عليه السلام وهو فصل الخطاب أخرجه ابن أبي حاتم والديلمي وعن الشعبي انه سمع زياد بن أبيه يقول فصل الخطاب الذي أوتيته داوداً ما بعد أخرجه سعيد بن منصور ولما مدحه الله سبحانه بما تقدم ذكره أردف ذلك بذكر هذه القصة الواقعة له لما فيها من الاخبار العجيبة وقال (وهل أتاك نبأ الخصم) ومعنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق الى استماع ما بعده لكونه امر غريباً كما تقول لخاطبك هل تعلم ما وقع اليوم ثم تذكر له ما وقع قال مقاتل بعث الله الى داود ملكين جبريل ومكائيل لينبئه على التوبة فأتياه وهو في محرابه قال النحاس ولا خلاف بين أهل التفسير أن المراد بالخصم هنا الملكان والخصم مصدر يقع على الواحد والاثني والجماعة ومعنى قوله (اذ تسوروا المحراب) أتوه من أعلى سورة ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع وجاه بلطف الجمع في تسور وجمع كونهما اثنين نظرا الى ما يحتمل له لنظ الخصم من الجمع والمحراب الغرفة لانهم تسوروا عليه وهو فيها كذا قال يحيى ابن سلام وقال أبو عبيدة انه صدر الجمل من محراب المسجد وقيل انهما كانا نسيين ولم يكونا ملكين والعامل في اذ انبأ أي هل أتاك الخبر الواقع في وقت تسورهم وهذا قال ابن عطية ومكي وأبو البقاء وقيل العامل فيه أتاك وقيل معمول للخصم وقيل معمول لخدوف أي وهل أتاك نبأ تخاكم الخصم عن ابن عباس ان داود حدث نفسه اذا ابتلى انه يعتصم فقيل له انك ستبتلى وستعلم الذي تبنتلي فيه فخذ حذرَكَ فقيل له هذا اليوم الذي تبنتلي فيه فأخذ الزبور ودخل المحراب وأغلق باب المحراب وأخذ الزبور في حجره وأقعد منصفاً يعني خادماً على الباب وقال لا تأذن لاحد على اليوم فبينما هو يقرأ الزبور اذ جاء طائر مذهب كأحسن ما يكون للطير فيه من كل لون فجعل يدور بين يديه فدنا منه فامكن ان يأخذه فتناول به يده لياخذه فاستوفز من خلفه فاطبق الزبور وقام اليه لياخذه فطار فوقه على كوة المحراب فدنا منه لياخذه فأفضى فوقه على خص فاشرف عليه لينظر أين وقع فاذا هو بامرأة عند بركتها اغتسل من الحيض فلما رأته ظلمت رأسها فغطت جسدها أجمع بشعرها وكان زوجهما غازياً في سبيل الله فكتب داود الى رأس الغزاة انظر أوريا فاجعل في حمله التابوت وكان حمله التابوت اما ان يفتح عليهم واما ان يقتلوا فقدمه في حمله

حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب وعمرو بن الحسام وعبد الله بن عبيدة قالوا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة امرأة من قريش خديجة وعائشة وحفصة وام حبيبة وسودة وام سلمة وثلاث من بني عامر بن صعصعة وامرأتين من بني هلال بن عامر ميمونة بنت الحارث وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وزينب ام المساكين وامرأة من بني أبي بكر بن كلاب من القرظيات وهي التي اختارت الدنيا وامرأة من بني الجون وهي التي استعادت منه زينب بنت جحش الاسدية والسبيبية صفية بنت حيي بن أخطب وجويرية بنت الحارث بن عمرو بن المصطلق الخزاعية وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي قال هي ميمونة بنت الحارث فيه انقطاع هذا مرسل والمشهور ان زينب التي

كانت تدعى ام المساكين هي زينب بنت خزيمه الانصارية وقدمت عند النبي صلى الله عليه وسلم في حياته فآله أعلم والغرض من هذا ان اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم كثير كما قال البخاري حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو أسامة قال هشام بن عروة حدثنا عن أبيه عن عائشة قالت كنت أعار من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم وأقول أتهب المرأة نفسها فلما أنزل الله تعالى تربي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلأجناح عليك قلت ما أرى ربك الا يسارع في هواله وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين (١٠٢) حدثنا محمد بن منصور الجعفي حدثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الازهر

عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها له ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن يونس بن بكير أي انه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له وان كان ذلك مباحا له ومخصوصا به لانه مردود الى مشيئته كما قال الله تعالى ان أراد النبي أن يستنكحها أي ان اختار ذلك وقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين قال عكرمة أي لا تحل الموهوبة لغيرك ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له حتى يعطيهما شيئا وكذا قال مجاهد والشعبي وغيرهما أي انها اذا فوضت المرأة نفسها الى رجل فانه متى دخلها اوجب عليه لها مهر مثلها كما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق لما فوضت حكمها لرسول الله صلى الله عليه وسلم بصدق مثلها لما توفي عنها زوجها والموت والدخول سواء في تقرير المهر وموت مهر المثل في الموهوبة لغير النبي صلى الله عليه وسلم فاما هو عليه الصلاة والسلام فانه لا يجب عليه للمفوضة شيئا ولو دخل بها لان له أن يتزوج بغير صداق ولا ولي ولا شاهد كما في قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها ولهذا

التابوت فقتل فلما انقضت عدتها خطبها داود فاشترطت عليه ان ولدت غلاما ان يكون الخليفة من بعده وأشهدت عليه خمسين من بني اسرائيل وكتب عليه بذلك كتابا فاشعر بقتلته انه افتن حتى ولدت سليمان وشب فتسور عابسه الملك الحارث وكان شأنه ما ما قص الله في كتابه وخر داود ساجدا فغفر الله له وتاب عليه أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وابن أبي حاتم وخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الشعب قال ما أصاب داود ما أصابه بعد القدر الا من عجب عجب بنفسه وذلك انه قال يارب ما من ساعة من ليل ولا نهار الا وعايد من آل داود يعبدك يصل لك أو يسبح أو يكبر وذكر أشياء ففكره الله ذلك فقال يا داود ان ذلك لم يكن الا بي فلولا عوني ما قويت عليه وعزتي وجلالي لا كلت الى نفسك يوما قال يارب فاخبرني به فأخبر به فأصابته الفتنة ذلك اليوم وأخرج أصل القصة الحكيم الترمذي في نوادر الاصول وابن جرير وابن أبي حاتم عن أنس مرفوعا بأسناد ضعيف وأخرجه ابن جرير من وجه آخر عن ابن عباس مطولة وأخرجه جماعة عن جماعة من التابعين قال صاحب الكشاف بعد ذكر هذه القصة هذا ونحوه مما يقع أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أئمة المسلمين فضلا عن بعض أعلام الانبياء انتهى وقال القاضي عياض لا يجوز أن يلتفت الى ما سطره الاخباريون من اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص عليه الله في قصة داود ووطن داود انما فتمناه وليس في قصة داود وأوربا خبر ثابت وهذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمر داود قال الرازي حاصل القصة يرجع الى السهي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه السلام هذا وقال غيره ان الله أثبت على داود قبل هذه القصة وبعبءها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس لاستهجنه العقلاء وقالوا أنت في مدح شخص كيف تجري ذمه اثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا في كتابه القديم وروى سعيد بن المسيب والحريث الاور عن علي بن أبي طالب أنه قال من حدثكم بحديث داود على ما روي القصاص جلده مائة وستين جلدة وهو حد القرية على الانبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب

الله قال قتادة في قوله خالصة لك من دون المؤمنين يقول ليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر الا للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى قد علمنا ما فرضا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمنهم قال ابى بن كعب ومجاهد والحسن وقتادة وابن جرير في قوله قد علمنا ما فرضا عليهم في أزواجهم أي من حصرهم في أربع نسوة حرائر وما شاؤا من الاماء واشترطوا الولي والمهر والشهم وعلوهم وهم الامم وقد رخصنا لك في ذلك فلم نوجب عليك شيئا منه لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (تربي من تشاء منهن

وتووى اليك من تشاء ومن ابتغيت من عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزنن ويرضين بما آتيتن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عايماً حلماً قال الامام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تعبر النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألا تحبى المرأة أن تعرض نفسها بغير صداق فأنزل الله عز وجل ترجى من تشاء ممنن وتووى اليك من تشاء الآية قالت انى أرى ربك يسارع لك فى هواله وقد تقدم ان البخارى رواه من حديث أسامة عن هشام بن عروة فدل هذا على ان المراد بقوله ترجى اى (١٠٣) تؤخر من تشاء ممنن اى من الواهيات

وتووى اليك من تشاء اى من شئت قبلتها ومن شئت رددتها ومن رددتها أنت فيها أيضا بالخيار بعد ذلك ان شئت عدت فيها فأويتها ولهذا قال ومن ابتغيت من عزلت فلا جناح عليك قال عامر الشعبي فى قوله تعالى ترجى من تشاء ممنن الآية كن نساء وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فدخل بعضهن وأرجى بعضهن لم يشكن بعده ممنن ام شريك وقال آخرون بل المراد بقوله ترجى من تشاء ممنن الآية اى من أزواجك لارجح عليك ان تترك القسم لهن فتقدم من شئت وتؤخر من شئت وتجماع من شئت وتترك من شئت هكذا روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وابى بن زيد وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ومع هذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لهن ولهذا ذهب طائفة من الفقهاء من الشافعية وغيرهم الى انه لم يكن القسم واجبا عليه صلى الله عليه وسلم واحتجوا بهذه الآية الكريمة وقال البخارى حدثنا حيان بن عبد موسى حدثنا الله هو ابن المبارك أخبرنا عاصم الاحول عن معاذ عن

الله فيما ينبغى ان يلتصق خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها استرا على نبيه فيما ينبغى اظهارها عليه فقال عمر بن الخطاب هذا الكلام احب الى مما طلعت عليه الشمس قال النسفي والذي يدل عليه المثل الذى ضرب به الله بقضته عليه السلام ليس الاطلبة الى زوج المرأة أن ينزل له عنها الحسب وانما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل ان التأمل اذا أداه الى الشعور بالمعرض به كان أوقع فى نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرافيه مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة انتهى قال أبو السعود وأما ما يذكر من انه عليه السلام تزوج امرأة أوروبا فهو افك مبتدع مكروه ومكروه عجمه الاسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه وأشاعه وتبالمى اخترعه واذا عه وسبأى الكلام على ذنب داود عليه السلام فى آخره هذه القصة (اذ) بدل من الاولى وقيل هو معمول لتسوروا وقال الفراء ان أحد الطرفين المذكورين بمعنى لما (دخلوا على داود ففرغ منهم) لانهم أتوا به ليللا فى غير وقت دخول الخصوم ودخلوا عليه بغير اذنه ولم يدخلوا من الباب الذى يدخل منه الناس قال ابن الاعرابى وكان محراب داود من الامتناع بالارتفاع بحيث لا يرتقى اليه آدمى بحيلة (قالوا لا تخف) جملة مستأنفة كأنه قيل فماذا قالوا والداود لما فرغ منهم (خصمان) أى نحن خصمان وجه فيما سبق بلنظ الجمع وهما باللفظ التنسية لما ذكرنا من ان لفظ الخصم يحتمل المفرد والمثنى والمجموع فالكل جائز قال الخليل هو كما تقول نحن فعلنا كذا اذا كتما اثنين وقال الكسائى جمع لما كان خبرا فلما انقضى الخبر وجاءت مخاطبة أخيرا الاثنان عن أنفسهما فبالا خصمان وقوله (بغى بعضنا على بعض) هو على سبيل النرض والتقدير أو على سبيل التعريض لان من المعلوم ان الملكين لا يبغيان ثم طلبا منه أن يحكم بينهما بالحق ونهياه عن الجور فقالا (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أى لا تجرفى حكمك يقال شطط الرجل وأشططوا شططا واشططا اذا جار فى حكمه وتجاوز الحد قال أبو عبيد شططت عليه وأشططت فيه أى جرت فهو مما اتفق فيه فعل وأفعل وقال الأخفش معناه لا تسرف وقيل لا تنفرط وقيل لا تغل والمعنى متقارب والاصل فيه البعد من شطت الدار اذا بعدت قال أبو عمر والشطط مجاوزة القدر فى كل شئ (واهدنا الى سواء الصراط) أى وسطه ومحجته أى العدل والصواب والمعنى ارشدنا الى الحق واجلنا عليه ثم لما أخبراه عن

عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستأذن فى اليوم المرأة من بعد ان نزلت هذه الآية ترجى من تشاء ممنن وتووى اليك من تشاء ومن ابتغيت من عزلت فلا جناح عليك فقلت لهما ما كنت تقولين فقالت كنت أقول ان كان ذلك الى فاني لا اريد ان رسول الله ان أوثر عليك أحد فهذا الحديث عنهما يدل على ان المراد من ذلك عدم وجود القسم وحديثها الاول يقتضى ان الآية نزلت فى الواهيات ومن ههنا اختار ابن جرير أن الآية عامة فى الواهيات وفى النساء اللاتي عنده انه مخبر فيهن ان شاء قسم وان شاء لم يقسم وهذا الذى اختاره حسن جيد قوى وفيه جمع بين الاحاديث ولهذا قال تعالى ذلك أدنى ان تقر أعينهن ولا يحزنن ويرضين بما آتيتن

كاهن أي اذا علم ان الله قد وضع عنك الحرج في القسم فان شئت قسمت وان شئت لم تقسم لاجناح عليك في أي ذلك فعلت ثم مع هذا أنت تقسم لهن اختيارا منك لانه على سبيل الوجوب فرحن بذلك واستبشرن به ورحلن جميلةك في ذلك واعتزفن بمنتك عليهن في قسمك لهن وتسويتك بينهن وانصافك لهن وعدلك فيهن وقوله تعالى والله يعلم ما في قلوبكم أي من الميل الى بعضهم دون بعض مما لا يمكن دفعه كما قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا جاد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين (١٠٤) نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا فعلى فيما أملك فلا تلني فيما أملك ولا أملك

الخصومة اجلا لشرعاني تفصيلها وشرحها فقلا (ان هذا أخى له تسع وتسعون نجمة) المراد بالاخوة هنا اخوة الدين قاله ابن مسعوداً والحكمة أو الالفة أو اخوة الشركة والخلطة والنجمة هي الانثى من الضأن وقد يقال لبقر الوحش نجمة ويعبر بها عن المرأة لما هي عليه من السكون والعجز وضعف الجانب وقد يكتفى عنها بالبقر والحجر والناقة لان الكل مر كوب قال الواحدى النجمة البقرة الوحشية والعرب تكتفى عن المرأة بها وتشبه النساء بالنعاج من البقر قرأ الجمهور تسع وتسعون بكسر التاء وقرئ بفتحها قال النحاس وهي لغة شاذة وانما عني به ذاد او دلغنه كان له تسع وتسعون امرأة وعنى بقوله (ولى نجمة واحدة) أو يار زوج المرأة التي أراد أن يتزوجها داود كما تقدم بيان ذلك (فقال أ كفلنيها) أي ضمها الى وانزلنى عنها حتى اكفلها واصير بعرا لهما قال ابن كيسان اجعلها كفى ونصيبي قال ابن مسعود ما زاد داود على ان قال أ كفلنيها وعن ابن عباس قال ما زاد داود على ان قال تحولنى عنها وهذا يخالف ما سبق عنه (وعزنى في الخطاب) أي غلبنى يقال عزه به عزه اذا غلبه وفي المثل من عزى من غلب أخذ السلب والاسم العزوة وهي القوة قال عطاء المعنى ان تكلم كان أفصح منى وان حارب كان أبطش منى لقوة ملكه فالغلبة كانت له على لصعفى في يده وان كان الحق معى وهذا كانه تمثيل وقرئ وعازنى أي غالبنى من المعازة وهي المغالبة (قال لقد ظلمك بسؤال نجمة الى نعاجه) أي بسؤاله نجمةك ليضمها الى نعاجه التسع والتسعين ان كان الامر على ما تقول واللام هي الموطئة للقسم وهي وما بعدها جواب القسم المقدر وجاء بالقسم في كلامه مبالغة في انكار ما سمعه من طلب صاحب التسع والتسعين النجمة ان يضم اليه النجمة الواحدة التي مع صاحبه ولم يكن معه غيرها ويمكن انه انما قال بهذا بعد ان سمع الاعتراف من الآخر قال النحاس ويقال ان خطيئة داود هي قوله لقد ظلمك لانه قال ذلك قبل ان يتثبت (وان كثيرا من الخلفاء) وهم الشركاء واحد هم خليط وهو المخالط في المال (ليبعنى) اللام التوكيد وقعت في خبر ان أي يتعدى (بعضهم على بعض) ويظلم غير مراع لحقه (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم يتحامون ذلك ولا يظلمون خليطا ولا غيره والاستثناء متصل (وقليل ما هم) أي وقليل هم وما زائدة توكيد القلة والتعجب وقيل هي موصولة وهم مبتدأ وقليل خبره عن ابن عباس قال يقول قليل الذي هم فيه (وظن داود انما اقتناه) قال أبو عمرو

ورواه أهل السنن الاربعة من حديث جاد بن سلمة وزاد أبو داود بعد قوله فلا تلني فيما أملك ولا أملك يعنى القلب واسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ولهذا عقب ذلك بقوله تعالى وكان الله عليا أي بضمها تر السرا رحليا أي يحلم ويغفر (لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدلن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شئ رقيبا) ذكر غير واحد من العلماء كابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد وابن جرير وغيرهم ان هذه الآية نزات مجازة لا زواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضاعهن عن على حسن صنعتهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الاخرة فلما اخبرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم في الآية فلما اخترن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جرائهن ان الله تعالى قصره عليهن وحترم عليه أن يتزوج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجهن ولو أعجبه حسنهن الا الاماء والسراى فلا حرج عليه فيهن ثم انه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك ونسخ حكم هذه الآية وأباح له التزوج ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج لتكون المنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم والقراء عليهن قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن عطاء عن عائشة رضي الله عنها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء ورواه أيضا من حديث ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة ورواه الترمذى والنسائي في سننهما وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبه حدثني عمر بن أبي بكر حدثني المغيرة بن عبد الرحمن الخزامي عن أبي النصر مولى عمر بن عبيد الله عن عبد الله بن وهب بن زمعة عن ام سلمة انها قالت لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل

ذلك ونسخ حكم هذه الآية وأباح له التزوج ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج لتكون المنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم والقراء عليهن قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن عطاء عن عائشة رضي الله عنها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء ورواه أيضا من حديث ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة ورواه الترمذى والنسائي في سننهما وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبه حدثني عمر بن أبي بكر حدثني المغيرة بن عبد الرحمن الخزامي عن أبي النصر مولى عمر بن عبيد الله عن عبد الله بن وهب بن زمعة عن ام سلمة انها قالت لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل

الله أن يتزوج من النساء ما شاء الا ذات محرم وذلك قول الله تعالى ترجى من تشاء منهمن الآية فجعلت هذه ناحضة للتي بعدها في التلاوة كما يتى عدة الوفاة في البقرة الاولى ناحضة للتي بعدها والله أعلم وقال آخرون بل معنى الآية لا يحل لك النساء من بعد أى من بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتي أحلنا لك من نساءك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك وبنات العم والعمات والخال والخالات والواهبه وما سوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك هذا مروى عن أبي بن كعب ومجاهد في رواية عنه وعكرمة والضحاك في رواية وأبي رزين في رواية عنه وأبي صالح والحسن (١٠٥) وقمادة في رواية والسدي وغيرهم قال ابن جرير

حدثنا يعقوب حدثنا ابن عليه عن داود بن أبي هند حدثني محمد بن أبي موسى عن زياد بن جسر عن الأنصار قال قلت لابي بن كعب أ رأيت لو أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم توفين أمأ كان له أن يتزوج فقال وما يمنع من ذلك قال قلت قول الله تعالى لا يحل لك النساء من بعد فقال إنما أحل الله له ضربا من النساء فتعال تعالى يا أيها النبي أنا أحلنا لك أزواجك الى قوله تعالى ان وهبت نفسها للنبي ثم قيل له لا يحل لك النساء من بعد ورواه عبد الله بن أحمد من طريق عن داود به وروى الترمذي عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء الا ما كان من المؤمنات المهاجرات بقوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك فأحل الله قبياتكم المؤمنات وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي وحرمت كل ذات دين غير الاسلام ثم قال ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله الآية وقال تعالى يا أيها النبي أنا أحلنا لك

والفراء ظن بمعنى أيقن ومعنى فتناه بتليناه وقال ابن عباس اختبرناه والمعنى انه عندنا تخصاها اليه وقال ما قال علم عند ذلك انه المراد وان مقصودهما التعريض به وبصاحبه الذي أراد ان ينزل له عن امرأته قال الواحدى قال المفسرون فلما قضى بينهما داود نظر أحدهما الى صاحبه فضحك فعند ذلك علم داود بما أراداه قرأ الجمهور فتناه بالتخفيف للتاء وتشديد النون وقرئ بالتشديد للتاء والنون وهى مبالغة فى الفسنة وقرأ الضحاك أفنناه وقرئ فتناه بتخفيفهما واسناد الفعل الى الملكين (فاستغفر ربه) لذنبه (وخررا كعبا) أى ساجدا وعبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل خر ساجدا بعدما كان راكعا قال ابن العربي لا خلاف بين العلماء ان المراد بالركوع هنا السجود فان السجود هو الميل والركوع هو الانحناء وأحدهما يدخل فى الآخر ولكنه قد يختص كل واحد منهما بما هيئته ثم جاء هذا على تسمية أحدهما بالآخر وقيل المعنى للسجود راكعا أى مصليا وقيل بل كان ركوعهم سجودا وقيل بل كان سجودهم ركوعا (وأتاب) أى رجع الى الله بالتوبة من ذنبه قال المفسرون سجدوا أو أثار بعين يوم لا يرفع رأسه الا لحاجة أو لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا الى تمام أربعين لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى تبت العشب حول رأسه وهو يتنادى ربه عز وجل ويسأله التوبة ثم أنزل الله له التوبة والمغفرة وقد اختلف المفسرون فى ذنب داود الذى استغفره وتاب عنه على أقوال الاول انه نظر الى امرأته الرجل الذى أراد ان تكون زوجته كذا قال سعيد بن جبيرة وغيره قال الزجاج ولم يتعمد داود النظر الى المرأة لكنه عاود النظر اليها وصارت الاولى له والثانية عليه الثانى انه أرسل زوجته فى جملة الغزاة الثالث انه نوى ان مات زوجها أن يتزوجها الرابع ان اوريا بن حنان كان خطب تلك المرأة فلما تاب خطبها داود فزوجت منه لخلاته فاعتم لذلك أوريا فاعتب الله عليه حيث لم يتركها لخطبها الخامس انه لم يجز على قتل أوريا كما كان يجز على من هلك من الجن ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة السادس انه حكى لاحد الخصمين قبل أن يسمع من الآخر كما قدمنا وأقول الظاهر من الخصومة التي وقعت بين الملكين تعريض داود عليه السلام انه طلب من زوج المرأة الواحدة ان ينزل له عنها ويضعها الى نساءه ولا يناق هذا العصمة الكائنة للانبياء فقد نبه الله على ذلك وعرض له بارسال ملائكته اليه ليتخاصموا فى مثل قصته حتى يستغفر لذنبه ويتوب منه فاستغفر

(١٤ فتح البيان ثامن) أزواجك اللاتي آتيت أجورهن الى قوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وحرمت ما سوى ذلك من أصناف النساء وقال مجاهد لا يحل لك النساء من بعد أى من بعد ما سمي لك من مسلمة ولا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة وقال أبو صالح لا يحل لك النساء من بعد ولا أمران يتزوج اعرابية ولا غريبة ويتزوج بعد من نساءتهامة وما شاء من بنات العم والعمة والخال والخالة ان شاء ثلاثا وقال عكرمة لا يحل لك النساء من بعد أى التي سمي الله واختار ابن جرير رجح الله ان الآية عامة فمن ذكر من أصناف النساء وفي النساء اللواتي فى عصمته وكن نسعا وهذا الذى قاله جريد ولعله مراد كثير من حكيمنا عنه من

السلف فان كثيرا منهم روى عنه هذا وهذا اول ما فاداه الله أعلم ثم اورد ابن جرير على نفسه ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وعزم على فراق سودة حتى وهبت يومها العائشة ثم اجاب بان هذا كان قبل نزول قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج الآية وهذا الذي قاله من ان هذا كان قبل نزول الآية صحيح ولكن لا يحتاج الى ذلك فان الآية انما دلت على انه لا يتزوج بعد اللواتي في عصمته وانه لا يستبدل بهن غيرهن ولا يدل ذلك على انه لا يطلق واحدة منهن من غير استبدال فالله أعلم فأما قضية سودة (١٠٦) ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها وهي سبب نزول قوله تعالى وان

امرأة خافت من بعلها نشورا أو اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا الآية وأما قضية حفصة فروى أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من طرق عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن صالح بن صالح بن يحيى عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وهذا اسناد قوي وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن الأعمش عن أبي صالح عن ابن عمر قال دخل عمر على حفصة وهي تبكي فقال ما يبكيك لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك ان كان طلقك مرة ثم راجعك من أجلي والله لئن كان طلقك مرة أخرى لأأكلك أبدا ورجاله على شرط الصحيحين وقوله تعالى ولا أن تبدل بهن من أزواج الآية فنهاه عن الزيادة عليهن أو يطلق واحدة منهن واستبدال غيرها بها الاما ملكت يمينه وقدر روى الحافظ أبو بكر البرار حديثا مناسبا ذكره ههنا

وتاب عنه وقد قال تعالى وعصى آدم ربه فغوى وهو أبو البشر وأول الانبياء ووقع لغيره من الانبياء ما قصه الله علينا في كتابه وفي الآية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله ووطن داود انما قسناه وقوله فاستغفر ربه وقوله وأتاب وقوله فغفرنا له ذلك والجواب عن هذا بان حسنات الابرار سيئات المقر بين ليس كما ينبغي والاولى ما ذكرناه ثم اخبر سبحانه انه قبل استغفاره وتوبته فقال (فغفرنا له ذلك) الذنب الذي استغفر منه قال عطاء الخراساني وغيره ان داود بقى ساجدا اربعين يوما حتى نبت الرعي حول وجهه وغمر رأسه قال ابن الانباري الوقف على قوله ذلك تام ثم يتبدأ الكلام بقوله (وان له عندنا الزني وحسن ما تب) والزني القرية والكرامة بعد المغفرة لذنبه قال مجاهد الزني الذنوب من الله عز وجل يوم القيامة والمراد بحسن المآب حسن المرجع وهو الجنة وأخرج ابن مردويه عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه ذكر يوم القيامة فعظم شأنه وشدهته قال ويقول الرحمن عز وجل لا داود عليه السلام من بين يدي فيقول داود يارب أخاف ان تدحطني خطيئتي خذ بقدمي فإخذ بقدمه عز وجل فيمر قال قتلك الزني التي قال الله وان له عندنا الزني وحسن ما تب وأخرج أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس انه قال في السجود في ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسجد فيها وأخرج النسائي وابن مردويه بسند جيد عنه أيضا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سجد في ص وقال سجد هادا ودنوبه ونسجدها شكرا وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سجد في ص وعن أنس مثله مر فوعا أخرجه ابن مردويه وأخرج الدارمي وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه عن أبي سعيد قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر ص فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تهيا الناس للسجود فقال انما هي توبة ولكني رأيتكم تهياتم للسجود فنزل فسجد (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض) لما تم سبحانه قصة داود وأردفها ببيان تفويض أمر خلافة الارض اليه والجملة مقولة لقول مقدر معطوف على غفرنا أي وقلنا يا داود انا استخلفناك على الارض أو جعلناك خليفة لمن قبلك من الانبياء لتأمر بالمعروف وتنهي

فقال حدثنا ابراهيم بن نصر حدثنا مالك بن اسمعيل حدثنا عبد السلام بن حرب عن اسحق بن عبد الله عن القرشي عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان البدل في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل بادلني امرأتك وأبادلك بامرأتي أي قتل لي عن امرأتك وأزل لك عن امرأتي فأنزل الله تعالى ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن قال فدخل عيينة بن حصن الفزاري على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فدخل بغير إذن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني الاستاذ ان فقال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت ثم قال من هذه الجميراء الى جنبك فقال

عن



رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قال أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق قال يا عيننة ان الله قد حرم ذلك فلما ان  
خرج قالت عائشة من هذا قال أحق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه ثم قال البرار اسحق بن عبد الله لين الحديث جدا وانما  
ذكرناه لاننا لم نحفظه الا من هذا الوجه وبيننا العلة فيه (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير  
ناظرين اناه ولكن اذا دعيت فادخلوا فاذا اطعمتم فانتمشروا ولا مستأنسين الحديث ان ذلكم كان يؤدى النبي فيستحي منكم والله  
لا يستحي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم (١٠٧) أظهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان

تؤذوا رسول الله ولأن تسكعوا  
أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم  
كان عند الله عظيما ان تبدوا شيئا أو  
تخفوه فان الله كان بكل شيء علما)  
هذه آية الحجاب وفيها أحكام  
وآداب شرعية وهي مما وافق  
تزييلها قول عمر بن الخطاب رضى  
الله عنه كما ثبت ذلك في الصحيحين  
عنه انه قال وافقت ربي عز وجل في  
ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت  
من مقام ابراهيم مصلى فأنزل الله  
تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم  
مصلى وقلت يا رسول الله ان نساءك  
يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتن  
فأنزل الله آية الحجاب وقلت لا زواج  
النبي صلى الله عليه وسلم للمتماحلات ان  
عليه في الغيرة عسى ربه ان طلقكن  
ان يبدله أزواجا خيرا منكن فترات  
كذلك وفي رواية تسلم لذكر أسارى  
بدر وهي قضية رابعة وقد قال  
البخارى حدثنا مسدد عن يحيى عن  
جميد عن أنس بن مالك قال قال  
عمر بن الخطاب يا رسول الله يدخل  
عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات  
المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب  
وكان وقت نزولها في صبيحة عرس

عن المنكر وتدبر أمر الناس وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه  
لم تتغير قط (فاحكم بين الناس بالحق) أي بالعدل الذي هو حكم الله بين عباده لان الاحكام  
اذا كانت مطابقة للشرعية الخفة الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت أبواب الخيرات  
واذا كانت الاحكام على وفق الاهوية وتحصيل مقاصد الانفس أفضى الى تخريب العالم  
ووقوع الهرج فيه والمرج في الخلق وذلك يقضى الى هلاك ذلك الحاكم (ولا تتبع  
الهوى) أي هوى النفس في الحكم بين العباد وفيه تنبيه لاداء عليه السلام ان الذى  
عوتب عليه ليس بعدل وان فيه شائبة من اتباع هوى النفس (فيضلك عن سبيل الله)  
بالنصب على انه جواب للنهي والفاعل هو الهوى ويجوز ان يكون الفعل مجزوما بالاعطف  
على النهي وانما حركه لالتقاء الساكنين فعلى الوجه الاول يكون المنهى عنه الجمع بينهما  
وعلى الثانى يكون النهى عن كل واحد منهما على حدة وسبيل الله هو طريق الحق  
أو طريق الجنة أو دلائله التى نصبها على الحق تشرعوا وتكويينا (ان الذين يضلون عن  
سبيل الله لهم عذاب شديد) تعليل للنهي عن اتباع الهوى والوقوع في الضلال (بما نسوا  
يوم الحساب) الباء للسببية ومعنى التسيان الترك قال الزجاج أى بتركهم العمل لذلك  
اليوم صاروا بمنزلة الناسين وان كانوا ينظرون ويذكرون ولو أتقوا يوم الحساب لا آمنوا  
في الدنيا وقال عكرمة والسدى فى الآية تقديم وتأخير والتقدير ولهم عذاب يوم الحساب  
بما نسوا أى تركوا القضاء بالعدل والاول اولى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما  
باطلا) مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها من أمر البعث والحساب أى ما خلقنا هذه الاشياء  
خلقا باطلا خارجا عن الحكمة الباهرة بل خلقناها للدلالة على قدرتنا فاتصاف باطلا على  
المصدرية أو على الحالية أو على انه مفعول لاجله والاشارة بقوله (ذلك) الى المنفى قبله  
وهو مبتدأ وخبره (ظن الذين كفروا) أى مظنونهم فانهم يظنون ان هذه الاشياء خلقت  
لا لغرض ويقولون انه لا قيامة ولا بعث ولا حساب وذلك يستلزم ان يكون خلق هذه  
ال مخلوقات باطلا (فويل للذين كفروا من النار) القاء لافادة ترتب ثبوت الويل لهم على  
ظنهم الباطل أى فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم كما ان وضع الموصول  
موضع ضميرهم للاشعار بعلية الصلة لاستحقاقهم الويل ثم ويخبرهم بكتهم فقال (أم نجعل

رسول الله صلى الله عليه وسلم بن بنت بحش التى تولى الله تزويجها بنفسه تعالى وكان ذلك في ذى القعدة من السنة الخامسة في  
قول قتادة والواقدي وغيرهما وزعم أبو عبيدة معمر بن المثنى وخليفة بن خياط ان ذلك كان في سنة ثلاث فالثالث أعلم قال البخارى  
حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي حدثنا معمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو مجلز عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما تزوج  
رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت بحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فاذا هو يتبأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك  
قام فلما قام قام من قام وقد نثرت لثاثة نفرجاء النبي صلى الله عليه وسلم لي يدخل فاذا اليوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقوا فاجت

فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فأتى الحجاب بيني وبينه فأرسل الله تعالى يأيتها  
الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا الآية  
وقد رواه أيضا في موضع آخر ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر بن سليمان به ثم رواه البخاري منفردا به من حديث أيوب عن أبي  
قلاية عن أنس رضي الله عنه بنحوه ثم قال حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال  
بني النبي صلى الله عليه وسلم بزيب (١٠٨) بنت جحش بن جحز ولحم فأرسلت على الطعام داعيا فيجيء قوم فبأكلون

ويخرجون ثم يجيء قوم فبأكلون  
ويخرجون فدعوت حتى ما أجد  
أحدا أدعوه فقلت يا رسول الله  
ما أجد أحدا أدعوه قال رفاها  
طعامكم وبقي ثلاثة رهط يتحدثون  
في البيت فخرج النبي صلى الله عليه  
وسلم فانطلق إلى حجره عائشة رضي  
الله عنها فقال السلام عليكم أهل  
البيت ورحمة الله وبركاته قالت  
وعليك السلام ورحمة الله كيف  
وجدت أهلك يا رسول الله بارك الله  
لك فقري بحجر نسائه كلهن يقول  
لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما  
قالت عائشة ثم رجع النبي صلى الله  
عليه وسلم فاذا ثلاثة رهط في البيت  
يتحدثون وكان النبي صلى الله عليه  
وسلم شديد الحياء فخرج منطلقا نحو  
حجره عائشة فما أدري أخبرته أم أخبر  
ان القوم خرجوا فرجع حتى إذا  
وضع رجله في أسكنة الباب داخله  
والأخرى خارجه أرخى الستر بيني  
وبينه وأرزلت آية الحجاب انفرديه  
البخاري من بين أصحاب الكتب  
السته سوي النسائي في اليوم  
والليلة من حديث عبد الوارث  
ثم رواه عن اسحق هو ابن منصور

الذين آمنوا وعملوا الصالحات كلفسدين في الارض) قال مقاتل قال كفار قريش  
للمؤمنين ان اعطى في الآخرة كما تعطون فنزلت وأم هي المنقطة المقدره بيل والهزمة  
للضراب الانتقالي عن تقرير أمر البعث والحساب والحزب بما هم من نفي خلق العالم  
خاليا عن الحكم والمصالح إلى تقريره وتحقيقه بما في الهزمة من انكار التسوية بين  
القربيين ونفيها على أبلغ وجهه وأكده أي بل انجعل الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله وعملوا  
بفرائضه كالكفرة المفسدين في اقطار الارض بالمعاصي قال ابن عباس في الآية الذين  
آمنوا على وحزوة وعبيدة بن الحرث والمفسدون في الارض عتبة وشيبة والوليد ثم أضرب  
سبحانه اضربا آخر واتقل عن الاول إلى ما هو أظهر استحالة منه فقال (أم انجعل المتقين  
كالفجار) أي بل انجعل أتقياء المؤمنين كاشقياء الكافرين والمنافقين وحل الفجار على  
المنهكين في معاصي الله سبحانه من المسكين مما لا يساعده المقام وقيل المراد بالمتقين  
الصحابة ولا وجه للتخصيص بغير مخصص والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب  
ويجوز ان يراد به من القربيين عين الاولين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين  
هما أدخل في انكار التسوية من الوصفين الاولين (كتاب) أي القرآن كتاب (أرزلناه  
اليك) يا محمد (مبارك) أي كثير الخير والبركة (ليدبروا آياته) أي التي من جملتها هذه  
الآيات المعربة من اسرار التكوين والتشريع وهو متعلق بأرزلناه وفي الآية دليل على  
ان الله سبحانه انما أرزل القرآن للتدبر والتفكير في معانيه لا مجرد التلاوة بدون تدبر قال  
الحسن قد قرأ هذا القرآن عميد وصيدان لا علم لهم به أو يله حنظوا حروفه وضيعوا حدوده  
قرأ الجهور ليدبروا وبالادغام وقرئ للتدبر وبالبناء الفوقية على الخطاب وهي قراءة على رضي  
الله تعالى عنه والاصل تدبروا (وليتذكروا) أي ليتعظ أهل العقول  
والبصائر والالباب جمع لب وهو العقل (وهبنا لداود سليمان) أخبر سبحانه من جملة  
نعمه على داردانه وهب له سليمان ولدا ثم مدح سليمان فقال (نعم العبد) أي سليمان  
فانخصوص بالمدح محذوف وقيل ان المدح هنا بقوله نعم العبد هو لداود والاولى ووجه  
(انه آوَاب) تعليلا لما قبلها من المدح والاولى الرجاء إلى الله بالتوبة كما تقدم بيانه  
(اذ عرض عليه بالعشي) أي اذ كرما صدر عنه وقت ان عرض عليه (الصافات الجياد)

عن عبد الله بن بكر السهمي عن حميد عن أنس بن مالك وقال رجلان انفرديه من هذا الوجه وقد تقدم في  
أفراد مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو المنظر حدثنا جعفر بن سليمان  
عن الجعد أبي عثمان الشكري عن أنس بن مالك قال أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض نسائه فصنعت أم سليم حيسا  
ثم جعلته في تور فقالت اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرئه مني السلام وأخبره ان هذا مناله قليل قال أنس والناس  
يومئذ في جهد فحقت به فقلت يا رسول الله بعثت بهذا أم سليم اليك وهي تقرئك السلام وتقول أخبره ان هذا مناله قليل فنظر اليه ثم  
قال ضعه فوضعت في ناحية البيت ثم قال اذهب فادع لي فلا نأقلا نأفسي رجلا كثيرا وقال ومن لقيت من المسلمين فدعوت من

قال ومن لقيت من المسلمين جنت والبيت والصفحة والحجرة ملا من الناس فقلت يا أبا عثمان كم كانوا فقال كانوا اربعة ثلاثمائة  
قال انس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حج به جنت به اليه فوضع يده عليه ودعا وقال ماشاء الله ثم قال لي خلق عشرة  
عشرة وليسوا اوليا كل كل انسان مما يليه فجعلوا يسعون ويا كلون حتى اكلوا كلهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعه  
قال جنت فاخذت التور فظفرت فيه فمأدري اهو حين وضعت اكرام حين اخذت قال ويختلف رجال يتحدثون في بيت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم التي (١٠٩) دخل بها معهم مولية وجهها الى الحائط

فأطالوا الحديث فشقوا على رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد  
الناس حياء ولو أعلموا كان ذلك  
عليهم عزيذا فقام رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فسلم على حجره وعلى  
نساته فلما رأوه قد جاء ظنوا انهم  
قد ثقلوا عليه ابدروا الباب فخرجوا  
وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم  
حتى ارخى الستر ودخل البيت وأنا  
في الحجرة فكثرت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم في بيته يسيرا وانزل الله  
عليه القرآن فخرج وهو يتلو هذه  
الآية يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا  
بيوت النبي الاية قال انس فقراهن  
على النساء نسختة قبل الناس فانا  
احدث الناس بين عهدا وقد رواه  
مسلم والترمذي والنسائي جميعا عن  
قتيبة عن جعفر بن سليمان به وقال  
الترمذي حسن صحيح وعلقه  
البخاري في كتاب النكاح فقال  
وقال ابراهيم بن طهمان عن الجعد  
أبي عثمان عن انس قد كثر نحوه  
ورواه مسلم أيضا عن محمد بن زافع  
عن عبد الرزاق عن معمر بن  
الجعد به وقد روى هذا الحديث  
عبد الله بن المبارك عن شريك عن

وقيل هو متعلق بنعم وهو مع كونه غير متصرف لا وجه لتقيده بذلك الوقت وقبل متعلق  
باواب ولا وجه لتقيده كونه اواب بذلك الوقت والعشى من الظهر أو العصر الى آخر النهار  
والصافنات جمع صافن وقد اختلف أهل اللغة في معناه فتقال القتيبي والقراء الصافن في  
كلام العرب الواقف من الخيل أو غيرها وبه قال قتادة ومنه الحديث من أحب أن يتمثل له  
الناس صفونا فليتبوأ مقعده من النار اي يديمون القيام له وقال الزجاج هو الذي يقف على  
احدى اليدين ويرفع الاخرى ويجعل على الارض طرف الحافر منها حتى كأنه يقوم على  
ثلاث وهي الرجلان واحدى اليدين وقد يفعل ذلك باحدى رجله وهي علامة القراهة  
وقال أبو عبيدة الصافن الذي يجمع يديه ويسويهما أو ما الذي يقف على سنبكه فاسمه  
المخيم والحياد جمع جواد يقال للفرس ذكرا كان أو أنثى اذا كان شديد العدو وقيل انها  
الطوال الاعناق ماخوذ من الخيد وهو العنق وقيل الذي يجود في الركض قيل كانت مائة  
فرس وقيل كانت عشرين ألفا وقيل كانت عشرين فرسا وعن ابراهيم التيمي قال كانت  
عشرين ألف فرس ذات أجنحة فعفرها وقيل انها خرجت له من البحر وكانت لها أجنحة  
وعن أبي هريرة قال الصافنات الحيات خيل خلقت على ماشاء وعن مجاهد قال صفنون  
الفرس رفع احدى يديه حتى يكون على أطراف الحافر والحياد السراع لانه يجود  
بالركض وصفها بالصفنون لانه لا يكون في الهجان وانما هو في العرب وقيل وصفها  
بالصفنون والجودة ليجمع له ابن الوصفين المحمودين واقفه وجارية يعني اذا وقفت كانت  
ساكنة مطمئنة في مواقعها واذا جرت كانت سراعا خفا في جريها قيل ان سليمان  
غزا أهل دمشق وخصميين فأصاب ألف فرس وقيل ورنها من آية وأصابها أبوه من  
العمالقة (فقال) اعترافا بما صدر منه وندما عليه وتهديد الماي عقبه من الامر بردها  
وعقرها والتعقيب باعتبار آخر العرض الممتدون ابتداءه (اني أحبيت حب الخير عن  
ذ كر بي) اتصاب حب على انه مفعول أحبيت بعد تضمينه معنى آثرت قال القراء يقول  
آثرت حب الخير وكل من أحب شيئا فقد آثره وقيل اتصابه على المصدرية بحدف الزوائد  
والناصب له أحبيت وقيل هو مصدر تشبهي أي حبا مثل حب الخير والاول أولى والمراد  
بالخير هنا الخيل قاله الزجاج وقال القراء الخير والخيل في كلام العرب واحد وانها تعاقب  
بين الراء واللام فتقول انهم ملت العين وانهم مرت وخملت وخسرت قال النحاس وفي

بيان بشر عن انس بنحوه ورواه البخاري والترمذي من طريقين آخرين عن بيان بن بشر أي بشر الاحمسي الكوفي عن انس  
بنحوه ورواه ابن أبي حاتم أيضا من حديث أبي نضرة العبدى عن انس بن مالك بنحو ذلك ولم يخرجوه ورواه ابن جريمن حديث  
عمرو بن سعيد ومن حديث الزهري عن انس بنحو ذلك وقال الامام احمد حدثنا به وهاشم بن القاسم قال حدثنا سليمان بن  
المغيرة عن ثابت عن انس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذا كره اعلى قال فانطلق زيد  
حتى اناها قال وهي تخمر عيني فلما رأيتها عظمت في صدرى وذكرا ما الحديث كما قدمناه عند قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا

وزاد في آخره بعد قوله ووعظ القوم بما وعظوا به قال هاشم في حديثه لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الآية وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث جعفر بن سليمان به وقال ابن جرير حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن أخي ابن وهب حدثني عمي عبد الله بن وهب حدثني يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعد أفج وكان عمر يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم احب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج رسول الله (١١٠) صلى الله عليه وسلم وكانت امرأه طويلاه فناداها عمر بصوته الاعلى قد

عرفناك يا سودة حرصا ان ينزل الحجاب قالت فانزل الله الحجاب هكذا وقع في هذه الرواية والمشهور ان هذا كان بعد نزول الحجاب كما رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضيت الله عنها قالت خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لها وكانت امرأه جسمية لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب فقال يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين قالت فانكفت راجعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وانه ليتعشى وفي يده عرق فدخلت فقلت يا رسول الله اني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا قالت فأوحى الله اليه ثم رفع عنه وان العرق في يده ما وضعه فقال انه قد أذن لكن ان تخرجين لحاجتك لفظ البخاري فقوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي تحظر على المؤمنين ان يدخلوا منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الاسلام حتى غار الله لهذه الامة فأمرهم

الحديث الخليل معقود بنو اصيها الخيف فكانها سميت خيرا لهذا وقيل لمافيه من المنافع وعن معني على أي آتت حب الخليل على ذكر ربي يعني صلاة العصور به قال علي وقال ابن عباس الخير المال وقيل أحببت بمعنى لزمت وقيل بمعنى قعدت من أحب البعير اذا سقط وبرك من الاعياء وقيل بمعنى أردت (حتى توارت بالحجاب) يعني الشمس ولم يتقدم لها ذكر ولكن المقام يدل على ذلك قال الزجاج انما يجوز الاضمار اذا جرى ذكر الشيء أو دليل الذكر وقد جرى هنا الدليل وهو قوله بالعشى والتوارى الاستتار عن الابصار والحجاب ما يحجبها عن الابصار قال قتادة وكعب الحجاب جبل أخضر محيط بالخلائق وهو جبل قاف وسمى الليل حجابا لانه يستر ما فيه ويقال ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه وفيه بعد وبرد وعن ابن مسعود قال توارت من وراء قاف بوقت خضراء فخرت السماء منها وعن ابن عباس قال كان سليمان لا يكلم اعظاما له فلقد فاتته صلاة العصر وما استطاع احد ان يكلمه وقيل الضمير للخيال أي حتى توارت في المسابقة عن العين والاول أولى وقوله (ردوها على) من تمام كلام سليمان أي أعيدوا عرضها على مرة أخرى قال الحسن ان سليمان لما شغلته عرض الخليل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله وقال ردوها على أي أعيدوها وقال ابن عباس ردوها أي الخليل وقيل الضمير يعود الى الشمس ويكون ذلك معجزته وانما أمر بارباعها بعد مغيبها لاجل ان يصلي العصر والاول أولى (فطفق مسح بالسوق والاعناق) الفاء هي الفصيحة التي تدل على محذوف في الكلام والتقدير هنا فرددوها عليه قال أبو عبيدة طفق يفعل مثل ما زال يفعل وهو مثل ظل ويات وانتصاب مسحا على المصدرية بفعل مقدر أي مسح مسحاً لان خبر طفق لا يكون الا فعلا مضارعا وقيل هو مصدر في موضع الحال والاول أولى والسوق جمع ساق والاعناق جمع عنق والمراد انه طفق بضر أعناقها وسوقها بالسيف يقال مسح علاوته أي ضرب عنقه قال الفراء المسح هنا القطع قال والمعنى انه أقبل بضر سوقها وأعناقها لانها كانت سبب فوت صلاته وكذا قال أبو عبيدة قال الزجاج ولم يكن يفعل ذلك الا وقد أحاسه الله وجاز ان يباح ذلك لسليمان ويحظر في هذا الوقت وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية فقال قوم المراد بالمسح ما تقدم وقال آخرون منهم الزهري وقتادة ان المراد به المسح على سوقها وأعناقها لكشف الغبار عنها حبا لها والقول الاول أولى بسياق الكلام

بذلك وذلك من اكرامه تعالى هذه الامة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والدخول على النساء الحديث ثم استثنى من ذلك فقال تعالى الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه قال مجاهد وقتادة وغيره ما أي غير متحيين فنجبه واستواءه أي لا ترقبوا الطعام اذا طبخ حتى اذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول فان هذا مما يكرهه الله وينميه وهذا دليل على تحريم التطفيل وهو الذي تسميه العرب الضيفن وقد صنف الخطيب البغدادي في ذلك كتابا في ذم الطفيليين وذم من اخبارهم اشياء يطول ايرادها ثم قال تعالى ولكن اذا دعيت فادخلوا فاذا طعتم فانتشروا وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضيت الله

عنه ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعوا احدكم اخاه فليجب عرسا كان او غيره واصله في الصحيحين وفي الصحيح ايضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لودعيت الى ذراع لا جبت ولو اهدى الى كراع لقبلت فاذا فرغتم من الذي دعيتم اليه تخففوا عن أهل المنزل وانتشر وافي الارض ولهذا قال تعالى ولا مستأنسين لحديث اي كما وقع لاولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث ونسوا أنفسهم حتى شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم وقيل المراد ان دخولكم منزله بغير اذنه كان يشق عليه ويتأذى به ولكن كان يكره ( ١١١ ) ان ينهاهم عن ذلك من شدة حياؤه عليه

السلام حتى أنزل الله عليه النهي عن ذلك ولهذا قال تعالى والله لا يستحي من الحق اي ولهذا نهاكم عن ذلك وزجركم عنه ثم قال تعالى واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب أي وكانهن يتكلمن عن الدخول عليهن كذلك لا تنظروا اليهن بالكلمة ولو كان لاحدكم حاجة يريدتها اولها منهن فلا ينظر اليهن ولا يسألهن حاجة الا من وراء حجاب وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن مسعر عن موسى بن أبي كثير عن مجاهد عن عائشة قالت كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم حياض في قعب فرعرعداه فأكل فأصابت أصبعه أصبعي فقال حس أو أهو لو أطاع فيكن ما تركن عين فيزل الحجاب ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن أي هذا الذي أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب أظهر وأطيب وقوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن

الكلام فإنه ذكرناه أثرها على ذكره حتى فاتته صلاة العصر ثم أمرهم بردها عليه ليعاقب نفسه بافساد ما ألهاه عن ذلك وما صدته عن عبادته وشغله عن القيام بما فرضه الله عليه ولا يناسب هذا أن يكون الغرض من ردها عليه هو كشف الغبار عن سوقها وأغناقها بالمسح عليها بيده أو بشوبه ولا ممتسك لمن قال ان افساد المال لا يصدر عن نبي فان هذا مجرد استبعاد باعتبار ما هو المتقرر في شرعنا من جواز أن يكون في شرع سليمان ان مثل هذا مباح على ان افساد المال المنهي عنه في شرعنا انما هو مجرد اضعافه لغير غرض صحيح وأما الغرض صحيح فقد جازمه في شرعنا كما وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم من اكداه القدر التي طبخت من الغنمة قبل القسمة ولهذا نظر كثير في الشريعة ومن ذلك ما وقع من الصحابة من احرأق طعام المختكر قال ابن عباس مسحا عقربا بالسيف أي قطع سوقها وأغناقها بالسيف قال الرازي التفسير الحق المطابق لالفاظ القرآن ان تقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما انه كذلك في ديننا ثم ان سليمان احتاج الى غزو مجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها واذكر اني لأحبهما لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما أحبهما لمر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربي ثم انه أمر باعدادها واجرائها حتى توارت بالحجاب ثم أمر برد الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح والغرض من ذلك المسح أمور الاول نشر بنها لكونها من أعظم الاعوان في دفع العدو الثاني انه أراد ان يظهر انه في ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى انه يباشر الامور بنفسه الثالث انه كان أعلم بأحوال الخيل وأمر اضها وعبوهم من غيره فكان يمسح حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزم من ذلك المنكرات والمخظورات انتهى وما أبردها هذا التفسير من الرازي وأبعده عن النظم القرآني والحق ما ذكرناه فان اللغة تشبه بضرب السوق والاعناق ولا وجه للعدول عنه الى تأويل ركيبك وتوجيهه بعيد بناء على عصمة الانبياء عليهم السلام (واقدهنا سليمان) أي ابتليناه واختبرناه بسلب ملكه قال الواحدى قال أكثر المفسرين تزوج سليمان امرأة من بنات الملوك فعبدت الصنم في داره ولم يعلم بذلك سليمان فامتحن بسبب غفلته عن ذلك وقيل ان سبب الفتنة أنه تزوج سليمان امرأة يقال لها جرادة وكان يحبها حباً شديداً فاختم اليه فريقان أحدهما من أهل جرادة فاحب أن يكون القضاء لهم ثم قضى بينهم

حدثنا محمد بن أبي حماد حدثنا مهران عن سفيان عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله قال نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعده قال رجل لسفيان أهى عائشة قال قد ذكروا ذلك وكذا قال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وذكر بسنده عن السدي ان الذي عزم على ذلك طلحة بن عبد الله رضى الله عنه حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك ولهذا أجمع العلماء قاطبة على ان من توفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه انه يحرم على غيره تزوجها من بعده لانهن أزواجه في الدنيا والآخرة وامهات المؤمنين كما تقدم واختلفوا فيمن دخل بها ثم طلقها في

حياته هل يحل لغيره ان يتزوجها على قولين مأخذهما هل دخلت هذه في عموم قوله من بعده أم لا فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها فاعلم في حلها لغيره والحالة هذه نزاعا والله أعلم وقال ابن جرير حدثني محمد بن المنبهي حدثنا عبد الوهاب حدثنا داود عن عامر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم مات وقدم ملك قبيلة بنت الأشعث يعني ابن قيس فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك فشق ذلك على أبي بكر مشقة شديدة فقال له عمر يا خليفة رسول الله انهم ليست من نساءه انهم لم يخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبهوا وقد برأها الله منه بالردة التي ارتدت (١١٢) مع قومها قال فاطمة أبو بكر رضي الله عنه وسكن وقد عظم الله

تبارك وتعالى ذلك وشدد فيه وتوعد عليه بقوله ان ذلكم كان عند الله عظيما ثم قال تعالى ان تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما أي مهماتكنه ضمما لكم وتنطوي عليه سرائكم فان الله يعلمه فانه لا يخفى عليه خافية يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور (الاجتراح عليهم في آباءهم ولا أبناءهم ولا اخوانهم ولا أبناء اخوانهم ولا ماملكت آيما من واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا) لما أمر تبارك وتعالى النساء بالحجاب من الاجانب بين ان هؤلاء الاقارب لا يجب الاحتجاب منهم كما استثناهم في سورة النور عند قوله تعالى ولا يسدين زينتهن الابلعولتن أو ابائهن أو اباؤا بعولتن أو ابنائهن أو ابناؤا بعولتن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو نساءهن أو ماملكت ايما من أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطمائل الذين لم يظهروا على عورات النساء وفيها زيادات على هذه وقد تقدم تفسيرها

بالحق وقيل السبب أنه احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يقضى بين أحد وقيل انه تزوج جرادة هذه وهي مشركة لانه عرض عليها الاسلام فقالت اقلني ولا أسلم وقال كعب الاحبار انه لما ظلم الخليل بالقتل سلب ملكه وقال الحسن انه قارب بعض نساءه في شيء من حيض أو غيره وقيل انه أمر أن لا يتزوج امرأة الا من بنى اسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم وقيل ان سبب قتنه ما ثبت في الحديث الصحيح أنه قال لا طوفن اليبسلة على تسعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يقاتل في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله وقيل غير ذلك والمصير الى الحديث متعين قال النسفي وأما ما روى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان بن أباطيل اليهود انتهى أقول حديث الخاتم أخرجه النسائي وغيره وقواه السيوطي كما سيأتي فكونه من أباطيل اليهود ليس على ما ينبغي ثم بين سبحانه ما عاقبه به فقال (وألقينا على كرسيه جسدا) قال أكثر المفسرين هذا الجسد الذي ألقاه الله على كرسى سليمان هو شيطان اسمه صخر وكان متمردا عليه غير داخل في طاعته ألقى الله شبه سليمان عليه وما زال يمتاح حتى ظفر بجناح سليمان وذلك عند دخول سليمان الكنيف لانه كان يلقبه اذا دخل الكنيف فجاء صخر في صورة سليمان فاخذ الخاتم من امرأة من نساء سليمان فقع على سر سليمان وأقام أربعين يوما على ملكه وسليمان حارب وكان ملكه مرتبعا على لسانه فاذا لبسه سخرت له الجن والانس والرياح وغيرها واذا نزعه زال عنه الملك قيل وكان خاتمته من الجنة نزل به آدم كما نزل بعصا موسى والحجر الاسود وبعود الجحور وبورق التين وقد نظم الخمسة بعضهم في قوله

وآدم معه انزل العود والعصا \* لموسى من الآس النبات المكرم  
وأوراق تين واليمين بمكة \* وختم سليمان النبي المعظم

لكن يفتر ذلك الى دليل يدل له من الاخبار المرفوعة الصحيحة وقال مجاهد ان شيطانا قال له سليمان كيف تفتنون الناس قال أرنى خاتمك أخبرك فلما أعطاه اياه نبذه في البحر فذهب ملكه وقعد الشيطان على كرسيه ومنعه الله نساء سليمان فلم يقربهن وكان سليمان يستطعم فمقولا تعرفونني أطمعونني فيكذبوه حتى أعطته امرأة يوما حوتا فشق بطنه فوجد خاتمته في بطنه فرجع اليه ملكه وهو معنى قوله (ثم أناب) أي رجع الى ملكه بعد أربعين وقيل معنى أناب رجع الى الله بالتوبة من ذنبه وهذا هو الصواب قيل فتن سليمان بعد

والكلام عليها بما عني عن عادته ههنا وقد سأل بعض السلف فقال لم يذكر العم والخال في هاتين الآيتين ما

فأجاب عكرمة والشعبي بأنهما لم يذكرا لانهما قد يصفان ذلك لئيبهما قال ابن جرير حدثني محمد بن المنبهي حدثنا جاجج بن منهل حدثنا جاد حدثنا داود عن الشعبي وعكرمة في قوله تعالى لا جناح عليهن في آباءهن الآية قلت ما شأن العم والخال لم يذكرا قال لانهما ينعتان الابناء ما وكرها ان تضع خمارها عند خالها وبعها وقوله تعالى ولا نسائهن يعني بذلك عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات وقوله تعالى ولا ماملكت ايما من يعني به ارقاعهن من الذكور والاناث كما تقدم التيسير عليه وايراد الحديث فيه

قال سعيد بن المسيب انما بعثني به الاماء فقطروا ابن ابي حاتم وقوله تعالى وانفسين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا اي  
واخشيناه في الخلوة والعلاية فانه شهيد على كل شيء لا يخفى عليه خافية فراقبن الرقيب (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها  
الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) قال البخاري قال ابو العالمة صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاته الملائكة  
الدعاء وقال ابن عباس يصلون يركون هكذا علقه البخاري عنهم وقد رواه ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن ابي العالية  
كذلك وروى مثله عن الربيع ايضا وروى على بن ابي طلحة عن ابن عباس كما قاله سواهما ابن ابي حاتم (١١٣)

وقال ابو عيسى الترمذي روى عن  
سنيان الثوري وغير واحد من اهل  
العلم قالوا صلاة الرب الرحمة  
وصلاة الملائكة الاستغفار ثم قال  
ابن ابي حاتم - حدثنا عمرو الودعي  
حدثنا وكيع عن الاعمش عن عمرو  
ابن مرة قال الاعمش اراه عن  
عطاء بن ابي رباح ان الله وملائكته  
يصلون على النبي قال صلواته  
تبارك وتعالى سبوح قدوس  
سبقتم رجعتي غضبي والمقصود من  
هذه الاية ان الله سبحانه وتعالى  
أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في  
الملايا اعلى بأنه ينزل عليه عند  
الملائكة المقربين وان الملائكة  
تصلي عليه ثم امر تعالى اهل العالم  
السفلي بالصلاة والتسليم عليه  
ليجتمع الثناء عليه من اهل العالمين  
العلوي والسفلي جميعا وقد قال  
ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين  
حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني  
ابي عن ابيه عن أشعث بن اسحق  
عن جعفر يعني ابن المغيرة عن  
سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ان  
بني اسرائيل قالوا لموسى عليه  
السلام هل يصلي ربك فناداه ربه عز

ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفسنة عشرين سنة فخرج الخاكم وصحبه والقرباني والحكيم  
الترمذي عن ابن عباس قال الشيطان الذي كان على كرسية يقضى بين الناس أربعين يوما  
وكان لسليمان امرأة يقال لها جرادة وكان بين بعض أهلها وبين قوم خصومة فقضى بينهم  
بالحق الا أنه وتأن الحق كان لاهلها فأوحى الله اليه ان سيصيبك بلاء فكان لا يدري آياته  
من السماء أم من الارض وأخرج النسائي وابن جرير وابن ابي حاتم بسند قال السيوطي  
قوى عن ابن عباس قال أراد سليمان ان يدخل الخلافة فاعطى جرادة طاقه وكانت جرادة  
امرأته وكانت أحب نساءه اليه فخاف الشيطان في صورة سليمان فقال لها هاتي خاتمي  
فأعطته فلما لبسه دانت له الانس والجن والشياطين فلما خرج سليمان من الخلافة قال  
هاتي خاتمي قالت قد أعطيتك سليمان قال أنا سليمان قالت كذبت لست سليمان فعمل  
لا يأتي أحدا يقول أنا سليمان الا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة فلما رأى ذلك  
عرف انه من أمر الله وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله أن يرد على سليمان  
سلطانه أتى في قلوب الناس انكار ذلك الشيطان فاسلوا الى نساء سليمان فقالوا الهن  
تسكن من أمر سليمان شيئا فان نعم انه يا تينا ونحن نحيض وما كان ياة ينا قبل ذلك فلما  
رأى الشيطان انه قد فطن له ظن ان أمره قد انقطع فكتبوا كتبها فيها سحر وكفر  
فدفنوها تحت كرسى سليمان ثم أثاروها وقرؤها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان  
على الناس ويغلبهم فأكفر الناس سليمان فلم يزالوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالخاتم  
فطرحه في البحر فتلقتة سمكة فأخذته وكان سليمان يعمل على شط البحر بالاجر فجاء رجل  
فاشترى سمكها فمكها تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فدعا سليمان فقال تحمل لي هذا السمك  
قال نعم بكم قال بسمكة من هذا السمك فحمل سليمان السمك ثم انطلق به الى منزله فلما  
انتهى الرجل الى باب داره أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فأخذها سليمان فشق  
بطنها فاذا الخاتم في جوفها فأخذته فلبسه فلما لبسه دانت له الجن والانس والشياطين  
وعاد الى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجزيته من جزائر البحر فأرسل سليمان في طلبه  
وكان شيطانا امر بيدا فجعلوا يطلبونه ولا يتدرون عليه حتى وجدوه يوما نائما فجاءوا فبنوا  
عليه بنيانا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يشب في مكان من البيت الا انباط معه  
الرصاص فأخذوه فأوثقوه وجاؤا به الى سليمان فأمر به ففقر له تحت من رصاص ثم أدخله في

(١٥ فتح البيان ثامن) وجل يا موسى سألو هل يصلي ربك فقل نعم أنا أصلي وملائكتي على انبيائي ورسلي فانزل الله عز  
وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقد أخبر سبحانه  
وتعالى بأنه يصلي على عباده المؤمنين في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا اصابتم مصيبة قالوا ان الله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من  
عليكم وملائكته الآية وقال تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابهم مصيبة قالوا ان الله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من  
ربهم الآية وفي الحديث ان الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف وفي الحديث الآخر اللهم صل على آل أبي أوفى وقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهر أتعاب وقد سألته أن يصلي عليهما وعلى زوجها صلى الله عليك وعلى زوجك وقد جاءت الاحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بالصلاة عليه وكيفية الصلاة عليه ونحن نذكر منها ان شاء الله ما تيسر والله المستعان قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد أخبرنا أبي عن مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على (١١٤) محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وقال الامام

اجد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم قال سمعت ابن أبي ليلى قال لقيتني كعب بن عجرة فقال ألا اهدي لك هدية تخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن يا رسول الله قد علمنا أو عرفنا كيف السلام عليك فكيف الصلاة فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة في كتبهم من طرق متعددة عن الحكم وهو ابن عتيبة زاد البخاري وعبد الله ابن عيسى كلاهما عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى فذكرهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا هشيم بن بشير عن يزيد بن أبي زياد حدثنا عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد

جوفه ثم شد بالنحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله ولقد فتنا سليمان وألقيناه على كرسيه جسدا يعني الشيطان الذي كان سلط عليه وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال صخر الجني تمثل على كرسيه على صورته (قال سليمان رب اغفر لي) ما صدر عنى من الذنب الذي ابتليتني لأجله وطلب المغفرة دأب الانبياء والصالحاء هضموا للنفس واطهاروا للذل والخشوع وطلبوا للترقي في المقامات ثم لما قدم التوبة والاستغفار جعلها وسيلة الى اجابة طلبته فقال (وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى) قال أبو عبيدة معنائه لا يكون لاحد من بعدى وقيل لا ينبغي لاحد ان يسلبه منى بعد هذه السلبه أو لا يصح لاحد من بعدى لعظمته وليس هذا من سؤال نبي الله سليمان عليه السلام للدينا وملكها والشرف بين أهلها بل المراد بسؤاله الملك ان يتمكن به من انفاذ حكم الله سبحانه والاخذ على يد المتمردين من عباده من الجن والانس ولولم يكن من مقتضيات لهذا السؤال الاماراه عند قعود الشيطان على كرسيه من الاحكام الشيطانية الجارية في عباد الله لكني وجعله (انك أنت الوهاب) تعليل لما قبلها مما طلبه من مغفرة الله له وهبة الملك الذي لا ينبغي لاحد من بعده لا بالاخيرة فقط فان المغفرة أيضا من أحكام وصف الوهابية قطعاً قاله أبو السعود وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان عقرتي من الجن جعلت ينقل على البارحة ليقطع على صلاتي وان الله امكنني منه فلقد هممت أن أربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا اقتطروا اليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى ففرده الله خاسئا ثم ذكر سبحانه اجابته لدعوته واعطاه لمسئله فقال (فسخرنا له الريح) أي ذللنا هاله وجعلناها منقادة لاهره ثم بين كيفية التسخير لها بقوله (تجري بأمره رخاء) أي لينة الهبوب ليست بالعاصف مأخوذ من الرخاوة والمعنى انها ريح لينة لا تززع ولا تعصف مع قوة هبوبها وسرعة تجريها ولا ينافي هذا قوله في آية أخرى وسليمان الريح عاصفة تجري بأمره لان المراد انها في قوة العاصفة ولا تعصف وقيل انها كانت تارة رخاء وتارة عاصفة على ما يريده سليمان ويشبهه وهذا أولى في الجمع بين الآيتين (حيث أصاب) قال الزجاج اجماع أهل اللغة والمفسرين على ان معنى حيث أصاب حيث أراد وحقيقته حيث قصد وقال الاصمعي

وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول وعلينا معهم ورواه الترمذي بهذه الزيادة ومعنى قولهم أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد الذي كان يعلمهم اياه كما كان يعلمهم السورة من القرآن وفيه السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته حديث آخر قال البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن ابن الهادي عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك



ورسولك كما ضليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم حدثنا ابراهيم بن حنيفة حدثنا ابن ابي حازم والدراوردي عن يزيد بن عيسى بن الهادي وقال كما ضليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث ابن الهادي حديث آخر قال الامام أحمد قرأت على عبد الرحمن مالك عن عبد الله بن ابي بكر عن أبيه عن عمرو بن سليم انه قال أخبرني ابو حميد الساعدي انه سم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما ضليت على ابراهيم وبارك على آل ابراهيم

انك حميد مجيد وقد اخرج به بقية الجماعة سوى الترمذي من حديث مالك به حديث آخر قال مسلم حدثنا يحيى بن يحيى التميمي قال قرأت على مالك عن نعيم بن عبد الله المجرم اخبرني محمد بن عبد الله بن زيد الانصاري قال وعبد الله بن زيد هو الذي كان أرى النداء بالصلاة اخبره عن ابي مسعود الانصاري قال أنا نارسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشر بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تخمينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما ضليت على ابراهيم وبارك على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث مالك به وقال الترمذي حسن صحيح وروى

وابن الاعرابي العرب تقول أصاب الصواب وأخطأ الجواب وقيل معنى أصاب بلغة جبر أراذوليس من لغة العرب وقيل هو بلسان هجر والاول أولى وهو مأخوذ من اصابة السهم للغرض (و) - خزنا له (الشياطين) وقوله (كل بناء وغواص) بدل من الشياطين أي كل بناء منهم وغواص منهم يبنون له ما يشاء من المباني ويغوصون في البحر فيستخرجون له الدرمنه وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر (وأخرين مقرنين في الاصفاد) معطوف على كل داخل في حكم البدل وهم مرده الجن والشياطين سخروا له حتى قرنهم في الاصفاد يقال قرنهم في الحبال اذا كانوا جماعة كثيرة والاصفاد الاعلال واحدها صفة قال الزجاج هي السلاسل فكل ما شدته شدا وثيقا بالحديد وغيره فقد صدفته قال أبو عبيدة صدفت الرجل فهو مصفود وصففته فهو مصفود قال يحيى بن سلام ولم يكن يفعل ذلك الا بكنارهم فاذا آمنوا أطلقهم ولم يسخرهم (هذا) أي ما تقدم من تسخير الریح والشياطين له أو من الملأ والمال والبسطة وهو بتقدير القول أي وقلنا له هذا (عطاؤنا) الذي أعطيناك من الملك العظيم الذي طلبته (فامن أو أمسك) أي فاعط من شئت وامنع من شئت قاله الحسن والضحاك وغيرهما وقال ابن عباس اعتق من الجن من شئت وامسك منهم من شئت (بغير حساب) لاحساب عليك في ذلك الاعطاء والامسالك أعطوا نالك بغير حساب لكثرة وعظمته وقال قتادة ان قوله هذا عطائونا اشارة الى ما أعطيه من قوة الجماع وهذا الوجه لقصر الآية عليه لو قدرنا انه قد تقدم ذكره من جملة تلك المذكورات فكيف يدعى اختصاص الآية به مع عدم ذكره (وان له عندنا الزاني) أي قربة في الآخرة (وحسن ما ب) أي حسن مرجع وهو الجنة (واذكر عبدنا أيوب) عطف بيان وعدم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهم السلام حتى كأن قصتهم ما قصة واحدة (وأيوب) هو ابن عيصون اسحق (اذ نادى ربه) بدل اشتمال من عبدنا (اني مسنى الشيطان) قرأ الجمهور بفتح الهمزة على انه حكاية لكلامه الذي نادى به ربه ولو لم يحكه لقال انه مسه وقرئ بكسر هاء على اضممار القول وفي ذكر قصة أيوب ارشاد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الاقتداء به في الصبر على المكاره (بنصب) قرأ الجمهور بضم النون وسكون الصاد فقيل هو جمع نصب بفتحين فهو أسود وأسود وقيل هو لغة في النصب نحو رشد ورشد وقرئ بضمين وبفتحين

الامام أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم في مستدرکه من حديث محمد بن اسحق عن محمد بن ابراهيم التيمي عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه عن أبي مسعود البدری أنهم قالوا يا رسول الله أما السلام فقد عرفناه فكيف نصلي عليك اذا نحن مسلمين في صلواتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وذكره ورواه الشافعي رحمه الله في مسنده عن أبي هريرة عن ثوبان ومن ههنا ذهب الشافعي رحمه الله الى انه يجب على المصلي ان يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشهد الاخير فان تركه لم تصح صلاته وقد ستر بعض المتأخرين من المالكية وغيرهم بشنع على الامام الشافعي في اشتراطه ذلك في

الصلاة ويرزعم أنه قد تفرّد بذلك وحكى الاجماع على خلافه أبو جعفر الطبري والطحاوي والخطابي وغيرهم فيما نقله القاضي عياض عنهم وقد تعسف هذا القائل في رده على الشافعي وتكف في دعواه الاجماع في ذلك فانه قد روينا وجوب ذلك والامر بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة كما هو ظاهر الآية مفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وأبو مسعود البدرى وجابر بن عبد الله ومن التابعين الشعبي وأبو جعفر الباقر ومقاتل بن حيان واليه ذهب الشافعي لاخلاف عنه في ذلك ولا يبين أصحابه أيضا واليه ذهب (١١٦) الامام أحمد أخيرا فيما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقي به وبه قال اسحق

ابن راهويه والفقهاء الامام محمد بن ابراهيم المعروف بابن المواز المالكي رحمهم الله حتى ان بعض أئمة الخنابلة أوجب ان يقال في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما علمهم ان يقولوا المسأله وحتى ان بعض اصحابنا أوجب الصلاة على آله وعن حكاه البغدادي وسالم الرازي وصاحبه نصر بن ابراهيم المقدسي ونقله امام الحرمين وصاحبه الغزالي قولاً عن الشافعي والصحيح انه وجه على ان الجمهور على خلافه وحكوا الاجماع على خلافه والقول بوجوده بظهور الحديث والله أعلم والغرض ان الشافعي رحمه الله لقوله بوجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة سلف وخلف كما تقدم والله الحمد والمنة فلا اجماع على خلافه في هذه المسأله لا قديما ولا حديثا والله أعلم وما يؤيد ذلك الحديث الآخر الذي رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهم امن رواية حيوة بن شريح المصري عن أبي هاني حميد بن هاني عن عمرو

وبفتح وسكون وهذه القراءات كلها بمعنى واحد وانما اختلفت القراءات باختلاف اللغات وقال أبو عبيد ان النصب بفتحين التعب والاعياء وعلى بقية القراءات الشر والبلاء (وعذاب) أي ألم قال قتادة ومقاتل النصب في الجسد والعذاب في المال قال النخاس وفيه بعد كذا قال والاولى تفسير النصب بالمعنى اللغوي وهو التعب والاعياء وتفسير العذاب بما يصدق عليه مسمى العذاب وهو الألم وكلاهما راجع الى البدن وقد أخرج أحمد في الزهد وابن أبي حاتم وابن عساکر عن ابن عباس خبر اطوي يلا في قصة أيوب أوله ان الشيطان عرج الى السماء فقال يا رب سلطني على أيوب قال الله تعالى لقد سلطتك على ماله وولده ولم أسلطك على جسده الحديث بطوله وفيه نكارة شديدة فان الله سبحانه لا يمكن الشيطان من نبي من انبيائه ويساطه عليه هذا التسليط العظيم وأسند المس الى الشيطان مع ان الله سبحانه هو الذي مسه بذلك اما لكونه لما عمل بوسوسته عوقب على ذلك بذلك النصب والعذاب فقد قيل انه أعجب بكثيره ماله وقيل استغائه مظلوم فلم يغنه وقيل انه قال ذلك على طريقة الادب وقيل انه قال ذلك لان الشيطان وسوس الى اتباعه فرفضه وأخرجوه من ديارهم وقيل المراد به ما كان يوسوسه الشيطان اليه حال مرضه وابتلائه من تحسين الجزع وعدم الصبر على المصيبة وقيل غير ذلك (اركض برجلك) أي قلناله اركض كذا قال الكسائي والركض الدفع بالرجل يقال ركض الدابة اذا ضربها بها وقال المبرد الركض التحريك قال الادعي يقال ركضت الدابة ولا يقال ركضت هي لان الركض انما هو تحريك راكبه ارجليه ولا فعل لها في ذلك وحكى سيديويه ركضت الدابة فركضت مثل جبرت العظم خبير (هذه) اغتسل بارد وشراب) هذا أيضا من مقول القول المقدر وفي الكلام حذف والتقدير فركض برجله فنبعت عين فقلناله هذا اغتسل الخ وظاهر النظم الكريم ان الاغتسال والشرب كانا من عين واحدة والغتسل هو الماء الذي يغتسل به والشراب الذي يشرب منه وقيل ان المغتسل هو المكان الذي يغتسل فيه قال قتادة هما عينان بارض الشام في أرض يقال لها الحياية فاغتسل من احدهما فاذهب الله ظاهرا دانه وشرب من الاخرى فاذهب الله باطن دانه وكذا قال الحسن وقال مقاتل نبعت عين جارية فاغتسل فيها فخرج صحيحا ثم نبعت عين اخرى فذرب منها ماء عذبا باردا (وهيئنا له أهله) معطوف على مقدر كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا عنه بذلك ما به من

ابن مالك ابى على الحسيني عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ضمر يدعوف في صلاته لم يعبد الله ولم يصل على النبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتعبد الله عز وجل والثناء عليه ثم يصل على النبي ثم ليدع بعد بما شاء وكذا الحديث الذي رواه ابن ماجه من رواية عبد المهين بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ولا صلاة لمن لم يصل على النبي ولا صلاة لمن لم يتعب الا نصرا ولكن عبد المهين هذا متروك وقد

رواه الطبراني من رواية أخيه ابي بن عباس واكن في ذلك نظروا عما يعرف من رواية عبد المهين والله أعلم حديث آخر قال  
الامام احمد حدثنا يزيد بن هرون اخبرنا اسمعيل عن ابي داود الاعشى عن بريدة قال قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك  
فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على ابراهيم وآل ابراهيم  
انك جيد مجيد اودود الاعشى اسمه نعيم بن الحرث متروك حديث آخر موقوف روينا من طريق سعيد بن منصور ويزيد بن هرون  
وزيد بن الجباب ثلاثتهم عن نوح بن قيس حدثنا سلامة الكندي ان عليا (١١٧) رضى الله عنه كان يعلم الناس هذا الدعاء

اللهم داحي المدحوات وبارئ  
المسوكات وجبار القلوب على  
فطرتها شقيها وسعيدها اجعل  
شرائف صلواتك ونوامي بركانك  
ورأفة بمنحك على محمد عبدك  
ورسولك الفاتح لما علق والخاتم  
لما سبق والمعلن الحق بالحق والداغ  
لجيشات الاباطيل كما جعل فاضطلع  
بأمرك بطاعتك مستوفز في  
مرضاتك غير نكل في قدم ولا وهن  
في عزم داعيا لوحيدك حافظا لعهديك  
ماضيا على نفاذ امرك حتى أورى  
قبس القابس الاء الله تصل باهله  
اسبابه به هديت القلوب بعد  
خوضات الفتن والاثم وأبهيح  
موضحات الاعلام ونائرات  
الاحكام ومنيرات الاسلام فهو  
أمينك المأمون وخازن علمك المخزون  
وشهيدك يوم الدين وبعيذك نعمة  
ورسولك بالحق رجة اللهم افسح له  
في عدتك واجزه مضاعفات الخير من  
فضلك مهنت له غير مكدرات من  
فوز توابعك المحلول وجزيل عطائك  
المعلول اللهم اعل على بناء الناس  
بنائه وأكرم مثواه لديك ونزله وأتم  
له نوره واجزه من ابتعائك له مقبول

ضر ووهبنا له أهله قبل أحياءهم الله بعد ان أماتهم وقيل جمعهم بعد تفرقهم وقيل غيرهم  
منهاهم ثم زاده مثلهم معهم وهو معنى قوله (ومثلهم معهم) فكانوا مثل ما كانوا من قبل  
ابتلائه (رحمة منا وذكرى لأولى الالباب) أى وهبناهم له لاجل رحمتنا اياه وليتذكر بحاله  
أولو الالباب فيصبر وعلى الشدائد كما صبر ويلجأ الى الله كما لجأ يفعل بهم ما فعل به من  
حسن العاقبة وقد تقدم في سورة الانبياء تفسير هذه الآية مستوفى فلا نعيده (وخذ)  
معطوف على اركض أو على وهبنا أو التقدير وقلنا له خذ (بيدك ضغنا) هو عسكال النخل  
بشمار يخه وقيل هو قبضة من حشيش مختلط رطبها يابسها وقيل الحزمة الكبيرة من  
القضبان وأصل المادة تدل على جمع المختلطات قال الواحدى الضغ مل الكف من  
الشجر والحشيش والشمار يخ وعن ابن عباس قال الضغ هو الاسل وقال أيضا الضغ  
القبضة من المري الرطب وقال أيضا الحزمة (فاضرب به) أى بذلك الضغ (ولا تخمض)  
في عيذك والخمض الاثم ويطلق على فعل ما حلف على تركه أو ترك ما حلف على فعله لانهما  
سببان فيه وكان أيوب قد حلف في مرضه أن يضرب امرأته مائة جلدة واختلف في سبب  
ذلك فقال سعيد بن المسيب انها جاءت به زيادة على ما كانت تأتيه به من الخبز فخاف خيانتها  
خلف ليضربنها وقال يحيى بن سلام وغيره ان الشيطان أغواها ان تحمل أيوب على ان  
يذبح سخله تقربا اليه فانه اذا فعل ذلك برى خلف ليضربنها اذا عوفي مائة جلدة وقيل  
باعث ذوابها برغيفين اذ لم تجد شيئا وكان أيوب يتعلق بها اذا أراد القيام فلهذا حلف  
ليضربنها وأخرج أحمد في الزهد عن ابن عباس قال ان ابليس قعد على الطريق وأخذ  
تأبوت أيادى الناس فقالت امرأه أيوب يا عبد الله ان ههنا مبتلى من امره كذا وكذا فهل  
لأن تدأوبه قال نعم بشرط ان اناسفتيه ان يقول انت شفيتنى لا اريد منه أجر غيره  
فأنت أيوب فذكرت له ذلك فقال ويحك ذلك الشيطان لله على ان شفانى الله ان أجلك  
مائة جلدة فلما شفاه الله امره ان يأخذ ضغنا فيضرب بها به فأخذ عند قافيه مائة شمراخ  
فضر بها به ضربة واحدة وأخرج أحمد والطبراني عن أبي امامة بن سهل بن حنيف قال  
حلت وليدة في بنى ساعدة من زنا فقيل لها من حملك قالت من فلان المقعد فسئل المقعد  
فقال صدقت فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال خذوا عسكولا فيه  
مائة شمراخ فاضر بوجه ضربة واحدة وله طرق اخرى وقد اختلف العلماء هل هذا خاص

الشهادة مرضى المقالة اذا منطلق عدل وخطة فصل وحجة وبرهان عظيم هذا مشهور من كلام على رضى الله عنه وقد تكلم عليه ابن  
قتيبة في مشكل الحديث وكذا أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوى في جزمه في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الان  
في اسناده نظرا قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزنى سلامة الكندي هذا ليس بعرف ولم يدرك عليا كذا قال وقد روى الحافظ أبو  
القاسم الطبراني هذا الاثر عن محمد بن علي الهائغ عن سعيد بن منصور وحدثنا نوح بن قيس عن سلامة الكندي قال كان على رضى  
الله عنه يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم داحي المدحوات وذكروه موقوف حديث آخر قال ابن ماجه حدثنا يزيد

ابن عبد الله حدثنا المسعودي عن عون بن عبد الله عن أبي فاختة عن الاسود بن يزيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قال فقالوا له علمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابه منه ما محمود اغبطه به الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل ابراهيم و آل ابراهيم انك جيد مجيد وهذا وقوف

وقد روى اسمعيل القاضي عن عبد الله ابن عمرو وغيره على الشك من الراوي قريي من هذا حديث آخر قال ابن حجر حديثنا أبو بكر يب حديثنا مالك ابن اسمعيل حديثنا أبو اسراييل عن يونس بن خباب قال خطبنا بقارس فقال ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فقال أنبأني من سمع ابن عباس يقول هكذا أنزل فتلنا أو قالوا يا رسول الله علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد وارحم محمد وآل محمد كما رحمت آل ابراهيم انك جيد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك جيد مجيد فيستدل بهذا الحديث من ذهب الى جواز الترحم على النبي كما هو قول الجمهور ويعضده حديث الاعرابي الذي قال اللهم ارحمني ورحم ائمتنا ورحمنا احدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حجرت واسعا وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منعه

يايوب او عام للناس كلهم وان من حلف خرج من بينه بمنى ذلك قال الشافعي اذا حلف ليضرب فلانا ما به جلدة او ضرب باولم يقل ضرب باشمه يداولم ينبو بقلبه فيكفيه مثل هذا الضرب المذكور في الآية حكاه ابن المنذر عنه وعن ابى ثور واصحاب الرأي وقال عطاء هو خاص بيايوب ورواه ابن القاسم عن مالك ثم اثني الله سبحانه على أيوب فقال (انا وجدناه) اي علمناه (صابرا) على البلاء الذي ابتلينا به فانه بتلى بالداء العظيم في جسده وذهاب ماله وولده واهله فصبر وليس في شكواه الى الله اخلال بذلك فانه ليس جزعا كتمى العافية وطلب الشفاء والشكايه المذمومة انما هي اذا كانت للمخلوقين قال ابن مسعود ايوب رأس الصابرين يوم القيامة (نعم العبد) اي ايوب (انه اواب) اي رجاع الى الله تعالى بالاستغفار والتوبة (واد كعبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) اي اذ كرمهم على ما اصابهم تناس بهم قرا الجمهور عبادة بالجمع وقرى بالافراد فعلى قراءة الجمهور يكون اسحق و ابراهيم ويعقوب عطف بيان وعلى القراءة الاخرى يكون ابراهيم عطف بيان وما بعده عطف على عبدنا الاعلى ابراهيم وقد يقال لما كان المراد بعبدنا الجنس جازا بدال الجماعة منه وقيل ان ابراهيم وما بعده بدل او النصب باضمار اعنى وعطف البيان أظهر وقراءة الجمهور ابين وقد اختارها الواحتم وابوعبيد (أولى الايدي والابصار) الايدي جمع اليد اما الجارحة فكفى بذلك عن الاعمال لان اكثر الاعمال انما ياول باليد وقيل جمع اليد التي بمعنى القوة والقدرة قال قتادة اعطوا قوة في العبادة ونصر في الدين قال الواحدى وبه قال مجاهد وسعيد بن جبير والمفسرون قال النحاس أما الابصار فتفق على انها البصائر في الدين والعلم واما الايدي فتختلف في قائلها فاهل التفسير يقولون انها القوة في الدين وقوم يقولون الايدي جمع يدهم النعمة اي هم اصحاب النعم الذين انعم الله عز وجل عليهم وقيل هم اصحاب النعم على الناس والاحسان اليهم لانهم قد احسنوا وقدموا خيرا واختار هذا ابن جرير قرا الجمهور الايدي باثبات الياء وقرئ بغير ياء فقليل معناها معنى الارلى وانما حذفت الياء دلالة كسرة الدال عليها وقيل الايدي القوة لان الزمخشري قال وتفسيره بالايدي من التأييد لقل غير متمكن انتهى وكأنه انما قلقت عنده لعطف الابصار عليه فهو غير مناسب للايدي من التأييد وقد يقال انه لا يراد حقيقة الجوارح اذ كل أحد كذلك انما المراد الكتابة عن العمل الصالح والتفكير بصيرته فلم يعلق حينئذ ان لم يرد حقيقة الابصار

وقائه قال وأجازة أبو محمد بن أبي زيد حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر أخبرنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال سمعت عبد الله بن عاصم بن ربيعة يحدث عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى على صلاة لم تنزل الملائكة تصلي عليه ما صلى على فليقل عبد من ذلك أولئك ورؤاه ابن ماجه من حديث شعبة به حديث آخر قال أبو عيسى الترمذى حدثنا بندار حدثنا محمد بن خالد بن عمته حدثني موسى بن يعقوب الزمعي حدثني عبد الله بن كيسان ان عبد الله بن شداد أخبره عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة تفر دبر وياته

الترمذي رحمه الله ثم قال هذا حديث حسن غريب حديث آخر قال اسمعيل القاضي حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن يعقوب بن زيد بن طلحة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني من ربي فقال لي ما من عبد يصلي عليك صلاة الا صلى الله عليه بها عشرين مرة فقال يا رسول الله الا جعل نصف دعائي لك قال ان شئت قال الا جعل دعائي لك كله قال اذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة فقال شيخ كان بمكة يقال له منيع اسفيان عن أسنده قال لا أدري حديث آخر قال اسمعيل القاضي حدثنا سعيد بن سلام العطار (119) حدثنا سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد

ابن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في جوف الليل فيقول جاءت الراحنة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وقال أبي يا رسول الله اني أصلي من الليل أفأجعل لك ثلث صلاتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشطر قال أفأجعل لك شطر صلاتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلثان قال أفأجعل لك صلاتي كلها قال اذن يغفر الله لك ذنبك كله وقد رواه الترمذي بنحوه فقال حدثنا هناد حدثنا قيسة حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراحنة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه قال أبي قلت يا رسول الله اني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت فان زدت فهو خير لك قلت فأن زدت قال ما شئت قلت فأن زدت فهو خير لك

وكأنه قيل أولى القوة والتفكير بالبصيرة وقد شح الرخصى الى شئ من هذا قبل ذلك قاله السمين قال ابن عباس القوة في العبادة والابصار الفقه في الدين وعنه قال الايدي النعمة وقيل أولى الاعمال الخلية والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال وبالابصار عن المعارف لانها أقوى مبادئها (انا أخلصناهم بمخالصة ذكري الدار) تعديل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل قرأ الجمهور بمخالصة بالتنوين وعدم الاضافة على انها مصدر بمعنى الاخلاص فيكون ذكري منصوباً به أو بمعنى الخلوص فيكون ذكري مرفوعاً به أو بمعنى خالصة اسم فاعل على يابه وذكري بدل منها أو بيان لها أو منصوبة بياضار اعني أو مرفوعة على اضمار مبتدأ والدار مفعول به بذكري أو ظرف افعال على الاتساع أو على اسقاط الخافض وعلى كل تقدير مخالصة صفة لموصوف محذوف والباء للسببية أي بسبب خصلته خالصة لا شوب فيها وقرئ بإضافة خالصة الى ذكري على ان الاضافة للبيان لان الخالصة قد تكون ذكري وغير ذكري كما في قوله شهاب قيس لان الشهاب يكون قيساً وغيره أو على ان خالصة مصدر مضاف الى مفعوله والفاعل محذوف أي بان أخلصوا ذكري الدار وتساوا عند ذكري الدار أي مصدر بمعنى الخلوص مضاف الى فاعله قال مجاهد معنى الآية استصفيناهم بذكري الآخرة فاخلصناهم بذكريها وقال قتادة كانوا يدعون الى الآخرة والى الله وقال السدي أخلصوا ويخوف الآخرة قال الواحدى فمن قرأ بالتنوين في خالصة كان المعنى جعلناهم لنا خالصين بان خلصت لهم ذكري الدار والخالصة مصدر بمعنى الخلوص والذكري بمعنى اتذكري أي خلص لهم تذكري الدار وهو انهم بذكري التائب لها ويرزقون في الدنيا وذلك من شأن الانبياء وامان اضافة فالمعنى أخلصناهم بان خلصت لهم ذكري الدار والخالصة مصدر مضاف الى الفاعل والذكري على هذا المعنى الذي قاله ابن عباس اخلصوا بذكري الآخرة ان يعملوا لها وقيل ذكري الدار الثناء الجميل في الدنيا وهذا شئ قد أخلصهم به فليس يذكري غيرهم في الدنيا بمنزلة ما يذكري به يقويه قوله وجعلنا لهم لسان صدق علياً قاله النسفي وفيه بعد وقال ابن جرير معناه انا جعلناهم خالصين لنا وخصصناهم دون غيرهم وأما الباء على الاول فهي للتعليل وعلى الثاني هي لتعديدية الفعل انتهى (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) الاصطفاة الاختيار والاختيار جمع خير بالتشديد والتخفيف كما موات في جمع ميت مشدداً

قلت فالثلثين قال ما شئت فان زدت فهو خير لك قلت أفأجعل لك صلاتي كلها قال اذن تكفي همك ويغفر لك ذنبك ثم قال هذا حديث حسن وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني من ربي فقال لي ما من عبد يصلي عليك صلاة الا صلى الله عليه بها عشرين مرة فقال يا رسول الله ان شئت قال ان شئت قال الا جعل دعائي لك كله قال اذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة فقال شيخ كان بمكة يقال له منيع اسفيان عن أسنده قال لا أدري حديث آخر قال اسمعيل القاضي حدثنا سعيد بن سلام العطار (119) حدثنا سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد

السجود حتى خفت أو خشيت ان يكون الله قد توفاه أو قبضه قال بن خثيم انظر فرفع رأسه فقال مالك يا عبد الرحمن قال فذكر ذلك له فقال ان جبريل عليه السلام قال لي ألا تبشر لاني ان الله عز وجل يقول من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه طريق اخرى قال الامام احمد حدثنا ابو سعيد مولى بني هاشم حدثنا سليمان بن بلال حدثنا عمرو بن ابي عمرو عن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوجه نحو صدقه فدخل فاستقبل القبلة فخر ساجدا فأطال السجود حتى ظننت ان الله قد قبض (١٢٠) نفسه فيها فدفنوت منه ثم جلست فرفع رأسه فقال من هذا قلت عبد

الرحمن قال ما شأنك قلت يا رسول الله سجدت سجدة خشيت ان الله قبض روحك فيها فقال ان جبريل أتاني فبشرني ان الله عز وجل يقول لك من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت لله عز وجل شكرا ورواه اسمعيل ابن اسحق القاضي في كتابه عن يحيى ابن عبد الحميد عن الدراوردي عن عمرو بن عبد الواحد عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف به ورواه من وجه آخر عن عبد الرحمن حديث آخر قال ابو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الرحيم بن مجبر بمصر حدثنا عمرو بن الربيع بن طارق حدثنا يحيى بن أيوب حدثني عميد الله بن عمر عن الحكم بن عتيبة عن ابراهيم التيمي عن الاسود بن يزيد عن عمر ابن الخطاب رضی الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة فلم يجده أحد اتيه ففرغ عمر فاتاه بظهرة من خلفه فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا في مشربة فتمسحى عنه من خلفه حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال أحسنت يا عمر حين وجدته ساجدا

ومخفقا والمعنى انهم عندنا من المختارين من أبناء جنسهم من الاخيار (واذ كرا سمعيل) قيل وجه ذكره مفردا بعد ذكر أبيه وأخيه وابن أخيه للاشعار بأنه عريق في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير هنا (واليسع) هو ابن أخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استغنى (وذا الكفل) اختلف في نبوته ولقبه وهو ابن عم اليسع أو هو يسر بن أيوب بعنه الله بعد أبيه وسماهذا الكفل وكان مقبلا بالشام حتى مات وعمره خمس وسبعون سنة وقد تقدم ذكر اليسع والكلام فيه في الانعام وتقدم ذكر ذى الكفل والكلام فيه في سورة الانبياء والمراد من ذكر هؤلاء انهم من جملة من صبر من الانبياء وتحمل الشدائد في دين الله أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بان يذكرهم ليسلك مسلكهم في الصبر (وكل) أي كل المتقدمين من داود الى هنا (من الاخيار) الذين اختارهم الله سبحانه لنبوته واصطفاهم من خلقه (هذا ذكر) اشارة الى ما تقدم من ذكر واصفهم الناطقة بما عملهم أي هذا ذكر جميل في الدنيا وشرف يذكرون به أبدا جملة يحيى بها اذا بانان القصة قدمت وأخذ في أخرى (وان للمتقين) مع هذا الذكرا الجميل (الحسن ما ب) في الآخرة والمسآب المرجع وهذا شروع في بيان أجرهم الجزيل الاجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب آخر من ابواب التنزيل والمعنى انهم يرجعون في الآخرة الى مغفرة الله ورضوانه ونعيم جنته ثم بين حسن المرجع فقال (جنات عدن) قرى بالنصب بدلا أو عطف بيان لحسن ما ب وهو في الاصل الإقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام فيه وقيل هو اسم لقصر في الجنة وقرى برفع جنات على انها خبر مبتدأ محذوف أي هي جنات عدن (مفتحة لهم الابواب) حال من جنات والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل والابواب مر تفعه باسم المفعول كقوله وفتحت ابوابها والباطنين الحال وصاحبها ضمير مقدر أي منها والالف واللام لقيامه مقام الضمير الاصل ابوابها وقيل ارتفاع الابواب على البسمل من الضمير في مفتحة العائد على جنات وبه قال أبو على الفارسي أي مفتحة هي الابواب قال الفراء المعنى مفتحة لهم ابوابها والعرب تجعل الالف واللام خلفا من الاضافة وقال الزجاج المعنى مفتحة لهم الابواب منها قال الحسن ان الابواب يقال لها انفتحت فتفتحت انغلق فتغلق وقيل تفتح لهم الملائكة الابواب حال كونهم (متكئين

فيها فتحييت عني ان جبريل أتاني فقال من صلى عليك من امتك واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات فيها وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج على الصحيحين وقد رواه اسمعيل القاضي عن القعقبي عن سلمة ابن وردان عن أنس عن عمر بنحوه ورواه أيضا عن يعقوب بن حميد عن أنس بن عياض عن سلمة بن وردان عن مالك بن أنس بن الحدان عن عمر بن الخطاب بنحوه حديث آخر قال الامام احمد حدثنا أبو كامل حدثنا جاد بن سلمة عن ثابت بن سليمان مولى الحسن بن علي عن عبد الله بن ابي طلحة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يري في وجهه فقالوا يا رسول

الله انالترى السرور في وجهك فقال انه اتاني الملك فقال يا محمد ما يرضيك ان ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك احد من امتك الاصليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا قال بلى ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة به وقد رواه اسمعيل القاضي عن اسمعيل بن ابي اويس عن اخيه عن سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عمر عن ثابت عن انس عن ابي طلحة بنحوه طريق اخرى قال احمد حدثنا شريح حدثنا ابو معشر عن ابي اسحق بن كعب بن عجرة عن ابي طلحة الانصاري قال اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم اطيب النفس يرى في وجهه البشر قالوا (١٢١) يا رسول الله اصبحت اليوم طيب النفس

يرى في وجهك البشر قال اجل آتاني آت من ربي عز وجل فقال من صلى عليك من امتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ورد عليه مثلها وهذا ايضا اسناد جيد ولم يخترجه حديث آخر روى مسلم وابوداود والترمذي والنسائي من حديث اسمعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه عليه به عشرة ايام قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي الباب عن عبد الرحمن بن عوف وعامر بن ربيعة وعمار وابي طلحة وانس وابي بن كعب وقال الامام احمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا شريك عن ليث عن كعب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلوا علي فانها زكاة لكم وصلوا الله الوسيلة فانها درجة في اعلى الجنة ولا ينالها الا الرجل وأرجوان اكون انا هو تفرد به احمد وقره الزرار من طريق مجاهد عن ابي هريرة بنحوه

فيها) أي في الجنات (يدعون فيها بكهة كثيرة) أي بألوان متنوعة متكررة من الفواكه (وشراب) كثير خذفي كثير لالة الاول علمه والاقتصار على دعاء الكهة للايدان بان مطاعهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي قيل الجملة مستأنفة لبيان حالهم فيها أو حال مجازي (وعندهم قاصرات الطرف) أي قاصرات طرفهن على أزواجهن وحاسبات العين لا ينظرن الى غيرهم وقد مضى بيانه في سورة الصافات (أتراب) أي متحدات في السن والشباب أو متساويات في الحسن والجمال وقال مجاهد المعنى انهن متواخيات لا يتباغضن ولا يتباغرن ولا يتحاسدن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل لدات لهم أي متقاربات في الولادة لان التحاب بين الاقران أثبت أو بعضهم لبعض أو (١) نصف لا يجوز فيهن ولا صبوية قال الشهاب لدات جمع لدة كعدة أصلها ولد وهو كالترب من يولد معك في وقت واحد كأنهم ما وقع على التراب في زمن واحد والاتراب جمع ترب واشتقاقه من التراب لانه يمسن في وقت واحد لا محاد مولدهن والمعاني متقاربة (هذا ما توعدون ليوم الحساب) أي هذا الجزء الذي وعدتم به لاجل يوم الحساب فان الحساب علة للوصول الى الجزاء والمعنى في يوم الحساب قرأ الجمهور توعدون على الخطاب التقاتا وقرئ بالتحسية على الخبر واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم لقوله وان للمتقين فانه خبر (ان هذا) المذكور من النعم والكرامات والجنات وأوصافها (لرزقنا) الذي انعمنا به عليكم وأعطيناكموه (ماله من نفاق) أي لا ينقطع ولا يفتنى أبدا ومثله قول عطاء غير مجذوذ فنعم الجنة لا تنقطع عن أهلها (هذا) اي الامر هذا وهذا كما ذكرنا وهذا ذكره فيوقف على هذا قال ابن الانباري وهذا وقف حسن قال ابن الاثير هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو خير من الوصل وهي علاقة وكيدة بين الخروج من الكلام الى كلام آخر أي خذ هذا كيت وكيت وفيه بحث اذ يلزم حينئذ عطف الاخبار على الانشاء ولذا لم يذكر الزخشي هذا التقدير ثم ذكر سبحانه ما لأهل الشر بعد ان ذكر ما لأهل الخير فقال (وان للطاغين) الذين طغوا على الله وكذبوا رسوله (لشر ما ب) أي لشر منقلب ينقلبون اليه ثم بين ذلك فقال (جهنم) بدل أو عطف بيان (يصلونها) أي يصلون جهنم ويدخلونها (قبس المهاد) أي بئس ما مهدوا لانفسهم وهو القراش مأخوذ من مهد الصبي أو المراد بالمهد الموضوع والنصوص بالنم محذوف أي بئس المهادهي كفي قوله لهم من جهنم مهاده

(١٦ فتح البيان ثامن) فقال حدثنا محمد بن اسحق البكالي حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا دربن علمية عن ليث عن مجاهد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا علي فانها زكاة لكم وصلوا الله الى الدرجة الوسيلة من الجنة فسألناه أو أخبرنا فقال هي درجة في اعلى الجنة وهي لرجل وان ارجوان اكون ذلك الرجل في اسناده بعض من تكلم به حديث آخر قال الامام احمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن جريح الخولاني سمعت ابا قيس مولى عمرو بن العاص سمعت عبد الله بن عمر ويقول من صلى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة فليقل عبد (١) النصف بالخيريك المرأة بين الحديثة والمسننة اه صحاح اه منه دأمله

من ذلك اوليكثير وسمعت عبد الله بن عمرو يقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع فقال انا محمد النبي الامي قاله ثلاث مرات ولا نبي بعدي اوتيت فواتح الكلام وخواتمه وجوامعها وعلمت كم خزنة النار وجملة العرش ويجوزني وعوفيت وعوفيت امتي فاسمعوا واطيعوا ما مدت فيكم فاذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه حديث آخر قال ابو داود الطيالسي حدثنا ابو سلمة الخراساني حدثنا ابو اسحق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فليصل علي ومن صلى علي مرة واحدة صلى الله (١٢٢) عليه عشر اورواه النساء في اليوم والليله من حديث ابى داود الطيالسي

عن ابى سلمة وهو المغيرة بن سلمة الخراساني عن ابى اسحق عمرو بن عبيد الله السبيعي عن انس به حديث آخر عن انس قال الامام احمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس بن عمرو عن يونس بن ابى اسحق عن يزيد بن ابى هريرة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات حديث آخر قال الامام احمد حدثنا عبد الملك بن عمرو وابو سعيد حدثنا سليمان بن بلال عن عمارة بن غزيرة عن عبد الله بن علي بن الحسين عن ابيه علي بن الحسين عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجنيل من ذكرت عنده ثم لم يصل علي وقال ابو سعيد فلم يصل علي ورواه الترمذي من حديث سليمان بن بلال ثم قال هذا حديث حسن غريب صحيح ومن الرواة من جعله من مسند الحسين بن علي ومنهم من جعله من مسند علي نفسه حديث آخر قال اسمعيل القاضي حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن معبد بن بلال المغربي حدثنا

شبه الله سبحانه ماتحتهم من نار جهنم بالمهاد (هذا فليذوقوه حميم وغساق) أى هذا حميم قو وغساق فليذوقوه قاله القراء والزجاج أى يقال لهم في ذلك اليوم هذه المقالة والحميم الماء الحار الذي قد انتهى حره والغساق ما سأل من جلود أهل النار من القيح ومن الصديد من قولهم غسقت عينه اذا انصبت والغسق ان انصباب قال النحاس ويجوز ان يكون المعنى الامر هذا وار تفاع حميم وغساق على انه ما خبر ان لمبتدأ المحذوف أى هو حميم وغساق ويجوز ان يكون هذا في موضع نصب باضمار فعل يفسره ما بعده أى ليدوقوا هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون حميم مرتفعاً على الابداء وخبره مقدر قبله أى منه حميم ومنه غساق وقيل الغساق ما قتل برده ومنه قيل الليل غاسق لانه أبر من النهار وقيل هو الزمهرير وقيل الغساق المنقن وقيل هو عين في جهنم يسيل اليها كل ذوب حمية وعقرب وقال قتادة هو ما يسيل من فروج النساء الزواني ومن تن لحوم الكفرة وجلودهم محمد بن كعب هو عصارة أهل النار وقال السدي الغساق الذي يسيل من دموع أهل النار يسقونه مع الحميم وكذا قال ابن زيد وقال مجاهد ومقاتل هو الثلج البارد الذي قد انتهى برده وتفسير الغساق بالبارد أنسب بما تقتضيه لغة العرب وأنسب أيضاً بعقاب اله الحميم قرأ أهل المدينة وأهل البصرة وبعض الكوفيين بتخفيف السين من غساق وقرئ بالتشديد وهما الغتان بمعنى واحد كما قال الاخفش وقيل معناهما مختلف في خفف فهو اسم مثل عذاب وجواب وصواب ومن شدد قال هو اسم فاعل للمبالغة نحو ضرب وقتال وقال ابن عباس غساق الزمهرير وأخرج أحمد والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو ان دولاً من غساق يهرق في الدنيا لانتن أهل الدنيا قال الترمذي بعد اتراجه لا تعرفه الامن حديث رشدين بن سعد قلت ورشدين فيه مقال معروف (وأخر من شكله) قرأ الجمهور وواخر مفرد امذكرا وقرئ آخر بضم الهمزة على انه جمع وأنكر الاولى لقوله (أزواج) وأنكر عاصم والبخاري الثانية وقال لو كانت آخر لقال من شكلها وار تفاع آخر على انه مبتدأ وخبره أزواج ويجوز ان يكون من شكله خبراً مقدماً وأزواج مبتدأ مؤخر والجملة خبر آخر ويجوز ان يكون خبراً مقدرأى ولهم آخر ومن شكله أزواج جملة مستقلة ومعنى الآية على الاولى وعذاب آخر او مذوق

آخر

رجل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن ابى ذر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال ان أجنس الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي حديث آخر مرسل قال اسمعيل وحدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير ابن حازم سمعت الحسن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من الجن ان أذ كرهه فلا يصل علي حديث آخر قال الترمذي حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي حدثنا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن ابى سعيد المقبري عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان



ثم اشرح قبل ان يعقر له ورعهم أنف رجل أدرك أبواه الكبير فلم يدخله الجنة ثم قال حسن غريب قلت وقد رواه البخاري في الادب عن محمد بن عبيد الله حدثنا ابن أبي حازم عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة عن فوعا بن جوه وروىناه من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال الترمذي وفي الباب عن جابر وأنس قلت وابن عباس وكعب بن عجرة وقد ذكرت طرق هذا الحديث في أول كتاب الصيام عند قوله اما يبلغن عندك الكبر احدهما وكلاهما وهذا الحديث والذي قبله دليل على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره مذهب طائفة من (١٢٣) العلماء منهم الطحاوي والحليبي ويتقوى

بالحديث الآخر الذي رواه ابن ماجه حدثنا جنادة بن المغلس حدثنا حماد بن زيد حدثنا عمرو بن دينار عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلاة على أخطأ طريق الجنة جنادة ضعيف ولكن رواه اسمعيل القاضي من غير وجه عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلاة على أخطأ طريق الجنة وهذا امر سل يتقوى بالنبي قبله والله أعلم وذهب آخرون الى انه يجب الصلاة عليه في المجلس مرة واحدة ثم لا يجب في بقية ذلك المجلس بل يستحب نقله الترمذي عن بعضهم ويأتي بالحديث الذي رواه الترمذي حدثنا محمد بن بشر حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة يوم القيامة فان شاء عبدنيهم وان شاء عقر لهم تفرده الترمذي من هذا الوجه ورواه الامام أحمد عن

آخر انواع آخر من شكل ذلك العذاب أو المذوق أو النوع الاول والشكل المثل وعلى الثانية ومذوقات آخر وأنواع آخر من شكل ذلك المذوق أو النوع المتقدم وافراده الضمير في شكله على تأويل المذكور أي من شكل المذكور ومعنى أزواج أجناس وأنواع وأشباه وحاصل معنى الآية ان لاهل النار جميعا وغساقا وأنواعا من العذاب من مثل الخيم والغساق قال الواحدي قال المفسرون هو الزمهرير ولا يتم هذا الذي حكاه عن المفسرين الاعلى تقدير ان الزمهرير أنواع مختلفة وأجناس متفاوتة ليطلق معنى أزواج أو على تقدير ان لكل فرد من أهل النار زمهريرا وجملة (هذا فوج) حكاية لقول الملائكة هم خزنة النار وذلك ان القادة والرؤساء اذا دخلوا النار ودخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعنون الاتباع (مقحم معكم) أي داخل معكم الى النار بشدة والافتحام الالتقاء في الشيء بشدة فانهم يضربون بمقامع من حديد حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع وقيل الافتحام ركوب الشدة والدخول فيها وفي المختار قم في الامر رمي بنفسه فيه من غير روية وبأيه خضع وأقم فرسه النهر فانقم أي ادخله فدخل واقحم الفرس النهر دخله وقوله (لا امر حبايهم) من قول القادة والرؤساء لما قالت لهم الخزنة ذلك قالوا لا امر حبايهم أي لا اتسعت منازلهم في النار والرحب السعة والمعنى لا كرامة لهم وهذا اخبار من الله سبحانه بانقطاع المودة بين الكفار وان المودة التي كانت بينهم تصير عداوة وجملة لا امر حبايهم دعائية لانه لا محل لها من الاعراب وقال السمين في مر حباي وجهان أظهرهما أنه مفعول بفعل مقدر أي لا أتيتهم مر حباي ولا سمعتم مر حباي والثاني انه منصوب على المصدر قال أبو البقاء أي لا رحتكم داركم مر حباي بل ضيقا والجملة المنفية اما مستأنفة سبقت للدعاء عليهم بضييق المكان وقوله بهم بيان للمدعو عليهم واما حالية وقد يعترض عليه بأنه دعاء والدعاء لا يقع حالا والجواب انه على اضمار القول أي مقولا في حقهم لا امر حبايهم وقيل انها من تمام قول الخزنة والاول أولى كما يدل عليه جواب الاتباع الآتي (انهم صالوا النار) تعليل من جهة القائمين لا امر حبايهم أي انهم صالوا النار كما صليناها ومستحقون لها كما استحققناها (قالوا بل أنتم لا امر حبايكم) مستأنفة بجواب سؤال مقدر أي قال الاتباع عند سماع ما قاله الرؤساء لهم بل أنتم أحق بما قلتم لنا ثم عللوا ذلك بقولهم (أنتم قدمتموه لنا) أي العذاب أو الصلي لنا ووقعتمونا فيه ودعوتونا اليه

سجاج ويزيد بن هرون كلاهما عن ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة عن فوعا بن جوه حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه وقد رواه اسمعيل القاضي من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي سعيد قال ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم يوم القيامة حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وحكى عن بعضهم انه انما يجب الصلاة عليه عليه السلام في العمر مرة واحدة امتثالا لاهل الآية ثم هي مستحبة في كل حال وهذا هو الذي نصره القاضي عياض بعد ما حكى الاجماع على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه

وسلم في الجلة قال وقد حكى الطبري ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قال ولعله فيما زاد على المرة والواجب فيه مرة كالشهادة له بالنسوة وما زاد على ذلك فندوب ومغرب فيه من سنن الاسلام وسعاً رآه قلة وهذا قول غريب فانه قد ورد الامر بالصلاة عليه في اوقات كثيرة فنها واجب ومنها مستحب على ما بينه فنه بعد النداء للصلاة للحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا ابو عبد الرحمن حدثنا حمزة بن عمار بن عبد الله بن جبير يقول انه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم (١٢٤) مؤذناً فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلى الله عليه

بها عشر اثم سلوا الى الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو ان أكون أنا هو فمنازل الى الوسيلة حلت عليه الشفاعة وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث كعب بن علقمة طرقت اخرى قال اسمعيل القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا عمرو بن علي عن أبي بكر الجشمي عن صفوان بن سليم عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الله لي الوسيلة حقت عليه شفاعتي يوم القيامة حديث آخر قال اسمعيل القاضي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا سعيد بن زيد عن ليث عن كعب بن علقمة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على فان صلاتكم على زكاة لكم وصلوا الله لي الوسيلة قال فاما حدثنا واما سألناه قال الوسيلة أعلى درجة في الجنة لا ينالها الا الرجل وأرجو ان أكون أنا ذلك الرجل ثم رواه عن محمد بن أبي بكر عن معمر بن ليث وهو ابن أبي سليم به وكذا الحديث

بما كنتم تقولون لنا من ان الحق ما أنتم عليه وان الانبياء غير صادقين فيما جاؤا به (فبئس القرار) أي بس المجرهمن لنا ولكم ثم حكى عن الاتباع أيضا أنهم أردفوا هذا القول بقول آخر وهو (قالوا ربنا من قدم لنا هذا) أي من دعانا اليه وسوغه لنا قال الفراء المعنى من سوغ لنا هذا وسنه وقيل معناه من قدم لنا هذا العذاب بدعائه ايانا الى الكفر (فزده عذاباً ضعفاً في النار) أي عذاباً بكفره وعذاباً بدعائه ايانا فصار ذلك ضعفاً ومثله قوله سبحانه ربنا هؤلاء أضلونا فآتتهم عذاباً ضعفاً من النار وقوله ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والضعف ان يزيد عليه مثله وقيل المراد بالضعف هنا الحيات والعقارب قال ابن مسعود أي أفاعي وحيات (وقالوا) أي كفار مكة كأبي جهل وأمية بن خلف وأصحاب القليب وهم في النار (مالنا لآري رجلاً كأنه من الأشرار) أي الأراذل الذين لا خير لهم ولا جدوى وقيل انما سموهم اشرار لانهم كانوا على خلاف دينهم قيل هو من قول الرؤساء وقيل من قول الطاعين المذكورين سابقاً قال الكلبي يتطرون في النار فلا يرون من مكان يخالفهم من المؤمنين معهم فيها فعند ذلك قالوا هذا القول وقيل يعنون فقراء المؤمنين كعمار وخباب وصهيب وبلال وسالم وسلمان وقيل أرادوا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم على العموم (أتخذناهم سخرية) في الدنيا فأخطأنا (أم زاغت عنهم الابصار) فلم نعلم مكانهم قاله مجاهد والانسكار المفهوم من الاستفهام متوجه الى كل واحد من الامرين قال الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوه سخرية وازاغت عنهم ابصارهم قال الفراء والاستفهام هنا بمعنى التوبيخ والتعجب قرئ بجذفة همزة اتخذناهم في الوصل وعلى هذا يحتمل أن يكون الكلام خبراً محضاً وتكون الجلة في محل نصب صفة ثانية لرجالا وان يكون المراد الاستفهام وحذفت ادانته لدلالة ام عليها فتكون ام على الوجه الاول منقطعة بمعنى بل والهمزة أي بل ازاعت عنهم الابصار على معنى توبيخ انفسهم على الاستسخر ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وعلى الثاني أم هي المتصلة وقرئ بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل ولا محل للجملة حينئذ وفيه التوبيخ لانفسهم على الامر بن جميعاً لان أم على هذه القراءة هي للتسوية وقرئ سخرية بضم السين وبكسر ها قال أبو عبيدة من كسر جعله من الهز ومن ضم جعله من التسخير (ان ذلك) أي ما تقدم من حكاية حالهم (لحق) أي لو وقع ثابت في الدار الآخرة

لا  
الاتر قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا بكر بن سواد عن زياد بن نعيم عن رفاق الحضرمي عن ربيعة بن ثابت الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على محمد وقال اللهم أنزل المقعد المقرب عندي يوم القيامة وجبت له شفاعتي وهذا اسناد لا بأس به ولم يخرجوه أثر حسن آخر قال اسمعيل القاضي حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثني معمر بن ابن طاوس عن ابيه سمعت ابن عباس يقول اللهم تقبل شفاعتي محمد الكبرى وارفع درجته العلياً وأعطه سؤله في الآخرة والاولى كما آتيت ابراهيم وموسى عليهما السلام اسناد جيد قوي صحيح ومن ذلك عند دخول المسجد

والخروج منه للحديث الذي رواه الامام أحمد - حدثنا اسمعيل بن ابراهيم - حدثنا الثالث بن أبي سليم عن عبد الله بن الحسن عن امه  
فاطمة بنت الحسين عن جدته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى  
على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي  
ابواب فضلك وقال اسمعيل القاضي حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا سفيان بن عمرو التميمي عن سليمان الضبي عن علي بن الحسين  
قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه اذا مررت بالمساجد فصلا على (١٢٥) النبي صلى الله عليه وسلم واما الصلاة عليه

لا يتخلف البتة (تخاصم أهل النار) خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر  
وهذا على قراءة الجمهور برفع تخصصم والمعنى ان ذلك الذي حكاها الله عنهم حتى لا بد أن  
يتكلموا به وهو تخصصم أهل النار فيها واما قائله الرؤساء للاتباع واما قائله الاتباع لهم  
والجمله بيان لاسم الاشارة وفي الابهام أو لا والتبيين ثانيا من يد تقرير له قرأ ابن أبي عبيدة  
بمنصب تخصصم على انه بدل من ذلك أو باضمار أعني وقرئ تخصصم بصيغة الماضي فتكون  
جمله مستأنفة وانما اسماء تخصصم الان قول القادة للاتباع لامر حبا بهم وقول الاتباع  
للقادة بل أنتم لامر حبا بكم من باب الخصومة ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله  
وسلم أن يقول قولاً جامعاً بين التخويف والارشاد الى التوحيد فقال (قل انما أنا نذير  
أى مخوف لكم من عذاب الله وعقابه لاساحر ولا ساحر كما ادعيتم ومبشروا انما اقتصر على  
الانذار لان كلامه معهم وهم انما يناسبهم الانذار (وما من الله) يستحق العبادة (الا الله  
الواحد) الذي لا شريك له (القهار) لكل شئ سواه (رب السموات والارض وما بينهما)  
من المخلوقات (العزير) الذي لا يغالبه مغالب (الغفار) لمن أطاعه وقيل معنى العزير  
المنيع الذي لا مثل له ومعنى الغفار السار لذنوب خلقه ثم أمره الله سبحانه أن يبالغ في  
انذارهم وبين لهم عظم الامر وجلالته فقال (قل هو بأعظيم) أى ما أنذرتكم به من  
العقاب وما ينبت لكم من التوحيد هو خبر عظيم وبأجليل من شأنه العناية به والتعظيم  
له والاعتناء به أمر او اتمام وعدم الاستخفاف به ومثل هذه الآية قوله عم يتساءلون عن  
النبا العظيم وقال مجاهد وقتادة ومقاتل هو القرآن فانه بأعظيم لانه كلام الله قال  
الزجاج قل النبا الذي أتى تكلم به عن الله بأعظيم يعنى ما أتى بهم به من قصص الاولين  
وذلك دليل على صدقه ونبوته لانه لم يعلم ذلك الا بوحي من الله (أنتم عنه معرضون) صفة  
ثانية للنبا أو جملته مستأنفة وهذا ذوق ليعلمهم وتقرير لكونهم معرضوا عنه ولم يتفكروا  
فيه فعملوا بصدقته ويستدلوا به على ما أنكروه من البعث (ما كان لى من علم بالمال الاعلى)  
استئناف مسوق لتقرير انه بأعظيم وارد من جهته تعالى يذكرنا من أنبائه على التفصيل  
من غير سابق معرفة به ولا مباشرة سبب من أسباب المعتادة فان ذلك حجة بنده على  
ان ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وان سائر أنبائه أيضاً كذلك وان الانبياء  
لا يعلمون الغيب أصلاً الا ما يوحى اليهم من جهته سبحانه وتعالى والملا الاعلى هم

وهذا من الصحابي في حكم المرفوع على الصحيح ورواه اسمعيل القاضي عن محمد بن المثني عن عبد الاعلى عن معمر عن الزهري عن  
أبي امامة بن سهل عن سعيد بن المسيب انه قال السنة في الصلاة على الجنائز فذكره وهكذا روى عن أبي هريرة وابن عمرو والشعبي  
ومن ذلك في صلاة العيد قال اسمعيل القاضي حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام الدستوائي حدثنا جاد بن أبي سليمان عن  
ابراهيم عن علقمة ابن مسعود وأبوموسى وحذيفة تخرج عليهم الوليد بن عقبة صلى العيد يوماً فقال لهم ان هذا العيد قد وفا  
فكيف التكبير فيسه قال عبد الله تبدأ فتكبر تكبيرة تفتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو

وتكبر وتفعّل مثل ذلك ثم تكبر وتفعّل مثل ذلك ثم تكبر وتفعّل مثل ذلك ثم تكبر وتركع ثم تقوم فتقرأ وتحمّد ربك وتصلّى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعّل مثل ذلك ثم تركع فقال حذيفة وأبو موسى صدق أبو عبد الرحمن اسناد صحيح ومن ذلك أنه يستحبّ ختم الدعاء بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم قال الترمذى حدثنا أبو داود حدثنا النضر بن شميل عن أبي فروة الأسدى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلّى على نبيك وهكذا رواه (١٢٦) أيوب بن موسى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قوله

ورواه معاذ بن الحرث عن أبي قوة عن سعيد بن المسيب عن عمر بن فوعا وكدارواه رزين بن معاوية في كتابه مر فوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد حتى يصلّى على فلا تجعلوني كعمر الراكب صلوا على أول الدعاء وآخره وأوسطه وهذه الزيادة انما تروى من رواية جابر بن عبد الله في مسند الامام عبد بن حميد الكشي حيث قال حدثنا جعفر ابن عون أخبرنا موسى بن عبيدة عن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال قال جابر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقذح الراكب اذا علق تعالقه أخذ قد حمله فلاه من الماء فان كان له حاجة في الوضوء توضأ وان كان له حاجة في الشرب شرب والا هرق ما فيه اجعلوني في أول الدعاء وفي وسط الدعاء وفي آخر الدعاء وهذا حديث غريب وموسى بن عبيدة ضعيف الحديث ومن آكد ذلك دعاء القنوت لما رواه أحمد وأهل السنن وابن خزيمة وابن حبان والحاكم من

الملائكة وزاد أبو السعود وآدم عليه السلام وابليس عليه اللعنة (اذ يتختمون) أي ما كان لي فيما سبق علم بوجه من الوجوه بحال الملا الأعلى وقت اختصاصهم والضمير راجع الى الملا الأعلى والخصومة الكائنة بينهم هي في أمر آدم قال ابن عباس قال الملائكة حين شؤروا في خلق آدم فاختموه وافيه وقالوا لا تجعل في الأرض خليفة وعنه قال هي الخصومة في شأن آدم حيث قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وأخرج عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والترمذى وحسنه ابن نصر في كتاب الصلاة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاني الليلة ربي في أحسن صورة أحسبه قال في المنام قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملا الأعلى قلت لا فوضع يده بين كفتي حتى وجدت بردها بين يدي أو في فخري فعلمت ما في السموات والأرض ثم قال لي يا محمد هل تدري فيم يختصم الملا الأعلى قلت نعم في الكفارات والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات والمشى على الاقدام الى الجماعات والبلاغ الوضوء في المكاره الحديث وأخرج الترمذى وصححه ومحمد بن نصر والطبراني والحاكم وابن مردويه من حديث معاذ بن جبل نحوه باطول منه وقال واسباغ الوضوء في السبرات وأخرج الطبراني وابن مردويه من حديث جابر بن سمرة نحوه باختصار منه وأخر جأيضان حديث أبي هريرة نحوه وفي الباب أحاديث وقيل الضمير لقريش أي يتختمون فيهم بعضهم يقول بنات الله وبعضهم يقول غير ذلك والاول أولى (ان يوحى الى الانما نأذير مبين) جملة معترضة بين اختصاصهم الجميل وبين تفصيله بقوله اذ قال ربك للملائكة والمعنى ما يوحى الى الا اني نذيراً بين لكم ما تأتون من الفرائض والسنن وما تدعون من الحرام والمعصية قاله الفراء وقال كانك قلت ما يوحى الى الانذار قرأ الجمهور بفتح همزة أنما على انها وما في حيزها في محل رفع لقيامها مقام الفاعل أي ما يوحى الى الانذار أو الكون نذيراً مبيناً أو في محل نصب أو جرح بعد اسقاط لام العلة والقائم مقام الفاعل على هذا الجار والمجرور وقرأ أبو جعفر بكسر الهمزة لان في الوحي معنى القول وهي القائمة مقام الفاعل على سبيل الحكاية كأنه قيل ما يوحى الى الا هذه الجملة المتضمنة لهذا الاخبار وهو أن أقول لكم انما نأذير مبين والقصر هنا اضافي أي لا ساحر ولا كذاب كما زعمت وخصه بالذكر لان الكلام مع المشركين وحاله معهم مقصور على الانذار ولما ذكر سبحانه خصومة الملائكة اجمالاً فيما تقدم ذكره هنا تفصيلاً

حديث أبي الجوزاء عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في فقال الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقتني شرما قضيت فانك تقضي ولا يقضي عليك انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت وزاد النسائي في سننه بعد هذا وصلّى الله على النبي ومن ذلك أنه يستحب الاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة قال الامام أحمد حدثنا حسين بن علي الجعفي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النخلة وفيه الصعقة فأكثر واعلم من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أمرت يعني وقد بليت قال إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث حسين بن علي الجعفي وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والنووي في الأذكار حديث آخر قال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا عمرو بن سواد المصري حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة (١٢٧) بن نسي عن أبي الدرداء قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم أكثر الصلاة على يوم الجمعة فإنه مشهود تشهد الملائكة وإن أحدا لا يصلي على الأعرضت على صلواته حتى يفرغ منها قال قلت وبعد الموت قال إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبى الله حتى يرزق هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع بين عبادة بن نسي وأبي الدرداء فإنه لم يدركه والله أعلم وقد روى البيهقي من حديث أبي امامة وابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر بالكثير من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة ولكن في أساندهما ضعف والله أعلم وروى مرسل عن الحسن البصري فقال سمعيل القاضي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن البصري يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تأكل الأرض جسدا من كل روح القدس مرسل حسن وقال الشافعي أخبرنا إبراهيم بن محمد أخبرنا صفوان بن سليم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم الجمعة وليته الجمعة فأكثر وا

فقال (إذا قال ربك للملائكة) ان هذه بدل من اذ يختصمون لا شتمال ما في حيز هذه على الخصومة وقيل هي منصوبة بأضمار اذ كر والاول اولى اذا كانت خصومة الملائكة في شأن من يستخلف في الأرض وما اذا كانت في غير ذلك مما تقدم ذكره فالثاني اولى (التي خالق) أي فيما سألني من الزمن (بشرا) أي جسمه من جنس البشر وهو آدم عليه السلام ماخوذ من مباشرة للأرض أو من كونه بادي البشرة أي ظاهرا بالجلد ليس على جلده صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا قشر وقوله (من طين) متعلق بمحذوف هو صفة لبشرا أو بخالق ومعنى (فاذا سويته) صورته على صورة البشر وصارت أجزاؤه مستوية واتمته (ونفخت) أي أخرجت (فيه من روجي) أي من الروح الذي أمسكته ولا يملكه غيري وقيل هو تمثيل ولا نفخ ولا منقوخ فيه والمراد جعله حيا بعد أن كان جادا الأحياء فيه وبأباه ظاهر النظم الكرم فالاول اولى وقدم الكلام عليه في سورة النساء والنفخ اجراء الروح التي تجويف جسم صالح لا ماسا كها وازافة الروح اليه تشريف لا دم عليه السلام والروح جسم لطيف يجيبه الانسان بنفوذ فيه وبه قال جمهور المتكلمين قاله الكرخي وقال النووي في شرح مسلم انه الاصح عند أصحابنا وهو مشتبه بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر وقال كثير منهم انها عرض وهي الحياة التي صار البدن بوجودها حيا وقال الفلاسفة وكثير من الصوفية انها ليست بجسم ولا عرض بل جوهر مجرد قائم بنفسه غير متخيز متعلق للبدن للتدبير والتحرير يك غير داخل فيه ولا خارج عنه ووافقهم على ذلك الغزالي والراغب واحتج للاول بوصفها في الأخبار بالهبوط والعروج والتردد في البرزخ اه وقيل جوهر شريف قدسي يسرى في بدن الانسان سرعان الضوء في الفضاء أو كسر بيان النار في الفحم ذكره الخازن وأقول علم الروح مما استأثر الله تعالى بعلمه ولا يعلمه أحد من خلقه كما نؤمن كان والخوض في معرفته من فضول الأعمال ولغو الكلام وقد قال الله عز وجل قل الروح من أمر ربي وما أوتيت من العلم الا قليلا (فقعوا له ساجدين) هو أمر من وقع يقع والسجود هنا هو سجد التحية لا سجود العبادة وفيه دليل على ان المأمور به ليس مجرد الاتخاء كما قيل أي اسقطوا له ساجدين وقدمضي تحقيقه في سورة البقرة (فسجد الملائكة) في الكلام حذف تدل عليه الفاء والتقدير خلقه فسواه ونفخ فيه من روحه فسجد له الملائكة (كلهم) يفيد انهم سجدوا جميعا ولم

الصلاة على هذا مرسل وهكذا يجب على الخطيب أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر في الخطبتين ولا تصح الخطبتان الا بذلك لانها عبادة وذكر الله شرط فيها فوجب ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فيها كالأذان والصلاة هذا مذهب الشافعي وأحمد وجهما الله ومن ذلك انه يستحب الصلاة والسلام عليه عند زيارة قبره صلى الله عليه وسلم قال أبو داود حدثنا ابن عوف هو محمد حدثنا المقرئ حدثنا حيوة عن أبي بصير حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يصلي على الأرد الله على روجي حتى أزد عليه السلام فترديه أبو داود وصححه النووي في الأذكار

ثم قال أبو داود وحديثنا أحمد بن صالح قال قرأت علي عبد الله بن نافع أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حينما كنتم تفرد به أبو داود أيضا وقد رواه الإمام أحمد عن شرح عن عبد الله بن نافع وهو الصانع به وصححه النووي أيضا وقد روى من وجه آخر عن علي رضي الله عنه قال القاضي اسمعيل بن اسحق في كتابه فضل الصلاة عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثنا اسمعيل بن أبي أويس حديثنا جعفر بن ابراهيم بن محمد بن علي (١٢٨) بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن آخر من أهل بيته عن علي بن الحسين بن

علي أن رجلا كان يأتي كل غداة فيزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي عليه ويضع من ذلك ما اشهر عليه علي بن الحسين فقال له علي بن الحسين ما يحملك على هذا قال أحب السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له علي بن الحسين هل لك أن أحدثك حديثا عن ابي قال نعم فقال له علي بن الحسين أخبرني ابي عن جدي انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا قبري عيدا ولا تجعلوا قبورا وصلوا علي وسلوا حينما كنتم قبل غنى صلاتكم وسلامكم في اسناده رجل مبهم لم يسم وقد روى من وجه آخر مرسل قال عبد الرزاق في مصنفه عن الثوري عن ابن عجلان عن رجل يقال له سهيل عن الحسن بن الحسن بن علي قال رأيت قوما عند القبر قنهم وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قبري عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حينما كنتم فان صلاتكم تبلغني فلهذا رآهم بسيوان الادب يرفع أصواتهم فوق الحاجه قنهم وقد روى انه رأى رجلا ينتاب القبر

يق منهم احد وقوله (أجمعون) يفيد أنهم اجتمعوا على السجود في وقت واحد فالاول لقصد الاحاطة والثاني لقصد الاجتماع قال في الكشف فأفاد معانهم سجدا وعن آخرهم ما بقي منهم ملك الاسجد أنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات وقيل انه أكذبنا كيدين للمبالغة في التعميم وكان هذا السجود قبل دخول آدم الجنة أو بعده قولان (الابليس) الاستثناء متصل على تقدير انه كان متصفا بصفات الملائكة داخل في عددهم فغلبوا عليه أو منقطع على ما هو الظاهر من عدم دخوله فيهم أي لكن ابليس (استكبر) أي انف من السجود جهلا منه بانه طاعة لله (و) كان استكباره استكبارا كقوله ذلك (كان من الكافرين) أي صار منهم لخالفته لامر الله واستكباره عن طاعته أو كان من الكافرين في علم الله سبحانه وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى في سورة البقرة والاعراف وبنو اسرائيل والكهف وطه ثم ان الله سبحانه سأله عن سبب تركه للسجود الذي أمر به (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) وقرئ بالافراد أي ما صرفك وصدك عن السجود لما أوليت خلقه من غير واسطة آب وأم وأضاف خلقه الى نفسه تكريما له وتشريفاً عليه سبحانه طالق كل شيء كما أضاف الى نفسه الروح والبيت والناقة والمساجد قال مجاهد اليد هنا المعنى التأكيد والصله مجازا كقوله ويبقى وجه ربك وقيل أراد باليد القدرة يقال مالي بهذا الامر ويد مالي به يدان أي قدرة وقيل التنسية في اليد للدلالة على انها ليست بمعنى القوة والقدرة بل للدلالة على انها صفتان من صفات ذاته سبحانه وهو الاولى وقيل التنسية لابرز كمال الاعتمائه بخلق الله عليه السلام المستدعي لاجلاله وتعظيمه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ وما في قوله لما خلقت هي المصدرية أو الموصولة وقرئ لما بالتشديد مع فتح اللام على انها ظرف بمعنى حين كما قال أبو علي الفارسي وعن عبد الله بن عمر قال خلق الله أربع عباد العرش وحنة عدن والقلم وادم أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي وعن عبد الله بن الحرث قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلق الله ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي في الاسماء والصفات (استكبرت) قرئ بهمزة الاستفهام وهو استفهام توبيخ وتقريب فكيف تكون أم في قوله (أم كنت) متصله أي أتتركت السجود

فقال يا هذا ما انت ورجل بالانديس منه الاسواء اي الجميع يبلغه صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الاستكبار

الدين وقال الطبراني في معجمه الكبير حديثنا أحمد بن رشد المصري حدثنا سعيد بن ابي هريرة حدثنا محمد بن جعفر أخبرني حميد بن أبي زينب عن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا علي حينما كنتم فان صلاتكم تبلغني ثم قال الطبراني حدثنا العباس بن حمدان الاصبهاني حدثنا شعيب بن عبد الحميد الطحان أخبرنا يزيد بن هرون بن أبي شيبان عن الحكم بن عبد الله بن خطاب عن أم أيمن بنت الحسن بن علي عن أبيها قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم أرايت قول الله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال ان هذا من المكتوم ولولا انكم سألتوني عنه ما أخبرتكم ان الله وكل بي ملكين لاذ كر عند عبد مسلم فيصلي على الاقال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا يصلي على أحد الا قال ذانك الملكان غفر الله لك ويقول الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين غريب جدا واسناده به ضعف شديد وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ملائكة (١٢٩) سياحين في الارض يبلغوني عن أمتي السلام

وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري وسليمان بن مهران الأعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب فاما الحديث الآخر من صلى على عند قبري سمعته ومن صلى علي من بعدي بلغته في اسناده نظر تفرد به محمد بن مروان السدي الصغير وهو متروك عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا قال أصحابنا ويستحب للمعمر اذا بلى وفرغ من تليته ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم لما رواه الشافعي والدارقطني من رواية صالح بن محمد بن زائدة عن القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديقي قال كان يومئذ الرجل اذا فرغ من تليته ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال وقال اسمعيل القاضي حدثنا عارم بن الفضل حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا زكريا عن الشعبي عن وهب بن الاعدع قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ثم اتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا (١٧ فتح البيان ثامن) سبع مرات تكبير ابن جده الله وثنا عليه وصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وسئل لنفسك وعلى المرومة مثل ذلك اسناد جيد حسن قوي وقالوا يستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مع ذكر الله عند الذبح واستأنسوا بقوله تعالى ورفعا لذكره قال بعض المفسرين يقول الله تعالى لا تأذرا لاذ كر معي وخالفهم في ذلك الجمهور وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كما عند الاكل والدخول والوفاع وغير ذلك مما لم ترد فيه السنة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حديث آخر قال اسمعيل القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا عمرو بن هرون عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي

لاستبكارك الحادث أم لاستبكارك القديم المستمرو قرئ بألف الوصل فتكون أم منقطعة والمعنى استكبرت عن السجود الذي أمرت به بل أكنت (من العالين) أي المستحقين للترفع عن طاعة أمر الله المتعالين عن ذلك وجهه (قال أناخير منه) مستأنفة جواب سؤال مقدر ادعى اللعين لنفسه انه خير من آدم أي ولو كنت مساويا له في الشرف لكان يقبح ان أسجد له فكيف وأناخير منه وفي ضمن كلامه هذا ان سجود الفاضل للمفضول لا يحسن ثم علل ما ادعاه من كونه خيرا منه بقوله (خلقتني من نار وخلقته من طين) وفي زعمه ان عنصر النار أشرف من عنصر الطين وأفضل منه لان الاجرام الفلكية أشرف من الاجرام العنصرية والنار أقرب العناصر من الفلك والارض أبعد هاهنا وأيضا النار لطيفة توارية والارض كثيفة ظلمانية وهما خير منهما وذهب عنه ان النار انما هي بمنزلة الخادم لعنصر الطين ان احتيج اليها استدعت كما يستدعي الخادم وان استغنى عنها طردت وأيضا فالطين يستولى على النار فيظفها ويضافهي لا توجد الا بما أصله من عنصر الارض وان مآل النار الى الرماد الذي لا ينتفع به والطين أصل كل ما هو نام نابت كالانسان والشجرة ومعلم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وأفضل وعلى كل حال فقد شرف آدم بشرف وكرم بكرامة لا يوازيها شيء من شرف العناصر وذلك ان الله تعالى خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وأمر بالسجود له والجواهر في أنفسها متجانسة وانما شرف بعارض من عوارضها (قال فاخرج منها) مستأنفة كالتي قبلها أي فاخرج من الجنة أو من زمرة الملائكة وقيل من الحلقة التي كنت عليها لانه كان يفخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعدن ما كان أبيض وقبح بعدما كان حسنا واطلم بعدما كان نورانيا وهذا يدل على أنه لم يكن كافرا حين كان بين الملائكة ولان الله تعالى لم يحك عنه الا الاستبكار عن السجود فهذا دليل على أنه صار كافرا حين لم يسجد ذكره الطيبي ثم علل أمره بالخروج بقوله (فانك رجيم) أي مرجوم بالثكوا كب مطرود من كل خير ملعون بترك أمره (وان علمك لعنتي الي يوم الدين) أي طردت لك عن الرحمة وبعادي لك منها الي يوم الجزاء فاخبر الله سبحانه وتعالى ان تلك اللعنة مستمرة له دائمة عليه مادامت الدنيا ثم في الآخرة يلقى من أنواع عذاب الله وعقوبته ويحفظه ما هو به حقيق وليس المراد ان اللعنة تزول عنه في الآخرة بل هو ملعون أبدا ولكن لما كان له في الآخرة ما ينسي عنده اللعنة ويذهل

(١٧ فتح البيان ثامن) سبع مرات تكبير ابن جده الله وثنا عليه وصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وسئل لنفسك وعلى المرومة مثل ذلك اسناد جيد حسن قوي وقالوا يستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مع ذكر الله عند الذبح واستأنسوا بقوله تعالى ورفعا لذكره قال بعض المفسرين يقول الله تعالى لا تأذرا لاذ كر معي وخالفهم في ذلك الجمهور وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كما عند الاكل والدخول والوفاع وغير ذلك مما لم ترد فيه السنة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حديث آخر قال اسمعيل القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا عمرو بن هرون عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي

هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا على أنبياء الله ورسوله فإن الله بعثهم كما بعثني في أسناده ضعيفان وهما عمرو بن هرون وشيخه والله أعلم وقدره عبد الرزاق عن الثوري عن موسى بن عبيدة الزبيدي به ومن ذلك أنه يستحب الصلاة عليه عند ظنين الأذن أن صح الخبر في ذلك على أن الإمام أبابكر محمد بن اسحق بن خزيمة قدره في صحيحه فقال حدثنا زياد بن يحيى حدثنا معمر بن محمد بن عبيد الله عن علي بن أبي رافع عن أبيه عن أبي رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طنت أذن أحدكم فليذكري وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرى بخير (١٣٠) أسناده غريب وفي ثبوته نظر والله أعلم \* (مسئله) \* وقد استحب أهل الكتابه أن

يكره الكاتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كلما كتبه وقدره في الحديث من طريق كادح بن رجمة عن نهشل عن الضمالة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الصلاة جارية له مادام اسمي في ذلك الكتاب وليس هذا الحديث بصحيح من وجوه كثيرة وقدره من حديث أبي هريرة ولا يصح أيضا قال الخافظ أبو عبد الله الذهبي شيخنا حسبه موضوعا وقدره من نحوه عن أبي بكر وابن عباس ولا يصح من ذلك شيء والله أعلم وقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه الجامع لأدب الراوي والسامع قال رايت بخط الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كثيرا ما يكتب اسم النبي صلى الله عليه وسلم من غير ذكر الصلاة عليه كتابة قال وبلغني أنه كان يصلي عليه لفظا (فصل) وأما الصلاة على غير الأنبياء فإن كانت على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صلى على محمد وآله وأزواجه وذريته فهذا جائز بالاجماع وانما وقع النزاع فيما إذا

عند الوقوع فيه منها صارت كأنها لم تكن بجنب ما يكون فيه (قال رب فانظرنى) مستأنفة كما تقدم فيما قبلها أي مهلني وآخرني ولا تعاجلني (الي يوم يعنون) يعني آدم وذريته للجزاء بعد فناءهم وأراد بذلك أن يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره (قال فانك من المنظرين) أي المهملين (الي يوم الوقت المعالوم) الذي قدره الله لفناء الخلائق وهو عند النفخة الآخرة وقيل هو النفخة الأولى قيل اغماط بلبس الانظار الي يوم البعث ليخلص من الموت لأنه إذا أنظر الي يوم البعث لم يمت قبل البعث وعند مجيء البعث لا يموت فحينئذ يخلص من الموت فاجيب بما يطول مراده وينقض عليه مقصده وهو الا تظار الي يوم الوقت المعالوم وهو الذي يعلمه الله ولا يعلم غيره فلما سمع اللعين انظار الله له الى ذلك الوقت (قال فبعزتك لا اغو بينهم أجمعين) فاقسم بعهدة الله أنه يضل بني آدم بتزيين الشهوات والمعاصي لهم وادخال الشبه عليهم حتى يصيروا غاوين جميعا ولا يتأف فيه قوله تعالى فيما اغويتني فان اغواءه تعالى إياه أثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكمه من أحكام قهره وسلطنته فمال الأقسام بهم ما واحد ولعل اللعين أقسم بهم جميعا فحكي تارة قسمه باحدا هما وأخرى باخرى ثم لما علم أن كيد لا ينبج إلا في أتباعه وأحرابه من أهل الكفر والمعاصي استثنى من لا يقدر على اضلاله ولا يجسد السبيل الى اغوائه فقال (الا عبادك منهم المخلصين) أي الذين أخلصتهم لطاعتك وعصمتهم مني وقد تقدم تفسير هذه الآيات في سورة الحجر وغيرها (قال فالحق والحق أقول) مستأنفة كالجزء التي قبلها قرأ الجمهور بنصب الحق في الموضعين على أنه مقسم به حذف منه حرف القسم فانتصب أو هما منصوبان على الاغراء أي الزموا الحق أو مصدران مؤكدا للخصم قوله (لاملا ن جهنم) وقرئ برفع الاول ونصب الثاني فرفع الاول على أنه مبتدأ وخبره مقدر أي فالحق مني أو فالحق أنا وخبره لاملا ن أو هو وخبره مبتدأ محذوف وأما نصب الثاني فبالفعل المذكور بعده أي وأنا أقول الحق وأجاز الفراء وأبو عبيد أن يكون منصوبا بمعنى حقا لاملا ن جهنم واعترض عليه ما بأن ما بعد اللام مقطوع عما قبلها وروى عن الفراء وسيبويه أيضا أن المعنى فالحق أن أملا ن جهنم وروى عن ابن عباس ومجاهد أنهم قرأوا برفعهما فرفع الاول على ما تقدم ورفع الثاني بالابتداء وخبره الجملة المذكورة

بعده

أفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون يجوز ذلك واجتوبوا قول الله تعالى هو الذي يصلي عليكم

وملائكته ويقول أولئك عليهم صلوات من ربهم ويقولون خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها وصل عليهم الآية وبحديث عبد الله بن أبي أوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فأنابه أبي بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى آخر جاء في الصحيحين وبحديث جابر أن امرأته قالت يا رسول الله صل على وعلى زوجي فقال صلى الله عليك وعلى زوجك قال الجمهور من العلماء لا يجوز أفراد غير الأنبياء بالصلاة لأن هذا قد صار شعارا للأنبياء إذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم فلا



يقال قال أبو بكر صلى الله عليه أو قال على صلى الله عليه وإن كان المعنى صحيحا كما لا يقال قال محمد عز وجل وإن كان عزيراجليل  
لان هذا من شعار ذلك كذا وغلوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ولهذا لم ينبت شعار لآل أبي أوفى ولا الجابن  
وامرأته وهذا مسلك حسن وقال آخرون لا يجوز ذلك لان الصلاة على غير الانبياء قد صار من شعار أهل الأهواء يصلون على من  
يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في ذلك والله أعلم ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو من باب التحريم أو الكراهة التزيمية أو خلاف  
الاولى على ثلاثة أقوال حكاه الشيخ أبو بكر النورى في (١٣١) كتاب الاذكار ثم قال والصحيح الذى عليه

الاكثر وان كان مكروه كراهة تنزيه  
لانه شعار أهل البدع وقد نهى عن  
شعارهم والمكروه هو ما ورد فيه  
نهى مقصود قال أصحابنا والمعتمد في  
ذلك ان الصلاة صارت مخصوصة في  
لسان السلف بالانبياء كما ان قولنا  
عز وجل مخصوص بالله تعالى فكما  
لا يقال محمد عز وجل وان كان  
عزيراجليل لا يقال أبو بكر أو على  
صلى الله عليه هذا لفظه بجره  
قال وأما السلام فقال الشيخ أبو  
محمد الجوينى من أصحابنا هو في  
معنى الصلاة فلا يستعمل في  
الغائب ولا يفرد به غير الانبياء فلا  
يقال على عليه السلام وسواء في  
هذا الاحياء والاموات وأما  
الحاضر فيخاطب به فيقال سلام  
عليك وسلام عليكم وهذا الجمع عليه  
انتهى ما ذكره قلت وقد غلب  
هذا في عبارة كثير من النسخ  
للكتب ان يفرد على رضى الله عنه  
بان يقال عليه السلام من دون سائر  
الصحابة أو كرم الله وجهه وهذا  
وان كان معناه صحيحا لكن ينبغى  
أن يسوى بين الصحابة في ذلك فان

بعده والعائد مخذوف وقرئ بخفضه ما على تقدير حرف القسم قال الفراء كما يقول الله  
عز وجل لا تفعلن كذا وغلطه أبو العباس نعلب وقال لا يجوز ان يخفض بخذف مضمر  
وقيل جـ له لا ملائـن جواب القسم على قراءة الجمهور وجملة والحق أقول معترضة بين  
القسم وجوابه (منك) أى من جنسك من الشياطين (ومن تبعك منهم) أى من ذرية آدم  
فأطاعوك اذ دعوتهم الى الضلال والغبوة و (أجمعين) تأكيد للمعطوف والمعطوف  
عليه وجوز الزنجشبرى أن يكون تأكيد للضمير في منهم خاصة أى لا ملائـن جهنم من  
الشياطين ومن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس ثم أمر الله سبحانه  
رسوله أن يخبرهم بأنه انما يريد بالدعوة الى الله امتثال أمره لا عرض الدنيا الزائل فقال  
(قل ما أسألكم عليه من أجر) الضمير في عليه راجع الى تبليغ الوحي ولم يتقدم له ذكر  
ولكنه مفهوم من السياق وقيل هو عائد الى ما تقدم من قوله أنزل عليه الذر من بيننا  
وقيل الضمير راجع الى القرآن وقيل الى الدعاء الى الله على العموم فيشمل القرآن وغيره  
من الوحي ومن قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى ما أطلب منكم من جعل  
تعطونه عليه قال ابن عباس قل يا محمد ما أسألكم على ما دعوكم اليه من أجر عرض دنيا  
(وما أنا من المتكفين) أى المتصنعين بما ليسوا من أهله حتى أتت النبوته وأنقول  
القرآن من تلقاء نفسه وأقول ما لا أعلم أو أدعوكم الى غير ما أمرني الله بالدعوة اليه  
والتكلف التصنع وفي البخارى ومسلم وغيرهما عن مسروق قال بينما رجل يحدث في  
المسجد فقال فيما يقول يوم تاتي السماء بدخان مبين قال دخان يكون يوم القيامة يأخذ  
باسماع المنافقين وأبصارهم يأخذ المؤمنين كهيئة الزكام قال قناعتى دخلنا على عبد الله  
وهو في بيته وكان متكفا فاستوى قاعد ا فقال يا أيها الناس من علم منكم علما فليقل به  
ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم ان يقول العالم بما لا يعلم الله أعلم قال الله تعالى  
رسوله صلى الله عليه وآله وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكفين وأخرج  
البخارى عن عمر قال نهى عن التكلف وأخرج الطبرانى والحاكم والبيهقى عن سلمان  
قال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان تتكلف للضيف (ان هو الاذكر للعالمين) أى  
ما هذا القرآن أو الوحي أو ما أدعوكم اليه الاذكر من الله عز وجل للجن والانس العقلاء

هذا من باب التعظيم والتكريم فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أو لى بذلك منه رضى الله عنهم أجمعين قال اسمعيل القاضى حدثنا  
عبد الله بن عبد الواحد حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثني عثمان بن حكيم بن عباد بن حنيفة عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال  
لا تصلح الصلاة على أحد الا على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالمغفرة وقال أيضا حدثنا أبو بكر بن أبى  
شيبه حدثنا حسين بن على عن جعفر بن برقان قال كتب عمر بن عبد العزيز رجه الله أما بعد فان ناسا من الناس قد اتسوا الدنيا  
بعمل الآخرة وان ناسا من القصاص قد احدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرتهم عدل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا

جاهلك كما يهدى فرهم أن تكون صلواتهم على النبيين ودعواؤهم للمسلمين عمادة ويدعو ما سوى ذلك أترحسَن قال السجمل القاضي  
حدثنا معاذ بن أسد حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا ابن لهيعة حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن نبيه بن وهب أن كعبا  
دخل على عائشة رضيت الله عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب ما من جفري يطع الأثرل سبعون القامن الملائكة  
حتى يحفون بالقبر بضربون باجنتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم سبعون القابلليل وسبعون القابللنا حتى إذا انشقت  
عند الأرض خرج في سبعين القامن الملائكة (١٣٢) يزفونه\* (فرع)\* قال النووي إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليجمع

دون الملائكة لأن المراد بالذكر الموعظة والتخويف وتذكير العواقب وهذا إنما يناسب  
المكلفين وهم الثقلان فقط تأمل (ولتعلمن) أيها الكفار (بأنه) أي ما أتأبأ به من الوعد  
والوعد وغيرهما أو ما أخبر به من الدعاء إلى الله وتوحيده والترغيب إلى الجنة والتحذير  
من النار (بعد حين) قال قتادة والزجاج والفراء بعد الموت وقال عكرمة وابن زيد يوم  
القيامة وقال الكلبي من بقي علم ذلك لما ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وقال  
السددي وذلك يوم بدر وقيل عند ظهور الإسلام وفشوه وكان الحسن يقول يا ابن آدم عند  
الموت يأتيك الخبر اليقين وفيه من التهديد ما لا يخفى

\* (سورة الزمر) ويقال لها سورة الغرق هي اثنتان وسبعون آية وقيل خمس  
وسبعون آية وهي مكية \*

في قول الحسن وعكرمة وجابر بن زيد وأخرج النحاس في ناسخه عن ابن عباس قال  
نزلت بمكة سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب الذي أسرفوا  
على أنفسهم الثلاث الآيات وقال آخرون الأسبع آيات من قوله قل يا عبادي الذين  
إلى آخر السبع وأخرج النسائي عن عائشة قالت كان يصوم رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم حتى نقول ما يريدان يقطر ويقطر حتى نقول ما يريدان يصوم وكان يقرأ في كل  
ليلة بنى إسرائيل والزمر وأخرجه الترمذي عنها بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم لا ينام حتى يقرأ الزمر وبنى إسرائيل

(بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب) ارتفاعه على أنه خبر مبتدأ محذوف هو  
اسم إشارة أي هذا تنزيل وقال أبو جيان أن المبتدأ المقدر لفظ هو ليعود على قوله  
أن هو الأذكر للعالمين كأنه قيل وهذا الذي كرمناه وقيل هو تنزيل الخزوقيل ارتفاعه  
على أنه مبتدأ وخبره الجار والمجرور بعده أي تنزيل كائن من الله العزيز وإلى هذا  
ذهب الزجاج والفراء وأجاز الفراء والكسائي النصب على أنه مفعول به لتعمل مقدر  
أي أتبعوا وأقرأوا تنزيل الكتاب وقال الفراء يجوز نصبه على الأجراء أي الزموا والكتاب  
هو القرآن (من الله العزيز الحكيم) صلة للتنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف  
أو متعلق بمحذوف على أنه حال عمل فيه اسم الإشارة المقدر (انما أنزلنا إليك الكتاب بالحق)

بين الصلاة والتسليم فلا يقتصر  
على أحدهما فلا يقول صلى الله  
عليه فقط ولا عليه السلام فقط  
وهذا الذي قاله منترج من هذه  
الآية الكريمة وهي قوله يا أيها  
الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا  
تسليما فالأولى أن يقال صلى الله  
عليه وسلم تسليما (ان الذين يؤذون  
الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا  
والآخرة واعد لهم عذابا مهينا  
والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات  
بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا  
وأثمنا مينا) يقول تعالى متهددا  
ومتوعدا من آذاه بمخالفة أو امره  
وارتكاب زواجه واصراره على  
ذلك وايداع رسوله بعب أو بنقص  
عياد الله من ذلك قال عكرمة  
في قوله تعالى ان الذين يؤذون الله  
ورسوله نزلت في المصورين وفي  
الحيثيين من حديث سفيان بن  
عيينة عن الزهري عن سعيد بن  
المسيب عن أبي هريرة قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول  
الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب  
الدهر وانا الدهر أقلب ليلة ونهاره  
ومعنى هذا ان الجاهلية كانوا

يقولون يا خيبة الدهر فعل بنا كذا وكذا فيسندون أفعال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه وانما القاعل لذلك هو الله عز وجل أي  
فنهى عن ذلك هكذا أقرره الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من العلماء رحمهم الله وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى يؤذون الله  
ورسوله نزلت في الذين طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم في تزويجه صفية بنت حيي بن أخطب والظاهر ان الآية عامة في كل من  
آذاه بشئ ومن آذاه فقد آذى الله كما ان من اطاعه فقد اطاع الله كما قال الامام أحمد حدثنا يونس حدثنا ابراهيم بن سعد عن عبيدة  
ابن أبي ربيعة الخذاء التيمي عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن المغفل المزني قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الله في أصحابي

لاتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله  
ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقد رواه الترمذي من حديث عبيدة بن أبي راطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن  
المغفل به ثم قال وهذا حديث غريب لانعرفه الا من هذا الوجه وقوله تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا  
أى ينسبون اليهم ما هم برأئ منه لم يفعلوه ولم يفعلوه فقد احتملوا به تانا واغما مينا وهذا هو البهت اللين ان يحكى أو ينقل عن  
المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم ومن (١٣٣) اكثر من يدخل في هذا الوعد الكفرة بالله

ورسوله ثم الرافضة الذين يتنقصون  
العبادة ويعيبونهم بما قدر برأهم  
الله منه ويصفونهم بقميص ما خبر  
الله عنهم فان الله عز وجل قد أخبره  
انه قدرضى عن المهاجرين والانصار  
ومدحهم وهؤلاء الجهلة الاغبياء  
يسبونهم ويتنقصونهم ويذكرون  
عنهم ما لم يكن ولا فعلوه ابدافهم في  
الحقيقة منكسو القلوب يذمون  
المدوحين ويمدحون المذمومين  
وقال ابو داود حدثنا القعنبى حدثنا  
عبد العزيز بن يعنى بن محمد عن العلاء  
عن ابيه عن ابى هريرة انه قيل  
يارسول الله ما الغيبة قال ذكرك  
اخاك بما يكره قيل افرأيت ان كان  
في اخي ما اقول قال ان كان فيه  
ما نقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه  
ما نقول فقد بهتته وهكذا رواه  
الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي  
به ثم قال حسن صحيح وقد قال ابن  
ابى حاتم حدثنا احمد بن سلمة حدثنا  
ابو كريب حدثنا معاوية بن هشام  
عن عمار بن انس عن ابن ابى مليكة  
عن عائشة قالت قال رسول الله

اى أنزلناه بسبب الحق وثباته واطهاره أو متلبسين بالحق أو متلبسا او بداعية الحق  
واقضائه للانزال والمراد كل ما فيه من اثبات التوحيد والسبوة والمعاد وأنواع  
التكليف قال مقاتل يقول لم تنزله باطلا غير شئ وهذا ليس بتكرار لان الاول كالعنوان  
للكتاب والثاني لبيان ما في الكتاب أو المراد بالثاني هو الاول واطهاره لتعظيمه ومزيد  
الاعتناء بشأنه (فاعبد الله مخلصا له الدين) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى محضاله  
الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر والاخلاص ان يقصد العبد بعمله وجه  
الله سبحانه والدين العبادة والطاعة ورأسها توحيد الله وأنه لا شريك له وفي الآية دليل  
على رجوب النية واخلاصها عن الشوائب لان الاخلاص من الامور القلبية التى  
لا تكون الا باعمال القلب وقد جاءت السمة الصحيحة ان ملاك الامر فى الاقوال والافعال  
النية كما فى حديث انما الاعمال بالنيات وحديث لا قول ولا عمل الا بالنية (الآلله  
الدين الخالص) مسأنة مقررقة لما قبلها من الامر بالاخلاص أى أن الدين الخالص  
من شوائب الشرك وغيره هو الله وما سواه من الاديان فليس بدين الله الخالص الذى  
أمر به قال قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وقد أخرج ابن مردويه عن يزيد  
الرقاشى ان رجلا قال يارسول الله ان اعطى اموالنا التماس الذى كرهنا فى ذلك من أجر  
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا قال يارسول الله انما اعطى التماس الاجر والذكر  
فهل لنا أجر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لا يقبل الا ما أخلص له ثم تلا  
هذه الآية وقال الحسن الدين الاسلام ولما أمر سبحانه بعبادته على وجه  
الاخلاص وان الدين الخالص له لا غيره بين بطلان الشرك الذى هو مخالف للاخلاص  
وقال (والذين اتخذوا من دونه أولياء) الموصول عبارة من المشركين ومحله الرفع على  
الابتداء وخبره قوله ان الله يحكم بينهم وجملة (مانعبدهم الا ليقرئوا الى الله زلنى) فى محل  
نصب على الحال بتقدير القول والاستثناء منفرغ من أعم العلل والمعنى والذين لم يخلصوا  
العبادة لله بل شاؤوها بعبادة غيره قائمين مانعبدهم لشيء من الاشياء الا ليقرئوا الى الله  
تقرئوا فالزنى اسم أقيم مقام المصدر والضمير فى تعبدهم راجع الى الاشياء التى كانوا  
يعبدونها من الملائكة وعيسى والاصنام وهم المرادون بالاولياء والمراد بالزنى الشفاعة  
كما حكاه الواحدي عن المفسرين قال قتادة كانوا اذا قيل لهم من ربكم وخالقكم ومن

قال أرى الرباعند الله استحلال عرض امرئ مسلم ثم قرأوا الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واغما  
مينا (يا أيها النبي قل لارواجل وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيين ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا  
رحيما) لم ينه المنافة والذين فى قلوبهم مرض والمرجعون فى المدينة لغريبتك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما  
ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلا من قبل وان تجد لسنة الله تبديلا يقول تعالى أمر ارسوله صلى الله عليه وسلم  
تسليما ان يأمر النساء المؤمنات خاصة أزواجه وبناته لشرفهن بان يدفن عليهن من جلابيين ليعتزين عن سمات نساء الجاهلية

وسمات الاماء والجلباب هو الرداء فوق النجار قاله ابن مسعود وعبيدة والحسن البصرى وسعيد بن جبير وابراهيم التخفي وعطاء  
الخراساني وغير واحد وهو بمنزلة الازار اليوم قال الجوهرى الجلباب المحففة قالت امرأه من هذيل ترى قتملا لها  
تمشى النسور اليه وهي لاهية \* مشى العذارى عليهن الجللاب قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أمر الله نساء المؤمنين  
اذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يعطين وجوههن من فوق رؤسهن بالجللاب ويبدن عينا واحدة وقال محمد بن سيرين سألت  
عبيدة السلماني عن قول الله عز وجل يدنين (١٣٤) عليهن من جلابين فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى وقال

عكرمة نغضى ثغرة نحرها بجلبابها  
تدينه عليها وقال ابن أبي حاتم حدثنا  
أبو عبد الله الطهراني فيما كتب  
الى حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر  
عن ابن خثيم عن صفية بنت شيبة عن  
ام سلمة قالت لما نزلت هذه الآية  
يدنين عليهن من جلابين خرج  
نساء الانصار كأن علي رؤسهن  
الغربان من السمكة وعلمهن  
أكسية سود بلبسها وقال ابن أبي  
حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح  
حدثني الليث حدثنا يونس بن يزيد  
قال وسألناه يعني الزهري هل على  
الوليدة خمار متروجة أو غير  
متروجة قال عاها النجار ان كانت  
متروجة وتنهى عن الجلباب لانه  
يكبره لهن ان يتشبهن بالحرائر  
المحصنات وقد قال الله تعالى يا أيها  
النبي قل لزوجك وبناتك ونساء  
المؤمنين يدنين عليهن من جلابين  
وروى عن سفيان الثوري انه قال  
لابأس بالنظر الى زينة نساء أهل  
الذمة وانما نهى عن ذلك لخوف  
الفتنة لا لحرمتهن واستدل بقوله  
تعالى ونساء المؤمنين وقوله ذلك أدنى  
ان يعرفن فلا يؤذين أى اذا فعلن

ذلك عرفن انهن حرائر لسن باماء ولا عواهر قال السدي في قوله تعالى يا أيها النبي قل لزوجك وبناتك ونساء  
المؤمنين يدنين عليهن من جلابين ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين قال كان نام من فساق أهل المدينة يتخرجون بالليل حين  
يحتلط الظلام الى طريق المدينة فيعرضون للنساء وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة فاذا كان الليل خرج النساء الى الطرق  
يقضن حاجتهن فكان أولئك الفساق يتبعون ذلك منهم فاذا رأوا المرأة عليها جلباب قالوا هذه حرة فكفوا عنها واذا رأوا المرأة  
ليس عليها جلباب قالوا هذه أمة فوشوا عليها وقال مجاهد يتجلبن فيعلم انهن حرائر فلا يتعرض لهن فاسق باذى ولا رية وقوله

تعالى وكان الله غفوراً رحيماً أي لما سلف في أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهم علم بذلك ثم قال تعالى متوعد المنافقين وهم الذين  
يظهرون الإيمان ويطنون الكفر والذين في قلوبهم مرض قال عكرمة وغيره هم الزناة ههنا والمرحفون في المدينة يعني الذين يقولون  
جاء الأعداء وجاءت الحروب وهو كذب واقترأ لئن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا إلى الحق لنغيرنك بهم قال علي بن أبي طلحة عن ابن  
عباس أي لنسلطنك عليهم وقال السدي لنعلمك بهم ثم لا يجاورونك فيها أي في المدينة الا قليلاً ملعونين  
حال منهم في مدة أقامتهم في المدينة مدة قريية مطرودين مبعدين (١٣٥) أي ما تقفوا أي وجدوا وأخذوا بذلتهم وقتلهم

وقتوا تقبلاً ثم قال تعالى سنة الله  
في الذين خلوا من قبل أي هذه سنته  
في المنافقين اذا تردوا على نفاقهم  
وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه ان  
أهل الإيمان يسלטون عليهم  
ويقهرونهم ولن تجد لسنة الله  
تبدلاً أي وسنة الله في ذلك لا تبدل  
ولا تغير (يسألك الناس عن  
الساعة قل انما علمها عند الله وما  
يدريك لعل الساعة تكون قريبا  
ان الله لعن الكافرين وأعد لهم  
سعيراً الذين فيها أبدا لا يجدون  
وليا ولا نصيراً يوم تقبل وجوههم في  
النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله  
وأطعنا الرسول ولا قالوا ربنا انما أطعنا  
سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل  
ربنا آثم ضعفين من العذاب  
والعنهم لعنا كبيرا) يقول تعالى  
نخبر الرسول صلوات الله وسلامه  
عليه انه لا علم له بالساعة وان سأله  
الناس عن ذلك وأرشده ان يرد  
علمها إلى الله عز وجل كما قال الله  
تعالى في سورة الاعراف وهي مكية  
وهذه مدينة فاستمر الحال في رد علمها  
إلى الذي يقبها لكن أخبره انها  
قريية بقوله وما يدريك لعل

يصطف أي لم يتخذ ولداً غير من قالوا في شأنه انه ابن الله وهذا النقي باعتبار فهم شامل لسائر  
الخلائق فلم يرد اتخاذ الولد تأمل ثم لما ذكر سبحانه كونه منزهاً عن الولد بكونه الها واحداً  
قهاراً ذكراً ما يدل على ذلك من صفاته فقال (خلق السموات والارض بالحق) أي لم يخلقهما  
باطلاً لغير شيء ومن كان هذا الخالق العظيم خلقه استحالة أن يكون له شريك أو صاحبة  
أو ولد ثم بين كيفية تصرفه في السموات والارض فقال (يكور الليل على النهار ويكور  
النهار على الليل) التكوير في اللغة طرح الشيء بعضه على بعض يقال كور المتاع اذا  
التي بعضه على بعض ومنه كور العمامة تعني تكوير الليل على النهار تغشيته اياه حتى  
يذهب ضوءه ومعنى تكوير النهار على الليل تغشيته اياه حتى تذهب ظلمته وهو معنى قوله  
تعالى يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً هكذا قال قتادة وغيره وقال الضحاك أي يلقى  
هذا على هذا وهذا على هذا وهو مقارب للقول الاول وقيل معنى الآية ان ما نقص من  
الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل وهو معنى قوله يولج الليل في النهار  
ويولج النهار في الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة  
وقيل المعنى ان هذا يكر على هذا وهذا يكر على هذا كروا متتابعاً قال الراغب تكوير  
الشيء ادراكه ووضع بعضه على بعض ككور العمامة اه وقيل التكوير اللف واللى وقال  
ابن عباس يكور يحمل والاشارة بهذا التكوير المذكور في الآية إلى جريان الشمس في  
مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادهما قال الرازي ان النور والظلمة عسكران  
عظيمان وفي كل يوم يغلب هذا ذلك وذلك هذا ثم ذكر تسخير له سلطان النهار وسلطان  
الليل وهما الشمس والقمر فقال (وتسخر الشمس والقمر) أي جعلهما منقادين لاهره  
بالظلوع والغروب لمنافع العباد ثم بين كيفية هذا التسخير فقال (كل يجرى لاجل مسمى)  
أي يجرى في فلكه إلى أن تنصرم الدنيا وذلك يوم القيامة وقد تقدم الكلام على الاجل  
المسمى لجرهم مستوفى في سورة يس (الاهو العزيز الغفار) الاحرف تنبيه وتصدير  
الجملة بهم الاظهار كمال الاعتناء بضمونها والمعنى تنبهوا أيها العباد فالله هو الغالب السائر  
لذنوب خلقه بالمعفرة ثم بين سبحانه نوعاً آخر من قدرته وبديع صنعته فقال (خلقكم من  
نفس واحدة) وهي نفس آدم (ثم جعل منها زوجها) جاء بتم للدلالة على ترتيب خلق حواء

الساعة تكون قريبا كما قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وقال اقتراب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون وقال  
أي أمر الله فلا تستعجلوه ثم قال ان الله لعن الكافرين أي أبعدهم من رحمته وأعد لهم سعيراً أي في الدار الآخرة فالذين فيها  
أي ما كثرين مستقرين فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها لا يجدون ولياً ولا نصيراً أي وليس لهم مغيب ولا معين ينقذهم مما هم  
فيه ثم قال يوم تقبل وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول أي يسحبون في النار على وجوههم وتلوى  
وجوههم على جهنم يقولون وهم كذلك يتمنون لو كانوا في الدار الدنيا ممن أطاع الله وأطاع الرسول كما أخبر الله عنهم في حال

العرصات بقوله ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتالمتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن  
الذكر بعد ادجائي وكان الشيطان للإنسان خذولا وقال تعالى ربما واد الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهكذا أخبر عنهم في حالتهم  
هذه انهم يودون أن لو كانوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وقال  
طاوس سادتنا يعني الاشراف وكبراءنا يعني العلماء رواه ابن أبي حاتم اى اتبعنا السادة وهم الامراء والكبراء من المشيخة وخالفنا  
الرسول واعتقدنا ان عندهم شيئا وانهم على (١٣٦) شئ فاذا هم ليسوا على شئ ربنا آتهم ضعفين من العذاب اى بكفرهم

واعوانهم ابانا والعنهم لعنا كبيرا  
على خلق آدم وتراخيه عنه لانها خلقت منه والعطف اما على مقدر وهو صفة لنفس قال  
قرأ بعض القراء بالباء الموحدة وقرأ  
آخره بالتاء المثلثة وهم اقربيا  
المعنى كما في حديث عبد الله بن عمرو  
ان ابا بكر قال يا رسول الله علمنى  
دعاء ادعوه به فى صلواتى قال قل اللهم  
انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر  
الذنوب الا انت فاغفر لى مغفرة من  
عندك وارحمنى انك انت الغفور  
الرحيم آخر جافى الصحابين يروى  
كثيرا وكثيرا وكلاهما بمعنى صحيح  
واستحب بعضهم أن يجمع الداعي  
بين اللفظين فى دعائه وفى ذلك نظر  
بل الاولى أن يقول هذا تارة وهذا  
تارة كما ان القارئ مخير بين  
القراءتين ايتهما قرأ حسن وليس  
له الجمع بينهما والله أعلم وقال أبو  
القاسم الطبراني حدثنا محمد بن  
عثمان بن ابي شيبة حدثنا ضار بن  
صرد حدثنا علي بن هشام عن عبيد  
الله بن ابي رافع عن ابيه فى تسمية  
من شهد مع على رضى الله عنه  
الجراح بن عمرو بن عزمه وهو الذى  
كان يقول عند اللقاء يا معشر  
الانصار اتريدون ان تقولوا ربنا  
اذا لقيناه ربنا انا اطعنا سادتنا  
وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم

ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان الرحم  
عند الله وجيها قال البخارى عند تفسير هذه الآية حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا روح بن عبادة حدثنا عوف عن الحسن ومحمد  
وخلاص عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حيايا وذلك قوله تعالى يا ايها الذين  
آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها هكذا اورد هذا الحديث ههنا مختصرا جدا وقد رواه  
فى احاديث الانبياء بهذا السند بعينه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام كان رجلا حيايا

ستر الايرى من جلده شئ استحياء منه فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل فقالوا ما يستر هذا التستر الا من عيب في جلده ما برص  
واما آذره وما آفة وان الله عز وجل اراد ان يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام فخلا يوم واحد فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ  
اقبل الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بثوبه فأخذه موسى عساه وطلب الحجر فجعل يقول توبى حجر توبى حجر حتى انتهى الى ملا من بنى  
اسرائيل فرأوه عرباناً أحسن ما خلق الله عز وجل وبراءة مما يقولون وقام الحجر فأخذوه به فلبسه ووظف بالحجر ضرباً بعصاه فوالله  
ان بالحجر لشداب من أرضه به ثلاثاً وأربعاً وخمساً قال فذلك قوله تعالى يا أيها (١٣٧) الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى

فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله  
وجيهاً وهذا سباق حسن مطول  
وهذا الحديث من أفراد البخارى  
دون مسلم وقال الامام احمد حدثنا  
روح حدثنا عوف عن الحسن عن  
النبي صلى الله عليه وسلم وخلاس  
ومحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى  
الله عليه وسلم انه قال في هذه الآية  
يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين  
آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان  
عند الله وجيهاً قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلاً  
حبيساً ستر الايكاديرى من جلده  
شئ استحياء منه ثم ساق الحديث كما  
رواه البخارى مطولاً ورواه عبد  
في تفسيره عن روح عن عوف به  
ورواه ابن جرير من حديث الثورى  
عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي  
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله  
عليه وسلم نحوه هذا وهكذا رواه  
من حديث سليمان بن مهران  
الاعمش عن المنهال بن عمرو عن  
سعيد بن جبير وعبد الله بن الحرث  
عن ابن عباس في قوله لا تكونوا  
كالذين آذوا موسى قال قال قومه  
له انك آذرت فرج ذات يوم يغتسل

الرحم وظلمة المشيمة قاله محاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وقال سعيد بن جبير ظلمة  
المشيمة وظلمة الرحم وظلمة الليل وقال أبو عبيدة ظلمة لب الرجل وظلمة بطن المرأة  
وظلمة الرحم والرحم داخل البدن والمشيمة داخل الرحم قال ابن الاعرابي يقال لما  
يكون فيه الولد المشيمة والكيس والغلاف والجمع مشيم بمجذف الهم مشايم ويقال  
لهامن غيره السلي والاشارة بقوله (ذلكم الله ربكم) اليه سبحانه باعتبار افعاله  
السابقة والاسم الشريف خبره وربكم خبر آخر (له الملك) الحقيقي في الدنيا والآخرة  
لاشركة لغيره فيه وهو خبر ثالث وقوله (لا اله الا هو) خبر رابع (فاني تصرفون) أى  
فكيف تصرفون عن عبادته وتقلبون عنها الى عبادة غيره أو تصرفون عن طريق  
الحق بعد هذا البيان ولما ذكر سبحانه النعم التي أنعم بها على عباديه وبين لهم من بديع صنعه  
وعجيب فعله ما يوجب على كل عاقل ان يؤمن به عقبه بقوله (ان تكفروا فان الله غنى عنكم)  
أى غير محتاج اليكم ولا الى ايمانكم ولا الى عبادتكم له فانه الغنى المطلق (و) مع كون كفر  
الكافر لا يضره كما انه لا ينفعه ايمان المؤمن فهو أيضاً (لا يرضى لعباده الكفر) أى  
لا يرضى لاحد من عباده الكفر ولا يجب ولا يأمر به ولا يفعل فعل الراضى بان يأذن فيه  
ويقر عليه ويثيب فاعله ويمدحه بل يفعل فعل الساخط بان ينهى عنه ويذم عليه  
ويعاقب مرتكبها وان كان بارادته فلا يخرج شئ عنها قال أبو السعود عدم رضاه بكفر  
عباده لاجل منفعتهم ودفعتهم راحة عليهم لا لتضررتعالى به انتهى ومثل هذه  
الآية قوله ان تكفروا أنتم ومن في الارض جيعافان الله اغنى حبيد ومثلها ما ثبت في  
صحيح مسلم من قوله صلى الله عليه وآله وسلم يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم  
وجنكم كانوا على قلب فجر رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً وقد اختلف  
المفسرون في هذه الآية هل هي على عمومها وان الكفر غير مرضى لله سبحانه على كل حال  
كما هو الظاهر أو هي خاصة والمعنى لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وقد ذهب الى التخصيص  
جبر الامة ابن عباس رضى الله تعالى عنه وتابعه على ذلك عكرمة والسدى وغيرهما ثم  
اختلفوا في الآية اختلافاً آخر فقال قوم انه يريد كفر الكافر ولا يرضاه وقال الآخرون  
انه لا يريد ولا يرضاه والكلام في تحقيق مثل هذا يطول جدا وقد استدل القائلون  
بتخصيص هذه الآية والمثبتون للارادة مع عدم الرضا بما ثبت في آيات كثيرة من الكتاب

(١٨ فتح البيان ثامن) فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشبه ثيابه وخرجت بها عرباناً حتى انتهت  
به مجالس بنى اسرائيل قال فرأوه ليس يآذرت فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهم  
سواء وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا روح بن حاتم وأحمد بن المعلى الادمي قالوا حدثنا يحيى بن جاد حدثنا جاد بن سلمة عن علي  
ابن زيد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان موسى عليه السلام رجلاً حياً وانه أتى أحسبه قال الماء ليغتسل فوضع  
ثيابه على صخرة وكان لا يكاد يتبدد وعورتا فقال بنو اسرائيل ان موسى آذراؤبه آفة يعنون انه لا يضع ثيابه فاحتملت الصخرة

ثبانه حتى صارت بجذاه مجالس بنى اسرائيل فنظروا الى موسى كأنه حسن الرجال أو كما قال فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم في قوله فبرأه الله مما قالوا قال سعد بن موسى وهو من الجليل فأت هرون عليه السلام فقال بنو اسرائيل لموسى عليه السلام أنت قلتة كان ألين لنا منك وأشد حياء فأذوه من ذلك فأمر الله الملائكة فحملتة فبرأه علي مجالس بنى اسرائيل فتكلمت (١٣٨) بموته فاعرف موضع قبره الا الرخم وان الله جعله أصم ابكم وهكذا رواه ابن

جرير عن علي بن موسى الطوسي عن عباد بن العوام به ثم قال وجائز أن يكون هذا هو المراد بالاذى وجائز أن يكون الاذى هو المراد فلا قول أولى من قول الله عز وجل (قلت) يحتمل أن يكون الكل مرادا وأن يكون معه غيره والله أعلم قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبيد الله قال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قسما فقال رجل من الانصار ان هذه لقمة ما أريد بها وجه الله قال فقلت يا عبد الله أما لا أخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأحتر وجهه ثم قال رجة الله على موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر أخرجاه في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش به طريق أخرى حدثنا ججاج سمعت اسرائيل بن يونس عن الوليد بن أبي هشام مولى همدان عن زيد بن زائد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصحابه لا يبلغني أحد من أصحابي

العزيرانه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وماتشؤون الأنا يشاء الله ونحو هذا مما يؤدي معناه كثيرا في الكتاب العزيز قال ابن عباس في قوله ان تكفروا الخ يعني الكفار الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم فيقولون لا اله الا الله ثم قال ولا يرضى لعباده الكفروهم عباده الخ المخلصون الذين قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فألزهمهم شهادة ان لا اله الا الله وحيها اليهم أخرجه ابن جرير فيكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله يردي بعض العباد وقال عكرمة لا يرضى لعباده المسلمين الكفر وعن قتادة قال والله ما رضى الله لعبده صلاته ولا أمره بها ولا دعاه اليها ولكن رضى لكم طاعته وأمركم بها ونهاكم عن معصيته ثم لما ذكر سبحانه انه لا يرضى لعباده الكفر بين انه يرضى لهم الشكر فقال (وان تشكروا يرضه لكم) أي يرضى لكم الشكر المدلول عليه بقوله وان تشكروا اي يبيكم عليه وانما رضى لهم سبحانه الشكر لانه سبب سعادتهم في الدنيا والاخرة كما قال سبحانه ولئن شكرتم لازيدنكم لا لا تتفاعة به قري باسكان الهاء من يرضه وباشباع الضمة على الهاء واختلس الباقون والقراآت كلها سبعة (ولا تزروا زورا خرى) أي لا تتحمل نفس حاملة للوزر رجل نفس اخرى وهذا بيان لعدم سراية كفر الكافر لغيره أصلا وقد تقدم تفسير هذه الآية مستوفى (ثم الى ربكم مرجعكم) يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم تعملون) من خير وشر وفيه تهديد شديد (انه علم بذات الصدور) أي بما تضره القلوب وتستره فكيف بما تظهره وتبديه وهذا تعديلا بالنسبة بالاعمال (واذامس الانسان ضرا) أي ضركان في جسمه أو ماله أو أهله أو ولده من بلاء ومرض أو فقر أو خوف أو شدة لان اللفظ مطلق فلامعنى لتقيده والمس في الأعراض مجاز وجواب اذا قوله (دعارب منيبا اليه) أي راجعا اليه مستغيبا به في دفع ما نزل به تارك لما كان يدعو به ويستغيب به من ميت أو حي أو صم أو غير ذلك في حال الرخاء لعله بانها بعزل عن القدرة على كشف ضره (ثم اذا حوله نعمة منه) أي أعطاه وملكه يقال حوله الشيء أي ملكه اياه ولا يستعمل في الجزاء بل في ابتداء العطية (نسى ما كان يدعو اليه من قبل) أي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه عنه من قبل أن يحوله ما حوله وقيل نسي الدعاء الذي كان يتضرع به وتركة أو نسي ربه الذي كان يدعو به يتضرع اليه ثم جاوز ذلك الى الشرك بالله وهو

معنى

عن أحد شيا فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مال

فقسمه قال فررت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه والله ما أرا دمجد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة قال فثبت حتى سمعت ما قالوا ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انك قلت لنا لا يبلغني أحد عن أصحابي شيئا واني مرت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا فاجز وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه ثم قال دعنا منك لقد أودى موسى بأكثر من هذا فصبر وقد رواه أبو داود في الادب عن محمد بن يحيى الذهلي عن محمد بن يونس القرطبي عن اسرائيل بن يونس عن الوليد بن أبي هشام به مختصرا



لا يبلغني أحد عن أحد شيئاً أني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر وكذا رواه الترمذي في المناقب عن الذهلي سواء إلا أنه قال  
زيد بن زائدة ورواه أبضاع عن محمد بن اسمعيل عن عبد الله بن محمد عن عبد الله بن موسى وحسين بن محمد كلاهما عن إسرائيل عن  
السدي عن الوليد بن أبي هشام به مختصراً أيضاً فزاد في أسناده السدي ثم قال غريب من هذا الوجه وقوله تعالى وكان عند الله  
وجهاً أي له وجاهة ووجه عند ربه عز وجل قال الحسن البصري كان مستجاب الدعوة عند الله وقال غيره من السلف لم يسأل  
الله شيئاً إلا أعطاه ولكن منع الرؤية لما يشاء الله عز وجل وقال بعضهم من (١٣٩) وجاهته العظيمة عند الله أنه شفيع

في أخيه هرون أن يرسله الله معه  
فأجاب الله سؤاله فقال ووهبنا له  
من رحمتنا أخاه هرون نبياً (يا أيها  
الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا  
سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر  
لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله  
فقد فاز فوزاً عظيماً) يقول تعالى  
أمر أعباده المؤمنين بتقواه وإن  
يعبدوه عبادة من كانه يراه وإن  
يقولوا قولاً سديداً أي مستقيماً  
لا اعوجاج فيه ولا انحراف ووعدهم  
انهم اذا فعلوا ذلك أثبهم عليه بان  
يصلح لهم أعمالهم أي يوفقهم  
للأعمال الصالحة وأن يغفر لهم  
الذنوب الماضية وما قد يقع منهم  
في المستقبل يلهمهم التوبة منها  
ثم قال تعالى ومن يطع الله ورسوله  
فقد فاز فوزاً عظيماً وذلك انه يجاز  
من نار الجحيم ويصير إلى النعيم  
المقيم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي  
حدثنا عمرو بن عوف حدثنا خالد  
عن ليث عن أبي بردة عن أبي موسى  
الاشعري قال صلى بنا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فلما  
انصرف أو ما ألبنا سيده فجلسنا  
فقال ان الله تعالى أمرني أن أمرمكم  
أن تتقوا الله وتقولوا قولاً سديداً

معنى قوله (وجعل الله أنداداً) أي شركاء من الاصنام أو غيرها يستغيث بها ويعبدوها وقال  
السدي يعني أنداد من الرجال يعتمد عليهم في جميع أمورهم (ليضل عن سبيله) أي ليضل  
الناس عن طريق الله التي هي الاسلام والتوحيد قرأ الجهور بضم الياء وقرئ بغتتها وهما  
سبعيتان واللام للعاقبة ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يهد من كان  
متصفاً بتلك الصفة فقال (قل تمتع بكفرك قليلاً) أي تمتع قليلاً أو زماناً قليلاً فقام الدنيا  
قليلاً قال الزجاج لفظه لنظ الأمر ومعناه التهديد والوعيد وفيه إشعار بان الكفر نوع  
تسهل لاسناده واقنطار للكافرين من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله (أنك من أصحاب  
النار) على سبيل الاستئناف للمباغلة أي مصيرك اليها عن قريب وانك ملازمها ومعدود  
من أهلها على الدوام وهو تلعيل لقلة التمتع وفيه من التهديد أمر عظيم قيل زلت في عتبة  
ابن ربيعة وقيل في أبي حذيفة المخزومي وقيل هو عام في كل كافر وهو الاوفق بقواعد  
الشريعة ثم لما ذكر سبحانه صفات المشركين وتمسكهم بغير الله عند اندفاع المكروهات  
عنهم ذكر صفات المؤمنين فقال (أمن هو قات) هذا إلى آخره من تمام الكلام المأمور به  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى أن ذلك الكافر أحسن حالاً مما لا آمن هو قات  
بطاعات الله في السراء والضراء في ساعات الليل مستتر على ذلك غير مقتصر على دعاء الله  
سبحانه عند نزول الضرر به قرئ أمن بالتشديد والتخفيف فعلى القراءة الأولى ام داخله  
على من الموصولة وأدغمت الميم في الميم وأم هي المتصلة ومعادلهما محذوف أي الكافر خير  
أم الذي هو قات وقيل هي المنقطعة مقدره بيل والهمزة أي بل أمن هو قات كالكافر  
وعلى الثانية الهمزة للاستفهام والاستفهام للتقرير ومقابل محذوف أي أمن هو قات  
كن كقرو قال القراء ان الهمزة في هذه القراءة للتداء ومن منادى وهي عبارة عن النبي  
صلى الله عليه وآله وسلم المأمور بقوله قل تمتع بكفرك قليلاً والتقدير يا من هو قات قل  
كيت وكيت وقيل التقدير يا من هو قات أنك من أصحاب الجنة ومن القائلين بان الهمزة  
للتداء القراء وضعف ذلك أبو حيان وقال هو أجنبي عما قبله وعما بعده وقد سبقه إلى هذا  
التضعيف أبو علي الفارسي واعترض على هذه القراءة من أصلها أبو حاتم والاختصاص ولا  
وجه لذلك فإنها اذا ثبتت الرواية بطلت الرواية وقد اختلف في تفسير القات هنا فقبل  
المطيع وقيل الخاشع أو المقائم في صلاته وقيل الداعي له به قال النحاس أصل القنوت

ثم أتى النساء فقال ان الله أمرني أن أمرمكم أن تتقين الله وتقتلن قولاً سديداً وقال ابن ابي الدنيا في كتاب التقوى حدثنا محمد بن  
عباد بن موسى حدثنا عبد العزيز بن عمران الزهري حدثنا عيسى بن سبرة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت  
ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر الا سمعته يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً الآية غريب جداً وروى  
عبد الرحيم بن زيد العمري عن أبيه عن محمد بن كعب عن ابن عباس موقوفاً من سره أن يكون أكرم الناس فليستق الله قال عكرمة  
القول السديداً لا الله الا الله وقال غيره السديد الصدق وقال مجاهد هو السداد وقال غيره هو الصواب والكل حق (اننا عرضنا  
لامانة على السموات والارض والجناب قائلين أن يحملنها واشفقن منها وجعلها الانسان انه كان ظلوماً جاحلاً ولا يعذب الله المنافقين

والمناقصات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما قال العوفي عن ابن عباس يعني  
 بالامانة الطاعة عرضها عليهم قبل ان يعرضها على آدم فلم يطقنها فقال لا دم اتي قد عرضت الامانة على السموات والارض والجبال  
 فلم يطقنها فهل انت اخذت بما فيها قال يارب وما فيها قال ان احسنت جزيت وان اسأت عوقبت فأخذها آدم فتحملها فذلك قوله  
 تعالى وجلها الانسان انه كان ظلوما جهولا وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس الامانة الفرائض عرضها الله على السموات والارض  
 والجبال ان آذوها انابهم وان ضيعوها (١٤٠) عندهم ففكر هو ذلك واشفقوا من غير معصية ولكن تعظيم الدين الله

ان لا يذنبوا بها ثم عرضها على آدم  
 فقبلها بما فيها وهو قوله تعالى وجلها  
 لانسان انه كان ظلوما جهولا يعني  
 غزبا بما امر الله وقال ابن جرير حدثنا  
 ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر  
 حدثنا شعبة عن ابي بشر عن  
 سعيد بن جبير عن ابن عباس انه  
 قال في هذه الآية انا عرضنا  
 الامانة على السموات والارض  
 والجبال فأبين ان يحملنها قال  
 عرضت على آدم فقال خذها بما  
 فيها فان اطعت غفرت لك وان  
 عصيت عذبتك قال قبلت فما  
 كان الامقدار ما بين العصر الى  
 الليل من ذلك اليوم حتى اصاب  
 الخطيئة وقد روى الضحاك عن  
 ابن عباس قريبا من هذا وفيه نظر  
 واقطاع بين الضحاك وبينه والله  
 أعلم وهكذا قال مجاهد وسعيد بن  
 جبير والضحاك والحسن البصري  
 وغير واحد ان الامانة هي الفرائض  
 وقال آخرون هي الطاعة وقال  
 الاعمش عن ابي الضمصي عن  
 مسروق قال قال ابي بن كعب  
 من الامانة ان المرأة اوتئمت على  
 فرجها وقال قتادة الامانة الدين

الطاعة فكل ما قيل فيه فهو داخل في الطاعة (آناه الليل) جمع اني بكسر الهمزة والقصر  
 كني وامعاء وقيل واحدها انوي يقال مضى من الليل اتيان وانوان والمراد بآناه الليل ساعاته  
 وأوقاته وقيل جوفه وقيل ما بين المغرب والعشاء وقيل أوله وأوسطه وآخره (ساجدا  
 وقائما) منصوبان على الحال أي جامعين السجود والقيام في الصلاة وقدم السجود على  
 القيام لكونه ادخل في العبادة والاية دللت على ترجيح قيام الليل على النهار وانه أفضل  
 منه وذلك لان الليل أستر فيكون أبعده عن الرياء ولان ظلمة الليل تجتمع الهم وتمنع البصر  
 عن النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى  
 المطلوب الاصل وهو الخشوع في الصلاة ومعرفة من يصلي له وقيل لان الليل وقت النوم  
 ومظنة الراحة فيكون قيامه أشق على النفس فيكون الثواب فيه أكثر قال ابن عباس  
 من أحب ان يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليبه الله في ظلمة الليل ذكره القرطبي  
 (يحذر الآخرة) أي يحذر عذاب الآخرة قاله سعيد بن جبير ومقاتل (ويرجو رحمة ربه)  
 فيجمع بين الرجاء والخوف وما اجتمع في قلب رجل الا فاز قيل وفي الكلام حذف تقديره  
 كمن لا يفعل شيئا من ذلك كما يدل عليه السياق قيل الرحمة هنا المغفرة وقيل الجنة وهذا  
 يدل على ان جانب الرجاء أكمل وأولى ان ينسب الى الله تعالى وعن ابن عمر انه تلا هذه  
 الآية وقال ذلك عثمان بن عفان وفي لفظ نزلت في عثمان بن عفان وعن ابن عباس قال  
 نزلت في عمار بن ياسر وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس قال دخل رسول  
 الله صلى الله عليه وآله وسلم على رجل وهو في الموت فقال كيف مجدك قال أرجو الله  
 وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا  
 الوطن الا أعطاه الله الذي يرجو وأمنه الذي يخاف أخرجه من طريقين سيار بن حاتم عن  
 جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال الترمذي غريب وقد رواه بعضهم عن ثابت  
 عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرسل ثم أمر الله سبحانه رسوله ان يقول لهم قولوا آخر  
 يتبين به الحق من الباطل فقال (قل هل يستوي الذين يعلمون) ان ما وعد الله به من البعث  
 والثواب والعقاب حق (والذين لا يعلمون) ذلك والذين يعلمون ما أنزل الله على رسوله  
 والذين لا يعلمون ذلك والمراد العلماء والجهال ومعلوم عند كل من له عقل انه لا استواء بين  
 العلم والجهل ولا بين العالم والجاهل قال الزجاج أي كما لا يستوي الذين يعلمون والذين

لا  
 والغرائض والحدود وقال بعضهم الغسل من الجنابة وقال مالك عن زيد بن أسلم قال الامانة ثلاثة  
 الصلاة والصوم والاعتسال من الجنابة وكل هذه الاقوال لاتنافي بينها بل هي متفقة وراجعة الى انها التكليف وقبول  
 الاوامر والنواهي بشرطها وهوانه ان قام بذلك أئيب وان تركها عوقب فقبلها الانسان على ضعفه وجهله وظلمه الامن وفق  
 الله وبالله المستعان قال ابن ابي حاتم حدثنا أي حدثنا عبد العزيز بن المغيرة البصري حدثنا حماد بن واقد يعني ابا عمر الصقار  
 سمعت ابا معمر يعني عون بن معمر يحدث عن الحسن يعني البصري انه تلا هذه الآية انا عرضنا الامانة على السموات والارض  
 والجبال قال عرضها على السبع الطرائق التي زينت بالنجوم ووجه العرش العظيم فقيل لها هل تحملين الامانة وما فيها

قالت وما فيها قال قيل لها ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت قالت لا ثم عرضها على الأرضين السبع الشداد التي شددت بالاوناد وذلك بالمهاد قال فقيل لها هل تحملين الامانة وما فيها قالت وما فيها قال قيل لها ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت قالت لا ثم عرضها على الجبال النعم الشواخ الصلاب قال قيل لها هل تحملين الامانة وما فيها قالت وما فيها قال قيل لها ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت قالت لا وقال مقاتل بن حيان ان الله تعالى حين خلق خلقه جمع بين الانس والجن والسموات والارض والجبال فبدأ بالسموات فعرض عليهن الامانة (١٤١) وهي الطاعة فقال لهن أتحملن هذه الامانة

ولكن على الفضل والكرامة والثواب في الجنة فقلن يا رب انا لانستطيع هذا الامر وليس بنا قوة ولكالك مطيعين ثم عرض الامانة على الارضين فقال لهن اتحملن هذه الامانة وتقبلنها مني وأعطى كل من الفضل والكرامة فقلن لا صبرنا على هذا يا رب ولانطيق لك كالك سامعين مطيعين لانصعبك في شيء أمر تشابه ثم قرب آدم فقال له أتحمل هذه الامانة وترعاها حق رعايتها فقال عند ذلك ادم ما عندك قال يا آدم ان أحسنت وأطعت ورعيت الامانة فلك عندى الكرامة والفضل وحسن الثواب في الجنة وان عصيت ولم ترعها حق رعايتها وأسأت فاني معذبك ومعاقبك وأترتك النار قال رضيت يا رب وتحملها فقال الله عز وجل عند ذلك قد جلتكمها فذلك قوله تعالى وجلها الانسان رواه ابن أبي حاتم وعن مجاهد أنه قال عرضها على السموات فقالت يا رب حملتى الكواكب وسكان السماء وما ذكر وما أريدنوا بها ولا أجل فريضة قال وعرضها على

لا يعلمون كذلك لا يستوى المطيع والعاصي وقيل المراد بالذين يعلمون هم العاملون بعلمهم فانهم المستمعون به لان من لم يعمل بمنزلة من لم يعلم وقيل افتتح الله الآية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصل للانسان ذلك على كماله وفضله انما يتذكر أو ولو الالباب أى انما يعظ بوعظ الله ويتدبر ويتفكر فيه أصحاب العقول الصافية والقلوب النيرة وهم المؤمنون لا الكفار فانهم وان زعموا ان لهم عقولا فهى كالعدم وهذه الجملة ليست من جملة الكلام المأمور به بل من جهة الله سبحانه بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم (قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم) لما تفي سبحانه المساواة بين من يعلم وبين من لا يعلم وبين انه انما يتذكر أو ولو الالباب أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يأمر المؤمنين من عباده بالثبات على تقواه والايان به والمعنى يا أيها الذين صدقوا بتوحيد الله اتقوا ربكم بطاعته واجتناب معاصيه وامتنال أو امره واخلاص الايمان له ونفى الشرك عنه والمراد قل لهم قولى هذا بعينه ثم لما أمر الله سبحانه المؤمنين بالتقوى بين لهم ما في هذه التقوى من القوائد فقال (للذين أحسنوا) أى عملوا الاعمال الحسنة (في هذه الدنيا) على وجه الاخلاص (حسنة) عظيمة وهى الجنة وقوله في هذه الدنيا متعلق باحسنوا وقيل بحسنة على انه بيان انكناهم افيكون المعنى للذين أحسنوا في العمل حسنة في الدنيا بالصحة والعافية والظفر والغنمة والاول أولى ثم لما كان بعض العباد قد يتعسر عليه فعل الطاعات والاحسان في وطنه أرشد الله سبحانه من كان كذلك الى الهجرة فقال (وأرض الله واسعة) وبلاد كثيرة فليهاجر الى حيث تمكنه طاعة الله والعمل بما أمر به والتترك لما نهى عنه كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له في التفریط أصلا ومثل ذلك قوله سبحانه ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقدمضى الكلام في الهجرة مستوفى في سورة النساء وقيل المراد بالارض الواسعة هنا أرض الجنة رغبتهم في سعتها وسعة نعيمها كما في قوله جنسة عرضها السموات والارض والجنة قد تسمى أرضا قال تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض تنبؤاً من الجنة حيث نشاء والاول أولى وقيل ارتحلوا من مكة وتحولوا الى بلاد آخر واقتدوا بالانبياء والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم

الارض فقالت يا رب غرست فى الأشجار وأجريت فى الأنهار وسكان الارض وما ذكر وما أريدنوا بها ولا أجل فريضة وقالت الجبال مثل ذلك قال الله تعالى وجلها الانسان انه كان ظلوما جهولا فى عاقبة أمره وهكذا قال ابن جرير وعن ابن أشوع أنه قال لما عرض الله عليهن حمل الامانة ضحيجن الى الله ثلاثة أيام ولياليهن وقلن ربنا لا طاقة لنا بالعمل ولا نريد الثواب ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا هرون بن زيد بن أبي الزرقاء الموصلى حدثنا أبي حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم فى هذه الآية انا عرضنا الامانة على السموات والارض الآية قال الانسان بين أذنى وعاتق فقال الله عز وجل انى معينك عليها انى معينك على عينيك بطبقتين فاذا نازعنا الى ماء كره فأطبق ومعينك على لسانك بطبقتين فاذا نازعنا الى ماء كره فأطبق ومعينك على فركك

لباس فلا تكشفه الى ما أكره ثم روى عن أبي حازم نحو هذا وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله تعالى ان اعرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية قال ان الله تعالى عرض عليهن الامانة أن يقترض عليهن الدين ويجعل لهن ثوابا وعقابا ويستأمنن على الدين فقلن لا نحن مسخرات لامرك لانريدن ثوابا ولا عقابا قال وعرضها الله تبارك وتعالى على آدم فقال بين أذني وعاتقي قال ابن زيد فقال الله تعالى له اما اذا تحملت هذا فأسأمتك أ جعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى ما لا يحل لك فأرخ عليه حجابا واجعل للسانك بابا وغلقا فاذا

خشيت فأغلق واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه الاعلى ما أحلت لك وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمرو والسكوني حدثنا بقة حدثنا عيسى بن ابراهيم عن موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمرو بن رضى الله عنه وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الامانة والوفاء من لعل ابن آدم مع الانبياء فأرسلوا به فتمهم رسول ومتمهم نبي رسول ونزل القرآن وهو كلام الله وأنزلت العجبة والعربية فعملوا من القرآن وعلموا من السنن بألسنتهم ولم يدع الله تعالى شيئا من أمره مما يأتون وما يجتنبون وهي الحجج عليهم الا ينه لهم فليس أهل لسان الا وهم يعرفون الحسن والقبيح ثم الامانة أول شيء يرفع ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس ثم يرفع الوفاء والعهد والذم ويبقى الكتاب فعالم يعمل وجاهل يعرفها وينكرها ولا يحملها حتى وصل الى والى أمتى ولا يهلك على الله الا هالك ولا يغفل الا تارك فالحذر أيها الناس واياكم والسواس الخناس

وطاعة الى طاعتهم وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي وقيل من أمر بالمعاصي في بلد فليهرب منه ثم لما بين سبحانه ما للمعصنين اذا أحسنوا وكان لا بد في ذلك من الصبر على فعل الطاعة وعلى كف النفس عن الشهوات أشار الى فضيلة الصبر وعظيم مقدره فقال (انما يوفى الصابرون) على مفارقة وطنهم وعساكرهم وعلى غيرها من بجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازياد الخير (أجرهم) في مقابلة صبرهم وما كابدوه من العسر (بغير حساب) أي بما لا يقدر على حصره حاصر ولا يستطيع حسبانه حاسب وان كان معلوما محصى عند الله قال عطاء بما لا يهتدى اليه عقل ولا وصف وقال مقاتل أجرهم الجنة وأرزاقهم فيها بغير حساب وقيل قوله انما يوفى الصابرون ترغيب في التقوى المأمور بها وايشار الصابرين على المتقين للايذان بأنهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما أشير اليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق الهجرة والحاصل ان الآية تدل على ان ثواب الصابرين وأجرهم لانها لا تملك كل شيء يدخل تحت الحساب فهو متناه وما كان لا يدخل تحت الحساب فهو غير متناه وهذه فضيلة عظيمة وثبوتها جلية تقتضى من كل راعب في ثواب الله وطامع فيما عنده من الخير ان يتوفر على الصبر ويزم نفسه بزمامه ويقيدها بقيده فان الجزع لا يرد قضاء قد نزل ولا يجلب خيرا قد سلب ولا يدفع مكروها قد وقع واذا تصور العاقل هذا حق تصورته وتعلقه حق تعلقه علم ان الصابر على ما نزل به قد فاز بهذا الاجر العظيم وظفر به هذا الخير الخاطر وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء أم أبى ومع ذلك فانه من الاجر ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه فضم الى مصيبته مصيبة أخرى ولم يظفر بغير الجزع وما أحسن قول من قال

أرى الصبر محمودا وعنه مذاهب \* فكيف اذا ما لم يكن عنه مذهب

هناك يحق الصبر والصبر واجب \* وما كان منه للضرورة واجب

قال علي بن أبي طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرين فانه يحسب لهم حثيا وروى انه يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر حتى يتنى أهل العافية في الدنيا وان اجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب به أهل البلاء من الفضل ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبرهم ألا يجأ أمر به

فانما يلوكم أيكم أحسن عملا هذا حديث غريب جدا وله شواهد من وجوه أخر ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن خلف من العسقلاني حدثنا عبيد الله بن عبد الحميد الحنفي حدثنا أبو العوام القطان حدثنا قتادة وأبان بن أبي عياش عن خليم العصري عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) خمس من جاء بهن يوم القيامة مع ايمان دخل الجنة من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقفهن وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها وكان يقول وايم الله لا يفعل ذلك الا مؤمن واذى الامانة قالوا يا أبا الدرداء وما أداء الامانة قال رضى الله عنه الغسل من الجنابة فان الله تعالى لم يأمن (١) قوله خمس الخ كذا في الفسخ التي بأيدينا ولم يذكر الخمس كلها هنا فاعلمه اختصر الحديث اه معجمه



حديث وحسن خليقة وعفة طعمة هكذا رواه الامام أحمد في مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وقد قال الطبراني في مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما حديثنا يحيى بن أيوب العلاف المصري حدثنا سعيد بن أبي مرزوق حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ابن حجية عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع اذا كن فيك فلا عليك ما فانك من الدنيا حفظ أمانة رصديق حديث وحسن خليقة وعفة طعمة فزاد في الاسناد ابن حجية وجعله من مسند ابن عمر رضي الله عنهما وقد ورد النهي عن الحلف بالامانة قال عبد الله (١٤٤) بن المبارك في كتاب الزهد حدثنا شريك عن أبي اسحق الشيباني عن خناس

ابن سحيم أو قال جبله بن سحيم قال أقبلت مع زياد بن حدير من الجابية فقلت في كلامي لا والامة ففعل زياد بيكي ويكي فظننت اني أتيت أمرا عظيما فقلت له أكان يكره هذا قال نعم كان عمر بن الخطاب ينهى عن الحلف بالامانة أشد النهي وقد ورد في ذلك حديث مرفوع قال أبو داود حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا زهير حدثنا الوليد بن تلبية الطائي عن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بالامانة فليس منا فترديه أبو داود ودرجه الله وقوله تعالى لعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات أي انما جل ابن آدم الامانة وهي التكليف لعذب الله المنافقين منهم والمنافقات وهم الذين يظهرن الايمان خوفا من أهله ويطنون الكفر متابعة لأهله والمشركين والمشركات وهم الذين ظاهرا هم وباطنهم على الشرك بالله ومخالفة رسوله ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات أي ويرحم المؤمنين من الخلق بالله ولا يتركه وكتبه ورسله العالمين بطاعته وكان الله غفورا رحيما

لان الاول اخبار بانهم أمور من جهة الله بالايمان والعبادة والثاني اخبار بأنه أمر أن لا يعبد أحد غير الله (فاعبدوا ما شئتم) أن تعبدوه (من دونه) هذا الامر للتهديد والتقريع والتوبيخ كقوله اعلموا ما شئتم وفيه ايدان بأنهم لا يعبدون الله تعالى وقيل ان الامر على حقيقته وهو منسوخ بآية السيف والاول أولى (قل ان الخاسرين) الكاملين في الخسران هم (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) بتخليد الانفس في النار وعدم وصولهم الى الحور المعتدة لهم في الجنة لو آمنوا لان من دخل النار فقد خسر نفسه وأهله وأهلي جمع أهل وأصله أهلون أو أهليين والمراد بأهليهم أهل الآخرة وقيل أزواجهم وخدمهم وقيل أهلهم في الدنيا لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا يرجوع به عنه قال الزجاج وهذا يعني به الكفار فانهم خسروا أنفسهم بالتخليد في النار وخسروا أهلهم لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة قال ابن عباس في الآية هم الكفار الذين خلقهم للنار زالت عنهم الدنيا وحرمت عليهم الجنة وعنه قال أهلهم من أهل الجنة كانوا أعدوا لهم وأطاعوا الله فغيبوا هم (الأول هو الخسران المبين) مستأنفة لتأكيدها مقابليها وتصديرها بحرف التنبيه للاشعار بان هذا الخسران الذي حل بهم قد بلغ من العظم الى غاية ليس فوقها غاية وكذلك تعريف الخسران ووصفه بكونه ميبنا فانه يدل على انه الفرد الكامل من افراد الخسران وانه لا خسران يساويه ولا يعقوبه تدانيه ثم بين سبحانه هذا الخسران الذي حل بهم والبلاء النازل عليهم بعد تهويله بطريق الابهام فقال (لهم من فوقهم ظلل من النار) الظلل عبارة عن أطباق النار أي لهم من فوقهم أطباق وسرادقات وقطع كبار من النار تلتب عليهم واطلاق الظل عليها تكلم والافهى محرقة والظلة تقي من الحر (ومن تحتهم ظلل) أي أطباق من النار وفرش ومهاد وسمى ما تحتهم ظللا لانهم من اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر أو ان الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الايداء والحارة سميت باسمها لاجل المماثلة والمثابرة لأنها تظل من تحتها من أهل النار لان طبقات النار صارت في كل طبقة منها طائفة من طوائف الكفار ومثل هذه الآية قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غوش وقوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم (ذلك) أي ما ذكره من

وصف

(تفسير سورة سبأ وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له مافي السموات ومافي الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور) يخبر تعالى عن نفسه الكريمة ان له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة لانه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة المالك لجميع ذلك الحاكم في جميع ذلك كما قال تعالى وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون ولهذا قال تعالى ههنا الحمد لله الذي له مافي السموات ومافي الارض أي الجميع ما كره وعبيده وتحت

تصرفه وقهره كما قال تعالى وان لنا للاخرة والاولى ثم قال عز وجل وله الحد في الآخرة فهو المعبود ابداً المحمود على طول المدى وقوله تعالى وهو الحكيم أي في أقواله وأفعاله وشريعته وقدره الخبير الذي لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء وقال مالك عن الزهري خبير بخلقهم حكيم بأمره ولهذا قال عز وجل يعلم ما يليح في الأرض وما يخترج منها أي يعلم عدد القطر النازل في أجزاء الأرض والحب المبذور والساكن فيها ويعلم ما يخرج من ذلك عدده وكيفيته وصفاته وما ينزل من السماء أي من قطر ورزق وما يخرج فيها أي من الأعمال الصالحة وغير ذلك وهو الرحيم الغفور أي الرحيم بعباده (١٤٥) فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة الغفور عن ذنوب

التائبين إليه المتوكلين عليه (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليهم من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد) هذه احدى الآيات الثلاث التي لارابع لهن مما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما انكره من انكره من اهل الكفر والعناد فاحسداهن في سورة يونس عليه السلام وهي قوله تعالى ويستنبئونك أحق هو قل اي وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين والثانية هذه وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم والثالثة في سورة التغابن وهي قوله تعالى زعم الذين كفروا أن لن يبعنوا قل بلى

وصف عذابهم في النار وهو مبتدأ وخبره قوله (يخوف الله به عباده) المؤمنين أي يحذرهم بما توعد به الكفار من العذاب ليخافوه فيتقوه وهو معنى (يا عباد فاتقوا) أي اتقوا هذه المعاصي الموجبة لمثل هذا العذاب على الكفار ووجه تخصيص العباد بالمؤمنين ان الغلب في القرآن اطلاق لفظ العباد عليهم وقيل هو للكفار وأهل المعاصي وقيل هو عام للمؤمنين والكفار (والذين اجتنبوا الطاعات) هو بناء بالمبالغة في المصدر كالرحوت والعظمت وهو الاوثان والسيطان وقال مجاهد وابن زيد هو الشيطان وقال الضحاك والسدي هو الاوثان وقيل انه الكاهن وقيل هو اسم أعجمي مثل طالوت وجلوت وقيل انداسم عربي مشتق من الطغيان الا ان فيها قلباً بتقديم اللام على العين وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان قال الاخفش الطاعات جمع ويجوز أن يكون واحده مؤنثا والمعنى أعرضوا عن عبادته وخصوا عبادتهم بالله عز وجل وقوله (ان يعبدوها) في محل نصب على البدل من الطاعات بدل اشتمال كانه قال اجتنبوا عبادة الطاعات وقد تقدم الكلام على تفسير الطاعات مستوفى في سورة البقرة (وانابوا الى الله) معطوف على اجتنبوا والمعنى رجعوا اليه بالكيفية وأقبلوا الى عبادته معرضين عما سواه (لهم البشرى) بالثواب الجزيل وهو الجنة وهذه البشرى اما على السنة الرسل أو على السنة الملائكة عند حضور الموت أو عند البعث أو من الله تعالى لقوله تحميتهم يوم يلقونه سلام ولا مانع أن يكون من الله ومن الملائكة فان فضل الله واسع وقيل لهم البشرى في الدنيا بالثناء عليهم بصلاح أعمالهم وعند الوضوح في القبر وفي الآخرة عند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفي الجنة ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان (فبشر عباده) المراد بالعباد هنا العموم فيدخل الموصوفون بالاجتناب والابانة اليه دخولا وأما وقيل المراد بهم هم الموصوفون بالاجتناب الاوثان والابانة الى الله فالمقام للضمير وانما أتى به ظاهراً لوصفهم بما ذكر (الذين يستمعون القول) الحق من كتاب الله وسنة رسوله (فيستمعون أحسنه) أي يحكمه ويعملون به قال السدي يتبعون أحسن ما يأمرون به فيعملون بما فيه وقيل هو الرجل يسمع الحسن والقيح

(١٩ فتح البيان ثامن) وربى لتبعن ثم لتنبئن بما علمتم وذلك على الله يسير فقوله تعالى قل بلى وربى لتأتينكم ثم وصفه بما يؤكده ذلك ويترده فقال عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين قال مجاهد وقتادة لا يعزب عنه لا يغيب عنه أي الجيع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه شيء فالعظام وان تلاشت وتمزقت وتمزقت فهو عالم أين ذهب وأين تفرقت ثم يعيدها كما بدأها أول مرة فإنه بكل شيء عليم ثم بين حكمته في إعادة الابدان وقيام الساعة بقوله تعالى ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا عاجزين أي سعوا في الصدع سنبل الله تعالى وتكذيب رسوله أولئك لهم عذاب من رجز أليم أي لينعم السعداء من

المؤمنين ويعدب الاشقياء من الكافرين كما قال عز وجل لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كملفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار وقوله تعالى ويرى الذين آمنوا والعلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق هذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها وهي ان المؤمنين بما أنزل على الرسل اذا شاهدوا اقيام الساعة ومجازاة الابرار والتجار بالذي كانوا قد علموه من كتب الله تعالى في الدنيا أو وهم حينئذ عن اليقين ويقولون يومئذ انما لقد جاءت رسل ربنا بالحق ويقال أيضا هذا (١٤٦) ما وعد الرحمن وصدق المرسلون لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فيه ذايوم

فيتحدث بالحسن ويتكف عن القبيح فلا يتحدث به وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون الرخص والعزائم فيتبعون العزائم ويتركون الرخص وقيل يأخذون بالعفو ويتركون العقوبة وعن ابن عمر قال كان سعيد بن زيد وأبو ذر وسلمان يتبعون في الجاهلية أحسن القول والكلام لا اله الا الله قالوا بها فانزل الله على نبيه يستمعون القول فيتبعون أحسنه الآية ثم أتى الله سبحانه على هؤلاء المذكورين فقال (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم الابرار) أي هم الذين أولوا العلم الى الحق وهم أصحاب العقول الصحيحة لانهم الذين اتفعلوا بعقولهم ولم يتفعلوا من عداهم بعقولهم وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد قال لما نزلت فبشر عبادي الذين الآتية أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مناديا فنادى من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فاستقبل عمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فرده فقال يا رسول الله خشيت ان يتكلم الناس فلا يعلمون فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو يعلم الناس قدر رحمة ربى لاتكلموا ولو يعلمون قدر سخط ربى وعقابه لاستصغروا أعمالهم وهذا الحديث أصله في الصحيح من حديث أبي هريرة وفي الآية اشارة الى انار الاتباع وترك التقليد لان الله قد أتى على المتبعين بكونهم مهديين وسماهم اولى الابرار ولم يثن على التقليد ولا على أهله في موضع من القرآن الكريم بل ذمه وذمهم في غير موضع كما تقدم مرارا ثم ذكر سبحانه من سبق له الشقاوة وحرم السعادة فقال (أفمن حق عليه كلمة العذاب) من هذه موصولة في محل رفع على الابتداء وخبرها محذوف أي من يخاف أو أفان تلخصه أو تتأسف عليه أو شرطية وجوابه قوله (أفان تتقدم في النار) فالفاء الجواب دخلت على جملة الجزاء وأعيدت الهمزة الانكارية لتأكد معنى الانكار وقال سيبويه انه كرر الاستفهام لطول الكلام وقال القراء المعنى أفان تتقدم حقت عليه كلمة العذاب والمراد بها قوله تعالى لا بليس لاملان جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين وقوله لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم أجمعين وقيل قوله هؤلاء في النار ولا أبالي ومعنى الآية التسليم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانه كان حريصا على ايمان قومه فأعلمه الله ان من سبق عليه القضاء وحقت عليه كلمة الله لا يقدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يتقدمه من النار بان يجعله مؤمنا قال عطاء بن ريد بالهلب وولده ومن تخلف من عشرة

البعث ويرى الذين آمنوا والعلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويمهدى الى صراط العزيز الحميد العزيز هو المنيع الخائب الذي لا يغالب ولا يمانع بل قد فسر كل شيء وغلبه الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وهو المحمود في ذلك كله جل وعلا (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل يبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم انى خلق جديد أفترى على الله كذبا أم به جنه بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشاء نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لاية لكل عبد منيب) هذا اخبار من الله عز وجل عن استبعاد الكفرة المحدثين قيام الساعة واستهزائهم بالرسول صلى الله عليه وسلم في اخباره بذلك وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل يبئكم اذا مزقتم كل ممزق اى تفرقت أجسادكم في الارض وذهبت فيها كل مذهب وتمزقت كل ممزق انكم اى بعد هذا الحال لى خلق جديد

أى تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك وهو في هذا الاخبار لا يتخلوا أمره من قسمين اما ان يكون قد تعمد الافتراء على النبي الله تعالى انه قد أوحى اليه ذلك وأنه لم يتعمد لكن لبس عليه كما لبس على المعتوه والمجنون ولهذا قالوا أفترى على الله كذبا أم به جنه قال الله عز وجل راداعليهم بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد أى ليس الامر كما زعموا ولا كما ذهبوا اليه بل محمد صلى الله عليه وسلم هو الصادق البار الراشد الذى جاء بالحق وهم الكذبة الجهلة الاغبياء في العذاب أى الكفر المنقضى بهم الى عذاب الله تعالى والضلال البعيد من الحق في الدنيا ثم قال تعالى منها لهم على قدرته في خلق السموات والارض فقال



تعالى أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض أي حيثما توجهوا وذهبوا فالسما مظلة عليهم والأرض تحتهم كما قال عز وجل والسماء بينناها بأيدينا والموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون قال عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض قال انك ان نظرت عن يمينك أو عن شمالك أو من بين يديك أو من خلفك رأيت السماء والأرض وقوله تعالى ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء أي لو شئنا لقلعناهم ذلك بظلمهم وقد رتعا عليهم ولكن نؤخر ذلك لعلنا ونفونهم قال ان في ذلك (١٤٧) لآية لكل عبد منيب قال معمر عن قتادة منيب نائب وقال سفيان عن قتادة

المنيب المقبل إلى الله تعالى أي ان في النظر إلى خلق السماء والأرض لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجوع إلى الله على قدرته الله على بعث الاجساد ووقوع المعاد لان من قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وهذاه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها لانه لقادر على إعادة الاجسام ونشر الرميم من العظام كما قال تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وقال تعالى نخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقد ترى السرد واعم لواصالحا اني بما تعملون بصير) يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه الصلوة والسلام مما آتاه من الفضل المبين وجمع له بين النبوة والملك المتمكن والجنود ذوى العدد والعدد وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذي كان اذا سبح به تسبح معه الجبال

النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الايمان وفي الآية مجاز باطلاق المسبب وارادة السبب ونسبه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وان اجتهاده في دعائهم إلى الايمان سعي في انقاذهم من النار وأصل الكلام أفأتت تهدي من هو منغص في الضلال فوضع النار موضع الضلال ووضع المسبب موضع السبب لقوة أمره ثم عقب المجاز بما يناسبه من قوله تنقذت تهدي فهو ترشيح ولما ذكر سبحانه فيما سبق ان لاهل الشقاوة ظللا من فوقهم من النار ومن تحتهم ظللا استدرك عنهم من كان من أهل السعادة فقال (لكن الذين اتقوا ربهم) وهم الذين خوطبوا بقوله يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة وهم الخاطبون أيضا فيما سبق بقوله يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية وقبل لكن ليست للاستدراك لانه لم يأت قبله نبي بل هو اضراب عن قصة الى قصة مخالفة للاولى (لهم غرف من فوقها غرف) أى منازل في الجنة رفيعة فوقها منازل هي أرفع منها وذلك لان الجنة درجات بعضها فوق بعض وقوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله بذلك وعد الايخلفه وانها (منبئة) بناء المنازل فى احكام أساسها وقوة بناؤها وان كانت منازل الدنيا ليست بشئ بالنسبة اليها (تجرى من تحتها الانهار) أى من تحت تلك الغرف الفوقانية والحتانية وفى ذلك كمال لم يجتها وزيادة ونقها واتصاب (وعدا الله) على المصدريه المؤكدة لضمون الجملة لان قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك وجملة (لا يخلف الله الميعاد) مقررة للوعد أى لا يخلف الله ما وعده القرين من الخير والشر عن أى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان أهل الجنة يترأون أهل الغرف من فوقهم كما يترأون الكوكب الدرى الغابرى الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا ليارسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين متفق عليه ولما ذكر سبحانه الجنة ووصفها بوصف يوجب الرغبة والشوق اليها أتبعه بذكر الدنيا ووصفها بوصف يوجب الرغبة عنها والنقرة منها فذكر تمثيلا لها فى سرعة زوالها وقرب اضمحلالها مع ما فى ذلك من ذكر نوع من أنواع قدرته الباهرة ووصفه البديع فقال (الم تر أن الله أنزل من السماء ماء) أى من السحاب مطرا (فسلكه) أى فادخله واسكنه (ينابيع) أى عيوننا ومسالكنا وجرارى

الراسيات الصم الشاححات وتفعله الطيور اسارحات والغايات والرائحات وتجاوبه بانواع اللغات وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه يقرأ من الليل فوقف فاستمع لقراءته ثم قال صلى الله عليه وسلم لقد أوتى هذا زمرا من زمير آل داود وقال أبو عثمان النهدي ما سمعت صوت ضج ولا بر بط ولا وترأ حسن من صوت أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ومعنى قوله تعالى أوتى أى سبى قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد زعم أبو ميسرة انه بمعنى سبى بلسان الحبشة وفى هذا نظير فان التأويل فى اللغة هو الترجيع فأمرت الجبال والطيران ترجيع معه بأصواتها وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق

الزجاج في كتابه الجمل في باب النداء منه يا جبال أوبي معه أي سيرى معه بالتهاركه والتأويب سيرته اركاه والسرير سير الليل كله  
وهذا اللفظ وهو غريب جدا لم أره غيره وان كان له مساعدة من حيث اللفظ في اللغة لكنه بعيد في معنى الآية ههنا والصواب ان  
المعنى في قوله تعالى أوبي معه أي رحمني مسجعة معه كما تقدم والله أعلم وقوله تعالى وأنا له الحديدي قال الحسن البصري وقادة  
والاعمش وغيرهم كان لا يتأج أن يدخله نار ولا يضربه بمطر قبل كان يقبله بيده مثل الخيوط ولهذا قال تعالى أن اعمل سابغات  
وهي الدروع قال قتادة وهو أول من علمها (١٤٨) من الخلق وانما كانت قبل ذلك صنائع وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي

ابن الحسين حدثنا ابن سماعة حدثنا  
ابن ضمرة عن ابن شوذب قال كان داود  
عليه السلام يرفع في كل يوم درعا  
فيبيعها بستة آلاف درهم ألفين له  
ولأهله وأربعة آلاف درهم يطعم بها  
بنو اسرائيل خبز الحواري وقدر في  
السرد هذا الرشاد من الله تعالى  
لنبيه داود عليه السلام في تعلمه  
صناعة الدروع قال مجاهد في  
قوله تعالى وقدر في السرد لا تدق  
المسمار فيقل في الحلقة ولا  
تغلظه فيقسمها واجعله بقدر  
وقال الحكم بن عيينة لا تغلظه  
فيقسم ولا تدقه فيقل وهكذا  
روى عن قتادة وغير واحد وقال  
علي بن أبي طلحة عن ابن عباس  
السرد حاق الحديد وقال بعضهم  
يقال درع مسرودة اذا كانت  
مسورة الخلق واستشهد بقول  
الشاعر

وعلم ما مسرودتان مضاهما

داود أو صنع السوايق تبع  
وقد ذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة  
داود عليه الصلاة والسلام من  
طريق اسحق بن بشر وفيه كلام  
عن أبي الياس عن وهب بن منبه

وركايا (في الارض) كالعروق في الجسد والينابيع جمع ينوع من نبع الماء ينبع  
والينابيع عين الماء والامكنة التي ينبع منها الماء من خلال الارض او نفس الماء الجارى  
والمعنى أدخل الماء النازل من السماء في الارض وجعله فيها عيونا جارية او جعله في ينابيع  
اي في امكنة ينبع منها الماء فهو على الوجه الثاني منصوب بنزع الخافض قال مقاتل فجعله  
ركايا وعيونا في الارض وقال ابن عباس في الارض ماء الا نزل من السماء ولا يكن عروق  
في الارض تعبيره فذلك قوله فسلكه ينابيع في الارض فمن سره ان يعود الملح عذبا فليصده  
(ثم يخرج به) أي بذلك الماء من الارض وصيغة المضارع لاستحضار الصورة (زرعا مختلفا  
ألوانه) من أصفر وأخضر وأبيض وأحمر أو من بر وشعير وغيرهما اذا كان المراد بالالوان  
الاصناف وشمل لفظ الزرع جميع ما يستنبت حتى المقاث (ثم يهيج) أي يجف وييبس  
يقال هاج النبات يهيج هيجا اذا تم جفافه وحن له أن يتشعر عن منبته قال الجوهري يقال  
هاج النبات هياجا اذا يبس وأرض هاججة يبس بقلها أو اصفر وأهاجت الريح النبات  
أي يبسته قال السمرقندي الاصمعي يقال هاجت الارض تهيج اذا أدبر نباتها وولى قال  
وكذلك هاج النبات (فتراه) بعد خضرته ونضارته وحسن رونقه (مصفرا) قد ذهبت  
خضرته وزالت نضارته (ثم يجعله حطاما) أي متفتتا متكسرا من تحطم العود اذا انتت  
من اليبس ويقال للدابة اذا أسنت حطمة ويتعدى بالحركة فيقال حطمت حطما من باب  
ضرب فالحطيم وحطمة بالتشديد بالغة قرأ الجمهور ثم يجعله بالرفع عطف على ما قبله  
وقرى بالنصب باضمار ان ولا وجه لذلك (ان في ذلك) المذكور من الافعال الخمسة التي  
أولها أنزل (لذكري لا ولي الا باب) أي لتذكري اهل العقول الصحيحة فانهم الذين  
يتعلقون الاشياء على حقيقة ما يتفكرون ويعتبرون ويعلمون بان الحياة الدنيا حالها  
كحال هذا الزرع في سرعة التصرف وقرب التقضى وذهاب هيجتها وزوال رونقها  
ونضارتها فاذا أنتج لهم التفكير والاعتبار العلم بذلك لم يحصل منهم الاعتزاز بها والميل اليها  
وايثارها على دار النعيم الدائم والحياة المسخرة واللذة الخالصة ولم يبق معهم شك في ان الله  
قادر على البعث والحشر لان من قدر على هذا قدر على ذلك وقيل هو مثل ضربه الله  
للقرآن ولصدور من في الارض والمعنى أنزل من السماء قرآنا فسلكه في قلوب المؤمنين ثم  
يخرج به دينا بعبه أفضل من بعض فأما المؤمن فيزداد ايمانا و يقينا وأما الذي في قلبه

ما مضونه ان داود عليه السلام كان يخرج متسكرا فيسأل الركبان عنه وعن سيرته فلا يسأل أحدا الا نفي مرض

عليه خبرا في عبادته وسيرته وعمله عليه السلام قال رهب حتى بعث الله تعالى ما كفى صورة رجل فلقبه داود عليه الصلاة والسلام  
فسأله كما كان يسأل غيره فقال هو خير الناس لنفسه ولائمه الا ان فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملا قال ما هي قال يا كل  
ويطعم عياله من مال المسلمين يعني بيت المال فعند ذلك نصب داود عليه السلام الى ربه عز وجل في الدعاء ان يعلمه عملا بيده يستغني  
به ويغني به عياله فالان الله عز وجل له الحديد وعلمه صناعة الدروع فعمل الدرع وهو أول من عملها فقال الله تعالى أن اعمل

سابغات وقد رقى السرد يعني مسامرا الحق قال وكان يعمل الدرع فاذا ارتفع من عمله درع باعها فتمسك بثلثها واشترى بثلثها ما يكفيه وعياله وأمسك الثلث يتصدق به يوما بيوم الى ان يعمل غيرها وقال ان الله تعالى أعطى داود شيئا لم يعطه غيره من حسن الصوت انه كان اذا قرأ الزبور يجمع الوحش اليه حتى يؤخذ بأعناقها وما تنفروا ما صنعت الشياطين المزمار والرباط والصنوج الاعلى أصناف صوته عليه السلام وكان شديدا لاجتهاد وكان اذا افتتح الزبور بالقراءة كأنما ينفتح في المزمار وكان قد أعطى سبعين من ماراتي حلقه وقوله تعالى واغلووا الصالحا في الذي أعطاكم الله (١٤٩) تعالى من النعم اني بما تعملون بصيرا ومرقب

لكم بصير باعمالكم وأقوالكم لا يخفى على من ذلك شيء (ولسليمان الريح غدوة شهر ورواحها شهر وأسئله عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بأذن ربه ومن يزغ منهم من أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعلموا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور) لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان عليهم الصلاة والسلام من تسخير الريح له تحمل بساطه غدوة شهر ورواحها شهر قال الحسن البصري كان يغدو على بساطه من دمشق فيتمشق باصطخر يتغذى بها ويذهب رائحا من اصطخر فيبيت بكابل وبين دمشق واصطخر شهر كامل للمسرع وبين اصطخر وكابل شهر كامل للمسرع وقوله تعالى وأسئله عين القطر قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراساني وقتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد القطر الخحاس قال قتادة وكانت باليمن فكل ما يصنع

مرض فانه يجمع كل شيء الزرع وهذا بالتغيير أشبه منه بالانفس ثم لما ذكر سبحانه ان في ذلك لذكرا لى الألباب ذكر شرح الصدر للاسلام لأن الانتفاع الكامل لا يحصل الا به فقال (أخبرني شرح الله صدره للاسلام) أي وسعه لقبول الحق وفتحه للاهداء الى سبيل الخير قال السدي وسع صدره للاسلام للفرح به والطمأنينة اليه وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو منبع الروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فان شرحه مستعد لان شرح القلب والكلام في الهمة والفناء كما تقدم في آفئ حق ومن الخ مبتدأ وخبرها محذوف تقديره كن قسي قلبه وطبع الله عليه وخرج صدره فلم يمتدود على هذا الخبر المحذوف قوله فويل للقاسية قلوبهم والمعنى آفئ وسع الله صدره للاسلام فقبله واهتدى بهديه (فهو) بسبب ذلك الشرح (على نور) أي على بيان وبصيرة ويقين وهداية (من ربه) يفيض عليه كن قسي قلبه لشوء اختياره فصارت في ظلمات الضلالة وبلبات الجهالة قال قتادة النور كآب الله به يؤخذ واليه ينتهي قال الزجاج تقدير الآية آفئ شرح الله صدره كن طبع على قلبه فلم يمتد لقسوته قال ابن عباس من شرح الله صدره للاسلام أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية قلنا يا نبي الله كيف انشرح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا فما علامة ذلك يا رسول الله قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وأخرج ابن مردويه عن محمد بن كعب القرظي مر فوعا مرسل وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن ابن عمر أن رجلا قال يا نبي الله أي المؤمنين أكيس قال أكثرهم ذكرا للموت وأحسنهم له استعدادا واذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع فقالوا ما آية ذلك يا نبي الله قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وأخرجه عن أبي جعفر عبد الله بن المسور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخوه وزاد فيه ثم قرأ آفئ شرح الله صدره للاسلام (فويل للقاسية قلوبهم من ذلك) قال الفراء والزجاج أي عن ذلك الله كما تقول انخمت عن طعام أكلته ومن طعام أكلته والمعنى أنه غلط قلبه وجفان قبول ذلك الله والقسوة جود وصلابة تحصل في القلب يقال قسي القلب اذا صلب وقلب قاس أي صلب لا يرق ولا يلين وقيل

الناس مما أخرج الله تعالى لسليمان عليه السلام قال السدي وانما أسئله لثلاثة أيام وقوله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه بأذن ربه أي وسخر ناله الجن يعملون بين يديه بأذن ربه أي القدور وتسخره لهم بمشيئته ما يشاء من البنات وغير ذلك ومن يزغ منهم عن أمرنا أي ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة نذقه من عذاب السعير وهو الحريق وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا فقال حدثنا أبي حدثنا صالح حدثنا معاوية بن صالح عن أبي الزهراء عن جبير بن نفير عن أبي نعلبة الخشني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجن على ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء وصنف حيات وكلاب

وصنف يحلون ويظعنون رفعه عريب جدا وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا حمرلة حدثنا ابن وهب أخبرني بكر بن مضر عن محمد بن بجير عن ابن أنعم أنه قال الجن ثلاثة أصناف صنف لهم الثواب وعابهم العقاب وصنف طيارون فيما بين السماء والارض وصنف حيات وكلاب قال بكر بن مضر ولا أعلم إلا أنه قال حدثني أن الانس ثلاثة أصناف صنف يظلمهم الله بظلم عرشه يوم القيامة وصنف كالانعام بل هم أضل سبيلا وصنف في صور الناس على قلوب الشياطين وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا سلمة يعني ابن الفضل عن (١٥٠) اسمعيل عن الحسن قال الجن ولد ابليس والانس ولد آدم ومن هؤلاء

مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون وهم شر كأهم في الثواب والعقاب ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولي الله تعالى ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان وقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل أما المحاريب فهي البناء الحسن وهو أشرف شيء في المسكن وسدرة وقال مجاهد المحاريب بنيان دون القصور وقال الضحاك هي المساجد وقال قتادة هي القصور والمساجد وقال ابن زيد هي المساكن وأما التماثيل فقال عطية العوفي والضحاك والسدي التماثيل الصور قال مجاهد وكانت من نحاس وقال قتادة من طين وزجاج وقوله تعالى وجفان كالجواب وقدور راسيات الجواب جمع جارية وهي الحوض الذي يجبي فيه الماء كما قال الاعشى ميمون بن قيس

تروح على آل الملقح جننة كجارية الشيخ العراقي تفهق وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما كالجواب أي كالجوبة من الارض وقال

المعنى من أجل ذكره الذي من حقه ان تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب والمعنى انه اذا ذكر الله اشماز واول اولى ويؤيده قراءة من قرأ عن ذكر الله أي اذا ذكر الله عندهم أو آياته ازدادت قلوبهم سقساوة كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعدة عن قبول الحق فان سماعها لذكر الله لا يزيد الا قسوة وكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد الملح فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه ولا يزيد الكافر من الاقسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعبودية أعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم الا نزع منهم الرجسة وأخرج الترمذي وابن مردويه وابن شاهين في الترغيب في الذكر والبيهقي في الشعب عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان أبعث الناس من الله القلب القاسي والاشارة بقوله (أولئك) الى القاسية قلوبهم (في ضلال مبين) أي غواية ظاهرة واضحة ثم ذكر سبحانه بعض أوصاف كتابه العزيز فقال (الله نزل أحسن الحديث) يعنى القرآن الذي فيه مندوحة عن سائر الاحاديث وسماه حديثا لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتحدث به قومه ويخبرهم بما نزل عليه منه وفيه بيان ان أحسن القول المذكور سابقا هو القرآن وفي ايقاع الاسم الشريف مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم لشأن أحسن الحديث والوصف به ذا الوجهين أحدهما من جهة اللفظ لان القرآن من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه وليس هو من جنس الشعرو لا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل في أسلوبه والثاني من جهة المعنى لانه كتاب منزله عن التناقض والاختلاف مستقل على أخبار الماضين وقصص الاولين وعلى أخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار وغير ذلك (كأبا) بدل من أحسن الحديث أو حال منه (متشابه) صفة لكتاب أي يشبهه بعضه بعضا في الحسن والاحكام وصحة المعاني وقوة المباني وبلوغه الى أعلى درجات البلاغة والدلالة على المنافع العامة وقال قتادة يشبه بعضه بعضا في الآتى والحروف وقيل يشبه كتب الله المنزلة على أنبيائه عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله لو حدثتنا فنزل الله نزل أحسن الحديث الآية (متشابه) صفة أخرى لكتاب وهو جمع مثني أو مثني وانته من التثنية بمعنى التكرير أي تثنى فيه القصص وتكرر فيه المواعظ والاحكام وقيل يثنى في التلاوة فلا

العوفي عنه كالحياض وكذا قال مجاهد والحسن وقاتدة والضحاك وغيرهم والقدر الراسيات أي الثابتات في أما كتبهم لا تتحرك ولا تتحول عن أما كتبها كذا قال مجاهد والضحاك وغيرهما وقال عكرمة أنافها منها وقوله تعالى اعلموا آل داود شكرا أي وقتنا لهم اعمالا شكرا على ما أنعم به عليهم في الدين والدنيا وشكرا مصدر من غير الفعل أو انه مفعول له وعلى التقديرين فيه دلالة على ان الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول والنية كما قال الشاعر أفادتكم النعماء مني ثلاثة \* يدي ولساني والضمير المحجبا

قال أبو عبد الرحمن السبلي الصلاة شكر والصيام شكر وكل خير عمله لله عز وجل شكر وأفضل الشكر الحمد رواه ابن جرير وروى هو وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال الشكر تقوى الله تعالى والعمل الصالح وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل وقد كان آل داود عليهم السلام كذلك قائمين بشكر الله تعالى قولاً وعملاً قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي بكر حدثنا جعفر يعني ابن سليمان عن ثابت البناني قال كان داود عليه السلام قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة فكان لا تأتي عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي فغمرتهم

(١٥١)

عبادى الشكور وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفطر إذا لاقى وقد روى أبو عبد الله بن ماجه من حديث سعيد بن داود حدثنا يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أم سليمان بن داود عليهم السلام لسليمان يا بني لا تكثرا النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم القيامة وروى ابن أبي حاتم عن داود عليه الصلاة والسلام ههنا أثر غريباً مطولاً جداً وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا عمران بن موسى حدثنا أبو زيد فيص بن اسحق الرقي قال قال فضيل في قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور اخباراً عن الواقع (فلما

يل سامعه ولا يسأم قارئه قرأ الجمهور مثاني بفتح الباء وقرئ بسكونها تخفيفاً واستنقلاً لتكريريكها وعلى انها خبر مبتدأ محذوف أى هو مثاني قال ابن عباس القرآن كله مثاني وعنه قال القرآن يشبه بعضه ببعضاً ويرد بعضه الى بعض وعنه قال كآب الله مثاني ثنى فيه الامر مراراً ووصف الواحد بالجمع لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشئ هى جلته لا غير الأترك تقول القرآن أسباع وأجناس وسور وآيات فكذلك تقول أحكام وأقاصيص ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عروق وعظام وأعصاب أو منصوب على التمييز من متشابهها كما تقول رأيت رجلاً حسنًا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه قال الرازى فى تبيين معنى مثاني ان أكثر الاشياء المذكورة فى القرآن متكررة زوجين زوجين مثل الامر والنهى والعام والخاص والمجمل والمفصل وأحوال السموات والارض والجنة والنار والنور والظلمة واللوح والقلم والملائكة والشياطين والعرش والكبرى والوعود والوعيد والرجاء والخوف والمقصود من ذلك البيان ان كل شئ مما سوى الحق زوج وان الفرد الاحد الحق هو الله ولا يخفى ما فى كلامه ههنا من التكافؤ والبعث عن مقصود التنزيل (تقشعرت منه جلود الذين يحشون ربهم) أى تضطرب وتتحرك وتشتمر صفة لكتاب أو حال منه لانه وان كان نكرة فقد تخصص بالصفة أو مستأنفة لبيان ما يحصل عند سماعه من التأزسا عليه والاقشعرات القبض يقال اقشعرت جلدك اذا تقبض وتجمع من الخوف ووقف شعره ومنه القشعريرة والمعنى انها تأخذهم منه قشعريرة قال الزجاج اذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله وهى تغيير يحدث فى جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد بالجلود القلوب والاولى اولى لذكرها فيما بعد قال الواحدى وهذا قول جميع المفسرين وقيل المعنى ان القرآن لما كان فى غاية الجزالة والبلاغة فكانوا اذا رأوا وعجزهم عن معارضته اقشعرت جلودهم منه اعظاما له وتجباناً حسنة وبلاغته عن عبد الله بن الزبير قال قلت لجلدتي أسماء كيف كان يصنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قرأوا القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعرت جلودهم قلت فان ناساهمنا اذا سمعوا ذلك تأخذهم عليه غشية قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ثم تلبس جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) عدى تلبس بالى لتضمينه فعلا يعدى بها كأنه قيل سكنت واطمأنت الى ذكر الله

قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خرت بينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبسوا فى العذاب المهين) يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام وكيف عمى الله موته على الجن المسخرين له فى الاعمال الشاقة فانه مكث متوكفا على عصاه وهى منسأته كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والحسن وقادة وغير واحد مدة طويلة نحو ما من سنة فلما أكلتها دابة الارض وهى الارضة ضعفت وسقط الى الارض وعلم أنه قدمات قبل ذلك بمدة طويلة تبينت الجن والانس أيضاً ان الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع غريب وفى صحته نظر قال ابن جرير

حدثنا أحمد بن منصور حدثنا موسى بن مسعود حدثنا أبو حذيفة حدثنا إبراهيم بن طهمان عن عطاء عن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان نبي الله سليمان عليه السلام إذا صلى رأى شجرة بابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا فيقول لاى شئ أنت فان كانت تغرس غرس وان كانت لدواء كتبت فينباها هو صلى ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروب قال لاى شئ أنت قالت لخراب هذا البيت فقال سليمان عليه السلام اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الانس ان الجن (١٥٢) لا يعلمون الغيب فتحتمها عصاة وكأعلمها حولاميتا والجن تعمل

لينة غير منقبضة ومفعول ذ كرا لله محذوف والتقدير الى ذ كرا لله رحمة وتوابه وحننه وحذف للعلم به قال بعض العارفين اذا نظروا الى عالم الخلال طاشوا واذا لاح لهم عالم الجبال عاشوا قال قتادة هذا نعت اولياء الله نعمتهم بأنهم نقشعروا حولدهم وتطمئن قلوبهم الى ذ كرا لله ولم ينعمتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان وروى ان ابن عمر مر برجل من أهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن أسمع ذ كرا لله سقط فقال ابن عمر ان الخشى الله وما نسقط وعنه قال ان الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وذ كرا عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجله ثم يقرأ عليه القرآن من أوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق وذ كرت الجلود وحدها أو لا ثم قرنت بها القلوب نائبا لان محل الخشية القلب فكان ذ كرها يتضمن ذ كرا القلوب وقيل ان المكاشفة في مقام الرجاء كمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب واذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمان اليه القلب ولان الجلد (ذلك) الكتاب الموصوف بتلك الصفات (هدى الله يهدى به من يشاء) أن يهديه من عباده وقيل الاشارة الى ما وهبه الله لهؤلاء من خشية عذابه ورجائه (و من يضل الله) أى يجعل قلبه مغفلا قاسيا غير قابل للعقوب (فقاله من هاد) يهديه الى الحق ويخلصه من الضلال قرأ الجمهور من هاد بغير ياء وقرئ بالياء ثم لما حكم على القاسية قلوبهم بحكمهم في الدنيا وهو الضلال حكم عليهم في الآخرة بحكم آخر وهو العذاب فقال (أفمن يتقى بوجهه) الاستفهام للانكار وقد تقدم الكلام فيه وفي هذه الفاء الداخلة على من في قوله أفمن حق عليه الخ ومن مبتدأ والخبر محذوف دلالة المقام عليه والمعنى أفمن شأنه أن يتقى نفسه بوجهه الذى هو أشرف أعضائه (سوء العذاب يوم القيامة) لكون يده قد صارت مغلولة الى عنقه مكن هو آمن لا يعتره شئ من ذلك ولا يحتاج الى الاتقاء قال الزجاج المعنى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن يدخل الجنة قال عطاء وابن زيد يرمى بمكتوف فى النار فأول شئ تمس النار منه وجهه وقال ابن عباس ينطلق به الى النار مكتوفاً يرمى به فيها فأول ما عسى وجهه النار وقال مجاهد يجزع على وجهه فى النار قال الاخفش المعنى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب أفضل أم من سعد مثل قوله تعالى أفمن

فأكلتها الارضة فتبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً فى العذاب المهين قال وكان ابن عباس يقرأها كذلك قال فسكرت الجن للارضة فكانت تأنى بالماء وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث ابراهيم بن طهمان به وفي رفعه غرابة ونكارة والاقرب أن يكون موقوفاً وعطاء بن أبي مسلم الخراسانى له غرائب وفي بعض حديثه نكارة وقال السدى فى حديث ذكره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم قال كان سليمان عليه الصلاة والسلام يتحنث فى بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين وأقل من ذلك رأى كثير فمدخل فيه ومعه طعامه وشرايه فأدخله فى المرة التى توفى فيها فكان بدء ذلك انه لم يكن يوم يصبح فيه الا ينبت الله بيت المقدس فيه شجرة فيأتها فيسألها فيقول ما اسمك فتقول الشجرة اسمى كذا وكذا

فان كانت لغرس غرسها وان كانت نبت دواء قالت نبت دواء كذا وكذا فيجعلها كذلك حتى ينبت شجرة يقال يلقي لها الخروبة فسألها ما اسمك قالت أنا الخروبة قال ولاى شئ نبت قالت نبت لخراب هذا المسجد قال سليمان عليه الصلاة والسلام ما كان الله ليخبره وأنا حتى أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائط له ثم دخل المحراب فقام يصلى متكئاً على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين وهم فى ذلك يعملون له يخافون أن يخرج عليهم فيعاقبهم وكانت الشياطين تحتسح حول المحراب وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه فكان الشيطان الذى يريد ان يخلع يقول ألسنت جلدنا ان دخلت فخرجت من ذلك

الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر فدخل شيطان من أوائل فرولم يكن شيطان ينظر الى سليمان عليه السلام في الحراب الا احترق فزولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق ونظر الى سليمان عليه السلام قد سقط ميتا فخرج فاخبر الناس ان سليمان قد مات ففتحو عليه فاخرجوه ووحدوا منسأته وهي العصابة لسان الخبثه قدأكلتها الارضة ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك الخوف ووجدوه قد مات منذ سنة وهي في قراءة ابن مسعود رضى الله عنه فكثروا يدعون له من بعد موته (١٥٣) حولا كاملا فيقن الناس عند ذلك ان

الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم لم يطلعون على الغيب لعلوا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له وذلك قول الله عز وجل ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خربت بينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين يقول تين أمرهم للناس انهم كانوا يكذبونهم ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ولما كنا سننقل اليك الماء والطين قال فهم ينقلون اليها ذلك حيث كانت قال ألم ترالى الطين الذى يكون فى جوف الخشب فهو ماتا تهابه الشياطين شكرها وهذا الاثر والله أعلم اتاهو مما تلقى من علماء أهل الكتاب وهي وثق لا يصدق منه الا ما وافق الحق ولا يكذب منها الا ما خاف الحق والباقي لا يصدق ولا يكذب وقال ابن وهب وأصعب بن الفرج عن عبد الرحمن عن زيد بن أسلم فى قوله تبارك وتعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل

يلقى فى النار خير أم من يأتي أمنا يوم القيامة ثم أخبر سبحانه عما يقوله الخزنة للكفار فقال (وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون) وهو معطوف على يتقى أى ويقال لهم وجاء بصيغة الماضي للدلالة على التحقيق ووضع الظاهر موضع المضمرة للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعله الامر فى قوله ذوقوا قال عطاء أى جزاء ما كنتم تعملون ومثل هذه الآية قوله هذا ما كنتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكذبون وقد تقدم الكلام على معنى الذوق فى غير موضع ثم أخبر سبحانه عن حال من قبلهم من الكفار فقال (كذب الذين من قبلهم) أى من قبل الكفار المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى انهم كذبوا رسالهم (فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) أى من جهة لا يحتسبونها اتيان العذاب منها وذلك عند انهم رغبتم عن عقوبة الله لهم بتكذيبهم (فاذا فهم الله الخزي) أى الذال والهوان (فى الحياة الدنيا) بالسخن والخسف والقتل والاسر والجلاء وغير ذلك (والعذاب الاخرة أكبر) لكونه فى غاية الشدة مع دوامه (لو كانوا يعلمون) أى لو كانوا ممن يعلم الاشياء ويتفكر فيها ويعمل بمتضى عمله لا منوا أو ما كذبوا قال المبرد يقال لكل ما نال الجارحة من شئ قد ذاقته اى وصل اليها كما تصل الخلاوة والمرارة الى الذائق لهم ما قال وانخزي المكروه (ولقد اللام موثمة للقسم) (ضر بنا للناس فى هذا القرآن) اى جعلنا واوجدنا وبيننا (من كل مثل) قد قدمنا تحقيق المثل وكيفية ضره فى غير موضع ومعنى من كل مثل ما يحتاجون اليه فى امر دينهم وليس المراد ما هو أعم من ذلك فهو هنا كفاى قوله ما فرطنا فى الكتاب من شئ أى من شئ يحتاجون اليه فى امر دينهم وقيل المعنى ما ذكرنا من اهلاك الامم السالفة مثل لهؤلاء (اعلمهم يتذكرون) يتعظون فيعتبرون (قرأنا عريبا) حال مؤكدة من هذا وتسمى هذه حالا موثمة لان الحال فى الحقيقة هو عريبا وقرأنا موثمة له نحو جاءنى زيد رجلا صالحا كذا قال الاخفش ويجوز ان يقصد على المدح قال الزجاج عريبا منتصب على الحال وقرأنا تو كيد (غير ذى عوج) أى لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه قال الضحاك أى غير مختلف قال النحاس أحسن ما قيل فى معناه قول الضحاك وقيل غير متضاد وقيل غير ذى بس وقيل غير ذى لحن وقيل غير ذى شئ كما قال الشاعر

(٢٠) فتح البيان (ثامن) منسأته قال قال سليمان عليه السلام ملك الموت اذا أمرت بى فأعلمنى فأناه فقال يا سليمان قد أمرت بك قد تبئت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير وليس له باب فقام يصلى فاتكأ على عصاه قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكى على عصاه ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت قال والجن تعمل بين يديه وينظرون اليه يحسبون انه حي قال فبعث الله عز وجل دابة الارض قال والدابة تأكل العبيدان يقال لها القادح فدخلت فيها فاأكلتها حتى اذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر ميتا فلما رأته ذلك الجن انفضوا وذهبوا قال فذلك قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل

منسأته قال أصبغ بلغني عن غيره انها قامت سنة تأكل منها قبل ان يجزى وقد ذكر غير واحد من السلف نحو من هذا والله أعلم (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتى أكل حط وأثل وشى من سدر قليل ذلك جزيناهم عما كفروا وهل نجازى الا الكفور) كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها وكانت التبابعة منهم وبلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع أرزاقهم (١٥٤) وزروعهم وثمارهم وبعث الله تبارك وتعالى اليهم الرسل تأمرهم ان يأكلوا

وقد أتاك يمين غير ذى عوج \* من آله وقول غير مكذوب

وقال ابن عباس غير مخلوق وقيل معناه صحيح مستقيم يفهم ولا يلتبس بخلافه من الباطل (لعلهم يتقون) علة اخرى بعد العلة الاولى وهى لعلهم يتدكرون أى لى يتقوا الكفر والكذب وقيل علة لقوله لعلهم يتدكرون فالاول سبب فى الثانى ثم ذكر سبحانه مثلاً من الامثال القرآنية للتذكير والايضا فقال (ضرب الله مثلاً) أى تمثيل حالة عجيبة باخرى مثلها ثم بين المثل فقال (رجل فيه شركاء متشاكسون) قال الكسائى نصب رجلاً لانه نفسه ير للمثل وقيل منصوب بنزع الخافض أى ضرب الله مثلاً برجل وقيل ان رجلاً هو المفعول الاول ومثلاً هو المفعول الثانى وأخر المفعول الاول ليتصل بما هو من تمامه وقد تقدم تحقيق هذا فى سورة يس وجمله فيه شركاء فى محل نصب صفة لرجل وانتشاكس الخالف وأص له سوء الخلق وعسره وهو سبب الخالف والتشاكس ويقال التشاكس بالخاء المعجمة قال الفراء أى يختلفون وقيل متنازعون وقال المبرد متعاسرون من شكس يشكس شكسافه وشكس مثل عسر يعسر عسراً فهو عسر وشكس بكسر الكاف هو القياس قال الجوهري التشاكس الاختلاف قال ويقال رجل شكس بالتسكين أى صعب الخلق وهذا مثل من أشرك بالله وعبد آلهة كثيرة ثم قال (ورجلاً مسلماً لرجل) أى خالصه وهذا مثل من عبد الله وحده قرأ الجهور مسلماً بفتح السين واللام وقرئ بكسر السين وسكون اللام وقرأ ابن عباس ومجاهد والبخاري وابن كثير ويعقوب سألماً اسم فاعل من سلم فهو سلم واختارها أبو عبيد قال لان السلم الخالص ضد المشترك والسلم ضد الحرب ولا موضع للعرب ههنا وأجيب عنه بان الحرف اذا كان له معنيان لم يحمل الاعلى أو لاهما فالسلم وان كان ضد الحرب فله معنى آخر يعنى سلم من سلم له كذا اذا خلاص له وأيضاً يلزمه فى سلم ما يلزم به لانه يقال شئ سلم أى لا عاهة فيه واختار أبو حاتم القراءة الاولى والحاصل ان قراءة الجمهور هى على الوصف بالمصدر للمبالغة وعلى حذف مضاف أى ذاسلم ومثلها قراءة سعيد بن جبيرة ومن معه قال ابن عباس رجلاً مسلماً أى ليس لاحد فيه شئ ثم جاء سبحانه بما يدل على التفاوت بين الرجلين فقال (هل يستويان مثلاً) وهذا الاستفهام لانكار والاستبعاد والمعنى هل يستوي هذا الذى يتخدم جماعة شركاء أخلاقهم مختلفة وبناتهم متباينة يتخدمه كل واحد منهم فيتعبد

من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته فكانوا كذلك ماشاء الله تعالى ثم أعرضوا عما امروا به فموجبوا بأرسال السيل والتفرق فى البلاد أيدى سبأ شذر مذر كما سأتى ان شاء الله تعالى تفصيله ويانه قرى يابو به الثقة قال الامام احمد رحمه الله حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن ابن وغلة قال سمعت ابن عباس يقول ان رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو أرجل أم امرأة أم أرض قال صلى الله عليه وسلم بل هو رجل ولده عشرة فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة فاما اليمانيون فخرج وكندة والازد والاشعريون وأتمار وجيروا والشامية فلنهم وجدام وعاملة وغسان ورواه عبد عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة به وهذا اسناد حسن ولم يجزى وقد رواه الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى كتاب القصد والامم معرفة أصول انساب العرب والعجم من حديث ابن لهيعة عن علقمة بن وغلة عن ابن عباس رضى الله عنهما فقد ذكر نحوه وقد

روى نحوه من وجه آخر وقال الامام احمد أيضاً وعبد بن حميد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا ابو حبيب يعقوب بن وينب أبو حبة الكلبي عن يحيى بن هرون عن عروة عن فروة بن مسيد رضى الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انا قاتل بمقبيل قومي مدبرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقاتل بمقبيل قومك مدبرهم فلما وليت دعائى فقاتل لا تقاتلهم حتى تدعوهم الى الاسلام فقلت يا رسول الله أرى سبأ وأدهوا وجبل أو ما هو قال صلى الله عليه وسلم لا بل هو رجل من العرب ولده عشرة فيسمن ستة وتشاهم أربعة تيامن الازد والاشعريون وجيروا وكندة ومدج وأتمار الذين يقال لهم سبأ بجيلة وخشم



وتشامم فحرم وجدام وعامله وغسان وهذا أيضا اسناد حسن وان كان فيه أبو حبيب الكلابي وقد تكلموا فيه لكن رواه ابن جرير عن  
 أبي كريب عن العبقري عن اسباط بن نصر عن يحيى بن هاني المرادي عن عمه أو عن أبيه شك اسباط قال قدم فروة بن مسيك رضي  
 الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره طريق أخرى لهذا الحديث قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن  
 وهب حدثنا ابن لهيعة عن توبة بن عمير عن عبد العزيز بن يحيى انه أخبره قال كاعن عبد عبيدة بن عبد الرحمن باقر ببيعة فقال يوما  
 ما ظن قوما بأرض الا وهم من أهلها فقال علي بن رباح كلاك قد حدثني فلان (١٥٥) ان فروة بن مسيك الغطيفي رضي الله

وينصب مع كون كل واحد منهم غير راض بخدمته وهذا الذي يخدم واحد الا ينازعه  
 غيره اذا أطاعه رضى عنه واذا عصاه عفا عنه فان بين هذين من الاختلاف الظاهر  
 الواضح ما لا يقدر عاقل ان يتقوه باستواءهما لان أحدهما في أعلى المنازل والاخر في  
 أدناها واتصاب مثلا على التمييز الخول عن الفاعل لان الاصل هل يستوى مثلهما  
 أى حالهما وصفتهما وأفراد التمييز ولم يثنه لان الاصل في التمييز الافراد لكونه مبينا  
 للجنس وقال السمين وأفراد التمييز لانه مقتصر عليه أولا في قوله ضرب الله مثلا وقرئ  
 مثلين فطابق على الرجلين وجلة (الحمد لله) مقرر لما قبلها من نفي الاستواء بطريق  
 الاعتراض وللإيدان للموحدين بما في توحيدهم لله من النعمة العظيمة المستحقة  
 لتخصيص الحمد به أى الحمد لله على عدم استواء هذين الرجلين وقيل الجملة اعتراضية فان  
 قوله (بل أكثرهم لا يعلمون) اضرب انتقالي من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور  
 الى بيان ان أكثر الناس وهم المشركون فانهم لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره ووضوحه  
 فيقعون في ورطة الشرك والضلال قال الواحدى والبعوى والمراد بالاكثار الكل والظاهر  
 خلاف ما قاله فان المؤمنين بالله يعلمون ما في التوحيد من رفعة شأنه وعلو مكانه وان  
 الشرك لا يماثل بوجهه من الوجوه ولا يساويه في وصف من الاوصاف ويعلمون ان الله  
 سبحانه يستحق الحمد على هذه النعمة وان الحمد مختص به ثم أخبر سبحانه رسوله صلى الله  
 عليه وآله وسلم بان الموت يدركه ويدركهم لا محالة فقال (انك ميت وانهم ميتون) وذلك  
 انهم كانوا يترصدون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموت فاخبر ان الموت يعمهم  
 جميعا فلا معنى للترصد وشماتة الغاني بالفاني وهذا تمهيد لما يعقبه من الخصام يوم  
 القيامة قرأ الجمهور ميت وميتون بالتشديد وقرئ مائت ومائتون وبها قرأ عبد الله بن  
 الزبير وقد استحسنت هذه القراءة بعض المفسرين لكون موته وموتهم مستقبلا ولا وجه  
 للاستحسان فان قراءة الجمهور تفيد هذا المعنى قال الفراء والكسائي الميت بالتشديد من  
 لم يميت وميت بالتخفيف من قدمات وفارقه الروح قال الخليل أنشد أبو عمرو  
 وتسالني تفسير ميت وميت \* فدونك قد فسرت ان كنت تعقل  
 فمن كان ذا روح فذلك ميت \* وما الميت الامن الى القبر يحتمل  
 وقال السمين ولا خلاف بين القرأ في تشبيل مثل هذا قال قتادة نعت الى النبي صلى الله

عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان سبأ  
 قوم كان لهم عز في الجاهلية وانى  
 أخشى ان يرتدوا عن الاسلام  
 أفأفأ قاتلهم فقال صلى الله عليه وسلم  
 ما امرت فيهم بشئ بعد فأنزلت  
 هذه الآية لقد كان لسبأ في مسكنهم  
 آية الايات فقال له رجل يا رسول الله  
 ما سبأ فذكر مثل الحديث الذي قبله  
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 سئل عن سبأ ما هو بلد أم رجل أم  
 امرأة قال صلى الله عليه وسلم بل  
 رجل ولده عشرة فسكن اليمن منهم  
 ستة والشام أربعة اما اليمانيون  
 فذبح وكندة والازد والاشعريون  
 والانمار وجير غير ما حلها واما الشام  
 فلحرم وجدام وعامله وغسان  
 غرابية من حيث ذكرنا والاية  
 بالمدينة والسورة مكية كلها والله  
 سبحانه وتعالى أعلم طريق اخرى  
 قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا  
 أبو اسامة حدثنا الحسن بن الحكم  
 حدثنا أبو سبرة النخعي عن فروة بن  
 مسيك الغطيفي رضي الله عنه قال  
 قال رجل يا رسول الله أخبرني عن  
 سبأ ما هو أرض أم امرأة قال صلى  
 الله عليه وسلم ليس بأرض ولا امرأة  
 ولكنه رجل ولده عشرة من الولد قتيان  
 بن سبعة وتشامم أربعة فاما الذين  
 تشامموا فلحرم وجدام وعامله  
 وغسان وأما الذين يامنون فكندة  
 والاشعريون والازد ومنذ وجير  
 وأما ما قال صلى الله عليه وسلم  
 الذين منهم خشم أو بجيلة ورواه  
 الترمذي في جامعه عن أبي كريب  
 وعبد بن حميد قال حدثنا أبو اسامة  
 فذكره أسط من هذا ثم قال  
 هذا حديث حسن وقال أبو عمرو  
 بن عبد البر حدثنا عبد الوارث بن  
 سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ  
 حدثنا أحمد بن زهير حدثنا عبد  
 الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا  
 ابن كثير هو عثمان بن كثير عن  
 الليث بن سعد عن موسى بن علي  
 عن يزيد بن حصين عن تميم الداري

رضي الله عنه قال ان رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن سبأ فذكر مثله فقوى هذا الحديث وحسن قال علماء النسب منهم محمد بن اسحق اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وانما سبأ سبأ لانه أول من سبأ في العرب وكان يقال له الرأس لانه أول من غنم في الغزو فأعطى قومه فسمى الرأس والعرب تسمى المال ريشا وريشاوذ كروا انه بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمانه المتقدم وقال في ذلك شعرا

سبأك بعدنا ملك عظيم \* نبي لا يرضى في الحرام (١٥٦) ويملك بعده منهم ملوك \* يدنو القياذ بكل داعي

ويملك بعدهم من ملوك

يصير الملك فينا بانقسام

ويملك بعد قحطان نبي

تقى خبث خير الانام

يسمى أجدابا لبت أني

اعمر بعد مبعثه بعام

فاعضده وأحبه بنصري

بكل مديح وبكل رام

متى يظهر فكونوا باصريه

ومن يلقاه يبلغه سلامي

ذو ذلك الهمداني في كتاب

الا كابل واختلّفوا في قحطان على

ثلاثة أقوال (أحدها) انه من سلالة

ارم بن سام بن نوح واختلّفوا في

كيفية اتصال نسبه به على ثلاثة

طرائق والثاني انه من سلالة عابر

وهو هو وعليه الصلاة والسلام

واختلّفوا أيضا في كيفية اتصال

نسبه به على ثلاث طرائق أيضا

والثالث انه من سلالة اسمعيل بن

ابراهيم الخليل عليهما الصلاة

والسلام واختلّفوا في كيفية

اتصال نسبه به على ثلاث طرائق

أيضا وقد ذكر ذلك مستقصى

الامام الخافظ أبو عمر بن عبد البر

الخرمي رحمة الله تعالى عليه في كتابه

عليه وآله وسلم نفسه ونعت اليهم أنفسهم ووجه هذا الاخبار الاعلام للصحابة بانه يموت فقد كان بعضهم يعتقد انه لا يموت مع كونه توطئه وتهيد المابعده أخرج النسائي وغيره عن ابن عمر قال لقد لبنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين من قبلنا حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا (ثم انكم) أيها الناس جميعا مؤمنكم وكافركم (يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فيما بينكم من الظالم قبل يعني الحق والمبطل وقيل تخصمهم يا محمد وتختج عليهم بانك قد بلغتهم وأنذرتهم وهم يتخاصمونك أو يتخاصم المؤمن الكافر والظالم المظلوم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من كان عنده مظلمة لآخيه من عرض أو مال فلم يجله اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحملته عليه رواه البخاري وعنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لادرهم ولا متاع له فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاوة وكاة وصيام ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياها فطرحت عليه ثم طرح في النار أخرجه مسلم وعن ابن عمر قال نزلت علينا هذه الآية وما ندري ما تفسيرها حتى وقعت الفسنة فقلنا هذا الذي وعدنا ربنا ان تختصم فيه أخرجه ابن جرير وأخرج النسائي وغيره عنه قال لقد لبنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين من قبلنا حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا وعن الزبير بن العوام قال لما نزلت انك ميت الى قوله تختصمون قلت يا رسول الله أيكبر علينا ما يكون بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم لئلا يكرن عليكم ذلك حتى يؤدي الى كل ذي حق حقه قال الزبير فوالله ان الامر لشديد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن أبي سعيد الخدري قال لما نزلت هذه الآية كأنقول ربنا واحد وديننا واحد وبيننا واحد فهاهذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيف فقلنا نعم هو هو ذوا عن ابراهيم لما نزلت هذه الآية قالوا كيف تختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذخصومتنا بين سبجانة حال كل فريق من المختصمين

فقال

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم كان رجلا من العرب يعني

العرب العاربة الذين كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام من سلالة سام بن نوح وعلى القول الثالث كان من سلالة الخليل عليه السلام وليس هذا بالمشهور عندهم والله أعلم ولكن في صحيح البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بفر من أسلم ينتصلون فقال رموا بني اسمعيل فان أباكم كان راميا فأسلم قبيلة من الانصار والانصار أوسها وخزرجها من غسان من عرب اليمن من سبأ نزلوا يثرب لما تفرقت سبأ في البلاد حين بعث الله عز وجل عليهم سبيل العرم ونزلت طائفة منهم بالشأم وانما قيل لهم غسان

بما نزلوا عليه قبل باليمن وقيل انه قريب من المشلل كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه

اما سألت فانا معشر نجيب \* الازد نستبتنا والماء غسان ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ولده عشرة من العرب أى كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع اليهم أصول القبائل من عرب اليمن لأنهم ولدوا من صلبه بل منهم من بينه وبينه الابوان والثلاثة والاقبل والاكثر كما هو مقرر ميم في مواضعه من كتب الذنب ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم قسيامن منهم ستة وتشام منهم أربعة أى بعدما أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم منهم من أقام بيلادهم ومنهم من (١٥٧) نزع عنها الى غيرها وكان من أمر

السدانة كان الماء يأتيهم من بين جبلين وتجتمع اليه أيضا سيول أمطارهم وأوديتهم فعمد ملوكهم الاقادم فبنوا بينهم سدا عظيما محكما حتى ارتفع الماء وحكم على حافات زينك الجبلين فغرسوا الاشجار واسدغوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن كما ذكره غيره واحد من السلف منهم قتادة ان المرأة كانت تمشي تحت الاشجار وعلى رأسها مكبل أو زنبيل وهو الذي تحتف فيه الثمار فينساقط من الاشجار في ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج الى كلفة ولا قطف لكثيرته ونضجته واستوائه وكان هذا السد مجارب بلدة بينها وبين صنعاء ثلاثة مراحل ويعرف بسدمأرب وذكر آخرون انه لم يكن يبلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث ولا شيء من الهوام وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم ليوحدهه ويعبدوه كما قال تبارك وتعالى لقد كان اسما في مسكنهم آية ثم فسر هاهنا بوله عز وجل جنتان عن يمين وشمال أى من ناحية الجبلين والبلدة بين

فقال (فن) أى لأحد (أظلم عن كذب على الله) فزعم ان له ولدا أو شريكاً وصاحبة (وكذب بالصدق اذ جاءه) وهو ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دعاء الناس الى التوحيد وأمرهم بالقيام بفرائض الشرع ونهيهم عن محرّماته واخبارهم بالبعث والنشور وما أعد الله للمطيع والعاصي وقوله اذ جاءه كذب بالصدق أى كذب بالقرآن في وقت مجيئه أى فاجابه بالكذب لما سمعهم من غير وقفة ولا اعمال روية بتميز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون ثم استفهم سبحانه استغفها ما تقر بها فقال (أليس في جهنم مثوى للكافرين) أى أليس لهؤلاء المقتربين المكذبين بالصدق والمنسوى المقام وهو مشتمق من ثوى بالمكان اذ أقام به ثوى ثواء وثوى يمثله مضمي مضاء ومضيا وحكى أبو عبيدانه يتال أنثوى وأنكر ذلك الاصمعي وقال لانعرف أنثوى ثم ذكر سبحانه فريق المؤمنين المصدقين فقال (والذي جاء بالصدق وصدق به) الموصول في موضع رفع بالابتداء وهو عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن تابعه وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي صدق به أبو بكر قاله علي بن أبي طالب وعن أبي هريرة مثله وقال مجاهد الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي صدق به علي بن أبي طالب وقال السدي الذي جاء بالصدق جبريل والذي صدق به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال قتادة ومقاتل وابن زيد الذي جاء بالصدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي صدق به المؤمنون وقال الخبي الذي جاء بالصدق وصدق به هم المؤمنون الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة وقيل ان ذلك عام في كل من دعا الى توحيد الله وأرشد الى مآرعه لعباده واختار هذا ابن جرير وهو الذي اختاره من هذه الاقوال ويؤيده قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ صدق به بالتخفيف أى صدق به الناس قال ابن عباس الذي جاء بالصدق يعنى بلاه الا الله وصدق به يعنى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل جاء بالقرآن وصدق به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الذي جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع والسلك صحيح قالوا الوجه في العربية أن يكون جاء وصدق لفاعل واحد لان التعاير يستدعى ضمرا الذي وذا غير جائز وضمرا الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد ولفظ الذى كما وقع في قراءة الجهوران وكان مفردا فعناه الجمع لانه يراد به الجنس كما

ذلك كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور أى غفور لكم ان استقر بهم على التوحيد وقوله تعالى فاعرضوا أى عن توحيد الله وعبادته وشكركه على ما أنعم به عليهم وعللوا الى عبادة الشمس من دون الله كما قال الهدد لسليمان عليه الصلاة والسلام وجئتكم من سبأ بنبايقين انى وجدت امرأة تملكهم وأتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يمتدون وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه بعث الله تعالى اليهم ثلاثة عشر نبيا وقال السدي أرسل الله عز وجل اليهم اثني عشر نبي والله أعلم وقوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل

العزم قبيل المراد بالعموم المياه وقيل الوادي وقيل الجرد وقيل الماء الغزير فيكون من باب اضافة الاسم الى صفة مثل مسجد الجامع وسعيد كرز حتى ذلك السهيلي وذكروا واحدا منهم ابن عباس ووهب بن منبه وقتادة والضحاك ان الله عز وجل لما اراد عقوبتهم بارسال العزم عليهم بعث على السد دابة من الارض يقال لها الجرذ نقت قال وهب بن منبه وقد كانوا يجردون في كتبهم ان سبب خراب هذا السد هو الجرذ كانوا يرصدون عنده السنابير برهة من الزمان فلما جاء القدر غلبت الفأر السنابير وولجت الى السد فنقتبه فانهم ارعاهم وقال (١٥٨) قتادة وغيره الجرذ هو الخلد نقت أساسه حتى اذا ضعف ووهى وجاءت أيام

السيول صدم الماء البناء فسقط فانساب الماء في أسفل الوادي وخر مابين يديه من الابنية والاشجار وغير ذلك ونضب الماء عن الاشجار التي في الجبلين عن يمين وشمال فيبست وتحمطت وتبدلت تلك الاشجار المثمرة الى بقعة النضرة كما قال الله تبارك وتعالى وبدلناهم بيمينهم جنتين ذواتي اكل فخط قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراساني والحسن وقتادة والسدي وهو الاراك وكلة البربر وأئل قال العوفي عن ابن عباس هو الطرفاء وقال غيره هو شجر يشبه الطرفاء وقيل هو السمرو والله أعلم وقوله تعالى وشئ من سدر قليل لما كان أجود هذه الاشجار المبدل بهما هو السدر قال وشئ من سدر قليل فهو الذي صار أمر تينك الجنين اليه بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة والظلال العميقة والانهار الجارية تبدت الى شجر الاراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمار القليل وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه الى

يفيده قوله (أو أئلك هم المتقون) أي المتصفون بالتقوى التي هي عنوان النجاة قال ابن عباس يعني اتقوا الشرك ثم ذكر سبحانه ما لهؤلاء الصادقين المصدقين في الآخرة فقال (لهم ما يشاؤون عند ربهم) أي لهم كل ما يشاؤون من رفع الدرجات ودفن المضرات وتكفير السيئات وجلب المنافع وفي هذا ترغيب عظيم وتشويق بالغ (ذلك) أي ما تقدم ذكره من جزائهم وهو مبتدأ وخبره (جزاء المحسنين) أي الذين أحسنوا في أعمالهم وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك ثم بين سبحانه ما هو الغاية مما لهم عند ربهم فقال (ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا) فان ذلك هو أعظم ما يرجونه من دفع الضرر عنهم لان الله سبحانه اذا غفر لهم ما هو الا سوء من أعمالهم غفر لهم ما دونه بطريقه الاولى واللام متعلقة بيشاؤون أو بالمحسنين أو بمخدوف قرأ الجمهور اسوأ على انه أفعل تفضيل وقيل ليست للتفضيل بل بمعنى سي الذي عملوا وبهذا الاعتبار عم الاسوأ جميع معاصيهم وقرئ أسوأ بألف بين الهذرة والواو بزنة أجمال جمع سوء ولما ذكر الله سبحانه ما يدل على دفع المضار عنهم ذكر ما يدل على جلب أعظم المنافع اليهم فقال (ويجزئهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) اضافة الاحسن الى ما بعده ليست من اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة الشيء الى بعضه قصدا الى التوضيح من غير اعتبار تفضيل قال مقاتل يجزئهم بالحسن من أعمالهم ولا يجزئهم بالمساوي وعم الاحسن جميع حسناتهم ولولا هذا التأويل لا اقتضى النظم انه يكفر عنهم أفعال السيئات فقط ويجزئهم على أفضل الحسنات فقط (أليس الله بكاف عبده) قرأ الجمهور بالافراد وقرئ بالجمع فعلى الاولى المراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والجنس ويدخل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخولا أوليا وعلى الثانية المراد الانبياء أو المؤمنون أو الجميع واختار أبو عبيد الاولى لقوله عقبه ويخوفونك والاستفهام للانكار لعدم كفايته سبحانه على أبلغ وجه كلها يمكن من الظهور لا يتيسر لاحد أن ينكره وقيل المراد بالعباد والعباد ما يعي المسلم والكافر قال الجرجاني ان الله كاف عبده المؤمن وعبده الكافر هذا بالثواب وهذا بالعقاب وقرئ بكافي عباده بالاضافة وبكافي بصيغة المضارع وقوله (ويخوفونك) يجوز أن يكون في محل نصب على

الباطل ولهذا قال تعالى ذلك جزئناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكفور أي عاقبناهم بكفرهم قال مجاهد ولا يعاقب الا الكفور وقال الحسن البصري صدق الله العظيم لا يعاقب بمثل فعلة الا الكفور وقال طائوس لا يناقش الا الكفور وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو عمر بن النحاس الرمي حدثنا جاج بن محمد حدثنا أبو الوليد عن هاشم بن صالح الثعلبي عن أبي خيرة وكان من أصحاب علي رضي الله عنه قال جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيقة في المعيشة والتعسر في اللذة قيل وما التعسر في اللذة قال لا يصادف لذة حال الاجاه من ينغصه اياها (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة

الحال

وقدرنا فيها السير سير وافيه اليالي وأياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان  
 في ذلك لآيات لكل صبار شكور) يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغبطة والعيش الهني الرغيد والبلاد المرضية والا ما كن  
 الآمنة والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وغارها بحيث ان مسافرهم لا يحتاج الى حمل  
 زاد ولا ماء بل حيث نزل وجد ماء وغرأ ويقيل في قرية ويبيت في أخرى بمسارها يحتاجون اليه في سيرهم ولهذا قال تعالى وجعلنا  
 بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قال وجب بن منب هي قرى بصنعاء (109) وكذا قال أبو مالك وقال مجاهد والحسن

وسعيد بن جبيرة ومالك عن زيد بن  
 أسلم وقتادة والضحاك والسدي  
 وابن زيد وغيرهم يعني قرى الشام  
 يعنون انهم كانوا يسرون من اليمن  
 الى الشام في قرى ظاهرة متواصلة  
 وقال العوفي عن ابن عباس القرى  
 التي باركنا فيها بيت المقدس وقال  
 العوفي عنه أيضا هي قرى غربية  
 بين المدينة والشام قرى ظاهرة  
 أي بيعة واضحة يعرفها المسافرون  
 يقبلون في واحدة ويبيتون في  
 أخرى ولهذا قال تعالى وقدرنا فيها  
 السير أي جعلنا لها سببا يحتاج  
 المسافرون اليه سيروا فيه اليالي  
 وأياما آمنين أي الآمن حاصل لهم  
 في سيرهم ليلا ونهارا فقالوا ربنا  
 باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم  
 وقرأ آخرون بعد بين أسفارنا وذلك  
 انهم بطروا هذه النعمة كما قاله  
 ابن عباس ومجاهد والحسن وغير  
 واحد وأحبوا مفاروز ومهامه  
 يحتاجون في قطعها الى الزاد  
 والرواحل والسير في الحرور  
 والخواف كاطلب بنو اسراييل  
 من موسى أن يخرج الله لهم مما  
 تبتت الارض من ثملها وقنائها

الحال اذا المعنى أليس كافيك حال تتخوف فيهم اليك (بالذين من دونه) هي المعبودات التي  
 يعبدونها قالوا لا تكفر عن شتم آلهتنا وألصبتك منهم خبل أو جنون كأن المعنى انه  
 كافيك في كل حال حتى في هذه الحال ويجوز ان تكون مستأنفة (ومن يضل الله) أي من  
 حق عليه القضاء فضلا حتى غفل عن كفاية الله لعبده محمد وخوفه بما لا ينفع ولا يضر  
 (فقال من هاد) يهديه الى الرشد ويخلصه من الضلالة (ومن يهدي الله فباله من مضل)  
 يخرجهم من الهداية ويوقعه في الضلالة (أليس الله بعزير) أي غالب لكل شئ فاهلله  
 (ذی انتقام) ينتقم من عاصاته ويصيبه عليهم من عذابه وما ينزلهم من سوط عقابه واطهار  
 الاسم الجليل في موضع الاشارة للتحقيق مضمون الكلام وترتبة المهابة (ولئن سألتهم  
 من خلق السموات والارض ليقولن الله) ذكر سبحانه اعترافهم اذا سئلوا عن الخالق بانه  
 الله سبحانه لوضوح البرهان على تنزيهه بالخالق مع عبادتهم للاصنام والوثان  
 واتخاذهم الآلهة من دون الله وفي هذا أعظم دليل على انهم كانوا في غفلة شديدة وجهالة  
 عظيمة لانهم اذا علموا ان الخالق لهم ولما يعبدون من دون الله هو الله سبحانه فكيف  
 استحدثت عقولهم عبادة غير خالق الكل وتشريك مخلوق مع خالق في العبادة وقد كانوا  
 يذكرون بحسن العقول وكال الادراك والفتنة الزامة ولكنهم لما اقلدوا اسلافهم  
 واحسنوا الظن بهم هجروا ما يقتضيه العقل وعملوا بما هو محض الجهل ثم أمر الله سبحانه  
 رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكتمهم بعد هذا الاعتراف ويوبخهم فقال (قل أفرايتم  
 ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) أي اخبروني عن  
 آلهتكم هذه هل تقدر على كشف ما أراد الله بهي من الضر والضره الشدة والبلاء  
 (أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته) عني بحيث لا تصل الى والرحمة النعمة والرخاء  
 قرأ الجمهور كاشفات وممسكات في الموضعين بالاضافة وقرأهما أبو عمرو وبالتنوين واختار  
 أبو عبيد وأبو حاتم قراءة أي عمرو لان كاشفات اسم فاعل في معنى الاستقبال وما كان  
 كذلك فتنبؤينه اجدود بها قرأ الحسن وعاصم قال مقاتل لما نزلت هذه الآية سألهم  
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسكوا وقال غيره قالوا لا ندفع شيئا من قدر الله ولكنها  
 تشفع فنزل (قل حسبى الله) في جميع أمورى في جلب النفع ودفع الضر (عليه يتوكل

وفومها وعدسها ووصلها مع انهم كانوا في عيش رغيد في من وسلاوى وما يشتهون من ما كل ومشرب وملابس من تنفعة ولهذا قال  
 لهم أنستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ابطوا مصر افان لكم مساكنم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأوا بغضب من الله  
 وقال عز وجل وكم أهل كافرين بطرت معيشتها وقال تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل  
 مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وقال تعالى في حق هؤلاء فقالوا ربنا باعد بين  
 أسفارنا وظلموا أنفسهم أي بكفرهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق أي جعلناهم حديثا للناس وسعرا يتحدثون به من خبرهم

وكيف مكر الله بهم وفرق شملهم بعد الاجتماع والائنة والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد ههنا وههنا ولهذا تقول العرب في القوم اذا تفرقوا تفرقوا أيدي سببا وأيدى سببا وتفرقوا شذر مذر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال سمعت أبي يقول سمعت عكرمة يحدث بحديث أهل سبا قال لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جنتان عن عيينة وشمال الى قوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل العرم وكانت فيهم كهنة وكانت الشياطين يسترقون السمع فأخبروا الكهنة بشئ من أخبار السماء فكان فيهم رجل قد أظلمهم فلم يدر كيف يصنع لانه

(١٦٠)

كان له مال كثير من عقار فقال لرجل من بنيه وهو أعزهم اخوالا يا بني اذا كان غدا وأمرتك بما أمر فلا تفعله فاذا انتهرتك فانهتري فاذا لطمتك فالطمني قال يا أبت لا تفعل ان هذا أمر عظيم وأمر شديد قال يا بني قد حدثت أمر لا بد منه فلم يزل به حتى واتاه على ذلك فلما أصبجوا واجتمع الناس قال يا بني افعل كذا وكذا فأبى فانهتهه أبوه فأجابه فلم يزل ذلك بينهما حتى تناوله أبوه فلطمه فوثب على أبيه فلطمه فقال ابني يا طمني عنى بالسفرة قالوا ما تصنع بالسفرة قال اذبحه قالوا تذبيح ابنك الطمه أو اصنع ما يدلك قال فابى قال فإرسلوا الى أخواله فاعلموهم ذلك فجاء أخواله فقالوا خذ منا ما يدلك فابى الا أن يذبحه قالوا فالتوت قبل أن تذبحه قال فاذا كان الحديث هكذا فاني لأرى أن أقوم بيلديجبال بيني وبين ابني فبه اشتروا مني دورى اشتروا مني أرضى فلم يزل حتى باع دوره وأرضيه وعقاره فلما صار الثمن في يده واحرزه قال أي قوم ان العذاب

المتوكلون) أي عليه لا على غيره يعتمد المعتدون ثم أمره الله سبحانه أن يهددهم ويتوعددهم فقال (قل يا قوم اعلموا على مكانتكم) أي على حالتكم التي أنتم عليها وتمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعارهنا وحيث للزمان وهما للمكان (انى عامل) على حالتي التي أنا عليها وتمكنت منها وحذف ذلك للعلم به مما قبله (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أي يهينه ويذله في الدنيا فيظهر وعند ذلك انه المبطل وخصمه المحق والمراد بهذا العذاب عذاب الدنيا وما حل بهم من القتل والاسر والقهر والذلة تم ذكر عذاب الآخرة فقال (ويحل عليه عذاب مقيم) أي دائم مستقر في الدار الآخرة وهو عذاب النار وهو مجاز في الطرف أو في الاسناد وأصله مقيم فيه صاحبه ثم لما كان يعظم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصرارهم على الكفر أخبره بأنه لم يكف الا بالبيان لابان يهدى من ضل فقال (انا أنزلنا عليك الكتاب للناس) أي لاجلهم ولبيان ما كلفوا به فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم فهو للناس كافة لان رسالتك كذلك (بالحق) حال من الفاعل أو المنعول أي محققين أو متلبس بالحق (فن اهتدى) طريق الحق وسلكتها (فلنفسه ومن ضل عنها فاعما يضل عليها) أي على نفسه فضر ذلك عليه لا يتعدى الى غيره (وما أنت عليهم بوكيل) أي مكلف بهدايتهم مخاطب بها بل ليس عليك الا البلاغ وقد فعلت وهذه الآيات منسوخة بآية السيف فتداهر الله سبحانه رسوله بعده هذه ان يقالتهم حتى يقولوا لا اله الا الله ويعملوا باحكام الاسلام ثم ذكر سبحانه نوعا من أنواع قدرته البالغة وصنعمته العجيبة فقال (الله يتوفى الانفس حين موتها) أي يقبض الارواح عند حضور آجالها ويخرجها من الابدان (ويتوفى الانفس) (التي لم تمت في منامها) أي لم يحضر أجلها في منامها وقد اختلف في هذا فقيل يتبعضها عن التصرف مع بقاء الروح في الجسد وقال النراء المعنى ويقبض التي لم تمت عند انقضاء أجلها قال وقد يكون توفيقها نومها فيكون التقدير على هذا والتي لم تمت فاتها نومها قال الزجاج لكل انسان نفسان أحدهما نفس التمييز وهي التي تفارقه اذا نام فلا يعقل والاخرى نفس الحياة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس قال القشيري في هذا بعد اذا المنهوم من الآية ان النفس المقبوضة في الحالى شئ واحد ولهذا قال (فيمسك التي

قد أظلمكم وزوال أمركم قد دنأفن أراد منكم دارا جديدا ووجلا شديدا وسفرا بعيدا فليخلق بعمان ومن قضى

أراد منكم الخمر والنخير والعصير وكلمة قال ابراهيم لم أحفظها فليخلق بصرى ومن أراد الراحات في الوحل المطاعم في المحل المعومات في العجل فليخلق بيثرب ذات فضل فأطاعه قومه فخرج أهل عمان الى عمان وخرجت غسان الى بصرى وخرجت الاوس والنخزرج وبنو عثماني الى يثرب ذات النخل قال فأتوا على بطن مر فقال بنو عثماني هذا مكان صالح لا ينبغي به بدلا فأقاموا به فسهوا لذلك نخزاعة لانهم انقضوا من أصحابهم واسم مقام الاوس والنخزرج حتى زلوا المدينة وتوجه أهل عمان الى عمان وتوجهت

غسان الى بصرى هذا أثر غريب عجيب وهذا الكاهن هو عمرو بن عامر أحد رؤساء اليمن وكبراء سبأ وكهانهم وقد ذكر محمد بن اسحق بن يسار في أول السيرة ما كان من أمر عمرو بن عامر الذي كان أول من خرج من بلاد اليمن بسبب استشعاره برسالة العرم عليهم فقال وكان سبب خروجه عمرو بن عامر من اليمن فيما حدثني به ابو زيد الانصاري انه رأى جرذاً يحفر في سدمأرب الذي كان يجلس عندهم الماء فيصرفونه حيث شاؤوا من ارضهم فعلم انه لا بقاء للسدة على ذلك فاعتزم على النقلة عن اليمن وكاد قومه فامر أصغر ولده اذا اغلظه واظمه ان يقوم اليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمر به فقال عمرو (١٦١) لا اقيم ببلد لطم وجهي فيها اصغر ولدي وعرض

أمواله فقال اشرف من اشرف اليمن اغتموا غضبة عمر وفاستروا منه امواله وانتقل في ولده وولد له وقالت الاسد لا تخلف عن عمرو ابن عامر فباعوا اموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك محبة ازين يرتادون البلدان فخار بهم عك وكان حربهم سجالا في ذلك يقول عباس بن مرداس الاسلمي رضى الله عنه

وعك بن عدنان الذين تغلبوا

بغسان حتى طردوا كل مطرد وهذا البيت في قصيدته قال ثم ارتحلوا عنهم فتفرقوا في البلدان فتفرق آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام وزلت الاوس والخزرج يثرب وزلت خزاعة من اوزنلت ازد السراة السراة وزلت ازد عمان عمان ثم ارسل الله تعالى على السد السيل فهدمه وفي ذلك أنزل الله عز وجل هذه الآيات وقد ذكر السدي قصة عمرو بن عامر بنحو مما ذكر محمد بن اسحق الا انه قال فامر ابن أخيه ميسان ابنه الى قوله فباع ماله وارتحل باهله فتفرقوا رواء ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد

قضى عليها الموت فلا يردها الى البدن قرأ الجهم ورقضى مبنيا للفاعل أى قضى الله عليها الموت وقرئ على البناء للمفعول واختار أبو عبيد وأبو حاتم الأولى لموافقته لقوله الله يتوفى الانفس (ويرسل الاخرى) أى النائمة الى بدنهما عند اليقظة (الى أجل مسمى) وهو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وقد قال بمثل قول الزجاج ابن الانباري وقال سعيد بن جبير ان الله يقبض أرواح الاموات اذا ماتوا وأرواح الاحياء اذا ناموا فتتعارف ما شاء الله ان تتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى فيعيدها والاولى ان يقال ان توفى الانفس حال النوم بازالة الاحساس وحصول الآفة به في محل الحس فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى الجسد الذي كانت فيه ويرسل الاخرى بان يعيد عليها احساسها فيمسك ومعنى يتوفى الانفس عند موتها هو على حذف مضاف أى عند موت أجسادها وعن ابن عباس قال نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فيتموتى الله النفس في منامه ويدع الروح في جوفه يتقلب ويعيش فان بدله أن يقبضه قبض الروح فمات وان أحرأجله رد النفس الى مكانها من جوفه أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وعنه قال تلتقى أرواح الاحياء وأرواح الاموات في المنام فيمساءلون بينهم ما شاء الله ثم يمسك الله أرواح الاموات ويرسل أرواح الاحياء الى أجسادها الى أجل مسمى لا يغلط بشئ منها أخرجه عبد بن حميد وغيره وعنه أيضاً في الآية قال كل نفس لها سبب تجرى فيه فاذا قضى عليه الموت نامت حتى ينقطع السبب والتي لم تمت في منامها أتت وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا أوى أحدكم الى فراشه فليقبضه بداخله ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم ليقل باسمك ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه ان أمسكت نفسى فأرجها وان أرسلتها فأحفظها بما تحفظ به عبادة الصالحين وقد اختلف العقلاء في النفس والروح هل هما شئ واحد أو شيان والكلام في ذلك يطول جدا وهو معروف في الكتب الموضوعه لهذا الشأن والظاهر أنهم شئ واحد وهو الذى تدل عليه الآية (ان في ذلك) أى فيما تقدم من التوفى والامسال والارسال للنفوس (لايات) بحجبه بديعة تدل على القدرة الباهرة ولكن ليس كون ذلك آيات يفهمه كل أحد بل (لقوم يتفكرون) في ذلك ويتدبرونه ويستدلون به على توحيد الله وكمال قدرته فان في هذا التوفى والامسال والارسال موعظة

(٢١) فتح البيان ثامن) أخبرنا سلمة عن ابن اسحق قال يزعمون ان عمرو بن عامر وهو عم القوم كان كاهنا فرأى في كهنته ان قومه سيمزقون ويأعدون أسفارهم فقال لهم انى قد علمت أنكم ستمزقون فن كان منكم ذاهم بعيد وجعل شديد ومزاد حديد فليحرق بكاس أو كرود قال فكانت وادع بن عمرو ومن كان منكم ذاهم مدن وأمر دعن فليحرق بارض شن فكانت عوف بن عمرو وهم الذين يقال لهم بارق ومن كان منكم يريد عيشاً لنا وحرماً منا فليحرق بالارزين فكانت خزاعة ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليحرق يثرب ذات النخل وكانت الاوس والخزرج وهما هذان الحيان من الانصار ومن كان

منكم يريد خراوخيرا وذهبا وحريرا وملسكا وتأميرا فليخلق بكوثى وبصرى فكانت غسان بنو جفنه مملوك الشام ومن كان منهم بالعراق قال ابن اسحق وقد سمعت بعض أهل العلم يقول انما قال هذه المقالة طريفة امرأة عمرو بن عامر وكانت كاهنة فرأت في كهانها ذلك فالتفت إلى الله أعلم أي ذلك كان وقال سعيد بن قتادة عن الشعبي اما غسان فلحقوا بعمان فزقهم الله كل ممزق بالشام واما الانصار فلحقوا يثرب واما خزاعة فلحقوا بتهامة واما الازد فلحقوا بعمان فزقهم الله كل ممزق رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ثم قال محمد بن اسحق حدثني أبو عبيدة قال (١٦٢) قال الاعشى أعشى بن قيس بن ثعلبة واسمه ميون بن قيس وفي ذلك المثل مؤتسى أسوة

ومأرب قفي عليها العرم  
رخام بنته لهم حجر  
إذا ما نأى مأوهم لم يرم  
فأرورى الزروع وأعتابها  
على ساعة مأوهم اذ قسم  
فصاروا يادى ما يقدر

للمتعظين وتذكرة للمتمدكرين (ام) هي المنقطة المقدرة بيل والهزمة أي بل (اتخذوا من دون الله) آلهة (شفعاء) تشفع لهم عند الله (قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا) الهزمة للانكار والتوبيخ والوالوال والعطف على محذوف مقدر أي ايشفون ولو كانوا الخ وجواب لم محذوف أي وان كانوا بهذه الصفة تتخذونهم والمعنى انهم غير ما الكين لشي من الاشياء وتدخل الشفاعة في ذلك دخولا أوليا (ولا يعقلون) شيئا من الاشياء لانها جادات لا عقل لها وجمعهم بالواو والنون لاعتقاد الكفار فيهم انهم يعقلون ثم أمره سبحانه بان يخبرهم ان الشفاعة لله وحده فقال (قل لله الشفاعة جميعا) فليس لاحد منها شيء الا أن تكون باذنه لمن ارتضى كما في قوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى واتصاب جميعا على الحال وانما كذا الشفاعة بما يؤكده الاثنان فصاعد الانها مصدر يطلق على الواحد والاثنين والجماعة ثم وصفه بسعة الملك فقال (له ملك السموات والارض) أي يملكهما ويملك ما فيه ما ويتصرف في ذلك كيف يشاء ويفعل ما يريد فهو مالك الملك كله لا يملك أحد أن يتكلم دون اذنه ورضاه (ثم اليه) لا إلى غيره (ترجعون) بعد البعث واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) انتصاب وحده على الحال عند يونس وعلى المصدر عند الخليل وسيبويه والاشمزاز في اللغة النفور قال أبو عبيدة اشمازت نفرت وقال المبرد انقبضت وبالأول قال قتادة وبالثاني قال مجاهد والمعنى متقارب وقال المورج أنكرت وقال أبو زيد اشمازت الرجل ذعر من الفزع والمناسب للمقام تفسير اشمازت بانقبضت وهو في الاصل الازورار وكان المشركون اذا قيل لهم لا اله الا الله انقبضوا كما حكاها الله عنهم في قوله واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا قال ابن عباس في الآية اشمازت قست ونفرت قلوب هؤلاء الاربعة الذين لا يؤمنون بالآخرة أبو جهل بن هشام والوليد بن عتبة وصفوان وأبي بن خلف (واذا ذكر الذين من دونه) اللات والعزى وغيرهما من الاصنام (اذا هم يستبشرون) أي يفرحون بذلك ويتبجحون به والعامل في اذاني قوله واذا ذكر الله الفعل الذي بعدها وهو اشمازت والعامل في اذاني قوله واذا ذكر الذين الخ الفعل العامل في اذا الفجائية والتقدير فاجؤا الاستبشار وقت ذكر الذين من دونه وذلك لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار أن يتلى قلبه سرورا حتى تبسط له بشرة

ن منه على شرب طفل فطم  
وقوله تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور أي ان في هذا الذي حل بهم ولا من النعمة والعذاب وتبديل النعمة وتحويل العافية: قوبة على ما ارتكبوا من الكفر والاثام لعمرة ودلالة لكل عبد صبار على المصائب شكور على النعم قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن وعبد الرزاق المعنى قالوا اخبرنا سفيان عن أبي اسحق عن العيزار بن حريث عن عمر بن سعد عن أبيه هو سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبت من قضاء الله تعالى للمؤمن ان أصابه خير جدر به وشكروا ان أصابته مصيبة جدر به وصبر يؤجر المؤمن في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى امرأته وقد

رواه النسائي في اليوم والليله من حديث أبي اسحق السبيعي به وهو حديث عزيز من رواية عمر بن سعد عن أبيه ولكن وجهه له شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عجبا للمؤمن لا يقضى الله تعالى له قضاء الا كان خيرا له ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك لاحد الا للمؤمن قال عميد حدثنا يونس عن سفيان عن قتادة ان في ذلك لايات لكل صبار شكور قال كان مطرف يقول نعم العبد الصبار الشكور الذي اذا أعطى شكروا اذا ابتلى صبر (ولقد صدق عليهم ابليس ظنا فأتبعوه الا فريقا من المؤمنين وما كان لهم من سلطان الا نعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك



وربك على كل شيء حفيظ) لما ذكر تعالى قصة سبا وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى والشيطان أخبر عنهم وعن أمهم من اتبع ابليس والهوى وخالف الرشد والهدى فقال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره هذه الآية كقوله تعالى اخبار عن ابليس حين امتنع من السجود لام عليه الصلاة والسلام ثم قال رأيتك هذا الذي كذبت علي ثنأخرتني الى يوم القيامة لا تحسبن ذريته الا قليلا وقال ثم لا تبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجدوا كثيرهم ساكرين والآيات في هذا كثيرة وقال الحسن البصري لما هبط الله آدم (١٦٣) عليه الصلاة والسلام من الجنة ومعه حواء

هبط ابليس فرحاً بما أصاب منهما وقال اذا أصبت من الابوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف وكان ذلك ظناً من ابليس فانزل الله عز وجل ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين فقال عند ذلك ابليس لا تفارق ابن آدم مادام فيه الروح أعده وأمنيه وأخذعه فقال الله تعالى وعزني لا أعجب عنه التوبة مالم يغرب بالموت ولا يدعوني الا أحببته ولا يسأني الا أعطيته ولا يستغفري الا عفرت له رواه ابن أبي حاتم وقوله تبارك وتعالى وما كان له عليهم من سلطان قال ابن عباس رضي الله عنهما أي من حجة وقال الحسن البصري والله ما ضربهم بعصا ولا أكرههم على شيء وما كان الاغرور أو أماني دعاهم اليها فأجابوه وقوله عز وجل الا نعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك أي انما سلطناه عليهم ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء فيحسن عبادة ربه عز وجل في الدنيا ممن هو منها في شك وقوله تعالى وربك على كل

وجهه والاشمئزاز ان يمتلي غضباً ونماحتى يتقبض أديم وجهه ولما لم يقبل المتردون من الكفار ما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدعاء الى الخير وصمموا على كفرهم أمره الله سبحانه أن يرد الامر الى الله سبحانه وبلتجى اليه تعالى بالدعاء لما تحب في أمرهم وعجز في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء العالم بالاحوال كلها فقال (قل اللهم) أصلها الله عوض عنها الميم لقربها من حروف العلة وشددت لتكون على حرفين كالمعوض عنه ولذا لم يجمع بينهما ما فلا يقال يا اللهم في فصيح الكلام وما سمع من قوله

اني اذا ما حدث ألماً \* أقول يا اللهم يا للهم

فضرورة قاله الكرخي (فاطر السموات والارض) أي مبدعهما (عالم الغيب والشهادة) أي ما تاب وشوهد وهما منصوبان على النداء (أنت تتحكم بين عبادة فيما كانوا فيه يختلفون) من الهدى والضلالة والمعنى تجازى المحسن بإحسانه وتعاقب المسيء بإساءته فانه بذلك يظهر من هو الحق ومن هو المبطل ويرتفع عنده خلاف المختلفين وتخاصم المتخاصمين وقيل هذه محاكمة من النبي للمشركين الى الله تعالى وعن ابن المسيب لا أعرف آية قرئت فدعى عندها الا أحببها وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وقالوا الا أن يتكلم فما زاد أن قال آه أو قد فعلوا وقرأ هذه الآية وروى انه قال على اثره قتل من كان صلى الله عليه وآله وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه وأخرج مسلم وأبو داود والبيهقي في الاسماء والصفات عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قام من الليل افتتح صلواته اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تتحكم بين عبادة فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم لما حكى عن الكفار ما حكاها من الاشتمزاز عند ذكر الله والاستبشار عند ذكر الاصنام ذكر ما يدل على شدة عذابهم وعظم عقوبتهم فقال (ولو ان للذين ظلموا في الارض جميعاً) أي جميع ما في الدنيا من الاموال والذخائر (ومثله معه) أي منضم اليه (لافتدوا به) أي بالمدكور من الامرين أي بلعولوه فدية لانفسهم (من سوء العذاب يوم القيامة) أي من سوء عذاب ذلك اليوم وقد مضى تفسير هذا في آل عمران

شيء حفيظ أي ومع حفظه ضل من ضل من اتبع ابليس وبجفظه وكلاهما سلم من أسلم من المؤمنين اتباع الرسل (قل ادعوا الذي زعمتم من دون الله لايملكون منقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهم من شرك ومله منهم من ظهر ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير) بين تبارك وتعالى انه الاله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لا نظيره ولا شريك له بل هو المستقل بالامر وحده من غير مشارك ولا منازع ولا معارض فقال قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله اي من الآلهة التي عبده من دونه لايملكون منقال ذرة في السموات ولا في الارض كما قال تبارك وتعالى

والذين يدعون من دونه ما يعطون من قسطهم وقوله تعالى وما لهم فيهم ما من شرك أي لا يمكن أن يكون شيئاً مستقلاً ولا على سبيل الشركة  
وماله منهم من ظهير أي وليس لله من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به في الأمور بل الخلق كلهم فقراء إليه عبيد له قال قتادة  
في قوله عز وجل وماله منهم من ظهير من عون يعينه بشئ ثم قال تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له أي لعظمته وجلاله  
وكبريائه لا يجترى أحد أن يشفع عنده تعالى في شئ إلا بعد أن له في الشفاعة كما قال عز وجل من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه  
وقال جل وعلا وكم من ملك في السموات (١٦٤) لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال تعالى

ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ولهذا ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم وأكبر شفيع عند الله تعالى أنه حين يقوم المقام المحمود ليسفح في الخلق كلهم إن يأتي ربهم لفصل القضاء قال فأسجد لله تعالى فيدعني ماشاء الله أن يدعني ويفتح علي بما عدل لأحصي الآن ثم يقال يا محمداً رفع رأسك وقل بسمع وسل تعطه واشفع تشفع الحديث بتمامه وقوله تعالى حتى إذا فرغ عن قلبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهذا أيضاً مقام رفيع في العظمة وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي فسمع أهل السموات كلامه أرددوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي قاله ابن مسعود رضي الله عنه ومسرور وغيرهما فإذا فرغ عن قلبهم أي زال الفزع عنها قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وأبوه عبد الرحمن السلمى والشعبي وأبراهيم النخعي والضحاك والحسن وقتادة في قوله عز وجل حتى إذا فرغ عن قلبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق يقول جلي عن قلبهم

(وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) أي ظهر لهم من فنون عقوبات الله وسخطه وشدة عذابه ما لم يكن في حسابهم ولا يحدون به في نفوسهم وفي هذا وعيد لهم عظيم وتهديد بالغ غاية لا غاية وراءها وقال مجاهد عملوا أعمالاً لو هموا عنها حسنت فإذ هي سيئات وكذا قال السدي وقال سفيان الثوري ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء هذه آياتهم وقصصهم وقال عكرمة بن عمار جزع محمد بن المنكدر عند موته جزع أشد فاقبل له ما هذا الجزع قال أخف آية من كتاب الله وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فإنا أخشى أن يبدو لي ما لم أكره احتسب (وبداهم سيئات ما كسبوا) أي مساوى أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله وما تتحمل أن تكون مصدرية أي سيئات كسبهم وان تكون موصولة أي سيئات الذي كسبوه حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك (وحاق بهم) أي أحاط بهم ونزل بهم (ما كانوا يستهزئون) من الأنداد الذي كان يذرههم به رسول الله صلى الله عليه وسلم (فأدامس الإنسان) المراد هنا بالإنسان الجنس باعتبار بعض أفراده وأغالبها وقيل المراد به الكفار فقط والأولى ولا يمنع من جملة على الجنس خصوص سببه لأن الاعتبار بعموم اللفظ وفاء بحق النظم القرآني ووفاء بدلوله والمعنى إن شأن غالب نوع الإنسان أنه إذا مسه (ضر) من مرض أو فقر أو غيرهما (دعانا) وتضرع اليانفي رفعه ودفعه (ثم إذا حولناه نعمة منا) أي أعطيناها نعمة كائنت من عندنا (قال إنما أوتيته على علم) مني بوجوده المكاسب أو على خير عندي أو على علم من الله بنضلي وقيل إن كان ذلك سعادة في المال أو عافية في النفس يقول إنما حصل ذلك بجدي واجتهادي وإن كان صحة قال إنما حصل ذلك بسبب العلاج الفلاني وإن حصل ما لا يقول حصل بكسي وهذا تناقض أيضاً لأنه لما كان عاجزاً محتماً جازاً أضاف الكل إلى الله تعالى وفي حال السلامة والصحة قطعاً عن الله تعالى وأسنده إلى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح وقال الحسن على علم علمني الله إياه وقيل قد علمت أي إذا أوتيت هذا في الدنيا أن لي عند الله منزلة وجاء في أوتيته بالضمير مذكراً مع كونه راجعاً إلى النعمة لأنها بمعنى الأنعام وقيل إن الضمير عائذ إلى ما هو موصولة والأول أولى (بل هي فتنة) هذا رد لما قاله أي ليس ذلك الذي أعطيناك لما ذكرت بل هو محنة لك واختبار لحالك أشكر أم تكفر قال القراء أنب الضمير في قوله هي لتأيت الفتنة ولو قال بل هو فتنة بلحاز وقيل تأيت الضمير باعتبار

وقرأ بعض السلف وجاء مرفوعاً إذا فرغ بالعين المجمة ويرجع إلى الأول فإذا كان كذلك سأل بعضهم بعضاً ماذا لفظ قال ربكم في خبر بذلك جملة العرش للذين يلونهم ثم الذين يلونهم حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا ولهذا قال تعالى قالوا الحق أي أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان وهو العلى الكبير وقال آخرون بل معنى قوله تعالى حتى إذا فرغ عن قلبهم يعني المشركين عند الاحتضار ويوم القيامة إذا استيقظوا بما كانوا فيه من الغلظة في الدنيا ورجعت إليهم عقولهم يوم القيامة قالوا ماذا قال ربكم فقيل لهم الحق وأخبروا به بما كانوا عنه لاهين في الدنيا قال ابن أبي نجيب عن مجاهد حتى إذا فرغ عن قلبهم كشف

عنها الغطاء يوم القيامة وقال الحسن حتى اذا فرغ عن قلوبهم يعني ما فهم من الشك والتكذيب وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم حتى اذا فرغ عن قلوبهم يعني ما فهم من الشك قال فرغ الشيطان عن قلوبهم وما ربههم واما نبيهم وما كان يضلهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال وعذابي بن آدم هذا عند الموت اقر واحين لا ينفعهم الاقرار وقد اختار ابن جرير القول الاول ان الضمير عائد على الملائكة وهذا هو الحق الذي لا مربة فيه لصحة الاحاديث فيه والاثار ولتذكر منها طرفا يدل على غيره قال البخاري عند تفسير هذه الآية الكريمة في صحيحه حدثنا (١٦٥) الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عروة وقال سمعت

عكرمة قال سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله تعالى الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصف سفيان بيده خرفها ونشر بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقها الى من تحته ثم يلقها الاخر الى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر او الكاهن فر بما دركه الشهاب قبل ان يلقها وربما ألقاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء انفرد بانخراجه البخاري دون مسلم من هذا الوجه وقدرناه ابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به والله أعلم حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وعبد الرزاق

لفظ الفتنة وتذكري الاول في قوله أوتيته باعتبار معناها وقال النحاس بل عطية فتنة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان ذلك استدرج لهم من الله وامتحان لماعنة مدتهم من الشكر والكفر (قد قالها الذين من قبلهم) أي قال هذه الكلمة التي قالوها وهي قوله انما أوتيته على علم الذين من قبلهم فكفارون وقومه فان قارون قال انما أوتيته على علم عندي وانما نسب اليهم قوله باعتبار رضاهم به (فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ما نافية أي لم يغن عنهم ما كسبوا من متاع الدنيا شيئا واستفهامية أي أي شيء اغنى عنهم ذلك (فاصابهم سيئات ما كسبوا) أي جزاء سيئات كسبهم أو اصابهم سيئات هي جزاء كسبهم وسمى الجزاء سيئات لوقوعه في مقابلة سيئاتهم فيكون ذلك من باب الازدواج والمساكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وفيه رمز الى أن جميع أعمالهم كذلك ثم أورد سبحانه الكفار في عصره فقال (والذين ظلموا من هؤلاء) الموجودين من الكفار (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) كما اصاب من قبلهم وقد اصابهم في الدنيا ما اصابهم من القحط والقتل والاسر والقهر والسين للثأ كيد (وما هم بمعجزين) أي بغائتين على الله بل مرجعهم اليه يصنع بهم ما شاء من العقوبة (اولم يعلموا) الضمير للقائلين انما أوتيته على علم فالعنى أقالوها ولم يعلموا أو أغفلوا ولم يعلموا (ان الله يسر) أي يوسع (الرزق لمن يشاء) ان يوسع له وان كان لا حيلة له ولا قوة امتحانا (ويقدر) أي يقبضه على من يشاء ان يقبضه ويضيقه عليه وان كان قويا شديدا حيلة ابتلاء وقيل يجعله على قدر قوت قال مقاتل وعظهم الله ليعتبروا في توحيد الله وذلك حين مطر وابتعد سبع سنين فقال ولم يعلموا ان الله يوسع الرزق لمن يشاء ويقدر على من يشاء فلا قابض ولا باسط الا الله تعالى ويدل على ذلك ان ترى الناس مختلفين في سعة الرزق وضيقه فلا بد لذلك من حكمة وسبب وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجهه فان ترى العاقل القادر في أشد الضيق والجاهل الضعيف في أعظم السعة (ان في ذلك) المذكور من التوسيع والتضييق (لايات) أي دلالات عظيمة وعلامات جلية (لنوم يؤمنون) بالله وانما خص المؤمنين لانهم المتفكرون فيها ثم لما ذكر سبحانه ما ذكره من الوعيد عقبه بذكر سعة رحمة وعظيم معرفته وأمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يبشرهم بذلك فقال

قالا حدثنا عمر أخبرنا الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من أصحابه قال عبد الرزاق من الانصار فرمى بنجم فاستنار فقال صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون اذا كان مثل هذا في الجاهلية قالوا كنا نقول بولد عظيم أو يموت عظيم قلت للزهري أكان يرمى بها في الجاهلية قال نعم ولكن غلظت حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه الا يرمى بها الموت أحد ولا حياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى أمر اسبح جملة العرش ثم سجد أهل السماء الذين يلوونهم حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ثم يستخبر أهل السماء الذين يلوون جملة العرش فيقول الذين

يلون جملة العرش لجملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر كل أهل سماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء وتختطف الجن السمع فيرمون فاجأوا به على وجهه فهو حوق ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون هكذا رواه الامام أحمد وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث صالح بن كيسان والاوزاعي ويونس ومفضل بن عبيد الله أربعتهم عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهم ما عن رجل من الانصار به وقال يونس عن رجال من الانصار رضي الله عنهم وكذا رواه النسائي في التفسير من حديث الزبيدي عن الزهري به ورواه الترمذي فيه (١٦٦) عن الحسين بن حريث عن الوليد بن مسلم عن الاوزاعي عن الزهري

عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهم ما عن رجل من الانصار رضي الله عنه والله أعلم حديث آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف وأحمد بن منصور بن سيار الرامادي والسياسي لمحمد بن عوف قال حدثنا نعيم بن حجاج حدثنا الوليد بن وهاب بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عبد الله بن أبي زكريا عن رجاء بن حيوة عن النوايس بن سمعان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحى بأمره تكلم بالوحي فإذا تكلم أخذت السموات منه رجفة أو قال عدة شديدة من خوف الله تعالى فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام فيكلمه الله من وحيه بما أراد فيمضي به جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة كلها من السماء إلى السماء يسأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول عليه السلام قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم

(قل يا عبادي) قرئ بإثبات الباء وصلوا ووقفوا وبغير الباء وهما سبع عيات (الذين أسرفوا) أي أسرفوا (على أنفسهم) في الكفر والمعاصي واستكثروا منها (لأنقظوا) بفتح النون وبكسرها أي لتأسوا (من رحمة الله) أي من مغفرته وفي هذه الآية من أنواع المعاني والبيان أشياء حسنة منها إقباله تعالى عليهم وندأؤهم ومنها إضافة تشریف ومنها الالتفات من التمسك إلى الغيبة في قوله من رحمة الله ومنها إضافة الرحمة لأجل أسمائه الحسنى ومنها العادة الظاهر بلفظه في قوله الآتي ان الله قاله السمين وقال عبد الله وغيره هذه الآية أربى آية في كتاب الله سبحانه لا شتمها على أعظم بشارة فانه أول ما يضاف العباد إلى نفسه لقصده تشریفهم ومزيد تيسيرهم ثم وصنهم بالاسراف في المعاصي والاستكثار من الذنوب ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولى وبفعوى الخطاب قيل وهذه عامة في كل كافر يتوب ومؤمن عاص يتوب فتمحوت به ذنبه والمراد منها التنبية على انه لا ينبغي للعاصي ان يظن انه لا يخلص له من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله تعالى اذ لا أحد من العصاة الا وانه متى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة والحق ان الآية غير مقيدة بالتوبة بل هي على اطلاقها ولما نهاهم عن القنوط أخبرهم بما يدفع ذلك ويرفعه ويجعل الرجاء مكان القنوط وجاء بما لا يبقى بعده شك ولا يتخالف القلب عند سماعه ظن فقال (ان الله يغفر الذنوب) فالالف واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق افراده فهو في قوة ان الله يغفر كل ذنب كما انما كان الاما أخرجه النص القرآني وهو الشرك ثم لم يكتب بما أخبر عباده به من مغفرة كل ذنب بل أكد ذلك بقوله (جميعا) فيألهما من بشارة تراح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم برهم الصادقين في رجائه الخالعين لثياب القنوط الرافضين لسوء الظن بمن لا يتعاطمه ذنب ولا يتخيل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجهين اليه في طلب العفو المتجئين به في مغفرة ذنوبهم وما أحسن ما عمل به سبحانه هذا الكلام قائل (انه هو الغفور الرحيم) أي كثير المغفرة والرحمة عظيمهما بلعظمهما واسعهما فأبرز الجملة مؤكدة بان الفصل وبإعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الآية السابقة في أي هذا التفضل العظيم والعطاء الحسيم وظن ان تقنين عباد الله وتأيسرهم من رحمة أولى بهم مما بشرهم الله به

مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله تعالى من السماء والارض وكذا رواه ابن جرير وابن خزيمة عن زكريا بن أبان المصري عن نعيم بن حجابيه وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول ليس هذا الحديث بالتام عن الوليد بن مسلم رحمه الله وقد روى ابن أبي حاتم من حديث العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهم ما عن قتادة أنهم ما فسر هذه الآية بإتداء إيمان الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وسلم بعد الفترة التي كانت بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام ولا شك ان هذا أولى ما دخل في هذه الآية (قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانأوا يا كمل على هدى أو في ضلال مبين قل لا تسألون عما أجرنا

فقد

ولا نسئل عما تعلمون قل يجمع بيننا الحق وهو الفتح العليم قل أرؤى الذين ألحقتم به شركاء كلاب هو الله العزيز الحكيم) يقول تعالى مقرر انه بالخلق والرزق وانفراده بالالهية أيضا فكما كانوا يعترفون بانهم لا يرزقهم من السموات والارض أى بما ينزل من المطر ونبت من الزرع الا الله فكذلك فليعلموا أنه لا اله غيره وقوله تعالى وأنا وأياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين هذا من باب اللف والنشر أى واحد من الفريقين مبطل والآخر محق لاسيما الى ان تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال بل واحد منا صيب ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد فدل على بطلان ما أنتم عليه ١٦٧ من الشرك بالله تعالى ولهذا قال

وأننا وأياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين قال قتادة قد قال ذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين والله ما نحن وأياكم على أمر واحد ان أحد الفريقين لمهتد وقال عكرمة وزيد بن أبى مرثد معناها ان نحن لعلى هدى وانكم فى ضلال مبين وقوله تعالى قل لا تستلثون عمارنا ولا نستلث عمارنا معناه التبرى منهم أى لستم منا ولا نحن منكم بل ندعوكم الى الله تعالى والى توحيدنا وافرادنا العباد له فان أجبت فانتم منا ونحن منكم وان كذبت فنحن برآء منكم وأنتم برآء منا كما قال تعالى فان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بري مما تعملون وقال عز وجل قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما عبد لكم دينكم ولى دين وقوله تعالى قل يجمع بيننا ربنا أى يوم القيامة يجمع بين الخلائق فى صعد واحد ثم يفتح بيننا بالحق أى يحكم بيننا بالعدل فيجزى كل عامل بعمله ان

فقد ركب أعظم الشطط وغلط أقبح الغلط فان التبشير وعدم التقنيظ هو الذى جاء به مواعد الله فى كتابه العزيز والمسلك الذى سلكه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما صح عنه من قوله يسر واولاتيسر واولايسر واولايسر واواذا تقررتك هذا فاعلم ان الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء هو أن كل ذنب كما سماه كان ما عدا الشرك بالله مغفور لمن شاء الله ان يغفر له على انه يمكن ان يقال ان اخباره لتأنيبه يغفر الذنوب جميعا يدل على انه يشاء عفا عنها جميعا وذلك يستلزم انه يشاء المغفرة لكل المذنبين من المسلمين فلم يبق بين الآيتين تعارض من هذه الحيثية وامامنا زعمه جماعة من المفسرين من تقيده هذه الآية بالتوبة وانها لا تغفر الا الذنوب التائبين وزعموا أنهم قالوا ذلك للجمع بين الآيات فهو جمع بين الضب والنون وبين الملاح والحادى وعلى نفسهما برأى شجى ولو كانت هذه البشارة العظيمة مقيدة بالتوبة لم يكن لها كثير موقع فان التوبة من الشرك يغفر الله له بها ما فعله من الشرك باجماع المسلمين ولذا قال ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كانت التوبة مقيدة فى المغفرة لم يكن للتصميم على الشرك فائدة وقد قال سبحانه وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قال الواحدى المفسرون كلهم قالوا ان هذه الآية فى قوم خافوا ان أسلموا ان لا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام كالشرك وقتل النفس ومعاداة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلت هب انها فى هؤلاء القوم فكأن ماذا فان الاعتبار بما اشتملت عليه من العموم لا بخصوص السبب كما هو متفق عليه بين أهل العلم ولو كانت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية مقيدة بأسبابها غير متجاوزة لها لارتفعت كثرة التكليف عن الامة ان لم ترتفع كلها واللازم باطل بالاجماع فالملزوم منه وفي السنة المطهرة من الاحاديث الثابتة فى الصحيحين وغيرهما فى هذا الباب ما لو عرفه المطلع عليه حق معرفته وقدره حق قدره علم صحة ما ذكرناه وعرف حقيقة ما حرزناه قاله الشوكانى وعن ابن عمر قال كنا نقول ليس لمقتن توبة وما الله بقابل منه شيئا عرفوا الله وآمنوا به وصدقوا رسوله ثم رجعوا عن ذلك لبلاء أصابهم وكانوا يقولونه لانفسهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة أنزل الله فيهم قل يا عبادى الذين أسرفوا الايات قال ابن عمر فكتبتهما يدي ثم بعثت بها الى هشام بن العاصى وعن أبى سعيد قال لما أسلم وحشى أنزل الله والذين

خير انظر وان شرفتم وستعلمون يومئذ لمن العزة والنصرة والسعادة الابدية كما قال تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبون وأما الذين كفروا وكذبوا باياتنا وولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون ولهذا قال عز وجل وهو الفتح العليم أى الحاكم العادل العالم بحقائق الامور وقوله تبارك وتعالى قل أرؤى الذين ألحقتم به شركاء أى أرؤى هذه الالهة التى جعلتموها لله أندادا وصيرتموها له عدلا كالأئدى ليس له نظير ولا نبيد ولا شريك ولا عدل ولهذا قال تعالى بل هو الله أى الواحد الاحد الذى لا شريك له العزيز الحكيم أى ذو العزة الذى قد قهر بها كل شئ وغلبت كل شئ الحكيم فى

افعاله واقواله وشعره وقدره تبارك وتعالى وتقدس عما يقولون علوا كبيرا والله اعلم (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا  
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون)  
يقول تعالى بعد ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم تسليما وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا الى الا الى جميع الخلائق من  
المكلفين كقوله تبارك وتعالى قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا  
اى تبشرون اطاعتك بالجنة وتذرون (١٦٨) عصاك بالنار ولكن اكثر الناس لا يعلمون كقوله عز وجل وما اكثر الناس

لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق قال وحشى واصحابه  
قد ارتكبنا هذا كله فأنزل الله قل يا عبادى الذين أسرفوا الآية وأخرج البخارى فى  
الادب المفرد عن أبي هريرة قال خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم على رهط من أصحابه  
وهم يضحكون ويحدثون فقال والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم  
كثيرا ثم انصرف وأبكى القوم وأوحى الله اليه يا محمد لم تقنط عبادى فرجع النبي صلى الله  
عليه وآله وسلم فقال ابشروا وسددوا وقاربوا وعن عمر بن الخطاب انه انزلت فيمن أفتن  
وعن ابن عباس انه انزلت في مشركى مكة لما قالوا ان الله لا يغفر لهم ما قد اقترفوه من  
الشرك وقتل النفس وغير ذلك وأخرج أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه  
والبيهقى فى الشعب عن ثوبان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول  
ما أحب ان لى الدنيا وما فيها بهذه الآية يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فقال  
رجل ومن أشرك فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات  
وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى وحسنه وابن المنذر والحاكم وغيرهم عن أسماء بنت  
يزيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم  
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يالى انه هو الغفور الرحيم وعن ابن  
مسعود أنه مر على قاص يذكر الناس فقال يا مذكر الناس لا تقنط الناس ثم قرأ يا عبادى  
الآية وعن ابن سيرين قال قال على أى آية أوسع فجعلوا يذكرون آيات من القرآن من  
يعمل سوا أو يظلم نفسه الآية وشروها فقال على ما فى القرآن أوسع من يا عبادى الآية  
وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس فى الآية قال قد دعا الله الى مغفرته من زعم  
ان المسيح بن الله ومن زعم ان عزيز بن الله ومن زعم ان الله فقير ومن زعم ان يد الله مغلولة  
ومن زعم ان الله ثالث ثلاثة يقول لهؤلاء أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور  
رحيم ثم دعا الى توبته من هو أعظم قولامن هؤلاء من قال أنا ربكم الاعلى وقال ما علمت  
لكم من اله غيرى قال ابن عباس ومن آيس العباد من التوبة بعد هذا فقد سجد ككأب الله  
ولكن لا يقدر العبد ان يتوب حتى يتوب الله عليه وحديث ابى سعيد الخدرى فى رجل  
قتل تسعة وتسعين انسانا فى الصحيين بطوله وكذا حديث رجل قال وذرونى فى الرجح  
فيم ما بطوله عن أبي هريرة وعنه فى سنن أبى داود حديث رجلين متحابين وعن أنس قال

ولو حرصت بمؤمنين وان تطع اكثر  
من فى الارض يضلوك عن سبيل  
الله قال محمد بن كعب فى قوله تعالى  
وما ارسلناك الا كافة للناس يعنى  
الى الناس عامة وقال قتادة فى هذه  
الآية أرسل الله تعالى محمد صلى  
الله عليه وسلم الى العرب والعجم  
فاكرمهم على الله تبارك وتعالى  
أطوعهم لله عز وجل وقال ابن ابى  
حاتم حدثنا ابو عبد الله الظهرانى  
حدثنا حفص عن عمر العدى  
حدثنا الحكم يعنى ابن ابان عن  
عكرمة قال سمعت ابن عباس رضى  
الله عنهما يقول ان الله تعالى فضل  
محمد صلى الله عليه وسلم على أهل  
السماء وعلى الانبياء قالوا يا ابن  
عباس فبم فضله الله على الانبياء قال  
رضى الله عنه ان الله تعالى قال وما  
أرسلنا من رسول الا بلسان قومه  
ليبين لهم وقال للنبي صلى الله عليه  
وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس  
فأرسله الله تعالى الى الجن والانس  
وهذا الذى قاله ابن عباس رضى  
الله عنهما قد ثبت فى الصحيحين رفعه  
عن جابر رضى الله عنه قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم

أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجداً وطهوراً سمعت

فأيمارجل من أمتى ادركته الصلاة فليصل واحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبي يعث الى قومه  
وبعثت الى الناس عامة وفى الصحيح أيضاً ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت الى الاسود والاجر قال مجاهد يعنى الجن  
والانس وقال غيره يعنى العرب والعجم والكل صحيح ثم قال عز وجل مخبر اعن الكفار فى استبعادهم قيام الساعة ويقولون متى هذا  
الوعد ان كنتم صادقين وهذه الآية كقوله عز وجل يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق

الآية ثم قال تعالى قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اي لكم ميعاد مؤجل معدود محرر لا يراذول ولا ينقص  
فاذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم كما قال تعالى ان اجل الله اذا جاءه لا يؤخر وقال عز وجل وما تؤخره الا اجل معدود يوم يأتي لا تكلم  
نفس الاباذنه ففهم شقي وسعيد (وقال الذين كفروا لنؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند  
ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا الذين استكبروا لو انتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا والذين  
استضعفوا ان نحن صدقناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين (١٦٩) وقال الدين استضعفوا والذين استكبروا بل

مكر الليل والنهار اذا تأمروا بآن  
نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا  
الندامة لمارأوا العذاب وجعلنا  
الاعلال في أعناق الذين كفروا هل  
يجزون الا ما كانوا يعملون) يخبر  
تعالى عن تمادي الكفار في طغيانهم  
وعنادهم واصرارهم على عدم الايمان  
بالقرآن وبعما أخبر به من أمر المعاد  
ولهذا قال تعالى وقال الذين كفروا  
لنؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين  
يديه قال الله عز وجل متهدد اللهم  
ومتوعدا ومخبرا عن مواقفهم  
الذليله بين يديه في حال تخاصمهم  
وتحاجهم يرجع بعضهم الى بعض  
القول يقول الذين استضعفوا وهم  
الاتباع للذين استكبروا منهم وهم  
قادتهم وسادتهم لولا انتم لكنا مؤمنين  
أي لولا انتم تصدونا لكنا اتبعنا  
الرسول وأماننا جأؤنا به فقال لهم  
القادة والسادة وهم الذين استكبروا  
أفمن صدقناكم عن الهدى بعد اذ  
جاءكم أي نحن ما فعلنا بكم أكثر  
من نادعوناكم فاتبعتونا من غير  
دليل ولا برهان وخالفتم الأدلة  
والبراهين والجليج التي جاءت بها الرسل  
لشهووتكم واختياركم لذلك ولهذا

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن آدم انك مادعوتني  
ورجوتني غفرت لك عن ما كان منك ولا ابالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم  
استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني  
لا تشرب لبني شيئا لا يتك بقرابها غفرتا خرجه الترمذي والعنان السحاب والقراب  
بضم القاف هو ما يقارب ملءها (وانيبوا الى ربكم) أي ارجعوا اليه بالطاعة لما بشرهم  
سبحانه بأنه يغفر الذنوب جميعا أمرهم بالرجوع اليه بفعل الطاعات واجتناب المعاصي  
وليس في هذا ما يدل على تقييد الآية الاولى بالتوبة لا بمطابقة ولا تضمن ولا التزام بل غاية  
ما فيها انه بشرهم بتلك البشارة العظمى ثم دعاهم الى الخير وخوفهم من الشر على انه يمكن  
ان يقال ان هذه الجملة مستأنفة خطابا للكفار الذين لم يسلموا بدليل قوله (وأسلوا الله) جاء  
بها التحذير للكفار وانذارهم بعد ترغيب المسلمين بالآية الاولى وتبشيرهم وهذا وان كان  
بعيدا ولكنه يمكن ان يقال به والمعنى على ما هو الظاهر ان الله جمع لعباده بين التبشير  
العظيم والامر بالانابة اليه والاحلاص له والاستسلام لامره والخضوع لحكمه وقوله  
(من قبل ان يأتيكم العذاب) أي عذاب الدنيا كما يفيد النظم فليس في ذلك ما يدل على  
ما زعمه الزاعمون وتمسك به القانطون المقنطون والحمد لله رب العالمين (ثم لا تصرون) أي  
لا تمتنعون من العذاب ان لم تتوبوا قبل نزول العقاب (واتبعوا أحسن ما انزل اليكم من  
ربكم) يعني القرآن يقول أحلوا حلاله وحرموا حرامه والقرآن كله حسن قال الحسن  
الترمذي طاعته واجتنبوا معاصيه وقال السدي الاحسن ما أمر الله به في كتابه وقال ابن  
زيد يعني المحكمات وكلوا علم المتشابه الى عالمه وقيل التاسخ دون المنسوخ وقيل العنودون  
الاتقام بما يحق فيه الاتقام وقيل أحسن ما انزل اليكم من أخبار الامم المانصية ومثله  
قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل القرآن او المأمور به دون المنهسى  
عنه أو العزائم دون الرخص ولعله ما هو أفحى وأسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة (من  
قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) أي من قبل ان يفاجئكم العذاب وأنتم  
غافلون عنه لا تشعرون به وقيل اراد انهم يموتون بغتة فيموتون في العذاب والاول أولى  
لان الذي يأتيهم بغتة هو العذاب في الدنيا بالقتل والامر والخوف والتهر والجدب  
لا عذاب الاخرة ولا الموت لانهم لم يسند الا تبيان اليه (أن تقول نفس) قال البصريون

(٢٢ فتح البيان ثامن) قالوا بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اي بل كنتم  
تمكرون بنا ليلنا ونهارا وتغروننا وتمنوننا وتخبروننا نالنا هدى وأنا على شيء فاذا جمع ذلك باطل وكذب ودين قال قتادة وابن زيد بل  
مكر الليل والنهار يقول بل مكركم بالليل والنهار وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم مكركم بالليل والنهار اذا تأمروا بآن ان تكفروا بالله ونجعل  
له أندادا أي نظراء وآلهة معه وموقموا الناس بها وأشياء من الخيال تضلونها وأسر والندامة لمارأوا العذاب أي الجميع من السادة  
والاتباع كل ندم على ما سلف منه وجعلنا الاعلال في أعناق الذين كفروا وهي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم هل

يجزون الاما كانوا يعملون أي انما الحجاز يكملكم يا عمالكم كل بحسبه للقيادة عذاب بحسبهم وللا تباع بحسبهم قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون قال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا محمد بن سليمان بن الاصبهاني عن أبي سنان ضرار بن صرد عن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جهنم لما سبق اليها أهلها تلقاهم لها بها ثم لفتهم ثم لفتهم فلم يبق لحم الا سقط على العرقوب وحدثنا ابي حدثنا ابي الحوارى حدثنا الطيب أبو الحسن عن الحسن بن يحيى الخشني قال ما في جهنم دار

(١٧٠)

لخذتمه ابا سليمان يعني الداراني رجة الله عليه فبقي ثم قال ويحك فكيف به لو جمع هذا كله عليه فجعل القيد في رجله والغل في يديه والسلسلة في عنقه ثم أدخل النار وأدخل المغار اللهم سلم وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكبر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربي ييسر الرزق لمن يشاء ويمكره ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما أموالكم ولا اولادكم باقية تفر بكم عندنا نزلني الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم اجرنا الضعف بجماعهم لولا وهم في الغرقات آمنون والذين يسعون في آياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين يقول تعالى مسلينا لنيبيه صلى الله عليه وسلم وأمره بالتأسي بمن قبله من الرسل وخبره بأنه ما نبعث نبيا في قرية الا كذبه مترفوها واتبعه ضعفا وهم كما قال قوم نوح عليه الصلاة والسلام أنؤمن لك واتبعك

أي حذرا أن تقول وقال الكوفيون أي لسلا تقول قال المبرد بادرا وخوف أن تقول أو حذرا من أن تقول وقدره الرخصى كراهة أن تقول وابن عطية وأنيبوا من أجل أن تقول وأبو البقاء والحو في أئذنا لكم مخافة أن تقول قال الحلبي عقب نقل بعض هذه التقادير ولا حاجة الى اضمار هذا العامل مع وجود أنيبوا ونكر نفس لان المراد بها بعض النفس وهي النفس الكافرة المتميزة بالججاج الشديد في الكفر أو بالعذاب الاليم وقيل المراد به التكثير كما في قوله علمت نفس ما أحضرت أي نفوس كثيرة وهم الكفار والعصاة المؤمنون وقال الزجاج خوف أن تصيروا الى حال تقولون فيها (يا حسرتي) قرأ بالجمهور يا حسرتا بالالف بدل من الياء المضاف اليها وقرأ ابن كثير يا حسرتا بها السكت وقفا وقرأ أبو جعفر يا حسرتي بالياء على الاصل والحسرة الندامة والاعتصام والحزن على ما فات (على ما فرطت) أي على تقريطي وتقصيري فام صدرية (في جنب الله) أي طاعته قاله الحسن والجنب والجانب كلاهما بمعنى جهة الشيء المحسوسة واطلاق الجنب على الطاعة مجاز بالاستعارة حيث شبهت بالجهة بجماع تعلق كل بصاحبه فالطاعة لها تعلق بالله كما ان الجهة لها تعلق بصاحبها وقال الضحاك في ذكر الله ويعني به القرآن والعمل به وقال أبو عبيدة في ثواب الله وقيل في حق الله أو في أمر الله أو في ذات الله وقال الفراء الجنب القرب والجوارى في قرب الله وجواره ومنه قوله والصاحب بالجنب والمعنى على هذا القول على ما فرطت في طلب جواره وقربه وهو الجنة وبه قال ابن الاعرابي وقال الزجاج أي في الطريق الذي هو طريق الله من توحده والاقرار بنبوته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى هذا فالجنب بمعنى الجانب أي قصرت في الجانب الذي يؤدي الى رضا الله يقال انا في جنب فلان وفلان بين الجانب والجنب ثم قالوا فرطت في جنبه وفي جانبهم يريدون في حقه وهذا من باب الكناية قال ابن عباس في الآية أخبر الله ما العباد قائلون قبل أن يقولوا وعلمهم قبل ان يعلموا (وان كنت لمن الساخرين) أي وما كنت الامن المستمزين بدين الله في الدنيا وبكاتبه ورسوله وبالمؤمنين قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها والجملة حالية أي فرطت وأنا ساخر (أو تقول لو أن الله هداني لكانت من المتقين) أي لو أن الله أهداني الى دينه لكانت من يتقى الشرك والمعاصي وهذا من جملة ما يمتحج به المشركون من الحجج الزائفة ويتعللون به من العلل

الارذلون وما نزلنا نبي الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وقال الكبراء من قوم صالح للذين استضعفوا لمن آمن منهم الباطلة أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون وقال عز وجل وكذلك قتنا بعضهم بعضا ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين وقال تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليكروا فيها وقال جل وعلا واذا اردنا ان نموت قرية أو ندمرنا أو نغيرها فما نحن الا كذبة مترفوها واتبعه ضعفا وهم كما قال قوم نوح عليه الصلاة والسلام أنؤمن لك واتبعك



جبارتهم وقادتهم وروؤسهم في الشر انما أرسلتم به كافرون أي لانؤمن به ولا تتبعه قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا هرون بن اسحق حدثنا محمد بن عبد الوهاب عن سفينان عن عاصم عن أبي رزين قال كان رجلاً من شريكان خرج أحدهما إلى الساحل وبقي الآخر فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى صاحبه يسأله ما فعل فكتب إليه انه لم يتبعه أحد من قريش انما اتبعه أراذل الناس ومساكينهم قال فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال دلتني عليه قال وكان يقرأ الكتب أو بعض الكتب قال فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الام تدعوق قال أدعوا لي كذا وكذا قال أشهد (١٧١) انك رسول الله قال صلى الله عليه وسلم

وما علمك بذلك قال انه لم يبعث نبي الا اتبعه رذالة الناس ومساكينهم قال فنزلت هذه الآية وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال متفوها انما بما أرسلتم به كافرون الآية قال فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد أنزل تصديق ما قلت وهكذا قال هرقل لأبي سفينان حين سأله عن تلك المسائل قال فيها وسألتك عن اضعاف الناس

اتبعهم ام اشرفهم فزعمت بل ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل وقوله تبارك وتعالى اخبارا عن المترفين المكذبين وقالوا نحن أكثر اموالاً واولاداً وما نحن بمعذبين أي افتخروا بكثرة الاموال والاولاد واعتقدوا ان ذلك دليل على محبة الله تعالى لهم واعتنائهم بهم وانه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ثم يعذبهم في الآخرة وهيات لهم ذلك قال الله تعالى أيحسبون انما نخدهم به من مال ونبين نساير لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تبارك وتعالى فلا تحببكم أموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتذوقوا انفسهم وهم كافرون وقال

الباطلة كافي قوله سبحانه يقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركوا ولا آباؤنا فهي كلمة حق يريدون بها باطلا قال أبو المنصور هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا الاتباع هم لو هدانا الله لهديناكم ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا ثم ذكر سبحانه مقالة أخرى مما قالوه فقال (أوتوه حين ترى العذاب) والتعبير بأول للدلالة على ان النفس لا تخلو عن هذه الاقوال تحسروا وتحيرا وتعللا بما لا طائل تحته فأول التنويع لما تقول النفس في ذلك اليوم ويصح أن تكون مانعة خلقه فجزا الجمع (لوان لي كرة) أي رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) المؤمنين بالله الموحدين له المحسنين في أعمالهم ثم ذكر سبحانه جوابه على هذه النفس المتئمة المتعلقة بغيره فقال (بلى) أي فيقاله من قبل الله بلى الخ كانه قال ما هداني الله فيقال بلى (قد جاءتك آياتي) مرشدة للمراد بالآيات هي الآيات التزليمية وهو القرآن (فكذبت بها) وهو قوله انها ليست من عند الله (واستكبرت) أي تكبرت عن الايمان بها (وكنت) مع ذلك التكذيب والاستكبار (من الكافرين) بالله وجاء سبحانه بخطاب المسذكر في قوله جاءتك وكذبت واستكبرت وكنت لان النفس تطلق على المسذكر والمؤنث قال المبردة قول العرب نفس واحد أي انسان واحدا والتذكير باعتبار كونها شخصا كافرا قرأ الجهور بفتح التاء في هذه المواضع وقرئ بكسر هاء في جميعها وهي قراءة أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وبنته عائشة وأم سلمة ورويت عن ابن كثير (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله بان له شريكا وصاحبة وولدا) وجوههم مسودة (لما أحاط بهم من العذاب ولما شاهدوه من غضب الله ونقمته) والجملة في محل نصب على الحال قال الاخفش ترى غير عامل في وجوههم مسودة انما هو مبتدأ وخبر والاولى ان ترى ان كانت من الرؤية البصرية فجملة وجوههم مسودة حالية وان كانت قلبية فهي مفعول ثان لترى (ألين في جهنم منوى للمتكبرين) الاستفهام لتقرير اسوداد وجوههم وتعليل له كانه قال لان لهم في جهنم مقرا ومقاما والكبر هو بطر الحق وغمط الناس كما ثبت في الحديث الصحيح (وينجي الله الذين اتقوا) الشرك ومعاصي الله من جهنم متلبسين (بفازتهم) أي بمكان

عز وجل ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا وهدت له تمهيدا ثم يطمع ان أزيد كلاله كان لا يتناغم اذا سألهم صعدا وقد أخبر الله عز وجل عن صاحب تينك الجنتين انه كان ذاملا وغر وولد ثم يغن عنه شيئا بل سلبه ذلك كله في الدنيا قبل الآخرة ولهذا قال عز وجل ههنا قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يعطي المال لمن يحب ومن لا يحب فيفقير من يشاء ويعنى من يشاء وله الحكمة التامة البالغة والحجة القاطعة الدامغة ولكن أكثر الناس لا يعلمون ثم قال تعالى وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تقر بكم عندنا ربي أي ليست هذه دليلا على محبتنا لكم ولا اعتنائنا بكم قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا كثير حدثنا

جعفر حدثنا يزيد بن الأضمر عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم  
 وأموالكم ولكن انما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ورواه مسلم وابن ماجه من حديث كثير بن هشام عن جعفر بن برقان به ولهذا  
 قال الله تعالى الامن آمن وعمل صالحا أي انما يقربكم عندنا لثقتي الايمان والعمل الصالح فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا أي  
 تضاعف لهم الحسنة بعشرة أمثالها الى سبع مائة ضعف وهم في الغرفات آمنون أي في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس  
 وخوف وأذى ومن كل شر يحذر منه قال (١٧٢) ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن ابى المغراء الكندي حدثنا القاسم

وعلى بن مسهر عن عبد الرحمن بن اسحق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفات ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقال اعرابي لمن هي قال صلى الله عليه وسلم لمن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام والذين يسعون في آياتنا معاجزين أي يسعون في الصدق عن سبيل الله واتباع رسوله والتصديق بآياته فأولئك في العذاب محضرون أي جميعهم مجزيون بأعمالهم فيها بحسبهم وقوله تعالى قل ان ربي ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له أي بحسب ماله في ذلك من الحكمة ييسر على هذا من المال كثيرا ويضيق على هذا ويقتصر على هذا رزقه جدا وله في ذلك من الحكمة ما لا يدركها غيره كما قال تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا أي كما هم متفاوتون في الدنيا هذا فقير مدقع وهذا غني موسع عليه فكذلك هم في الآخرة هذا

فوزهم من الجنة بان يجعلوا فيه قرأ الجمهور بالافراد على انه مصدر ميمي والفوز الظفر بالخير والنجاة من الشر قال المبرد المفاضة مفعلة من الفوز وهو السعادة وان جمع فحسن كقولك السعادة والسعادات والمعنى ينجيهم الله بفوزهم أي بنجاتهم من النار وفوزهم بالجنة وقرئ بمنازاتهم جمع مفاضة وجمعها مع كونها مصدر الاختلاف الانواع وقيل ثم مضاف محذوف والتقدير بدو أي مفاضة أو باسبابها والمفاضة النجاة وقيل لاحاجة لذلك اذا مراد بالمفاضة الفلاح وجملة (لا يسهم السوء ولا هم يحزنون) مفسرة لمفاضةهم كانه قيل ومما مفاضةهم فقيل لا يسهم الخ أو منصوبة على الحال من الذين اتقوا وقيل الباء للسببية أي بسبب فوزهم مع انتفاء مساس السوء لهم وعدم وصول الحزن الى قلوبهم لانهم رضوا بثواب الله وأمنوا من عقابه (الله خالق كل شيء) من الاشياء الموجودة في الدنيا والآخرة كأنما كان من غير فرق بين شيء وشيء وفيه رد على المعتزلة والتمويه (وهو على كل شيء وكيل) أي الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير مشارئله (له مقاليد السموات والارض) جملة مستأنفة والمقاليد واحدها مقاليد ومقلاد أو لوا واحده من لفظه كاساطير ويقال أيضا قليد أو قاليد أو الكلمة أصلها فارسية على ما قيل انه جمع اقليد معرب اقليد والكلام من باب الكناية لان حافظ الخزان ومدبرها هو الذي يملك مفاتيحها فهو كناية عن شدة التمكن والتصرف في كل شيء يخزنون في السموات أو في الارض وأجل على الظاهر أو لى وهي هنا مفاتيح الرزق والرحمة قاله مقاتل وقناة وغيرهما قال ابن عباس أي مفاتيحها وقال الليث المقلاد الخزانة ومعنى الآية له خزان السموات والارض وبه قال الضحاك والسدي وقيل خزان السموات المطر وخزان الارض النبات وقيل هي عبارة عن قدرته سبحانه وحفظه لها والاول أولى قال الجوهري الاقليد المفتاح ثم قال والجمع المقاليد وقيل هي لاله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله وأخرج أبو يعلى ويوسف القاضي في سننه وأبو الحسن القطان وابن السني وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن عثمان بن عفان قال سألت رسوا لله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله له مقاليد السموات والارض فقال لي يا عثمان لقد سألتني عن مسئلة لم يسألني عنها أحد قبلك مقاليد السموات والارض لاله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله واستغفر الله الذي لا اله الا هو

في الغرفات في اعلى الدرجات وهذا في الغمرات في اسفل الدرجات وأطيب الناس في الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم الاول قد أقبل من اسلم وورق كفا فواقعه الله بما آتاه رواه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وقوله تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه أي مهما انفقتم من شيء فيما امركم به وياخه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل وفي الآخرة بالجزاء والثواب كما ثبت في الحديث يقول الله تعالى انفق انفق عليك وفي الحديث ان ملكين يصحان كل يوم يقول احدهما اللهم أعط ممسكنا تلفا ويقول الآخر اللهم أعط منفقنا تلفا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفق بلالا ولا تنحس من ذى العرش اقلالا وقال ابن أبي حاتم

حدثنا أبي عن يزيد بن عبد العزيز الفلاس حدثنا هشيم عن الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغني عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إن بعد زمانكم هذا زمان عضوض بعض الموسر على مافي يده حذار الانفاق ثم تلا هذه الآية وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرزقين وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا روح بن حاتم حدثنا هشيم عن الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغني عن حذيفة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إن بعد زمانكم هذا زمان عضوض بعض الموسر على مافي يده حذار الانفاق قال الله تعالى وما أنفقتم (١٧٣) من شيء فهو يخلفه وهو خير الرزقين

وفي الحديث شرار الناس يباعدون كل مضطر ألا إن بيع المضطرين حرام ألا إن بيع المضطرين حرام المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله إن كان عندك معروف فعده على أخيك والأفلاتر زده هلاكاً إلى هلاكه هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي اسناده ضعف وقال سفيان الثوري عن أبي يونس الحسن بن يزيد قال قال مجاهد لا يتأولن أحدكم هذه الآية وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه إذا كان عند أحدكم

ما يقبضه فليقبضه فإن الرزق مقسوم (ويوم يحذرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء آياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون قال يوم لا يملك بعضهم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤس الخلائق فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورهم ليقر بوجههم إلى الله زلفي فيقول

الاول والآخر والظاهر والباطن يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ثم ذكر فضل هذه الكلمات وله طرق عن عثمان وقيل غير ذلك والمعنى على هذا إن الله هذه الكلمات يوحدها ويعبدوهي مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها أصابه (والذين كفروا بآيات الله) أي بالقرآن وسائر الآيات الدالة على الله سبحانه وتوحيده (أولئك هم الخاسرون) أي الكاملون في الخسران لأنهم صاروا بهذا الكفر إلى النار متصل بقوله وينجي الله الخ أي معطوف عليه وما بينهما اعتراض وإن كان المعطوف جملة اسمية والمعطوف عليه جملة فعلية فهذا لا يمنع صحة العطف غاية أنه خال عن حسنة (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) الاستفهام للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر كفظاؤه والاصل أفتمروني أي بعدم مشاهدة الآيات الدالة على انفرادة وتوحيده أن أعبد غير الله فاله الكسائي وغيره وقيل أفتمروني عبادة غير الله أو أعبد غير الله أمره الله سبحانه أن يقول هذا للكفار لما دعوه إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام وقالوا هو دين آباءك وعن ابن عباس إن قرشاً دعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعطوه ما لا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء ويطنون عقبه فقالوا له هذا الذي يا محمد وتكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء قال حتى أنظر ما يأتي من ربي فجاءه الوحي قل يا أيها الكافرون إلى آخر السورة وأنزل الله عليه قل أفغير الله تأمروني إلى قوله من الخاسرين (ولقد) هذه اللام دالة على قسم مقدر أي والله لقد (أوحى إليك وإلى الذين من قبلك) من الرسل (لئن) جواب القسم وهذه اللام أيضاً دالة على قسم مقدر أي والله لئن (أشركت) يا محمد فرضاً (ليحبطن عملك وتكونن من الخاسرين) وكل من هاتين اللامين واقعة في جواب القسم الثاني والثاني وجوابه جواب الأول وجواب الشرط محذوف دلالة جواب القسم عليه وهذا الكلام من باب التعريض لغير الرسل لأن الله سبحانه قد عصمهم عن الشرك ووجه إرادته على هذا الوجه التحذير والاندثار للعباد من الشرك لأنه إذا كان موجبا لاجباط عمل الأنبياء على الفرض والتقدير فهو محبط لعمل غيرهم من أمهم بطريق الأولى قيل وفي الكلام تقديم وتأخير والتقدير ولقد أوحى إليك لئن أشركت الخ وأوحى إلى الذين من

للملائكة أهؤلاء آياكم كانوا يعبدون أي أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتهم كما قال تعالى في سورة الفرقان أنتم أضلتم عبادي هؤلاء هم ضلوا السبيل وكما يقول لعيسى عليه الصلاة والسلام أنت قلت للناس اتخذوني وأبي الهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي إن أقول ما ليس لي بحق وهكذا تقول الملائكة سبحانه أي تعاليت وتقدست عن أن يكون معك اله أنت ولينامن دونهم أي نحن عبديك ونبرأ إليك من هؤلاء بل كانوا يعبدون الجن يعنون الشياطين لأنهم هم الذين زينوا لهم عبادة الأوثان وأضلوا أكثرهم بهم مؤمنون كما قال تبارك وتعالى إن يدعون من دونه إلا أنا نأوا إن يدعون إلا شيطانا ناهر يد العنة الله قال الله عز وجل قال يوم لا يملك

بعضكم لبعض نفعوا ولا ضرا أى لا يقع لكم نفع من كنتم ترجون نفعه اليوم من الانداد والاثوان التى ادخرتم عبادتها لشدا تكم  
 وركبكم اليوم لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا وهم المشركون ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون أى يقال لهم  
 ذلك تقر يعاوتو بيخا (واذا اتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك  
 منفتري وقال الذين كفروا والحق لما جاءهم ان هذا الا سحرة مبين وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب  
 الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم (١٧٤) فكذبوا رسلى فكيف كان تكبير) يخبر تعالى عن الكفارة انهم يستحقون

منه العقوبة والاليم من العذاب لانهم كانوا اذا اتلى عليهم آياته يذمونه ويعنفوا غصبة طريفة من لسان رسوله صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم يعنون ان دين آباؤهم هو الحق وان ما جاءهم به الرسول عندهم باطل عليهم وعلى آباؤهم لعائن الله تعالى وقالوا ما هذا الا افك منفتري يعنون القرآن وقال الذين كفروا والحق لما جاءهم ان هذا الا سحرة مبين قال الله تعالى وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير أى ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن وما أرسل اليهم نبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقد كانوا يودون ذلك ويقولون لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب لكننا أهدى من غيرنا فلما من الله عليهم بذلك كذبوه وبجدهوه وعاندوه ثم قال تعالى وكذب الذين من قبلهم أى من الامم وما بلغوا معشار ما آتيناهم قال ابن عباس رضى الله عنهما ما اى من القوة فى الدنيا وكذا قال قتادة والسدى وابن زيد كما قال تعالى ولقد مكناهم فيما

قبلك كذلك قال مقاتل أى أوحى اليك والى الانبياء قبلك بالتوحيد والتوحيد محذوف ثم قال لئن أشركت يا محمد ليجعلن عملك وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة وقيل افراد الخطاب فى لئن أشركت باعتبار كل واحد من الانبياء كأنه قيل أوحى اليك والى كل واحد من الانبياء هذا الكلام لئن أشركت وهذه الآية مقيدة بالموت على الشرك كما فى الآية الاخرى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم وقيل هذا خاص بالانبياء لان الشرك منهم أعظم ذنبا من الشرك من غيرهم والاول أولى ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتوحيده فقال (بل الله فاعبد) وفى هذا رد على المشركين حيث أمر به بعبادة الاصنام ووجه الرد ما يفيد التقديم من القصر قال الزجاج لفظ اسم الله منصوب باعبد قال ولا اختلاف فى هذا بين البصريين والكوفيين وقال الفراء هو منصوب باضمار فعل وعن الكسائى مثله والاول أولى قال الزجاج والفاء فى فاعبد للمجازاة وقال الاخفش زائدة قال عطاء ومقاتل معنى فاعبد وحده لان عبادته لا تصح الا بتوحيده (وكن من الشاكرين) لانعامه عليك بما هداك اليه من التوحيد والدعاء الى دينه واختصك به من الرسالة (وما قدروا الله حق قدره) أى ما عرفوه حق معرفته وقال المبرد أى ما عظموه حق عظمتهم حين أشركوا به غيره من قولك فلان عظيم القدر وانما وصفهم بهذا لانهم عبدوا غير الله وأمروا رسوله بان يكون مثلهم فى الشرك وقرئ قدروا بالتشديد (والارض جميعا قبضته يوم القيامة) القبضة فى اللغة ما قبضت عليه بجمع كفك فأخبر سبحانه عن عظيم قدرته بان الارض كلها مع عظمتها وكثافتها فى مقدوره كالتى الذى يقبض عليه القابض بكفه كما يقولون هو فى يد فلان وفى قبضته للشىء الذى يهون عليه التصرف فيه وان لم يقبض عليه والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك قوله جميعا وقوله الا تى والسموات لان هذا التأكيد لا يتحسب من ادخاله الاعلى الجمع ولان الموضوع موضع تعظيم فهو مقتضى للمبالغة والمعنى الارضون جميعا ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة وقدم الارض على السموات لما شرتهم بها ومعرفتهم بحقيقتها اخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال جاء خبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد انما نجد ان الله يحمل السموات يوم القيامة على أصبع والشجر على أصبع والماء والترى على أصبع وسائر

ان مكناكم فيه وجعلناهم سمعا وابصارا واقتدوا فاعنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا اقتدتهم من شئ اذ كانوا يمجدون بايات الله وحق بهم ما كانوا يستهزؤن اقل يسروا فى الارض فيمنظروا كيف كان عقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة أى وما دفع ذلك عنهم عذاب الله ولا رده بل دمر الله عليهم كما كذبوا رسله ولهذا قال فكذبوا رسلى فكيف كان تكبير أى فكيف كان عقابى ونكالى واتصارى لرسلى (قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما ابصا حيككم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) يقول تبارك وتعالى قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين انك مجنون انما اعظكم بواحدة

اي انما امركم بواحدة وهي ان تقوموا لله مشئى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة أى تقوموا قايما خالصا لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضا هل بمحمد من محبون فينصيح بعضكم بعضا ثم تتفكروا أى ينظر الرجل لنفسه فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويسأل غيره من الناس عن شأنه ان أشكل عليه ويتفكر فى ذلك ولهذا قال تعالى ان تقوموا لله مشئى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة هذا معنى ما ذكره مجاهد ومحمد بن كعب والسدى وقتادة وغيرهم وهذا هو المراد من الآية فأما الحديث الذى رواه ابن أبي حاتم حدثنا ابى حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة (١٧٥) بن خالد حدثنا عثمان بن أبى العاتكة

عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى امامة رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول أعطيت ثلاثا لم يعطهن أحد من قبلى ولا نخرأ حلت لى الغنائم ولم تحل لى قبلى كانوا قبلى يجمعون غنائمهم فيحرقونها وبعثت الى كل أحر وأسود وكان كل نبي يعث الى قومه خاصة وجعلت لى الارض مسجدا وظهر أاتم بالصعيد وأصلى فيها حيث أدر كنتى الصلاة قال الله تعالى ان تقوموا لله مشئى وفرادا وأعنت بالرب مسيرة شهر بين يدى فهو حديث ضعيف الاسناد وتفسير الآية بالقيام فى الصلاة فى جماعة وفرادى بعيد ولعله مقعّم فى الحديث من بعض الرواة فان أصله ثابت فى الصحاح وغيرها والله أعلم وقوله تعالى ان هو الاذير لكم بين يدى عذاب شديد قال البخارى عندها حدثنا على بن عبد الله حدثنا محمد بن حازم حدثنا الأعمش عن عمر بن مرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال سعدنا لى صلى الله عليه وسلم الصفات يوم فقال يا صاحبه فاجتمعت اليه فريش فقالوا مالك فقال أرايتم لو أخبرتكم ان العدو يصحبكم أو يسبكم اما كنتم تصدقونى قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم فاني نذير أكم بين يدى عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك ألهذا جمعنا فانزل الله عز وجل تب يدأبى لهب وتب وقد تقدم عند قوله تعالى وانذر عشيرتلك الاقربين وقال الامام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا بشير بن المهاجر حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه رضى الله عنه قال خرج النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فنادى ثلاث مرات فقال أيها الناس تدرؤن ما مثلى ومثلكم قالوا الله تعالى ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم انما مثلى ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا بايتهم فبعثوا رجلا

الخلق على أصبع ثم هزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه تصدق بالقول الخبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة وانما خص يوم القيامة بالذكر وان كانت قدرته عامة وشاملة لدار الدنيا أيضا لان دعاوى تنقطع فى ذلك اليوم كما قال والامر يومئذ لله وقال مالك يوم الدين ولذلك قال فى الحديث ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض (والسموات مطويات بيمينه) ذكر اليمين للبعثة فى كمال القدرة كما يطوى الواحد منا الشئ المقدور له طيه بيمينه والى ضد النشر واليمين فى كلام العرب قد يكون بمعنى القدرة والملك قال الاخفش بيمينه يقول فى قدرته نحو قوله أو ما لك أيمانكم أى ما كانت لكم قدرة عليه وليس الملك لليمين دون الشمال وسائر الجسد ومنه قوله سبحانه لاخذنا منه باليمين أى بالقوة والقدرة وليس يريده طيا بعلاج وانتصاب وانما المراد بذلك الفناء والذهاب يقال قد انطوى عنما كفايه وجاءنا غيره وانطوى عنما وهو بمعنى المضى والذهاب قال الخازن اليمين ليس عندنا بمعنى الجارحة وانما هى صفة جاءها التوقيف فتحن نطقها على ما جاءت ولا تكييفها وننتهى الى حيث انتهى بنا الكتاب والاختبار الماثورة الصحيحة وهذا مذاهب أهل السنة والجماعة قال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه فى كتابه فتنسيه تلاوته والسكوت منه انتهى ومعنى الآية ما عظموه حق تعظيمه والحال انه متصف بهذه الصفة الدالة على كمال القدرة والمقصود الاشارة الى ان المتولى لابقاء السموات والارض فى هذه الدار هو المتولى لتخريبها يوم القيامة وذلك يدل على قدرته التامة على اليجاد والاعدام وان غنى على الاطلاق فانه اذا حاول تخريب الارض يقبضها ويزيلها وتخرب السموات يجمعها كالسجل المطوى أخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون أين ملوك الارض أخرجه الشيخان وفى الباب أحاديث وآثار تقتضى حمل الآية على ظاهرها من دون تكلف لتأويل ولا تعسف يقال وقيل ثم نزه سبحانه نفسه فقال (سبحانه وتعالى عما

يتراءى لهم فيبما هو كذلك أبصر العدو فاقبل لينذرهم وخشى أن يذركه العدو قبل أن ينذر قومه فأهوى بشوبه أيها الناس أو يتيم أيها الناس أو يتيم ثلاث مرات وبهذا الاسناد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة جميعا إن كادت لتسبقني تفرد به الامام احمد في مسنده (قل ما سألتكم من اجر فهو لکم ان اجرى الاعلى الله وهو على كل شئ شهيد قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الى ربي انه سميع قريب) يقول تعالى أمر رسوله صلى الله (١٧٦) عليه وسلم ان يقول للمشرکين ما سألتکم من اجر فهو لکم ای

لا يريد منكم جعلاً ولا عطاءً على اداء رسالة الله عز وجل اليكم ونصحي اياكم وأمرکم بعبادة الله ان اجرى الاعلى الله ای انما اطلب ثواب ذلك من عند الله وهو على كل شئ شهيد ای عالم بجميع الامور بما ناعلمه من اخباری عنه بارساله اياي الیکم وما اتم عليه وقوله عز وجل قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب كقوله تعالى يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده ای يرسل الملك الى من يشاء من عباده من اهل الارض وهو علام الغيوب فلا يخفى عليه خافية في السموات ولا في الارض وقوله تبارك وتعالى قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ای جاء الحق من الله والشرع العظيم وذهب الباطل وزهق واضمحل كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولهذا المادخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام يوم الفتح ووجدت تلك الاصنام منصوبة حول الكعبة جعل يطعن الصنم منها بسية قوسه ويقرأ وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان

بشرکون) به من المعبودات التي يجعلونها شركاء له مع هذه القدرة العظيمة والحكمة الباهرة (وتنفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض) هذه هي النفخة الاولى والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل وقد تقدم غير مرة وقد قيل انه يكون معه جبريل الحديث أي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان صاحبي الصور بايديهم ما أوفى أيديهم ما قرنان يلاحظان النظر حتى يؤمر أن أخرجه ابن ماجه وفي أبي داود عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صاحب الصور وقال عن عينه جبريل وعن يساره ميكائيل ذكره القرطبي ومعنى صعق زالت عقولهم فخرروا مغشياً عليهم وقيل ماتوا قال الواحدی قال المفسرون مات من الفزع وشدة الصوت أهل السموات والارض قرأ الجمهور الصور بسكون الواو وقرئ بفتحها جمع صورة (الامن شاء الله) والاستثناء متصل والمستثنى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل رضوان وحمله العرش وخزنة الجنة والحوار العين والناور قيل الباري تعالى وحده قاله الحسن وفيه نظر من حيث قوله من في السموات ومن في الارض فانه لا يتخير فعلى هذا يتعين ان يكون منقطعاً وقيل الزبانية وقيل عقارب أهل النار وحياتها أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رجل من اليهود بسوق المدينة والذي اصطفى موسى على البشر فرفع رجل من الانصار يده فلطمه وقال أتقول هذا وفيما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال قال الله ونفخ في الصور الى قوله ينظرون فأكون أول من يرفع رأسه فاذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله الا من شاء الله قال هم الشهداء المتقلدون أسيا فهم حول عرشه تتلقاهم الملائكة يوم القيامة الحديث أخرجه أبو يعلى والدارقطني في الافراد وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث وأخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد من قول أبي هريرة وعن أنس انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله الامن شاء الله فقال جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل وحمله العرش أخرجه القرطبي وابن جرير وأبو نصر السجزي في الابانة وابن مردويه وأخرج ابن المنذر عن جابر قال هو موسى لانه كان صعق قبل وههنا اشكال أورده بعض السلف وهو أن نص القرآن يدل على ان هذا الاستثناء

زهو قائل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وحده عند هذه الآية كلهم من حديث الثوري عن ابن ابي نجیح عن مجاهد عن ابي معمر عبد الله بن حكيم عن ابن مسعود رضي الله عنه به ای لم يبق للباطل مقالة ولا رياسة ولا كلمة وزعم قتادة والسدي ان المراد بالباطل ههنا ابليس ای انه لا يخلق احدا ولا يعيده ولا يقدر على ذلك وهذا وان كان حقا ولكن ليس هو المراد ههنا والله اعلم وقوله تبارك وتعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الى ربي ای الخير كله من عند الله وفيما انزل الله عز وجل من الوحي والحق المبين فيه الهدى والبيان والرشاد

بعد

ومن ضل فاعتابضل من تلقاء نفسه كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما سئل عن تلك المسئلة في المفوضة أقول فيها برأيي فان يكن صوابا فن الله وان يكن خطأ فمضى ومن الشيطان والله ورسوله بريان منه وقوله تعالى انه سميع قريب اي سميع لاقوال عباده قريب يجب دعوة الداعي اذا دعاه وقدروى النسائي ههنا حديث ابى موسى الذي في الصحيحين انكم لاتدعون أصم ولا غابا انما تدعون سميعا قريبا مجيبا (ولو ترى اذ فرقوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم وبين (١٧٧) ما يشتهون كما فعل بابشايهم من قبل انهم كانوا

في شك من قريب) يقول تبارك وتعالى ولو ترى يا محمد اذ فرغ هؤلاء المكذبون يوم القيامة فلا فوت أى فلا مقر لهم ولا وزر لهم ولا مجأ وأخذوا من مكان قريب أى لم يمكنوا ان يتنصروا من الهرب بل أخذوا من أول وهلة قال الحسن البصرى حين خرجوا من قبورهم وقال مجاهد وعطية العوفى وقتادة من تحت أقدامهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما والضحالك يعنى عذابهم في الدنيا وقال عبد الرحمن ابن زيد يعنى قتلهم يوم بدر والصحيح ان المراد بذلك يوم القيامة وهو الطامة العظمى وان كان ما ذكر متصل بذلك وحكى ابن جرير عن بعضهم قال ان المراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة والمدينة في أيام بنى العباس رضى الله عنهم ثم أورد في ذلك حديثا موضوعا بالكلية ثم لم ينبه على ذلك وهذا أمر عجيب غريب منه وقالوا آمنا به أى يوم القيامة يقولون آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسوله كما قال تعالى ولو ترى اذا مجرمون ناكس رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا

بعد نفخة الصعق وهى النفخة الاولى التى مات فيها من بقى على وجه الارض والحديث المتقدم يدل على انها نفخة البعث وما قيل انه يحتمل ان موسى ممن لم يمت من الانبياء باطل لصحة موته وقال القاضى عياض يحتمل أن تكون هذه صعقة فزع بعد التشرحين ناشق الارض والسموات فتوافق الآيات والاحاديث قال القرطبي ويرده ما مر في الحديث من أخذ موسى بقائمة العرش فانه انما هو عند نفخة البعث وايضا تكون النفخات اربعا ولم ينقله النقات قال الشهاب فن حمل الصعق على غشى يكون من نفخة بعد نفخة البعث للارهاب والارعاب فكلامه مردود بما عرفت ومن الغريب ان بعضهم جعلها بحديث أبى هريرة خمساً وقد سمعنا بن زاذنى الطنبورى نعمة ولم نسمع عن زاذنى الصور نفخة قال القرطبي والذي يزيح الاشكال ما قاله بعض مشايخنا ان الموت ليس بعدد من نفخات النفخة الى الانبياء والشهداء فانهم موجودون أحياء وان لم يرههم فاذا نفخت نفخة الصعق صعق كل من فى السموات والارض وصعق غير الانبياء موت وصعقتهم غشى فاذا كانت نفخة البعث حى من مات وأفاق من غشى عليه ولذا وقع فى الصحيحين فاكون أول من يفيق والاحاديث الواردة فى كيفية نفخ الصور كثيرة وقد ذكر سليمان الجلى فى هذا المقام عن ابن الوردى وغيره ما جاء فى صورة الصور وهيتها وتعداد نفخاته ولا تعلق له بالتفسير (ثم نفخ فيه) نفخة (اخرى فاذا هم) يعنى الخلق كلهم (قيام) على أرجلهم (ينظرون) ما يقال لهم أو ينتظرون ذلك والاستثناء ملاحظ فى هذا ايضا لان من لم يمت كالحور فلا يقال له ذلك عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال أبو هريرة أبيت قالوا اربعون شهرا قال أبيت قالوا اربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله عز وجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شىء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة أخرجه الشيخان ودلت الآيات على ان النفخة اثنتان الاولى للموت والثانية للبعث والجمهور على انها ثلاث الاولى للنزع كما قال ونفخ فى الصور ففزع والثانية للموت والثالثة للاعادة (واشرق الارض) الاشرار الاضائة يقال أشرقت الشمس اذا أضاءت وشرقت اذا طلعت وأراد بالارض عرصات القيامة أى الارض الجديدة التى يوجد بها الله فى ذلك الوقت ليحشر الناس عليها وليس المراد بها ارض الدنيا (بنورها) أى بعدل ربها قاله

(٢٣ فتح البيان ثامن) نعمل صالحا انما وقتون ولهذا قال تعالى وفى لهم التناوش من مكان بعيد أى وكيف لهم تعاطى الايمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا الى الدار الآخرة وهى دار الجزاء لادار الابتلاء فلو كانوا آمنوا فى الدنيا لكان ذلك نافع لهم ولكن بعد مصيرهم الى الدار الآخرة لاسيبل لهم الى قبول الايمان كما لاسيبل الى حصول الشىء لمن يتناوله من بعيد قال مجاهد وأنى لهم التناوش قال التناول لذلك وقال الزهري التناوش تناولهم الايمان وهم فى الآخرة وقد انقطعت عنهم الدنيا وقال الحسن البصرى لما انهم طلبوا الامر من حيث لا ينال تعاطوا الايمان من مكان بعيد وقال ابن عباس رضى الله عنهما طلبوا

الرجعة الى الدنيا والتوبة تمامهم فيه وليس بحين رجعة ولا توبة وكذا قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله وقوله تعالى وقد كفر اوبه  
من قبل أي كيف يحصل لهم الايمان في الآخرة وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا الرسل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد قال  
مالك عن زيد بن أسلم ويقذفون بالغيب قال بالظن قلت كما قال تعالى رجسنا بالغيب فتارة يقولون شاعر وتارة يقولون كاهن وتارة  
يقولون ساحر وتارة يقولون مجنون الى غير ذلك من الاقوال الباطلة ويكذبون بالبعث والنشور والمعاد ويقولون ان نظن الاظنا  
وما نحن بمستيقنين قال قتادة ومجاهد (١٧٨) يرجون بالظن لا بعث ولاجنة ولا نار وقوله تعالى وحيل بينهم وبين

الحسن وغيره وقال الضحاك بحكمهم بها والمعنى ان الارض أضاعت وأتارت بما أقامه  
الله من العدل بين أهلها وما قضى به من الحق فيهم فالعدل نور والظلم ظلمات وقيل  
ذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فخايضارون في نوره كما  
لايضارون في الشمس في يوم الصحو وقيل ان الله سبحانه يخلق نور يوم القيامة يلبسه  
وجه الارض فتشرق به غير نور الشمس والقمر ولا مانع من الحل على المعنى الحقيقي فان  
الله سبحانه هو نور السموات والارض قرأ الجهم وأشرق مبنيا للفاعل وقري على البناء  
للمفعول (ووضع الكتاب) قيل هو اللوح المحفوظ وقال قتادة يعني الكتب والصحف التي  
فيها أعمال بني آدم فأخذ بيمينته وأخذ بشماله وكذا قال مقاتل وقيل هو من وضع  
الحاسب كتاب المحاسبة بين يديه أي وضع الكتاب للحساب (وجي بالنبيين) الى الموقف  
فستلوا عما أجابتم به أمهم (والشهداء) الذين يشهدون على الامم من أمة محمد صلى الله  
عليه وآله وسلم كما في قوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقيل  
المراد بالشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله فيشهدون يوم القيامة لمن ذب عن دين الله  
قاله السندي وقيل هم الحفظة كما قال تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قاله ابن  
زيد قال ابن عباس النبيون الرسل والشهداء الذين يشهدون لهم بالبلاغ ليس فيهم طعان  
ولا لعان يشهدون بتبليغ الرسالة وتكذيب الامم اياهم ولما بين سبحانه أنه يوصل لكل ذي  
حق حقه عبر عن هذا المعنى بأربع عبارات وأولها قوله (وقضى بينهم بالحق) أي قضى بين  
العباد بالعدل والصدق والثانية (وهم لا يظلمون) أي والحال انهم لا يتقصون من ثوابهم  
ولا يزد على ما يستحقونه من عقابهم ختم الآية بنفي الظلم كما انفصها بآيات العدل والثالثة  
(ووفيت كل نفس ما عملت) من خير وشر أي جزاءه والرابعة (وهو أعلم بما ينعون) في  
الدنيا لا يحتاج الى كاتب ولا حاسب ولا شاهد لانه عالم بما يدبر أفعالهم ويكنيها ما فامتنع  
دخول الخطا عليه قاله الكرخي وقال القرطبي ومع ذلك فنشهد بالكتب والشهود الزاما  
للحجة انتهى يعني انما وضع الكتاب ووجي بالنبيين والشهداء لتكتميل الحجة وقطع المعذرة  
ثم ذكر سبحانه تفصيل ما ذكره من توفية كل نفس ما كسبت فقال (وسيق الذين كفروا  
الى جهنم زمرا) أي سيق الكافرون سوفا عنيفا الى النار حال كونهم جماعات متفرقة  
بعضها يتلو بعضا قال أبو عبيدة والاختفش زمرا جماعات متفرقة بعضها اثر بعض

ما يشتهون قال الحسن البصري  
والضحاك وغيرهما يعني الايمان  
وقال السندي وحيل بينهم وبين  
ما يشتهون وهي التوبة وهذا  
اختيار ابن جرير رحمه الله وقال  
مجاهد وحيل بينهم وبين ما يشتهون  
من هذه الدنيا من مال وزهرة وأهل  
وروى نحوه عن ابن عمر وابن  
عباس والربيع بن أنس رضي الله  
عنهم وهو قول البخاري وجماعة  
والصحيح انه لا منافاة بين القولين  
فانه قد يميل بينهم وبين شهواتهم في  
الدنيا وبين ما طلبوه في الدنيا فنعوا  
منه وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا أثرا  
غير يباغيبا جدا فلنذكره بطوله فانه  
قال حدثنا محمد بن يحيى حدثنا بشر  
ابن حجر الشامي حدثنا علي بن منصور  
الانباري عن الرقي بن قطامي عن  
سعيد بن طريف عن عكرمة عن ابن  
عباس رضي الله عنهما في قول الله  
عز وجل وحيل بينهم وبين  
ما يشتهون الى آخر الآية قال كان  
رجل من بني اسرائيل فالتحا ان فتح  
الله تعالى له مالا فبات فو رثه ابن له  
تافه اي فاسد فكان يعمل في مال  
الله تعالى بعباسي الله تعالى عز

وجل فلما رأى ذلك اخوان آية أوتوا النقي فعذلوه ولا موه فضجرت النقي فباع عقاره بصامت ثم رحل فأتى عينا واحدا  
تجاجة فزج فيها ماله وابتنى قصرافينما هو ذات يوم جالس اذ جلت عليه ريح باعراة من احسن الناس وجهها واطيبهم أرجاى  
ريحا فتالت من انت يا عبد الله فقال انا امرؤ من بني اسرائيل قالت فلك هذا القصر وهذا المال فقال نعم قالت فهل لك من زوجة  
قال لا قالت فكيف يهنئك العيش ولا زوجة لك قال قد كان ذلك قال فهل لك من بعل قالت لا قال فهل لك الى ان أت زوجك قالت  
اني امرأة منك على مسيرة ميل فاذا كان غد فتزودا يوم واتتني وان رأيت في طري يقن هو فلا يهولنك فلما كان من الغد تزودا



يوم وانطلق فانتهي الى قصر فصرع راجحه فخرج اليه شاب من احسن الناس وجهها واطيبهم أرجاى ربحا فقال من انت يا عبد  
الله فقال انا الاسرائيلى قال فاجتلك قال دعنى صاحبة هذا القصر الى نفسها قال صدقت قال فهل رأيت فى الطريق هولا قال  
نعم ولولانا اخبرتنى ان لا بأس على أهالى الذى رأيت قال ما رأيت قال أقبلت حتى اذا انفرج بنى السبيل اذا انا بكلمة فاتحة  
فاها فصرعت فوثبت فاذا أنا من وراءها واذا جراؤها ينحن فى بطنها فقال الشاب لست تدرك هذا هذا يكون فى آخر الزمان فقاعد  
الغلام المشيخة فى مجلسهم وبسرهم حديثه قال ثم أقبلت حتى اذا (١٧٩) انفرج بنى السبيل اذا انا بمائة عنز حذل واذا

فيها جمدى يصمها فاذا أتى عليها  
وظن أن لم يترك شيئا ففتح فاه يلمس  
الزيادة فقال لست تدرك هذا هذا  
يكون فى آخر الزمان ملك يجمع  
صامت الناس كلهم حتى اذا ظن  
ان لم يترك شيئا ففتح فاه يلمس الزيادة  
قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بنى  
السبيل اذا انا بشجر فاجعبنى عنص  
من شجرة منها ناضرة فارت قطعه  
فدعنى شجرة أخرى يا عبد الله منى  
نخذ حتى نادى الشجر أجمع يا عبد  
الله منى نخذ فقال لست تدرك هذا  
هذا يكون فى آخر الزمان يقل  
الرجال ويكثر النساء حتى ان  
الرجل ليخطب المرأة فتدعوه  
العشر والعشرون الى أنفسهم  
قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بنى  
السبيل فاذا انا برجل قال على عين  
يغرف لكل انسان من الماء فاذا  
تصدعوا عنه صب فى جرتيه فلم تعلق  
جرتيه من الماء بشي قال لست تدرك  
هذا هذا يكون فى آخر الزمان القاص  
يعلم الناس العلم ثم يخالفهم الى  
معاصى الله تعالى قال ثم أقبلت حتى  
اذا انفرج بنى السبيل اذا انا بعنز واذا  
يقوم قد أخذوا بقوائمها واذا رجل

واحد تها زمرة واشتقاقه من الزمر وهو الصوت اذا الجماعة لا تخلو عنه غالباً (حتى) هي  
التي تحكى الجمل بعدها (اذا جاؤها فتحت أبوابها) أى أبواب النار ليدخلوها وهي سبعة  
أبواب وكانت قبل ذلك مغلقة وقدمضى بيان ذلك فى سورة الحجر (وقال لهم خزنتها) جمع  
خازن نحو سدنة وسادن (ألم يأتكم رسل منكم) أى من أنفسكم ومن جنسكم (يتلون  
عليكم آيات ربكم) التي أنزلها عليكم (وينذروكم لنا يومكم هذا) أى يخوفونكم لقاء  
هذا اليوم الذى صرتم فيه والمراد به وقت الشدة لا يوم القيامة جميعه قال الزمخشري وقد  
جاء استعمال اليوم والايام مستقيماً فى أوقات الشدة قالوا لهم هذا القول تقر بعا  
وتوب أيضاً جاوبوا بالاعتراف ولم يقدروا على الجدل الذى كانوا يعللون به فى الدنيا لانكشاف  
الامر وظهوره ولهذا (قالوا بلى) أى قد أتتنا الرسل بآيات الله وأنذرونا بما سنلقاه  
(ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وهي لا ملأن جهنم من الجنة والناس  
أجمعين حتى بما ظاهراً مقام المضمر لبيان سبب استحقاقهم العذاب وهو كفرهم فلما اعترفوا  
هذا الاعتراف (قيل) لهم من قبل الملائكة الموكلين لعذابهم (ادخلوا ابواب جهنم)  
التي قد فتحت لكم لتدخلوها (خالدين) أى مقدرين الخلود (فهم أفتس مشوى المتكبرين)  
جهنم واللام فيه للجنس وحى بما ظاهراً لبيان سبب كفرهم الذى استحقوا به العذاب وقد  
تقدم تحقيق المنوى فى غير موضع ولما ذكر فيما تقدم حال الذين كفروا وسوقهم الى جهنم  
زمراً ذكرنا حال المتقين وسوقهم الى الجنة فقال (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة  
زمراً) أى ساقطهم الملائكة سوق اعزاز وتثريف وتكريم والمراد بذلك السوق  
اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم من الوافدين على بعض الملوك  
والمراد بالسوق المتقدم طردهم الى العذاب بالهوان كما يفعل بالاسر اذا سيق الى الحبس  
أو القتل فستان ما بين السوقين وهذا من بدائع أنواع البديع وهو أن يأتي سبحانه وتعالى  
بكلمة تفي حق الكفار فتسدل على هوانهم وعقابهم ويأتى بكلمة بعينها زهينتها فى  
حق المؤمنين فتسدل على اكرامهم بحسن ثوابهم فسخان من أنزله معجز المباني ممتكن  
المعاني عذب الموارد والمثنى قبل الكلام على حذف مضاف أى سيقت مرا كهم اذا  
لا يذهب بهم الا راكبين وقد سبق معنى الزمراى جماعات اهل الصلاة على حدة وأهل  
الصوم كذلك الى غير ذلك (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) جواب اذا محذوف قال المبرد

قد أخذ بقرنيا واذا رجل قد أخذ بذنبها واذا راكب قدر كرها واذا رجل يحتلمها فقال اما العنز فهى الدنيا والذين أخذوا بقوائمها  
يتساقطون من عيشها وأما الذى قد أخذ بقرنيا فهو يعالج من عيشها ماضيقاً وأما الذى أخذ بذنبها فقد أدبرت عنه وأما الذى قد  
ركبها فقد تركها وأما الذى يحملها فخرج ذهاب ذلك بها قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بنى السبيل اذا انا برجل يفتح على قلب كلب  
أخرج دلوه صبه فى الحوض فانساب الماء راجعا الى القلب قال هذا رجل رد الله عليه صالح عمله فلم يقبله قال ثم أقبلت حتى اذا  
انفرج بنى السبيل اذا انا برجل ينذر بذر ابيض تصد فاذا حنطة طيبة قال هذا رجل قبل الله صالح عمله وأزكاه له قال ثم أقبلت حتى

إذا انفرج حي السبيل إذا نابرجل مستلق على قفاه قال يا عبد الله ادن مني فخذ بيدي واقعدني فوالله ما أعدت منذ خلقني الله تعالى فأخذت بيده فقام يسعي حتى ما أراد فقال له الفتى هذا عمرا لا بعدن قدوا بأملك الموت وأنا المرأة التي أئمتك أمرني الله تعالى بقبض روح الأبعد في هذا المكان ثم أصره إلى نار جهنم قال ففيه نزلت هذه الآية وحيل بينهم وبين ما يشتهون الآية هذا أثر غريب وفي صحته نظر وتزليل الآية عليه وفي حقه بمعنى ان الكفار كما هم يتوفون وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا كما جرى لهذا المغرور المفتون ذهب يطلب مراده فجاءه ملك الموت (١٨٠) فجأة بغتة وحيل بينه وبين ما يشتهى وقوله تعالى كما فعل بأشباعهم من

قبل أي كما جرى للام الماضية المكذبة بالرسول لما جاءهم بأس الله ثم ان لو انوا فلم يقبل منهم فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكذبنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد دخلت في عباده وخسر هنالك الكافرون وقوله تبارك وتعالى انهم كانوا في شك مريب أي كانوا في الدنيا في شك وريبة فلهذا لم يقبل منهم الايمان عند معاينة العذاب قال قتادة اياكم والشك والريبة فان من مات على شك بعث عليه ومن مات على يقين بعث عليه آخر تفسير سورة سبأ والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

(تفسير سورة فاطر وهي مكية) \* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*

(الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير) قال سفيان الثوري عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كنت لأدري ما فاطر السموات والارض حتى

تقديره سعدوا وفتحت وقال الزجاج القول عندي ان الجواب محذوف على تقدير حتى اذا جاؤها وكانت هذه الاشياء التي ذكرت دخولها فالجواب دخلوها وحذف لان في الكلام دليلا عليه وقال الاخفش والكوفيون الجواب فتحت والواو زائدة وهو خطأ عند البصريين لان الواو من حروف المعاني فلا تتراد وقيل ان زيادة الواو دليل على ان الابواب فتحت لهم قبل ان يأتوا الكرامتهم على الله والتقدير حتى اذا جاؤها وأبوابها مفتحة بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب وحذفت الواو في قصة أهل النار لانهم وقفوا على النار وفتحت بعد وقوفهم اذ لا لا ترويعا ذكر معناه التحاسن منسوبا إلى بعض أهل العلم قال ولا أعلم أنه سبقه إليه أحد وعلى هذا القول تكون الواو والواو الحال بتقدير قد أي جاؤها وقد فتحت لهم الابواب وقيل انها الواو الثمانية وذلك ان من عادة العرب انهم كانوا يقولون في العدد خمسة ستة سبعة وثمانية وقد مضى القول في هذا في سورة براءة مستوفى وفي سورة الكهف أيضا وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء اضاءة وأخرج الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى باب الريان لا يدخله الا الصائمون وقد ورد في كون ابواب الجنة ثمانية أحاديث في الصحيحين وغيرهما وكنا نمتري ساكن الغرام إلى روضات دار السلام هو أحسن ما جمع في احوال الجنة فليرجع اليه ويعول عليه ثم اخبر سبحانه ان خزنة الجنة يسلمون على المؤمنين فقال (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) أي سلامة عليكم من كل آفة لا يعتبر بكم بعده مكره (طبتهم) وظهرتم في الدنيا فلم تتدنسوا بالشرك والمعاصي قال مجاهد طبتهم بطاعة الله وقيل بالعمل الصالح والمعنى واحد وقيل طاب لكم المقام وقيل طابت حالكم وحسنت وجعل دخول الجنة مسبعا عن الطيب والطهارة لانهم ادار الطيبين ومشوى الطاهرين قد طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها قال مقاتل اذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فتقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم حتى اذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم الآية وقد أخرج البخاري حديث القنطرة هذا في جامعه

اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما لصاحبه ان افطرتهما اي بدأتها وقال ابن عباس رضى الله عنهما من أيضا فاطر السموات والارض اي بديع السموات والارض وقال الضحاك كل شيء في القرآن فاطر السموات والارض فهو خالق السموات والارض وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اي بينه وبين انبيائه أولى أجنحة اي يطبرون بها يبلغوا ما امروا به سر يعا مثنى وثلاث ورباع أي منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له اربعة ومنهم من له أكثر من ذلك كما جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام ليلة الاسراء وله ستمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب

ولهذا قال جل وعلا يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير قال السدي يزيد في الاجنحة وخلقهم ما يشاء وقال الزهري وابن جرير في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء يعني حسن الصوت رواه عن السدي البخاري عن الزهري في الادب وابن ابي حاتم في تفسيره وقرئ في الشاذين يد في الخلق بالحاء المهملة والله أعلم ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يمسك لها وما يمسك فلا امرس له من بعده وهو العزيز الحكيم يخبر تعالى انه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع قال الامام أحمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا مغيرة اخبرنا عامر عن وراذ كاتب المغيرة بن شعبه (١٨١) قال ان معاوية كتب الى المغيرة بن شعبه

اكتب لي بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني المغيرة فكتبت اليه اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا انصرف من الصلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجدمنك الجدم وسمعته ينهي عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال وعن وأد البنات وعقوق الامهات ومنع وهات وأخرجاه من طرق عن وراديه وثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا رفع رأسه من الركوع يقول سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السماء والارض وملء ما شئت من شيء بعد اللهم أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجدمنك الجدم وهذه الآية كقوله تبارك وتعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا

من حديث أبي سعيد الخدري وهو طويل جدا (فادخلوها) أي الجنة (خالد بن) أي مقدرين الخلود (وقالوا) أي فعند ذلك قال أهل الجنة (الحمد لله الذي صدقنا وعده) بالبعث والثواب بالجنة في قوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا (واورثنا الارض) أي أرض الجنة قاله قتادة وأبو العالية كأنها صارت من غيرهم اليهم فلكوها وتصرفوا فيها وتصرف الوارث فيما يرثه في الكلام تجوز وقيل انهم ورثوا الارض التي كانت لأهل النار لو كانوا مؤمنين قاله أكثر المفسرين وقيل انها أرض الدنيا في الكلام تقديم وتأخير (تنبؤا من الجنة حيث نشاء) أي اتخذ فيها من المنازل ما نشاء حيث نشاء فلا يختار أحد مكان غيره وقيل يخبر كل واحد من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أين ينزل تكرمه له وان كان لا يختار الا ما قسم له وأما بقية الامم فيدخلون بعد أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فينزلون فيما فضل عنهم وفي الكرخي الجنة نوعان الجنات الجسمانية وهي لا تحتل المشاركة والجنات الروحانية وحصولها الواحد لا يمنع من حصوله لآخرين (فتم اجر العاملين) في الدنيا أي الجنة وهذا من تمام قول أهل الجنة وقيل هو من قول الله سبحانه (وترى) يا محمد (الملائكة حافين) أي محيطين ومحققين قائمين بجميع ما عليهم من الحقوق (من حول العرش) أي جوانبه التي يمكن الخفوف بها فيسمع الخفوف فهم صوت التسبيح والتحميد والتفديس وادخال من يفهم انهم مع كثرتهم الى حد لا يحصيه الا الله لا يملؤن حوله وهذا أولى من قول البيضاوي ان من مزيدة وبه قال الاخفش وأول ابتداء أي ابتداء خفوفهم من حول العرش الى حيث شاء الله والمعنى ان الرائي يراهم بهذه الصفة في ذلك اليوم والحافين جمع حاف قاله الاخفش وهو المخدق بالشيء من حفت بالشيء اذا حطت به وهو مأخوذ من الخفاف وهو الجانب وقال الفراء وتبعه الزمخشري لا واحد له من لفظه اذ لا يقع لهم هذا الاسم الاجتماعي (يسبحون بحمدهم) أي حال كونهم مسبحين لله يتلبسون بحمده أي يقولون سبحان الله وبحمده وقيل معنى يسبحون يصلون حول العرش شكر الربهم وهذا تسبيح تلذذ لتسبيح تعبد لان التكليف يزول في ذلك اليوم وذلك يشعر بأن ثوابهم هو عين ذلك التسبيح وأقبح ان منتهى درجات العلمين ولذاتهم الاستغراق في صفاته تعالى اللهم ارزقنا (وقضى بينهم) أي بين جميع العباد والخلائق (بالحق) أي بالعدل بادخال بعضهم الجنة وبعضهم النار وقيل بين النبيين

رادلفضله ولها نظر كثيرة وقال الامام مالك رحمه الله عليه كان أبو هريرة رضي الله عنه اذا مطر وايقول مطرنا بنوء الفتح ثم يقرأ هذه الآية ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يمسك لها وما يمسك فلا امرس له من بعده وهو العزيز الحكيم ورواه ابن ابي حاتم عن يونس عن ابن وهب عنه (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون) ينسب تعالى عباده ويرشدكم الى الاستدلال على توحيدهم في افراد العبادة كما انه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرط بالعبادة ولا يشرك به غيره من الاصنام والاشداد والاولاد وان ولهذا قال تعالى لا اله الا هو فأنى تؤفكون أي فكيف تؤفكون

بعد هذا البيان ووضوح هذا البرهان وأنتم بعد هذا تعبدون الانداد والاثان والله أعلم (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك  
 والى الله ترجع الامور يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه  
 عدوا وانما يدعو خبز به ليكونوا من أصحاب السعير) يقول تبارك وتعالى وان يكذبوك يا محمد هؤلاء المشركون بالله ويخالفوك فيما  
 جئتمهم به من التوحيد فإف فيمن سلف قبلك من الرسل أسوة فانهم كذلك جاؤا قلوبهم بالبينات وأمرهم بالتوحيد فكذبوهم  
 وخالفوهم والى الله ترجع الامور أي (١٨٢) وسنجزيهم على ذلك أوفر الجزاء ثم قال تعالى يا أيها الناس ان وعد الله حق أي

المعاد كائن لا محالة فلا تغرنكم الحياة الدنيا أي العيشة الدنيئة بالنسبة الى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تلهو عن ذلك الباقي بغير هذه الزهرة الفانية ولا يغرنكم بالله الغرور وهو الشيطان قاله ابن عباس رضي الله عنهما أي لا يفتنكم الشيطان وبصرفنكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلمانه فانه غرار كذاب أفاك وهذه الآية كالأية التي في آخر لقمان فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال مالك عن زيد بن أسلم هو الشيطان كما قال المؤمنون للمنافقين يوم القيامة حين يضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ثم بين عدو ابلليس لابن آدم فقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا أي هو مبارز لكم بالعداوة فعادوه أنتم أشد العداوة وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به انما يدعو خبز به ليكونوا من

الذين جئهم مع الشهادة وبين أممهم وقيل بين الملائكة بأقامتهم في منازلهم على حسب درجاتهم والاول أولى (وقيل الحمد لله رب العالمين) القائلون هم المؤمنون حمدوا الله على قضائه بينهم وبين أهل النار بالحق كما قالوا وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل القائلون هم الملائكة حمدوا الله تعالى على عدله في الحكم وقضائه بين عباده بالحق وبدأ سبحانه هذه الآية بالحمد وختها بالحمد للتمنيبه على تحميده في بداية كل أمر ونهايته والحمد الاول على صدق الوعد وايراث الجنة وهذا على القضاء بالحق فلان تكرار فيه وروى من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ على المنبر آخر الزمر فتحرك المنبر مرتين

\* (سورة غافر وهي سورة المؤمن وتسمى سورة الطول وهي خمس وثمانون آية) \*

وقيل اثنتان وثمانون آية قاله القرطبي وهي مكية في قول عطاء وجابر وعكرمة قال الحسن الا قوله وسبح بحمديك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة انه آيتين نزلتا بالمدينة وهما ان الذين يجادلون في آيات الله التي بعدها وكذا نص عليه السيوطي في الاتفاق وفي لب الاصول في اسباب النزول قال ابن عباس انزلت حم المؤمن بمكة وعن سمرة بن جندب قال نزلت الحواميم جميعا بمكة واخرج محمد بن نصر وابن مردويه عن أنس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله اعطاني السبع الحواميم مكان التوراة واعطاني الرات الى الطواسين مكان الانجيل واعطاني ما بين الطواسين الى الحواميم مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي وقال ابن عباس ان لكل شئ لباوان لباب القرآن حم وقال ابن مسعود الحواميم ريباج القرآن وعنه قال اذا وقعت في آل حم وقعت في روصات دمئيات أنأناق فيهن وعن سعد بن ابراهيم قال الحواميم تسمى العرائس رواه الدارمي في مسنده وقال الجوهرى آل حم سور في القرآن فأما قول العامة الحواميم فليس من كلام العرب وبه قال الحريري في درة الغواص وقال ابو عبيدة الحواميم على غير قياس والاولى ان تجمع بذوات حم انتهى فتخلص من مجموع هذه الاخبار ان هذه السور السبع تسمى الحواميم وتسمى آل حم وتسمى ذوات حم فلها جوع ثلاثة خلافا لمن أنكر الاول منها واخرج البيهقي في الشعب عن خليل بن

أصحاب السعير أي انما يقصد ان يضلكم حتى تدخلوا معه الى عذاب السعير فهذا هو العدو والمين نسال مرة  
 الله القوى العزيز ان يجعلنا أعداء الشيطان وان يرزقنا اتباع كتابه والافتقار بطريق رسوله انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وهذه كقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفقتضونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير افن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون) لما

ذکر تعالی ان اتباع ابليس مصيرهم الى السعير ذکر بعد ذلك ان الذين كفروا لهم عذاب شديد لانهم اطاعوا الشيطان وعصوا الرحمن وان الذين آمنوا بالله و عملوا الصالحات لهم مغفرة أي لما كان منهم من ذنب وأجر كبير على ما علموا من خير ثم قال تعالی ان من زين له سوء عمله فرآه حسنا یعنی كالكفار والفجار يعملون أعمالا سيئة وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون انهم يتحسنون صنعا أي أفن كان هكذا أقدم الله فيه حيلة لا حيلة لك فيه فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء أي بقدره كان ذلك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات أي لا تأسف على ذلك فان الله حكيم في قدره (١٨٣) انما يضل من يضل ويهدي من يهدي

لما له في ذلك من الحجة البالغة والعلم التام ولهذا قال تعالی ان الله عليم بما يصنعون وقال ابن أبي حاتم عنده هذه الآية حدثنا ابی حدثنا محمد بن عوف الجصی حدثنا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي عمر والشيباني أو ربيعة عن عبد الله بن الدليل قال أتيت عبد الله بن عمر رضی الله عنه ما روه في حائط بالطائف يقال له الوهظ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ فقد اهتدى ومن أخطأ منه ضل فلذلك أقول جف القلم على ما علم الله عز وجل ثم قال حدثنا محمد بن عبدة القزوينی حدثنا حسان بن حسان البصری حدثنا ابراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا ابراهيم القرشي عن سعد بن شريحيل عن زيد بن أبي أوفى رضی الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحمد لله الذي يهدي من الضلالة ويلبس

حرمة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الخواميم سبع وأبواب النار سبع يحيى كل حم منها يقف على باب من هذه الابواب يقول اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأني

(بسم الله الرحمن الرحيم حم) قرأ الجمهور بفتح الحاء مشبعا وقرئ بامالته امالة محضة وبامالته بين بين وقرأ الجمهور بسكون الميم كسائر الحروف المقطعة وقرأ الزهري بضمها على انها خبر مبتدأ مضمرة أو مبتدأ والخبر ما بعده وقرأ عيسى بن عمر الثقفي بفتحها وهي تحقل وجهين أحدهما انها منصوبة بنعل مقدر أي اقرأ حم وانما منعت من الصرف للعلمية والتأنيث أو للعلمية وشبه الجمجمة وذلك انه ليس في الازران العربية وزن فاعيل بخلاف الاعمجة نحو قاييل وهاميل والثاني انها حركة بناء تخفينا كأمين وكف وقرأ ابن أبي اسحق وأبو السمك بكسرها الالتقاء الساكنين أو تقدير القسم وقرأ الجمهور بوصل الحاء بالميم وقرأ أبو جعفر بقطعها وقد اختلف في معناه ف قيل هو اسم من اسماء الله قاله ابو امامة وقيل اسم من اسماء القرآن قاله قتادة وقال الضحاك والكسائي معناه قضى وجعل له بمعنى حم اي وقع وقضى وقيل مفتاح خزائنه وتيل اسم الله الاعظم وقيل يده اسماء الله تعالى الحميد وحكيم وحنان وكالم ومجيد ومنان ومتكبر ومصور ومؤمن ومهيمن وقيل معناه حم امر الله اي قرب نصره لا ولياته واتقاه من اعدائه وهذا كله تكلف لا موجب له وتعسف لا ملحق اليه والحق ان هذه الفاتحة لهذه السورة وأمنا الهامان المتشابه الذي استأثر الله بعلم معناه كما قدمنا تحقيقه في فاتحة سورة البقرة وخرج الترمذي والحاكم وصححه وابدو داود وغيرهم عن المهلب بن ابي صفرة قال حدثني من سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ليلة الخندق ان أتيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وعن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انكم تلقون عدوكم فليكن شعاركم حم لا ينصرون اخرجاه النسائي والحاكم وابن ابي شيمية (تنزيل الكتاب) هو خبر لحم على تقدير أنه مبتدأ وخبر لمبتدأ مضمرة أي هذا تنزيل أو هو مبتدأ وخبره (من الله) قال الرازي المراد بالتنزيل المنزل والمعنى ان القرآن منزل من عند الله ليس بكذب عليه (العزير) المنيع بساطانه الغالب القاهر في ملكه (العليم) الكثير العلم بخلقه وما يقولونه ويفعلونه فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين (غافر الذنب) أي ذنب المؤمنين وعن

أرسل الرياح فتسير سحابا فاسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعده وتما كذلك النشور من كان يريد العزة فقلته العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير) كثير ما يستدل تعالی على المعاد باحيائه الارض بعد موتها كما في قول الحج بنبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك فان الارض تكون ميتة هامدة لا نبات فيها فاذا ارسل اليها السحاب تحمل الماء وأنزل عليها اهتزت وربت وأنتبت من كل زوج بهيج كذلك

الاجساد اذا اراد الله تعالى بعثها ونشورها أنزل من تحت العرش مطرايم الارض جميعا ونبتت الاجساد في قبورها كما نبتت الحبة في الارض ولهذا جاء في الصحيح كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب ولهذا قال تعالى كذلك النشور وتقدم في الحج حديث أبي رزين قلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك في خلقه قال صلى الله عليه وسلم يا أبا رزين اما مررت بوادي قومك فمحللهم مررت به يهترخضرا قلت بلى قال صلى الله عليه وسلم فكذلك يحيى الله الموتى وقوله تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا أي من كان يجب أن يكون عزيزا (١٨٤) في الدنيا والآخرة فدلنا طاعة الله تعالى فانه يحصل له مقصوده لان

ابن عمر قال سائر الذنوب لمن يقول لا اله الا الله (وقابل التوب) أي توبة الراجعين أو عن يقول لا اله الا الله والتوب والتوب والأوب اخوات في معنى الرجوع ومصادر وقال الاخفش التوب جمع توبة كدوم ودومة وادخال الواو في هذا الوصف لافادة الجمع للمذنب المتائب بين قبول توبته ومحو حوربه قاله العمادى أو لتغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد قاله البيضاوى (شديد العقاب) أي مشدده لمن لا يقول لا اله الا الله أو على المخالفين والكافرين وقيل قابل التوب لا وليا له وشديد العقاب لاعدائه وقيل قابل التوب من الشرك وشديدا لعقاب لمن لا يوحد (ذى الطول) أي ذى الفضل على العارفين أو الغنى عن كل العالمين وأصل الطول الانعام والتفضل أي ذى الانعام على عباده والتفضل عليهم وقال مجاهد وابن عباس ذى الغنى والسعة ومنه قوله ومن لم يستطع منكم طولا أي غنى وسعة وقال عكرمة ذى المن قال الجوهري والطول بالفتح المن يقال منه طال عليه ويطول عليه اذا امتن عليه وقال محمد بن كعب ذى التفضل قال الماوردى والفرق بين المن والتفضل ان المن عفوعن ذنب والتفضل احسان غير مستحق والله سبحانه موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات فاضافة المشتق منها للتعريف كالاخيرة وقال السمين فيها ثلاثة اوجه أحدها انها كلها صفات للجلالة الثانية ان الشكل ابدال لان اضافتها غير محضة الثالثة ان عافرو قابل نعمتان وشديد العقاب بدل انتهى ثم ذكر ما يدل على توحيده وانه الحقيق بالعبادة فقال (لا اله الا هو) اسم تنافي أو حال لازمة وقال أبو البقاء صفة قال ابن عادل وهذا على ظاهره فاسد لان الجملة لا تكون صفة للمعارف ويمكن ان يريد أنه صفة لشديد العقاب لانه لم يعرف عنده بالاضافة (اليه) لا الى غيره (المصير) أي مصير من يقول لا اله الا الله فيدخل الجنة ومصير من لا يقول لا اله الا الله فيدخل النار وذلك في اليوم الآخر قال الكرخي حال من الجملة قبله أخرج أبو عبيد وابن سعد ومحمد بن نصر وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حم المؤمن الى اليه المصير وآية الكرسي حين يصبح حفظ بها حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي حفظ بها حتى يصبح ثم لما ذكر الله سبحانه أن القرآن كتاب الله أنزله ليهتدى به في الدين ذكر أحوال من يجادل فيه لقصد ابطاله فقال (ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا) أي ما يجادل في دفع آيات الله

الله تعالى مالك الدنيا والآخرة وله العزة جميعا كما قال تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتعنون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقال عز وجل ولا يحزلك قولهم ان العزة لله جميعا وقال جل جلاله والله العزة لرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون قال مجاهد من كان يريد العزة بعبادة الاوثان فان العزة لله جميعا وقال قتادة من كان يريد العزة فان العزة لله جميعا أي فليست عزة طاعة الله عز وجل وقيل من كان يريد علم العزة لمن هي فان العزة لله جميعا وحكاه ابن جرير وقوله تبارك وتعالى اليه يصعد الكلم الطيب يعنى الذكروا تسلوا والدعاء فانه غير واحد من السلف وقال ابن جرير حدثنا محمد بن اسمعيل الاجسى أخبرني جعفر بن عون عن عبد الرحمن بن عبد الله السعوى عن عبد الله بن المخارق عن أبيه المخارق بن سليم قال قال لعبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه اذا حدثناكم بحديث أئناكم تصديق ذلك من كتاب الله تعالى ان العبد المسلم اذا قال سبحان الله وبحمده والاله الا الله والله أكبر تبارك الله أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن الى السماء فليمر بهن على جمع من الملائكة الاستغفار والقاتلن حتى يحيى بهن وجه الله عز وجل ثم قرأ عبد الله رضي الله عنه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وحدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن عمية أخبرنا سعيد بن الجري عن عبد الله بن شقيق قال قال كعب الاحبار ان سبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر لدو يا حول العرش كدوى النحل يذكرن لصاحبين والعمل الصالح في الخزان وهذا اسناد صحيح الى كعب

وتكذيبها

وتكذيبها

الاحبار رحمة الله عليه وقد روى مر فوعا قال الامام أحمد حدثنا ابن غير حدثنا موسى يعني ابن ابي مسلم الطحان عن عون بن عبد الله عن ابيه اوعن اخيه عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يذكرون الله من جلال الله من تسبيحه وتكبيره وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبهن الا يحب احدكم ان لا يزال له عند الله شيء يذكروه هكذا رواه ابن ماجه عن ابي بشر بن بكر بن خلف عن يحيى بن سعيد القطان عن موسى بن ابي مسلم الطحان عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابيه اوعن اخيه عن النعمان (١٨٥) بن بشير رضى الله عنه به وقوله تعالى

والعمل الصالح يرفعه قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما الكرم الطيب ذكرا لله تعالى يصعبه الى الله عز وجل والعمل الصالح أداء القرية فمن ذكرا لله تعالى في أداء فرائضه جعل عمله ذكرا لله تعالى يصعبه الى الله عز وجل ومن ذكرا لله تعالى ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله فكان اولى به وكذا قال مجاهد العمل الصالح يرفعه الكلام الطيب وكذا قال ابو العباس وعكرمة و ابراهيم النخعي والضحاك والسدي والربيع بن انس وشهر بن حوشب وغير واحد وقال اياس بن معاوية القاضى لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام وقال الحسن وقتادة لا يقبل قول الا بعمل وقوله تعالى والذين يذكرون السيئات قال مجاهد وسعيد ابن جبير وشهر بن حوشب هم المرؤن باعمالهم يعني يذكرون بالناس يوهمون انهم في طاعة الله تعالى وهم بغضاء الى الله عز وجل يرون باعمالهم ولا يذكرون الله الا قليلا وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هم المشركون والصحيح انها عامية

وتكذيبها بالظن فيها الا الكفار والمراد الجدال بالباطل والقصد الى دحض الحق كما في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال لاستيضاح الحق وابطاح الملتبس وحل المشكل وتكذيبها وكشف المعضل واستنباط المعاني ورد اهل الزبغ بها ورفع اللبس والبحث عن الراجح والمرجوح وعن المحكم والمتشابه ودفع ما يتعلق به المبطلون من متشابهات القرآن وردهم بالجدال الى المحكم فهو من اعظم ما يتقرب به المتقربون وافضل ما يجاهد في سبيله المجاهدون وبذلك اخذ الله الميثاق على الذين اتوا الكتاب فقال واذا اخذنا الله ميثاق الذين اتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقال ان الذين يكتمون ما آتزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك نلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وقال ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن فتلخص ان الجدال نوعان جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل اما الاول فهو حرفة الانبياء عليهم السلام ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم نوح قد جادلنا واما الثانى فهو مذموم وهو المراد به الآية تجد لهم في آيات الله هو قولهم مرة هذا سحر ومرة شعر ومرة هو قول الكهنة ومرة اساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر واشباه هذا قاله الكرخي واخرج عبد بن حميد وابوداود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان جد الا في القرآن كفر وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المرء في القرآن كثر اخرجته ابوداود وغيره وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم اسمع اصوات رجلين اختلفا في آية فخرج يعرف في وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب اخرجته مسلم قال ابو العباس آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن هذه الآية وقوله وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ولما حكم سبحانه على الجادلين في آيات الله بالكفر بنسى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن ابن عمر بنى من حظوظهم الدنياوية فقال (فلا يغروك تقلبهم في البلاد) أى فلا يغروك ما يفعلونه من التجارة النافقة في البلاد كالشام واليمن وما يحصونه من المكاسب والارباح وما يجمعونه من الاموال سالمين غانمين فانهم معاقبون عما قليل وان امهلوا فانهم لا يمهلون قال الزجاج لا يغروك سلامتهم بعد كفرهم فان عاقبتهم الهلاك وهذا نسبية له صلى الله عليه وآله وسلم وعيد لهم والقاء

( فتح البيان ثامن )

والمشركون داخلون بطريق الاولى ولهذ قال تعالى لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يورأى يفسد ويطل ويظهر زيفهم عن قريب لا ترى البصائر والنهي فانهم ما أسروا حدسيرة الأبداء الله تعالى على صفحات وجهه وقلبات لسانه وما أسروا حدسيرة الا كساه الله تعالى رداءها ان خيرا خيرا وان شرا فشر فالمرأى لا يروج أمره ويستمر الا على غيب أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم بل ينكشف لهم عن قريب وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية وقوله تبارك وتعالى والله خذكم من تراب ثم نطفة أى ابتداء خلقكم آدم من تراب ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين

ثم جعلكم أزواجاً أي ذكراً وأنثى لطفاً منه ورجه ان جعل لكم أزواجاً من جنسكم لتسكنوا اليها وقوله عز وجل وما تحمّل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه أي هو عالم بذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء بل ما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وقد تقدم الكلام على قوله تعالى الله يعلم ما تحمّل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال وقوله عز وجل وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب أي ما يعطى بعض النطف من العمر الطويل بعلمه وهو عنده (١٨٦) في الكتاب الأول وما ينقص من عمره الضمير عائداً على الجنس

لا على العين لان الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله تعالى لا ينقص من عمره وإنما عاد الضمير على الجنس (١) قال ابن جرير وهذا كقولهم عندى ثوب ونصفه أي ونصف ثوب آخر وروى من طريق العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ان ذلك على الله يسير يقول ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة الا هو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت ذلك له فانما ينتهى الى الكتاب الذى قدرت لاي زاد عليه وليس احد قضيت له أنه قصير العمر والحياة يبلغ العمر ولاكن ينتهى الى الكتاب الذى كتبت له فذلك قوله تعالى ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ان ذلك على الله يسير يقول كل ذلك في كتاب عنده وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ولا ينقص من عمره إلا في كتاب قال ما نفقت الأرحام من الأولاد من غير تمام وقال عبد الرحمن بن زيد بن زيد بن أسلم

لترتيب النهى أو وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذى لا شيء أمقت منه عند الله ولا أجلب لفسران الدنيا والآخرة قرأ الجمهور لا يغربك بفقد الأديعام وقرئ بالأديعام وهو جواب لشروط مقدراً أي اذا تقرر عندك ان المجادلين في آيات الله كفار فلا يغربك الخ ثم بين حال من كان قبلهم وأن هؤلاء سلكوا سبيل أولئك في التكذيب فقال (كذبت قبلهم) أي قبل أهل مكة (قوم نوح والأحزاب من بعدهم) أي وكذبت الأحزاب الذين تحزبوا على الرسل من بعدهم قوم نوح كعاد وعود وغيرهما (وهمت كل أمة) من تلك الأمم المكذبة (برسولهم) الذى أرسل اليهم (ليأخذوه) أي ليمتكنوا منه فيجسوه ويعذبوه ويصيبوا منه ما أرادوا وقال قتادة والسدى يقتلوه والخذقديري بمعنى الأهلاك كقوله فاخذتهم فكيف كان تكبير والعرب تسمى الأسير الأخذ والخذ بمعنى الأسر (وجادلوا) أي خاصموا رسولهم (بالباطل) من القول (ليمدحوا) أي ليزيلوا (به الحق) ومنه مكان دحض أي مزلة ومزلة أقدام والباطل داحض لانه يزلق ويؤزل فلا يستقر قال يحيى ابن سلام جادلوا الأنبياء بالشرك ليمطوا به الايمان (فاخذتهم) أي فاخذت هؤلاء المجادلين بالباطل (فكيف كان عقاب) الذى عاقبتهم به وحذف يا المتكلم اجترأ بالكسرة عنها وصلوا ووقفوا لانه رأس آية (وكذلك حقت كلمة ربك) أي وجبت وثبتت ولزمت يقال حقت الشيء اذا لزم وثبت والمعنى وكما حقت على الأمم المكذبة لرسولهم كلمة العذاب حقت كلمة ربك أي وعيده (على الذين كفروا) بك وجادلوك بالباطل وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبت عنه اضافة اسم الرب الى ضميره صلى الله عليه وآله وسلم فان ذلك للشعار بان وجوب كلمة العذاب عليهم من أحكام تربيته التى من جملتها نصرته على أعدائه وتعذيبهم قاله أبو السعود وقرأ الجمهور كلمة بالتوحيد وقرئ كلمات بالجمع وجملة (أنهم أصحاب النار) للتعليل أي لاجل أنهم مستحقون للنار قال الخفش أي لانهم أربابهم وقال المحلى بدل من كلمة أي بدل الشكل أو الاشتمال على ارادة اللفظ أو المعنى ثم ذكر أحوال جملة العرش ومن حوله فقال (الذين يحملون العرش ومن حوله) الموصول مبتدأ وخبره قوله (يسبحون بحمدهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) والجملة مستأنفة مسوقة لتسليية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببيان ان هذا الجنس من الملائكة

يعيش الانسان مائة سنة وآخر يموت حين يولد فهذا اهدا وقال قتادة والذى ينقص من عمره فالذى يموت قبل ستين سنة وقال مجاهد وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب أي في بطن أمه يكتب له ذلك لم يخلق الخلق على عمر واحد بل لهذا عمر ولهذا عمر هو انقص من عمره فكل ذلك مكتوب لصاحبه بالغ ما بلغ وقال بعضهم بل معناه وما يعمر من معمر أي ما يكتب من الاجل ولا ينقص من عمره وهو ذهابه قليلاً قليلاً الجميع معلوم عند الله تعالى سنة بعد سنة وشهراً بعد شهراً وجمعة بعد جمعة ويوم بعد يوم وساعة بعد ساعة الجميع مكتوب عند الله تعالى في كتابه نقله ابن جرير عن أبي مالك واليه ذهب السدى وعطاء الخراسانى واختار ابن جرير (١) قوله وإنما عاد الضمير على الجنس قال ابن جرير الخ كذا في النسخ وحرر العبارة من أولها الى آخرها اه صححه

الذين يموت حين يولد فهذا اهدا وقال قتادة والذى ينقص من عمره فالذى يموت قبل ستين سنة وقال مجاهد وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب أي في بطن أمه يكتب له ذلك لم يخلق الخلق على عمر واحد بل لهذا عمر ولهذا عمر هو انقص من عمره فكل ذلك مكتوب لصاحبه بالغ ما بلغ وقال بعضهم بل معناه وما يعمر من معمر أي ما يكتب من الاجل ولا ينقص من عمره وهو ذهابه قليلاً قليلاً الجميع معلوم عند الله تعالى سنة بعد سنة وشهراً بعد شهراً وجمعة بعد جمعة ويوم بعد يوم وساعة بعد ساعة الجميع مكتوب عند الله تعالى في كتابه نقله ابن جرير عن أبي مالك واليه ذهب السدى وعطاء الخراسانى واختار ابن جرير (١) قوله وإنما عاد الضمير على الجنس قال ابن جرير الخ كذا في النسخ وحرر العبارة من أولها الى آخرها اه صححه



الأول وهو كما قال وقال النسائي عند تفسير هذه الآية الكريمة حدثنا أحمد بن يحيى بن أبي زيد بن سليمان قال سمعت ابن وهب يقول حدثني يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن يبسط له في رزقه وينسأله في أثره فليصل رحمه وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود ومن حديث يونس بن يزيد الأيلي به وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الوليد بن الوليد بن عبد الملك بن عبد الله بن مرح حدثنا عثمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله عن عمه أبي مسجعة بن ربعي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال ذكرنا

(١٨٧)

الله تعالى لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة رزقها العبد في دعون له من بعده فيلحقه دعاؤه في قبره فذلك زيادة العمر وقوله عز وجل إن ذلك على الله يسير أي سهل عليه يسيرا به علمه بذلك وبفضله في جميع مخلوقاته فإن علمه شامل للجميع لا يخفى عليه شيء منها (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حليه تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) يقول تعالى منها على قدرته العظيمة في خلقه الأشياء المختلفة خلق البحرين العذب الزلال وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس من كبار وصغار بحسب الحاجة إليها في الأقاليم والأمصار والعمران والبراري والقفار وهي عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك وهذا ملح أجاج أي مر وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار وإنما تكون مالحه زعافرة ولهذا قال وهذا ملح أجاج أي مر ثم قال تعالى ومن كل تأكلون

الذين هم أعلى طبقاتهم وأولهم وجودا يرضون إلى تسبيحهم لله والايان به الاستغفار للذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا وفيه دليل على أن الاشتراك في الايمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة والشفقة وإن قباعدت الاجناس وشطت الاماكن والمراد بمن حول العرش هم الملائكة الذين يطوفون به مهللين مكبرين وهم الكرويون وهو في محل رفع عطف على الذين الخ وهذا هو الظاهر وقيل يجوز أن يكون في محل نصب عطفا على العرش والاول أولى والمعنى ان الملائكة الذين يحملون العرش وكذلك الملائكة الذين هم حول العرش ينزهون الله متلسين بحمده على نعمه ويؤمنون بالله بصائرهم ويستغفرون الله لعباده المؤمنين به وأخبر عنهم بالايان اظهار الفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك وهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أوردتهم الله تعالى بأربعة أعراف كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم أشرف الملائكة وأفضلهم لقرهم من الله عز وجل وهم على صورة الاوعال والعرش فوق ظهورهم ذكره القشيري واخرجه الترمذي من حديث ابن عباس واستفهمه ان حمل الملائكة للعرش على ظهورها وقد وردت في بيان مسافة انظارهم إلى ركبتهم وأرجلهم وأقدامهم وما بين شحمة أذنهم إلى عاتقهم والفاظ تسبيحهم أخبار وآثار وكذا في صفة العرش وبعد ما بين السماء السابعة وبين العرش والمعول عليه منها ما ورد في الصحيح ثم بين سبحانه كيفية استغفارهم للمؤمنين فقال كما علمت كل شيء رزقا وسعت كل شيء رحمة وعلما) أي وسع رحمتك كل شيء وعلمك كل شيء وتقديم الرحمة على العلم لانها المقدودة بالذات ههنا قاله البيضاوي وأبو السعود لان المقام مقام الاستغفار والافعال مقدم ذاتا (فاغفر للذين تابوا) أي أوقعوا التوبة عن الذنوب أو عن الشرك وان كان عليهم ذنوب (واتبعوا سبيلك) وهو دين الاسلام (وقهم عذاب الجحيم) أي احفظهم منه واجعل بينهم وبينه وقاية بان تلزمهم الاستقامة وتم نعمتك عليهم فانك وعدت من كان كذلك بذلك ولا يبدل القول لديك وان كان يجوز أن تفعل ما تشاء وان اخلق عبيدك (ربنا وأدخلهم جنات عدن) أي اقامة معطوف على قوله قهم ووسط الجملة الندائية لقصد المبالغة بالتكرير ووصف جنات عدن بانها هي (التي وعدتهم) ايها (و) ادخل (من صلح من آباؤهم وأزواجهم وذرياتهم)

لحما طريا يعني السمك وتستخرجون حمية تلبسونها كما قال عز وجل يخرج منها اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربك تكذبان وقوله جل و علا وترى الفلك فيه مواخر أي تغره وتشقه بحيزومها وهو مقدمها المسنن الذي يشبه جوجوا الطير وهو صدره وقال مجاهد تخمر الرياح السفن ولا يخمر الرياح من السفن الا العظام وقوله جل و علا وتبتغوا من فضله أي باسفاركم بالتجارة من قطر إلى قطر واقليم إلى اقليم ولعلكم تشكرون أي تشكرون ربكم على تسخير لكم هذا الخلق العظيم وهو البحر تنصرفون فيه كيف شئتم وتذبحون أين أردتم ولا يمتنع عليكم شيء منه بل بقدرته قد سخر لكم ما في السموات وما في الارض الجميع من فضله ورحمته (يولج الليل في

النهار ويولج النهار في الليل وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) وهذا ايضا من قدرته التامة وسلطانه العظيم في تسخير الليل بظلامه والنهار بضيائه وبأخذ من طول هذا فيزيده في قصر هذا فيعتمد لان ثم يأخذ من هذا في هذا فيطول هذا ويقصر هذا ثم يتقارضان صيفا وشتاء وسخّر الشمس والقمر اى والنجوم السيارات والثوابت باقيات باضوائهن اجرام السموات الجميع بسيرهن (١٨٨) بمقدار معين وعلى منهاج مقنن محجّر تقدير امن عزيز علم الى أجل مسمى أى الى

يوم القيامة ذلكم الله ربكم أى الذى فعل هذا هو الرب العظيم الذى لا اله غيره والذين تدعون من دونه أى من الاصنام والانداد التى هى على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين ما يملكون من قطمير قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء وعطية العوفى والحسن وقتادة وغيرهم القطمير هو اللذافة التى تكون على نواة القمر أى لا يملكون من السموات والارض شيئا ولا بمقدار هذا القطمير ثم قال تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم بعبى الآلهة التى تدعونها من دون الله لا تسمع دعاءكم لانها جاد لأرواح فيها ولو سمعوا ما استجابوا لكم أى لا يقدرن على شئ مما تطلبون منها ويوم القيامة يكفرون بشرككم أى يسبرون منكم كما قال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليحسبوا انهم عباد الله عزاء

المراد بالصلاح هنا الايمان بالله والعمل بما شرعه الله فمن فعل ذلك فقد صلح لدخول الجنة ويجوز عطف ومن صلح على الضمير في وعدتهم أى ووعدت من صلح والاولى عطفه على الضمير الاول فى وأدخلهم لان الدعاء لهم بالادخال عليه صريح وعلى الثانى ضنى والمعنى ساو بينهم ليمتروهم قرأ الجهور بفتح اللام من صلح وذرياتهم على الجمع وقرأ ابن أبى عمير بضم اللام وقرأ عيسى بن عمر على الافراد (انك أنت العزيز الحكيم) أى الغالب القاهر الكثير الحكمة الباهرة (وقههم السيئات) يقال وقاه يقيه وقاية أى حفظه والمعنى احفظهم عن العقوبات أو جزاء السيئات على تقدير مضاف محذوف قال قتادة وقههم ما يسوءهم من العذاب وهذا دعاء يتناول عذاب الخيم وعذاب موقف القيامة والحساب والسؤال وقوله وقههم عذاب الخيم مقصور على ازالة عذاب النار فيكون تعميما بعد تخصيص أو الاول دعاء للاصول والثانى للفروع والضمير راجع للمعطوف وهو الآباء والازواج والذرية أفاده أبو السعود (ومن تقى السيئات يومئذ) أى يوم القيامة والتموين عوض عن جملة غير موجودة فى الكلام بل متصيدة من السياق وتقديرها يوم اذ تدخل من تشاء الجنة ومن تشاء النار المسببة عن السيئات وهو يوم القيامة وقيل التقدير يوم اذ تؤاخذ بها وجواب من (فقد رجمته) من عذابك وادخلته جنتك (وذلك) أى ما تقدم من ادخالهم الجنة وقايتهم السيئات (هو الفوز العظيم) أى الظفر الذى لا يظفر مثله والنجاة التى لا تساو بها نجاة حيث وجدوا باعمال منقطعة نعيما لا ينقطع وبأفعال حقيرة ملكالات العقول الى كنه جلالاته قال مطرف أنصح عبادة الله للمؤمنين الملائكة وأعش الخلق لهم هم الشياطين ثم لما ذكر سبحانه أصحاب النار وانها حقت عليهم كلمة العذاب ذكر أحوالهم بعد دخول النار فقال (ان الذين كفروا ينادون) قال الواحدي قال المفسرون انهم لما رأوا أعمالهم وتظروا فى كتابهم وادخلوا النار ومقتوا أنفسهم بسوء صنيعهم ناداهم حين عاينوا عذاب الله مناد (لمقت الله) اياكم فى الدنيا (أ) كبر من مقتكم أنفسكم) اليوم أومن مقت بعضكم بعضا اليوم قال الاخفش هذه اللام هى لام الابتداء وقعت بعد ينادون لان معناه يقال لهم والنداء قول قال الكلبى يقول كل انسان من أهل النار لنفسه مقتك يا نفسى فتقول الملائكة لهم وهم فى النار لمقت الله اياكم اذ أنتم فى الدنيا أشد من مقتكم أنفسكم اليوم وقال الحسن يعطون كتابهم فاذا نظروا الى

سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقوله تعالى ولا ينبئك مثل خبير أى ولا يخبرك بعواقب الامور سيئاتهم وما كلفها وما نصير اليه مثل خبير بها قال قتادة يعنى نفسه تبارك وتعالى فاتنه أخبر بالواقع لا محالة (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الجمدان يشأيد هبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع من نقله الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنا نتزكى لنفسه والى الله المصير) يخبر تعالى بغنائه عما سواه وبإقتدار الخلق فبات كلها اليه وتذلها بين يديه فقال تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله أى هم محتاجون

اليه في جميع الحركات والمسكات وهو تعالى الغنى عنهم بالذات ولهذا قال عز وجل والله هو الغنى الحميد أي هو المنفرد بالغي وحده  
لا شريك له وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله ويقدره ويشعره وقوله تعالى ان يسأله بكم ويأت بخلق جديد أي لو شاء لأذهبكم  
أيها الناس وأتى بقوم غيركم وما هذا عليه بصعب ولا يمتنع ولهذا قال تعالى وما ذلك على الله بعزيز وقوله تعالى ولا تزوروا زواجر  
أخرى أي يوم القيامة وان تدع مثقلة الى جملها أي وان تدع نفس مثقلة باوزارها الى أن تساعد على حمل ما عليها من الاوزار و  
بعضه لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى اليها حتى (١٨٩) ولو كان أباهما وأبناها كل مشغول بنفسه وحاله

قال عكرمة في قوله تعالى وان تدع  
مثقلة الى جملها الآية قال هو  
الجاريتعلق بجواره يوم القيامة  
فيقول يا رب سل هذا لم كان يغلق  
بابه دوني وان الكافر ليعلق  
بالمؤمن يوم القيامة فيقول له  
يا مؤمن ان لي عندك يدا قد عرفت  
كيف كنت لك في الدنيا وقد احتجت  
اليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع  
له عند ربه حتى يرده الى منزل دون  
منزله وهو في النار وان الوالد ليعلق  
بولده يوم القيامة فيقول يا بني أي  
والدي كنت لك في الدنيا خيرا فيقول له  
يا بني اني قد احتجت الى مثقال ذرة  
من حسناتك أنجو بها مما ترى  
فيقول له ولده يا أبت ما أيسر ما طلبت  
ولكني أتخوف مثل ما تتخوف فلا  
أستطيع ان أعطيك شيئا ثم يعلق  
بزوجه فيقول يا فلانة أواهيهذه  
أي زوج كنت لك في الدنيا خيرا  
فيقول لها اني أطلب اليك حسنة  
واحدة تهيبها لي لعلني أنجو بها مما  
ترين قال فتقول ما أيسر ما طلبت  
ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا  
اني أتخوف مثل الذي تتخوف فيقول  
الله تعالى وان تدع مثقلة الى جملها

سبباً لهم مقتوا أنفسهم فينادون لمقت الله اياكم في الدنيا (اذ تدعون الى الايمان)  
فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم اذ ما ينتم النار والظرف منصوب بمقدر محذوف دل  
عليه المذكور أي مقتته تعالى اياكم وقت دعائكم وقيل هو اذ كروا وقيل بالمقت  
المذكور وأول المقت أشد البغض والمراد به هنا لازمه وهو الغضب عليهم وتعذيبهم قاله  
أبو السعود وقال الكرخي المراد منه هنا أشد الانكار والزجر (فتكفرون) أي  
فتصرفون على الكفر اتباعا لانفسكم الأمانة ومسارة الى هواها واقتداء باخلائكم  
المضلين وتقليد الاسلافكم المتقدمين واستحبابا لآرائهم ثم أخبر سبحانه عما يقولون في  
النار فقال (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) نعمتان لمصدر محذوف أي أمتنا  
اماتين اثنتين وأحييتنا احياءتين اثنتين والمراد بالاماتين انهم كانوا نطفة الاحياء لها في  
أصلاب آبائهم ثم أماتهم بعد ان صاروا احياء في الدنيا والمراد بالاحياءتين انه أحياهم  
الحياة الاولى في الدنيا ثم أحياهم عند البعث ومثل هذه الآية قوله وكنتم أمواتا فأحياكم  
ثم يميتكم ثم يحييكم قاله ابن مسعود أي كانوا أمواتا في أصلب آبائهم ثم أخرجهم فاحياهم  
ثم أماتهم ثم يحييهم بعد الموت وقيل معنى الآية انهم أميتوا في الدنيا عند انقضاء آجالهم ثم  
أحياهم الله في قبورهم للسؤال ثم أميتوا ثم أحياهم الله في الآخرة ووجه هذا القول ان  
الموت سلب الحياة ولا حياة للنطفة ووجه القول الاول ان الموت قد يطلق على عدم الحياة  
من الاصل وقد ذهب الى التفسير الاول جمهور السلف وقال ابن زيد المراد بالآية انه  
خلقهم في ظهر آدم واستخرجهم وأحياهم وأخذ عليهم المشاق ثم أماتهم ثم أحياهم في  
الدنيا ثم أماتهم وقال ابن عباس قال كنتم ترابا قبل أن يخلقكم فهذه ميتة ثم أحياكم  
فخلقكم فهذه حياة ثم يميتكم فترجعون الى القبور فهذه ميتة أخرى ثم يحييكم يوم  
القيامة فهذه حياة أخرى فهما موتتان وحياتان كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا  
فأحياكم الآية ثم ذكر سبحانه اعترافهم بعد ان صاروا في النار بما كذبوا به في الدنيا فقال  
حاكيما عنهم (فاعترفنا بذنوبنا) التي أسلفناها في الدنيا من تكذيب الرسل والاشراك بالله  
وترك توحيد فاعترفوا حيث لا ينفعهم الاعتراف وندموا حيث لا ينفعهم الندم والمعنى  
لمارأوا الامانة والاحياء قد تكرر عليهم علموا أن الله قادر على الاعادة كما هو قادر على  
الانشاء فاعترفوا وقد جعلوا اعترافهم هذا مقدمة لقولهم (فهل الى خروج) لنا عن النار

الآية ويقول تبارك وتعالى لا يجزي والدع ولده ولا مولود هو جازع عن والده شيئا ويقول تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه  
وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه رواه ابن أبي حاتم رحمه الله عن أبي عبد الله الظهراني عن حفص بن عمر عن الحكم  
ابن أبان عن عكرمة به ثم قال تبارك وتعالى انما تنذروا الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة أي انما تعظ بما جئت به أو لو  
البصائر والنهي الخائفون من ربهم الفاعلون ما أمرهم به ومن تزي فاعنا تزيكى لنفسه أي ومن عمل صالحا فاعنا يعود نفعه على  
نفسه والى الله المصير أي واليه المرجع والمآب وهو سر يع الحساب وسيجزي كل عامل بعمله ان خيرا خيرا وان شر افسر (وما

يستوى الاعى والبصر ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما  
 أنت تسمع من في القبور ان أنت الانذير انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذيرا وان يكذبوك فقد كذب الذين  
 من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكيرهم يقول تعالى كما لا تستوى هذه  
 الاشياء المتباينة المختلفة كالأعى والبصر لا يستويان بل بينهما فرق وبون كثير وكما لا تستوى الظلمات والنور ولا الظل والحرور  
 كذلك لا تستوى الاحياء ولا الاموات وهذا (١٩٠) مثل ضرب به الله تعالى للمؤمنين وهم الاحياء وللكافرين وهم الاموات

كقوله تعالى أو من كان ميتا  
 فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به  
 في الناس يكن مثله في الظلمات ليس  
 بخارج منها وقال عز وجل مثل  
 النريقين كالأعى والأصم والبصر  
 والسميع هل يستويان مثلا  
 فالؤمن بصير سمع في نور يمشى  
 على صراط مستقيم في الدنيا  
 والآخرة حتى يستقر به الحال في  
 الجنات ذات الظلال والعمون  
 والكافر أعى وأصم في ظلمات  
 يمشى لا خروج له منها بل هو  
 يتيه في غيبه وضلاله في الدنيا  
 والآخرة حتى يفضى به ذلك الى  
 الحرور والسهوم والحميم وظل من  
 يحوم لآبار ودولا كرم وقوله  
 تعالى ان الله يسمع من يشاء أى  
 يهديهم الى سماع الحق وقبولها  
 والانتقاد لها وما أنت تسمع من  
 في القبور أى كما لا ينتفع الاموات  
 بعدموتهم وصيرورتهم الى قبورهم  
 وهم كفار بالهداية والدعوة اليها  
 كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب  
 عليهم الشقاوة لاجل ذلك فيهم ولا  
 تستطيع هدايتهم ان أنت الانذير  
 أى انما عليك البلاغ والانداز والله

ورجع لنا الى الدنيا لنطبع ربنا (من سبيل) أى من طريق لتتخلص منها أم اليأس واقع  
 دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وانما يقولون ذلك  
 تحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك ومثل هذا قولهم الذى حكاه الله عنهم فهل الى  
 امر من سبيل وقوله فارجعنا لعمل صالحا وقوله ياليتنا ردولنا نكذب بايات ربنا الآية  
 ثم أجاب الله سبحانه عن قولهم هذا بقوله (ذلكم) مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف  
 أى الامر ذلكم أو مبتدأ خبره محذوف أى ذلكم العذاب الذى أنتم فيه (بأنه) أى بسبب  
 انه (اذا دعى الله) فى الدنيا (وحده) دون غيره (كفرتم به) وتركتم توحيد الله (وان يشرك  
 به) غيره من الاصنام أو غيرها (تؤمنوا) بالاشراك وتصدقوا به وتجيئوا الداعى اليه فين  
 سبحانه لهم السبب الباعث على عدم اجابتهم الى الخروج من النار وهو ما كانوا فيه من  
 اشراك غيره به فى العبادة التى رأسها الدعاء وترك توحيد الله (فالحكم لله) وحده دون غيره  
 وهو الذى حكم عليكم بالخلود فى النار وعدم الخروج منها فتعذبه لكم عدل نافذ  
 (العالى) المتعالى سلطانه عن أن يكون له مماثل فى ذاته وصفاته فلا يرد قضاؤه (الكبير)  
 الذى كبر عن أن يكون له مثل أو صاحبة أو ولد أو شريك فلا يحجزواؤه وقيل كانت  
 الحرورية أخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا وقال قتادة لما خرج أهل حروراء قال  
 على من هؤلاء قيل الحكمون أى يقولون لا حكم الا لله فقال على كلمة حق أريد بها  
 الباطل (هو الذى يركم آياته) أى دلائل توحيد الله وعلامات قدرته من الريح والسحاب  
 والرعد والبرق وضوحها (وينزل لكم من السماء رزقا) يعنى مطرا فانه سبب الارزاق  
 جمع سبحانه بين اظهار الآيات وانزال الارزاق لان باظهار الآيات قوام الابدان وبالارزاق  
 قوام الابدان وهذه الآيات هى التكوينية التى جعلها الله سبحانه فى سمواته وأرضه وما  
 فيها وما بينهما قرأ الجمهور ينزل بالتشديد وقرئ بالتخفيف وصيغة المضارع فى الفعلين  
 للدلالة على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما (وما يتذكر الا من ينيب) أى ما يتعظ  
 بتلك الآيات الباهرة فيستدل بها على التوحيد وصدق الوعد والوعيد الا من يرجع الى  
 طاعة الله بما يستفيدة من النظر فى آيات الله ويتوب من الشرك ويرجع اليه فى جميع  
 أموره فان المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ثم لما ذكر سبحانه ما نصبه من الأدلة على التوحيد أمر  
 عباده بدعائه واخلاص الدين له فقال (فادعوا الله مخلصين له الدين) أى اذا كان الامر كما

يضل من يشاء ويهدى من يشاء انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا أى بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين ذكر  
 وان من أمة الا خلا فيها نذير أى وما من أمة خلقت من بنى آدم الا وقد بعث الله تعالى اليهم النذير وأزاح عنهم العليل كما قال تعالى انما  
 أنت منذر ولكل قوم هادوكما قال تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم  
 من حقت عليه الضلالة الآية والآيات فى هذا كثيرة وقوله تبارك وتعالى وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم  
 بالبينات وهى المعجزات الباهرات والأدلة القاطعات وبالزبر وهى الكتب وبالكتاب المنير أى الواضح الذى أخذت الذين كفروا

أى ومع هذا كله كذب أو نكذب رسلاهم فيما جاؤهم به فاخذتهم أى بالعقاب والنكال فكيف كان نكبر أى فكيف رأيت كان انكارى عليهم عظيم شديدا بليغا والله أعلم (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وجر مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور) يقول تعالى منها على كمال قدرته فى خلقه الاشياء المتنوعة المختلفة من الشئ الواحد وهو الماء الذى ينزله من السماء يخرج به ثمرات مختلفا ألوانها من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض (١٩١) الى غير ذلك من الوان الثمار كما هو المشاهد من

تنوع ألوانها وطوعومها وروائحها كما قال تعالى فى الآية الاخرى وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغيره صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون وقوله تبارك وتعالى ومن الجبال جدد بيض وجر مختلف ألوانها أى وخلق الجبال كذلك مختلفة الالوان كما هو المشاهد ايضا من بيض وجر وفى بعضها طرائق وهى الحد جمع جدة مختلفة الالوان ايضا قال ابن عباس رضى الله عنهما الحد الطرائق وكذلك قال أبو مالك والحسن وقتادة والسدى ومنها غرايب سود قال عكرمة الغرايب الجبال الطوال السود وكذا قال أبو مالك وعطاء الخراماني وقتادة وقال ابن جرير والعرب اذا وصفوا الاسود بكثرة السواد قالوا أسود غريب ولهذا قال بعض المفسرين فى هذه الآية هذا من المقدم والمؤخر فى قوله تعالى وغرايب سود أى سود غرايب وفيما قاله نظر وقوله تعالى ومن

ذكر من اختصاص التذكير بمن ينيب فادعوا الله وحده مخلصين له العبادات التى أمركم بها (ولو كره الكافرون) ذلك فلا تلتفتوا الى كراهتهم ودعوهم يموتوا بغيبهم ويهلكوا بحسرتهم (رفيع الدرجات) مرفوع على انه خبر آخر عن المبتدأ المقدم أى هو الذى يريكم آياته وهو رفيع الدرجات وكذلك (ذوالعرش) خبر ثالث ويجوز ان يكون رفيع مبتدأ وخبره ذوالعرش ويجوز ان يكونا خبرين للمبتدأ المحذوف ورفيع صفة مشبهة والمعنى رفيع الصفات عظيمها وأرفيع درجات عظيمها وأرفيع درجات آياته وأوليائه فى الجنة وقال الكلبي وسعيد بن جبير رفيع السموات السبع وعلى هذا الوجه يكون رفيع بمعنى رافع وقيل هو المرتفع بعظمته فى صفات جلاله وكآله ووجدانته المستغنى عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء اليه ومعنى ذوالعرش مالكة وخالقه والمتصرف فيه خلقه مطافا للملائكة وجهه فوق سمواته وذلك يقتضى علو شأنه وعظم سلطانه ومن كان كذلك فهو الذى تحقق له العبادات ويجب له الاخلاص وجملة (يلقى الروح) فى محل رفع على انها خبر آخر للمبتدأ المتقدم أو لامقدراى ينزل الوحي وسمى الوحي روحا لان الناس يحيون به من موت الكفر كما يحيى الابدان بالارواح ومثل هذه الآية قوله تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وقيل الروح جبريل كما فى قوله نزل به الروح الامين على قلبك وقوله نزله روح القدس من ربك بالحق وقوله (من أمره) متعلق بيلقى ومن لا يتدأ الغاية ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف على انه حال من الروح والمعنى من أجل أمره أو بأمره أو من قضائه (على من يشاء عن عباده) وهم الانبياء (ليندر يوم التلاق) قرأ الجمهور مبنيا للفاعل ونصب اليوم والفاعل هو الله سبحانه أو الرسول أو من يشاء والمنذره محذوف أى ليندر العذاب يوم التلاق وقرئ لتندر بالفوقية على ان الناعل ضمير مخاطب وهو الرسول أو ضمير يرجع الى الروح لانه يجوز تأنيدها وقرئ على البناء للمفعول ورفع يوم على النيابة والتلاق بحذف الياء واثبتتها وقفا ووه لا وتوجيه ذلك ذكره الفاسي فى شرح الشاطبية فليراجع والمعنى يوم يلتقى أهل السموات والارض فى المحشر وبه قال قتادة وقال أبو العباس ومقاتل يوم يلتقى العابدون والمعبودون وقيل الظالم والمظلوم وقيل يلتقى الخلق والخالق وقيل الأولون والآخرون وقيل جزاء الاعمال والعاملون قال ابن عباس يوم التلاق يوم القيامة يلتقى

الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك أى كذلك الحيوانات من الناس والدواب وهو كل مادب على القوائم والانعام من باب عطف الخاص على العام كذلك هى مختلفة أيضا فالناس منهم بر وحبوش وطماطم فى غاية السواد وصقالبة وروم فى غاية البياض والعرب بين ذلك والهنود دون ذلك ولهذا قال تعالى فى الآية الاخرى واختلاف ألوانكم وألوانكم ان فى ذلك لايات للعالمين وكذلك الدواب والانعام مختلفة الالوان حتى فى الجنس الواحد بل النوع الواحد منهم مختلف الالوان بل الحيوان الواحد يأتون بلون أبلق فيه من هذا اللون وهذا اللون فتبارك الله أحسن الخالقين وقد قال الحافظ أبو بكر البرزاني مسنده

حدثنا الفضل بن سهل حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا زياد بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أيصبح ربك قال صلى الله عليه وسلم نعم صبغاً لا ينقص أجره وأصفره وأبيض وروى مرسله وموقوفاً والله أعلم ولهذا قال تعالى بعد هذا انما يخشى الله من عباده العلماء أي انما يخشاه حق خشية العلماء العارفين به لانه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفة الكمال المنعوت بالاسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به اكمل كانت الخشية (١٩٢) له أعظم وأكثر قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى

انما يخشى الله من عباده العلماء قال الذين يعلمون ان الله على كل شيء قدير وقال ابن لهيعة عن ابن ابي عميرة عن عكرمة عن ابن عباس قال العالم بالرجح من عباده من لم يشرك به شيئاً وأحل حلاله وحرم حرامه وحفظ وصيته وأيقن انه ملاقيه ومحاسب بعمله وقال سعيد بن جبير الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل وقال الحسن البصري العالم من خشي الرحمن بالغيب ورغب فيما رغب الله فيه وزهد فيما يحظ الله فيه ثم تلا الحسن انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية وقال أحمد بن صالح المصري عن ابن وهب عن مالك قال ان العلم ليس بكثرة الرواية وانما العلم نور يجعله الله في القلب قال أحمد بن صالح المصري معناه ان الخشية لا تدرك بكثرة الرواية وانما العلم الذي فرض الله عز وجل ان يتبع فانهما هو الكتاب والسنة وما جاء من الصحابة رضي الله عنهم ومن

فيه آدم وآخر ولده وعنه قال هو يوم الأرفة ونحو هذا من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذر عباده منه (يوم هم بارزون) أي خارجون من قبورهم لا يسترهم شيء من جبل أو مكة أو بناء لكون الأرض يومئذ قاعاً صافصفاً ولا ثياب عليهم وإنما هم عراة ككسوفون كما في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلاً وهو بدل من يوم التلاق بدل كل من كل ويوم ظرف مستقبل كذا مضاف إلى الجملة الاسمية على طريقة الاخفش وحركة يوم حركة اعراب على المشهور وقيل حركة بناء كاذب اليه الكوفيون ويكتب هنا وفي الذاريات منفصلاً وهو الاصل أفاده السمين ونحوه في شرح الجزرية لشيخ الاسلام لانهم مرفوع بالابتداء فالمناسب القطع وما عداها متحو يومهم الذي يعدون وحتى يلاقوا يومهم موصول لانهم فيهم ما مجرور بالمناسب الوصل وجمله (لا يخفى على الله منهم شيء) مستأنفة مبينة لبر وزهم أي لا يخفى عليه سبحانه شيء من ذواتهم وأحوالهم وأعمالهم التي عملوها في الدنيا أو حال من ضمير بارزون أو خبر ثان للمبتدأ وقوله (لمن) خبر مقدم وقوله (الملك اليوم) مبتدأ مؤخر والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر كانه قيل فلماذا يقال عند برز الخلائق في ذلك اليوم فقيل يقال لمن الملك اليوم قال المفسرون اذا هلك كل من في السموات والأرض فيقول الرب تبارك وتعالى هذا القول فلا يجيبه أحد فيجيب تعالى نفسه فيقول (لله الواحد القهار) خبر مبتدأ محذوف قال الحسن هو السائل وهو الجيب حين لا أحد يجيبه فيجيب نفسه وقيل انه سبحانه يأمر منادياً بنادى بذلك فيقول أهل المحشر مؤمنهم وكافرهم لله الواحد القهار قال النحاس وهذا أصح ما قيل فيه وقيل الاول ظاهر جدا وقيل انه يجيب المنادى بهذا الجواب أهل الجنة دون أهل النار أفاده الزمخشري وقيل هو حكاية ما ينطق به لسان الحال في ذلك اليوم لانقطاع دعاوى المبطلين كما في قوله وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تكلف نفس شيئاً والامر يومئذ لله وقال القرطبي وذلك عند فناء الخلق وقيل يقوله تعالى بين النفتختين ويجيب نفسه بعد أربعين سنة (اليوم تجزي كل نفس بما كسبت) هذا من تمام الجواب على القول بان الجيب هو الله سبحانه وأما على القول بان الجيب هم العباد كلهم أو بعضهم فهو مستأنف لبيان ما يقوله الله سبحانه بعد جوابهم أي اليوم تجزي كل نفس بما عملت في الدنيا من خير وشر (لا ظلم اليوم) على أحد منهم ينقص من ثوابه أو يزيد في

عقابه

قوله تعالى نور بين يديه فهم العلم ومعرفة

بعدهم من أئمة المسلمين فهذا لا يدرك الا بالارواية ويكون تأويل قوله تعالى نور بين يديه فهم العلم ومعرفة معانيه وقال سفيان الثوري عن أبي حبان التيمي عن رجل قال كان يقال العلماء ثلاثة عالم بالله عالم بامر الله وعالم بالله ليس بعالم بامر الله وعالم بامر الله ليس بعالم بالله فالعالم بالله وبامر الله الذي يخشى الله تعالى ويعلم الحدود والفرائض والعالم بالله ليس بعالم بامر الله الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض والعالم بامر الله الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض والعالم بامر الله الذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله (ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأتفقوا بما رزقناهم سراً وعملوا به سرّاً لعلهم يرحموا) انهم تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم

وزيدهم من فضله انه غفور رشكور) يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه من اقام الصلاة والافتقار ممارزتهم الله تعالى في الاوقات المشروعة لادائها وعلانية رجون تجارته لن تبورأى رجون ثوابا عند الله ولا بد من حصوله كما قدمنا في أول التنسير عند فضائل القرآن انه يقول لصاحبه ان كل تاجر من وراء تجارته وانك اليوم من وراء كل تجارة ولهذا قال تعالى ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله أى ليوفيهم ثواب ما فعلوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم انه غفور أى لذنوبهم شكور للقليل من أعمالهم قال قتادة كان مطرف رحمه (١٩٣) الله اذا قرأ هذه الآية يقول هذه آية القراء

قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثنا سالم بن غيلان قال انه سمع دراجا بالسبع يحدث عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى اذا رضى عن العبد أنى عليه بسبعة أصناف من الخير يعملها واذ استخط على العبد أنى عليه بسبعة أصناف من الشر لم يعملها غريب جدا (والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير) يقول تعالى والذى أوحينا اليك يا محمد من الكتاب وهو القرآن هو الحق مصدقا لما بين يديه أى من الكتب المتقدمة يصدقها كما شهدت هى له بالتبويه وأنه منزل من رب العالمين ان الله بعباده لخبير بصير أى هو خيرهم بصير من يتحقق ما يفضله به على من سواه ولهذا فضل الانبياء والرسل على جميع البشر وفضل النبيين بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات وجعل منزلة محمد صلى الله عليه وسلم فوق جميعهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

عقابه (ان الله سريع الحساب) أى سريع حسابه لانه سبحانه لا يحتاج الى تفكير في ذلك كما يحتاجه غيره لا حاطة علمه بكل شئ فلا يعزب عنه مثقال ذرة قيسل يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لانه تعالى لا يشغله حساب عن حساب يحاسب الخلق في وقت واحد لحديث ورد بذلك وأخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود قال يجمع الله الخلق كلهم يوم القيامة بصعيد واحد بارض يضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم أن ينادى مناد لمن الملك اليوم الى قوله للحساب أخرجه عبد بن حميد قال ما يبسأ أبه من الخصومات الدماء وقال ابن عباس ينادى مناد بين يدي الساعة يا أيها الناس أتتكم الساعة فيسمعها الاحياء والاموات وينزل الله الى السماء الدنيا فيقول لمن الملك اليوم لله الواحد القهار الآية وأخرج ابن أبي الدنيا في البعث والديلى عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثله ثم أمر الله سبحانه رسوله بانذار عباده فقال (وأندرهم يوم الآزفة) أى يوم القيامة سميت بذلك لقربها يقال أزف فلان أو الرحيل أى قرب بأزف أزف من باب تعب وأزوفادنا وقرب ومنه قوله تعالى أزفت الآزفة أى قربت الساعة ودنت القيامة وقيل ان يوم الآزفة هو يوم حضور الموت والاول أولى قال الزجاج وقيل لها آزفة لانها قريبة وان استبعد الناس أمرها وما هو كائن فهو قريب (اذ القلوب لدى الحناجر) وذلك انها تزول عن مواضعها وترتفع عن أماكنها من الخوف حتى تصير الى الحنجرة وتلتصق بخلقهم فلا تعود فيستريحون بالنفس ولا تخرج فيستريحوا بالموت كقولهم وبلغت القلوب الحناجر وهى جمع حنجور كلقوم وزنا ومعنى أوجع حنجرة وهى الخلقوم و(كاظمين) بمعنى مغمومين مكروين تملئين غما قال الزجاج المعنى اذ قلوب الناس لدى الحناجر فى حال كظمهم قال قتادة وقعت قلوبهم فى الحناجر من المخافة فهى لا تخرج ولا تعود فى أمكنتها وقيل هو اخبار عن نهاية الجزع وانما قال كاظمين باعتبار أهل القلوب لان المعنى اذ قلوب الناس لدى حناجرهم فيكون حالهم وقيل حال من القلوب وجع الحال منها جع العقلاء لانه أسند اليها ما يند الى العقلاء فجمعت جمعه ثم بين سبحانه انه لا يتبع الكافرين فى ذلك اليوم أحد فقال (ماللظالمين من حميم) أى قرب ومحجبتهم وحميم كقريب الذى تهمته لا مره (ولاشفيع يطاع) فى شفاعته لهم قال الكرخى حقيقة الاطاعة لا تاتى هنا لان المطاع يكون فوق المطيع رتبة

(٢٥ فتح البيان ثامن) ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) يقول تعالى ثم جعلنا القائلين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الامة ثم قسمهم الى ثلاثة أنواع فقال تعالى فمنهم ظالم لنفسه وهو المفرط فى فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات ومنهم مقتصد وهو المؤدى للواجبات التارك للسرقات وقد تترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات ومنهم سابق بالخيرات باذن الله وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض

المباحث قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ثم أورشنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا قال هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله فظالمهم يغفر له ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا وساقهم يدخل الجنة بغير حساب وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح وعبد الرحمن بن معاوية الليثي قال حدثنا أبو الطاهر بن السرح حدثنا موسى بن عبد الرحمن الصنعاني حدثنا ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذات يوم شفاعتي لأهل البكاء من أمتي قال ابن (١٩٤) عباس رضي الله عنهما السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد

يدخل الجنة برحمة الله والظالم لنفسه وأصحاب الاعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وكذا روى عن غير واحد من السلف ان الظالم لنفسه من هذه الامة من المصطفين على ما فيه من عوج وتقصير وقال آخرون بل الظالم لنفسه ليس من هذه الامة ولان المصطفين الوارثين للكتاب قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن عباس رضي الله عنهما فظالم لنفسه قال هو الكافر وكذا روى عنه عكرمة وبه قال عكرمة أيضا في ارواه ابن جريح وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله تعالى ظالم لنفسه قال هم أصحاب المشأمة وقال مالك عن زيد بن أسلم والحسن وقاتدة هو المنافق ثم قد قال ابن عباس والحسن وقاتدة وهذه الاقسام الثلاثة كالاقسام الثلاثة المذكورة في أول سورة الواقعة وآخرها والصحيح ان الظالم لنفسه من هذه الامة وهذا الاختيار ابن جريح هو ظاهر الآية وكما جاءت به

فقتضاه ان الشافع يكون فوق المشفوع عنده وهذا محال هنا لان الله تعالى لا شيء فوقه فحينئذ هو مجاز ومعناه ولا شفيع يشفع أي يؤذن له في الشفاعة أو تقبل شفاعته وقال الحلي لا مفهوم للوصف اذا لشفيع لهم أصلا أي لا مطاع ولا غيره ثم وصف سبحانه شمول علمه بكل شيء وان كان في غاية الخفاء فقال (يعلم خائنة الاعين) وهي مسارقة النظر الى ما لا يحل له النظر اليه والخائنة مصدر كالعافية والكاذبة أي يعلم خيانة الاعين والجملة خبر آخر لقوله هو الذي يريكم أو خبر رابع عن المبتدأ الذي أخبر برفيع وما بعده عنه والاول هو الظاهر وقيل غير ذلك قال المؤرخ فيه تقديم وتأخر أي يعلم الاعين الخائنة وقيل الاضافة على معنى من أي الخائنة من الاعين قال قتادة خائنة الاعين الهمز بالعين فيما لا يجب الله وقال الضحاك هو قول الانسان ما رأيت وقد رأيت وما رأيت وقال السدي انه الرمز بالعين وقال سفيان هي النظرة بعد النظرة وبه قال الفراء والاول أولى وبه قال مجاهد قال ابن عباس في الآية الرجل يكون في القوم فتمتر بهم المرأة فيريهم انه بغض بصره عنها واذا غصوا نظر اليها واذا نظروا غص بصره عنها وقد اطع الله من قلبه انه وذا ان ينظر الى عورتها أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأخرج الطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب عن في الآية قال اذا نظر اليها يريد الخيانة أم لا وما تخفي الصدور قال اذا قدر عليها أيرني بها أم لا ألا أخبركم بالتي تليها والله يقضي بالحق قادر على ان يجزي بالحسنة الحسنة وبالسيئة السيئة وأخرج أبو داود والنسائي وابن مردويه عن سعد قال لما كان يوم فتح مكة آمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس الأربعة نفر و امرأتين وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح فاقتبأ عند عثمان ابن عفان فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس الى البيعة جاء به فقال يا رسول الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر اليه ثلاثا ناكل ذلك بأبي يعته ثم بايعه ثم أقبل على أصحابه فقال أما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين رأني كفت يدي عن بيعته فيقتله فقالوا ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا أموات ينابعونك فقال انه لا ينبغي لني أن تكون له خائنة الاعين (وما تخفي الصدور) أي القلوب من الضمائر وتستره وتكنه وتضمره من معاصي الله أو من أمانة وخيانة أو النظرة الاولى وهل يرنى بها لو خلا

الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق يشد بعضها ببعض ونحن ان شاء الله تعالى نورد منها ما يتيسر الحديث الاول بها قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الوليد بن العيزار انه سمع رجلا من ثقيف يحدث عن رجل من كنانة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه الآية ثم أورشنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فظالمهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي اسناده من لم يسم وقد رواه ابن جريح وابن أبي حاتم من حديث شعبة به نحوه ومعنى قوله بمنزلة واحدة أي في انهم من هذه



الامة وانهم من أهل الجنة وان كان بينهم فرق في المنازل في الجنة الحديث الثاني قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق بن يونس بن عياض الليثي أبو ضمرة عن موسى بن عقبة عن علي بن عبد الله الأزدي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فاما الذين سبقوا فاولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك الذين يحسبون في طول المحشر ثم هم الذين (١٩٥) تلا فاهم الله برحمته فهم الذين يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي اخلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها الغوب طريق أخرى قال ابن ابي حاتم حدثنا أسيد بن عاصم بن الحسين بن حنص حدثنا سفيان بن اعمش عن رجل عن أبي ثابت عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه قال فاما الظالم لنفسه فيجس حتى يصيبه الهم والحزن ثم يدخل الجنة ورواه ابن جرير من حديث سفيان الثوري عن اعمش قال ذكر أبو ثابت انه دخل المسجد فجلس الى جنب أبي الدرداء رضي الله عنه فقال اللهم آتس وحشتي وارحم غيبي ويسر لي حياي صالحا فقال أبو الدرداء رضي الله عنه لئن كنت صادقا لانا أسعديه منك سأحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحدث به منذ سمعته منه ذكر هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم

بها أولا (والله يقضى بالحق) فيجازي كل أحد بما يستحقه من خير وشر (والذين يدعون من دونه) أي يعبدونهم من دون الله قرأ الجمهور بالتعنية يعني الظالمين وقرئ بالفوقية على الخطاب لهم وهم اسمعيتان (لا يقضون بشئ) لانهم لا يعلمون شيا ولا يقدر على شئ فكيف يكونون شر كالله وهذا تم كتمهم لان ما لا يوصف بالقدرة كالجناد لا يقال فيه يقضى أولا يقضى (ان الله هو السميع البصير) فلا يخفى عليه من المسموعات والمبصرات خافية تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ولقضاءه بالحق ووعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويصبر ما يعملون وأنه يعاقبهم عليه وتعرض بما يدعون من دونه وانها لا تسمع ولا تبصر ولما خوفهم سبحانه بأحوال الآخرة اردفه ببيان تخوفهم بأحوال الدنيا فقال (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم لان العاقل من اعتبر بحال غيره أي اغفلوا ولم يسيروا في الارض فيعتبروا بمن قبلهم من الامم المكذبة لرسولهم كعاد وعودوا ضرا بهم والعاقبة بمعنى الصفة أو بمعنى المال أرشدهم الله سبحانه الى الاعتبار بغيرهم فان الذين مضوا من الكفار ( كانوا هم أشد منهم قوة) أي من هؤلاء الحاضر من الكفار وهذا بيان للتفاوت بين حال هؤلاء وأولئك وفي قراءة منكم أي التفاتا من الغيبة الى الخطاب وقع ضمير الفصل هنا بين معرفة ونكرة مع انه لا يقع الا بين معرفتين لتكون النكرة هنا مشابهة للمعرفة من حيث امتناع دخول آل عليها لان أفعال التفصيل المقرون بمن لا تدخل عليه آل (وآثار في الارض) بما عروا فيها من الحصون المتينة والمصانع الحصينة والقصور المشيدة وبما لهم من العدد والعدة (فاخذهم الله بذنوبهم) أي عاقبهم وأهلكهم بسبب ذنوبهم وتكذيبهم رسلهم (وما كان لهم من الله من واق) أي دافع يدفع عنهم العذاب ويقتهم وقد مر تفسير هذه الآية في مواضع (ذلك) أي ما تقدم من الاخذ (بانهم) أي بسبب انهم (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أي بال الحجج الواضحة والمعجزات الظاهرة (فكفروا) بما جاؤهم به (فاخذهم الله انه قوي) يفعل كل ما يريد لا يعجزه شئ (شديد العقاب) لمن عصاه ولم يرجع اليه ثم ذكر سبحانه قصة موسى ليعتبروا فقال (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أي متلبسا بها وهي التسع التي تقدم ذكرها في غير موضع (وسلطان مبين) أي حجة بينة واضحة وهي

لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فاما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن وذلك قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحديث الثالث قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس حدثنا ابن مسعود اخبرنا سهل بن عبد ربه الرازي حدثنا عمرو بن قيس عن أبي لبدي عن أخيه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة الحديث الرابع قال ابن ابي حاتم

حدثنا محمد بن عزيز حدثنا سلامة عن عقيل عن ابن شهاب عن عوف بن مالك الرضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال  
 أمي ثلاثة أثلاث فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة وثلث يحصبون  
 ويكشفون ثم تأتي الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون لا اله الا الله وحده يقول الله تعالى صدقوا الا انما دخلوهم الجنة  
 بقولهم لا اله الا الله وحده واجلوا خطاياهم على أهل النار وحى التي قال الله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالهم  
 وتصديقها في التي فيها ذكر الملائكة قال (١٩٦) الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فجعلهم ثلاثة افواج

وهم أصناف كلهم ففهم ظالم لنفسه  
 فهذا الذي يعص ويكشف غريب  
 جدا أثر عن ابن مسعود رضى الله  
 عنه قال ابن جرير حدثني ابن حميد  
 حدثنا الحكم بن بشير عن عمرو بن  
 قيس عن عبد الله بن عيسى رضى  
 الله عنه عن يزيد بن الحرث عن  
 شقيق أبي وائل عن عبد الله بن مسعود  
 رضى الله عنه قال ان هذه الامة  
 ثلاثة أثلاث يوم القيامة ثلث  
 يدخلون الجنة بغير حساب وثلث  
 يحاسبون حسابا يسيرا وثلث  
 يجيئون بذنوب عظام حتى يقول  
 الله عز وجل ما هؤلاء وهو أعلم  
 تبارك وتعالى فتقول الملائكة  
 هؤلاء جاؤوا بذنوب عظام الا أنهم لم  
 يشركوا بربك شيئا فيقول الرب عز  
 وجل أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي  
 وتلا عبد الله رضى الله عنه هذه  
 الآية ثم أورثنا الكتاب الذين  
 اصطفينا من عبادنا الآية أثر  
 آخر قال أبو داود الطيالسي عن  
 الصلت بن دينار بن الأشعث عن  
 عقبة بن صهبان الهناني قال سألت  
 عائشة رضى الله عنها عن قول الله  
 تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا  
 من عبادنا فهم ظالم لنفسه الآية

التوراة وقيل المراد به اما الآيات نفسها والعطف لتغيير العنواين واما بعضها أى  
 المشهور منها كاليد والعصا وأفردت بالذ كرمع اندراجها تحت الآيات اعتسائها (الى  
 فرعون وهامان وقارون) خصهم بالذ كرا لان مدار التدبير في عداوة موسى كان عليهم  
 لانهم رؤساء المكذبين بموسى ففرعون الملك وهامان الوزير وقارون صاحب الاموال  
 والكنوز (فقالوا ساحر كذاب) فيما جاءهم به والقائل فرعون وقومه وأما قارون فلم  
 يقل ذلك في الكلام تغليب وكذا يقال في قوله قالوا اقتلوا وقال الخطيب كان هذا قول  
 قارون وان لم يقوله بالنقل فإنه طبع على الكسوف ففعله آخر (فلما جاءهم موسى بالحق  
 من عندنا) وهي معجزاته الظاهرة الواضحة (قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) قال  
 قتادة هذا قتل غير القتل الاول لان فرعون قد كان أمسك وكف عن قتل الولدان وقت  
 ولادة موسى فلما بعث الله موسى وأحس بانه قد وقع ما وقع أعاد القتل على بني اسرائيل  
 غظا وحنقا فكان يأمر بقتل الذكور وترك الاناث ومثل هذا قول فرعون سنقتل  
 أبناءهم ونستحي نساءهم والمعنى أعيدهم واعليهم ما كنتم تفعلونه أو لا زعمتم انه يصدهم  
 بذلك عن مظاهرتهم ظن انهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على  
 يده فشغلهم الله عن ذلك بما أنزل عليهم من أنواع العذاب كالضفادع والقمل والدم  
 والطوفان الى أن خر جوامن مصر فأغرقهم الله تعالى (واستحيوا) أى استبقوا  
 (نساءهم) للخدمة (وما كيد الكافرين الا في ضلال) أى في خسران وضياع ووبال لانه  
 يذهب باطلا ولا يغني عنهم شيئا ويحقيق بهم ما يريد الله عز وجل وان الناس لا يتنعون من  
 الايمان وان فعل بهم مثل هذا بل ينقذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتم واللام  
 اما للعهد والاظهار في موضع الضم لانهم بالكفر والشعار بعله الحكم أو للجنس وهم  
 داخلون فيه دخولا أوليا والجملة اعتراضية بها في تضاعيف ما حكي عنهم من الاباطيل  
 للمسارعة الى بيان بطلان ما أظهره واضمحل بالمرّة (وقال فرعون ذروني أقتل موسى)  
 أى اتركوني أن أقتله والظاهر من حال اللعين انه قد استيقن انه نبي وان ما جاء به حق ولكن  
 كان يخاف انهم يقتله ان يعاجل بالهلاك وانما قال ذلك تمويها وايها ما انهم هم المانعون  
 له من قتله ولولا لهم لقتله مع انه ما منعه الا ما في نفسه من الفرع الهائل وقوله (وليدع ربه)

فقال لي يابني هؤلاء في الجنة اما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق بهم وأما الظالم لنفسه فمضى ومثلكم قال فجعلت  
 نفسها رضى الله عنها معنا وهذا من رضى الله عنها من باب الهضم والتواضع والافهي من أكبر السابقين بالخيرات لان فضلها على  
 النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه في قوله  
 تبارك وتعالى ففهم ظالم لنفسه قال هي لأهل بدونا ومقتصدنا أهل حضرننا وسابقنا أهل الجهاد رواه ابن ابي حاتم وقال عوف

الاعرابي حدثنا عبد الله بن الحرث بن نوفل حدثنا كعب الاحبار رجة الله عليه قال ان الظالم لنفسه من هذه الامة والمقتصد  
والسابق بالخيرات كلهم في الجنة ألم تر ان الله تعالى قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد  
ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفصل الكبير جنات عدن يدخلونها الى قوله عز وجل والذين كفروا لهم نار جهنم قال  
فهؤلاء اهل النار رواه ابن جرير من طرق عن عوف بن عوف ثم قال حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن عليه اخبرنا حميد بن اسحق بن  
عبد الله بن الحرث عن ابيه قال ان ابن عباس رضى الله عنه ما سأل كعبا عن (١٩٧) قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا

من عبادنا الى قوله باذن الله قال  
تماسنا منا كعبهم ورب كعب ثم  
اعطوا الفضل باعمالهم ثم قال ابن  
جرير حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم  
ابن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن  
أبي اسحق السبعي في هذه الآية ثم  
اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من  
عبادنا الآية قال ابو اسحق اما  
ما سمعت من ذى ستين سنة فكلهم  
ناج ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا  
الحكم حدثنا عمرو بن محمد بن الحنفية  
رضى الله عنه قال انها أمة مرحومة  
الظالم مغفور له والمقتصد في الجنان  
عند الله والسابق بالخيرات في  
الدرجات عند الله ورواه الثوري  
عن اسمعيل بن ميمون عن رجل عن  
محمد بن الحنفية رضى الله عنه  
بنحوه وقال ابو الجارود سألت  
محمد بن علي يعني الباقر رضى الله  
عنه ما عن قول الله تعالى فمنهم ظالم  
لنفسه فقال هو الذي خلط عملا  
صالحا وآخر سيئا فهذا ما تيسر من  
ايراد الاحاديث والآثار المتعلقة  
بهذا المقام واذا تقررت هذا فان  
الآية عامسة في جميع الاقسام  
الثلاثة في هذه الامة فالعلماء اغبط

تجدد منه واطهار لعدم المبالاة ولكنه أخوف الناس منه وفي منعه من قتله وجوه ذكرها  
الخطيب أى ليدع الذى يزعم انه أرسله اليه فلينعمه من القتل ان قدر على ذلك أى  
لا يهولنكم ذلك فانه لا ريب له حقيقة بل انار بكم الاعلى ثم ذكر العلة التى لاجلها أراد ان  
يقتله فقال (انى أخف) ان لم أقتله (أن يبدل دينكم) الذى أنتم عليه من عبادة غير الله  
ويدخلكم في دينه الذى هو عبادة الله وحده (أو أن يظهر في الارض الفساد) أى  
يوقع بين الناس الخلاف والفتنة جعل العين ظهورا دعاء اليه موسى وانتشاره في  
الارض واهتداء الناس اليه فساد اوليس الفساد الاما هو عليه هو ومن تابعه  
والمعنى انه لا بد من وقوع أحد الامرين أو وقوع الامرين جميعا (وقال موسى انى  
عدت ربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) لما هدده فرعون بالقتل  
لم يأت في دفع شدة اللعين الابان استعاذ بالله عز وجل من كل متعظم عن الايمان بالله  
غير مؤمن بالبعث والنشور واعتمد عليه فلا جرم صانه الله عن كل بلية ويدخل فرعون  
في هذا العموم دخولا وليا ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة  
لتعميم الاستعاذة والاشعار بعبادة التساوية والجرأة على الله تعالى (وقال رجل مؤمن  
من آل فرعون يكتم ايمانه) قال الحسن ومقاتل والسدى كان قبطيا وهو ابن عم فرعون  
وهو الذى نجما مع موسى وهو المراد بقوله وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى وقيل كان  
من بني اسرائيل ولم يكن من آل فرعون وهو خلاف ما فى الآية وقد تحمل ذلك بأن فى  
الآية تقييدا أو تأخيرا والتقدير وقال رجل من بني اسرائيل يكتم ايمانه من آل فرعون  
قال القشيري ومن جمعه له اسرائيليا فقيه بعد لانه يقال كتمه أمر كذا ولا يقال كتم منه  
كما قال سبحانه ولا يكتمون الله حديثا وأيضاما كان فرعون يحتمل من بني اسرائيل مثل  
هذا القول وقد اختلف فى اسم هذا الرجل فقيل حبيب وقيل شمعون وهو الاصح  
كما فى مبهمات القرآن وقيل حرقيل وبه قال ابن عباس وأكثر العلماء وقال وهب كان  
اسمه جبريل وقيل غير ذلك قال ابن عباس لم يكن فى آل فرعون مؤمن غيره وغير امرأة  
فرعون وغير المؤمن الذى أنذر موسى الذى قال ان الملايا يأترون بك ليقتلوك قال ابن  
المنذر أخبرت انه حرقيل وعن أبي اسحق قال اسمه حبيب قرأ الجمهور بجرىل بضم الجيم  
وقرى بسكونها وهى لغة تميم ويخمد والاولى هى النصيحة وقرى بكسر الجيم (أتقتلون

الناس بهذه النعمة وأولى الناس بهذه الرحمة فانهم كما قال الامام احمد رجة الله حدثنا محمد بن يزيد حدثنا عاصم بن رجا بن حيوة عن  
قيس بن كثير قال قدم رجل من أهل المدينة الى ابى الدرداء رضى الله عنه وهو يدمشق فقال ما أقدمك أى أخى قال حديث بلغنى  
انك تحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما قدمت لتجارة قال لا قال أما قدمت لحاجة قال لا قال أما قدمت الا فى  
طلب هذا الحديث قال نعم قال رضى الله عنه فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب فيها عملا سلك  
الله تعالى به طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها لطيب رضى الطالب العلم وانه ليستغفر للعالم من فى السموات والارض حتى

الجنتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ان العلماء هم ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولا غنما ورثوا العلم فمن اخذ به اخذ بحظ وافر واخرجه ابوداود والترمذي وابن ماجه من حديث كثير بن قيس ومنهم من يقول قيس بن كثير عن ابي الدرداء رضي الله عنه وقد ذكرنا طرقه واختلاف الروايات فيه في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري والله الحمد والمنة وقد تقدم في اول سورة طه حديث ثعلبة بن الحكم رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء اني لم اضع علمي وحكمتي فيكم (١٩٨) الا وانما يريد ان اغفر لكم على ما كان منكم

ولأبالي (جنت عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها الغوب يخبر تعالى ان ه أوى هؤلاء المصطفين من عباده الذين أورثوا الكتاب المثل من رب العالمين يوم القيامة جنت عدن أي جنت الاقامة يدخلونها يوم معادهم وقد وهمهم على الله عز وجل يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء ولباسهم فيها حرير ولهذا كان محظورا عليهم في الدنيا فأباحه الله تعالى لهم في الآخرة وثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وقال هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن سواد السرحي أخبرنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن

رجلا الاستهام للانكار (ان يقول) أي لان يقول أو كراهة ان يقول وقال الزمخشري أي وقت ان يقول ورد ذلك لنص النجاة على خلافه وقال الامام تاج الدين بن مکتوم أجاز ابن جني ذلك والاول وأولى (ربي الله) وهو ربكم أيضا لاربه وحده وهو إشارة الى التوحيد وهذا انكار منه عظيم كأنه قيل أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة من غير روية وتأمل في أمره واطلاع على سبب يوجب قتله ومالك علمه في ارتكابه الا كلمة الحق وهو قولهم ربى الله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) أي والحال ان قد جاءكم بالمعجزات الواضحات والدلالات الظاهرات على نبوته وصحة رسالته والمعنى انه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات من عنده من نسبت اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف به أخرج البخاري وغيره من طريق عروة قال قيل لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرنا بأشدهي صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بقفا الكعبة اذا قبل عقبة بن أبي معيط فآخذ بجنبك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فاقبل أبو بكر فأخذ بجنبك وبذعه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم واخرج البزار وأبو نعيم في فضائل الصحابة عن علي ابن أبي طالب انه قال يا أيها الناس أخبروني من أشجع الناس قالوا أنت قال أما اني ما بارزت أحدا الا اتصفت منه ولكن أخبروني عن أشجع الناس قالوا لا نعلم فن قال أبو بكر رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخذته قمريش فهذا يجنبه وهذا يتلته وهم يقولون أنت الذي جعلت الآلهة الها واحدا قال فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر يضرب هذا بجي هذا ويتل هذا وهو يقول ويلكم أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله ثم رفع برده كانت عليه فبكي حتى اخضت لحية ثم قال أنشدكم أمؤمن آل فرعون خيرا أم أبو بكر فسكت القوم فقال ألا تتجيبون فوالله لساعة من أبي بكر خيرا من مثل مؤمن آل فرعون ذلك رجل يكتم ايمانه وهذا رجل أعلن ايمانه ثم تلمظ الرجل المؤمن لهم في الدفع عن موسى واحتج عليهم بطريق التقسيم فقال (وان يك كاذبا فعليه كذبه) أي ضرر كذبه (وان يك صادقا فيصحبكم بعض الذي يعدكم) هذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقى التردد كونه كاذبا وانما خوفهم به اقتصارا على ما هو

عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ان أبا امامة رضي الله عنه حدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم وذكروا أهل الجنة فقال مسورون بالذهب والفضة مكاله بالدرد وعليهم كليل من درو وياقوت متواصلة وعليهم تاج كالح الملوأ شباب جردهم مكحلون وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وهو الخوف من المحذور وأراحه عنا وأراحنا كما كنا نتخوفه ونحذر من هموم الدنيا والآخرة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لاله الا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكأني بأهل لاله الا الله ينفضون

التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن رواه ابن أبي حاتم من حديثه وقال الطبراني حدثنا جعفر بن محمد  
الفرابي حدثنا موسى بن يحيى المرزى حدثنا سليمان بن عبد الله بن وهب الكوفي عن عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر رضي الله عنهما  
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لاله الا الله وحشة في الموت ولا في القبور ولا في التشور وكأني أنظر اليهم عند  
الصيحة ينفضون رؤسهم من التراب يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور قال ابن عباس رضي الله عنهما  
 وغيره غفر لهم الكثير من السيئات وشكر لهم اليسير من الحسنات (١٩٩) الذي أحلنا دار المقامة من فضله يقولون

الذي أعطانا هذه المترلة وهذا المقام  
من فضله ومنه ورجسته لم تكن  
أعمالنا تساوي ذلك كما ثبت في  
الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال ان يدخل أحدنا منكم عمله  
الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله  
قال ولا أنا الا أن يتغمديني الله تعالى  
بوجهه منه وفضل لا يمننا فيها نصيب  
ولا يمننا فيها الغوب أي لا يمننا فيها  
عناء ولا اعياء والنصب واللغوب كل  
منهما يستعمل في التعب وكان  
المراد بنفي هذا وهذا عنهم انهم  
لا تعب على أبدانهم ولا ارواحهم  
 والله أعلم فن ذلك انهم كانوا يذنبون  
أنفسهم في العبادة في الدنيا فسقط  
عنهم التكليف بدخولها وصاروا  
في راحة دائمة مستقرة قال الله  
تبارك وتعالى كلوا واشربوا هنيئا  
 بما أسلفتم في الايام الخالية (والذين  
كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم  
فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها  
 كذلك تجزي كل كفور وهم  
يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل  
 صالحا غير الذي كنا نعمل اولم نعمركم  
 ما يتذكروا من تذكروا جاءكم النذير  
 فذوقوا غم الظالمين من نصير) لما

أظهر احتمالاً عندهم ولم يكن قوله هذا لشك منه فانه كان مؤمناً كما وصفه الله ولا يشك  
المؤمن والمعنى اذ لم يصيبكم كله فلا أقل من ان يصيبكم بعضه لاسيما ان تعرضتم له بسوء  
وقال أبو عبيدة وأبو الهيثم بعض هنا بمعنى كل أي يصيبكم كل الذي يعدكم والبعض قد  
يستعمل في لغة العرب بمعنى الكل قال النسفي وتفسير البعض بالكل مزيف انتهى نعم  
ولاضرورة تلجئ الى حمل ما في الآية على ذلك لانه أراد التنزل معهم وايهامهم انه لا يعتقد  
صحته بتوته كما يفيد قوله بكنتم ايمانه قال أهل المعاني وهذا على المظاهرة في الخلاج كأنه قال  
لهم أقل ما يكون في صدقه ان يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم فكأن  
الحاصل بالبعض هو الحاصل بالكل وقال اللبث بعض ههنا صلة تريد يصيبكم الذي يعدكم  
وقيل يصيبكم هذا العذاب الذي يقوله في الدنيا وهو بعض ما وعدكم به من العذاب  
وقيل انه وعدهم بالثواب والعقاب فاذا كفرُوا أصابهم العذاب وهو بعض ما وعدهم به  
وحذفت النون من يكن في الموضعين تخفيفا للكثرة الاستعمال كما قال سيبويه (ان الله  
لا يهدي من هو مسرف كذاب) هذا من تمام كلام الرجل المؤمن وهو احتجاج آخر  
ذو وجهين أحدهما ان لو كان موسى مسرفا كذابا لما هداه الله الى اليقينة ولا أيده  
بالمعجزات وثانيه ما انه اذا كان كذلك خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم الى قوله والمسرف  
المقيم على المعاصي المستكثر منها والكذاب المتكبر (يا قوم لكم الملك اليوم) ذكرهم ذلك  
الرجل المؤمن ما هم فيه من الملك ليسكروا الله ولا يتمادوا في كفرهم ومعنى (ظاهرين)  
الظهور على الناس والغلبة لهم والاستعلاء عليهم (في الارض) أي أرض مصر (فن  
ينصرون من بأس الله ان جاءنا) أي من يمننا من عذابه ويحول بيننا وبينه عند مجيئه وفي  
هذا تحذير منه لهم من نقمة الله بهم وانزال عذابه عليهم وانما نسب ما يسرهم من الملك  
والظهور في الارض لهم خاصة ونظم نفسه في سلوكهم فيما همهم من محي بأس الله تطييبا  
لقلوبهم وايداناً بأنه مناصح ساع في تحصيل ما يبجد بهم ودفع ما يرد بهم ليتأثروا بنصحه فلما  
سمع فرعون ما قاله هذا الرجل من النصيح الصحيح جاءه براوغة يوهم بها قومه انه لهم من  
النصيحة والرعاية يمكن مكين وانه لا يسلك بهم الامساك ليكون فيه جلب النفع لهم ودفع  
الضرر عنهم ولهذا (قال فرعون ما أرى لكم الا ما أرى) أي ما أشير عليكم الاجمأرى لنفسي  
قاله ابن زيد وهذا تفسير للمأل المعنى والتفسير المطابق لجوهر اللفظ ما قال الضحاك

ذكر تبارك وتعالى حال السعداء شرع في بيان حال الاشقياء فقال والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا كما قال تعالى  
لا يموت فيها ولا يحيى وثبت في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون  
وقال عز وجل ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ما كنتم فاهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم ولكن لا يسئل الى ذلك  
قال الله تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كما قال عز وجل ان الجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم  
وهم فيه مبلسون وقال جل وعلا كلما خبت زنادناهم سعيراً فذوقوا فلن تزيدكم الا عذاباً ثم قال تعالى كذلك تجزي كل كفور

أى هذا جزء من كفر بربه وكذب الحق وقوله جلت عظمتهم بصطر خون فيها أى ينادون فيها يجأرون الى الله عز وجل بأصواتهم ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا عمل أى يسألون الرجعة الى الدنيا ليعملوا غير عملهم الاول وقد علم الرب جل جلاله انه لو ردهم الى الدار الدنيا لعادوا لمناهم واعنه وانهم لكانوا يذنبون فلماذا لا يجيبهم الى سؤالهم كما قال تعالى محرابنا فى قولهم فهل الى هدى من سبيل ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا أى لا يجيبكم الى ذلك لانكم كنتم كذلك ولورددتم بعدتم الى ما نهيتهم عنه ولذا قال ههنا أولم نعمركم (٢٠٠) ما يتد كرفيه من تذ كرو جاءكم النذير أى أو ما عشتهم فى الدنيا أعمارا لو كنتم

من ينتفع بالحق لا تنتفع به فى مدة  
عركم وقد اختلف المفسرون  
فى مقدار العمر المراد ههنا فروى  
عن على بن الحسين بن العابد بن  
رضى الله عنهما انه قال مقدار سبع  
عشرة سنة وقال قتادة اعملوا ان طول  
العمر حجة فتعذب الله ان تعتر  
بطول العمر قد نزلت هذه الآية  
أولم نعمركم ما يتد كرفيه من تذ كرو  
وان فيهم لابن عثمان عشرة سنة وكذا  
قال أبو غالب الشيبانى وقال عبد الله  
ابن المبارك عن معمر عن رجل  
عن وهب بن منبه فى قوله تعالى أولم  
نعمركم ما يتد كرفيه من تذ كرو قال  
عشرين سنة وقال هشيم عن  
منصور عن زاذان عن الحسن فى  
توله تعالى أولم نعمركم ما يتد كرفيه  
من تذ كرو قال أربعين سنة وقال  
هشيم أيضا عن مجاهد عن الشعبي  
عن مسر وقائه كان يقول اذا بلغ  
أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره  
من الله عز وجل فهذه رواية عن  
ابن عباس رضى الله عنهما فيما قال  
ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى  
حدثنا بشر بن المفضل حدثنا عبد الله  
ابن عثمان بن خيثم عن مجاهد

ما علمكم الا ما علم من الصواب وهو قتل موسى والرؤية هنا هى القلبية الاعتقادية  
لا البصرية العينية فتعدى للمفعولين نانيهما الاما أى (وما أهداكم الا سبيل الرشاد) أى  
ما أهداكم ولا أدعوكم بهذا الرأى الا الى طريق الحق والهدى قرأ الجمهور بتخفيف  
الشين وقرأ معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه بتشديد هاء على انها صيغة مبالغة كضراب قال  
النحاس هى لحن ولا وجه لذلك ثم كرز ذلك الرجل المؤمن تذ كبرهم وحذرهم أن ينزل بهم  
ما نزل من قبلهم فقال الله كما عناه (وقال الذى آمن يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم  
الاحزاب) أى مثل يوم عذاب الامم الماضية الذين تحزبوا على أنبيائهم وأفرد اليوم لان  
جمع الاحزاب قد اعنى عن جمعه والاحزاب لم ينزل بها العذاب فى يوم واحد بل نزل بها فى  
الدنيا فى أيام مختلفة فته مترتبة ثم فسر الاحزاب فقال (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود الذين  
من بعدهم) أى مثل حالهم فى العذاب أو مثل عاداتهم فى الإقامة على التكذيب أو مثل  
جزء ما كانوا عليه من الكفر والتكذيب (وما الله يريد ظلما للعباد) أى لا يعذبهم ولا  
يعاقبهم بغير ذنب ولا يترك الظالم منهم بغير انتقام أو لا يزيد على قدر ما يستحقون من  
العذاب أو لا يهلكهم الا بعد إقامة الحجة عليهم ونفى الارادة للظلم يستلزم نفي الظلم بنفوى  
الخطاب وقتسیر المعتزلة بأنه لا يريد لهم ان يظلموا بعيدا لان أهل اللغة قالوا اذا قال الرجل  
لا آخر لا يريد ظلما لك معناه لا أريد أن أظلم ثم زاد الرجل المؤمن فى الوعظ والتذكير فقال  
(ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد) قرأ الجمهور بتخفيف الدال وحذف الياء والاصل  
التنادى وهو التفاعل من التداء يقال تنادى القوم أى نادى بعضهم بعضا وقرئ بثبات  
الياء على الاصل وقرأ ابن عباس والضحاك وعكرمة بتشديد الدال قال بعض أهل اللغة  
هو لحن لانه من ندى ندى امر على وجهه هاربا قال النحاس وهذا غلط والقراءة حسنة  
على معنى التنادى قال الضحاك فى معناه انهم اذا سمعوا بر فرج جهنم ندها ربا فلا يأتون  
قطرا من أقطار الارض الا وجدوا صنفوا من الملائكة فيرجعون الى المكان الذى كانوا  
فيه فذلك قوله يوم التناد وعلى قراءة الجمهور المعنى يوم ينادى بعضهم بعضا وينادى  
أهل النار أهل الجنة وأهل الجنة أهل النار ويوم ينادى فيه كل أناس بامامهم ولا مانع  
من الحمل على جميع هذه المعانى وهو ما حكى الله تعالى فى سورة الاعراف ونادى أصحاب  
الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ونادى أصحاب الاعراف وقيل

قال سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول العذر الذى اعذر الله تعالى لابن آدم أولم نعمركم ما يتد كرفيه من ينادى  
تذ كرو أربعين سنة هكذا رواه من هذا الوجه عن ابن عباس رضى الله عنهما به وهذا القول هو اختيار ابن جرير ثم رواه من  
طريق الثورى وعبد الله بن ادريس كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما ما قال العمر  
الذى اعذر الله فيه لابن آدم فى قوله أولم نعمركم ما يتد كرفيه من تذ كرو سنة فلهذا الرواية أصح عن ابن عباس رضى الله عنهما  
وهى الصحيحة فى نفس الامر أيضا لما ثبت فى ذلك من الحديث كما سنورده لا كما زعمه ابن جرير من ان الحديث لم يصح فى ذلك

لان في اسناده من يجب التثبت في أمره وقدر وي أصبغ بن نباتة عن علي رضي الله عنه انه قال العمر الذي عمرهم الله به في قوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكرون سنة وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا حيم حدثنا ابن ابي فديك حدثني ابراهيم بن الفضل الخزرجي عن ابن ابي حسين المكي انه حدثه عن عطاء هو ابن ابي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة قيل أين أبناء الستين وهو العمر الذي قال الله تعالى فيه أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكرون وجاءكم النذير وكذا رواه ابن جرير عن علي بن شعيب عن اسمعيل بن ابي فديك (٢٠١) به وكذا رواه الطبراني من طريق ابن ابي

فديك به وهذا الحديث فيه نظر لحال ابراهيم بن الفضل والله أعلم حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن رجل من بني غنار عن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد أعد الله تعالى الى عبد احياء حتى بلغ ستين أو سبعين سنة لقد أعد الله تعالى اليه لقد أعد الله تعالى اليه وهكذا رواه الامام البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه حدثنا عبد السلام بن مطهر عن عمر بن علي عن معمر بن محمد الغناري عن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعد الله عز وجل الى امرئ آخر عمره حتى بلغ ستين سنة ثم قال البخاري تابعه أبو حازم وابن عجلان عن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فأما أبو حازم فقال ابن جرير حدثنا أبو صالح النزازي حدثنا محمد بن سوار أخبرنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عبد القادر أي الاسكندر حدثنا أبو حازم عن سعيد المقبري عن ابي

ينادي مناد ألان فلاننا سعد سعادة لا يشقي بعدها أبدا وألان فلاناشقي شقاوة فلا يسعد بعدها أبدا وينادي حين يذبح الموت بأهل الجنة خلود بلا موت وبأهل النار خلود بلا موت وقيل ينادي المؤمن هاوم أقرأ وكأيه وينادي الكافر بالتي لم أتوكأيه (يوم تؤولون مدبرين) أي منصرفين عن الموقف الى النار أو فارين عنها غير معجزين قال قتادة ومقاتل المعنى الى النار بعد الحساب (مالكم من الله من عاصم) يعصمكم من عذاب الله وينعكم منه (ومن يضل الله فماله من هاد) يهديه الى طريق الرشاد قريها دبا ثبات الياء وحذفها في الوقف ويجذفها في الوصل مع حذفها خطأ (ولقد جاءكم يوسف) هذا من تمام وعظمه ومن آل فرعون ذكركم قديم عتوهم على الانبياء وقيل ان هذا من قول موسى عليه السلام والاول اولي (من قبل) أي قبل موسى وهو يوسف بن يعقوب في قول عمر الى زمن موسى قاله المحلى أي عاش واستمر يوسف بن يعقوب الى زمن موسى الكليم قال سليمان الجمل وهذا القول لم يقله غيره (١) من المفسرين وانما غاية ما وجد بعد التفتيش ما نزله الشهاب بقوله وفي بعض التواريخ وفاة يوسف قبل مولد موسى بأربع وستين سنة قال القاري والصحيح ان المعمر هو فرعون موسى أدرك يوسف وعاش الى ان أرسل اليه موسى وعمر أربعين سنة وأربعين سنة انتهى وقال السيموطي في التخيير وعاش يوسف بن يعقوب مائة وعشرين سنة وبين يوسف وموسى أربعين سنة انتهى وقيل هو فرعون آخر (بالينات) أي انه جاءهم بالمعجزات الظاهرات والآيات الواضحات من قبل محييهم أي جاء الى آبائكم بفعل الجحيء الى الآباء مجيئا الى الابناء وقال ابن جرير الميراد بالينات رؤيا يوسف وقيل المراد بها قوله أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار وقيل المراد يوسف بن يوسف بن يوسف بن يعقوب وكان أقام فيهم أي في القبط ثمانين سنة وحكي النقاش عن الضحالك ان الله بعث اليهم رسولا من الجن يقال له يوسف قال الشوكاني رحمه الله والاول اولي (فأزلتم) أي ازال اسلافكم (في شك مما جاءكم به) من البينات ولم تؤمنوا به (حتى اذا ملك) يوسف (قلتم) أي قال اسلافكم (لن يبعث الله من بعده رسولا) فكفروا به في حياته وكفروا به من بعده من الرسل بعد موته وظنوا أن الله لا يجدد عليهم الخلة وانما قالوا ذلك على سبيل التشهيه والتني من غير حجة ولا برهان ليكون لهم أساس في تكذيب الرسل الذين يأتيون بعده وهذا ليس اقرارا منهم برسالة بل

(٢٦ فتح البيان ثامن) هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمره الله تعالى ستين سنة فقد أعد الله له في العمر وقدره الامام أحمد والنسائي في الرقاق جميعا عن قتبية عن يعقوب بن عبد الرحمن به ورواه البرازي قال حدثنا هشام بن يوسف حدثنا عبد العزيز بن ابي حازم عن ابيه عن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العمر الذي أعد الله تعالى فيه الى ابن آدم ستون سنة يعني أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكرون وأما متابعة ابن عجلان فقال ابن ابي حاتم حدثنا (١) فيه أن الناقل لهذا القول جماعة سوى الجلال المحلى كالحازن والنسفي وابي السعود كما يظهر عند المراجعة الى تفاسير هؤلاء فقوله لم يقله غيره من المفسرين فيه نظر ظاهر اه منه

ابو السفر يحيى بن محمد بن عبد الملك بن قرعة بسامر<sup>٢٠٢</sup> حدثنا ابو عبد الرحمن المقرئ حدثنا سعيد بن ابي ايوب حدثنا محمد بن عجلان عن سعيد المقرئ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله عز وجل اليه في العمر وكذا رواه الامام أحمد عن ابي عبد الرحمن هو المقرئ به ورواه أحمد أيضا عن خلف عن ابي معشر عن ابي سعيد المقرئ طريق أخرى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ابن جرير حدثني أحمد بن الفرج ابو عتبة الحمصي حدثنا بقيق بن الوليد حدثنا المطرف بن مازن الكوفي حدثني معمر بن (٢٠٢) راشد قال سمعت محمد بن عبد الرحمن الغناري يقول سمعت ابا هريرة رضي

الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعذر الله عز وجل في العمر الى صاحب الستين سنة والسبعين فقد صبح هذا الحديث من هذه الطرق فلولم يكن الا الطريق التي ارتضاها ابو عبد الله البخاري شيخ هذه الصناعة لكفت وقول ابن جرير ان في رجاله بعض من يجب التثبت في أمره لا يلتفت اليه مع تصحيح البخاري والله أعلم وذكر بعضهم ان العمر الطبيعي عند الاطباء مائة وعشرون سنة فالانسان لا يزال في ازدياد الى كمال الستين ثم يشرع بعده في النقص والهزم كما قال الشاعر

اذا بلغ الفتي ستين عاما

فقد ذهب المسرة والفتاء

ولما كان هذا هو العمر الذي

يعذر الله تعالى الى عباده به

ويزيح به عنهم العلل كان هو

الغالب على أعمار هذه الامة

كما ورد بذلك الحديث قال الحسن

ابن عرفة رحمه الله حدثنا عبد الرحمن

ابن محمد البخاري حدثنا محمد بن عمرو

عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله

عنه قال قال رسول الله صلى الله

هو ضم منهم الى الشك في رسالته والتكذيب برسالة من بعده أفاده الخطيب والخازن (كذلك) الضلال الواضح (يضل الله من هو مسرف) في معاصي الله مستكثر منها أو مشرك (مرتاب) في دين الله شاك في وحدانيته وعده ووعيده وقوله (الذين يجادلون في آيات الله) بدل من الجمع باعتبار معناها وافراد الضمير باعتبار اللفظ أو بيان لها أو وصفة أو في محل نصب باضمار أعني أو خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين أو مبتدأ وخبره يطبع والاولى قال ابن جرير يجادلون يهود قيل هذا من كلام الرجل المؤمن أيضا وقيل انه ابتداء كلام من الله سبحانه (بغير سلطان) أي بغير حجة واضحة وبرهان ساطع (أناهم) صفة لسلطان (كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا) يحتمل ان يراد به التعجب والاستعظام وان يراد به الذم كقبس وفاعل كبر ضمير يعود الى الجدل المفهوم من يجادلون قال المحلى كبر خبر المبتدأ انتهى وهذا أولى وأحسن الاعراب العشرة التي ذكرها السمين واليه نحا أبو حيان (كذلك) الطبع المحكم البليغ (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) مستأنف قرأ الجمهور باضافة قلب الى متكبر واختارها أبو حاتم وأبو عبيد وفي الكلام حذف والتقدير كذلك يطبع الله على كل قلب كل متكبر حذف كل الثانية لدلالة الاولى عليها والمعنى انه سبحانه يطبع على قلوب جميع المتكبرين الجبارين وقرئ بتنوين قلب على ان متكبر اصفهه فيكون القلب مراد به الجملة لان القلب هو محل التكبر وسائر الاعضاء تتبع له في ذلك وهما سبعيتان وقرأ ابن مسعود على قلب كل متكبر وتقديره عند الزمخشري على كل ذي قلب متكبر قال الشيخ ولا ضرورة تدعو الى اعتبار الحذف قلت بل ثم ضرورة الى ذلك وهي توافق اقراءتين ثم لما سمع فرعون هذا رجع الى تكبره وتجبيره معرضا عن الموعظة فانفرا عن قبولها (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا) أي قصر امشيدا كما تقدم بيان تفسيره في سورة القصص وقيل صرحا أي بناء ظاهرا لا يخفى على الناظرين وان بعد ومنه يقال صرح الشيء اذا ظهر وفي المصباح الصرح بيت واحد بني مفردا طولاً وضخماً وفي السمين الصرح القصر أو صحن الدار أو بلاط يتخذ من زجاج وأصله من التصريح وهو الكشف (لعلني أبلغ الأسباب) أي الطرق من السماء الى السماء قال قتادة والزهرى والسدى والاختش هي الابواب أي أبوابها الموصلة

اليها

عليه وسلم أعمار امتي ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعا

في كتاب الزهد عن الحسن بن عرفة به ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وهذا عجب من الترمذي فانه قدر واه أبو بكر بن أبي الدنيا من وجه آخر وطريق أخرى عن ابي هريرة حيث قال حدثنا سليمان بن عمرو عن محمد بن ربيعة عن كامل بن ابي العلاء عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار امتي ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وقدر واه الترمذي في كتاب الزهد أيضا عن ابراهيم بن سعيد الجوهري عن محمد بن ربيعة ثم قال هذا حديث حسن غريب من حديث ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه وقدر واه من غير وجه عنه هذا نصه بحرفه في



الموضعين والله أعلم وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو موسى الانصاري حدثنا ابن أبي فديك حدثني ابراهيم بن الفضل مولى بنى مخزوم عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم معتزك المنابيا مابين الستين الى السبعين وبه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل امتي أبناء سبعين اسناده ضعيف حديث آخر في معنى ذلك قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا ابراهيم بن هاني حدثنا ابراهيم بن مهدي عن عثمان بن مطر عن أبي مالك عن ربيعي عن حذيفة رضي الله عنه انه قال يارسول الله أنبتنا بأعمار أمتك قال صلى الله عليه وسلم مابين الخمسين الى (٢٠٣) الستين قالوا يارسول الله فأبناء السبعين قال

صلى الله عليه وسلم قل من يبلغها من صلي الله عليه وسلم قل من يبلغها من أمي رحم الله أبناء السبعين ورحم الله أبناء الثمانين ثم قال البزار لا يروى بهذا اللفظ الا بهذا الاسناد وعثمان بن مطر من أهل البصرة ليس بقوى وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش ثلاثا وستين سنة وقيل ستين وقيل ثلثا وستين سنة والمشهور الاول والله أعلم وقوله تعالى وجاءكم النذير روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وأبي جعفر الباقر رضي الله عنه وقتادة وسفيان بن عيينة أنهم قالوا يعني الشيب وقال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن زيد هذا نذير من النذر الاولى وهذا هو الصحيح عن قتادة فيما رواه شيان عنه انه قال احتج عليهم بالعمرو والرسول وهذا اختيار ابن جرير وهو الاظهر لقوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ما كنون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون أي لقد بينا لكم الحق على السنة الرسل فأيتهم وخالفتم وقال تعالى وما تكلم معذنين

الها (أسباب السموات) بيان للأسباب لان الشيء اذا أبهم ثم فسر كان أو وقع في النفوس وأخفم للشان أو يدل منها وانشد الاخفش عند تفسير الآية بيت زهير  
ومن هاب أسباب المنايا يتلته • ولو رام أسباب السماء يسلم  
وقيل أسباب السموات الامور التي يستمد بها وكل ما أدرك الى شيء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه (فأطلع الى اله موسى) أي انظر اليه وأطلع على حاله قرأ الاعرج السلمي وعيسى ابن عمر وحفص بالنصب على جواب الامر في قوله ابن لي وهذا رأى البصريين أو على جواب التبرج كما قال أبو عبيد وغيره وهذا رأى الكوفيين قال النحاس معنى النصب خلاف معنى الرفع لان معنى النصب متى بلغت الاسباب اطاعت وقرأ الجمهور بالرفع عطف على أبلغ فهو على هذا داخل في حيز التبرج ومعناه لعل أبلغ وعلی أطلع بعد ذلك وقيل غير ذلك وفي هذا دليل على ان فرعون كان بمكان من الجهل عظيم وبمنازلة من فهم حقائق الأشياء سافله جدا (واني لأظنه) أي موسى كاذبا في ادعائه بان له الها غيري مستويا على العرش فوق السموات أو فيما يدعيه من الرسالة قيل قال فرعون ذلك تمويهها وتليسا وتحليها على قومه والافهو يعرف ويعتقد حقيقة الاله وانه ليس في جهة العلم ولا كنهه أراد التليسا على قومه توصلوا لبقائهم على الكفر فكانه يقول لو كان اله موسى موجودا لكان له محل ومحلها اما الارض واما السماء ولم نره في الارض فيبني أن يكون في السماء والسماء لا يتوصل اليها الا بسلم قاله الحفناوي (وكذلك) التزيين (زين لفرعون سوء عمله) من الشرك والتكذيب فمادى في الغي واستمر على الطغيان والمزير هو الشيطان (وصد عن السبيل) أي سبيل الرشاد والهدى قرأ الجمهور وصد بفتح الصاد والدال أي صد فرعون الناس عن السبيل وقرأ الكوفيون وصد بضم الصاد مبنيا للمفعول واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم وعل وجه الاختيار لها منهما كونها مطابقة لما أجمعوا عليه في زين من البناء للمفعول والقراءتان سبعيتان وقرأ يحيى بن وثاب وعلقمة صد بكسر الصاد وضم الدال منونا وقرأ ابن أبي اسحق وعبد الرحمن بن أبي بكر بفتح الصاد وضم الدال منونا وكل من هذين القراءتين على أنه مصدر معطوف على سوء عمله أي زين له الشيطان سوء العمل والصد (وما كيد فرعون) في ابطال آيات موسى (الافى تباب) أي خسار وهلاك قال ابن عباس التباب الخسران ومنه تبت يدا أبي لهب ثم ان ذلك

حتى نبعث رسولا وقال تبارك وتعالى كلما آتينا قومك نبي مرسل فما كذبناهم الا قليلنا وكذبناهم وهم ينصرون حتى نبعث رسولا وقال تبارك وتعالى فدوقوا عذاب النار جزاء على مخالفتكم للانبياء في مدة أعماركم فما لكم اليوم ناصر ينقذكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال والاعلال (ان الله عالم غيب السموات والارض انه علم بذات الصدور هو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقابلا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) يخبر تعالى بعلمه غيب السموات والارض وانه يعلم ما تكمنه السرائر وما تنطوي عليه الصمائر

وسيجازى كل عامل بعمله ثم قال عز وجل هو الذي جعل لكم خلائف في الارض أى يخلف قوم لا خير من قبلهم وجيل لجيل قبلهم كما قال تعالى ويجعلكم خلفاء الارض فمن كفر فعليه كفره أى فاعماله يعود وبال ذلك على نفسه دون غيره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتضى كفاستمرواعلى كفرهم أى كفرهم أى كفرهم الله تعالى وكما استمر واقع خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة بخلاف المؤمنين فانهم كلما طال عمرا أحدهم وحسن عمله ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة وزاد أجره وأحبه خالقه وبارئته رب العالمين (قل رأيتهم شركاءكم الذين تدعون من (٢٠٤) دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات أم

الرجل المؤمن أعاد التذكير والتحذير كما حكى الله عنه بقوله (وقال الذى آمن يا قوم اتبعون) بآيات الباء وحذفها في الوصل والوقف والقراءتان سبعيتان وهما بالنظر للفظ وأما في الرسم فهي محذوفة لا غير لانها من آت الزوائد أى اقتصدوا في الدين واعملوا بنصيحتي (أهدكم سبيلا الرشاد) أى طريق الهدى والصواب وهو الجنة وهو ضد العنى وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه سبيل العنى وقيل هذا من قول موسى والاول أولى (يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) يتمتع بها أياما ثم تنقطع وتزول لان التنوين للتقليل فالاخلاص اليها أصل الشر ومنسحب القين ورأس كل بلاء واقفة (وان الآخرة هي دار القرار) أى الاستقرار والثبات فلا انتقال ولا تحول عنها لكونها دائمة لا تنقطع ومستمرة لا تزول والباقي خير من الفانى قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزف فاقبال كانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدينا خزف فان والآخرة ذهب باق قال ابن عباس الدنيا جامعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الحياة الدنيا متاع وليس من متاعها شئ أفضل من المرأة الصالحة التى اذا نظرت اليها سرتك واذا غابت عنها حفظتك في نفسها وماله (من عمل سيئة) من كلام الرجل المؤمن والمعنى من عمل في دار الدنيا معصية من المعاصي كائنتما كانت (فلا يجزى الاصلها) ولا يعذب الا بقدرها والتظاهر شمول الآية لكل ما يطلق عليه اسم السيئة وقيل هى خاصة بالشرك ولا وجه لذلك (ومن عمل عملا صالحا) قيل هو لاله الا الله (من ذكر أو اتى وهو مؤمن) أى مع كونه مؤمنا جاءت به رساله (فأولئك) الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح (يدخلون الجنة) بفتح الباء وضم الخاء وبالعكس سبعيتان (يرزقون فيها) رزقا واسعا (بغير حساب) أى بغير تقدير ومحاسبة قال مقاتل يقول لا تبعه عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير ثم كرر ذلك الرجل المؤمن دعاءهم الى الله وصرح بإيمانه ولم يسلك المسالك المتقدمة من إيمانهم لهم انه منهم وانه انما تصدى لتذكيرهم كراهة أن يصيبهم بعض ما توعددهم به موسى كما يقوله الرجل المحب لقومه من التحذير عن الوقوع فيما يخاف عليهم الوقوع فيه فقال (وترك العطف في النداء الثانى لانه تفصيل لاجال الاول وهنا عطف لانه ليس بتلك المتابعة

آياتهم كتابفهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الاغرورا ان الله يسلك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا) يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين ائتمروا بشركاءكم الذين تدعون من دون الله أى من الاصنام والانداد أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات أى ليس لهم شئ من ذلك ما يملكون من قطعير وقوله أم آياتهم كتابفهم عنى بينة منه أى أم آياتنا عليهم كتابا يقولونه من الشرك والكفر ليس الامر كذلك بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الاغرورا أى بل انما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانهم التى تمنوها لانفسهم وهى غرور باطل وزور ثم اخبر تعالى عن قدرته العظيمة التى بها تقوم السماء والارض عن أمره وما جعل فيها من القوة المسككة له ما فقال ان الله يسلك السموات والارض ان تزولا أى أن يضطر باعن أما كنهما كما قال عز وجل ويسلك السماء ان

لانه

تقع على الارض الا بذنه وقال تعالى ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ولئن زالتا ان أمسكهما من

أحد من بعده أى لا يقدر على دوامهما وابقائهما الا هو وهو مع ذلك حليم غفور أى يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يجمل ويستأخرين ويغفر ولهذا قال تعالى انه كان حليما غفورا وقد ورد ان أبى حاتم ههنا حديثا غريبا بل منكر افعال حدثنا على بن الحسين بن الجنيد حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثني هشام بن يوسف عن أمية بن سهل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن موسى عليه الصلاة

والسلام على المنبر قال وقع في نفس موسى عليه الصلاة والسلام هل ينام الله عز وجل فأرسل الله تعالى إليه ملكاً فأرقه ثلاثاً وأعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره يحفظهما قال فجعل ينام ونكاد يدها تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس أحدهما على الأخرى حتى نام نومة فأصطفقت يدها فانكسرت القارورتان قال ضرب الله تعالى له مثلاً ان الله عز وجل لو كان ينام لم تمسك السماء والارض والظواهر أن هذا الحديث ليس بمر فوع بل من الاسراء ليليات المنكرة فان موسى عليه الصلاة والسلام أجل من ان يجوز على الله سبحانه وتعالى النوم وقد أخبر الله عز وجل في كتابه العزيز بأنه (٢٠٥) الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الارض وثبت فى

الصحيحين عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور والنار لو كسفته لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه وقد قال ابو جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبى وائل قال جاء رجل الى عبد الله هو ابن مسعود رضى الله عنه فقال من أين جئت قال من الشام قال من لقيت قال لقيت كعباً قال ما حدثت قال حدثتني ان السموات تدور على منكب ملك قال أفصدقته أو كذبتته قال لو ددت ما صدقته ولا كذبتته قال لو ددت انك افتديت من رحلتك اليه براحتك ورحلتها كذب كعب ان الله تعالى يقول ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وان زالتا ان امسكهما من أحد من بعده وهذا اسناد صحيح الى كعب والى ابن مسعود رضى الله عنه ثم رواه ابن جرير عن ابن حميد عن جرير عن مغيرة عن ابراهيم بالشام فذكر نحوه وقد رأيت فى مصنف للفقهاء يحيى بن ابراهيم بن زين الطليطلى سماه سير الفقهاء وأورد هذا الأثر عن محمد بن عيسى بن الطباع عن وكيع عن الأعمش به ثم قال واخبرنا رومان بن يعنى عبد الملك بن الحسين عن ابن وهب عن مالك انه قال السماء لا تدور واحتج بهذه الآية وبحديث ان بالمغرب بالتوبة لا يزال مفتوحا حتى تطلع الشمس منه قلت وهذا الحديث فى الصحيح والله سبحانه وتعالى اعلم (واقسموا بالله جهداً بما نهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم فلما جاءهم

لانه كلام مبين للاول والثانى فحسن ايراد الواو العاطفة فيه ونحوه قال الزنجشبرى (يا قوم مالي) تكرير النداء لزيادة التنبيه لهم والابقاظ عن سمة الغفلة وفيه انهم قوموه وانه من آل فرعون والمعنى أخبروني عنكم كيف هذه الحال (أدعوكم الى النجاة) من النار ودخول الجنة بالايان بالله واجابة رسوله (وتدعوننى الى النار) بما تريدونه منى من الشرك وقيل المعنى مالكم أدعوكم كما تقول مالي أراك حزينا أى مالك ثم فسر الدعوتين فقال (تدعوننى لا) كفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم) أى ما لا علم لى بكونه شركا لله والمراد بنى العلم نفي المعلوم بدل من تدعوننى الاولى على جهة البيان لها وأتى بجملة فعلية لتدل على ان دعوتهم باطلة لا ثبوت لها وفى قوله (وأنا أدعوكم) بجملة اسمية لتدل على ثبوت دعوته وثبوتها (الى العزيز) الغالب على أمره وفى انتقامه من كفر (الغفار) لذنب من آمن به وتاب (لأجرم) قد تقدم تفسير هذا فى سورة هود وجرم فعل ماض بمعنى حق ولا الداخلة عليه لئى ما ادعوه ورد ما زعموه وفاعل هذا الفعل هو قوله (انما تدعوننى اليه) أى حق ووجب بطلان دعوته وما يعنى الذى فكان حقها ان تكتب مفصولة من النون كما هو القاعد لكناهم فى المحصف الامام موصولة بالنون كما أشار له ابن الجزرى (ليس له دعوة) قال الزجاج معناه ليس له استجابة دعوة تنفع وقيل ليس له دعوة توجب له الالوهية (فى الدنيا والى الآخرة) وقال الكلبي ليس له شفاعة (وان مردنا الى الله) أى مرجعنا ومصيرنا اليه بالموت أو لا وبالبعث آخره فيجازى كل أحد بما يستحقه من خير وشر (وان المسرفين) أى المستكثرين من معاصى الله قال قتادة وابن سيرين يعنى المشركين وقال مجاهد والشعبي هم السفهاء السفاه كون للدماغ بغير حقه او به قال ابن مسعود وقال عكرمة الجبارون المتكبرون وقيل هم الذين تعدوا وحدود الله والمعنى حق ان المسرفين (هم أصحاب النار) أى أهل جهنم وبالبلغ ذلك المؤمن فى باب النصيحة الى هذا الكلام ختم كلامه بجملة لطيفة فقال (فستذكرون ما أقول لكم) اذا نزل بكم العذاب وتعلمون أنى قد بلغت فى نصيحتكم وتذكركم وهو كلام مجمل مبهم وفى هذا الابهام والاجمال من التخويف وانهم يدبوا لا يخفى (وأفوض أمرى الى الله) مستأنف أى أتوكل عليه وأسلم أمرى اليه قيل انه قال هذا لما اردوا الايقاع به قال مقاتل هرب هذا المؤمن الى الجبل فطلبوه فلم

نذير ما زادهم الانفوراً استكباراً في الارض ومكر السيئ ولا يخفي المكر السيئ الا باهله فهل ينظرون الاسنة الاولى فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً) يخبر تعالى عن قريش والعرب انهم اقساموا بالله جهداً يمانهم قبل ارسال الرسول اليهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم أى من جميع الامم الذين ارسل اليهم الرسل قاله الضحاك وغيره كقوله تعالى ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كان عن دراستهم لغافلين وتقولوا لو انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فن اظلم من كذب (٢٠٦) بآيات الله وصدف عنها وكقوله تعالى وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا

من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون قال الله تعالى فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى الله عليه وسلم عما انزل معه من الكتاب العظيم وهو القرآن المبين ما زادهم الانفوراً أى ما زادوا والا كفروا الى كفرهم ثم بين ذلك بقوله استكباراً في الارض أى استكبروا عن اتباع آيات الله ومكر السيئ أى ومكر وابل الناس في صدمتهم اياهم عن سبيل الله ولا يخفي المكر السيئ الا باهله أى وما يعود وبال ذلك الا عليهم انفسهم دون غيرهم قال ابن ابي حاتم ذكر على بن الحسين حدثنا ابن ابي عمير حدثنا سفيان عن ابي زكريا الكوفي عن رجل حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياك ومكر السيئ فانه لا يخفي المكر السيئ الا باهله ولهم من الله طالب وقال محمد بن كعب القرظي ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به من مكر أو بغي أو نكث وتصدقها في كتاب الله تعالى ولا يخفي المكر السيئ الا باهله وقوله عز وجل فهل ينظرون الاسنة الاولى يعني عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسوله

يقدر واعليه وقيل القائل هو موسى والاول اولى (ان الله بصير بالعباد) يعلم الخ من المبطل (فوقاه الله سيئات ما مكروا) أى ما ارادوا به من المكر السيئ وما هموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم قال قتادة نجاه الله مع بنى اسرائيل من الغرق (وحاق بال فرعون) أى أحاط بهم ونزل عليهم (سوء العذاب) قال الكسائي يقال حاق يحيق حيقاً وحيوقاً اذا نزل ولزم قال الكلبي غرقوا في البحر ودخلوا النار والمراد بال فرعون فرعون وقومه وترك التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره لكونه أولى بذلك منهم أو المراد بال فرعون فرعون نفسه والاول اولى لانهم قد عذبوا في الدنيا جميعاً بالفرق وسيعذبون في الآخرة بالنار ثم بين سبحانه ما أجده من سوء العذاب فقال (النار يعرضون) أى تعرض ارواحهم من حين موتهم الى قيام الساعة (عليها غدوا وعشيا) أى صباحاً ومساءً فارتفع النار على انهابل من سوء العذاب وقيل على انها حبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره يعرضون والاول اولى وربحمة الزجاج وعلى الوجهين الاخيرين تكون الجملة مستأنفة جزاء سؤال المقدر وقرئ بالنصب على تقدير فعل يفسره يعرضون من حيث المعنى أى يصلون النار يعرضون عليها وعلى الاختصاص وأجاز الفراء الخفض على البدل من العذاب وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فن أهل الجنة وان كان من أهل النار فن أهل النار يقال له هذام مقعدك حين يعثلك الله اليه يوم القيامة زاد ابن مردويه ثم قرأ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وعرضهم عليها الحراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به اى في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك امان يعذبوا بجنس آخر أو بنفس عنهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام واحتج بعض اهل العلم على اثبات عذاب القبر بهذه الآية اعادنا الله تعالى منه بمنه وكرمه وبه قال مجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب قال القرظي ان ارواحهم في جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها انتهى وقد حققنا ذلك في كتابنا ثمار التنكيت في شرح آيات التمثيل بالفارسية فليعلم ثم ذهب الجمهور الى ان هذا العرض هو في البرزخ وقيل هو في الآخرة قال الفراء ويكون في الآية تقديم وتأخير اى ادخلوا آل فرعون أشد العذاب النار يعرضون

ومخالفتهم أمره وان تجد لسنة الله تبديلاً لا تغير ولا تبدل بل هي جارية كذلك في كل مكذب وان سجد عليها لسنة الله تحويلاً أى اذا اراد الله بقومه سوءاً فلا مرد له ولا يكشف ذلك عنهم ويحوله عنهم أحد والله أعلم (أولم يسروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليمجزه من شئ في السموات ولا في الارض انه كان عليماً قديراً ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيراً) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بما جئتم به من الرسالة سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين

كذبوا الرسل كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها خلت منهم منازلهم وسلبوها ما كانوا فيه من النعيم بعد كمال القوة وكثرة العدد والعدد وكثرة الأموال والأولاد فغنى ذلك شأوا ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك لأنه تعالى لا يعجزه شيء إذا أراد كونه في السموات والأرض أنه كان عليهما قدرا أي علمهم بجميع الكائنات تقدير على مجموعها ثم قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة أي لو أخذهم بجميع ذنوبهم لاهلك جميع أهل السموات والأرض وما يعمل كونه من دواب وأرزاق قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن حدثنا (٢٠٧) سفيان الثوري عن أبي إسحق عن أبي

الأحوص عن عبد الله قال كاد عليها غدوا وعشيا ولا ملجئ إلى هذا التكلف فان قوله (ويوم تقوم الساعة) الخيدل دلالة واضحة على ان ذلك العرض هو في البرزخ (ادخلوا) اي يقال للملائكة ادخلوا (آل فرعون أشد العذاب) هو عذاب النار فإنه أشد مما كانوا فيه وقيل أنواع من العذاب بعضها أشد من بعض غير التي كانوا يعذبون بها منذ أغرقوا قرأ حزة والكسائي ونافع وحفص أدخلوا بقطع الهمزة وكسر الخاء وهو على تقدير القول كما ذكره قرأ الباقر أدخلوا بحة وصل من دخل يدخل أمر الآل فرعون بالدخول بتقدير حرف النداء أي أدخلوا يا آل فرعون أشد العذاب عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما أحسن محسن مسلم أو كافر إلا أتاه الله قلنا يا رسول الله ما أتاه الكافر قال المال والولد والصحبة وأشبه ذلك قلنا وما أتاه في الآخرة قال عذابا دون العذاب وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أدخلوا آل فرعون أشد العذاب أخرجه البزار وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان (وإذا تبعاجون في النار) اي اذ كرا قومك وقت نخصاصهم في النار ثم بين سبحانه هذا التخصيص فقال (فيقول الضعفاء للذين استكبروا) عن الانقياد للانباء والاتباع لهم وهم رؤساء الكفر (انا كذالكم تبعا) فتكبرتم على الناس بنا والتبعية جمع تابع كخدم وخدام ومصدر واقع موقع اسم الفاعل أي تابعين وأدوى تبعة قال البصريون التبعية يكون واحدا ويكون جمعا وقال الكوفيون هو جمع لا واحدا (فهل أنتم ممنون عنا نصيبا من النار) أي هل تدفعون عنا نصيبا منها أو

تتمولون معنا وجهه (قال الذين استكبروا انا كل فيما) مستأنفة جواب سؤال مقدر قرأ الجمهور بكل بالرفع على الابتداء وخبره فيها والجملة خبران قاله الاخفش وقرأ ابن السمين وعيسى بن عمر كلا بالنصب قال الكسائي والفرء على التأكيدها ان بمعنى كنا وتوحيده عوض عن المضاف اليه وقيل على الحال ورجحه ابن مالك والمعنى انا نحن وأنتم جميعا في جهنم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لا غنينا عن أنفسنا (ان الله قد حكم بين العباد) أي قضى بينهم بأن فريقا في الجنة وفريقا في السعير فلا يغني أحد عن أحد شيئا فعند ذلك يحصل اليأس للاتباع من المتبوعين فيرجعون كلهم إلى خزنة جهنم يسألونهم كما قال (وقال الذين في النار) من الأمم الكافرة مستكبرهم وضعفهم جميعا (خزنة جهنم) جمع خازن وهم القوام بتعذيب أهل النار وانما لم يقل خزنته لان في ذكركم جهنم تهويلا وتقطيعا وأبسان

أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا آخر تفسير سورة فاطر والله الحمد والمنة \* (تفسير سورة يس وهي مكية) \* قال أبو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة وسفيان بن وكيع حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي عن الحسن بن صالح عن هرون أبي محمد عن مقاتل بن حيان عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث حميد بن عبد الرحمن وهرون أبو محمد شيخ مجهول وفي الباب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولا يصح لضعف اسناده وعن أبي هريرة رضي الله عنه منظور فيه أما حديث الصديق رضي الله عنه فرواه الحكيم الترمذي في كتابه نوادر الاصول وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فقال أبو بكر البزار حدثنا عبد الرحمن بن الفضل حدثنا زيد وهو ابن الحباب حدثنا حميد هو المكي مولى آل عاتمة عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ثم قال لا نعلم الا رواه الا يزيد عن حميد وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا اسحق بن أبي اسراييل حدثنا ججاج بن محمد عن

هشام بن زياد عن الحسن قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ يس في ليلة أصبح مغفور له ومن قرأ حم التي يذكر فيها الدخان أصبح مغفور له اسناده جيد وقال ابن حبان في صحيحه حدثنا محمد بن اسحق بن ابراهيم مولى ثقيف حدثنا الوليد بن شجاع بن الوليد السكوني حدثنا أبي حدثنا زياد بن خزيمة حدثنا محمد بن سجادة عن الحسن بن عبد بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله عز وجل غفر له وقد قال الامام أحمد حدثنا عمار حدثنا معمر (٢٠٨) عن أبيه عن رجل عن أبيه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا واستخرجت الله لاله الا هو الحى اليوم من تحت العرش فوصلت بها أو فوصلت بسورة البقرة ويس قلب القرآن لا يقروها رجل يريد الله تعالى والدار الآخرة الا غفر له واقرؤها على موتا كم وكذا رواه النسائي في اليوم والليله عن محمد بن عبد الاعلى عن معمر بن سليمان به ثم قال الامام أحمد حدثنا عمار حدثنا ابن المبارك حدثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان وليس بالهندي عن أبيه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤها على موتا كم يعنى يس وراه أبو داود والنسائي في اليوم والليله وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك به الا ان في رواية النسائي عن أبي عثمان عن معقل بن يسار رضي الله عنه ولهذا قال به بعض العلماء من خصائص هذه السورة انها لا تقرأ عند أمر عسير الا يسره الله تعالى وكان قراءتها عند الميت لتنزل

محلهم فيها فان جهنم هي ابعث النار قعر امن قولهم بترجهمنا بعيدة القعر وفيها أعتى الكفار وأطغاهم فلعل الملائكة الموكلين لعذاب أولئك أجوب دعوة زيادة قربهم من الله فلهذا تمدهم أهل النار يطلب الدعوة منهم (ادعوا ربكم يخفف عنا يومنا من العذاب) أى شيأ منه مقدار يوم من ايام الدنيا لانه ليس في الآخرة ليل ولا نهار (قالوا ولم تلت تأتكم رسلكم بالبينات) مستأنفة جواب سؤال مقدر والاستنفاة للتقريب والتوبيخ (قالوا بلى) أى اتتونا بما افكذبناهم ولم تؤمن بهم ولا بما جاؤا به من الحجج الواضحة فلما اعترفوا (قالوا) أى قال لهم الملائكة الذين هم خزنة جهنم تكلمهم (فادعوا) أى اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فاننا لاندعو المن كفر بالله وكذب رسوله بعد مجيئهم بالحجج الواضحة ثم أخبروهم بان دعاءهم لا يفيد شيأ فقالوا (ومادعاه الكافرين الا فى ضلال) أى فى ضياع وبطلان وخسار وتبار وانعدام وفيه اقناط لهم عن الاجابة وقيل هو من قول الله تعالى اخبار النبيه وهو أنسب بما بعده وعليه جرى المحلى والشهاب (انما ننصر رسلنا والذين آمنوا) مستأنفة من جهة الله سبحانه أى نجعلهم الغالبين لاعدائهم القاهرين لهم والموصول فى محل نصب عطف على رسلنا أى لننصر رسلنا وننصر الذين آمنوا معهم (فى الحياة الدنيا) بما عودهم الله من الانتقام منهم بالقتل والسلب والاسر وقيل بالعلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام لهم من الاعداء بالاستئصال وان غلبوا فى الدنيا فى بعض الاحيان امتحاناً من الله عز وجل والعاقبة لهم كما نصر يحيى بن زكريا بالقتل فانه قتل به سبعين ألفاً وكان نصر الحسين بن على الشهيد فانه قتل به سبعين ألفاً أيضاً أخرج أحمد والترمذى وحسنه وابن أبى الدنيا والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن أبى الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا بالنصر رسلنا والذين آمنوا وأخرج ابن مردويه من حديث أبى هريرة مثله (ويوم يقوم الشهداء) هو يوم القيامة قال زيد بن اسلم الشهداء هم الملائكة والنبيون والمؤمنون وقال مجاهد دوا السدى الشهداء الملائكة يشهدون للانبيا بالبلاغ وعلى الامم بالكذب وقيل الحنظلة يشهدون على بنى آدم بما عملوا من الاعمال وكذا الجوارح تشهد عليهم بما فعلوا قال الزجاج الشهداء جمع شاهد مثل صاحب واصحاب قال النحاس ليس باب فاعل ان يجمع على افعال ولا يقاس عليه ولكن ما جاء

الرحمة والبركة وليسهل عليه خروج الروح والله تعالى أعلم قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان قال كان المشيخة يقولون اذا قرئت يعنى يس عند الميت خفف الله عنه بها وقال البراز حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا ابراهيم ابن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ددت انى قلب كل انسان من أمتى يعنى يس (بسم الله الرحمن الرحيم) \*  
 (بس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتندرقوما ما أنذرا بآبائهم فهم غافلون لقد حق

القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) \* قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة وروى عن ابن عباس رضى الله عنهم ما وعكروا والضحاك والحسن وسفيان بن عيينة أن بس بمعنى بالناس وقال سعيد بن جبيرة كذلك في لغة الحبشة وقال مالك عن زيد بن أسلم هو اسم من أسماء الله تعالى والقرآن الحكيم أى المحكم الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه انك أى يا محمد لمن المرسلين على صراط مستقيم أى على منهج ودين قويم وشرع مستقيم تنزيل العزيز الرحيم أى هذا الصراط والمنهج والدين الذى جئت به تنزيل من رب العزة الرحيم بعباده (٢٠٩) المؤمنين كما قال تعالى وانك لتهدى الى صراط

مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامور وقوله تعالى لتندردنوما ما أندرا يا وهم فهم غافلون يعنى بهم العرب فإنه ما أتاهم من نذير من قبله وذكرهم وحدهم لا يتنى من عداهم كما ان ذكر بعض الافراد لا يتنى العموم وقد تقدم ذكر الآيات والاحاديث المتواترة فى عموم بعثته صلى الله عليه وسلم عند قوله تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وقوله تعالى لقد حق القول على أكثرهم قال ابن جرير لقد وجب العذاب على أكثرهم باذن الله تعالى قد حتم عليهم فى أم الكتاب انهم لا يؤمنون فهم لا يؤمنون بالله ولا يصدقون رسله (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهم الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أذنرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون انما تنذرتهم اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بغفرة وأجر كريم انما نحن ننجي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم

منه مسموعا أدى على ما سمع فهو على هذا جمع شهم يمد مثل شرف وشراف ومعنى نصرهم يوم القيامة ان الله يجازيهم بما عملهم فيدخلهم الجنة ويكرمهم بكراماته ويجازى الكفار بأعمالهم فيلعنهم ويدخلهم النار وهو معنى قوله (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) قرأ نافع والكوفيون بالتحسية وقرأ الجمهور تنفع بالفوقية والكل جائز فى اللغة وانما لم تنفعهم المعذرة لانها معذرة باطلة وتعلمها حاضرة وشبهة زائفة (ولهم اللعنة) أى البعد عن الرحمة (ولهم سوء الدار) أى النار (ولقد آتينا موسى الهدى) هذا من جملة ما قصه الله سبحانه قريسا من نصره لرسله أى آتينا التوراة والنبوة كما فى قوله سبحانه انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور قال مقاتل الهدى من الضلالة يعنى التوراة (وأورشليم بنى اسرائيل) أى بعدما كانوا فيه من الذل (الكتاب) أى التوراة والمعنى ان الله سبحانه لما انزل التوراة على موسى بقيت بعده فيهم توراتها خلفا عن سلف وقيل المراد بالكتاب سائر الكتب المنزلة على أنبياء بنى اسرائيل بعد موت موسى (هدى وذكري) أى لاجلهم ما اوهاديا ومذكرا ومرشدا (الاولى الالباب) أى لاهل العقول السليمة ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على الاذى فقال (فاصبر) أى اصبر على اذى المشركين كما صبر من قبلك من الرسل قال الكلبى ففسخت آية القتال آية الصبر (ان وعد الله) الذى وعد رسله به (حق) لا خلف فيه ولا شك فى وقوعه كما فى قوله انا لننصر رسلانا وقوله ولقد سبقت كتبنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جنودنا لهم الغالبون ثم امره الله سبحانه بالاستغفار لذنبه فقال (واستغفر لذنبك) قيل المراد ذنب امتك فهو على حذف مضاف وقيل المراد الصغار عندهم من يجوزها على الانبياء وقيل هو مجرد تعبد له صلى الله عليه وآله وسلم بالاستغفار لزيادة الثواب وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (وسبح بحمده ربك بالعشى والابكار) أى دم على تنزيهه الله متمسكا بحمده وقيل المراد الصلوات الخمس والعشى هو من بعد الزوال وفيه اربع صلوات والابكار من الفجر الى الزوال وفيه صلاة واحدة وقيل المراد صل فى الوقتين صلاة العصر وصلاة الفجر قاله الحسن وقتادة وقيل هما صلاتان ركعتان غدوة وركعتان عشية وذلك قيل ان تفرض الصلوات الخمس (ان الذين يجادلون) عام فى كل مجادل وان نزل فى مشركى مكة قاله ابو السعود (فى آيات الله) أى القرآن (بغير سلطان اناهم) أى بغير حجة ظاهرة واضحة جاءتهم

(٢٧ فتح البيان ثامن) وكل شئ أحصيناه فى امام مبین) يقول تعالى انا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم الى الوصول الى الهدى كنسبة من جعل فى عنقه غل فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه فان رفع رأسه فصار مقمعا ولهذا قال تعالى فهم مقمحون والمقمع هو الرفع رأسه كما قالت أم زرع فى كلامها واشرب فانقمح أى اشرب فاروى وارفع رأسى تهيننا وترى اواو كتنى بذكر الغل فى العنق عن ذكر البدين وان كانت امر اذتن كما قال الشاعر

فما أدري اذا ما عمت أرضا \* أريد الخير أياهم ما يلينى  
أأخبر الذى أنا بئغيه \* ام الشرا الذى لا يأتينى

فاكتفى بذلك الخبير عن ذكر الشرح لماد الكلام والسياق عليه وهكذا هذا لما كان الغل انما يعرف فيما جمع اليدين مع العنق اكتفى  
بذكر العنق عن اليدين قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا نفهي الى الاذقان فهم  
مقمعون قال هو كقوله عز وجل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك يعني بذلك ان ايديهم موثقة الى اعناقهم لا يستطيعون ان  
يسطوها بخير وقال مجاهد فهم مقمعون قال رافعي رؤسهم وايديهم موضوعة على افواههم فهم مغلولون عن كل خير وقوله تعالى  
وجعلنا من بين ايديهم سدا قال مجاهد عن (٢١٠) الحق ومن خلفهم سدا قال مجاهد عن الحق فهم يرتدون وقال

قادة في الضلالات وقوله تعالى  
فاعشيناهم اى اغشينا ابصارهم  
عن الحق فهم لا يبصرون اى  
لا ينتفعون بخير ولا يهتدون اليه  
قال ابن جرير وروى عن ابن  
عباس رضي الله عنهما انه كان يقرأ  
فاعشيناهم بالعين المهمله من  
العشا وهودا في العين وقال عبد  
الرحمن بن زيد بن اسلم جعل الله  
تعالى هذا السيد بينهم وبين الاسلام  
والايمان فهم لا يتخلصون اليه وقرأ  
ان الذين حقت عليهم كلمة ربك  
لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى  
ير والعذاب الليم ثم قال من منعه  
الله تعالى لا يستطيع وقال  
عكرمة قال ابوجهل لئن رأيت  
محمد الا فعلن ولا فعلن فانزلت انا  
جعلنا في اعناقهم اغلالا الى قوله  
فهم لا يبصرون قال فكانوا يقولون  
هذا محمد فيقول أين هو أين هو  
لا يبصره رواه ابن جرير وقال محمد  
ابن اسحق حدثني يزيد بن زياد عن  
محمد بن كعب قال قال ابوجهل  
وهم جلوس ان محمدا يزعم انكم  
ان تابعتموه كنتم ملوا كما فاذا متم  
بعثتم بعد موتكم وكانت لكم

من جهة الله سبحانه تقييد المجادلة بذلك مع استحاله اتيانه للايذان بان المتكلم في أمر  
الدين لا بد من استناده الى سلطان مبین (ان في صدورهم الاكبر) اى ما في قلوبهم الاتكبر  
عن الحق يحملهم على تكذيبك (ماهم بالغيه) صفة لكبر قال الزجاج بالغى ارادتهم  
فيه فجعله على حذف المضاف وقال غيره بالغى كبرهم وقال ابن قتيبة كبر اى تكبر على  
محمد صلى الله عليه وآله وسلم وطمع ان يبلغوه وماهم بالغي ذلك وقيل المراد بالكبر  
الامر الكبير اى يطلبون السبوة ويطلبون أمرا كبيرا يصلون به اليك من القتل  
ونحوه ولا يبلغون ذلك وقال مجاهد معناه في صدورهم عظمة ما همم بالغيها والمراد  
بهذه الآية المشركون وقيل اليهود عن أبي العالية قال ان اليهود اتوا النبي صلى الله  
عليه وآله وسلم فقالوا ان الدجال يكون من اى آخر الزمان ويكون من أمره فعضموا  
أمره وقالوا يصنع كذا ويصنع كذا فانزل الله هذه الآية قال لا يبلغ الذى يقول فاستعد  
بالله فامر نبيه ان يتعوذ من فتنة الدجال لخلق السموات والارض أكبر من خلق  
الدجال آخر جهه عبد بن حميد وابن أبي حاتم قال السيوطى بسند صحيح وعن كعب  
الاحبار قال هم اليهود نزلت فيهم فيما ينتظرونه من امر الدجال وقال مجاهد الاكبر اى  
عظمة قريش ثم امره الله سبحانه بان يستعذب الله من شرورهم فقال (فاستعذب الله)  
أى فالتجى اليه من شرهم وكيدهم وبغيهم عليك (انه هو السميع) لا قوا لهم  
(البصير) بأفعالهم لا تخفى عليه من ذلك خافية ثم بين سبحانه عظيم قدرته فقال (خلق  
السموات والارض) ابتداء من غير سابق مادة (أكبر من خلق الناس) اى أعظم في  
النفوس وأجل في الصدور وأعظم اجرامها واستقرارهما من غير عمد وحرمان الافلاك  
بالكواكب من غير سبب وأشق بحسب عادة الناس في من اوله الافعال من ان علاج  
الشيء الكبير اشق من علاج الصغير وان كان بالنسبة الى الله لا تفاوت بين الصغير  
والكبير فكيف ينكرون البعث واحياء ما هودونهم من كل وجه كفى قوله أوليس  
الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم قال أبو العالية المعنى لخلق  
السموات والارض أعظم من خلق الدجال حين عظمته اليهود وقال يحيى بن سلام هو  
احتجاج على منكرى البعث اى هما أكبر من اعادة خلق الناس (ولكن أكثر الناس)  
أى كفار مكة (لا يعلمون) بعظم قدرة الله وانه لا يحجزه شئ عنهم كالأعمى ومن يعلمه كالبصير

جنان خبير من جنان الاردن وانكم ان خالفتوه كان لكم منه ذبح ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تعذون وقد  
بها وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وفي يده حفنة من تراب وقد أخذ الله تعالى على أعينهم دونه فجعل يذرها  
على رؤسهم ويقرأ يس والقرآن الحكيم حتى انتهت الى قوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاعشيناهم فهم  
لا يبصرون وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته وباو ارضاء على بابه حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار فقال  
مالككم قالوا انتظر محمدا قال قد خرج عليكم فابقى منكم من رجل الاوضع على رأسه ترابا ثم ذهب لحاجته فجعل كل رجل منهم



ينفض ما على رأسه من التراب قال وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قول أبي جهل فقال أنا أقول ذلك إن لهم منى للبحاواني  
لا أخذهم وقوله تبارك وتعالى وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون أي قد ختم الله عليهم بالضلالة فلا يفيد فيهم الانذار  
ولا يثرون به وقد تقدم نظيره في أول سورة البقرة وكما قال تبارك وتعالى إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل  
آية حتى يروا العذاب الأليم إنما تنذر من أتبع الذكرا أي إنما ينتفع بآذارك المؤمنون الذين يتبعون الذكرو وهو القرآن العظيم  
وخشى الرحمن بالغيب أي حيث لا يراه أحد إلا الله تبارك (٢١١) وتعالى يعلم أن الله مطلع عليه وعالم بما يفعل

فبشره بمغفرة أي لذنوبه وأجر كريم  
أي كثير واسع حسن جميل كما قال  
تبارك وتعالى إن الذين يخشون  
ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير  
ثم قال عز وجل إننا نحن نحي الموت  
أي يوم القيامة وفيه إشارة إلى أن  
الله تعالى يحيى قلب من يشاء من  
الكفار الذين قد ماتت قلوبهم  
بالضلالة فيهدبهم بعد ذلك إلى الحق  
كما قال تعالى بعد ذلك كرسوة القلوب  
اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها  
قد ينالكم الآيات لعلكم تعقلون  
وقوله تعالى ونكتب ما قدموا أي  
من الأعمال وفي قوله تعالى وآثارهم  
قولان أحدهما نكتب أعمالهم  
التي باسروها بأنفسهم وآثارهم  
التي آثروها من بعدهم فيجزبهم  
على ذلك أيضا إن خيرا خيرا وإن  
شرا فشر كقوله صلى الله عليه وسلم  
من سن في الإسلام سنة حسنة كان  
له أجرها وأجر من عمل بها من بعده  
من غير أن ينقص من أجرهم  
شيئا ومن سن في الإسلام سنة سيئة  
كان عليه وزرها ووزر من عمل بها  
من بعده من غير أن ينقص من  
أوزارهم شيئا رواه مسلم من

وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذكر الدجال وصفته وانذار الرسل منه لامتهم  
وخروجه في آخر الزمان وما يقع منه ومن يتبعه من اليهود كما حققناه في حجج الكرامة في  
آثار القيادة وليس هذا موضع ذكرها وبسطها واليه ذهب جميع أهل السنة والمحدثين  
والفقهاء خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافها  
الجباي وموافقيه في أنه صحيح الوجود ولكن الأشياء التي يأتيها زعموا أنها مخاريف  
وخيالات لا حقائق لها والأخبار الصحيحة المتواترة تدفعه وترده ردا مشبعا ثم لما ذكر  
سبحانه الجدال بالباطل ذكر مثلا للباطل والحق وانهما لا يستويان فقال (وما يستوى  
الاعمى والبصير) أي الذي يجادل بالباطل والذي يجادل بالحق أو الغافل والمستبصر  
(والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي ولا يستوى المحسن بالإيمان والعمل الصالح  
(ولا المسيء) بالكفر والمعاصي وزيادة للتأكيد والتقابل يحيى على ثلاث طرق أحداها  
إن يجاور المناسب ما يناسبه كهذه الآية والثانية أن يتأخر المتقابلان كقوله تعالى مثل  
الفریقین كالاعمى والاصم والبصير والسميع والثالثة أن يقدم مقابل الأول ويؤخر  
مقابل الآخر كقوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وكل ذلك  
تفنن في البلاغة وقدم الاعمى في نبي التساوي لجميئه بعد صفة الذم في قوله ولكن أكثر  
الناس لا يعلمون (قليل ما يتذكر) بالتحتمية على الغيبة لان قبلها وبعدها على الغيبة  
لا على الخطاب واختارها أبو عبيد وأبو حاتم والنوقية على الخطاب بطريقة الالتفات  
وقائده في مقام التوبيخ اظهار العنف الشديد والانسكار البليغ أفاده الكرخي (إن  
الساعة لا تيسر لأرب فيها) أي لا شك في مجيئها ووصولها وقيامها للوضوح شواهد  
واجاع الرسل على الوعد بوقوعها ولأنه لا بد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة  
(ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بتلك ولا يصدقونه لتصور أفهامهم وضعف عقولهم  
عن ادراك الحجة والمراد بأكثر الناس الكفار الذين يشكرون البعث ثم لما بين سبحانه أن  
قيام الساعة حق وليس يمرتاب فيها ولا شبهة في مجيئها أرشد عباده إلى ما هو الوسيلة إلى  
السعادة في دار الخلود فأمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يحيى عنه ما أمره بإبلاغه  
وهو (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) قال أكثر المفسرين المعنى وحدوني واعبدوني

رواية شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه جرير بن عبد الله الجبلي رضى الله عنه وفيه قصة محتاجي النصار  
المضربين رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن يحيى بن سليمان الجعفي عن أبي الحياه يحيى بن يعلى عن عبد الملك بن عمير عن جرير بن عبد  
الله رضى الله عنه فذكر الحديث بطوله ثم تلا هذه الآية ونكتب ما قدموا وآثارهم وقد رواه مسلم من رواية أبي عوانة عن عبد  
الملك بن عمير بن المنذر بن جرير عن أبيه فذكره وهكذا الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث من علم نفع به أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده

وقال سفيان الثوري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال سمعت مجاهدا يقول في قوله تعالى انما نحن بغير الموت ونكتب ما قدموا وآثارهم قال ما أورثوا من الضلالة وقال ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قوله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم يعني ما أثروا يقول ما سئوا من سنة فعمل بها قوم من بعدهم فان كان خيرا فله مثل أجرهم لا ينقص من أجر من عمل به شيئا وان كانت شرا فعليهم مثل أوزارهم ولا ينقص من أوزار من عمل به شيئا ذكرهما ابن أبي حاتم وهذا القول هو اختيار البغوي والقول الثاني ان المراد بذلك آثار خطاهم الي (١١٢) الطاعة أو المعصية قال ابن أبي شبيب وغيره عن مجاهد ما قدموا أعمالهم

وآثارهم قال خطاهم بأرجلهم وكذا قال الحسن وقتادة وآثارهم يعني خطاهم وقال قتادة لو كان الله عز وجل مغذلا شيئا من شأنك يا ابن آدم اغفل ما تعني الرياح من هذه الآثار لو كان أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله حتى أحصى هذا الأثر فيما هو من طاعة الله تعالى أو من معصيته فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله تعالى فليفعل وقد أوردت في هذا المعنى أحاديث الحديث الأول قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة ان ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اني بلغني انكم تريدون ان تنتقلوا قرب المسجد قالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم وهكذا رواه مسلم من حديث سعيد الجريري وكهس بن الحسن كلاهما عن

اتقبل عبادتكم واغفر لكم وأجبتكم وأثبتكم وقيل هذا الوعد بالاجابة مقيد بالمشيئة أي استجب لكم ان شئت كقوله فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقيل المراد بالدعاء السؤال بجلب النفع ودفع الضر قيل الاول أولى لان الدعاء في أكثر استعمالات الكتاب العزيز هو العبادة قلت بل الثاني أولى لان معنى الدعاء حقيقة وشرا هو الطلب فان استعمل في غير ذلك فهو مجاز على ان الدعاء في نفسه باعتبار معناه الحقيقي هو عبادة بل مخ العبادة كما ورد بذلك الحديث الصحيح قاله سبحانه قد أمر عباده بدعائه ووعدهم بالاجابة ووعده الحق وما يبدل القول لديه ولا يختلف الميعاد وعن ابن عباس قال وحدوني أغفر لكم وقال جرير بن عبد الله اعبدوني وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء الاستغفار أخرجه ابن مردويه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لم يدع الله يغضب عليه أخرجه أحمد والحاكم وابن أبي شيبة وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا ينفع حذر من قدر ولكن الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل فعليكم بالدعاء أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء مخ العبادة أخرجه الترمذي والحاكم الترمذي في نوادر الاصول وعن ابن عباس قال افضل العبادة الدعاء وقرأ هذه الآية وأخرج البخاري في الادب عن عائشة قالت سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي العبادة افضل فقال دعاء المرء لنفسه ثم صرح سبحانه بأن هذا الدعاء باعتباره معناه الحقيقي وهو الطلب هو من عبادة فقال (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم) قرأ الجمهور بفتح الباء وضم الخاء وقرئ بالعكس مينا للمفعول (داخرين) أي ذليلين صاغرين وهذا وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله وفيه لطف بعباده عظيم واحسان اليهم جليل حيث توعد من ترك طلب الخير منه واستدفاع الشر به هذا الوعيد البالغ وعاقبه بهذه العقوبة العظيمة فيما عباد الله وجهوا رغباتكم وعولوا في كل طلباتكم على من أمركم بتوجيهها اليه وأرشدكم الى التعويل عليه وكفل لكم الاجابة باعطاء الطلبة فهو الكريم المطلق الذي يجيب دعوة الداعي اذا دعاه ويغضب على من لم يطلب من فضله العظيم ولمسك الواسع ما يحتاجه من امور الدنيا والدين وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعوني الي قوله داخرين أخرجه الترمذي

أبي نضرة واسمه المنذر بن مالك بن قطعة العبدي عن جابر رضي الله عنه به الحديث الثاني قال ابن أبي حاتم حدثنا وقال محمد بن الوزير الواسطي حدثنا اسحق الأزرق عن سفيان الثوري عن أبي سفيان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا ان ينتقلوا الى قريب من المسجد فنزلت انما نحن بغير الموت ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ان آثاركم تكتب فلينتقلوا فترد بأخراجه الترمذي عند تفسير هذه

الآية الكريمة عن محمد بن الوزير ثم قال حسن غريب من حديث الثوري ورواه ابن جرير عن سليمان بن عمر بن خالد الرقي عن ابن المبارك عن سفيان الثوري عن طريق وهو ابن شهاب أبو سفيان السعدي عن أبي نضرة به وقدرى من غير طريق الثوري فقال الحافظ أبو بكر الزرار حدثنا عباد بن زياد الساجي حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن سعيد الجري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضى الله عنه قال ان بن سلمة شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منازلهم من المسجد فنزلت ونكتب ما قدموا وآثارهم فأقاموا في مكانهم وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الاعلى حدثنا الجري (٢١٢) عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضى الله

عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية والسورة بكلمات مكينة فالتة أعلم الحديث الثالث قال ابن جرير حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا اسراييل عن سمك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم ما قال كانت منازل الانصار متباعدة من المسجد وأرادوا ان ينقلوا الى المسجد فنزلت ونكتب ما قدموا وآثارهم فقالوا نبت مكاننا هكذا واه ليس فيه شيء مرفوع ورواه الطبراني عن عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي هريرة عن محمد بن يوسف القريابي عن اسراييل عن سمك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم ما قال كانت الانصار بعيدة منازلهم من المسجد فأرادوا ان ينقلوا الى المسجد فنزلت ونكتب ما قدموا وآثارهم فثبتوا في منازلهم الحديث الرابع قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني حي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلى عن

وقال حسن صحيح والبخارى في الادب وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب وأحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وسعيد بن منصور والطبراني ثم ذكر سبحانه بعض ما أنعم به على عباده فقال (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) من الحركات في طلب الكسب لكونه جعله مظلماً بارداً مناسباً الراحة الظاهرية بالسكون والنوم الذي هو الموت الاصغر والراحة الحقيقية بالعبادة التي هي الحياة الدائمة (والنهار مبصر) أى مضئاً لتبصر وافية حوائجكم وتتصرفوا في طلب معاشكم وهو من الاسناد المجازى أى مبصر افيه لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار (ان الله لذو فضل على الناس) يتفضل عليهم بنعمه التي لا تحصى ولم يقل لمفضل وألمفضل لان المراد تنكير النضل وأن يجعل فضلاً لا يوازيه فضل وذلك انما يكون بالاضافة (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) النعم ولا يعترفون بها المخلوودهم لها ولا يكفروهم بها كما هو شأن الكفار وألغفالههم للنظر واهمالهم لما يجب من شكر المنعم وهم الجاهلون ولم يقل ولكن أكثرهم حتى لا يتكرر ذكر الناس لان في هذا التكرير تخصيص الكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقولنا ان الانسان لكفور وقوله ان الانسان لظالم كقار (ذلكم) اى الفاعل المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية (الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو) بين سبحانه في هذا كمال قدرته المقتضية لوجوب توحيد (فانى تؤفكون) أى فكيف تتقلبون عن عبادته وتتصرفون عن توحيد وتصرفون عن الايمان مع قيام البرهان (كذلك يؤفك الذين كانوا آيات الله يمجدون) أى مثل ذلك الاؤفك الجاحدون لا آيات الله المنكرون لتوحيدهم ثم ذكر لهم سبحانه نوعاً آخر من نعمه التي أنعم بها عليهم مع ما في ذلك من الدلالة على كمال قدرته وتفرد بالالهية فقال (الله الذي جعل لكم الارض قراراً) أى موضع قرار مع كونها في غاية الثقل ولا تمسك لها سوى قدرة الله وفيها تحميمون وفيها تتوبون (والسما بناء) أى سقفا قائماً ثابتاً مع كونها أفلا كاداً أثره بنجوم طول الزمان سائرة ينشأ عنها الليل والنهار والاضلام والاضاءة ثم بين بعض نعمه المتعلقة بانفس العباد فقال (وصوركم فأحسن صوركم) أى خلقكم في أحسن صورة لم يخلق حيواناً أحسن منكم وقيل لم يخلقكم

عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال توفي رجل بالمدينة فصرى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا ليتهم مات في غير مولده فقال رجل من الناس ولم يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل اذا توفي في غير مولده قيس له من مولده الى منقطع أثره في الجنة ورواه النسائي عن يونس بن عبد الاعلى وابن ماجه عن حرمله كلاهما عن ابن وهب عن حي بن عبد الله به وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا أبو عبد الله حدثنا الحسين عن ثابت قال مشيت مع أنس رضى الله عنه فأسرعت المشى فأخذ بيدي فمشينا رويداً فلما قضينا الصلاة قال أنس مشيت مع زيد بن ثابت فأسرعت المشى فقال يا أنس أما شعرت ان الآتار تكذب وهذا القول لا تنافي

بينه وبين الاول بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الاولى والاخرى فانه اذا كانت هذه الاثار تكتب فلان تكتب تلك التي فيها قدوة بهم من خير او شر بطريق الاولى والله أعلم وقوله تعالى وكل شيء احصيناه في امامين أي وجميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ والامام المبين ههنا هو ام الكتاب قاله مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وكذا في قوله تعالى يوم ندعو كل اناس امامهم أي بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير او شر كما قال عز وجل ووضع الكتاب وحي بالنبئين والشهداء وقال تعالى (٢١٤) ووضع الكتاب فترى انجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما هذا

الكتاب لا يعاد صغيره ولا كبيرة الاحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم امرسالون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما نزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم امرسالون وما علمنا الا البلاغ المبين يقول تعالى واضرب يا محمد لقومك الذين كذبوك مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون قال ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب الاحبار وهب بن منبه انها مدينة انطاكية وكان بها ملك يقال له انطيوخ بن انطيوخ بن انطيوخ وكان يعبد الاصنام فبعث الله تعالى اليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصدوق وشلوم فكذبهم وهكذا روى عن بريدة بن الحصيب وعكرمة وقتادة والزهرى انها انطاكية وقد استشكل بعض الائمة كونها انطاكية بما سئد كره بعد تمام القصة ان شاء الله تعالى وقوله تعالى

منكوسين كالبهايم قيل خالق ابن آدم قائم معتدلا يأكل ويتناول بيده وغيره يتناول بفيه وقال الزجاج خلقكم احسن الحيوان كاه قرأ الجهور رصور كم بضم الصاد وقرأ الاعش وأبورز بن بكسر ها قال الجوهري والصور بكسر الصاد لغة في الصور بضمها (ورزقكم من الطيبات) أي المستلذات من الماء والشراب من غير رزق الدواب (ذلكنم المنعوت بهذه النعوت الجليلة) الله ربكم فتبارك الله رب العالمين (أي كثر خيره وبركته) (هو الحى لا اله الا هو) أي الباقي الذي لا يفنى المتفرد بالالوهية وهذا التركيب يفيد الحصر وفيه اشارة الى العلم التام والقدرة التامة الكاملة (فادعوه) أي اعدوه (مخلصين له الدين) أي الطاعة والعبادة من الشرك (الحمد لله رب العالمين) قال الفراء هو خير وفيه اضممار أمر أي اجدوه عن ابن عباس قال من قال لا اله الا الله فليقل اثرها الحمد لله رب العالمين وذلك قوله فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وعلى هذا هو من كلام المأمورين بالعبادة ويجوز أن يكون من كلامه تعالى على انه استثناف لحد ذاته بذاته ثم أمر الله سبحانه رسوله ان يخبر المشركين بان الله نهى عن عبادة غيره وأمره بالتوحيد فقال (قل) لهم ردا عليهم فيما طلبوه منك وهو عبادة آلهتهم (انني نهيتم) نهيها عما يبراهين العقول ونهيها خاصة بالادلة النقول (ان عبد الذين تدعون) أي تعبدون (من دون الله) وهي الاصنام ثم بين وجه النهي فقال (لما جاءني البينات من ربي) وهي الادلة العقلية والنقلية فانها توجب التوحيد (وأمرت ان أسلم لرب العالمين) أي أسلم له بالانقياد والخضوع أو الاخلاص ثم أردف هذا بذك دليل من الادلة الدالة على التوحيد فقال (هو الذي خلقكم) أي خلق اباكم الاول وهو آدم وخلقته (من تراب) يستلزم خلق ذريته منه (ثم من نطفة ثم من علقة) قد تقدم تفسيره في غير موضع (ثم يخرجكم طفلا) أي أطفالا وأفرده لكونه اسم جنس أو على معنى ثم يخرج كل واحد منكم طفلا (ثم لتبلغوا أشدكم) وهي الحالة التي تجتمع فيها القوة والعقل من الثلاثين سنة الى الاربعين وقد سبق بيان الاشد مستوفى في الانعام والتقدير لكبر واشيا فشيأ ثم لتبلغوا غاية الكمال (ثم يقيمكم) لتكونوا شيوخا بضم الشين وبكسر هاء سبعين وقرئ شيخا على الافراد كقوله طفلا والشيخ من جاوز اربعين سنة يعني ان امر اقب الانسان بعد خروجه من بطن أمه

اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما أي باذروهما بالتكذيب فعززنا بثالث أي قويتناهما وشددنا أثرهما ثلاث رسول ثالث قال ابن جرير عن وهب بن سليمان عن شعيب الحبابي قال كان اسم الرسولين الاولين شععون وديحنا واسم الثالث بولص والقرية انطاكية فقالوا أي لاهل تلك القرية انا اليكم امرسالون أي من ربكم الذي خلقكم بأمركم بعبادته وحده لا شريك له قاله أبو العالية وزعم قتادة بن دعامة انهم كانوا رسل المسيح عليه السلام الى أهل انطاكية قالوا ما انتم الا بشر مثلنا أي فكيف أوحى اليكم وانتم بشر ونحن بشر فلم لأوحى الينا مثلكم ولو كنتم رسلا لكنتم ملائكة وهذه شبهة كثير من الامم المكذبة كما أخبر

الله تعالى عنهم في قوله عز وجل ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشرهم صدونا أي استعجبوا من ذلك وانكروه وقوله تعالى قالوا انتم الابشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاقوا بسلطان مبين وقوله تعالى حكاية عنهم في قوله جل وعلا ولئن اطعتم بشر امثلكم انكم اذا خاسرون وقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا ولهذا قال هؤلاء ما انتم الابشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون أي اجابتهم رسلهم الثلاثة قائلين الله يعلم ان رسله اليكم ولو كما كذب عليه (٢١٥) لانتم منا اسد الاتقام ولكنه سيعزنا

وينصرنا عليكم وستعملون لمن تكون عاقبة الدار كقوله تعالى قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون وما علمنا الا البلاغ المبين يقولون انما علمنا ان نبلغكم ما ارسلنا به اليكم فاذا اطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والاخرى وان لم تطيعوا فستعملون غب ذلك والله أعلم (قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لبرجنكم وليس منكم منا عذاب أليم قالوا طائر كرم يحكم أثن ذكركم بل انتم قوم مسرفون) فعند ذلك قال لهم أهل القرية انا تطيرنا بكم اي لم نزع على وجوهكم خيرا في عيشنا وقال قتادة يقولون ان اصابنا شر فانما هو من اجلكم وقال مجاهد يقولون لم يدخل مثلكم الى قرية الا عذب أهلها لئن لم تنتهوا لبرجنكم قال قتادة بالحجارة وقال مجاهد بالسم وليس منكم منا عذاب أليم أي عقوبه شديدة فقالت لهم رسلهم طائر كرم معكم أي مردود عليكم كقوله في قوم فرعون

ثلاث الطفولية وهي حالة النمو والزيادة الى ان يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهي الشيخوخية (ومنكم من يتوفى من قبل) أي من قبل الاشد ومن قبل الشيخوخة (ولتبغوا) جميعا (أجلاسمى) أي وقت الموت أو يوم القيامة واللام هي لام التعليل والعاقبة (ولعلمكم تعقلون) أي لكي تعقلوا وتحيدركم وقدرته البالغة في خلقكم على هذه الاطوار المختلفة الى الاجل المذكور (هو الذي يحيي ويميت) أي يقدر على الاحياء والاماتة (فاذا قضى أمرا) من الامور التي يريد اياها (فانما يقول له كن فيكون) من غير توقف على شيء من الاشياء أصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته في المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتيب المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك أمر ومأمور واللقاء الاولي للدلالة على ان ما بعدهما من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه وتعالى قاله أبو السعود وقد تقدم تحقيق معناه في البقرة وفيما بعدها (ألتم ترالى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون) تعجب من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتهميد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون في آيات الله الخييان لا يتناءجد الهيم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الامنية الفارغة فلا تكرر فيه أي انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعى الى الاقبال عليها وانقفاء الصوارف عنها بالصكسية وقيام الادلة الدالة على صحتها وانها في انفسها موجبة للتوحيد قاله أبو السعود وقال النسفي ذكر الجدال في هذه السورة في ثلاثة مواضع بخازان يكون في ثلاثة اقوام أو ثلاثة اصنام وللتأكيدهم قال ابن زيدهم المشركون بدليل قوله الا انى الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلا قال القرطبي وقال أكثر المفسرين نزلت في القدرية قال ابن سيرين ان لم تكن هذه الآية نزلت في القدرية فلا أدري فيمن نزلت ويجاب عن هذا بان الله سبحانه قد وصف هؤلاء بصفة تدل على غير ما قالوه فقال (الذين كذبوا بالكتاب) وهذا وصف لا يصح ان يطلق على فرقة من فرق الاسلام والمراد بالكتاب اما القرآن أو جنس الكتب المنزلة من عند الله والموصول اما في محل جر على انه نعت للموصول الاول أو بدل منه ويجوز ان يكون في محل نصب على

فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطروا بموسى ومن معه الا انما طارهم عند الله وقال قوم صالح اطيرنا بك وبعن معك قال طائر كرم عند الله وقال قتادة ووهب بن منبه أي أعمالكم معكم وقال عز وجل وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فخال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثنا وقوله تعالى له أثن ذكركم بل انتم قوم مسرفون أي من أجل اننا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيدهم الله تعالى واخلاص العبادة له فابتغوا بهذا الكلام وتعدتونا وهم سدوتونا بل انتم قوم مسرفون وقال قتادة أي ان ذكرناكم بالله تطيرتم منا بل انتم قوم مسرفون (وجاء من أقصى المدينة

رجل يسمى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجر او هم مهتدون ومالي لأ عبد الذي فطرنى واليه ترجعون ألتخذ من دونه آلهة ان يردنى الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون انى اذا انى ضلال مبين انى آمنتم بربكم فاسمعون قال ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهم ما وكعب الاحبار ووهب بن منبه ان أهل القرية هموا بقتل رسالهم فآهم رجل من أقصى المدينة يسمى أى لينصرهم من قومه قالوا وهو حبيب وكان يعمل الجريرو وهو الجبال وكان رجلا سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان كثير الصدقة يتصدق (٢١٦) بنصف كسبه مستقيم الفطرة وقال ابن اسحق عن رجل سماه عن الحكيم

عن مقسم أو عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهم ما قال اسم صاحب يس حبيب وكان الجذام قد أسرع فيه وقال الثورى عن عاصم الاحول عن أبى مجاز كان اسمه حبيب بن سري وقال شبيب ابن بشر عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم ما قال اسم صاحب يس حبيب النجار فقتله قومه وقال السدى كان قصارا وقال عمر بن الحكيم كان اسكافا وقال قتادة كان يتعبد في غار هناك قال يا قوم اتبعوا المرسلين يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم اتبعوا من لا يسألكم أجر أى على ابلاغ الرسالة وهم مهتدون فيما يدعونكم اليه من عبادة الله وحده لا شريك له ومالي لأ عبد الذى فطرنى أى وما يعنى من اخلاص العبادة للذى خلقنى وحده لا شريك له واليه ترجعون أى يوم المعاد فيجازيكم على أعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر ألتخذ من دونه آلهة استقهم انكاروا توحيج وتقرير ان يردنى الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا

الذم واما أرسلنا به رسالنا معطوف على قوله بالكآب ويراد به ما يوحى الى الرسل من غير كآب ان كانت اللام فى الكآب للجنس أو سائر الكتب ان كان المراد بالكآب القرآن (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم ووبال كفرهم وفى هذا وعيد شديد والنظر فى قوله (اذا الاغلال فى أعناقهم) متعلق بعلمون أى فسوف يعلمون وقت كون الاغلال فى أعناقهم أو اذ كرههم وقت الاغلال ليخافوا وينزجروا (والسلاسل) جمع سلسله معروفة قال الراغب تسلسل الشئ اضطرب كأنه تصور منه تسلسل متردد فتردد لفظه تنبيه على تردد معناه واما سلاسل متردد فى مقوره معطوف على الاغلال والتقدير اذا الاغلال والسلاسل فى أعناقهم ويجوز ان يرتفع السلاسل على انه مبتدأ وخبره محذوف لدلالة فى أعناقهم عليه ويجوز ان يكون خبره (يسحبون فى الحميم) بحذف العاء أى يسحبون بها فى الحميم وهذا على قراءة الجمهور رفع السلاسل وقرئ بنصبها وقرأوا ويسحبون بفتح الياء مبنيا للفاعل فتكون السلاسل مفعولا مقوما وقرئ بجر السلاسل قال القراء وهذه القراءة محمولة على المعنى اذا لمعنى أعناقهم فى الاغلال والسلاسل وقال الزجاج المعنى على هذه القراءة وفى السلاسل يسحبون واعترضه ابن الانبارى بان ذلك لا يجوز فى العربية والسحب الجرب عنف والسحاب من ذلك لان الرياح بحره أو لانه يجير الماء والحميم هو المتناهى فى الحر وقيل الصديد وقيل جهنم وقيل الماء الحار الذى يكسب الوجوه سوادا والاعراض عارا والارواح عذابا والاجسام نارا وقد تقدم تفسيره قال ابن عباس يسحبون فى الحميم فينسلخ كل شئ عليهم من جلد ولحم وعرق حتى يصير فى عقبه حتى ان لحمه قدر طوله وطوله ستون ذراعا ثم يكسى جلدا آخر ثم يسحب فى الحميم (ثم فى النار يسحبون) يقال سحبت النار أى أوقدته وسحرتة ملائكة بالوقود ومنه البحر المسحور أى المملوء بالمعنى توقد بهم النار وتلاهم والمراد انهم يعذبون بألوان العذاب وتقولون من باب الى باب قال مجاهد ومقاتل توقد بهم النار فصاروا وقودها عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا الاغلال الى قوله يسحبون فقال لو أن رصاصة مثل هذه وأشار الى جمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها أرسلت من رأس السلسله لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل ان يبلغ أصلها أو قال فعرها أخرجه أحد الترمذى وحسنه الحاكم وصححه

ينقذون أى هذه الآلهة التى تعبدونها من دونه لا يمكن ان يكون من الامر شيأ فان الله تعالى لو أرادنى بسوء فلا كاشف له الا هو وهذه الاصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه ولا ينقذونى مما أنا فيه انى اذا انى ضلال مبين أى ان اتخذتها آلهة من دون الله وقوله تعالى انى آمنتم بربكم فاسمعون قال ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهم ما وكعب ووهب يقول لقومه انى آمنتم بربكم الذى كفرتم به فاسمعون أى فاسمعوا قولى ويحتمل ان يكون خطابه للرسل بقوله انى آمنتم بربكم أى الذى أرسلكم فاسمعون أى فاشهدوا لى بذلك عنده وقد حكاها ابن جرير فقال وقال آخرون بل خاطب بذلك الرسل وقال لهم اسمعوا

قولي لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي اني آمنت بكم واتبعتمكم وهذا القول الذي حكاه عن هؤلاء أظهر في المعنى والله أعلم قال ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب وهب رضي الله عنهم فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن له أحد ينص عنه وقال قتادة جعلوا يرجمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فليرزوا به حتى أقصوه وهو يقول كذلك فقتلوه رحمه الله (قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفرت لي ربي وجعلني من المكرمين وما أنزلت على قومه من بعده من جند من السماء وما كامن الذين ان كانت الاصيحة (٢١٧) واحدة فاذا هم خامدون) قال محمد بن اسحق

عن بعض أصحابه عن ابن مسعود رضي الله عنه انهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج تصبه من دبره وقال الله له ادخل الجنة فدخلها فهو رزق فيها قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصها وقال مجاهد قيل لحبيب التجار ادخل الجنة وذلك انه قتل فوجيت له فلما رأى الثواب قال ياليت قومي يعلمون قال قتادة لا تلتق المؤمن الا نصحاً لتلقاه غاشاً لماعين ما عاين من كرامة الله تعالى قال ياليت قومي يعلمون بما غفرت لي ربي وجعلني من المكرمين تمني والله أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله وما هجم عليه وقال ابن عباس نصح قومه في حياته بقوله يا قوم اتبعوا المرسلين وبعدهما تمني في قوله ياليت قومي يعلمون بما غفرت لي ربي وجعلني من المكرمين رواه ابن أبي حاتم وقال سفيان الثوري عن عاصم الاحول عن أبي مجلز بما غفرت لي ربي وجعلني من المكرمين يا عبادي برئى وتصديقي المرسلين ومقصودهم لو اطلعوا على ما حصل لي من هذا الثواب والحزاء والنعيم المقسيم لقادهم ذلك الى (٢٨ فتح البيان ثامن) اتباع الرسل فرحمه الله ورضي عنه فلقد كان حريصاً على هداية قومه قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبيد الله حدثنا ابن جابر هو محمد عن عبد الملك يعني ابن عمير قال قال عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم ابغضني القوي ادعوه الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أخاف ان يقتلوك فقال لو وجدوني نائماً ما يقتلونني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق فانطلق فرعى اللات والعزى فقال لأصحابك غداً بما يسوءك فغضبت ثقيل فقال يا معشر ثقيف ان اللات واللات وان العزى لا عزى اسبلوا واسبلوا يا معشر الاحلاف ان العزى لا عزى وان اللات واللات

وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور (ثم قيل لهم) أى يقال لهم وصيغة الماضى للدلالة على التحقق (أين ما كنتم تنكرون) من دون الله هذا توحيه وتبريح لهم أى أين الشركاء الذين كنتم تعبدونهم من دون الله وهى الاصنام وغيرها وتبريح لهم أى مفضولة من ما كما أشار اليه ابن الجزرى (قالوا ضلوا عنا) أى يقولون ذهبوا وغابوا وفقدناهم فلانراهم ثم أضربوا عن ذلك واتقلوا الى الاخبار بعد مدحهم وانه لا وجود لهم فقالوا (بل لم تكن ندعوا من قبل شيئاً) أى لم تكن نعبده شيئاً قالوا هذا الماتين لهم ما كانوا فيه من الضلالة والجهالة وانهم كانوا يعبدون ما لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وليس هذا انكاراً منهم لوجود الاصنام التى كانوا يعبدونها بل اعتراف منهم بان عبادتهم اياها كانت باطلة كقولك حسبته شيئاً لم يكن كذلك وقال المحلى أنكر وعبادتهم اياها انتهى وهذا المعنى يعيدنى مقام الحساب والعرض على رب العالمين (كذلك) الضلال النطيع (يضل الله الكافرين) حيث عبدوا هذه الاصنام التى أوصلتهم الى النار (ذلكم) أى ذلك الاضلال المدلول عليه بالفعل أو العذاب (بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق) أى تظهرون فى الدنيا من الفرح بمعاصي الله والسرور بعنايته فرسله وكتبه وقيل بما كنتم تفرحون به من المال والاتباع والصحة وقيل من انكار البعث والعذاب وقيل المراد بالفرح هنا البطر والتكبر (وبما كنتم تفرحون) المراد بالمرح الزيادة فى البطر وقال مجاهد وغيره تبطرون وتأثرون وقال الضحاک الفرح السرور والمرح العدوان وقال مقاتل المرح البطر والخيلاء وقيل المرح أشد من الفرح (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم حال كونكم (خالدين فيها) أى مقدرين الخلود فيها (فبئس منوى) أى ماوى (المتكبرين) عن قبول الحق جهنم وكان الظاهر ان يقال مدخل وعبر عنه بالمتوى لكون دخوله من بطريق الخلود قاله أبو السعود وقال السهيم لم يقل مدخل لان الدخول لا يدوم وانما يدوم الثواء فلذلك خصه بالذم وان كان الدخول أيضاً مذموماً ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر تسلية له فقال (فاصبر ان وعد الله) أى وعده بالانتقام منهم (حق) كائن الاحالة اما فى الدنيا أو فى الآخرة ولهذا قال (فما ترى لك بعض الذى نعدهم) من العذاب فى الدنيا بالقتل والامر

اسلموا تسلموا قال ذلك ثلاث مرات فرماه رجل فأصاب أكله فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا مثله كمثل صاحب  
يس قال يا ليت قومي يعلمون بما غفرت لي ربي وجعلني من المكرمين وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم  
انه حدث عن كعب الاحبار انه ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم اخو بني مازن بن النجار الذي كان مسليمة الكذاب قطعها باليمامة  
حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بفعل يقول له أشهد ان محمدا رسول الله فيقول نعم ثم يقول أشهد اني رسول  
الله فيقول لا أسمع فيقول له مسليمة اعنه الله (٢١٨) أسمع هذا ولا تسمع ذلك فيقول نعم فجعل يقطعه عضوا عضوا كلما

سأله لم يزد على ذلك حتى مات في  
يديه فقال كعب حين قيل له اسمه  
حبيب وكان والله صاحب يس اسمه  
حبيب وقوله تبارك وتعالى وما  
أنزلنا على قومه من بعده من جند  
من السماء وما كنا منزلين يخبر تعالى  
انه اتقم من قومه بعد قتلهم اياه  
غضبا منه تبارك وتعالى عليهم لانهم  
كذبوا رسوله وقتلوا وليه ويزكر عز  
وجل انه ما أنزل عليهم وما احتاج في  
اهلاكه اياهم الى انزال جن من  
الملائكة عليهم بل الامر كان أيسر  
من ذلك قاله ابن مسعود في رواه  
ابن اسحق عن بعض أصحابه انه قال  
في قوله تعالى وما أنزلنا على قومه  
من بعده من جن من السماء وما  
كنا منزلين أي ما كانوا هم بالجموع  
الامر كان أيسر علينا من ذلك ان كانت  
الاصحبة واحدة فاذا هم خاملون  
قال فأهلك الله تعالى ذلك الملك  
وأهل انطاكية فبادوا عن وجه  
الارض فلم يبق منهم باقية وقيل وما  
كنا منزلين أي وما كنا نزل الملائكة  
على الامم اذا اهلكناهم بل نبعث  
عليهم عذابا يدرهم وقيل المعنى  
في قوله تعالى وما أنزلنا على قومه

والقهر وما زائدة عند المبرد والزجاج والاصل نرك ولحقت بالفعل نون التأكيدي  
(أو تنوينك) معطوف على نريك أي قبل انزال العذاب بهم (فاليان يرجعون) يوم  
القيامة فنعذبهم أشد العذاب (ولقد أرسلنا رسلا) وأنبياء (من قبلك) الى أممهم  
(منهم من قصصنا عليك) أي أنبأناك بأخبارهم في القرآن وما لقوه من قومهم وهم  
خمسة وعشرون (ومنهم من لم نقصص عليك) فيه خبره ولا وصلنا اليك علم  
ما كان بينه وبين قومه وعن علي بن أبي طالب في الآية قال بعث الله عبدا حبشيا فافهو  
من لم يقصص على محمد صلى الله عليه وسلم عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله كم عدة الانبياء  
قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جا غفيرا  
أخرجه أحمد وعبر عنه في الكشاف بقيل (وما كان) أي ماصح وما استقام (لرسول) منهم  
(ان يأتي بآية) أي معجزة دالة على نبوته (الاباذن الله) لا من قبل نفسه فان المعجزات عطايا  
قسمها الله تعالى بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايتار بعضها  
والاستبداد بايمان المقترح بها لانهم عبيد مر بوبون (فاذا جاء أمر الله) أي الوقت  
المعين لعذابهم في الدنيا وفي الآخرة (قضى بالحق) فيما بين الرسل ومكذبيها فينبغي الله  
بقضائه الحق لعباده المحققين (وخسر هنالك) أي في ذاك الوقت (المبطلون) الذين  
يتبعون الباطل ويعملون به وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك ختمه بقوله المبطلون وختم  
السورة بقوله الكافرون لان الأول متصل بقوله قضى بالحق ونقيض الحق هو الباطل  
والثاني متصل بايمان غير نافع ونقيض الايمان الكفر فاده الكفرني ثم امتن الله سبحانه  
على عباده بنوع من أنواع نعمته التي لا تحصى فقال (الله الذي جعل لكم والانعام) أي  
خلقها لاجلكم قال الزجاج الانعام هنا الابل خاصة وقيل الأزواج الثمانية والاول هو  
الظاهر لانها هي التي توجد فيها المنافع الآتية كها وقوله (لتركبوا منها) تفصيل لهذا  
الاجال ومن للتبعيض وكذلك في قوله (ومنها تاكلون) أو لابتداء الغاية في الموضعين  
ومعناها ابتداء الركوب وابتداء الاكل والاول أولى والمعنى لتركبوا بعضها وتاكلوا  
بعضها (ولكم فيها منافع) آخر غير الركوب والاكل من الوبر والصوف والشعر والزبد  
والسمن والخبز والدر والاسل وغير ذلك (وتلبغوا عليها حاجة في صدوركم) قال مجاهد

من بعده من جن من السماء أي من رسالة أخرى اليهم قاله مجاهد وقتادة قال قتادة فلا والله ما عاتب الله ومقاتل  
قومه بعد قتله ان كانت الاصحبة واحدة فاذا هم خاملون قال ابن جرير والاول اصح لان الرسالة لا تسمى جندا قال المفسرون  
بعث الله تعالى اليهم جبريل عليه الصلاة والسلام فاخذ بعضا في باب بلدهم ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خاملون عن آخرهم  
لم يبق فيهم روح تتردد في جسدهم وقد تقدم عن كثير من السلف ان هذه القرية هي انطاكية وان هؤلاء الثلاثة كانوا رسلا من  
عند المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام كانوا منسوبة عليه قتادة وغيره وهو الذي لم يذكر عن واحد من متأخري المفسرين غيره



وفي ذلك نظر من وجوه أحدها ان ظاهر القصة يدل على ان هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل لامن جهة المسيح عليه السلام كما قال تعالى اذ ارسلنا اليهم اثني عشر نبيا فكذبوا فما عجزنا بنابثا لث فقالوا انا اليكم مرسلون الى ان قالوا ربنا يعلم انا اليكم مرسلون وما علمنا الا البلاغ المبين ولو كان هؤلاء من الخواريين لقالوا عبارة يناسب انهم من عند المسيح عليه السلام والله تعالى أعلم ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم انتم الانبياء مثلنا الثاني ان أهل انطاكية آمنوا برسل المسيح اليهم وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربعة اللاتي فيهن بشارة وهن القدس (٢١٩) لانها بلد المسيح وانطاكية لانها أول بلدة

ومقاتل وقتادة تحمل أن يقال لكم من بلد الى بلد وقد تقدم بيان هذا مستوفى في سورة النحل (وعليها وعلى الغنك تحملون) أي على الأبل في البر وعلى السفن في البحر وقيل المراد بالجل على الأنعام هنا جل الولدان والنساء في الهواجر وهو السر في فصله عن الركوب وفي الجمع بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفن البر ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة النحل والأنعام خلقها لكم فيها دافع ومنافع الآية لكن هذه اجمع منها (ويريكم آياته) أي دلالاته الدالة على كمال قدرته ووحدايته (فأى) آية من آيات الله تنكرون) فانها كلها من الظهور وعدم الخفاء بحيث لا ينكرها منكر ولا يجحد بها جاحد وفيه تقرير لهم وتوبيخ عظيم وتذكير أي أشهر من تأنيده فلذلك لم يقل فآية آيات الله لان المتفرقة بين المذكروا الموثق في الاسماء الجامدة نحو حجار وحمار وغريب وهي في أي أعرب لاجها ما ونصب أي تنكرون وانما قدم على العامل فيه لان له صدرا الكلام ثم ارشدهم سبحانه الى الاعتبار والتفكير في آيات الله فقال (أفلم يسروا في الأرض) أي في اطرافها ونواحيها (فإنظروا) ببصارهم وبصائرهم (كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم التي عصت الله وكذبت رسلها فان الآثار الموجودة في ديارهم تدل على منازلهم من العقوبة وما صاروا اليه من سوء العاقبة ثم بين سبحانه ان تلك الامم كانوا فوق هؤلاء في الكثرة والقوة فقال (كانوا أكثر منهم) عددا (وأشد قوة) أي أقوى منهم أجسادا وأوسع منهم أموالا (وأظهر منهم) آثارا في الأرض (بالعمائر والمصانع والحصون والصحاري والبحرث) (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يجوز ان تكون ما الأولى نافية أو استفهامية منصوبة بأغنى والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة به أي لم يغن عنهم أو أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) أي بالتحجج الواضحات والمعجزات الظاهرات (فرحوا بما عندهم من العلم) أي أظهر الكفار الفرح بما عندهم مما يدعون انه من العلم من الشبه الداحضة والدعاوى الزائفة والفنون الفاسدة والعلوم الكاسدة وسماه علماتهم كعلمهم أو على ما يعتقدونه وقال مجاهد قالوا نحن أعلم منهم ان نعذب ولن نبعث وقيل المراد من العلم علم آحوال الدنيا لا الدين كما في قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال النسفي أو علم الفلاسفة والدهر بين فانهم كانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع موسى وقيل له لو هاجرت اليه فقل لمن قوم

أمتم بالمسيح عن آخر أهلها والاسكندرية لان فيها اصطلاحوا على اتخاذ البشارة والمطارنة والاساقفة والقساوسة والشمامسة والرهبان ثم رومية لانها مدينة الملك قسطنطين الذي نصر دينهم وأطدق ولما ابتنى القسطنطينية نقلوا البشارة من رومية اليها كما ذكره غير واحد ممن ذكر تواريخهم كسعد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب والمسلمين فاذا اقرر ان انطاكية أول مدينة آمنت فأهل هذه القرية يذكر الله تعالى انهم كذبوا رسله وانه أهلكتهم بصيحة واحدة أخذتهم والله أعلم الثالث ان قصة انطاكية مع الخواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة وقد ذكر أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وغير واحد من السلف ان الله تبارك وتعالى بعد انزاله التوراة لم يهلك أمة من الامم عن آخرهم بعد ذاب يعنه عليهم بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين ذكره عند قوله تبارك وتعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى فعلى هذا يتعين ان كان لفظها محفوظا في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة فان هذه لم يعرف انها أهلكت لافي الملة النصرانية ولا قبل ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسين بن اسحق التستري حدثنا الحسين بن أبي السرى العسقلاني حدثنا حسين الأشقر حدثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبق ثلاثة فالسابق الى موسى عليه الصلاة والسلام يوشع بن نون والسابق الى عيسى عليه

الصلاة والسلام صاحب يس والسابق الى محمد صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضی الله عنه فإنه حديث منكر لا يعرف الا من طريق حسين الاشقر وهو شيعي متر وك والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (يا حسرة على العباد ما أتيتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون) قال علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى يا حسرة على العباد أي ياويل العباد وقال قتادة يا حسرة على العباد أي يا حسرة العباد على أنفسهم على ما ضيعت من أمر الله وفرطت في جنب الله (٢٢٠) وفي بعض القراءات يا حسرة العباد على أنفسهم او معنى هذا يا حسرتهم

وندامتهم يوم القيامة اذا عاينوا العذاب كيف كذبوا رسول الله وخالفوا أمر الله فانهم كانوا في الدار الدنيا المكذبون منهم ما أتيتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن أي يكذبونه ويستهزؤن به ويحجدون ما أرسل به من الحق ثم قال تعالى ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون أي ألم يتعظوا بمن أهلكنا الله قبلهم من المكذبين للرسول كيف لم يكن لهم الى هذه الدنيا كرة ولا رجعة ولم يكن الامر كما زعم كثير من جهلهم وخبرتهم من قولهم ان هي الاحياتنا الدنيا تموت ونحيا وهم القائلون بالدور من الدهرية وهم الذين يعتقدون جهلا منهم أنهم يعودون الى الدنيا كما كانوا فيها فرد الله تبارك وتعالى عليهم بما طأ لهم فقال تبارك وتعالى ألم يروا لكم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون وقوله عز وجل وان كل لما جميع لدينا محضرون أي وان جميع الامم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيام بين يدي الله جل وعلا فيجازيهم بما عملهم كلها خيرا

مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا أو المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك واستهزأ به كأنه قال استهزؤا بالبينات وبما جاءوا به من علم الوحي فرحين مرحين انتهى وقيل الذين فرحوا بما عندهم من العلم هم الرسل وذلك أنهم لما كذبهم قومهم أعلمهم الله بأنه مهلك الكافرين ومنجي المؤمنين ففرحوا بذلك (وقبهم ما كانوا به يستهزؤن) أي أحاط بهم جزاء استهزأهم (فلما رأوا بأسنا) أي عاينوا عذابنا النازل بهم في الدنيا (قالوا) آمنا بالله وحده وكبرنا بما كذبوا به منكم (وهي الاصل) نام التي كانوا يعبدونها (فلم يذكروا) أي عند معابنة عذابنا لان ذلك الايمان ليس بالايمان النافع لصاحبه فإنه انما ينفع الايمان الاختياري لا الايمان الاضطراري والفتاات من قوله فما اغنى الى هنا أربع الاولى لبيان عاقبة كفرهم وشدة قوتهم أي ان عاقبتهم اخلاف وضد ما كانوا يؤمنون بها وهو نفعها فلم يترقب عليها بل ترتب عدمه كقولك وعظمت فلم يترقب والثانية تشيير تفصيل ما بهم وأجل من عدم الاغناء والثالثة مجرد التعقيب وجعل ما بعد ما تابعا لما قبلها او اتعاقبيه لان مضمون قوله لما جاءتهم الخ أنهم كفروا فكأنه قيل فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والاربع للعطف على آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختياري (سنة الله التي قد خلت) أي مضت (في عبادة) المعنى ان الله سبحانه سن هذه السنة في الامم كلها انه لا يتفهم الايمان اذا رآوا العذاب وقد مضى بيان هذا مستوفى في سورة النساء وسورة التوبة واتصاب سنة على انها مصدر مؤكد لفعل محذوف بمنزلة وعد الله وما أشبهه من المصادر المؤكدة وقيل منصوب على التحذير أي احذر وايا أهل مكة سنة الله في الامم الماضية والاولى (وقد خسرها تلك الكافرون) أي وقت فرقتهم بأس الله ومعابنتهم لعذابه على انه اسم مكان قد استعير للزمان كما ساف آتنا قاله أبو السعود وقال السمين لا يحتاج لهذا بل يصح ابقاؤه على أصله قال الزجاج الكافر خسرت في كل وقت ولكنه يتبين لهم خسرتهم اذا رأوا العذاب

\* سورة حم السجدة وتسمى سورة فصلت وسورة المصاييح وهي أربع وخمسون آية \*

وقيل ثلاث وخمسون قال القرطبي وهي مكية في قول الجميع قال ابن عباس انها نزلت

بمكة وشرها ومعنى هذه كقوله جل وعلا وان كلالا لماليوفينهم ربك أعلمهم وقد اختلف القراء في أداء هذا الحرف فمنهم من قرأوا كل لما بالتحفيف فعنده ان اللاتبات ومنهم من شدد لما وجعل ان نافية ولما بمعنى الاتقديره وما كل الا جميع لدينا محضرون ومعنى القراءتين واحد والله سبحانه وتعالى أعلم (وآية لهم الارض الميته أحييناها وأخرنا منها حيا متناهيها يا كلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليا كلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) يقول تبارك وتعالى وآية لهم أي دلالة لهم على وجود الصانع

وقدرته التامة واحبائه الموقى الارض الميته أى اذا كانت ميته هامة لاشئ فيهما من النبات فاذا أنزل الله تعالى عليها الماء اهتزت وربت وأثبتت من كل زوج بهيج ولهذا قال تعالى أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون أى جعلناه رزقا لهم ولا نعامهم وجعلنا فيها جنانا من نخيل وأعناب وجرفنا فيها من العيون أى جعلنا فيها أنهارا سارحة في أمكنة يحتاجون اليها لياكلوا من ثمرها ما امتن على خلقه بايجاد الرزوع لهم عطف بذكر الثمار وتنوعها وأصنافها وقوله جل وعلا وما علمته أيديهم أى وما ذالك كله الا من رحمة الله تعالى لهم لا بسعيهم ولا كد هم ولا يجولهم وقوتهم قاله ابن عباس رضى (٢٢١) الله عنهم وقتادة ولهذا قال تعالى أفلا

يشكرون أى فهل لا يشكرونه على ما أنعم به عليهم من النعم التي لا تعد ولا تحصى واختار ابن جرير بل جزم به ولم يحك غيره الا احتمالا لان ما في قوله تعالى وما علمته أيديهم بمعنى الذي تقديره لياكلوا من ثمره وما علمته أيديهم أى غرسوه ونصبوه قال وهى كذلك في قراءة ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لياكلوا من ثمره وما علمته أيديهم أفلا يشكرون ثم قال تبارك وتعالى سبحانه الذي خالق الأزواج كلها ما تثبت الارض أى من زروع وغا رو نبات ومن أنفسهم فجعلهم ذكرا وانثى وما لا يعلمون أى من مخلوقات شتى لا يعرفونها كما قال جل جلالته ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) يقول تعالى ومن الدلالة لهم على قدرته تبارك وتعالى العظمة خلق

بمكة وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو يعلى والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل وابن عساکر عن جابر بن عبد الله قال اجتمع قريش يوما فقالوا انظر وأعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذي قد فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليدكم ما نرى عليه فقلوا ما نعلم أحد غير عتبة بن ربيعة فقالوا انت يا أبا الوليد فأتاه فقال يا محمد أنت خير أم عبد الله أنت خير أم عبد المطلب فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الالهة التي عبت وان كنت تزعم انك خير منهم فسلكم حتى نسمع قولك أما والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم من ان في قريش ساحر او ان في قريش كهنا والله ما تنتظر الا مثل صيحة الجبلي ان يقوم بعضنا الى بعض بالسيف ياربجل ان كان انما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا وان كان انما بك الباءة فأخترت نساء قريش شئت فلترت وحبك عشر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرغت قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته حتى بلغ فان أعرضوا نقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فقال عتبة حسبك حسبك ما عندك غير هذا قال لا فرجع الى قريش فقالوا ما وراءك قال ما تركت شيئا أرى انكم تكلمون به الا كلمته قالوا فهل أجابك قال والذي نصها بنية ما فهمت شيئا مما قال غير انه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية وما ندري ما قال قال لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذلك الصاعقة وأخرج أبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن ابن عمر قال لما قرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عتبة بن ربيعة حم أتى أصحابه فقال يا قوم أطيعوني في هذا اليوم واعصوني بعده فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاما سمعت أننى قط كلاما مثله وما دريت ما أورد عليه وفي هذا الباب روايات تدل على اجتماع قريش وارسالهم عتبة بن ربيعة وتلاوته صلى الله عليه وآله وسلم أول هذه السورة عليه

(بسم الله الرحمن الرحيم) قد تقدم الكلام على اعرابه ومعناه في السورة التي قبل هذه السورة فلانعبيده والله أعلم بمراده به وكذلك تقدم الكلام على معنى قوله

الليل والنهار هذا نظلامه وهذا بضائه وجعلها مائة اقبان بيني وهذا فيذهب هذا ويذهب هذا فيبقى وهذا كما قال تعالى يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا ولهذا قال عز وجل ههنا وآية لهم الليل نسلخ منه النهار أى نصرمه منه فيذهب فيقبل الليل ولهذا قال تبارك وتعالى فاذا هم مظلمون كما جاء في الحديث اذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم ههنا هو انظاره من الآية وزعم قتادة انها كقوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وقد ضعف ابن جرير قول قتادة ههنا وقال انما معنى الايلاج الاخذ من هذا في هذا وليس ههنا اى هذا الاية وهذه الذى قاله ابن جرير حتى وقوله جل جلاله والشمس

يجرى مستقرها ذلك تقدير العزيز العليم في معنى قوله لمستقرها قولان أحدهما ان المراد مستقرها المكاني وهو تحت العرش مما يلي الارض من ذلك الجانب وهي أيضا كانت فهي تحت العرش هي وجميع الخالوقات لانه سقفاها وليس بكرة كما يزعم كثير من ارباب الهنئة وانما هو قبة ذات قوائم تحملها الملائكة وهو فوق العالم مما يلي رؤس الناس فالشمس اذا كانت في قبة القنات وقت الظهيرة تكون اقرب ما يكون الى العرش فاذا استدارت في فلكها الرابع الى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل صارت ابعد ما يكون من العرش فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع (٢٢٤) كما جاء بذلك الاحاديث قال البخاري حدثنا ابو نعيم حدثنا الاعمش

عن ابراهيم التيمي عن ابيه عن ابي ذر رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال صلى الله عليه وسلم يا اذرتدي أين تغرب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي حدثنا وكيع عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن ابيه عن ابي ذر رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تبارك وتعالى والشمس تجري لمستقر لها قال صلى الله عليه وسلم مستقرها تحت العرش هكذا اورده ههنا وقد أخرجه في أما كن متعددة ورواه بقية الجماعة الابن ماجه من طرق عن الاعمش به وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن ابيه عن ابي ذر قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد حين غربت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم يا اذرتدي أين

(تنزيل من الرحمن الرحيم) واعرابه وانما خص هذين الوصفين بالذكر لان الخلق في هذا العالم كالمريض المحتاجين والقرآن مشتمل على كل ما يحتاج اليه المريض من الادوية وعلى ما يحتاج اليه الاصحاء من الاغذية فكان أعظم النفع من الله على هذا العالم انزال القرآن الناشئ عن رحمته واطفه بخلقه (كتاب فصلت) أي بينت وميزت باعتبار اللفظ والمعنى أو جعلت (آياته) أساليب وتفصيل مختلفة من أحكام وأمنال ومواعظ وعجائب أحوال النبات والحيوان والانسان وتهذيب الاخلاق ورياضة النفس وتواريق الما بين وصفات التنزيه والتقدس وشرح غرائب المكوت والملك وبالجملة فمن أنصف علم انه ليس في بدء الخلق وغاياته كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة مثل ما في القرآن تبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين قال قيادة فصلت ببيان حلاله من حرامه وطاعته من معصيته وقال الحسن بالوعد والوعيد وقال سفيان بالثواب والعقاب ولا مانع من الخلق على الكل وقرئ فصلت بالتخفيف أي فرقت بين الحق والباطل والجملة في محل رفع صفة للكتاب واتصاب (قرأ ناعرياً) على الاختصاص أو على المدح قاله الاخفش أي أريد بهذا الكتاب المفصل قرأنا من صفته كيت وكيت أو على الحال أي فصلت آياته حال كونه قرأنا وقيل على المصدرية أي يقرؤه قرأنا وقيل مفعول ثان لفصلت وقيل على اضمار فعل يدل عليه فصلت أي فصلناه قرأنا عريياً (اقوم يعلمون) معانيه ويفهمونها وهم أهل اللسان العربي وانما خصوا بالذكر لانهم يفهمونها بلا واسطة ليكون القرآن بلغتهم وغيرهم لا يفهمها الا بواسطة قال الضحاك أي يعلمون ان القرآن منزل من عند الله وقال مجاهد أي يعلمون انه اله واحد في التوراة والانجيل واللام متعلقة بمحذوف صفة أخرى لقرأنا و متعلقة بفصلت والاول أولى وكذلك (بشيرا ونذيرا) صفتان أخريان لقرآن أو حالان من كتاب والمعنى بشير الاولياء الله ونذير الاعداء وقرأنا بالرفع على انها صفة كتاب أو خبر عن محذوف (فأعرض أكثرهم) أي الكفار عما اشتمل عليه من النذارة (فهم لا يسمعون) سمعاً ينتفعون به لا عرضهم عنه (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه) الاكنة جمع كان وهو الغطاء أي في أعظية مثل الكنانة التي فيها السهام فهي لا تنفقه ما تقول من التوحيد ولا يصل اليها

قولك تذهب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم فانها تذهب حتى تسجد بيريدي ربه عز وجل فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها وكانها قد قيل لها الرجعي من حيث جئت فتراجع الى مطلعها وذلك مستقرها ثم قرأوا الشمس تجري لمستقر لها وقال سفيان الثوري عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن ابيه عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يذرحين غربت الشمس أتدري أين تذهب قلت الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ويقال لها الرجعي من حيث جئت فمطلع من مغربها

فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبي اسحق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال في قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها قال ان الشمس تطلع فتردها ذنوب بني آدم حتى اذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت فيؤذن لها حتى اذا كان يوم غربت فسلمت وسجدت واستأذنت فلا يؤذن لها فتقول ان المسير بعيد وانى لا يؤذن لى لا يبلغ فتحبس ماشاء الله ان تحبس ثم يقال لها اطلعي من حيث غربت قال ان فن يومئذ لى يوم القيامة لا يتنفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت

(٢٢٣)

هو انهاء سيرها وهو غاية ارتفاعها في السماء في الصنف وهو أوجها ثم غاية انخفاضها في الشتاء وهو الخفيض والقول الثاني ان المراد بمسقرها هو منتهى سيرها وهو يوم القيامة يطل سيرها وتسكن حركتها وتكثرو وينتهي هذا العالم الى غايته وهذا هو مسقرها الزمانى قال قتادة لمسقرها اى لوقتها ولاجل لا تعدوه وقيل المراد انما لاتزال تنقل في مطالعها الضيفه الى مدة لا تزيد عليها ثم تنتقل في مطالع الشتاء الى مدة لا تزيد عليها يروى هذا عن بسد الله بن عمرو رضى الله عنهما وقرأ ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما والشمس تجري لمستقر لها اى لا قرارها ولا يكون بل هي سائر ذليل وانهارا لانفترو ولا تنقف كما قال تبارك وتعالى ويخزلكم الشمس والقمر دائبين اى لا يفتران ولا يقننان الى يوم القيامة ذلك تقدير العزيز اى الذى لا يخالف ولا يمانع العليم بجمع الحركات والسكنات وقد قدر ذلك ووقته على متوال لا اختلاف فيه ولا تعاكس كما قال عز وجل

قولك قال مجاهد كان للقباب كالجنة للنبل وقد تقدم بيان هذا في البقرة (وفي آذاننا وقر) اى صمم يمنع من استماع قولك وأصل الوقر المنقل قرى بكسر الواو وقرى بفتح الواو والقاف (ومن يذناو بينك حجاب) اى ستر ومن لا بداء الغاية والمعنى ان الحجاب ابتدئ منا وابتدئ منك فالمسافة المتوسطة بين جهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولو قيل يذناو بينك حجاب ولم تات لفظة من لكان المعنى ان الحجاب حاصل وسط الجهتين والمقصود المبالغة بالتباين المفرط فلذلك جى بمن وهذه تمثيلات لسوق قولهم عن ادراك الحق وتقبله واعتقاده كأنها فى غلف وأعطية تمنع من نفوذها فيها ومج اسماعهم له كأنها صمما عنه ولتباع المذميين والدينين وامتناع المواصلة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما هو عليه حجابا سارا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاق ولا ترائى (فاعمل) اى استمر على دينك وهو الترحيم (انما عاملون) اى مستمرين على ديننا وهو الاشرار وقال الكلبي اعمل فى هلا كفا فانا عاملون فى هلاك وقال مقاتل اعمل لالهك الذى أرسلك فانا نعمل لالهتنا التى نعبدها وقيل فاعمل لا آخرتك فانا عاملون لدينا فأعمل فى ابطال أمرنا فانا نعمل فى ابطال أمرك ثم أمره الله سبحانه ان يجيب عن قولهم هذا فقال (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد) اى انما أنا كواحد منكم لولا الوحي ولم أكن من جنس مغاير لكم حتى تكون قلوبكم فى أكنة مما أدعوكم اليه وفى آذانكم وقر ومن بينى وبينكم حجاب ولم أدعكم الى ما يخالف العقل وانما أدعوكم الى التوحيد قرأ الجمهور يوحى مبنيا لله مفعول وقرأ الاعشى والنخعي مبنيا للفاعل اى يوحى الله الى قيل ومعنى الآية انى لا أقدر على ان أجلكم على الايمان قسر افانى بشر مثلكم ولا امتياز لى عنكم الا انى أوحى الى التوحيد والامر به فعلى البلاغ وحده فان قبلتم رشدتم وان أبيت هلكتم وقيل المعنى انى لست بملك لا يرى وانما أنا بشر مثلكم وقد أوحى الى دونكم فصرت بالوحي نبيا ووجب عليكم اتباعى وقال الحسن فى معنى الآية ان الله سبحانه علم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يتواضع (فاستقيموا اليه) عداه بالى لتضمنه معنى توجهوا والمعنى وجهوا استقامتكم اليه بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله (واستغضروه) لما

فالتى الاصباح وجعل الليل سكا والشمس والقمر حسبنا ذلك تقدير العزيز له لم يم وهكذا ختم آية حم السجدة بقوله تعالى ذلك تقدير العزيز العليم ثم قال جلا وعلا والقمر قدرناه منازل اى جعلناه يسيرا آخر يستدل به على مضى الشهر وكان الشمس يعرف بها الليل والنهار كما قال عز وجل يسألونك عن الالهة قل هي مواقيت للناس والحج وقال تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب الآية وقال تبارك وتعالى وجعلنا الليل والنهار آياتين فتحو اية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا فجعل الشمس لها ضوء يخصها والقمر

له نور يخصه وفاوت بين سيرهذه وهذا فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في آخره على ضوء واحد وليكن تنتقل في مطالعها ومغارها أصينا  
 وشما يطول بسبب ذلك النهار ويصير الليل ثم يطول الليل ويقصر النهار وجعل سلطانها بانها رفهي كوكب نهاري وأما القمر  
 فقد ربه منازل يطلع في أول ليلة من الشهر ضللا قليل النور ثم يزداد نوراً في الليلة الثانية ويرتفع منزله ثم كلما ارتفع ازداد ضياء وان  
 كان مقبسا من الشمس حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة ثم يشرع في النقص الى آخر الشهر حتى يصير كالعرجون القديم  
 قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو أصل (٢٢٤) العذق وقال مجاهد العرجون القديم أي العذق اليابس يعني ابن

عباس رضي الله عنهما أصل  
 العنقود من الرطب اذا عتق ويبس  
 والحقي وكذا قال غيرهما ثم بعدها هذا  
 يسديه الله تعالى جسد في أول  
 الشهر الآخر والعرب تسمى كل  
 ثلاث ليال من الشهر باسم باعتبار  
 القمر فيسمون الثلاث الأول غرر  
 واللواتي بعدها نزل واللواتي بعدها  
 تسع لان آخرهن التاسعة واللواتي  
 بعدها عشر لان أولهن العاشرة  
 واللواتي بعدها ابيض لان ضوء  
 القمر فيهن الى آخرهن واللواتي  
 بعدهن درع جمع درعا لان أولهن  
 أسودت آخر القمر في أولهن منه والشاة  
 الدراع وهي التي رأها أسود وبعدهن  
 ثلاث ظلم ثم ثلاث حنادس وثلاث  
 دراري وثلاث محاق لا تنحى القمر  
 أو الشهر فيهن وكان أبو عبيدة رضي  
 الله عنه ينكر التسع والعشر كما  
 قال في كتاب غريب المصنف وقوله  
 تبارك وتعالى لا الشمس ينبغي لها أن  
 تدرك القمر قال مجاهد لكل منهما  
 حد لا يعده ولا يقصر دونه اذا جاء  
 سلطان هذا ذهب هذا واذا ذهب  
 سلطان هذا جاء سلطان هذا وقال  
 عبد الرزاق أخبرنا عمر عن الحسن

فسرط منكم من الذنوب والشرك وما أنتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم حدد  
 المشركين وتوعدهم فقال (وويل للمشركين) ثم وصفهم بقوله (الذين لا يؤتون الزكاة)  
 أي يمنعونها ولا يخرجونها الى الفقراء وقال الحسن وقتادة لا يقرون بوجوبها وقال  
 الضحاك ومقاتل لا تصدقون ولا ينفقون في الطاعة وقيل معنى الآية لا يشهدون ان  
 لا اله الا الله لانها زكاة النفس وتطهيرها قاله ابن عباس وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم  
 وكان يقال الزكاة قطرة الاسلام فن قطعها نجوا من تخلف عنها هلك وقال الفراء كان  
 المشركون ينفقون النفقات ويسقون الخبيث ويطعمونهم فخرموه اذ ذلك على من آمن بمحمد  
 صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت فيهم هذه الآية وانما جعل منع الزكاة مقرونا بالكفر  
 بالآخرة لان أحب الشيء الى الانسان ماله وهو شقيق روجه فاذا بذله في سبيل الله فذلك  
 أقوى دليل على استقامته وثباته وصدق نيته ونصوح طويته وما خدع المؤلفة قلوبهم  
 الا بلطمة من الدنيا فقرت عصميتهم ولانت شكيمتهم وما ارتدت بنوح خيفة بعد رسول الله  
 صلى الله عليه وآله وسلم الامنع الزكاة فتعصبت لهم الحروب وجوهدهوا وفيه بعث  
 للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديدين منعها حيث جعل المنع من أوصاف  
 المشركين وقرن بالكفر بالآخرة (وهم بالآخرة هم كافرون) معطوف على لا يؤتون  
 الزكاة داخل معه في حين اصله أي منكرون للآخرة جاحدون لها والمجي بضمير الفصل  
 لقصد الحصر (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع  
 عنهم يقال مننت الحبل اذا قطعته وقيل الممنون المنقوص قاله ابن عباس وقطرب قال  
 الجوهرى المن القطع ويقال النقص ومنه قوله تعالى لهم أجر غير ممنون وقيل غير  
 محسوب وقيل معنى الآية لا يمن عليهم به لانه انما يمن بالفضل فأما الاجر فخى أدأوه وقال  
 السدي نزلت في المرضى والزمنى والهري اذا ضعفوا عن الطاعة كتب لهم من الاجر مثل  
 ما كانوا يعملون في الصحة ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يؤبخهم  
 ويقرعهم فقال (قل أنسكم) قرأ الجمهور بهمزتين الثانية بين وبين وفري بهمزة بعدها ياء  
 خفيفة وان واللام امالتا كيدا لانكار وقدمت الهمزة لاقترانها الصدارة واما للاشعار  
 بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج الى التأكيد (لتكفرون

في قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر قال ذلك ليلة الهلال وروى ابن أبي حاتم ههنا عن  
 بالذي  
 عبد الله بن المبارك انه قال للربح جحاوان القمر بأوى الى غلاف من الماء وقال الثوري عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح  
 لا يدرك هذا ضوء هذا ولا هذا ضوء هذا وقال عكرمة في قوله عز وجل لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر يعني ان لكل منهما  
 سلطانا فلا ينبغي للشمس أن تطاع بالليل وقوله تعالى ولا الليل سابق النهار يقول لا ينبغي اذا كان الليل ان يكون ليل آخر حتى  
 يكون النهار فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل وقال الضحاك لا يذهب الليل من ههنا حتى يجي النهار من ههنا

وأوما بيده الى المشرق وقال مجاهد ولا الليل سابق النهار يطلبان حثيثين يسبح أحدهما من الآخر والمعنى في هذا انه لا فترة بين الليل والنهار بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ لانهم ما سخران دأبين يتطالبان طلبا حثيثا وقوله تبارك وتعالى وكل في فلک يسبحون يعني الليل والنهار والشمس والقمر كلهم يسبحون أي يدورون في فلک السماء قاله ابن عباس وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة وعطاء الخراساني وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في فلک بين السماء والارض رواه ابن أبي حاتم وهو غريب جدا بل منكر قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد من السلف (٢٢٥) في فلکة كفلکة المغزل وقال مجاهد

الفلك كـ جديدة الرحي أو كفلکة المغزل لا يدور المغزل الا بها ولا تدور الابيه (واية لهم اناجلنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله مايركبون وان نشاء نجرفهم فلا صريح لهم ولا هم يتقذون الارجحة منا ومتاعا الى حين) يقول تبارك وتعالى دلالة لهم أيضا على قدرته تبارك وتعالى تسخير البحر ليحمل السفن فمن ذلك بل أوله سفينة نوح عليه الصلاة والسلام التي أنجاه الله تعالى فيها من معه من المؤمنين الذين لم يبق على وجهه الارض من ذرية آدم عليه الصلاة والسلام غيرهم ولهذا قال عز وجل وآية لهم اناجلنا ذريتهم أي آباءهم في الفلك المشحون أي في السفينة المملوءة من الامتعة والحيوانات التي أمره الله تبارك وتعالى ان يتمل فيها من كل زوجين اثنين قال ابن عباس رضي الله عنهما المشحون الموقر وكذا قال سعيد بن جبير والشعبي وقتادة والسدي وقال الضحاك وقتادة وابن زيد وهي سفينة نوح عليه الصلاة والسلام وقوله جل

بالذي خلق الارض في يومين والمعنى لتكفرون عن شأنه هذا الشأن العظيم وقدرته هذه القدرة الباهرة قبل اليومان هما يوم الاحد ويوم الاثنين وقبل خلقهن في نوبتين كل نوبة أسرع مما يكون في يوم وقيل المراد مقدار يومين لان اليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجود الارض والسماء ذكرهما تعليما للائانة ولو أراد ان يخلقهما في لحظة لفعل (وتجعلوه له أندا) أي أضدادا وشركاء والجملة معطوفة على تكفرون داخله تحت الاستفهام ذكر عنهم شيئين منكرين أحدهما الكفر بالله والثاني اثبات الشركاء له (ذلك) المتصف بما ذكر (رب العالمين) جمع عالم وهو ما سوى الله وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون تعليبا للعقلاء ومن جملة العالمين ما يجعلونها أندا لله فكيف يجعلون بعض مخلوقاته شركاء له في عبادته (وجعل فيها رواسي) أي جبالا ثوابت معطوفة على خلق وقيل مستأنفة لوقوع الفصل بينهما بالاجنبي والاول لأن الجملة الفاصلة هي مقررة لمضمون ما قبلها فكانت بمنزلة التأكيد ومعنى (من فوقها) انها مرتفعة عليها لانها من أجزاء الارض وانما خالفها باعتبار الارتفاع فكانت من هذه الحثيثة كالمغايرة لها وانما اختار ارساءها فوق الارض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها وليبصر أن الارض والجبال انقال على انقال كلهما مفتقرة الى مسك وهو الله العزيز المتعال القادر المختار (وبارك فيها) أي جعلها مباركة كثيرة الخير بما خلق فيها من المنافع للعباد قال السدي أنبت فيها شجرها (وقدر فيها أقواتها) قال الحسن وعكرمة والضحاك قدر فيها أرزاق أهلها وما يصلح لمعايشهم من التجارات والاشجار والمنافع جعل في كل بلدة ما لم يجعله في الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة والاسفار من بلد الى بلد وقيل قدر البر لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر آخر وكذلك سائر الاقوات قيل ان الزرع أكثر الخرف بركة لان الله وضع الاقوات في الارض وقال ابن عباس اي شق النهار وغرس الاشجار ووضع الجبال وأجرى البحار وجعل في هذه ما ليس في هذه وفي هذه ما ليس في هذه وقال قتادة ومجاهد خلق فيها أنهارها وأشجارها وودودها (في) تمة (أربعة أيام) أي في يوم الثلاثاء والاربعاء باليومين المتقدمين قاله الزجاج وغيره قال ابن الانباري ومثاله قول القائل خرجت من البصرة الى بغداد في عشرة أيام والى الكوفة في خمسة عشر يوما أي في تمة خمسة عشر يوما فيكون المعنى ان حصول جميع ما تقدم من خلق الارض وما بعد هافي

(٢٩ فتح البيان ثامن) وعلا وخلقنا لهم من مثله مايركبون قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما يعني بذلك الابل فانها سفن البري يحملون عليها ويركبونها وكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة في رواية وعبد الله بن شداد وغيرهم وقال السدي في رواية هي الانعام وقال ابن جرير حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تدرون ما قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله مايركبون قلنا لا قال هي السفن جعلت من بعد سفينة نوح عليه الصلاة والسلام على مثلها وكذا قال أبو مالك والضحاك وقتادة وأبو صالح والسدي أيضا المراد بقوله تبارك وتعالى وخلقنا

لهم من مثله ما يكون أي السفن ويقوى هذا المذهب في المعنى قوله جل وعلا انما اطعنا ما حملناكم في الجارية لتجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية وقوله عز وجل وان نشأ نجفهم يعني الذين في السفن فلا صريح لهم أي فلا مغيب لهم مما هم فيه ولا هم يتقذون أي مما أصابهم الارجحة منا وهذا استثناء منقطع تقديره ولكن رحمتنا نسيركم في البر والبحر ونسلمكم إلى أجل مسمى ولهذا قال تعالى ومناعا إلى حين أي إلى وقت معلوم عند الله عز وجل (واذ قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحون وماتوا منهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها (٢٢٦) معرضين واذا قيل لهم اتقوا ما وراءكم قالوا الذين كفروا والذين

آمنوا أنطم من لو يشاء الله أطعمه ان أنتم الا في ضلال مبين) يقول تعالى مخبرا عن تمادى المشركين في غيهم وضلالهم وعدم اكتراثهم بذنوبهم التي أسلفوها وما يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم قال مجاهد من الذنوب وقال غيره بالعكس لعلكم ترحون أي لعل الله باتقائكم ذلك يرحمكم ويؤمنكم من عذابه وتقدير الكلام انهم لا يحسبون إلى ذلك بل يعرضون عنه واكتفى عن ذلك بقوله تعالى وماتوا منهم من آية من آيات ربهم أي على التوحيد وصدق الرسل الا كانوا عنها معرضين أي لا يهتمون بها ولا يقبلونها ولا ينتفعون بها وقوله عز وجل واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله أي واذا أمروا بالانفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمحتاجين من المسلمين قال الذين كفروا والذين آمنوا أي عن الذين آمنوا من الفقراء أي قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالانفاق محاجين لهم فيما أمرهم به أنطم من لو يشاء الله أطعمه أي هؤلاء الذين أمرتونا بالانفاق عليهم لو شاء

أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان ولولا هذا التقدير لكانت الايام ثمانية يومان في الاول وهو قوله خلق الارض في يومين ويومان في الاخير وهو قوله الا في قضاء سبعة سموات في يومين وأربعة في الوسط وقال أبو المفضل وعلل زيادة مدة الارض على مدة السماء جريا على ما يتعارف من ان بناء السقف أخف من بناء البيت وقيل للتسوية على ان الارض هي المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين وكثرة المنافع وقيل لما فيها من الابتلاء بالمعاصي والمجاهدات والمجدالات والمعاجلات عن ابن عباس ان اليهود أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألته عن خلق السموات والارض فقال خلق الله الارض في يومين الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيها من منافع يوم الثلاثاء وخلق يوم الاربعاء الشجر والحجر والماء والمدائن والعميران واخراب فهذه أربعة أيام فقال تعالى قل أنتم تكفرون إلى قوله للاسائلين وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه خلق من أول ساعة من هذه الثلاث الآجال سبعين يموت من مات وفي الثانية ألقى فيها من كل شيء مما ينتفع به وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد أصبت لو أنتمت قالوا ثم استراح فغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم غضبا شديدا فنزل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون أخرجه ابن جرير والنحاس في ناسخه وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات ولكن في حديث مسلم عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة في آخر الخلق فيما بين العصر إلى الليل وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس أيضا قال ان الله خلق يوم افسماه الاحد ثم خلق ثانيا فاسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فاسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فاسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فاسماه الخميس وذكر نحو ما تقدم وأخرج أبو الشيخ عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله فرغ من خلقه في ستة أيام وذكر نحو ما تقدم وانتصاب (سواء) على انه مصدر مؤكد لفعل محذوف هو

الله لا غناهم ولا طعمهم من رزقه فحسن نوافق مشيئة الله تعالى فيهم ان أنتم الا في ضلال مبين أي في أمركم لتنازلت صفة قال ابن جرير ويحتمل أن يكون من قول الله عز وجل للكفار حين ناظر والمؤمنين وردوا عليهم فقال لهم ان أنتم الا في ضلال مبين وفي هذا نظر والله أعلم (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الاصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون) يخبر تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة في قولهم متى هذا الوعد يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها قال الله عز وجل ما ينظرون الاصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون أي ما ينظرون الاصيحة واحدة وهذه والله أعلم نفخة النزع



ينفتح في الصور نفخة الفزع والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عاداتهم فيبيناهم كذلك إذا أمر الله عز وجل  
اسرافيل فنفتح في الصور نفخة يطولها ويدها فلا يبقى أحد على وجه الأرض الأسمى لينا ورفع لينا وهي صفة العنق يتسمع الصوت  
من قبل السماء ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار تحيط بهم من جوانبهم ولهذا قال تعالى فلا يستطيعون  
توصية أي على ما يملكونه الأمر أهم من ذلك ولا إلى أهلهم يرجعون وقد وردت ههنا آثار وأحاديث ذكرناها في موضع آخر ثم يكون  
بعدها نفخة الصعق التي تموت بها الأحياء كلهم ما عدا الخلق القيوم ثم بعد ذلك (٢٢٧) نفخة البعث (ونفتح في الصور فاذا هم

من الأحداث إلى ربهم ينسلون  
قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا  
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون  
ان كانت الاصححة واحدة فاذا هم  
جميع لا يناحضرون فاليوم لا تقلم  
نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم  
تعلمون) هذه هي النفخة الثالثة  
وهي نفخة البعث والنشور للقيام  
من الأحداث والقبور ولهذا قال  
تعالى فاذا هم من الأحداث إلى  
ربهم ينسلون والنسلان هو المشي  
السريع كما قال تعالى يوم يخرجون  
من الأحداث سراعا كأنهم إلى  
نصب يوفضون قالوا يا ويلنا من  
بعثنا من مرقدنا هذا يعنون  
قبورهم التي كانوا يعتقدون في  
الدار الدنيا انهم لا يعثون منها فلما  
عابوا ما كذبوا به في محشرهم قالوا  
يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وهذا  
لا ينبغي عذابهم في قبورهم لانه  
بالنسبة إلى ما بعد في الشدة  
كلر قاد قال أبي بن كعب رضی  
الله عنه ومجاهد والحسن وقتادة  
ينامون نومة قبل البعث قال قتادة  
وذلك بين النفختين فلذلك يقولون  
من بعثنا من مرقدنا فاذا قالوا ذلك

صفة للايام أي استوت الاربعة سواء بمعنى استواء ويجوز ان يكون منتصبا على الحال من  
الأرض أو من الضمائر الاربعة اليها قرأ الجهور بنصب سواء وقرأ زيد بن علي والحسن  
وغيرهما بخفضه على انه صفة للايام وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف قال الحسن  
المعنى في أربعة أيام مستوية تامة لا تزيد ولا تنقص وقوله (للسائلين) متعلق بسواء أي  
مستويان للسائلين أو محذوف كانه قيل هذا الحصر للسائلين في كنه يوم خلقت الأرض  
وما فيها أو متعلق بقدر أي قدر فيها اقواتها لاجل الطالبين المحتاجين اليها قال الفراء في  
الكلام تقديم وتأخير والمعنى وقدر فيها اقواتها سواء للعتاجين في أربعة أيام واختار هذا  
ابن جرير ثم لما ذكر سبحانه خلق الأرض وما فيها ذكر كيفية خلقه للسموات فقال (ثم  
استوى إلى السماء) أي عمد وقصد نحوها قصد اسوياء وتعلقت ارادته بخلقها قال الرازي  
هو من قولهم استوى إلى مكان كذا اذا توجه إليه توجه لا يلتفت معه إلى عمل آخر وهو  
من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونظيره قواهم استقام اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا  
اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة إلى خلق السموات بعد خلق الأرض وما فيها قال الحسن  
المعنى صعد امره إلى السماء ويفهم من هذه الآية ان خلق السماء كان بعد خلق الأرض  
وبه قال ابن عباس وقوله والأرض بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق الأرض بعد خلق  
السماء والجواب ان الخلق ليس عبارة عن اليجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن  
التقدير ايضا فالمعنى قضى ان يحدث الأرض في يومين بعد أحداث السماء وعلى هذا قول  
الاشكال وقال الشوكاني بعد ذلك الاستشكال ان ثم ليست للتراخي الزماني بل للتراخي  
الرتبي فيندفع الاشكال من أصله وعلى تقدير أنها للتراخي الزماني فالجمع ممكن بان الأرض  
خلقها متقدم على خلق السماء ودحوها بمعنى بسطها هو أمر زائد على مجرد خلقها فهي  
متقدمة خلقا متأخرة دحوا وهذا ظاهر انتهى ولعله يأتي عند تفسيرنا لقوله والأرض  
بعد ذلك دحاها زيادة ايضاح للمقام ان شاء الله تعالى وقد تقدم هذا الجمع في سورة البقرة  
ولكن خلق ما في الأرض لا يكون الا بعد دحوها فالاشكال بق وعلى هذا لا ينص عن  
الاشكال الابداعي في ثم وان بعد بمعنى قبل أو بمعنى مع (وهي دخان) هو ما ارتفع من  
لهب النار ويتعار لمباري من بخار الأرض قال المفسرون هذا الدخان هو بخار الماء  
وقياس جعبه في القلعة أدخنة وفي الكثرة دخان وهي من باب التشبيه الصوري لان

أجابهم المؤمنون قاله غير واحد من الساف هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وقال الحسن انما يجيبهم بذلك الملائكة ولا  
مناقاة اذ الجمع ممكن والله سبحانه وتعالى أعلم وقال عبد الرحمن بن زيد الجميع من قول الكفار يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا  
ما وعد الرحمن وصدق المرسلون نقله ابن جرير واختار الاول وهو أصح وذلك كقوله تبارك وتعالى في الصافات وقالوا يا ويلنا هذا يوم  
الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون وقال الله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا  
يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والايمن لقد لبثتم في كتاب الله أنى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون وقوله تعالى

ان كانت الاصححة واحدة فاذا هم جميعا يدنا محضرون كقوله عز وجل فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة وقال جلّت عظمتها وما أمر الساعة الا كلم البصر أو هو أقرب وقال جل جلاله يوم يدعونكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان ابنتم الا قليلا أي انما تأمرهم أمرا واحدا فاذا الجميع محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا أي من عملها ولا تجزون الاما كنتم تعملون (ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم) يخبر تعالى عن أهل الجنة انهم يوم القيامة (٢٢٨) اذا ارتحلوا من العرصات فنزلوا في روضات الجنات انهم في شغل عن غيرهم بما هم

فيه من النعيم المقيم والفوز العظيم قال الحسن البصري واسماعيل بن أبي خالد في شغل عما فيه أهل النار من العذاب وقال مجاهد في شغل فاكهون أي في نعيم محبوبون أي به وكذا قال قتادة وقال ابن عباس رضى الله عنهما فاكهون أي فرحون قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وابن عباس وسعيد ابن المسيب وعكرمة والحسن وقتادة والاعشى وسليمان التيمي والاوزاعي في قوله تبارك وتعالى ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون قالوا شغلهم افتضاض الابكار وقال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عنه في شغل فاكهون أي بسماع الاوتار وقال أبو حاتم لعله غلظ من المستمع وانما هو افتضاض الابكار وقوله عز وجل هم وأزواجهم قال مجاهد وحلائلهم في ظلال أي في ظلال الاشجار على الارائك متكئون قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب والحسن وقتادة والسدي وخفيف الاراتك هي السررت تحت الجمال قلت نظيره

صورتها صورة الدخان في رأى العين وخص سبحانه الاستواء الى السماء مع كون الخطاب المترتب على ذلك متوجها اليها والى الارض كما يفيد قوله (فقال لها والارض اتبنا طوعا أو كرها) استغناء بما تقدم من ذكر تقديرها وتقدير ما فيها ومعنى اتبنا فعلا ما أمر كما به وجيئا به كما يقال اتت ما هو الاحسن أي افعله وقيل المعنى اتبنا على ما ينبغي ان تأتيا عليه من الشكل والوصف اتى يا أرض مدحوة قرارا ومهاد الاهلك واتى يا أسماء مقيبة سقفا لهم قال الواحدي قال المفسرون ان الله سبحانه قال أما أنت يا أسماء فاطلعي شمسا وقررك ونجومك وأما أنت يا أرض فشقي انهارك وأخرجي ثمارك وبناتك قاله ابن عباس قرأ الجمهور اتبنا أمر من الاتيان وقرئ اتبنا فالتا اتبنا بالمد فيه ما هو من المواثبات وهى الموافقة أي لتوافق كل منسك الاخرى لما يليق بها واليه ذهب الرازي والزحشرى أو من الاتياء وهو الاعطاء قاله ابن عباس فوزنه على الاول فاعلا كقائلا وعلى الثانى فاعلا كما وطوعا وكرها مصدران في موضع الحال أي طاعتين أو مكرهتين وقرئ كرها بالضم قال الزجاج أطيعا طاعة أو تكرر هان كرها قيل ومعنى هذا الامر لهم ما التسخير والحصول والوقوع أي كونها فاسكاتا كما قال تعالى انما أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون قاله الكلام من باب التمسيد لتأثير قدرته واستحالة امتناعها أو من باب الاستعارة التخييلية (فالتا اتبنا طاعتين) أي اتبنا أمرنا منقادين وجعلهما جمع من يعقل لخطابهما بما يخاطب به العقلاء وجمع الامر لهما في الاخبار عنه لا يدل على جمعه في الزمان بل قد يكون القول لهما متعاقبا قال القرطبي قال أكثر أهل العلم ان الله سبحانه خلق فيهم ما الكلام فتكلمنا كما أراد سبحانه وقيل هو تمثيل لظهور الطاعة منه ما وتأثير القدرة الربانية فيهما والاول أولى قال أبو نصر السكسكى فنطق من الارض موضع الكعبة ونطق من السماء بجيها لهما فوضع الله فيه حرمة (فقضاهن سبع سموات) تفسير وتفصيل لتكوين السماء الجملة المعبر عنه بالامر وجوابه لانه فعل مرتب على تكوينه ما اى خلقهن خلقا باعيا وأتقن امرهن حسيما تقضيه الحكمة وأتمهن وفرغ منهن والضمير اماراجع الى السماء على المعنى لانها سبع سموات أو مبهم مفسر بسبع سموات وانصاب بسبع على التفسير وعلى البدل من الضمير وقيل على انه مفعول ثان لقضاهن لانه مضمين معنى صيرهن وقيل على الحال اي قضاهن حال كونهن

في الدنيا هذه النخوت تحت البشائخ والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله عز وجل لهم فيها فاكهة أي من جميع معدودات أنواعها ولهم ما يدعون أي مهمما طلبوا وجدوا من جميع أصناف الملاذ قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الجصى حدثنا عثمان ابن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا محمد بن بهاجر عن الضحاك المعافرى عن سليمان بن موسى حدثني كريب انه سمع أسامة بن زيد رضى الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا هل مشر الى الجنة فان الجنة لا تخطر لها هي ورب الكعبة نور كهايتلا ولا ويريحانته تهر وقصير مشيد ونهر مطرد وثره نضيجة وزوجه حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في أبنى دار سلامة وفا كهة خضرة

وخيرة ونعمة ومجدة عالية بية قالوا ثم يا رسول الله نحن المشركون لها قال صلى الله عليه وسلم قولوا ان شاء الله فقال القوم ان شاء الله وكذا رواه ابن ماجه في كتاب الزهد من سننه من حديث الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر به وقوله تعالى سلام قولنا من رب رحيم قال ابن جرير قال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى سلام قولنا من رب رحيم فان الله تعالى نفسه سلام على أهل الجنة وهذا الذى قاله ابن عباس رضى الله عنهما كقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقد روى ابن أبي حاتم ههنا حديثا وفي اسناده نظر فانه قال حدثنا موسى بن يوسف حدثنا محمد بن عبد الملك بن ابى الشوارب حدثنا (٢٢٩) أبو عاصم العبادانى حدثنا الفضل

الرقاشى عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى أهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع عليهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله تعالى سلام قولنا من رب رحيم قال فينظر اليهم ويتطرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم وفى ديارهم ورواه ابن ماجه فى كتاب السنة من سننه عن محمد بن عبد الملك بن ابى الشوارب به وقال ابن جرير حدثنا يونس بن عبد الاعلى اخبرنا ابن وهب حدثنا حرملة عن سليمان بن حميد قال سمعت محمد بن كعب القرظى يحدث عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال اذا فرغ الله تعالى من أهل الجنة والنار اقبل فى ظلل من الغمام والملائكة قال فيسلم على أهل الجنة فيردون عليه السلام قال القرظى وهذا فى كتاب الله تعالى سلام قولنا من رب رحيم فمقول الله عز وجل سلوني فيقولون ماذا نسالك أى رب قال بلى سلوني

معدودات بسبع ويكون قضى بمعنى صنع وقيل على التمييز (فى يومين) الخميس والجمعة وفرغ منها فى آخر ساعة منه وفيها خلق آدم ولذلك لم يقل هنا سواء ووافق ما هنا آيات خلق السموات والارض فى ستة أيام والمعنى انه مضى من المدة ما لو حصل هناك فلئك وشمس لكان المقدار مقدرا بيومين والمشهور ان الايام الستة بقدر أيام الدنيا وقيل بقدر ستة آلاف سنة حكاه القرطبى قال مجاهد ويوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون (وأوحى فى كل سماء أمرها) قال قتادة والسدى اى خلق فيها شمسها وقرها ونجومها وافلاكها وما فيها من الملائكة والبحار والبرد والتلج وقيل المعنى أوحى فيها ما اراده وما أمر به والايحاء قد يكون بمعنى الامر كما فى قوله بان ربك أوحى لها وقوله واذا وحيت الى الخوارين أى أمرتهم وهوا أمر تكوين قال ابن عباس والله على كل شئ شهيد فتح اليه وتطوف به الملائكة بحذاء الكعبة والذى فى السماء الدنيا هو البيت المعمور وزينا السماء الدنيا) أى التى تلى الارض (بمصاييح) أى بكواكب مضيئة متلائة عليها كتلاؤالمصاييح وفيه التفات الى نون العظمة لابر مزيد العناية بالترزين المذكور (وحفظا) أى وحفظناها حفظا وخلقنا المصاييح زينة وحفظا والاولى قال أبو حيان فى الوجه الثانى هو تكلف وعدول عن السهل البين والمراد بالحفظ حفظها من الشياطين الذين يسترقون السمع (ذلك) أى ما وقع وتقدم ذكره (تقدير العزيز العليم) أى البليغ القدرة الكثير العلم (فان أعرضوا) عن التدبر والتفكير فى هذه المخلوقات وعن الايمان بعده هذا البيان وفيه التفات من خطابهم بقوله أنسكم الى الغيبة لفعلمهم الاعراض فأعرض عن خطابهم وهو تناسب حسن (فقل أنذرتكم) أى حو قنكم وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الانذار النبى عن تحقق المنذره (صاعقة مثل صاعقة عاد وعود) أى عذابا مثل عذابهم والمراد بالصاعقة العذاب المهلك من كل شئ قال المبرد الصاعقة المرة المهلكة لاي شئ كان والصاعقة فى الاصل هى الصيحة التى يحصل بها الهلاك او قطعة نار تنزل من السماء مع هارعد شديد والمراد به هنا مطلق العذاب لكن بالنظر الى الصاعقة الاولى وأما الثانية فالمراد بها حقيقة ما قرأ الجمهور صاعقة بالالف فى الموضوعين وقرئ صعقة فيهما وقد تقدم بيان معنى الصاعقة والصعقة فى البقرة (اذ جاءتهم) أى الى عاد وعود وانما خص هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يعبرون على بلادهم (الرسول)

قالوا نسالك أى رب رضاك قال رضاك اهلكم داركم كرامتى قالوا يا رب فى الذى نسالك فوعزتك وجلالك وارتفاع مكانك لو سمعت علينا رزق الثقيلين لا طعمناهم ولا سقمناهم ولا لبسناهم ولا خدمناهم لا ينقصنا ذلك شئ قال تعالى ان لى مزيدا قال فيفعل ذلك بهم فى درجهم حتى يستوى فى مجلسه قال ثم تأتيهم التحف من الله عز وجل تحمله اليهم الملائكة ثم ذكر نحوه وهذا خبر غير أورده ابن جرير من طرق والله أعلم (وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد اليكم باى آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم وانا أفضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) يقول تعالى مخبرا عما يؤول

الجمعة حال الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا بمعنى يميزون عن المؤمنين في موقفهم كقوله تعالى ويوم نحشهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزينا بينهم وقال عز وجل ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون يومئذ يدعوون أي يصيرون صديعين فرقتين أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقوله تعالى ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين هذا تفرغ من الله تعالى للكفرة من بني آدم الذين أطاعوا الشيطان وهو عدولهم مبين وعصوا الرحمن وهو الذي (٢٣٠) خلقهم ورزقهم ولهذا قال تعالى وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم أي قد

أمرتكم في دار الدنيا بعضيان الشيطان وأمرتكم بعبادتي وهذا هو الصراط المستقيم فسلكتم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به ولهذا قال عز وجل ولقد أضل منكم جبلا كثيرا يقال جبلا بكسر الجيم وتشديدا للام ويقال جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام ومنهم من يسكن الباء والمراد بذلك الخلق الكثير قاله مجاهد وقتادة والسدي وسفيان بن عيينة وقوله تعالى أفلم تكونوا تعقلون أي أفما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له وعدولكم إلى اتباع الشيطان قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن اسمعيل بن رافع عن حماد بن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم يقول ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد

أي هود وصالح ومن قبلهما وكان هود وصالح بين نوح وإبراهيم وليس بينهما غيرهما من الرسل وان الذين تقدموا عليهم من الرسل أربعة نوح وادريس وشيث وادم (من بين أيديهم ومن خلفهم) أي أتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا الاعراض وعن الحسن أنذر وهشم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة والظرف متعلق بانذرتكم أو بالصاعقة لانها بمعنى العذاب أو حال من صاعقة عاد وهذا أولى من الوجهين الاولين لان الانذار لم يقع وقت مجيء الرسل فلا يصح ان يكون ظرفا له وكذلك الصاعقة لا يصح ان يكون الوقت ظرفا لها ومن في الموضوعين متعلقة بجائزتهم أي من جميع جوانبهم ومن جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيقبض بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل المعنى جائزتهم الرسل المقدمون والمتأخرون على تنزيل مجيء كلامهم ودعوتهم إلى الحق منزلة مجيء أنفسهم فكان الرسل قد جاؤهم وخطبهم بقولهم (الاتعبدوا لله) أي بان لا تعبدوا على انهم مصدرية أو بنفسية أو محففة من الثقلية واسمها ضمير الشأن = سدوف ثم ذكر سبحانه ما أجابوا به الرسل فقال (قالوا) أي عاد وعود ومخاطبين لهود وصالح (لوشاعر بنازلنازل) أي لا رسل الينا (ملائكة) ولم يرسل الينا بشرا من جنسنا ثم صرحوا بالكفر ولم يتعلموا فقالوا (فانا بما أرسلتم به كافرون) أي كافرون بما أتواكم به من ان الله ارسلكم الينا لانكم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فكيف اختصكم برسالتنا دوننا وقد تقدم دفع هذه الشبهة الدخضة التي جاؤا بها في غير موضع وفيه تغليب المخاطب على الغائب فغلبوا هودا وصالحا على من قبلهما من الرسل فكانتهم قالوا فانا كافرون بكما وعن دعوتونا إلى الايمان به من قبلكما من الرسل ولما ذكر عاد وعودا جلاذكرا ما يختص بكل طائفة من الطائفتين تفصيلا فقال (فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق) أي بغير استحقاق ذلك الذي وقع منهم من التكبر والتجبر ثم ذكر سبحانه بعض مآثرهم من الاقوال الدالة على الاستكبار فقال (وقالوا من أشد منا قوة) وكانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم وقوة شديدة فأغتروا بأجسامهم حين تهددهم هود بالعداب ومرادهم بهذا القول انهم قادرون على دفع ما نزل بهم من الذاب وبلغ من قوتهم ان الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده ويجعلها حيت يشاء فرد الله عليهم بقوله (ألم يروا أن الله الذي

أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون وامتازوا اليوم أي بالجرمون خلقهم

فيمتاز الناس ويحشون وهي التي يقول الله عز وجل وترى كل أمة جاغبة كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون (هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم عما كنتم تكفرون اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ولونشاء اطع مسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يصرون ولونشاء لمسناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) يقال للكفرة من بني آدم يوم القيامة وقد برزت الجحيم لهم تقرير يعاوتو بيخا هذه جهنم التي كنتم توعدون أي هذه التي

حذرتكم الرسل فكذبتموهم - اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون كما قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون افسح هذا أم أنتم لا تبصرون وقوله تعالى اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيامة حين ينكرون ما اجتمروه في الدنيا ويحلفون ما فعلوه فيختم الله على أفواههم ويستنطق جوارحهم بما عملت قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو شيبة ابراهيم بن عبد الله بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحرث التميمي حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا سفيان عن عبيد المكتب عن الفضل بن عمرو عن الشعبي (٢٣١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال

كأعند النبي صلى الله عليه وسلم أضحك حتى بدت نواجذته ثم قال صلى الله عليه وسلم أتدرون مما فضلك قلنا الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول رب ألم تجرني من الظلم فيقول بلى فيقول لأجزع على الأشاهد امان نفسي فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكائين شهودا ففتحتم على فيه ويقال لاركانه انطق فتنطق بعمله ثم يخجل بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وحققا فنسكن كنت أناضل وقد رواه مسلم والنسائي كلاهما عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبي النضر عن عبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي عن سفيان هو الثوري به ثم قال النسائي لأعلم أحد روى هذا الحديث عن سفيان غير الأشجعي وهو حديث غريب والله تعالى أعلم كذا قال وقد تقدم من رواية أبي عامر عن عبد الملك بن عمرو الاسدي وهو العقدي عن سفيان وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن

خلقهم هو أشد منهم قوة الاستهزام للاستنكار عليهم والتوبيخ أي أولم يعلموا بان الله أشد منهم قدرة وأوسع منهم قوة فهو قادر على ان ينزل بهم من أنواع عقابه ما شاء يقول كمن فيكون وقال خلقهم ولم يقل خلق السموات والارض لان هذا أبلغ في تكذيبهم في ادعاء انفرادهم بالقوة فانهم حيث كانوا مخلوقين فالضرورة ان حالقتهم أشد قوة منهم (وكأولنا باياتنا) أي بمجزات الرسل التي خصهم الله بها وجعلها ادليلا على نبوتهم أو باياتنا التي أنزلناها على رسلنا أو باياتنا التكوينية التي نصبتها لهم وجعلناها حجة عليهم أو بجميع ذلك (يبيحون) ثم ذكر الله سبحانه ما أنزل عليهم من عذابه فقال (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) الصرصر الريح الشديدة الصوت من الصرة وهي الصيحة قال أبو عبيدة معنى صرصر شديدة عاصفة وقال الفراء هي الباردة تحرق كما تحرق النار وقال عكرمة وسعيد بن جبير وقتادة هي الباردة وقال مجاهد هي الشديدة السجوم والاولى تفسيرها بالبرد لان الصر في كلام العرب البرد قال ابن السكيت صرصر يجوز ان يكون من الصر وهو البرد ومن صرصر الباب زمن الصرة وهي الصيحة ومنه وأقبلت امرأته في صرة ثم بين سبحانه وقت نزول ذلك العذاب عليهم فقال (في أيام نحسات) أي نكدات مشؤمات ذوات نحوس عليهم قال مجاهد وقتادة كن آخر شوال من يوم الاربعاء الى يوم الاربعاء وذلك سبع ليال وعشاية أيام حسوما قيل وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء وقيل نحسات بارادات حكاها الثعلبي وقيل متتابعات وقيل شداد وقيل ذوات غبار وتراب نأثر لا يكاد ينصرفه قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ونحسات باسكان الحاء على انه جمع نحس وقرأ الباقر بكسرهما واختار أبو حاتم الاولي لقوله في يوم نحس مستمرا واختار أبو عبيد الثانية (لنديقهم) أي لكي نديقهم (عذاب الخزي في الحياة الدنيا) والخزي هو الذل والهوان بسبب ذلك الاستبكار وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي للمبالغة فهو من اضافة الموصوف الى صفة أي العذاب الخزي ولهذا جاء (ولعذاب الآخرة أخزى) أي أشد اهانة وذلا فلولم يكن من اضافة الموصوف الى صفة لم يأت بلفظ أخزى الذي يقتضى المشاركة (وهم لا ينصرون) أي لا يمنعون من العذاب النازل بهم ولا يدفعه عنهم دافع ثم ذكر حال الطائفة الاخرى فقال (وأما عود فهديناهم) أي بينا لهم سبيل النجاة ودللناهم على طريق الحق بإرسال الرسل اليهم ونصب الدلالات لهم من

بهم زين حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم تدعون مقدما على أفواهكم بالفساد فأول ما يسئل عن أحدكم فخذ وكفاه رواه النسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به وقال سفيان بن عيينة عن سهيل بن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث القيامة الطويل قال فيه ثم يلقى الثالث فيقول ما أنت فيقول أنا عبدك آمنتم بكن وبنبيك وبكبابك وصمت واصلت وصدقت وبنيت بخير ما استطاع قال فيقال له الانتبع عليك شاهدنا قال فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليه فيختم على فيه ويقال فخذ انطق قال فتنطق فخذ ولجه وعظامه بما كان يعمل وذلك المنافق وذلك المعذر من نفسه

وذلك الذي يستخط الله تعالى عليه وزواه مسلم وأبو داود من حديث سفيان بن عيينة به بطوله ثم قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي  
 حدثنا هشام بن عمار حدثنا اسمعيل بن عياش حدثنا ضميم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أنه سمع رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول عظم من الانسان يتكلم يوم يختم على الافواه نخذه من الرجل اليسرى ورواه ابن جرير عن  
 محمد بن عوف عن عبد الله بن المبارك عن اسمعيل بن عياش به مثله وقد جرد اسناده الامام أحمد رحمه الله فقال حدثنا الحكم بن  
 نافع حدثنا اسمعيل بن عياش عن ضميم (٢٣٢) بن زرعة عن شريح بن عبيد الحضرمي عن حدثه عن عقبة بن عامر رضى

الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم يقول ان أول عظم من  
 الانسان يتكلم يوم يختم على الافواه  
 نخذه من الرجل الشمال وقال ابن  
 جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم  
 حدثنا ابن عليه حدثنا يونس بن  
 عبيد عن حميد بن هلال قال قال  
 أبو بردة قال أبو موسى هو الاشعري  
 رضى الله عنه يدعى المؤمن للحساب  
 يوم القيامة فيعرض عليه ربه عمله  
 فيما بينه وبينه فيعترف فيقول نعم أى  
 رب عملت عملت عملت قال فيغفر  
 الله تعالى له ذنوبه ويسترد منها قال  
 فما على الارض خليفة يرى من تلك  
 الذنوب شيئا وتبدو حسنة فوذاً  
 الناس كلهم يرونها ويدعى الكافر  
 والمتناق للحساب فيعرض عليه ربه  
 عمله فيجعد ويقول أى رب وعزتك  
 لقد كتب على هذا الملك ما لم أعمل  
 فيقول له الملك أ ما عملت كذا فى  
 يوم كذا فى مكان كذا فيقول لا  
 وعزتك أى رب ما عملته فاذا فعل  
 ذلك ختم الله تعالى على فيه قال أبو  
 موسى الاشعري رضى الله عنه فانى  
 أحسب أول ما ينطق منه الفخذ  
 اليسنى ثم تلا اليوم يختم على

مخلوقات الله وانزال الآيات التشرعية فانها توجب على كل عاقل أن يؤمن بالله وصدق  
 رساله قال الفراء معنى الآية دللناهم على مذهب الخير بارسال الرسل قال الشيخ أبو منصور  
 يحتمل ما ذكر من الهداية التبيين وخلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك  
 وعقروا الناقة لان الهدى المضاف الى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل  
 الاهتداء فأما الهدى المضاف الى الخلق فيكون بمعنى البيان لا غير وقال صاحب  
 الكشاف فيه فان قلت أليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك  
 هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ  
 استعماله في الدلالة المجردة قلت للدلالة على أنه مكتمهم فإزاح عنهم ولم يبق لهم عذر فكأنه  
 حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها اه وانما جعل بهذا لانه لا يتمكن من أن  
 يفسره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهب القاسد قرأ الجمهور نحو بالرفع ومنع الصرف  
 وقرئ بالرفع والصرف وقرئ بالنصب والصرف وقرئ بالنصب والمنع فاما الرفع فعلى  
 الاستداء وهو الفصح وأما النصب فعلى الاشتغال وأما الصرف فعلى تفسير الاسم  
 بالاب أو الحى وأما المنع فعلى تأويله بالقبيلة (فاستجبوا لعمى على الهدى) أى  
 اختاروا الكفر على الايمان قال أبو العالية اختاروا العمى على البيان وقال السدى  
 اختاروا المعصية على الطاعة (فاخذتهم صاعقة العذاب الهون) قد تقدم أن الصاعقة  
 اسم للشيء المهلك لاى شيء كان والهون الهوان والاهانة فـ أنه قال أصحابهم مهلك  
 العذاب ذى الهوان أو الاهانة ويقال عذاب هون أى مهين كقوله ما لبثوا فى العذاب  
 المهين (بما كانوا يكسبون) الباء للسببية أى بسبب الذى كانوا يكسبونه أو بسبب  
 كسبهم وهو شركهم وتكذيبهم صالحا (ونحننا الذين آمنوا وكانوا يتقون) وهم صالح  
 ومن معهم من المؤمنين فان الله سبحانه من ذلك العذاب وكانوا أربعة آلاف ثم لما ذكر  
 سبحانه ما عقبهم به فى الدنيا ذكر ما عقبهم به فى الآخرة فقال (ويوم يحشر أعداء الله الى  
 النار) وصفهم بكونهم أعداء الله مبالغة فى ذمهم وقيل المراد بهم الكفار مطلقا الاولين  
 والآخرين أى اذ كر قرئش المعاندين لك حال الكفار يوم القيامة لعلمهم برتدعوا  
 وينجروا ومعنى حشرهم الى النار سوقهم اليها أو الى موقف الحساب لانه يتبين عنده  
 فريق الجنة وفريق النار قرأ الجمهور يحشر بالتحية مضمومة ورفع أعداء على النيابة

وقرأ افواهم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون وقوله تبارك وتعالى ولونشاء  
 لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فانى يصرون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسيرها يقول ولو  
 نشاء لاضلناهم عن الهدى فكيف يهتدون وقال مرة أعينناهم وقال الحسن البصرى لو شاء الله لطمس على أعينهم فجعلهم  
 عميا يترددون وقال السدى يقول ولونشاء أعيننا بصارهم وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والسدى فاستبقوا الصراط يعنى  
 الطريق وقال ابن زيد يعنى بالصراط ههنا الحق فانى يصرون وقد طمسنا على أعينهم وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله  
 عنهما فانى يصرون لا يصرون وقوله عز وجل ولونشاء لطمسناهم على مكانتهم قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما

اهلكا ثم وقال السدي يعني غيرنا خلقهم وقال ابو صالح جعلناهم حجارة وقال الحسن البصري وقتاده لا قعدهم على ارجلهم ولهذا قال تبارك وتعالى فما استطاعوا مضيا أي الى امام ولا يرجعون الى وراء بل يلزمون حالا واحدا لا يتقدمون ولا يتأخرون (ومن زعمه تنكسه في الخلق أفلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الاذكرو قرآن مبين لينذر من كان حنيا ويحيى القول على الكافرين) يخبر تعالى عن ابن آدم انه كلما طال عمره رد الى الضعف بعد القوة والعجز بعد النشاط كما قال تبارك وتعالى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا (٢٣٣) وشية يخلق ما يشاء وهو العليم القدير

وقال عز وجل ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا والمراد من هذا والله أعلم الاخبار عن هذه الدار بانها اذا زوال وانتقال لادار دوام واستقرار وله ذاقا لعز وجل أفلا يعقلون أي يتفكرون بقولهم في ابتداء خلقهم ثم صيروهم الى سن الشبية ثم الى الشيخوخة ليعلموا انهم خلقوا لدار أخرى لازوال لها ولا انتقال منها ولا يحميد عنها وهي الدار الآخرة وقوله تبارك وتعالى وما عز علمناه الشعر وما ينبغي له يقول عز وجل يخبر عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم انه ما علمه الشعر وما ينبغي له أي ما هو في طبعه فلا يحميه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلته ولهذا ورد انه صلى الله عليه وسلم كان لا يحفظ بيتا على وزن منتظم بل ان أنشده زحفه أو لم يتمه وقال أبو زرعة الرازي حدثنا اسمعيل بن مجاهد عن أبيه عن الشعبي انه قال ما ولد عبد المطلب ذكرا ولا أنثى الا يقول الشعر الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكراه ابن عساكر في ترجمة عمته بن أبي لهب الذي أكله الاسد

وقرأ نافع بالنون ونصب أعداء (فهم يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم لستلحقوا ويحتموا كذا قال قتادة والسدي وغيرهما وبه قال ابن عباس أي يستوقف سوابقهم حتى يخلق بهم ثم يولاهم وهي عبارة عن كثرة أهل النار وأصله من وزعته أي كفتته وقد سبق تحقيق معناه في سورة النمل مستوفى وعن ابن عباس قال يدفعون وقيل يساقون (حتى اذا ما جاؤها) أي النار التي حشروا اليها وصاروا يحضرتها أو موقوف الحساب وما مزيدة للتوكيد (شهد عليهم بمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) في الدينان المعاصي وفي كيفية هذه الشهادة ثلاثة أقوال أولها ان الله تعالى يخلق القهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه ثانيا ان الله تعالى يخلق في تلك الاعضاء الاصوات والحروف الدالة على تلك المعاني ثالثها ان يظهر في تلك الاعضاء أحوال تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان وتلك الامارات تسمى شهادات كما يقال العالم يشهد بتغيرات أحواله على حدوثه وقال الكرخي نطقها الله تعالى كناطق اللسان فتشهد وليس نطقها بأعرب من نطق اللسان عقلا واوضحا ان البنية ليست شرط الحياة والعلم والقدرة فانه تعالى قادر على خلق العقل والقدرة والنطق في كل جزء من اجزاء هذه الاعضاء قال مقاتل تنطق جوارحهم بما كتمت ألسنتهم من علمهم بالشرك والمراد بالجلود هي جلودهم المعروفة في قول أكثر المفسرين وقيل المراد بها الجوارح مطلقا فالعطف من قبيل عطف العام على الخاص وقال السدي وعبيد الله بن أبي جعفر والقراء أرادوا بالجلود الفروج وهو من باب الكنايات كما قال تعالى لا تؤاخذوهن سرا أرادوا النكاح وقال تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط والمراد قضاء الحاجة وفي الحديث أول ما يتكلم من الآدمي فذمه وكفه وعلى هذا التقدير تكون الآية وعبيد الله بن أبي جعفر والقراء من مقدم الزنا انما تحصل بالفخذ والاول أولى ووجه تخصيص الثلاثة بالشهادة دون غيرها مع ان الحواس خمسة وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس وآلة اللمس هي الجلد ما ذكره الرازي ان الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه لان ادراك الذوق انما يتأتى بان تصير جلدة اللسان مماسة لجزم الطعام وكذلك الشم لا يتأتى حتى تصير جلدة الأنف مماسة لجزم المشموم فكان اذا خيل في حس اللمس انتهى واذا عرفت من كلامه هذا وجه تخصيص الثلاثة بالذكرك عرفت منه وجه تخصيص الجلود بالسؤال كما قال (وقالوا

(٣٠ فتح البيان ثامن) بالزرقاء قال ابن أبي حاتم حدثنا ابني حدثنا أبو سلمة حدثنا جاد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن هو البصري قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا قال أبو بكر وأومر رضي الله عنهما أشهد أنك رسول الله يقول تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له وهكذا روى البيهقي في الدلائل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن مرداس السلمى رضي الله عنه أنت القائل ما يجعل نهي ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة فقال انما هو بين عيينة والاقرع فقال صلى الله عليه وسلم الكيل سواء

بغنى في المعنى صلوات الله وسلامه عليه والله أعلم وقد ذكر السهيلي في الروض الانف لهذا التقديم والتأخير الذي وقع في كلامه صلى الله عليه وسلم في هذا البيت مناسبة أعرب فيها حاصلها شرف الاقرع بن حابس على عيينة بن بدر الفزاري لانه ارتد أيام الصديق رضى الله عنه بخلاف ذلك والله أعلم وهكذا روى الاموي في مغازيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يشي بين القتلى يوم بدر وهو يقول نناق هاما فيقول الصديق رضى الله عنه متمم للبيت من رجال أعة \* علينا وهم كانوا أعتى وأظلم (٢٣٤) وهذا لبعض شعراء العرعر في قصيدة له وهي في الحماسة وقال

الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا مغيرة عن الشعبي عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استراب الخبر عقل فيه بييت طرفه

ويأتيه بالاخبار من لم تزود وهكذا رواه النسائي في اليوم والليلة من طريق ابراهيم بن مهاجر عن الشعبي عنها ورواه الترمذي والنسائي ايضا من حديث المقدم ابن شريح بن هانئ عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها كذلك ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا اسامة عن زائدة عن سمك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتل من الاشعار

ويأتيه بالاخبار من لم تزود ثم قال ورواه عن زائدة عن سمك عن عطية عن عائشة رضى الله عنها وهذا في شعر طرفه بن العبد في معلقته المشهورة وهذا المذكور بحزب من أوله

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا

الجلودهم) لانهم اقد اشتمت على ثلاث حواس فكان تأتي المعصية من جهتها اكثر واما على قول من قال بالفروج فوجهه تخصيصه بالسؤال ظاهر لان ما يشهد به الفرج من لزنا اعظم قبحا واجلب الخزي والعقوبة قيل والمراد بالجلود هنا المعنى الاعم فليس في سؤالهم ترك سؤال السمع والبصر بل هما داخلان في الجلود بالمعنى الذي علمته (لم تشهدتم علينا) سؤال تو ينج وتجب من هذا الامر الغريب لكونه اليست مما ينطق وليكونها كانت في الدنيا مساعدة لهم على المعاصي فكيف تشهد الان عليهم فلذلك استعربوا شهادتها وخطبوها بصيغة خطاب العقلاء لصدور ما يصدرون العقلاء عنها وهو الشهادة (قالوا) مجيبين لهم معتذرين (انطقنا الله الذي انطق كل شيء) مما ينطق من مخلوقاته فشهدنا عليكم بما علمتم من القبائح وقيل المعنى ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله والاولى والمعنى ان نطقنا ليس بجيب من قدرة الله الذي قدر على انطق كل حيوان (وهو حلسكم اول مرة واليه ترجعون) قيل هذان تمام كلام الجلود وقيل انه من كلام الملائكة وقيل مستأنف من كلام الله والمعنى ان من قدر على خلقكم وانشاكم ابتداء قدر على اعادتكم ورجعكم اليه ولعل صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجوع لما ان المراد بالرجوع ليس مجرد الرد الى الحياة بالبعث بل ما يعمله وبم ما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند المخاطبة فغلب المتوقع على الواجب (وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم) هذا تقرير لهم وتوبيخ من جهة الله سبحانه أو من كلام الجلود أي ما كنتم تستحقون عند الاعمال القبيحة وارتكاب القواخس بالحيطان والحجب حذر من شهادة الجوارح عليكم بل كنتم جا حدين بالبعث والجزاء أصلا وهو قول أكثر العلماء ولما كان الانسان لا يقدر على ان يستخفي من جوارحه عند مباشرة المعصية كان معنى الاستخفاء هنا ترك المعصية وقيل معنى الاستتار الاتقاء أي ما كنتم تتقون في الدنيا ان تشهد عليكم جوارحكم في الآخرة ففتركوا المعاصي خوفا من هذه الشهادة ومعنى ان تشهد لاجل ان تشهد أو مخافة ان تشهد وقيل ان الاستتار من معنى الظن أي وما كنتم تظنون ان تشهد وهو بعيد وأخرج عبد الرزاق وأحمد والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في البعث عن معاوية ابن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحشرون ههنا واوما بيده الى الشام مشاة وربكنا وعلى وجوهكم وتعرضون على الله وعلى أقواهكم القدام (١) وأول ما يعرب

\* ويأتيه بالاخبار من لم تزود \* بتنا ولم تضرب له وقت موعد عن وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قيل لعائشة رضى الله عنها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتل بشي من الشعر قالت رضى الله عنها كان أبغض الحديث اليه غير انه صلى الله عليه وسلم كان يفتل بييت أخي بن قيس فيجعل أوله آخره وآخره أوله فقال ابو بكر رضى الله عنه ليس هذا هكذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني والله ما أنابشاعرو وما ينبغي لي رواه ابن (١) القدام ما يوضع في فم الابريق ليصفي به ما فيه والندام بالفتح والتشديد منه يقال فدمت على فيه بالقدم فدمما اذا غطيت اه صحاح



أبي حاتم وابن جرير وهذا لفظه وقال معمر بن قنادة بلغني ان عائشة رضيت الله عنها سألت هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول بشي من الشعر فقالت رضي الله عنها لا ابيت طرفه

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا \* ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل صلى الله عليه وسلم يقول من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر ليس هذا هكذا فقال صلى الله عليه وسلم اني لست بشاعر ولا ينبغي لي  
وقال الحافظ ابو بكر السهقي اخبرنا ابو عبد الله الحافظ حدثنا ابو (٢٣٥) حفص عمر بن احمد بن نعيم وكيل المتقي ببغداد

حدثنا ابو محمد عبد الله بن هلال  
النحوي الضري حدثنا علي بن عمرو  
الانصاري حدثنا سفيان بن عيينة  
عن الزهري عن عروة عن عائشة  
رضي الله عنها قالت ما جمع رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بيت شعرة قط  
الا بتوا واحدا

تقال بعاته وي يكن فلقلها

يقال لشيء كان الاتحفا

سأت شيخنا الحافظ ابا الحاج

المزي عن هذا الحديث فقال هو

منه ولم يعرف شيخ الحاكم ولا

الضري وثبت في الصحيح انه صلى

الله عليه وسلم تمثل يوم حفر

الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة

رضي الله عنه لكن تبعنا لقول

أصحابه رضي الله عنهم فانهم كانوا

يرتجزون وهم يحفرون فيقولون

لاهم لولا أنت ما هتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينتنا علينا

وثبت الاقدام ان لا قينا

ان الالئ قد بغوا علينا

اذا أرادوا فتنة أينا

ويرفع صلى الله عليه وسلم صوته

بقوله أينا ويدها وقد روى هذا

عن أحمد بن محمد بن خلفه وكشفه وتلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما كنتم تستترون الخ  
وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال كنت مستترا باستار الكعبة فخاف  
ثلاثة نفر قرشي وثقفيان أو ثقفوي وقرشيمان كثير لحم بطونهم قليل فقه فلو بهم فقه كلمة  
بكلام لم أسمع فقال أحدهم أترون ان الله يجمع كلامنا فقال الآخر ان لنا اذا  
رفعنا أصواتنا سمعنا وانا اذا لم نرفعنا لم يسمعنا فقال الآخر ان سمع منه شيئا سمعته كله قال  
فذكرت ذلك للبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم  
سمعكم الى قوله من الخاسرين (ولكن ظننتم) عند استناركم من الناس مع عدم استناركم  
من أعضائكم (ان الله لا يعلم كثيرا ممن يعملون) من المعاصي فاجترأتم على فعلها قيل  
كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما في انفسنا ولكن يعلم ما نظهر دون ما نسر قال قتادة  
الظن هنا بمعنى العلم وقيل اريد بالظن معنى مجازي يع معناه الحقيقي وما هو فوقه من العلم  
(وداكم) أي ما ذكر من ظننكم مبتدأ (ظننكم) بدل منه (الذي ظننتم بكم) نعت  
والظن (أرداكم) أي أهلككم وطرحكم في النار وقيل ظننكم الخبر والموصول بدل أو  
بيان وأرداكم حال وقد مقدر أو غير مقدر أي ذلكم ظننكم مرديا اياكم (فأصبحتم من  
الخاسرين) أي الكاملين في الخسران قال المحققون الظن قسيمان أحدهما حسن والآخر  
قبيح فالحسن ان يظن بالله عز وجل الرحمة والفضل والاحسان قال صلى الله عليه وآله وسلم  
حكاه عن الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأخرج أحمد وأبو داود والطيالسي وعبد  
ابن حميد ومسلم وأبو داود وابن ماجه وابن حبان وابن مردويه عن جابر قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وآله وسلم لا يوتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى فان قوما قد أرداهم  
سوء ظنهم بالله فقال الله وذلكم ظننكم الآية والظن القبيح ان يظن أنه تعالى يعزب عن  
علمه بعض هذه الافعال وقال قتادة الظن نوعان مردومنج فالمعني قوله اني ظننت أي ملاق  
حسابيه وقوله الذين يظنون انهم ملاقور بهم والمردى هو قوله وذلكم ظننكم الذي  
ظننتم بكم ارداكم ثم أخبر عن حالهم فقال (فان يصبروا) على النار (فالنار رموى لهم) أي  
محل استقرارهم واقامتهم لا خلاص ولا خرج لهم منها صبروا ولم يصبروا على كل حال  
وقيل المعنى فان يصبروا في الدنيا على اعمال أهل النار فالنار رموى لهم (وان يستعجبوا  
فأهم من العتبيين) يقال أعجبني فلان أي ارضاني بعد استعجابي اياي واستعجبته طلبت

بزخاف في الصحيحين أيضا وكذلك ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين وهو راكب البغلة تقدم بها في فخر العردو

أنا النبي لا كذب \* أنا ابن عبد المطلب

لكن قالوا هذا وقع اتنا فامن غير قصه بل لوزن شعر بل جرى على اللسان من غير قصه بله وكذلك ما ثبت في الصحيحين عن جنذب

ابن عبد الله رضي الله عنه قال كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في (١) غار فكبت اصبعه فقال صلى الله عليه وسلم

هل أنت الا اصبع دميت \* وفي سبيل الله ما لقيت (١) قوله في غار كذا في النسخ وحرر لفظ الحديث اه

وسأني عند قوله تعالى اللهم اشاد

ان تغفر اللهم تغفرهما \* وأى عبد لك ما ألتما

وكل هذا لا ينافي كون صلى الله عليه وسلم ماعلم شعرا ولا ينبغي له فان الله تعالى انما عمله القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كنفار قریش ولا كهانة ولا مفتعل ولا سحر يوثر كما تنوعت فيه أقوال الضلال وآراء الجهال وقد كانت سبحانه صلى الله عليه وسلم تأتي صناعة الشعر طبعاً وشعراً كما رواه أبو داود قال حدثنا عبد الله بن عمرو حدثنا عبد الله بن مزيد (٢٣٦) حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثنا شرحبيل بن يزيد المعافري عن عبد

الرحمن بن رافع الفتوحى قال سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أبالي ما أوتيت ان أنا شربت تريا قالا وتعلقت تيممة اوقلت الشعر من قبل نفسي تفرد به أبو داود وقال الامام احمد رحمه الله حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن الاسود بن شيبان عن ابي نوفل قال سألت عائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأغ عنده الشعر فقالت قد كان أبعض الحديث اليه وقال عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجبه الجوامع من الدعاء ويدع ما بين ذلك وقال ابو داود حدثنا ابو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن الأعشى عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لأن يمتلي جوف أحدكم فيخاخره من ان يمتلي شعرا انفرد به من هذا الوجه واسناده على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا قرعة بن سويد

منه ان يرضى والمعنى انهم ان يسألوا ان يرجع بهم الى ما يحبون لم يرجع لانهم لا يستحقون ذلك قال الخليل تقول استعنته فاعتني اى استرضيته فارضاني ومعنى الآية ان يطلبوا الرضا لم يقع الرضا عنهم بل لا بد لهم من النار قرأ الجمهور يستعجبوا بفتح التحتية وكسر التاء النونية الثانية مبنيا للفاعل ومن المعتبين بفتح الفوقية اسم مفعول وقرئ يستعجبوا مبنيا للمفعول وقرئ من المعتبين اسم فاعل اى انهم ان أقالهم الله وردتهم الى الدنيا لم يعملوا بطاعته كما في قوله سبحانه ولوردوا العادوا المانهم واعنه (وقيضنا) أصل التقييض التيسير والتهيئة أى هيأنا لهم اى لكفار قریش وغيرهم (قرناء) من الشياطين بمنزلة الاخلاء لهم جمع قرين بمعنى نظير كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقض له شيطاناً فهو له قرين وقال الزجاج سبنا لهم قرناء حتى أضلوههم وقيل سلطانا عليهم قرناء وقيل قدرنا والمعاني متقاربة أى يلازمونهم ويستولون عليهم استيلاء القبيض على البيض والقبيض قشر البيض الاعلى وقيل ان الله قبيض لهم قرناء في النار والاولى ان ذلك في الدنيا قوله (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) فان المعنى زينوا لهم ما بين أيديهم من أمور الدنيا وشهواتها وجعلوهم على الوقوع في معاصي الله بانهم اكلهم فيها وزينوا لهم ما خلفهم من أمور الآخرة فقالوا لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار وقال الزجاج ما بين أيديهم ما علموه وما خلفهم ما عزموا على أن يعملوه وروى عنه أيضاً انه قال ما بين أيديهم من أمر الآخرة وما خلفهم من أمر الدنيا بان الدنيا قديمة ولا صنائع الاطبايع والافلاك (وحق عليهم القول) اى وجب وثبت عليهم العذاب وتحقق مقتضاه وهو قوله سبحانه لا ملأن جهنم منذ ومن تبعك منهم اجمعين (في امم) اى كائنين في جملة امم وقيل بمعنى مع اى مع امم من الامم الكافرة ولا حاجة الى بدل حرف من حرف مع امكان بقاءه على بابه والمعنى الامم التي قد دخلت) ومضت (من قبلهم من الجن والانس) على الكفر (انهم كانوا خاصرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب قاله الكرخي (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن) أى قال بعضهم لبعض لا تسمعوا لا تنصتوا له وقيل المعنى لا تطمعوا يقال سمعت لك اى اطعتك (واعرفيه) اى عارضوه باللغو والباطل أو ارفعوا اصواتكم ليه شوش القارى له وقال مجاهد الغوافيه بالمكاه والتصديقه والتصفيق والتحليل في الكلام حتى يصير لغوا وقال الضحاك اكثر الكلام يختلط عليه ما يقول وقال ابو العالية تعفوا فيه وعيبوه

الباهلي عن عاصم بن مخلد عن ابي الاشعث الصنعاني ح وحدثنا الاشيب فقال عن ابي عاصم عن ابي قرأ الاشعث عن شداد بن أسوس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرض بيت شعر بعد العشاء الآخرة لم تقبل له صلاة تلك الليلة وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة والمراد بذلك نظمها لانشاده والله أعلم على ان الشعر فيه ما هو مشروع وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الاسلام كحسان بن ثابت رضي الله عنه وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وامثالهم واضراهم رضي الله عنهم اجمعين ومنه ما فيه حكم وواعظ وآداب كما يوجد

في شعر جماعة من الجاهلية ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن شعزه وكفر قلبه وقد أشهد  
بعض الصحابة رضي الله عنهم النبي صلى الله عليه وسلم مائة بيت يقول صلى الله عليه وسلم عقب كل بيت هيبه يعني يستطعمه  
فيزيده من ذلك وقد روى أبو داود من حديث أبي بن كعب وبريدة بن الحصيب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال إن من البيان سحر وإن من الشعر حكمة ولهذا قال وما علمناه الشعر يعني محمد صلى الله عليه وسلم ما علمه الله  
الشعر وما ينبغي له أي وما يصلح له أن هو الأذكري وقد قرأ أن من أي ما هذا الذي (٢٣٧) علمناه الأذكري وقرآن مبین ای بین واضح

جلی لمن تأمله وتدبره ولهذا قال  
تعالی لمنذر من كان حياً أي لمنذر  
هذا القرآن المبين كل حتى على  
وجه الارض كقوله لا تدرکم  
به ومن بلغ وقال جل وعلا ومن  
يكفر به من الاحزاب فالنار موعده  
وانما يتنفع بنذارته من هوجي  
القلب مستتير البصيرة كما قال  
قتادة حتى القلب حتى البصر وقال  
الضحاک یعنی عاقلاً وبحق القول  
على الكافرين أي هو درجة  
للسوءين ووجهة على الكافرين (أولم  
يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا  
أنعاماً فهم لربنا مالكون وذلكناها  
لهم فنهاراً كوجههم ومنها ما يكون  
ولهم فيها منافع ومشارب أفلا  
يشكرون) يذكر تعالى ما أنعم به  
على خلقه من هذه الانعام التي  
سخرها لهم فهم لها مالكون قال  
قتادة مطيقون أي جعلهم  
يتقنونها وهي ذليلة لهم لا تمتنع  
منهم بل لوجاء صغيراً إلى بعير لا تأخه  
ولو شاء لا تأممه وساقه وذلك ذليل  
منقاد معه وكذلك كان القطار  
مائة بعير أو أكثر لساير الجميع بسير  
الصغير وقوله تعالى فنهاراً كوجههم  
ومنها ما يكون أي منها ما يركبون في الاسفار يحملون عليه الانتقال إلى سائر الجهات والقطار ومنها ما يأكلون اذا ساءوا ونحروا  
واجترزوا ولهم فيها منافع أي من أصوافها وأبوابها وبارها وشارها وأثامها ومتاعاً إلى حين ومشارب أي من ألبانها وأبوالها التي تدأوى  
وتحود ذلك أفلا يشكرون أي أفلا يوحدهون خالق ذلك ومسخره ولا يشركون به غيره (واتخذوا من دون الله آلهة لهم نصر  
لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم أنا نعلم ما يبسون وما يعلمون) يقول تعالى منكراً على المشركين في  
اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله يتبعون بذلك ان نصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقرّبهم إلى الله زلفى قال الله تعالى لا يستطيعون  
نصرهم أي لا تقدر الآلهة على نصر عابديها بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحق وأدحر بل لا تقدر على الاستنصار لانفسها

قرأ الجمهور الغوا بفتح الغين من لغا اذا تكلم باللعو وهو ما لا فائدة فيه او من لغى بالفتح يلغى  
بالفتح ايضاً كما حكاه الاخفش وكان قياسه الضم كغزايغزو ولكنه فتح لاجل حرف  
الحاق او من لغا بكذا اذا رمى به فتكون في معنى الباء اي ارموا به وقرئ بضم الغين من  
لغاب بالفتح يلغو كدعايدعو وفي الحديث فقد لغوت وهذا موافق لقراءة غير الجمهور وقد  
تقدم الكلام في اللغوي - ورة البقرة (لعلكم تغلبون) اي لكي تغلبوا فيسكنوا عن ابن  
عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بمكة اذا قرأ القرآن يرفع صوته  
فكان المشركون يطردون الناس عنه ويقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم  
تغلبون و - ان اذا أخنى قراءته لم يسمع من يجب ان يسمع القرآن فانزل الله ولا تجهر  
بصلاتك ولا تخافت بها أخرجه ابن أبي حاتم ثم توعدهم سبحانه على ذلك فقال (فلنذيقن  
الذين كفروا عذاباً شديداً) هذا وعيد لجميع الكفار ويدخل فيهم الذين السياق معهم  
دخولاً وأولياً (ولنجزيهم أسوأ الذي كانوا يعملون) اي ولنجزئهم في الآخرة جزاءً أقيج  
أعمالهم التي عملوها في الدنيا قال مقاتل وهو الشرك وقيل المعنى انه يجازيهم بما سوى  
أعمالهم لاجتماعها كما يقع منهم من صلة الارحام وكرام الضيف لان ذلك باطل لا أجر له  
مع كفرهم وفي هذا تعريض بمن لا يكون عند كلام الله المجيد خاضعاً شاعراً متفكراً  
متدبراً وتهديداً وعيد لمن يصدر عنه عند سماعه ما يشوش على القارئ ويخلط عليه  
القراءة نظر الى عظمة القرآن وتأمل في هذا التعليل والتشديد واشهد لمن عظمه وأجل  
قدره وألقى إليه السمع وهو شهيد بالقوز العظيم والاجر الكبير (ذلك) أي العذاب  
الشديد وأسوأ الجزاء (جزاء أعداء الله النار) بدل أو عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك  
أو خبر مبتدأ مضمراً أو مبتدأ خبره (لهم فيها دار الخلد) أي دار الإقامة المستمرة التي  
لا انقطاع لها ولا انتقال عنها (جزاء بما كانوا ياتين بجحدون) أي يجزون جزاء بسبب  
جحدهم بآيات الله قال مقاتل يعي القرآن يجحدون انه من عند الله وعلى هذا يكون  
التعبير عن اللغو بالجحد لكونه سبباً له اقامة للسبب مقام المسبب (وقال الذين كفروا  
ربنا أرنا الذين أضلنا من الجن والانس) قالوا هذاهم في النار وذكره بلفظ الماضي  
تنبها على تحقق وقوعه والمراد انهم طلبوا من الله سبحانه ان يرهم من أضلهم من فريق

ولا الانتقام من أزدائها بسوء لانها جاد لا تسمع ولا تعقل وقوله تبارك وتعالى وهم لهم جند محضون قال مجاهد يعني عند الحساب يريد أن هذه الاصنام محشورة بمجموعة يوم القيامة محضرة عند حساب عابديها ليكون ذلك أبلغ في حزنهم وأدل عليهم في اقامة الحجة عليهم وقال قتادة لا يستطيعون نصرهم يعني الالهة وهم لهم جند محضون والمشركون بغضبون للالهة في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تدفع عنهم شر التماهي أصنام وهكذا قال الحسن البصري وهذا القول حسن وهو اختيار ابن جرير رحمه الله تعالى وقوله تعالى فلا يحزنك قولهم أي (٢٣٨) تكذيبهم لك وكفرهم بالله اننا نعلم ما يسرون وما يعلنون أي نحن نعلم

جميع ما هم فيه وسزيمهم وصنهم ونعاملهم على ذلك يوم لا يفقدون من أعمالهم حيلة الا ولا حقيرا ولا صغيرا ولا كبيرا بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديما وحديثا (أو لم ير الانسان أننا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون) قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي وقاتادة جاءه ابي بن خلف لعنه الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم رميم وهو يقفه ويذروه في الهواء وهو يقول يا محمد أتزعم ان الله يبعث هذا قال صلى الله عليه وسلم نعم يبعثك الله تعالى ثم يبعثك ثم يشركك الى النار ونزلت هذه الآيات من آخريس أو لم ير الانسان أننا خلقناه من نطفة الى آخره وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنييد حدثنا محمد بن العلاء حدثنا عثمان بن سعيد الزيات عن هشيم عن ابي بشر عن سعيد بن

الجن والانس من الرؤساء الذين كانوا يزبون لهم الكفر ومن الشياطين الذين كانوا يسولون لهم ويحلمونهم على المعاصي لان الشيطان على ضربين جنى وانسى قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال الذي يسوس في صدور الناس من الجنة والناس قال علي بن ابي طالب رضی الله تعالى عنه وأرضاه هو ابن آدم الذي قتل أخاه وابليس أي لانهم ما سنا المعصية لبني آدم قرأ الجهم ورأنا بكسر الراء وقري بسكونها وهما الغتان بمعنى واحد وقال الخليل اذا قلت أرنى ثوبك بالكسر فعناه بصريه وبالسكون أعظيمة (فجعلها تحت أقدامنا) في النار أي ندوسها باقدامنا لنشتفي منها وليكونا وقاية بيننا وبينها فتختف عن حرارتها نوع خفصة و(ليكونا من الاسفلير) فيها مكانا وليكونا من الاذنين المهانين وقيل ليكونا شدا ذابا منا قال الزجاج ليكونا في الدرء الاسفل وعن جود وثنا ثم لما ذكروا عقاب الكافرين وما اعتده لهم ذكروا حسن حال المؤمنين وما انعم به عليهم فقال (ان الذين قالوا ربنا الله) وحده لا شريك له (ثم استقاموا) اي داموا وثبتوا على التوحيد ولم يلتفتوا الى اله غير الله وشم للتراخي في الزمان من حيث ان الاستقامة امر يمتد زمانه افاده ابو السعود وقال الخطيب ثم تراخي الرتبة في الفضيلة فان الثبات على التوحيد ومصححاته الى الممات في علو رتبته أمر لا يرام الا بتوفيق ذي الجلال والاکرام قال جماعة من الصحابة والتابعين معنى الاستقامة اخلاص العمل لله تعالى وقال قتادة وابن زيد ثم استقاموا على طاعة الله وقال الحسن استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى ماتوا وقال الثوري عم لواء على وفاق ما قالوا وقال الربيع أعرسوا عساوى الله وقال الفضيل بن عياض زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية عن أنس قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية قال قد قالها ناس من الناس ثم كُفروا كثيرهم فن قالها حين موت فهو عن استقام عليها أخرجه الترمذي والنسائي والبخاري وابو يعلى وغيرهم وقال أبو بكر الصديق الاستقامة ان لا يشركوا بالله شيا وعنه قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان قال أبو حيان قال ابن عباس نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق وعن بعض الصحابة قال ثم استقاموا على فرائض الله وعن عمر بن الخطاب قال استقاموا بطاعة الله لم يروغوا وروغان الثعلب وأخرج أحمد وعبد بن حميد

جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان العاصي بن وائل اخذ عظم من البطحاء ففتته بيده ثم قال لرسول والدارمي الله صلى الله عليه وسلم أجيح الله هذا بعد ما أرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يبعثك الله ثم يبعثك ثم يدخلك جهنم قال ونزلت الآيات من آخريس ورواه ابن جرير عن يعقوب بن ابراهيم عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير فذكره ولم يذكر ابن عباس رضي الله عنهما وروى من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء عبد الله بن أبي بظم فقتله وذ كرتحو ما تقدم وهذا منكر لان السورة مكية وعبد الله بن ابي ابن سلول انما كان بالمدينة وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت

في ابي بن خلف أو العاص بن وائل أو فيهما فهي عامة في كل من أنكر البعث والالف واللام في قوله تعالى أولم ير الانسان للجنس  
 يع كل منكر للبعث انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين أي أولم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الاعادة فان الله ابتداء  
 خلق الانسان من سلالة من ماء مهين خلقه من شيء حقير ضعيف مهين كما قال عز وجل ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار  
 مكين الى قدر معلوم وقال تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج أي من نطفة من أخلط متفرقة فالذي خلقه من هذه النطفة  
 الضعيفة أليس بقادر على اعادته بعد موته كما قال الامام أحمد في (٢٣٩) مسنده حدثنا أبو المغيرة حدثنا جرير حدثني

عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن  
 نفي عن بشر بن جحاش قال ان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق  
 يومافي كنهه فوضع عليها اصبعه ثم  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 قال الله تعالى يا أي آدم أتعجزني  
 وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا  
 سويتك وعدلتك مشيت بين  
 يديك وللارض منك وتيد لجمعت  
 ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت  
 أن صدق وأني وأن الصدقة ورواه  
 ابن ماجه عن أبي بكر بن ابي شيبة  
 عن يزيد بن هرون عن جرير بن  
 عثمان به ولهذا قال تعالى وضرب  
 لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي  
 العظام وهي رميم أي استبعد اعادة  
 الله تعالى ذى القدرة العظيمة التي  
 خلقت السموات والارض للجساد  
 والعظام الرمية ونسي نفسه وان  
 الله تعالى خلقه من العدم الى  
 الوجود فعمل من نفسه ما هو اعظم  
 مما استبعده وانكره وبجده ولهذا  
 قال عز وجل قل يحييها الذي أنشأها  
 أول مرة وهو بكل خلق عليم أي  
 يعلم العظام في سائر أقطار الارض  
 وارجائها أين ذهبت وأين تفرقت

والدارمي والبخاري في تاريخه ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان عن  
 سفيان بن عبد الله الثقفي ان رجلا قال يا رسول الله مررتي بامر في الاسلام لا أسأل عنه  
 أحد بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قلت فما أتقى فإوما إلى لسانه قال الترمذي حسن  
 صحيح (تنزل عليهم الملائكة) من عند الله سبحانه بالبشرى التي يريدونها من جلب نفع  
 او دفع ضرر ورفع حزن قال ابن زيد ومجاهد تنزل عليهم عند الموت وقال مقاتل وقتادة  
 اذا قاموا من قبورهم للبعث وقال وكيع البشري في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر  
 وعند البعث قال البيضاوي اوفي حياتهم فيما يعرض لهم من الاحوال تأتيمهم بما يشرح  
 صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن (ان لا تخافوا ولا تحزنوا) ان هي الخففة أو المفسرة  
 او الناصبة ولا على الوجهين الاولين ناهية وعلى الثالث نافية والمعنى لا تتخافون مما  
 تقامون عليه من امور الآخرة ولا تحزنوا على ما فاتكم من امور الدنيا من اهل وولد  
 ومال قال مجاهد لا تتخافوا الموت ولا تحزنوا على اولادكم فان الله خليفتم عليكم وقال  
 عطاء لا تتخافوا ربوا بكم فانه مقبول ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني اغفرها لكم والظاهر  
 عدم تخصيص تنزل الملائكة عليهم بوقت معين وعدم تقييد ذنوب الخوف والحزن بحالة  
 مخصوصة كما يشعر به حذف المتعلقة في الجميع والخوف غم يلحق النفس لتوقع مكرهه في  
 المستقبل والحزن غم يلحقها القوات نفع في الماضي (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون)  
 بها على السنة الرسل في الدنيا فانكم واصلون اليها مستقرين بها خالدون في نعيمها ثم  
 بشرهم سبحانه بما هو اعظم من ذلك كله فقال (نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي  
 الآخرة) أي نحن المتولون لحفظكم ومعونتكم في امور الدنيا وامور الآخرة ومن كان  
 الله وليه فاز بكل مطلب ونجاة من كل مخافة وقبل ان هذا من قول الملائكة قال  
 مجاهد يقولون لهم نحن قرناؤكم الذين كاتمكم في الدنيا اذا كان يوم القيامة قالوا  
 لانفارقكم حتى تدخلوا الجنة وقال السدي نحن الحفظة لاعمالكم في الدنيا وانصاركم  
 واحباؤكم وأولياؤكم في الآخرة وقيل انهم يشفعون لهم في الآخرة ويتلقونهم  
 بالكرامة وقال النسفي رحمه الله كما ان الشياطين قرناء العصاة والكافرين فكذلك الملائكة  
 أولياء المتقين واحباؤهم في الدارين (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم) من صنوف

وتزوت قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن ربي قال قال عقبه بن عمر وحذيفة رضي الله عنهما  
 ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعته صلى الله عليه وسلم يقول ان رجلا حضره الموت فلما أيس من  
 الحياة أوصى اهله اذا مات فاجعوا الى حطبا كثيرا اجر لاثم او قدوافيه نار حتى اذا اكلت الحصى وخلصت الى عظمى فامتجست  
 فخذوها فدقوها فذروها في اليم فنبعوا لجمعه الله تعالى اليه ثم قال له لم فعلت ذلك قال من خشية فغفر الله عز وجل له فقال عقبه  
 ابن عمرو وأنا سمعته صلى الله عليه وسلم يقول ذلك وكان ماشيا وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الملك بن عمير بالفاظ كثيرة منها

انه امر بنيه ان يحرقوه ثم يسحقوه ثم يذروا نصفه في البر ونصفه في البحر في يوم رايح أي كثير الهواء ففعلوا ذلك فامر الله تعالى البحر بجمع ما فيه وأمر البر بجمع ما فيه ثم قال له كر فاذا هورجل قائم فقال له ما حالك على ما صنعت قال مخافتك وأنت أعلم فاقلاه ان غفرله وقوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اي الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرا نضرا فاعثروا بئس ثم أعاده الى ان صار حطبيا يابساً بقديه النار كذلك هو فعال لما يشاء قادر على ما يريد لا يمنعه شيء قال قتادة في قوله الذي جعل لكم من الشجر الاخضر (٢٤٠) نارا فاذا انتم منه توقدون يقول الذي أخرج هذه النار من هذا

الشجر قادر على ان يعينه وقيل المراد بذلك شجر المرخ والعفاري نبات في أرض الحجاز فيأتي من أراد قدح ناره وليس معه زنا فياً أخذ منه عودين أخضرين ويقدح أحدهما بالآخر فتولد النار من بينهما كالزناد سواء روى هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي المثل لكل شجر ناره واستجد المرخ والعفاري وقال الحكيم في كل شجر ناره الا العناب (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون) يقول تعالى منها على قدرته العظيمة في خلق السموات السبع وما فيها من الكواكب السيارة والثواب والارضين السبع وما فيها من جبال ورمال وبحار وقفار وما بين ذلك ومرشد الى الاستدلال على إعادة الاجساد بخلق هذه الاشياء العظيمة كقوله تعالى نخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وقال عز وجل ههنا أوليس الذي خلق

الكرامات واللذات وأنواع النعم (ولكم فيها ما تدعون) أي تقنون استعمال من الدعاء بمعنى الطلب وقد تقدم بيان معنى هذا في قوله ولهم ما يدعون مستوفى والفرق بين الجلمتين ان الاولى باعتبار شهوات أنفسهم والثانية بآثار ما يطلبونه أعم من أن يكون مما تشتهيه أنفسهم أو لا اذلا يلزم ان يكون كل مطلوب مشتهى كالفصل العلية وان كان الاول أعم أيضا من وجه بحسب حال الدنيا فالمرضى لا يريد ما يشتهيه ويضر مرضه الا ان يقال التني اعم من الارادة وقال الرازي الاقرب عندي ان قوله ولكم فيها ما تشتهى انفسكم إشارة الى الجنة الروحية المذكورة في قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم الآية واتصاب (نزلا من غفور رحيم) على الحال من الموصول او من عانده أو من فاعل تدعون او هو مصدر مؤكداً لعل محذوف اي انزلا والنزل ما يعدهم حال نزولهم من الرزق والضيافة قال النسفي هو رزق النزول وهو الضيف وقد تقدم بحقه في سورة آل عمران قال أهل المعاني كل هذه الاشياء المذكورة في هذه الآية جارية عن مجرى النزول والكرامات اذا أعطى هذا النزول فباطنك بما بعده من اللطاف والكرامة (ومر أحسن قولاً لمن دعا الى الله) أي الى توحيد وطاعته قال الحسن هو المؤمن أجاب الله في دعوته ودعا الناس الى ما أجاب الله فيه من طاعته (وعمل صالحاً) في اجابته (وقال اني من المسلمين) لربي وليس الغرض منه القول فقط بل يضم اليه اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلفظ أي قال ذلك ابتهاجاً بالاسلام وفرحاً به واتخاذ له ديناً ومذهباً وتناخراً به قال ابن سيرين والسدقي وابن زيد هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وروى هذا أيضا عن الحسن وقال عكرمة وقيس بن أبي حازم ومجاهد نزلت في المؤذنين قالت عائشة الداعي الى الله المؤذن والعمل الصالح ركعتان فيما بين الاذان والاقامة وعنها قالت ما أرى هذه الآية نزلت الا في المؤذنين ويحجاب عن هذا بان الآية مكينة والاذان انما شرع بالمدينة والاولى حمل الآية على العموم كما يقتضيه اللفظ ويدخل فيها من كان سبباً لنزولها دخولا أولياً فكل من جمع بين دعاء العباد الى ما شرعه الله وعمل عملاً صالحاً هو تادية ما فرضه الله عليه مع اجتناب ما حره عليه وكان من المسلمين ديناً لا من غيرهم فلا شيء أحسن منه ولا أوضح من طريقته ولا أكثر ثواباً من عمله قيل وللدعوة الى الله مراتب الاول دعوة الانبياء الى الله بالمعجزات وبالحنج والبراهير والسيف وهذه المرتبة لم تتفق غير الانبياء

السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم أي مثل البشر فيعيدهم كما بدأهم قاله ابن جرير وهذه الآية الكريمة كقوله عز وجل أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلتهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير وقال تبارك وتعالى ههنا بلى وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون أي انما أمر بالشيء أمراً واحداً لا يحتاج الى تكرار وتأكيد

اذما أراد الله أمر افانما \* يقول له قوله كن فيكون

المرتبة

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عمرو حدثنا موسى بن المسيب عن شهر بن عبد الرحمن بن غنم عن أبي ذر رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يا عبادي كلكم مذنب الامن عافيت فاستغفروني اغفر لكم وكنتم فاقربكم من الله اغنيت اني جواد ماجد وابدأ فعل ما أشاء عطائي كلام وعذابي كلام اذا أردت شيئاً فأتانا أقول له كن فيكون وقوله تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون أي تنزيهه وتقديسه وتبرئته من سوء المعنى القيوم الذي بيده مقاليد السموات والارض واليه يرجع الامر كله وله الخلق والامر واليه ترجع العباد يوم المعاد (٢٤١) فيجزي كل عمل بعمله وهو العادل المنعم

المتفضل ومعنى قوله سبحانه وتعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء كقوله عز وجل قل من بيده ملكوت كل شيء وكقوله تعالى تساركت الذي بيده الملك فملكوت الملكوت واحداً في المعنى كرحمة ورحموت ورحمة ورحموت وجبر وجبروت ومن الناس من زعم أن الملك هو عالم الاجسام والملكوت هو عالم الارواح والصحيح الاول وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم قال الامام أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا جاد عن عبد الملك بن عمر حدثني ابن عم حذيفة عن حذيفة وهو ابن اليمان رضي الله عنه قال قلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقرأ السبع الطوال في سبع ركعات وكان صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع قال سمع الله لمن حمده ثم قال الحمد لله ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة وكان ركوعه مثل قيامه وسجوده مثل ركوعه فانصرف وقد كادت تنكسر رجلاي وقد روى أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي من حديث

المرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله بالحج والبراهين فقط والعلماء اقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء باحكام الله المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله بالسيف والسنان فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم أيضاً دعاة الى الله والى طاعته ثم بين سبحانه الفرق بين محاسن الاعمال ومساوئها فقال (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) اي لا تستوى الحسنة التي يرضى بها الله وينيب عليها ولا السيئة التي يكرهها الله ويعاقب عليها ولا وجه لتخصيص الحسنة بنوع من انواع الطاعات وتخصيص السيئة بنوع من انواع المعاصي فان اللفظ أوسع من ذلك وقيل الحسنة التوحيد والسيئة الشرك وقيل الحسنة المداراة والسيئة الغلظة وقيل الحسنة العفو والسيئة الانتصار وقيل الحسنة العلم والسيئة الفحش وقيل غير ذلك قال الفراء لافي ولا السيئة زائدة والجملة مستأنفة سبقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب ترغيباً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الصبر على اذية المشركين ومقابله اساءتهم بالاحسان (ادفع بالتي هي احسن) استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة اي ادفع السيئة اذا جاءتك من المسيء احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات ومنه مقابلة الاساءة بالاحسان والذنب بالعفو والغضب بالصبر والاعضاء عن الهفوات والاحتمال للمكروهات قال ابن عباس امر المسلمين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كانه ولي حميم وقال ابن عباس القه بالسلم وقال مجاهد وعطاء بن ابي سفيان هي احسن يعني بالسلام اذ التي من يعاديه وقيل بالمصافحة عند التلاقي والمعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فاخذنا بالحسنة التي هي احسن من أخذتها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك كالو اساءة اليك رجل اساءة فالحسنة أن تعفوه عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءة اليك مثل أن يذمك فمدحه أو يقتل ولدك فتقتدي ولده من يدعدوه ووضع التي هي احسن موضع الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنة هان عليه الدفع بمادونها (فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) هذه هي الفائدة الحاصلة من الدفع بالتي هي احسن والمعنى انك اذا فعلت ذلك الدفع صار العدو كالصديق والبعيد

(٣١ فتح البيان ثامن) شعبة عن عمرو بن عمرو عن أبي حمزة مولى الانصار عن رجل من بني عباس عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل وكان يقول الله أكبر ثلاثاً نأذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ثم استفتح فقرأ البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحواً من قيامه وكان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم ثم رفع رأسه من الركوع فكان قيامه نحواً من قيامه يقول ربي الحمد ثم سجد فكان سجوده نحواً من قيامه وكان يقول في سجوده سبحان ربي الاعلى ثم رفع رأسه من السجود وكان يقعد فيما بين السجدين نحواً من سجوده وكان يقول رب اغفر لي رب اغفر لي فصل في أربع ركعات فقرأ فيهن بالبقرة وآل عمران

والنساء والمائدة والانعام شك شعبة هذا الفظ أبي داود وقال النسائي أبو حنيفة عندنا طلبة من يزيد وهذا الرجل يشبهه أن يكون صلة  
 كذا قال والاشبه أن يكون ابن عم حذيفة كما تقدم في رواية الامام احمد والله أعلم وأما رواية صلة بن زفر عن حذيفة رضي الله عنه  
 فانها في صحيح مسلم ولكن ليس فيها ذكر الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن  
 وهب حدثني معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس عن عاصم بن حميد عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال قلت مع رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرا سورة (٢٤٢) البقرة لا يربا بآية رجة الاوقف وسأل ولا يربا بآية عذاب الاوقف وتعود

قال ثم ركع بقدر قيامه يقول في  
 ركوعه سبحان ذي الجبروت  
 والمللكوت والكبرياء والعظمة ثم  
 سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده  
 مثل ذلك ثم قام فقرا بال عمران ثم  
 قرأ سورة سورة ورماه الترمذي في  
 الشمائل والنسائي من حديث  
 معاوية بن صالح به آخر تفسير سورة  
 يس والله الحمد والمنة

\* (تفسير سورة الصافات وهي

مكية) \*

قال النسائي أخبرنا اسمعيل بن  
 مسعود حدثنا خالد يعني ابن الحرث  
 عن ابن أبي ذئب قال أخبرنا الحرث  
 ابن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله  
 عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما  
 قال كان رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا  
 بالصافات تفرد به النسائي

\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*

(والصافات صفا فالزجرات زجرا  
 فالتاليات ذكر ان الهكلم لواحد رب  
 السموات والارض وما بينهما ورب  
 المشارق) قال سفيان الثوري عن  
 الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق  
 عن عبد الله بن مسعود رضي الله

عندك كالقريب منك وقال مقاتل نزلت في أبي سفيان بن حرب كان معاديا للنبي صلى الله  
 عليه وآله وسلم فصار له ولما بالمصاهرة التي وقعت بينه وبينه ثم أسلم فصار وليا في الاسلام جميعا  
 بالمصاهرة وقيل غير ذلك والاولى حمل الآية على العموم (وما يلقاها) قال الزجاج أي ما يلقى  
 هذه النعلة وهذه الحالة وهي دفع السيئة بالحسنة (الا الذين صبروا) على كظم الغيظ  
 واحتمال المكروه وتجزع الشدائد وترك الانتقام وقال أنس الرجل يشبهه أخوه فيقول  
 ان كنت صادقا غفر الله لي وان كنت كاذبا غفر الله لك (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم)  
 في الثواب والخير ومن الخلق الحسن وكال النسب وهذا أنسب وقال قتادة الخط العظيم  
 الجنة أي ما يلقاها الا من وجبت له الجنة وقيل الضمير في يلقاها عائد الى الجنة وقيل  
 راجعة الى كلمة التوحيد قرأ الجمهور يلقاها من التلقية وقرئ تلاقها من الملاقات  
 ثم أمر سبحانه بالاستعاذة من الشيطان فقال (واما ينزعك من الشيطان نزع) النزع  
 شبه النفس شبهه الوسوسة لانها تبعث على الشر وجعل النزع نازعا على سبيل المجاز  
 العقلي كقولهم جددته أو أريد وما ينزعك نازع وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله  
 والمعنى وان صرفك الشيطان عن شيء مما شرعه الله لك أو عن الذفع بالتي هي أحسن  
 (فاستعذ بالله) من شره وامض على حملك ولا تطعه وجملة (انه هو السميع العليم)  
 تعليل لما قبلها أي السميع لكل ما يسمع ومنه استعاذتك والعليم بكل ما يعلم ومنه  
 فعلك وأحوالك ومن كان كذلك فهو بعيد من استعاذته وقال هنا بزيادة هو وأل وفي  
 الاعراف بدونهم ما لان ما هنا متصل بمؤكذباتك تكرار وبالخصر فناسب التأكيذ بما ذكر  
 وما في الاعراف خلى عن ذلك جفري على القياس من كون المسند اليه معرفة والمسند  
 نكرة أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سليمان بن صرد قال استب رجلان عند النبي  
 صلى الله عليه وآله وسلم فاشتد غضب أحدهما فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اني لاعلم  
 كلمة لو قالها لذهب عنه الغضب أو عوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال الرجل أمجنون  
 تراني فتلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (واما ينزعك من الشيطان نزع) فاستعذ بالله  
 من الشيطان الرجيم ثم شرع سبحانه في بيان بعض آياته البديعة الدالة على كمال قدرته  
 وقوة تصرفه للاستدلال بها على توحيدته فقال (ومن آياته الليل والنهار) في تعاقبها على  
 حد معلوم وتناوبها على قدر مقسوم (والشمس والقمر) في اختصاصهما بسير مقدر

عنه أنه قال والصافات صفا وهي الملائكة فالزجرات زجرا هي الملائكة فالتاليات ذكرها هي الملائكة وكذا ونور

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومسروق وسعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد والسدي وقيادة والربيع بن أنس قال قتادة الملائكة  
 صفوف في السماء وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أحمد بن فضيل عن أبي مالك الأشجعي عن ربي عن حذيفة رضي  
 الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض  
 كلها مسجدا وجعل لنا ترابها طهورا اذ لم نجد الماء وقد روى مسلم أيضا وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الاعمش عن



المسيب بن زافع عن تميم بن طرفة عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال صلى الله عليه وسلم يتقون الصنوف المتقدمة ويتراصون في الصف وقال السدي وغيره معنى قوله تعالى فالزاجرات زجراتها زجرا ما زجر الله تعالى عنه في القرآن وكذا روى مالك عن زيد بن أسلم فالتاليات ذكرا قال السدي الملائكة يحيون بالكتاب والقرآن من عند الله إلى الناس وهذه الآية كقوله تعالى فالملقيات ذكرا عزرا أو ندرا وقوله عز وجل (٢٤٣) إن الحكم لواحد رب السموات والأرض

هذا هو المقسم عليه أنه تعالى لا اله الا هو رب السموات والأرض وما بينهما أى من المخلوقات ورب المشارق أى هو المالك المتصرف في الخلق بتسخيره بما فيه من كوابن ثوابت وسيارات تبدو من المشرق وتغرب من المغرب واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالته عليه وقد صرح بذلك في قوله عز وجل فلا أقسم رب المشارق والمغارب اننا لقادرون وقال تعالى في الآية الاخرى رب المشرقين ورب المغربين يعنى في الشتاء والصيف للشمس والقمر (انازينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظنا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب) يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين اليها من أهل الارض بزينة الكواكب قرئ بالاضافة وبالبدل وكلاهما بمعنى واحد فالكواكب السيارة والثوابت ينقب ضوءها جرم السماء الشفاف فتضىء لاهل

وتورمقرر هذا ردى على قوم عبدوا الشمس والقمر وانما تعرض للاربعه مع انهم لم يعبدوا الليل والنهار للايدان بكل سقوط الشمس والقمر عن رتبة السجودية لهما بنظمهما في المخلوقه في سلك الاعراض التي لا قيام لها بذاتها وهذا هو السر في نظم السلك في آياته ثم لما بين ان ذلك من آياته منها هم عن عبادة الشمس والقمر وأمرهم أن يسجدوا لله عز وجل فقال (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لانهم مخلوقان من مخلوقاته وان كثرت منافعها فلا يصح ان يكونا شريكين له في ربوبيته (واجسدوا لله الذى خلقين) أى هذه الاربعه المذكورة لان جمع ما لا يعقل حكمه حكم جمع الاناث أو الآيات أو الشمس والقمر لان الاثنين جمع عند جماعة من الأئمة قال السمين وانما عبر عن الاربع بضمير الاناث مع ان فيها ثلاثة مذكرة والعادة تغليب المذكر على المؤنث لانها قال ومن آياته فنظم الاربعه في سلك الآيات صار كل واحد منها آية فعبدها بضمير الاناث في قوله خلقهن (ان كنتم اياه تعبدون) قيل كان ناس يسجدون للشمس والقمر كالصائين في عبادتهم الكواكب ويرعونهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فهو اعن ذلك فهذا وجه تخصيص ذكر السجود بالهوى عنه وقيل وجه تخصيصه أنه أقصى مراتب العبادة وهذه الآية من آيات السجود بخلاف وانما اختلفوا في موضع السجدة فقيل موضعها عند قوله ان كنتم اياه تعبدون لانه متصل بالامر وقيل عند قوله وهم لا يسأمون لانه تمام الكلام وعن ابن عباس انه كان يسجد بآخر الآيتين من حم السجدة وكان ابن مسعود يسجد بالاولى منهما وعن ابن عمر انه كان يسجد بالاولى ويسجد بالآية الاخرية (فان استكبروا فالذين عند ربك يسجدون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) أى ان استكبر هو لآعن الامتنان فدعهم وشأنهم فان لله عبادا يعبدونه كالملائكة يدعون التسبيح لله سبحانه بالليل والنهار ويصلون له وهم لا يموتون ولا يفترون يعنى ان الله لا يعدم عابدا أبدا بل من خلقه من يعبد على الدوام والعنصرية عندية مكانة وتشريف وفي الحديث أنا عند ظن عبدى وأنا عند المنكسرة قلوبهم (ومن آياته) الدالة على قدرته ووجدانيته (أنك) الخطاب لكل من يصلح له أول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ترى الارض) أى بعضها بحاسة البصر وبعضها يعين البصيرة قياسا على ما أبصرت (خاشعة) يابسة لانبات فيها متطامنة وهى أنسب بلطف خاشعة والخاشعة اليابسة الجذبة الجامدة وقيل الغبراء

الارض كما قال تبارك وتعالى ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير وقال عز وجل ولقد جعلنا في السماء رجوما للشياطين وجعلناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين فقوله جل وعلا ههنا وحفظنا قدره وحفظنا ما حفظنا من كل شيطان مارد يعنى المتمرد العاقى اذا أراد أن يسترق السمع أنه شهاب ثاقب فأحرقه ولهذا قال جل جلاله لا يسمعون الى الملا الاعلى أى لئلا يصلوا الى الملا الاعلى وهى السموات ومن فيها من الملائكة اذا تكلموا بما يوحى به الله تعالى بما يقوله من شرعه وقدره كما تقدم بيان ذلك في الاحاديث التى أوردها عند قوله تبارك وتعالى

حتى اذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ولهذا قال تعالى ويقدفون أي يرمون من كل جانب أي من كل جهة يقصدون السماء منها دحورا أي رجاء يدحرون به ويرجون وينعون من الوصول إلى ذلك ويرجون ولهم عذاب واصب أي في الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجع مستمر كما قال جلت عظمتها وأعدنا لهم عذاب السعير وقوله تبارك وتعالى الامن خطف الخطفة أي الامن اختطف من الشياطين الخطفة وهي الكلمة يسمعهان السماء فيلقها إلى الذي تحتها ويلقيها الآخر إلى الذي تحته فرمى أدركه الشهاب (٢٤٤) قبل ان يلقيها وربما ألقاها بقدر الله تعالى قبل ان يأتيه الشهاب

فيحرقه فيذهب بها الآخر إلى الكاعن كما تقدم في الحديث ولهذا قال الامن خطف الخطفة فأقبه شهاب ناقب أي مستنير قال ابن جرير حدثنا أبو ريب حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحق عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان للشياطين مقاعد في السماء قال فكأنوا يستمعون الوحي قال وكانت النجوم لا تجرى وكانت الشياطين لا ترمي قال فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض فزادوا في الكلمة تسعا قال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الشيطان اذا قعد مقعده جاءه شهاب فلم يخطئه حتى يحرقه قال فشكوا ذلك إلى إبليس لعنه الله فقال ما هو الامن أمر حدث قال فبث جنوده فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي بين جبلي نخلة قال وكيع يعني بطن نخلة قال فرجعوا إلى إبليس فأخبروه فقال هذا الذي حدث وستأتى ان شاء الله تعالى الاحاديث الواردة مع الآثار في هذا المعنى عند قوله تعالى اخبارا عن الجن

التي لا تنبت قال الأزهرى اذا يبست الأرض ولم تنمطر قبل قد خشعت والخشوع التذلل والتقاصر فاستعير حال الأرض اذا كانت حطبة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله تعالى وترى الأرض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو كما قال (فإذا أنزلنا عليها الماء أي ماء المطر أو غيره اهتزت) تحركت بالنبات حركة عظيمة كثيرة سريعة فكان كمن يعالج ذلك بنفسه يقال اهتز الانسان اذا تحرك (وربت) انتفخت وعلت قبل ان تنبت قاله مجاهد وغيره أي تصدعت عن النبات بعد موتها وعلى هذا في الكلام تقديم وتأخير وتقديره ربت واهتزت وقيل الاهتزاز والربو قد يكونان قبل خروج النبات من الأرض وقد يكونان بعده ومعنى الربو لغة الارتفاع كما يقال للموضع المرتفع ربوة ورابية فالنبات يتحرك للبروز ثم يزداد في جسمه بالكبر طولاً وعرضاً وقد تقدم نفسه هذه الآية مستوفى في سورة الحج وقيل اهتزت استبشرت بالمطر وربت انتفخت بالنبات وقيل تشققت فارتفعت ترابها وخروج منها النبات وسما في الحوم معظمها لوجهها وتشعبت عروقها وغظت سوقها فصارت يمنع سلوكها على ما كانت فيه من السهولة وترخفت بذلك النبات كأنها بمنزلة الختم في زيه لما كانت قبل ذلك كالذليل وقرأ أبو جعفر وخالد بن ثابت (ان الذي أحياها محيي الموتي) بالبعث والنشور (انه على كل شيء قدير) لا يعجزه شيء كأننا ما كان (ان الذين يلحدون في آياتنا) أي يميلون عن الحق والاستقامة في آياتنا بالطعن والتعريف والتأويل الباطل واللعو فيها والاحاد الميل والعدول ومنه اللحد في القبر لانه أميل إلى ناحية منه يقال ألحد في دين الله أي مال عنه وعدل ويقال لحد وهو لغة فيه وقد تقدم تفسير الاحاد ويقال ألحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير حال الأرض اذا كانت ملحودة فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة قال مجاهد معنى الآية يميلون عن الايمان بالقرآن وقال أيضاً يميلون عند تلاوة القرآن بالمكاء والتصديقه واللغو والغناء وقال قتادة يكذبون في آياتنا وقال السدي يعاندون ويشاقون وقال ابن زيد يشركون والمعاني متقاربة وقال ابن عباس في الآية هو أن يضع الكلام في غير موضعه (لا يخفون علينا) بل نحن نعلمهم فنجازهم بما يعملون قيل نزلت في أبي جهل ثم بين كيفية الجزاء والتفاوت بين المؤمن والكافر فقال (أفمن يلقى في النار خيراً من يأتي آمناً يوم القيامة) الاستفهام للتقرير والغرض منه التنبيه على أن

انهم قالوا وانما نسنا السماء فوجدناها ملأت حرساً شديداً وشهباً وانما كنا نعدهم مقاعد للسمع فنهم الا ان يجده شهاباً رصداً وانما لا ندري أشراً يريد عن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشد (فاستفتهم أنهم أشد خلقاً أم من خلقنا انما خلقناهم من طين لازب بل عجبناهم وسخرونا واذكرونا وايدكرونا واذاروا وآية يستخفون وقالوا ان هذا الاسحريين انما متنا وكنا ربا وعظما انما لم نعوثون أو أبأونا الأولون قل نعم وأنتم اخرون فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون) يقول تعالى فسئل هؤلاء المنكرين للبعث أي أشد خلقاً أم السموات والأرض وما بينهما من الملائكة والشياطين والمخلوقات العظيمة وقرأ ابن

المخدين

مسعود رضى الله عنه أم من عددنا فانهم يقرون ان هذه المخلوقات اشد خلقا منهم واذا كان الامر كذلك فلم ينكرون البعث وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا كما قال عز وجل خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ثم بين انهم خلقوا من شئ ضعيف فقال انا خلقناهم من طين لازب قال مجاهد وسعيد بن جبيرة والضحاك هو الجيد الذي يلتزق بعضه ببعض وقال ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة هو اللزج الجيد وقال قتادة هو الذي يلزق باليد وقوله عز وجل بل عجبناهم ببعثهم وانهم لا يرجعون أى بل عجبناهم بما محمد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث (٢٤٥) وأنت موقن مصدق بما أخبر الله تعالى من

الامر المحجب وهو اعادة الاجسام بعد فناؤها وهم بخلاف أمر لمن شدة تكذيبهم بسخرون مما تقول لهم من ذلك قال قتادة عجب محمد صلى الله عليه وسلم وسخر ضلال بنى آدم واذا رأوا آية أى دلالة واضحة على ذلك يستسخرون قال مجاهد وقاتلة يستهزؤون وقالوا ان هذا الاسخريمين أى ان هذا الذى حثت به الاسخريمين أندامتنا وكنا ترابا وعظما أننا لمبعوثون أو آباءونا الأولون يستبعدون ذلك ويكذبون به قل نعم وأنتم داخلون أى قل لهم يا محمد نتم تبعثون يوم القيامة بعد ماتصيرون ترابا وعظما وأنتم داخلون أى حقيرون تحت القدرة العظيمة كما قال تبارك وتعالى وكل أتوه داخرين وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ثم قال جلت عظمتها فأنما هى زجرة واحدة فاذا هم ينظرون أى فأنما هو أمر واحد من الله عز وجل يدعوهم دعوة واحدة ان يخرجوا من الارض فاذا هم قيام بين يديه ينظرون الى أهوال يوم القيامة والله تعالى أعلم (وقالوا يا ويلنا هذا

المخدين فى الآيات يلقون فى النار وان المؤمنين بما يأتون آمين يوم القيامة وظاهر الآية العموم اعتبار العموم للفظ لا بخصوص السبب فهو تمثيل للكافر والمؤمن وقيل المراد بن يلقى فى النار أبو جهل ومن يأتى آمنا النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقيل حمزة وقيل عمر بن الخطاب وقيل أبو سلمة بن عبد الاسود الخزومى وقال ابن عباس أبو جهل بن هشام ومن يأتى آمنا يوم القيامة أبو بكر الصديق وعن بشير بن تميم قال نزلت فى أبى جهل وعمر بن ياسر وعن عكرمة مثله وكان الظاهر ان يقال أم من يدخل الجنة وعدل عنه للتصريح بأمنهم وانتفاء الخوف عنهم قاله الكرخى وترسم أم مفصولة من من اتبعا للمصحف الامام (اعملوا) هذا أمر تهديد أى اعلموا من أعمالكم التى تليقكم فى النار (ما شئتم) فهو مجاز يكتم على كل ما تعملون قال الزجاج لفظه الامر ومعناه الوعيد وقال ابن عباس هذا أهل بدر خاصة (انه بما تعملون بصير) لا تخفى عليه منه مظانية فيجازيكم عليه (ان الذين كفروا بالذکر لما جاءهم) الجملة مستأنفة مقررة لما قبلها وخبر ان محذوف أى ان الذين كفروا بالقرآن لما جاءهم يجازون بكفرهم أو هالكون أو يعذبون وقيل هو قوله ينادون من مكان بعيد وهذا بعيد وان رجحه أبو عمرو بن العلاء وذكر السمين فى خبر ان أعاريب ووجوهها لا تطول بذکرها (وانه) أى القرآن الذى كانوا يلحدون فيه (لكتاب عزيز) عن ان يعارض أو يطعن فيه الطاعنون منيع عن كل عيب محمى بحماية الله وقيل عدم نظيره وذلك ان الخلق يحجزوا عن معارضته وقيل أعزه الله بمعنى منعه أى تمتنع عن قبول الابطال والتحرىف ثم وصفه بأنه حق لا سبيل للباطل اليه بوجه من الوجوه فقال (لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قال الزجاج معناه انه محفوظ من أن ينقص منه فى آية الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فى آية الباطل من خلفه وبه قال قتادة والسدى ومعنى الباطل على هذا الزيادة والنقصان وقال مقاتل لا يأتية التكذيب من الكتب التى قبله ولا يجي من بعده كتاب فيسطله وبه قال الكلبي وسعيد بن جبيرة وقيل الباطل هو الشيطان أى لا يستطيع أن يزيد فيه ولا ينقص منه وقيل لا يراد فيه ولا ينقص منه لامن جبريل ولا من محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل لا يأتية التبديل والتناقض بوجه من الوجوه وقيل لا يأتية الباطل عما أخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر وقيل ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجده سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه

يوم الدين هذا يوم الفصل الذى كتب به تكذبون احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوههم انهم مسؤولون ما لكم لا تنصرون بل هم اليوم مستسلمون) يخبر تعالى عن قيل الكفار يوم القيامة انهم يرجعون على أنفسهم بالملامة ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لانفسهم فى الدار الدنيا فاذا عاينوا أهوال القيامة ندموا كل الدم حيث لا ينتفعهم الندم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين فنقول لهم الملائكة والمؤمنون هذا يوم الفصل الذى كتب به تكذبون وهذا يقال لهم على وجه التقرير والتوبيخ يأمر الله تعالى الملائكة أن تميزا لكفار من المؤمنين فى الموقف فى محشرهم ومنشرهم ولهذا

قال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم قال النعمان بن بشير رضی الله عنه یعنی بأزواجهم أشباههم وأمثالهم وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبیر وعكرمة ومجاهد والسدي وأبو صالح وأبو العالية وزيد بن أسلم وقال سفيان الثوري عن سماك عن النعمان ابن بشير عن عمر بن الخطاب رضی الله عنه احشروا الذين ظلموا وازواجهم قال اخوانهم وقال شريك عن سماك عن النعمان قال سمعت عمر يقول احشروا الذي ظلموا وازواجهم قال أشباههم قال يحيى أصحاب الزنا مع أصحاب الرباع أصحاب الربا وأصحاب النمر مع أصحاب النمر وقال (٢٤٦) خفيف عن مقسم عن ابن عباس رضی الله عنهما أزواجهم نساءهم

وهذا غريب والمعروف عنه الاول  
والمعنى كل ما فيه حق وصدق ليس فيه ما لا يطابق الواقع والعموم أولى (تنزيل من حكيم  
جميد) خبر متباد محذوف أو وصفة أخرى لكذب ثم سلى سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله  
وسلم عما كان يتأثر له من أذية الكفار فقال (ما يقال لك) من هؤلاء الكفار من وصفك  
بالسحر والكذب والجنون (ال) مثل (ما قد قيل للرسول من قبلك) فان قومهم كانوا يقولون  
لهم مثل ما يقول لك هؤلاء وقيل المعنى ما يقال لك من التوحيد واخلاص العبادة لله الا  
ما قد قيل للرسول من قبلك فان الشرائع كلها منصفة على ذلك وقيل هو استفهام أى أى شئ  
يقال لك (ان ربك لذو مغفرة) لمن يستحق مغفرته من الموحدين الذين تابعوك وتابعوا  
من قبلك من الانبياء (وذو عقاب أليم) للكفار المكذبين المعادين لرسول الله وقيل  
لذو مغفرة للانبياء وذو عقاب لاعدائهم (ولو جعلناه قرآنا أعجميا) أى لو جعلناه هذا القرآن  
الذي تقرأه على الناس بغير لغة العرب ولا لغة فيه لاني حنيفة رجه الله في جوارز الصلاة  
اذ قرأ بالقارسية كما زعمه النسفي وغيره لان التركيب خارج مخرج القرض والتقدير دون  
الوقوع والتحقيق (لقالوا لولا فصلت آياته) أى يئس بلغتنا فالتا عراب لان فهم لغة العجم  
والاستفهام في قوله (أأعجمي وعربي) لانكار وهو من جملة قول المشركين أى لقالوا  
كلام أعجمي ورسول عربي والاعجمي الذي لا يفصح سواء كان من العرب أو من العجم  
والباء للمبالغة في الوصف كأجرى وليس النسب فيه حقيقيا وقال الرازي في لوائحه هي  
كأجرى ويختفى وفرق بينهما الشيخ والاعجم ضد الفصح وهو الذي لا يبين كلامه ويقال  
للحيوان غير الناطق أعجم وقيل المراد هلا فصلت آياته بفعل بعضها أعجميا لافهام العجم  
وبعضها عربيا لافهام العرب قال ابن عباس يقول لو جعلنا القرآن أعجميا لسانك يا محمد  
عربي لقالوا أعجمي وعربي تأنيبا به مختلفا ومختلفا هلا يئس آياته فكان القرآن مثل  
الاسان يقول فم فعل لثلاثا يقولوا فكانت حجة عليهم قرأ أبو بكر وحزرة والكسافي أأعجمي  
بهمزتين محققين وقرئ بهمزة واحدة وقرئ بتسهيل الثانية بين بين ثم أمر الله سبحانه  
رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يحميمهم فقال (قل هؤلاء آمنوا هدى وشفاء) أى  
يهتدون به الى الحق ويستشفون به من كل شئ وشبهة ومن الاسقام والآلام قال الشهاب  
رد عليهم بأنه هاد لهم شاف لما في صدورهم كافي في دفع الشبهة فلذا ورد بلسانهم معجزا بينا  
في نفسه مينا لغيره (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) أى صمم عن سماعه وفهم معانيه

وهدا غريب والمعروف عنه الاول  
كأجرى واه مجاهد وسعيد بن جبیر عنه  
أزواجهم قراءهم وما كانوا يعبدون  
من دون الله أى من الاصنام والانداد  
تحشروهم فى أما كنهم وقوله تعالى  
فاهدوهم الى صراط الجحيم أى  
ارشدوهم الى طريق جهنم وهذا  
كقوله تعالى وتحشروهم يوم القيامة  
على وجوههم عميا وبكيا وصما  
مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم  
سعيرا وقوله تعالى وقفوهم انهم  
مسؤولون أى قفوهم حتى يستلوا  
عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت  
عنهم في الدار الدنيا كما قال الضحاك  
عن ابن عباس يعنى احبسوهم  
انهم محاسبون وقال ابن أبي حاتم  
حدثنا أبي حدثنا النفيلي حدثنا  
المعتمر بن سليمان قال سمعت لينا  
يحدث عن بشير عن أنس بن مالك  
رضى الله عنه قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ايمادع دعالى  
شئ كان موقوفا معه الى يوم القيامة  
لا يغادره ولا يفارقه وان دعا رجل  
رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤولون  
ورواه الترمذى من حديث لبت  
ابن أبي سليم ورواه ابن جرير عن

يعقوب بن ابراهيم عن معتمر عن لبت عن رجل عن أنس رضی الله عنه مرفوعا وقال عبد الله بن المبارك ولهدا  
سمعت عثمان بن زائدة يقول ان أول ما يسئل عنه الرجل جلجلاؤه ثم يقال لهم على سبيل التقرير والتوبيخ مالكم لا تناصرون  
أى كما زعمتم انكم جميع منتصر بل هم اليوم مستسلمون أى منقادون لامر الله تعالى لا يخالفونه ولا يحيدون عنه والله أعلم (وأقبل  
بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تألوتنا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم  
قوماطغين حق علينا قول ربنا انالذاتقون فأغورناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل

بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون اننا انما اتنا نارا كوا آلهتنا الشاعرجحون بل جاء بالحق وصدق المرسلين  
يذكر تعالى ان الكفار يتلاومون في عرصات القيامة كما يتخاصمون في دركات النار فيقول الضعفاء الذين استكبروا انا كنا لكم  
تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيما ان الله قد حكم بين العباد وقال تعالى ولوترى اذنا لظالمون  
موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا الذين استكبروا والولا انتم لكم مؤمنين قال الذين  
استكبروا والذين استضعفوا لئن صددناكم عن الهدى بعداذ (٢٤٧) جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا

الذين استكبروا بل مكر الليل  
والنهار اذا تأمر وتنا ان تكفر بالله  
ونجعل له اعدادا واسرا والندامة  
لما راوا العذاب وجعلنا الاعلال  
في اعناق الذين كفروا هل يجزون  
الاما كانوا يعملون وهكذا قالوا  
لهم ههنا انكم كنتم تأتوتنا عن  
اليمن قال الضحالك عن ابن عباس  
يقولون كنتم تفهروا بنا بالقدره  
منكم علينا لانا كنا اذلا وكنتم اعزاء  
وقال مجاهد يعني عن الحق  
والكفار تقوله للشياطين وقال  
قتادة قالت الانس للجن انكم كنتم  
تأتوتنا عن اليمن قال من قبل الخير  
فتهنونا عنس وتبطنونا عنه وقال  
السدي تأتوتنا من قبل الحق وتزينوا  
لنا الباطل وتصدونا عن الحق  
وقال الحسن في قوله تعالى انكم  
كنتم تأتوتنا عن اليمن أي والله  
يأتيه عند كل خير يريد فيصده عنه  
وقال ابن زيد معناه تحولون بيننا  
وبين الخير ورددتونا عن الاسلام  
والايمان والعمل بالخير الذي امرنا  
به وقال يزيد الرسك من قبل لاله  
الا الله وقال خصيف يعنون من  
قبل ميامنهم وقال عكرمة انكم

ولهذا نواصوا بالغوفيه والموصول مبتدأ خبره في آذانهم وقرأ والموصول الثاني عطف  
على الاول وقر عطف على هدى عند من جوز العطف على معمولي عاملين مختلفين  
والتقدير هوللاولين هدى وشفاء وللاخرين وقر في آذانهم (وهو عليهم عى) وذلك  
لتصامهم عن سماعه وتعاميمهم بغيرهم من الآيات قال قتادة عمواعن القرآن وصموا  
عنه وقال السدي عمت قلوبهم عنه والمعنى وهم عليه ذوعى ووصف بالمصدرا للمبالغة  
وقيل المعنى والقر عليهم عى أى ظلمة وشبهة قرأ الجمهور عى بفتح الميم منونة على انه مصدر  
وقرأ ابن عباس وعبد الله بن الزبير وعمر بن العاص وابن عمر بكسر الميم منونة على انه  
اسم منقوص على انه وصف به مجازا وقرئ بكسر الميم وفتح الياء على انه فعل ماض واختار  
أبو عبيدة القراءة الاولى (أولئك) أى الذين لا يؤمنون (ينادون من مكان بعيد) مثل  
حالهم باعتبار عدم فهمهم للقرآن بحال من ينادى من مسافة بعيدة لا يسمع من يناديه منها  
قال الفراء تقول للرجل الذى لا يفهم كلامك أنت تنادى من مكان بعيد ففيه استعارة  
تمثيلية وقال الضحالك ينادون يوم القيامة بأقبح اسماءهم من مكان بعيد وقال مجاهد من  
مكان بعيد من قلوبهم (واقدا تينا موسى الكتاب فاختلف فيه) كلام مستأنف يتضمن  
تسليية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما كان يحصل له من الاعتمام بكفر قومه  
وطعنهم في القرآن فأخبره ان هذه عادة قديمة في أمم الرسل غير مختصة بقومك فانهم  
يختلفون في الكتب المنزلة اليهم والمراد بالكتاب التوراة وضمير فيه راجع اليه وقيل يرجع  
الى موسى والاول أولى يعنى قال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك  
في كتابك فصدق به ومكذب (ولولا كلمة سبقت من ربك) في تأخير العذاب عن المكذبين  
بالقرآن من أممتك وامهالهم كما في قوله ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى (لقضى بينهم)  
بتجليل العذاب لمن كذب منهم قال قتادة أى سبق لهم من الله حين وأجل هم بالغوه وانهم  
لحق شك منه مريب) أى من كتابك المنزل عليك وهو القرآن ومعنى الشك المريب الموقع  
في الريبة والشديد الريبة وقيل ان المراد اليهود وانهم في شك من التوراة مريب والاول  
أولى (من عمل صالحا فلنفسه) أى من أطاع الله وآمن برسله ولم يكذبهم فتواب ذلك  
راجع اليه ونفعه خاص به (ومن أساء فعليها) أى عقاب أساءته عليه لا على غيره (وماربك  
بظلام للبعيد) فلا يعذب أحد الا بذنبه ولا يقع منه الظلم لأحد كما في قوله سبحانه ان الله

كنتم تأتوتنا عن اليمن قال من حيث نأمنكم وقوله تعالى قالوا بل لم تكونوا مؤمنين نقول القتادة من الجن والانس للاتباع  
ما الامر كما تزعمون بل كانت قلوبكم منكرة للايمان قابله للكفر والعصيان وما كان لنا عليكم من سلطان اى من جهة على صحة  
مادعونا كم اليه بل كنتم قوما طاغين أى بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق فلهذا استجبتم لنا وتركتكم الحق الذى جاء تكلم به الانبياء  
وأقاموا لكم الحجج على صحة ما جاؤكم به فخالفتموهم فخفق علينا قول ربنا انالذائقون فأغويناكم انا كناغواين يقول الكبراء  
للمستضعفين حقت علينا كلمة الله انا من الاشقياء الذائقين للعذاب يوم القيامة فأغويناكم أى دعوناكم الى الضلالة انا كناغواين

أى فدعونناكم الى ما نحن فيه فاستجبتم لنا قال الله تبارك وتعالى فانهم يومئذ في العذاب مشتركون أى الجميع في النار كل بحسبه  
 انا كذلك نفعل بالجحيم انهم كانوا أى في الدار الدنيا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون أى يستكبرون ان يقولوها كما يقولها  
 المؤمنون قال ابن ابي حاتم حدثنا سعيد الله بن ابي حاتم وهو بحدثنا عن ابن مسافر يعنى عبد الرحمن بن خالد عن  
 ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس  
 حتى يقولوا لا اله الا الله فن قال لا اله الا (٢٤٨) الله فقد عصم منى ماله ونفسه الابحقة وحسابه على الله عز وجل

وأرسل الله تعالى في كتابه وذكركوما  
 استكبروا فقال تعالى انهم كانوا اذا  
 قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون  
 وقال ابن ابي حاتم أيضا حدثنا ابي  
 حدثنا أبو سلمة موسى بن اسمعيل  
 حدثنا جاد عن سعيد الجريري  
 عن ابي العلاء قال يوثق باليهود يوم  
 القيامة فيقال لهم ما كنتم تعبدون  
 فيقولون الله وعزير فيقال لهم  
 خذوا ذات الشمال ثم يوثق بالنصارى  
 فيقال لهم ما كنتم تعبدون فيقولون  
 نعبد الله والمسيح فيقال لهم خذوا  
 ذات الشمال ثم يوثق بالمشركين  
 فيقال لهم لا اله الا الله فيستكبرون  
 ثم يقال لهم لا اله الا الله فيستكبرون  
 ثم يقال لهم لا اله الا الله فيستكبرون  
 فيقال لهم خذوا ذات الشمال  
 قال أبو نصره فينطلقون أسرع  
 من الطير قال أبو العلاء ثم يوثق  
 بالمسلمين فيقال لهم ما كنتم تعبدون  
 فيقولون كنا نعبد الله تعالى فيقال  
 لهم هل تعرفونه اذا رأيتوه فيقولون  
 نعم فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم  
 تروه فيقولون نعم انه لا عدل له  
 قال فيتعرف لهم تبارك وتعالى  
 وتقدس وينجي الله المؤمنين

لا يظلم الناس شيئا وظلام صيغة نسب كتمار وبقال وخباز لا صيغة مبالغة وهذا التقرير  
 أحسن من غيره وقال الكرخي ليس بذي ظلم أشار به الى ان ظلام ليس على بابه وقد تقدم  
 الكلام على معنى هذه الآية في سورة آل عمران عند قوله وان الله ليس بظلام للعبيد وفي  
 سورة الانفال أيضا ثم أخبر سبحانه ان علم القيامة ووقت قيامها لا يعلمه غيره فقال (اليه  
 يرد علم الساعة) أى علم سؤال الساعة أى السؤال عنها أى علم جواب هذا السؤال فاذا  
 وقع السؤال عنها وجب على المسؤل ان يرد عليها اليه لا الى غيره وأخذ الحصر من تقديم  
 المعمول وقد روى ان المشركين قالوا يا محمد ان كنت نبيا فخير نامتى تقوم الساعة فنزلت هذه  
 الآية (وما تخرج من غرات من أكامها) ما نافية ومن الاولى للاستعراق والثانية لابتداء  
 الغاية وقيل ما موصولة في محل جر عطف على الساعة أى علم الساعة وعلم التي تخرج  
 والاول أولى والا كجم جمع كم بكسر الكاف وهو وعاء الثمرة ويطلق على كل ظرف لمال أو  
 غيره قال أبو عبيدة أكامها أو عمتها وهى ما كانت فيه الثمرة واحدها كم وكمة قال الراغب  
 الكم ما يغطى اليد من القميص وما يغطى الثمرة وجمعه أكام وهذا يدل على ان الكم يضم  
 الكاف لانه جعله مشتركا بين كم القميص وكم الثمرة ولا خلاف في كم القميص انه بالضم  
 ويمكن أن يقال ان فى الكم الذى هو وعاء الثمرتين قرأ الجمهور من غرة بالافراد على ارادة  
 الجنس وقرئ بالجمع للاختلاف فى أنواع الثمار قال قتادة من أكامها حين تطلع (وما  
 تحمل من أنثى) حمل فى بطنها (ولا تضع) ذلك الحمل (الابعلمه) أى علم الله سبحانه والاستثناء  
 مفرغ من أعم الاحوال أى ما يحدث شىء من خروج غرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع  
 فى حال من الاحوال ملابس الشىء من الاشياء الا كما نابعلم الله فاليه يرد علم الساعة كما يرد  
 اليه علم هذه الامور الحادثة وفيه دليل على ان أصحاب الكشف والكهان وأهل النجوم  
 لا يمكنهم القطع والحزم فى شىء مما يقولونه البتة وانما يتبع ادعاء ظن ضعيف أو وهم خفيف  
 قد لا يصيب وعلم الله هو العلم اليقين المقطوع به الذى لا يشركه فيه أحد (ويوم يناديهم)  
 أى ينادى الله سبحانه المشركين وذلك يوم القيامة فيقول لهم (أين شركائى) الذين كنتم  
 تزعمون انهم شركائى فى الدين من الاصنام وغيرها فادعوهم الآن فليشفعوا لكم  
 أو يدفعا عنكم العذاب وهذا على طريقة التكميمهم والتقريع لهم وأضافهم الى  
 نفسه على زعمهم الباطل والعامل فى يوم محذوف أى اذ كر (قالوا) أى يقولون فالماضى

ويقولون ائتنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون أى نحن نترك عبادة آلهتنا وآلهتنا ناعن قول هذا  
 الشاعر المجنون يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى تكذبا لهم ورد عليهم بل جاء بالحق يعنى رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم جاء بالحق فى جميع شرعة الله تعالى له من الاخبار والطلب وصدق المرسلين أى صدقهم فيما أخبروا عنه من الصفات  
 الحميدة والمناهج السديدة وأخبر عن الله تعالى فى شرعه وأمره كما أخبروا ما يقال للامم اذ قيل للرسول من قبلك الآية  
 (انكم لذائقوا العذاب الالم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الاعباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم فواكوهم مكرمون

بمعنى

في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لافيهما غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون) يقول تعالى مخاطبا للناس انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى والعصران الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال عز وجل لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال تعالى وان منكم الاواردها كان على ربك حتما مقضيا ثم نجي الذين اتقوا ونذر (٢٤٩) الظالمين فيها جثيا وقال تعالى كل نفس بما

كسبت رهينة الا أصحاب اليمين ولهذا قال جل وعلا ههنا الاعباد الله المخلصين أي ليسوا يذوقون العذاب الاليم ولا يناقشون في الحساب بل يتجاوز عن سيئاتهم ان كان لهم سيئات ويحجزون الحسنات بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف الى أضعاف كثيرة الى ما يشاء الله تعالى من التضعيف وقوله جل وعلا ولئن لم يرزق معلوم قال قتادة والسدى يعني الجنة ثم فسره بقوله تعالى فواكه أي متنوعة وهم مكرمون أي يخدمون ويرفهنون وينعمون في جنات النعيم على سرر متقابلين قال مجاهد لا ينظر بعضهم الى قفا بعض وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبدك القزويني حدثنا حسان بن حسان حدثنا ابراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا ابراهيم القرشي عن سعيده بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل هذه الآية على سرر متقابلين ينظر بعضهم الى بعض حديث غريب وقوله

بمعنى المضارع (آذناك) أي أعلمناك قاله ابن عباس يقال آذن يؤذن إذا علم أي أعلمناك وقيل أخبرناك قال النسفي وهو الاظهر اذا لله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم محال انما الاخبار للعالم بالشيء يتحقق بما علم به الا ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا الا اننا لانشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه انتهى ( ما مننا من شهيد) يشهد بأن لك شريكا وذلك انهم لما عاينوا القيامة تبرؤا من الشركاء وتبرأت منهم تلك الاصنام التي كانوا يعبدونها وقيل ان القائل بهذا هي المعبودات التي كانوا يعبدونها أي ما مننا من شهيد يشهد لهم بأنهم كانوا محقين والاول أولى (رضل عنهم) أي غاب وزال وبطل في الآخرة (ما كانوا يدعون من قبل) في الدنيا من الاصنام وشيوخها (وظنوا مالهم من محيص) أي أيقنوا وعلموا انه لا مهرب لهم من العذاب يقال حاص يحمص حيصا اذا هرب وقيل الظن على معناه الحقيقي لانه بقي لهم في تلك الحال ظن ورجاء والاول أولى ثم ذكر سبحانه بعض أحوال الانسان فقال (لا يسأل الانسان من دعاء الخير) أي لا يعمل من دعاء الخير لنفسه وجلبه اليه ولا يزال يسأل ربه المال والخير هنا المال والصحة والسلطان والرفعة قال السدي والانسان هنا رادبه الكافر وقيل الوليد بن المغيرة وقيل عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأممية بن خلف والاولى حمل الآية على العموم باعتبار الغالب فلا ينافيه خروج خالص العباد وقرأ ابن مسعود من دعاء المال (وان مسه الشر) أي البلاء والشدة والفقر والمرض (فيؤس) من روح (قنوط) من رجته واليأس من صفة القلب وهو قطع الرجاء والقنوط اظهار آثاره على ظاهر البدن وصنيع المحلى يقتضى ترادفهما وبه قال بعضهم فالجمع بينهما التأكيد وقيل يؤس من اجابة دعائه قنوط بسوء الظن بربه وقيل يؤس من زوال ما به من المكروه قنوط بما يحصل له من ظن دوامه وهما صيغتا مبالغة تدلان على انه شديد اليأس عظيم القنوط ويوغل فيه من طريقين من طريق بناء فعول كما أشرنا ومن طريق التكرير مع ما في القنوط من ظهور أثر اليأس لان القنوط ان يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون (ولئن) لام قسم (أذقناه رجعة منا من بعد ضراء مسته) أي ولئن آتيناها خيرا وعافية وغنى من بعد شدة ومرض وفقر (ليقولن) جواب القسم وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم

(٣٢ فتح البيان ثامن) تعالى يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لافيهما غول ولا هم عنها ينزفون كما قال عز وجل في الآية الاخرى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون نزه الله سبحانه وتعالى خيرا الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن وهو الغول وذهابها بالعقل جله فقال تعالى ههنا يطاف عليهم بكأس من معين أي بخمر من أنهار جارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغها قال مالك عن زيد بن أسلم خرجارية بيضاء أي لونها مشرق حسن بهي لا تخمر الدنيا في منظرها البشع الردي من حجرة أو سواد أو اصفراراً وكدورة الى غير ذلك مما

ينقر الطبع السليم وقوله عز وجل لذة للشاربين أى طعمها طيب كلونها وطيب الطعم دليل على طيب الریح بخلاف خمر الدنيا  
جميع ذلك وقوله تعالى لافها غول يعنى لا تؤثر فيهم غولا وهو وجع البطن قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة وابن زيد  
كأيفعه خمر الدنيا من القولنج ونحوه لكثرة ما ثبتها وقيل المراد بالغول ههنا صداع الرأس وروى هكذا عن ابن عباس رضى الله  
عنهما وقال قتادة هو صداع الرأس ووجع البطن وعنه وعن السدى لا تغتال عقولهم كما قال الشاعر

فازالت الكأس تغتالنا وتذهب بالآثر الاول (٢٥٠) وقال سعيدين جبيرا لا مكروه فيها ولا أذى والصحيح

قول مجاهد انه وجع البطن  
وقوله تعالى ولا هم عنها ينزفون  
قال مجاهد لا تذهب عقولهم  
وكذا قال ابن عباس ومحمد بن  
كعب والحسن وعطاء بن أبى مسلم  
الخراسانى والسدى وغيرهم  
وقال الضحاك عن ابن عباس فى  
الخمر أربع خصال السكر والصداع  
والقيء والبول فذكر الله تعالى خمر  
الجنة فنزهها عن هذه الخصال  
كما ذكر فى سورة الصافات وقوله تعالى  
وعندهم قاصرات الطرف أى  
عفيفات لا ينظرن الى غير أزواجهن  
كذا قال ابن عباس رضى الله عنهما  
ومجاهد وزيد بن أسلم وقتادة  
والسدى وغيرهم وقوله تبارك  
وتعالى عين أى حسان الاعين  
وقيل ضخام الاعين وهو يرجع  
الى الاول وهى النجلاء العيناء  
فوصف عيونهن بالحسن والعفة  
كقول زليخا فى يوسف عليه الصلاة  
والسلام حين جلته وأخرجته على  
تلك النسوة فأعظمته وأكبرته  
وظنت انه ملائكة الحسن  
وبها منظره قالت فذلكن الذى  
لمتنى فيه ولقد راودته عن نفسه

مسده (هذائى) أى هذائى أستحقه على الله لرضاه بعملى فظن ان تلك النعمة التى صار  
فيها وصلت اليه باستحقاقه لها ولم يعلم ان الله يبذل عباده بالخير والشر ليتبين له الشاكر من  
الجاحد والصابر من الجزع قال مجاهد معناه هذا يعملى وأما محقوق به أو هذا الى دائما  
لا يزول (وما أظن الساعة قائمة) أى ما أظنها تقوم كما يخبرنا بها الانبياء أو لست على يقين  
من البعث وهذا خاص بالكافرين والمنافقين فيكون المراد بالانسان المذكور فى صدر  
الآية الجنس باعتبار غائب أفراده لان اليأس من رحمة الله والقنوط من خيره والشك فى  
البعث لا يكون الا من الكافرين أو المترزئين فى الدين المتظهريين بالاسلام المبطنين  
للكفر (ولئن) لام قسم (رجعت الى ربى) على تقدير صدق ما يخبرنا به الانبياء من قيام  
الساعة وحصول البعث والنشور (ان لى عنده للحسنى) جواب القسم لسبقه لشرط اى  
للحالة الحسنى من النعمة والكرامة فظن انه استحق خير الدنيا بما فيه من الخير واستحق خير  
الآخرة بذلك الذى اعتقده فى نفسه وأثبتها لها وهو اعتقاد باطل وظن فاسد وقد تضمن  
الكلام مبالغات حيث أكد بالقسم وان وتقديم الطرفين والعدول الى صيغة التفضيل  
اذ الحسنى تأنيث الاحسن (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) أى تخبرنهم به يوم القيامة  
وهذا جواب لقول الكافر ولئن رجعت الى آخرة أى ليس الامر كما يزعم وانما العقاب  
الشديد كما قال (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) بسبب ذنوبهم واللام هذه التى قبلها هى  
الموطئة للقسم (واذا أنعمنا على الانسان) أى على هذا الجنس من حيث هو باعتبار  
غالب أفراده (أعرض) عن الشكر (ونأى بجانبه) أى ترفع عن الانقياد للحق وتكبر وتجبر  
وثنى عطفه متجبرا كناية عن الاعراض وقيل المحرف عنه أو ذهب بنفسه وتباعد عنه  
بكيسه تكبرا والجانب هنا مجاز عن النفس ونأى بمعنى بعد يقال نأيت وتنايت أى بعدت  
وتباعدت والمنأى الموضع البعيد وقرئ نأى بالالف قبل الهمزة (واذا مسه الشر) أى  
البلاء والجهد والفقر والمرض (فذو) أى فهو ذو (دعاء عرض) أى كثير والعرب تستعمل  
العرض والطول فى الكثرة مجازا يقال أطل فلان فى الكلام وأعرض فى الدعاء اذا أكثر  
فهو مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرة فان العريض يكون ذا أجزاء كثيرة  
والاستعارة تخيلية شبه الدعاء بما يوصف بالامتداد ثم أثبت له العرض قاله الكرخى

فاستعصم أى هو مع هذا الجمال عفيف تقي نقي وهكذا الخور العين خيرات حسان ولهذا قال عز وجل  
وعندهم قاصرات الطرف عين وقوله جل جلاله كأنهن ييض مكنون وصفهن بترافعة الابدان بأحسن الالوان قال علي بن أبى  
طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما كأنهن ييض مكنون يقول اللؤلؤ المكنون وينشده ههنا بيت أبى ذهيل الشاعر وهو قوله  
فى قصيدة له

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون



وقال الحسن كأنهن بيض مكنون يعني محصون لم تمسه الايدي وقال السدي البيض في عشه مكنون وقال سعيد بن جبير كأنهن بيض مكنون يعني بطن البيض وقال عطاء الخراساني هو السحما الذي يكون بين قشرة العلياء ولباب البيضة وقال السدي كأنهن بيض مكنون يقول بيض البيض حين ينزع قشره واختاره ابن جرير لقوله مكنون قال والقشرة العلياء يسما جناح الطية والعش وتماها الايدي بخلاف داخلها والله أعلم وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثنا محمد بن الفرج الصديقي الديلماطي عن عمرو بن هاشم عن ابن أبي كريمة عن هشام عن (٢٥١) الحسن عن أمه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت

قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل حور عين قال العين ضحائم العيون شفراء حوراء مثل جناح النسر قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل كأنهن بيض مكنون قال رقتهم من كرقعة الجلدة التي رأسها في داخل البيضة التي تلي القشر وهي الفرق وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا أبو عسان النهدي حدثنا عبد السلام بن جندب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيئهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا حزنوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا والواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على الله عز وجل ولا نخر يطوف على آف خادم كأنهن البيض المكنون أو اللؤلؤ المكنون والله تعالى أعلم بالصواب (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئنث لمن المصدقين أئنثنا وكأترابا وعظاما أئنث المدينون قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآني سواء

والطول أطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فحافظك بطوله أفاده أبو السعود والمعنى انه اذا مسه الشتر تضرع الى الله واستغاث به ان يكشف عنه ما نزل به واستكثر من ذلك فذ كره في الشدة ونسبه في الرخاء واستغاث به عند نزول النقمة وتركه عند حصول النعمة وهذا صنيع الكافرين ومن كان غير ثابت القدم من المسلمين قال الشهاب فان قلت كونه يدعود عا طويلا عبر بياضه في وصفه قبل هـ ذابا أنه يؤس قنوط لان الدعاء فرغ الطمع والرجاء وقد اعتبر في القنوط ظهوراً ثياباً فظهوراً ثياباً فظهوراً ثياباً فقلت يمكن دفع المنافة بجملة على عدم اتحاد الاوقات والاحوال انتهى أو اعمل هذا شأن بعض غير البعض الذي حكي عنه اليأس والقنوط أو شأن الكل في بعض الاوقات ذكره أبو السعود ثم رجع سبحانه الى مخاطبة الكفار ومحاجتهم فقال (قل أرايتم) أي أخبروني عن حالكم العجيبة واستعمال أرايتم بمعنى الاخبار مجازاً ووجه المجاز انه لما كان العلم بالشيء سبباً للاخبار عنه أو الابصار به طريقاً الى الاحاطة به علماً والى صحة الاخبار عنه استعملت الصيغة التي لطلب العلم أو لطلب الابصار في طلب الخبر لا شرا كهما في الطلب فقيه مجازان استعمال رأى التي بمعنى علم أو أبصر في الاخبار واستعمال الهمزة التي هي لطلب الرؤية في طلب الاخبار قاله الشهاب (ان كان) القرآن (من عند الله) كما قلت (ثم كفرتم به) أي كذبتم به ولم تقبلوه ولا عملتم بحافيه (من أضل ممن هو في شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق أي لأحد أضل منكم لفرط شقاوتكم وشدة عداوتكم والاصل أي شيء أضل منكم فوضع من هو في شقاق موضع الضمير لبيان حالهم في المشاققة وانها السبب الاعظم في ضلالهم (سنريهم آياتنا) أي دلالات صدق القرآن وعلامات كونه من عند الله (في الآفاق) جمع أفق يضم الهمزة والفاء كذا قال أهل اللغة كأعناق وعنق وهو الناحية ونقل الراغب انه يقال أفق يفقهما كجبل وأجبال والمعنى سنريهم آياتنا في النواحي على ما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له وخلقائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وقال القرطبي أي علامات وحدانيتنا وقدرتنا في الآفاق يعني خراب منازل الأمم الماضية وربوع القرون الخالية (وفي أنفسهم) قال ابن زيد في الآفاق آيات السماء

الحكيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين أتفانن عيتمين الاموتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فيعمل العاملون) يخبر تعالى عن أهل الجنة انه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون أي عن احوالهم وكيف كانوا في الدنيا وماذا كانوا يفعلون فيها وذلك من حديثهم على شرايبهم واجتماعهم في تناديهم ومعاشرتهم في مجالسهم وهم جلوس على السرور والخدم بين أيديهم يسعون ويحبون بكل خير عظيم من ما كل ومشارب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قائل منهم اني كان لي قرين قال مجاهد يعني شيطاناً وقال العوفي عن ابن عباس رضي

الله عنهم - ما هو الرجل المشرك يكون له صاحب من أهل الايمان في الدنيا ولا تنافي بين كلام مجاهد وابن عباس رضي الله عنهم ما قال الشيطان يكون من الجن فيسوس في النفس ويكون من الانس فيقول كلاما تسمعه الاذن وكلاهما يتعاونان قال الله تعالى يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وكل منهم - ما يسوس كما قال الله عز وجل من شر الوسواس الخناس الذي يسوس في صدور الناس من الجنة والناس ولهذا قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أنتك لمن المصدقين أى أنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء يعنى يقول ذلك على وجهه (٢٥٢) التعجب والتكذيب والاستبعاد والكفر والعناد أندا متناوكتا

ترابا وعظما أتنا لمدينون قال مجاهد والسدى لمخاسبون وقال ابن عباس رضي الله عنهم - ما ومحمد ابن كعب القرظى لمجزون بأعمالنا وكلاهما صحيح قال تعالى هل أنتم مطلعون أى مشرفون يقول المؤمن لاصحابه وجلسائه من أهل الجنة فاطلع فراه في سواء الجحيم قال ابن عباس رضي الله عنهم - ما وسعيد بن جبيرة وخليد العصري وقادة والسدى وعطاء الخراساني يعنى في وسط الجحيم وقال الحسن البصرى في وسط الجحيم كأنه شهاب يتقد وقال قتادة ذكركنا انه اطلع فرأى جماجم القوم تغلى وذكركنا ان كعب الاحبار قال في الجنة كوى اذا أراد أحد من أهلها ان ينظر الى عدوه في النار اطلع فيها فازداد شكرا قال تالله ان كدت لتردين يقول المؤمن مخاطبا للكافر والله ان كدت لتهلكنى لو أظعتك ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين أى ولولا فضل الله على لكنت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت محضر معك في العذاب ولكنه تفضل على ورحنى فهدانى للإيمان وأرشدنى

وفي أنفسهم حوادث الارض وقال مجاهد في الآفاق فتح القرى التي يسر الله فتحها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وللخلفاء من بعده وأنصاره في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي ناحية المغرب خصوصا من الفتوح التي لم تيسر مثلها الا حد من خلفاء الارض قبلهم أو من الظهور على الجبارة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعفائهم على أقويائهم واجرائه على أيديهم أمور خارجة عن المعهود خارقة للعادات وفي أنفسهم فتح مكة ورحم هذا ابن جرير واختاره المنهال بن عمرو والسدى وقال قتادة والضحاك في الآفاق وقائع الله في الامم وفي أنفسهم - هم في يوم بدر وقال عطاء في الآفاق يعنى أقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والامطار والعدو والبرق والصواعق والنبات والاشجار والحيوان والجمادى وغير ذلك وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى في سبيل الغائط والبول فان الرجل يأكل ويشرب من مكان واحد ويتبر ذلك خارجا من مكانين وحتى في عذبه اللتين ينظرهم - ما من الارض الى السماء مسيرة خمسمائة عام وفي آذنيه اللتين ينرقبهما بين الاصوات المختلفة وغير ذلك من بديع حكمة الله تعالى فيه فان قيل قوله سترهم الخ يقتضى انه الى الآن ما أطلعهم على تلك الآيات وسيطلعهم عليها بعد ذلك مع ان الآيات المذكورة قد اطلعوا عليها وهى منهم نصب العين والجواب ان المراد على هذا سترهم أسرار آياتنا الخ فالآيات وان اطلعوا عليها بالفعل لكن سرها وحكمتها لم يطلعوا عليه قاله الكرخى وعن ابن جرير في الآية قال أمسك المطر عن الارض كلها وفي أنفسهم قال البلايا التي تكون في أجسامهم وقال ابن عباس كانوا يسافرون فيرون آثار عاد وغود فقولون والله لقد صدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما أراهم في أنفسهم قال الامراض وقيل في كونهم نطفة الى غير ذلك من انتقال أحوالهم كما تقدم في سورة المؤمنين بيانه (حتى يتبين لهم أنه الحق) الضمير راجع الى القرآن وقيل الى الاسلام الذي جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الى ما يريهم الله ويفعل من ذلك وقيل الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه الرسول الحق من عند الله والاولى وقد حرف الوجودية هذه الآية الكريمة بجملة اعلى اتحاد الخلق والخالق تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا (أو لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد) الجملة مستأنفة لتوبيخهم وتقرير بعهم على ترددهم في شأن

الى توحيدهم وما كانوا يتهدى لولا ان هدانا الله وقوله تعالى انما نحن بميتين الاموتنا الاولى وما نحن بمعذبين هذا من كلام المؤمن مغبطا نفسه بما أعطاه الله تعالى من الخلد في الجنة والاقامة في دار الكرامة بلاموت فيها ولا عذاب ولهذا قال عز وجل ان هذا هو الفوز العظيم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهراني - حدثنا حفص بن عمر العدنى حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال قال ابن عباس رضي الله عنهم ما في قول الله تبارك وتعالى لاهل الجنة كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون قال ابن عباس رضي الله عنهم ما قوله عز وجل هنيئا أى لا يموتون فيها فعندها قالوا انما نحن بميتين الاموتنا

القرآن

الاولى وما نحن بمعدين وقال الحسن البصرى علما وان كل نعيم فان الموت يقطعه فقالوا فما نحن بميتين الاموتتنا الاولى وما نحن بمعدين قيل لا قالوا ان هذا هو النور العظيم وقوله جل جلاله لمثل هذا فيعمل العاملون قال قتادة هذا من كلام اهل الجنة وقال ابن جرير هو من كلام الله تعالى ومعناه لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون في الدنيا ليصيروا اليه في الآخرة وقد ذكر واقصة رجلين كانا شريرين في بنى اسرائيل تدخل في ضمن عوم هذه الآية الكريمة قال أبو جعفر ابن جرير حدثني اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد حدثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن فرات بن (٢٥٣) ثعلبة النهراى فى قوله انى كان لى قرين

قال ان رجلين كانا شريرين فاجتمع لهما ثمانمائة الف دينار وكان أحدهما له حرفة والآخر ليس له حرفة فقال الذى له حرفة للآخر ليس عندك حرفة ما أراى الا مفارقك ومقامك فقامه وفارقه ثم ان الرجل اشترى دارا بألف دينار كانت لملك مات فدعا صاحبه فأراه فقال كيف ترى هذه الدار استعتما بألف دينار قال ما أحسنها فلما خرج قال اللهم ان ما حبي هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار وانى أسألك دارا من دور الجنة فتصدق بألف دينار ثم مكث ماشاء الله تعالى ان يمكث ثم انه تزوج بامرأة بألف دينار فدعاها ووضع له طعاما فلما أتاه قال انى تزوجت هذه المرأة بألف دينار قال ما أحسن هذا فلما انصرف قال يارب ان صاحبي تزوج امرأة بألف دينار وانى أسألك امرأته من الخور العين فتصدق بألف دينار ثم انه مكث ماشاء الله تعالى ان يمكث ثم اشترى بستانيين بألف دينار ثم دعاه فأراه فقال انى ابتعت هذين البستانيين بألف دينار فقال ما أحسن هذا فلما خرج قال يارب ان صاحبي قد

القرآن وعنادهم الموحج الى ايراد الآيات وعدم اكنفائهم باخباره تعالى والمعنى أولم بغنهم ولم يكفهم عن الآيات الموعودة بالمدينة لحقيقة القرآن انه سبحانه شهيد على جميع الاشياء وقيل المعنى أولم يكف بربك يا محمد انه شاهد على أعمال الكفار والباة زائدة وهذا هو الراجح وقيل أولم يكف بربك شاهد على أن القرآن منزل من عنده والشهيد بمعنى العالم وهو بمعنى الشهادة التى هى الحضور قال الزجاج ومعنى الكفاية ههنا ان الله عز وجل قد بين لهم ما فيه كفاية فى الدلالة والمعنى أولم يكف بربك انه على كل شى شهيد شاهد للاشياء لا يغيب عنه شى ما (الانهم فى مربة من لقاء ربهم) أى فى شك من البعث والحساب والثواب والعقاب (الانه) تعالى (بكل شى محيط) أحاط علمه بجميع المعلومات وأحاطت قدرته بجميع المتدورات يقال أحاط بحيط أحاطة وحيطة وفى هذا وعيد شديد لان من أحاط بكل شى لا يخفى عليه شى عازى المحسن باحسانه والمسئى باساءته

\*سورة الشورى وتسمى سورة حم عسق وسورة شورى من غير ألف ولام وسورة حم سق (١) وهى ثلاث وخسون آية\*

وهى مكية كلها قاله ابن عباس وابن الزبير وكذا قال الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وروى عن ابن عباس وقتادة انها مكية الأربعة آيات منها نزلت بالمدينة قل لا أسألكم عليه أجر الا المودة فى القربى الى آخرها وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم ونعيم بن حماد والخطيب عن اربعة من المنذر حديثا طويلا فى نفسه يرحم عسق وهو حديث لا يصح ولا يثبت وما أظنه الامن الموضوعات المكذوبات والحامل لو اضعه عليه ما يقع لكثير من الناس من عداوة الدول والخط من شأنهم والازراء عليهم وكذا ما أخرجه أبو يعلى وابن عساکر عن أبي معاوية قال السيموطى بسند ضعيف وقلت بل بسند موضوع ومتن مكذوب وقد قال ابن كثير فى الحديث الاول انه غريب بعبج منكر وفى الثانى انه غريب من الاول وعندى انها موضوعان مكذوبان

(بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق) قد تقدم الكلام فى امثال هذه الفوائج قال عبد المؤمن سألت الحسن (٢) بن الفضل لم قطع حم من عسق ولم يقطع كهيص فقال لانها بين سوراً ولها حم فخرت جرى نظارها قبلها وبعدها فكان حم مبتدأ وعسق خبره ولانها

اشترى بستانيين بألف دينار وأنا سألت بستانيين فى الجنة فتصدق بألف دينار ثم ان الملائكة أتاهما فتوقفاهما ثم انطلق بهما المتصدق فادخله دارا يتجبه واذا بامرأة تطلع بضى ما تحتها من حسناتها ثم أدخله بستانيا وشيا الله به علم فقال عند ذلك ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا قال فانه ذاك ولول هذا المنزل والبستانيان والمرأة فانه كان لى صاحب يقول انك لمن المصدقين قيل له فانه فى الجحيم قال هل أنت مطلعون فاطلع فرآه فى سواء الجحيم فقال عند ذلك تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين الآيات قال ابن جرير وهذا يقوى قراءة من قرأ انك لمن المصدقين بالتشديد وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عمر بن (١) قوله حم سق كذا بالاصل وانظر وحرر (٢) وفى نسخة حسين بن الفضل اه منه

عبد الرحمن الابار أخبرنا أبو حفص قال سألت اسمعيل السدي عن هذه الآية قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أنتك لمن  
 المصدقين قال فقال لي ما ذكرك هذا قلت قرأتها أتفا فاحيت أن أسألك عنه فقال أما فاحفظ كان شريكاً في بني اسرائيل  
 أحدهما مؤمن والآخر كافر فافتقر فاعلى ستة آلاف دينار لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار فكمنا ما شاء الله تعالى ان يكفنا  
 التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت في مالك أضربت به شيئاً تجرت به في شيء فقال له المؤمن لا فاصنعت انت فقال اشتريت به ارضاً  
 ونخلًا وعماراً وأهراً بالف دينار قال فقال (٢٥٤) له المؤمن او فعلت قال نعم قال فرجع المؤمن حتى اذا كان الليل صلى ماشاء

الله تعالى أن يصلي فلما انصرف اخذ  
 القديس ثار فوضعهما بين يديه ثم قال  
 اللهم ان فلان يا معني شريكك الكافر  
 اشترى ارضاً ونخلًا وعماراً واهراً  
 بالف دينار ثم يموت غداً ويتركها  
 اللهم اني اشتريت منك بهذه الالف  
 دينار ارضاً ونخلًا وعماراً واهراً في  
 الجنة قال ثم أصبح فقسمها في  
 المساكين قال ثم كفا ماشاء الله  
 تعالى ان يكفنا ثم التقيا فقال الكافر  
 للمؤمن ما صنعت في مالك أضربت  
 به في شيء تجرت به في شيء قال لا قال  
 فاصنعت أنت قال كان ضيعتي قد  
 اشتد علي مؤنتها فاشتريت رقيقاً  
 بالف دينار يقومون لي فيها وبعملون  
 لي فيها فقال له المؤمن ان او فعلت  
 قال نعم قال فرجع المؤمن حتى  
 اذا كان الليل صلى ماشاء الله  
 تعالى ان يصلي فلما انصرف اخذ  
 ألف دينار فوضعهما بين يديه ثم قال  
 اللهم ان فلان يا معني شريكك الكافر  
 اشترى رقيقاً من رقيق الدنيا بالف  
 دينار يموت غداً فيتركهم او يموتون  
 فيموت كونه اللهم واني اشترى منك  
 بهذه الالف الدينار رقيقاً في الجنة  
 قال ثم أصبح فقسمها في المساكين  
 قال ثم كفا ماشاء الله تعالى ان يكفنا

عدتا آيتين وعدت اخواتهما مثل كهيعصر والمر والمصرية واحدة وقيل ان الحروف  
 المعجمة كلها في المعنى واحدة من حيث انها أس البیان وقاعدة الكلام ذكره الجرجاني  
 وقيل لان اهل التأويل لم يختلفوا في كهيعصر واخواتها الحروف التهججي لا غير  
 واختلفوا في حم فقيل معناها حم أي قضى ما هو كائن ففصلوا بين ما يقدر في فعل وبين  
 ما لا يقدر وقيل ان ح حمه ومحمده ومع علمه وس سناؤه وق قدره أقسم الله بها  
 وقيل هما اسمان للسورة وقيل اسم واحد لها وقيل غير ذلك مما هو مستكف ومتعسف لم  
 يدل عليه دليل ولا جاءت به حجة ولا شبهة وقد ذكرنا قبل هذا ما روي في ذلك مما لا اصل له  
 والحق ما قدمناه لك في فاتحة سورة البقرة (كذلك) كلام مستأنف غير متعلق بما قبله أي  
 مثل ذلك الايحاء الذي أوحى الى سائر الرسل من كتب الله المتنزلة عليهم المشتملة على الدعوة  
 الى التوحيد والنبوة والبعث وهذا هو وجه المشابهة (يوحى اليك) يا محمد في هذه السورة  
 وقيل ان حم عسق أوحيت الى من قبله من الانبياء فتكون الاشارة بقوله كذلك اليها  
 والاول اولى (والى الذين من قبلك) اى الى الرسل (الله) كانه قيل من يوحى فقال الله  
 (العزيز) في ملكه الغالب بتهوره (الحكيم) بصنعه المصيب في قوله وفعله (له ما في السموات  
 وما في الارض) ذكر سبحانه لنفسه هذا الوصف وهو ملك جميع ما فيه ما دلالاته على كمال  
 قدرته وتوذكروا تصرفه في جميع مخلوقاته (وهو العلي) ذاته وشأنه على خلقه (العظيم) الكبير  
 مكانه وبرهانه (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) قرأ الجهور تكاد بالفوقية وكذلك  
 تنظرن قرؤه بالفوقية مع تشديد الطاء وقرأ نافع والكسائي وابن وثاب يكاد يتفطرن  
 بالتحسية فيهما وقرأ أبو عمرو والمفضل وأبو بكر وأبو عبيد يتفطرن بالنون من الانفطار كقوله  
 تعالى اذا السماء انفطرت والتفطر التشقق قال الضحالة والسدي يتفطرن يتشققن من  
 عظمة الله وجلاله وقيل المعنى يكاد كل واحدة منها ينظر فوق التيها من قول  
 المشركين اتخذ الله ولداً وقيل معنى من فوقهن من فوق الارضين والاول اولى وقيل  
 يتشققن لكثرة ما على السموات من الملائكة وقيل يكدن يتفطرن من علوشان الله  
 وعظمته ويدل مجيئه بعد قوله العلي العظيم ومن لا يتسدا الغاية أي يتسدى التفطر من  
 جهة النوق وقال الاخفش الصغيران الضمير يعود الى جماعات الكفار أي من فوقهم  
 وهو يعيد جداد وجهه تخصيص جهة النوق انها أقرب الى الآيات العظيمة والمصنوعات

ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت في مالك أضربت به في شيء تجرت به في شيء قال لا فاصنعت أنت قال  
 الباهرة  
 كان امرى كله قد تم الاشياء واحدا فلانة قد مات عنها زوجها فاصدقتها ألف دينار فجاءتني بها ومثلها معها فقال له المؤمن او فعلت  
 قال نعم قال فرجع المؤمن حتى اذا كان الليل صلى ماشاء الله تعالى ان يصلي فلما انصرف اخذ الالف الدينار الباقية فوضعهما بين يديه  
 وقال اللهم ان فلان يا معني شريكك الكافر تزوج زوجة من أزواج الدنيا بالف دينار فيموت غداً فيتركها وتوت غداً فتركه اللهم واني  
 أخطب اليك بهذه الالف الدينار حوراء عينا في الجنة قال ثم أصبح فقسمها بين المساكين قال فبقي المؤمن ليس عنده شيء قال

فليس قبصا من قطن وكسا من صوف ثم أخذهم اجعل على رقبته يعمل الشيء ويحفر الشيء بقوته قال فجاءه رجل فقال يا عبد الله أتوأجرني نفسك مشاهرة شهرا بشهر تقوم على دوابي تغلفها وتكس سرقيتها قال أفعل قال فواجره نفسه مشاهرة شهرا بشهر يقوم على دوابه قال وكان صاحب الدواب يغدو كل يوم ينظر الى دوابه فاذا رأى منها دابة ضامرة أخذ برأسه فوجأ عنقه ثم يقول له سرت شعير هذه البارحة قال فلما رأى المؤمن هذه الشدة قال لا تين شريك الكافر فلا عملن في أرضه فليطعمني هذه الكسرة يوما بيوم ويكسوني هذين الثوبين اذا بلينا قال فانطلق (٢٥٥) يريد به فانتهى الى بابيه وهو ممس فاذا قصر

مشيد في السماء واذا حوله البوابون فقال لهم استأذنوا لي على صاحب هذا القصر فانكم اذا فعلتم سره ذلك فقالوا له انطلق ان كنت صادقا فقم في ناحية فاذا أصبحت فتعرض له قال فانطلق المؤمن فالتقى نصف كسائه تحته ونصفه فوقه ثم نام فلما أصبح أتى شريكه فتعرض له فخرج شريكه الكافر وهو راكب فلما رآه عرفه فوقف عليه وسلم عليه وصاحفه ثم قال له ألم تأخذ من المال مثل ما أخذت قال بلى قال وهذه حالي وهذه حالك قال بلى قال أخبرني ما صنعت في مالك قال لا تسألني عنه قال فما جاء بك قال جئت أعمل في أرضك

هذه فتطعمني هذه الكسرة يوما بيوم وتكسوني هذين الثوبين اذا بلينا قال لا ولكن أصنع لك ما هو خير من هذا ولكن لا ترى مني خيرا حتى تخبرني ما صنعت في مالك قال أقرضته قال من قال المني الوفي قال من قال الله ربي قال وهو مصاحفه فانزع يده من يده ثم قال أتئت لمن المصدقين أتدامتنا وكأترابا وعظاما أتئالمدنيون قال السدي محاسبون قال فانطلق الكافر وتركه قال فلما رآه المؤمن وليس يلوي عليه رجع

البارحة أو على طريق المبالغة كأن كلمة الكفار مع كونها جاءت من جهة التخت أثرت في جهة الفوق فتأثيرها في جهة التخت بالاولى (والملائكة يسبحون بحمدهم) كلام مستأنف أي ينزهونه عما يليق به ولا يجوز عليه متلبسين بحمده وقيل ان التسبيح موضوع موضع التعجب أي يتعجبون من جرأة المشركين على الله وقيل المعنى يصلون بأمر ربهم قاله السدي (ويستغفرون) أي يشفعون (لمن في الارض) من عباد الله المؤمنين كما في قوله ويستغفرون للذين آمنوا أو يطلبون هدايتهم وقيل الاستغفار منهم بمعنى السعي فيما يدعي المغفرة لهم وتأخير عقوبتهم طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق فتكون الآية عامة كما هو ظاهر اللفظ غير خاصة بالمؤمنين وان كانوا داخلين فيها دخولا اوليا واليه ذهب البيضاوي بل ولو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع للمؤمنين بل الجاد قال الضحالي ان في الارض من المؤمنين وقال السدي بيانه في سورة المؤمنين ويستغفرون للذين آمنوا وعلى هذا يكون المراد بالملائكة هنا جلة العرش وقيل جميع الملائكة وهو الظاهر من قول الكلبي وقيل هو منسوخ بقوله ويستغفرون للذين آمنوا وقال المهدوي والصحيح انه ليس بمنسوخ لانه خبر وهو خاص بالمؤمنين وقال أبو الحسن بن الحصار ان جلة العرش مخصوصون بالاستغفار للمؤمنين والله ملائكة أخر يستغفرون لمن في الارض قال الماوردي وفي استغفارهم لهم قولان أحدهما من الذنوب والخطايا وهو ظاهر قول مقاتل والثاني انه طلب الرزق لهم والسعة عليهم قاله الكلبي وهو الاظهر لان من في الارض بمع الكافر وغيره وعلى قول مقاتل لا يدخل الكافر وقال مطرف وجدنا أنص عباد الله لعباد الله الملائكة وجدنا ناعش عباد الله لعباد الله الشياطين (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) أي كثير المغفرة والرحمة لاهل طاعته وأوليائه أو لجميع عباده فان تأخير عقوبة الكفار والعصاة نوع من أنواع مغفرته ورحمته (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أي أصناما يعبدونها وجعلوا له شركاء وانادا (الله حفيظ عليهم) أي يحفظ أعمالهم لا يغيب عنهم شئ ليجازيهم بها (وما أنت عليهم بوكيل) أي لم يؤكل بهم حتى تؤخذهم ولا وكل اليك هدايتهم وانما عليك البلاغ قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف (وكذلك) الايحاء البديع المبين المفهم (أو حينئذ اليك أي أنزلنا عليك (قرأ ناعريا) بلسان قومك لاليس فيه عليك ولا على قومك كما أرسلنا كل

وترك يعيشت المؤمن في شدة من الزمان ويعيش الكافر في رخاء من الزمان قال فاذا كان يوم القيامة وأدخل الله تعالى المؤمن الجنة يمر فاذا هو بأرض ونخل وثمار وانهار فيقول لمن هذا فيقال هذا لك فيقول يا سبحان الله أو بلغ من فضل عملي ان أناب بمثل هذا قال ثم يمر فاذا هو برقيق لا تحصي عدتهم فيقول لمن هذا فيقال هؤلاء لك فيقول يا سبحان الله أو بلغ من فضل عملي ان أناب بمثل هذا قال ثم يمر فاذا هو بقبة من ياقوته حمراء محفوفة فيها حورا عينا فيقول لمن هذه فيقال هذه لك فيقول يا سبحان الله أو بلغ من فضل عملي ان أناب بمثل هذا قال ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر فيقول اني كان لي قرين يقول أتئت لمن المصدقين أتدامتنا وكأترابا

وعظما أئمة المدينة قال فالجنة عالية والنارهاوية قال فبيرة الله تعالى شريكة في وسط الجحيم من بين أهل النار فاذا رآه المؤمن صرفه فيقول نالته ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين أفتأمن بميتين الاموتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم مثل هذا فعمل العاملون بمثل ما قدم عليه قال فيستدكر المؤمن ما تعلمه في الدنيا من الشدة لا يذكر مما صر عليه في الدنيا من الشدة أشد عليه من الموت (أذلك خير من لا أم شجرة الرقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلوعها كأنه رؤس الشياطين فانهم (٢٥٦) لا تكون منها لوز منها البطون ثم ان لهم عليها الشوبان من جحيم ثم

ان مرجعهم لالى الجحيم انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثامهم يهرعون) يقول الله تعالى أهذا الذي ذكره من نعيم الجنة وما فيه من ماكل ومشرب ومناكح وغير ذلك من الملاذخ ضيافة وعطاء أم شجرة الرقوم أى التى فى جهنم وقد قيل ان يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة كما قال بعضهم من أنها شجرة تمتد فروعها الى جميع محال جهنم كما ان شجرة طوبى ما من دار فى الجنة الا وفيها منها غصن وقد قيل ان يكون المراد بذلك جنس شجر يقال له الرقوم كقوله تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين يعنى الزيتون ويؤيد ذلك قوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لا تكون من شجر من رقوم وقوله عز وجل انا جعلناها فتنة للظالمين قال قتادة ذكرت شجرة الرقوم فافقت بها أهل الصلالة وقالوا صاحبكم ينسبكم ان فى النار شجرة والنار تأكل الشجر فانزل الله تعالى انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم غديت من النار ومنها خلقت وقال مجاهد انا جعلناها فتنة للظالمين

رسول بلسان قومه (استذرام القرى) أى مكة والمراد أهلها (ومن حولها) من الناس والمنعول الثانى محذوف أى لتذريهم العذاب (وتنذروهم الجمع) أى يوم الجمع وهو يوم القيامة لانه مجمع الخلائق وقيل المراد جمع الارواح بالاجساد وقيل جمع الظالم والمظلوم وقيل جمع العامل والعمل (لا ريب فيه) أى لا شك فيه والجملة معترضة مقرر لما قبلها أو حال من يوم الجمع (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) قرأ الجمهور برفع فريق فى الموضعين اما على انه مبتدأ وخبره الجار المجرور وساغ الابتداء بالنكرة لان المقام مقام تفصيل أو على ان الخبر مقدر قبله أى منهم فريق فى الجنة ومنهم فريق فى السعير وأنه خبر مبتدأ محذوف وهو خبر عائد الى انجوعين المدلول عليهم بذكر الجمع أى هم فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقرئ فريقا بالنصب فى الموضعين على الحال من جملة محذوفة أى افترقوا حال كونهم كذلك وأجاز القراء والكسائى النصب على تقدير لتنذروهم بقا وقد أخرج الترمذى وصححه وأحمد والنسائى وابن جرير وابن المنذروان مردويه عن عبد الله بن عمر وقال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى يده كتاب فقال أتدرون ما هذا الكتابان قلنا لا الا أن تحبنا يا رسول الله قال للذى فى يده النبي هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل الجنة وأسماء آباءهم وقبائلهم ثم أجعل على آخرهم فلا يزالون فيهم ولا ينقص منهم ثم قال للذى فى يده هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل النار وأسماء آباءهم وقبائلهم ثم أجعل على آخرهم فلا يزالون فيهم ولا ينقص منهم أبدا فقال أصحابه فقيم العمل يا رسول الله ان كان أمر قد فرغ منه فقال سدودا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وان عمل أى عمل صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وان عمل أى عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده فنبذهما ثم قال فرغ ربكم من العباد فريق فى الجنة وفريق فى السعير قال الترمذى بعد اخر احده هذا حديث حسن صحيح غريب وروى ابن جرير طر فامنه عن ابن عمر وموقوف عليه قال ابن جرير وهو هذا الموقوف أشبه بالصواب قلت بل المرفوع أشبه بالصواب فقد رفعه الثقة ورفعه زيادة ثابتة من وجه صحيح ويقوى الرفع ما أخرجه ابن مردويه عن البراء قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفى يده كتاب ينظر فيه قالوا انظروا اليه كئيف وهو أعمى لا يقرأ قال فعلمها (١) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل الجنة وأسماء قبائلهم لا يزالون فيهم

قال أبو جهل لعنه الله انما الرقوم القروى زبد أتزقه قلت ومعنى الآية انما اخبرناك يا محمد بشجرة الرقوم اختصارا ولا

نعتبره الناس من يصدق منهم من يكذب كقوله تبارك وتعالى وما جعلنا الرؤيا التى أرى نالك الا فتنة للناس والشجرة ملعونة فى القرآن ونحو فهم فياز يدهم الاطغيانا كبيرا وقوله تعالى انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم أى أصل منبتها فى قرار النار طلوعها كأنه رؤس الشياطين تبشيع لها وتكره لذكورها قال وهب بن منبه شعور الشياطين قائمة الى السماء وانما شبهها برؤس الشياطين وان لم تكن معروفة عند الخاطبين لانه قد استقر فى النفوس ان الشياطين فيجحة المنظر وقيل المراد بذلك ضرب من الحياة رؤسها (١) أى المقالة وهى المذكورة فى ضمن قالوا اه منه

بشعة المنظر وقيل جنس من السبان طلع في غاية الفعاشة وفي هذين الاحتمالين نظر وقد ذكرهما ابن جرير والاول أقوى وأولى والله أعلم وقوله تعالى فانهم لا يكون منها المثلون منها البطون ذكر تعالى انهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا تبسح منها ولا أقيح من منظرها مع ما هي عليه من سوء الطعم والريح والطبع فانهم لم يضطروا الى الاكل منها لانهم لا يحبون الاياها وما هو في معناها كما قال تعالى ليس لهم طعام الا من ضرب لا يمين ولا يبغي من جوع وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا شعبة عن الاعشى عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول (٢٥٧) الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية

اتقوا الله حق تقاته فلو ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ورواه الترمذى والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة وقال الترمذى حسن صحيح وقوله تعالى ثم ان لهم عليها شوبا من حميم قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني شرب الحميم على الزقوم وقال في رواية عنه شوبا من حميم من جامن حميم وقال غيره يعني يمزج لهم الحميم بصديد وغساق مما يسيل من فروجهم وعيونهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حمويه بن شريح الحضرمي حدثنا بقيق بن الوليد عن صفوان بن عمرو وأخبرني عبيد بن بشير عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول يقرب يعني الى أهل النار ماء فيستكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فيه فاذا اشربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رافع حدثنا يعقوب بن عبد الله عن جعفر وهشرون بن عنبسة عن

ولا ينقص منهم وقال فريق في الجنة وفريق في السعير فرغ ربكم من أعمال العباد (ولو شاء الله لجمعهم امعة واحدة) قال الضحاك أهل دين واحد اما على هدى واما على ضلالة ولكنهم اختلفوا على أديان مختلفة بالمشيئة الازلية وهو معنى قوله (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) أى في الدين الحق وهو الاسلام (والظالمون) أى المشركون (مالهم من ولى) يدفع عنهم العذاب (ولانصير) ينصرهم في ذلك المقام ومثل هذا قوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله ولو شئت لآتينا كل نفس هداها وهذا مقابله لقوله يدخل من يشاء في رحمته فكان مقتضى الظاهر أن يقال ويدخل من يشاء في غضبه لكن عدل عنه الى ما ذكره المبالغة في الوعيد فان نبي من يتولاهم وينصرهم أدل على ان كونهم في العذاب أمر معلوم مفروغ منه أفاده الكرخي وقال الشوكاني رحمه الله وههنا محاضرات بين المتذهبين المحامين على ما درج عليه اسلافهم فذبوا عليه من بعدهم وليس بنا الى ذكر شيء من ذلك فائدة كما هو عادتنا في تفسيرنا هذا فهو تفسير يسلفي يمشى مع الحق ويدور مع مدلولات النظم الشريف واما يعرف ذلك من رسخ قدمه وتبرأ من التعصب لقلبه ولوجه ودمه (أم اتخذوا من دونه أولياء) مستأنفة مقررقة لما قبلها من انتفاء أن يكون للظالمين وليا ونصيرا وأم هذه هي المنقطعة المقدره بيل المفيدة للانتقال وبالهمزة المفيدة للانكار أى بل اتخذ الكافرون من دون الله أولياء من الاصنام بعبدونها (فأنه هو الولي) أى هو الحقيق بان يتخذوه وليا فانه الخالق الرزق الضار النافع والفاء مجردة لطف قاله الكرخي وعرضه بهذا الرد على الزمخشري في قوله انه اجواب شرط مقدر أى ان ارادوا ان يتخذوا وليا في الحقيقة فأنه هو الولي الحق قال ابو حيان لاحاجة الى هذا التقدير لتام الكلام بدونه (وهو) أى ومن شأنه انه (يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير) أى يقدر على كل مقدور فهو الحقيق بتخصيصه بالالوهية وافراده بالعبادة (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله) هذا عام في كل ما اختلف فيه العباد من أمر الدين فان حكمه ومرجه الى الله يحكم فيه يوم القيامة بحكمه ويفصل خصومة المختلفين فيه وعند ذلك يظهر الحق من المبتل ويميز فريق الجنة وفريق النار قال الكلبي وما اختلفتم فيه من شيء أى من أمر الدين فحكمه الى الله يقضى فيه وزاد البيضاوى أو أمر الدنيا ولم يذكر الدنيا في الكشف

(٣٣ فتح البيان ثامن) سعيد بن جبير قال اذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم فأكلوا منها فاختلفت جلود وجوههم فلوان مار بهم يعرفهم يعرفهم بوجوههم فيها ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل وهو الذي قد انتهى حره فاذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود ويصير ما في بطونهم فيمسون أمعاءهم وتتساقط جلودهم ثم يضربون بمقامع من حديد فيسقط كل عضو على حيماله يدعون بالبثور وقوله عز وجل ثم ان من جمعهم لالى الجحيم أى ثم ان من دهم بعد هذا الفصل لالى نار تتأجج وجميم توقد وسعير تتوهج فتارة في هذا وتارة في هذا كما قال تعالى بطوفون بيننا وبينهم

أن هكذا تلاقاة هذه الآية عند هذه الآية وهو تفسير حسن قوى وقال السدى في قراءة عبد الله رضى الله عنه ثم ان مقيلهم لالى  
الجحيم وكان عبد الله رضى الله عنه يقول والذى نفسى بيده لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى  
النار ثم قرأ أصحاب الجنة منذ خيروا أحسن مقبلا وروى الثورى عن ميسرة عن المهال بن عمرو عن أبى عبيدة عن عبد الله  
رضى الله عنه قال لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل هؤلاء و يقبل هؤلاء قال سفيان أراه ثم قرأ أصحاب الجنة يومئذ خيروا  
مستقروا أحسن مقبلا ثم ان مقيلهم لالى (٢٥٨) الجحيم قلت على هذا التفسير تكون ثم عاطفة بخبر على خبر وقوله تعالى

وذكرة الخلى وقال من الدين وغيره والغير كالمصومات فى الدنيا والاول أولى اذ لا يلزم  
ان تكون بينهم وبين الكفرة ولا يقال فى مثله التحاكم الى الله افاده الشهاب وقال مقاتل  
ان أهل مكة كفر بعضهم بالقرآن وآمن به بعضهم فنزلت هذه الآية والاعتبار بعموم  
اللفظ لا بخصوص السبب ويمكن ان يقال ان معنى حكمه الى الله انه مردود الى كتابه فانه  
قد اشتمل على الحكم بين عباده فيما يختلفون فيه فتكون الآية عامة فى كل  
اختلاف يتعلق بأمر الدين انه مردود الى كتاب الله ومثله قوله وان تنازعتم فى شىء فردوه  
الى الله والرسول وقد حكم سبحانه بان الدين هو الاسلام وان القرآن حق وان المؤمنين  
فى الجنة والكافرين فى النار ولكن لما كان الكفار لا يدعون لكون ذلك حقا الا فى  
الدار الآخرة وعدهم الله بذلك يوم القيامة وقيل تحا كوافيه الى رسول الله صلى الله عليه  
 وآله وسلم لان حكمه حكم الله ولا تؤثر واحكومة غيره على حكمته (ذلکم) مبتدأ أى  
الحاكم العظيم الشأن بهذا الحكم (الله) خبر أول (ربى) خبر ثان (عليه توكلت)  
خبر ثالث أى اعتمدت عليه فى جميع أمورى لا على غيره وفوضته فى كل شؤنى (واليه)  
لا الى غيره (أنيب) أى ارجع فى كل شىء يعرض لى وهذا خبر رابع (فاطر السموات والارض)  
الفاطر الخالق المبدع وقد تقدم تحقيقه وهذا خبر خامس أو مبتدأ وخبره ما بعده أو نعت  
لربى لان الاضافة محضة ويكون علمه توكلت واليه أنيب معترضين بالصفة والموصوف  
وقرأ زيد بن على فاطر بالجر على انه نعت للاسم الشريف فى قوله الى الله وما بينهما اعتراض  
أو بدل من الهاء فى عليه واليه وأجاز الكسائى النصب على النداء وأجازه غيره على المدح  
(جعل لكم من أنفسكم أزواجا) خبر سادس أى خلق لكم من جنسكم نساء أو المراد  
حوى لكونها خلقت من ضلع آدم وقال مجاهد نسله لا بعد نسل (ومن الانعام أزواجا)  
أى خلق لها من جنسها انا نأ وخلق لكم من الانعام أصنافا من الذكور والاناث وهى  
الثمانية التى ذكرها فى الانعام (يذروكم فيه) أى يشكم من الذر وهو البث أو يخلفكم  
و ينشكم والضم يذروكم للمخاطبين والانعام الا انه غلب عليه العقلاء قال  
الزمخشري وهى من الاحكام ذات العلتين قال الشيخ وهو اصطلاح غريب والمعنى ان  
الخطاب يغلب على الغيبة اذا اجتمعوا وضمير فيه راجع الى الجعل المدلول عليه بالفعل أو  
للمخلوق وقيل راجع الى ما ذكر من التدبير وقال القراء والزجاج وابن كيسان معنى

انهم ألفوا آباءهم ضالين أى انما  
جازى بناهم بذلك لانهم وجدوا آباءهم  
على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد  
ذلك من غير دليل ولا برهان ولهذا  
قال فهم على آثارهم يهرعون قال  
مجاهد شبهه بالهرولة وقال سعيد بن  
جبير يسهون (ولقد ضل قبلهم  
أكثر الاولين ولقد أرسلنا فيهم  
منذرين فانظر كيف كان عاقبة  
المنذرين الاعباد الله المخلصين)  
يخبر تعالى عن الامم الماضين ان  
أكثرهم كانوا ضالين يجمعون مع الله  
آلهة أخرى وذكر تعالى انه أرسل  
فيهم منذرين يذرون بأس الله  
ويحذرونهم سطوته ونقمته بمن  
كفروا به وعبدوا غيره وانهم تمادوا على  
مخالفة رسولهم وتكذيبهم فأهلك  
المكذبين ودمرهم ونجى المؤمنين  
ونصرهم وظفرهم ولهذا قال تعالى  
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا  
عباد الله المخلصين (ولقد نادانا نوح  
فلنعم الجيبون ونجينااه وأهله من  
الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم  
الباقيين وتركا عليه فى الآخريين  
سلام على نوح فى العالمين انا كذلك  
نجزي المحسنين انه من عبادنا

المؤمنين ثم أعرفنا الآخريين) لما ذكر تعالى عن أكثر الاولين انهم ضلوا عن سبيل الهدى شرع يبين  
ذلك مقصلا فذكر نوحا عليه الصلاة والسلام ومالى من قومه من التكذيب وانه لم يؤمن منهم الا القليل مع طول المدة لبث فيهم  
ألف سنة الا تحسب عام فاما طالع عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم وكلمادعاهم ازادوا وفرقة فدعا ربه انى مغلوب فاتصغر فغضب الله  
تعالى لغضبه عليهم ولهذا قال عز وجل ولقد نادانا نوح فلنعم الجيبون أى فلنعم الجيبون له ونجينااه وأهله من الكرب العظيم وهو  
التكذيب والاذى وجه لئذ يتهم الباقيين قال على بن ابي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهم ما يقول لم تنق الا ذرية نوح عليه



السلام وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تبارك وتعالى وجعلنا ذرية نوح آلهم من ذرية نوح عليه السلام وقدرى الترمذى وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد بن بشر عن قتادة عن الحسن بن سمرقون عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وجعلنا ذرية نوح آلهم الباقين قال سام وحام وأبى وقال الامام أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد بن قتادة عن الحسن بن سمرقون عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سام أبو العرب وحام أبو الحبش وأبى أبو الروم ورواه الترمذى عن بشر بن معاذ العقدي عن يزيد بن زريع عن سعيد وهو الحافظ (٢٥٩) أبو عمر بن عبد البر وقدرى عن عمران بن

حصين رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله والمراد بالروم ههنا هم الروم الاول وهم اليونان المنتسبون الى رومي بن ليث بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام ثم روى من حديث اسمعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال ولد نوح عليه السلام ثلاثة سام ويافث وحام وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة فولد سام العرب وفارس والروم وولد يافث الترك والصقالية ويأجوج ومأجوج وولد حام القبط والسودان والبربر وروى عن وهب بن منبه نحو هذا والله أعلم وقوله تبارك وتعالى وتركنا عليه في الاخرين قال ابن عباس رضى الله عنهم ما يدرك بخير وقال مجاهد يعنى لسان صدق للانبياء كلهم وقال قتادة والسدى أبى الله عليه الشاء الحسن في الاخرين قال الخصال السلام والثناء الحسن وقوله تعالى سلام على نوح في العالمين مفسر لما أبى عليه من الذكرا الجميل والثناء الحسن انه يسلم عليه في جميع الطوائف

يذروكم فيه يكثر كم به أى يكثر كم يجعلكم أزواج لان ذلك سبب النسل وقال ابن قتيبة يذروكم فيه أى فى الزوج وقيل فى البطن وقيل فى الرحم (ليس كمثل شئ) خبر سابع والمراد بذكرا المثل هنا المبالغة فى النقي بطريق الكناية فانه اذا نفي عن يناسبه كان نفيه عنه أولى كقوله هم مثلك لا يجعل وغيرك لا يجوز وقيل ان الكاف زائدة للتوكيد لانه تعالى لا مثل له وهو المشهور عند المعربين وقيل ان مثل زائدة قاله ثعلب وغيره كفى قوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به أى بما آمنتم به وهذا ليس بجيد بل الاول أولى فان الكناية باب مسلول للعرب ومهيب مألوف لهم قال ابن قتيبة العرب تقيم المثل مقام النفس فتقول مثلى لا يقال له هذا أى أنا لا يقال لى وقيل المراد بالمثل الصفة وذلك ان المثل بمعنى المثل والمثل الصفة كقوله مثل الجنة فيكون المعنى ليس مثل صفته تعالى شئ من الصفات التى لغيره وهو محمل سهل قال الراغب المثل أعم الالفاظ الموضوعات للمشابهة وذلك ان التمثيل يقال فيما يشارك فى الجوهر فقط والشبه يقال فيما يشارك فى الكيفية فقط والمساوى يقال فيما يشارك فى الكمية فقط والشكل يقال فيما يشارك فى القدر والمساحة فقط والمثل فى جميع ذلك ولهذا لما أراد الله نفي الشبه من كل وجه خصه بالذكرا قال تعالى ليس كمثل شئ وقال أبو البقاء مر بجزالة الكاف انها لو لم تكن زائدة لاقضى ذلك الى الخيال اذ يكون المعنى ان له مثلا وليس لمثله مثل وفى ذلك تناقض لانه اذا كان له مثل فله مثل وهو هو مع ان اثبات المثل لله سبحانه محال وهذا اقر بحسن ولكنه يندفع ما أورده بما ذكرناه من كون الكلام خارجا عن الكناية ومن فهم هذه الآية الكريمة حق فهمها وتدبرها حق تدبرها مشى بها عند اختلاف المختلفين فى الصفات على طريقة بيضاء واضحة ويرداد بصيرة اذا تأمل معنى قوله (وهو السميع البصير) فان هذا الاثبات بعد ذلك النقي للمائل قد اشتمل على برد اليقين وشفاء الصدور وانشراح القلوب فاقد رباط طالب الحق قدر هذه النعمة النيرة والبرهان القوى فانك تحطم بها كثيرا من البدع وتهمسها رؤسا من الضلالة وترغمها آفاق طوائف من القاصرين المتكفين والمتكاهنين المتأولين ولا سيما اذا ضمنت اليه قول الله سبحانه ولا يحيطون به علما فانك حينئذ قد أخذت بطريق حبل ما يسمونه علم الكلام وعلم اصول الدين

ودع عنك نهب اصبح فى حجرته \* ولكن حديث ما حديث الرواحل

والامم انا كذلك نجزي المحسنين أى هكذا نجزي من أحسن من العباد فى طاعة الله تعالى نجعل له لسان صدق يدرك به بعده بحسب مرتبته فى ذلك ثم قال تعالى انه من عبادنا المؤمنين أى المصدقين الموحدين الموقنين ثم أعرفنا الاخرين أى أهلنا كلهم فلم يبق منهم عين نظرف ولا ذكرا ولا عين ولا ذكرا ولا يعرفون الا بهذه الصفة القبيحة (وان من شيعته لبراheim اذ جاء به بقلب سليم اذ قال لا يئيه وقومه ماذا تعبدون انفسك آلهة دون الله تريدون فانظنكم رب العالمين) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما وان من شيعته لبراheim يقول من أهل دينه وقال مجاهد على منهاجه وسنته اذ جاء به بقاب سليم قال ابن عباس رضى الله عنهما

يعنى شهادة ان لا اله الا الله وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عوف قلت ل محمد بن سيرين ما القلب السليم قال يعلم ان الله حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وقال الحسن سليم من الشرك وقال عروة لا يكون لعانا وقوله تعالى اذ قال لايه وقومه ماذا تعبدون انكركم عليهم عبادة الاصنام والانداد ولهذا قال عز وجل أنتم كما آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين قال قتادة يعنى ما ظنكم انك فاعل بكم اذا اقيمتوه وقد عبدتم معه غيره ( فنظر نظرة في النجوم فقال انى سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم (٢٦٠) فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليه ضربا باليمين فاقبلوا

المدبرون قال اتعبدون ما تحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا انبوا له بنينا فاقولوه في النجوم فأرادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين) انما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقم في البلد اذ هبوا الى عيدهم فانه كان قد أرفخروجهم الى عيدهم فأحب ان يحتلوا بالآلهتهم ليكسرها فقال لهم كلاما هو حق في نفس الامر فهموا منه انه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه فتولوا عنه مدبرين قال قتادة والعرب تقول لمن يفكر نظرفي النجوم يعنى قتادة انه نظر الى السماء متفكرا فيما يلهمهم به فقال انى سقيم أى ضعيف فأما الحديث الذى رواه ابن جرير ههنا حدثنا أبو بكر ييب حدثنا أبو أسامة حدثنى هشام عن محمد بن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله تعالى قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله في سارة هى أختى فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق

وهو السميع الخ خبر ثامن وقوله (له مقاليد السموات والارض) خبر تاسع جمع مقلاذ أو مقليد أو قلايد وهو المفتاح جمع على خلاف القياس أى مفاتيحهما أو خزائنهما والمراد المطر والنبات وغيرهما كالجواهر المستخرجة من الارض قال النحاس والذى يملك المفاتيح يملك الخزائن وقد تقدم تحقيقه في سورة الزمر ثم لما ذكر سبحانه ان بيده مقاليدهما ذكر بعده البسط والقبض فقال (يسيطر الرزق لمن يشاء ويقدر) خبر عاشر أى يوسع لمن يشاء كالروم والفرس ويضيقه على من يشاء كالعرب (انه بكل شئ) من الاشياء (عليم) فلا تخفى عليه خافية وأحاطة علمه بكل شئ يندرج تحتها علمه بطاعة المطيع ومعصية العاصى فهو يجازى كلابيا يتحققه من خير وشر (شرع لكم) أى بين واوضح وسن وأظهر طريقا واضحا وهو خبر حادى عشر (من الدين) أى ديننا تطابقت على صحته الانبياء والخطاب لامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ما وصى به نوحا) من التوحيد ودين الاسلام وأصول الشرائع التى لم يختلف فيها الرسل وتوافقت عليها الكتب وانما خص نوحا لانه أول الانبياء أصحاب الشرائع والمعنى قد وصينا وابلنا يا محمد ديننا واحدا وقد ثبت في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في حديث الشفاعة المنهورة الكبير ولكن اتوا خوفا فانه أول رسول بعثه الله الى أهل الارض وهذا صحيح لا اشكال فيه كما ان آدم أول رسول نبى بغير اشكال الا ان آدم لم يكن معه النبوة ولم تفرض له الفرائض ولا شرعت له المحارم وانما كان شرعه تنبيها على بعض الامور واقتصارا على ضرورات المعاش وأخذ بوظائف الحياة والبقاء واستمر الى نوح فبعثه الله بتجريم الامهات والبنات والاخوان ووظف عليه الواجبات وأوضح له الآداب والديانات ولم يزل ذلك يتأكد بالرسول ويتناصر بالانبياء عليهم السلام واحد بعد واحد وشرى بعة اثر شرى بعة حتى ختمها بخير الملل ملتساعا على لسان أكرم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (والذى أوحينا اليك) من القرآن وشرائع الاسلام والبراءة من الشرك والتعبير عنه عند نسبتة الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالذى هو أصل الموصولات لتفخيم شأنه من تلك الحديثية وخص ما شرعه لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالايحاء مع كون ما قبله وما بعده مذكورا بالتوصية للتصريح برسائمه القامع لانكار الكفرة وفيه التفات من الغيبة الى التكلم بنون العظمة لجل الاعتناء بالايحاء اليه وهو السر في تقدمه على ما بعده مع تقدمه

ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقى الذى يدم فاعله حاشا وكلا ولما واطما أطلق الكذب على هذا عليه تجوزا وانما هو من المعارض في الكلام لمقصد شرعى دينى كما جاء في الحديث ان في المعارض لمن دوحه عن الكذب وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبو عمر حدثنا سفيان عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلمات ابراهيم عليه الصلاة والسلام الثلاث التى قال ما منها كلمة الا ما حل به اعن دين الله تعالى فقال انى سقيم وقال بل فعله كبيرهم هذا وقال للملك حين أراد امرأته هى أختى قال سفيان في قوله انى سقيم يعنى طعين وكانوا يبرون من

المطعون فأراد أن يخلو بها آلهتهم وكذا قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى فنظر نظرة في الخبوم فقال اني سقيم فقالوا له وهو في بيت آلهتهم اخرج فقال اني مطعون فتركوه مخافة الطاعون وقال قتادة عن سعيد بن المسيب رأى نجما طلع فقال اني سقيم كابدني الله وعن دينة فقال اني سقيم وقال آخرون فقال اني سقيم بالنسبة الى ما يستقبل بعني مرض الموت وقيل أراد اني سقيم أي مريض النلب من عبادتكم الاثران من دون الله تعالى وقال الحسن البصري خرج قوم ابراهيم الى عيدهم فأرادوه الى الخروج فاضطجع على ظهره وقال اني سقيم وجعل ينظرفي (٢٦١) السماء فلما خرجوا أقبل الى آلهتهم فكسرها

رواه ابن أبي حاتم ولهذا قال تعالى فتولوا عنه مدبرين أي الى عيدهم فراغ الى آلهتهم أي ذهب اليها بعد ما خرجوا في سرعة واختفاء فقال ألا تأكلون وذلك انهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعاما قربانا لتبرك لهم فيه قال السدي دخل ابراهيم عليه السلام الى بيت الآلهة فاذا هم في بهو عظيم واذا مستقبل باب الهوصنم عظيم الى جنبه أصغر منه بعضها الى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب الهو واذا هم قد جعلوا طعاما ووضعوه بين أيدي الآلهة وقالوا اذا كان حين نرجع وقد بركت الآلهة في طعامنا كأنها فلما نظر ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى ما بين أيديهم من الطعام قال ألا تأكلون مالكم لا تنطقون وقوله تعالى فراغ عليهم ضربا باليمين قال الفراء معناه مال عليهم ضربا باليمين وقال قتادة والجوهري فأقبل عليهم ضربا باليمين وانما ضربهم باليمين لانها أشد وأنىكى ولهذا تركهم جدا اذا الا كبير الهم لعلمهم اليه يرجعون كما

عليه زمانا وتقدم توصية نوح للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم ديناً قديماً وتوجيه الخطاب اليه صلى الله عليه وآله وسلم بطريق التلويح للتشريف والتسنيبه على انه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلاة والسلام (وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) مما تطابقت عليه الشرائع وانما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكور لانهم أكبر الانبياء وأصحاب الشرائع المعظمة والاتباع الكثيرة وأولو العزم وليل قلوب الكفرة اليهم لا تفارق الشكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في موسى والنصارى في عيسى وكل من هؤلاء المذكورين له شرع جديد ومن عداهم من الرسل انما كان يعث بتبليغ شرع من قبله فشيث وادريس بعثا بتبليغ شرع آدم ومن بين نوح و ابراهيم وهما هود وصالح بعثا بتبليغ شرع نوح ومن بين ابراهيم وموسى بعثوا بتبليغ شرع ابراهيم وكذا من بين موسى وعيسى بعثوا بتبليغ شرع موسى فليست أمم ثم بين ما وصي به هؤلاء فقال (ان أقبلوا الدين) أي توحيد الله والايان به وطاعة رسله وقبول شرائعه والمراد باقامته تعديل أركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ أو المواظبة عليه والتشمير له وقال السدي أي اعماله وقيل المراد سائر ما يكون المرء باقامته مسلما ولم ترد به الشرائع فانها مختلفة قال تعالى ولكل جعلنا منكم شرعة ومنها جا قال مجاهد لم يعث الله نبياً قط الا وصاه باقامة الصلاة واتباء الزكاة والاقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم وقال قتادة يعني تحليل الحلال وتحريم الحرام قال القرطبي الاصول التي لا تختلف فيها الشرائع هي التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والتقرب الى الله بصالح العمل والصدق والوفاء بالعهد وأداء الامانة وصلة الرحم وتحريم الكفر والقتل والزنا والاذية للخلق كيفما تصورت والاعتداء على الحيوان كيفما داروا واقتمام الدنيا وما يعبدون من المرات فهذا كله مشروع ديناً واحداً وملة واحدة لم تختلف على السنة الانبياء وان اختلفت اعذارهم وذلك قوله تعالى ان أقبلوا الدين الخ ثم لما أمرهم سبحانه باقامة الدين نهاهم عن الاختلاف فيه فقال (ولا تفرقوا فيه) أي لا تختلفوا في التوحيد والايان بالله وطاعة رسوله وقبول شرائعه فان هذه الامور قد تطابقت عليها الشرائع وتوافق فيها الاديان فلا ينبغي الخلاف في مثلها وليس هذا من فروع المسائل التي تختلف فيها الادلة وتتعارض فيها الامارات وتباين فيها الافهام فانها من مطارح الاجتهاد ومواطن الخلاف قال

تقدم في سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام تفسير ذلك وقوله تعالى ههنا فأقبلوا اليه يرفون قال مجاهد وغير واحد أي يسرعون وهذه القصة ههنا مختصرة وفي سورة الانبياء مبسوطه فانهم لما رجعوا ما عرفوا من أول وعمله من فعل ذلك حتى كشفوا واستعملوا فعرفوا ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذي فعل ذلك فلما جاءوا ليعاتبوه أخذ في تأنيبهم وعيبتهم فقال أنعبدون ما نتخون أي أنعبدون من دون الله من الاصنام ما أنتم تتخونها وتجعلونها ايديكم والله خلقكم وما تعملون يحتمل ان تكون ما مصدرية فيكون تندير الكلام خلقكم وعملكم ويحتمل ان تكون بمعنى الذي تسديره والله خلقكم والذي تعملونه وكلا القولين متلازم

والاول اظهر لما رواه البخاري في كتاب افعال العباد عن علي بن المديني عن مروان بن معاوية عن ابي مالك عن ربيع بن حراش عن حذيفة رضي الله عنه مر فوجا قال ان الله تعالى يصنع كل صانع وصنعتة وقرأ بعضهم والله خلتكم وما تعملون فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا الى اخذ باليد والقهر فقالوا انبوا له نبيا ناقوه في الخيم وكان من امرهم ما تقدم بيانه في سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ونجاه الله من النار واظهره عليهم واعلى حجتهم ونصرها ولهذا قال تعالى وارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وقال اني ذاهب الي ربى سيدين رب هب لي (٢٦٢) من الصالحين فبشرناه بسلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في

القرطبي في الآية أي اجعله دائما قائما متمرا محفوظا مستقرا من غير خلاف فيه ولا اضطراب فن الخلق من وفي بذلك ومنهم من نكث ومن نكث فانما ينكث على نفسه واختلفت الشرائع ورأى هذه في أحكامه حسبما أراد الله مما اقتضت المصلحة وأوجبت الحكمة ووضعه في الزمنة على الامم والله أعلم قال قتادة في الآية ألا تعلموا ان الفرقة هلكة وأن الجماعة ثقة وقال علي الجماعة رحمة والفرقة عذاب ثم ذكر سبحانه ان ما شرعه من الدين شق على المشركين فقال (كبر) أي عظم وشق (على المشركين ما تدعوهم اليه) من التوحيد ورفض الاوثان قال قتادة اشتد عليهم شهادة ان لا اله الا الله وحده وضاق بهم الالمس وحنوده فأبى الله الا أن ينصرها ويعلمها ويظهرها وينظرها على من ناواها والاولى التعميم لدلالة السياق ولا يمنع تخصيص المشركين بالذكر كما لا يخفى ثم خص اولياءه فقال (الله يحب اليه) استئناف واراد لتحقيق الحق وفيه اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة والاجتباء الاختيار والمعنى يختار لتوحيده والدخول في دينه افتعال من الحباية وهي الجمع على طريق الاصطفاء واجتباء الله العبد تخصيصه اياه بفيض الهى تحصل له أنواع النعم بلا سعي منه (من يشاء) من عباده قال قتادة يخلص لنفسه من يشاء (ويهدى اليه من ينوب) أي يوفق ادينه ويستخلص لعبادته من يرجع الى طاعته ويقبل الى عبادته ثم لما ذكر سبحانه ما شرعه لهم من اقامة الدين وعدم التفرق فيه ذكر ما وقع من التفرق والاختلاف فقال (وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم) أي ما تفرقوا الا عن علم بان الفرقة ضلالة متمم وعدها أو العلم بعثت الرسول أو أسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها وتفرقوا ذلك التفرق قيل المراد قرش وهم الذين تفرقوا من بعد ما جاءهم العلم وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم بغيا منهم عليه وقد كانوا يقولون ما حكاه الله عنهم بقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير الآية وبقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقيل المراد أئمة الانبياء المتقدمين وانهم فيما بينهم اختلفوا الماطال بهم المدى فآمن قوم وكفروا قوم وقيل اليهود والنصارى خاصة كما في قوله وما تفرق الذين أتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة (بغيا بينهم) أي بغيا من بعضهم على بعض طلبا للرياسة فليس تفرقهم لقصور في البيان والحجج ولكن للبغي والظلم والاشتغال بالدنيا والجاه والحمية (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهي تأخير العقوبة (الى

المنام اني أدبجك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما أسلموا تله للبعين ونادى به أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك فنجزي المحسنين ان هذا هو البلاء المبين وقد بناه بذيخ عظيم وتركا عليه في الاخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهم ما أحسن وظالم لنفسه مبين) يقول تعالى مخبرا عن خلد ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه بعد ما نصره الله تعالى على قومه وأيس من ايمانهم بعد ما شاهدوا من الايات العظيمة هاجر من بين أظهرهم وقال اني ذاهب الي ربى سيدين رب هب لي من الصالحين يعني اولاد امطيعين يكونون عوضا من قومه وعشيرته الذين فارقتهم قال الله تعالى فبشرناه بسلام حليم وهذا الغلام هو اسمعيل عليه السلام فانه أول ولد بشر به ابراهيم عليه السلام وهو أكبر من اسحق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب بل

في كتابهم ان اسمعيل عليه السلام ولد لولاه ابراهيم عليه السلام ست وثمانون سنة وولد اسحق وعمر ابراهيم عليه الصلاة أجل والسلام تسع وتسعون سنة وعندهم ان الله تبارك وتعالى أمر ابراهيم ان يذبح ابنه وحيد وفي نسخة أخرى بكره فاقموا ههنا كذبا وبهتاننا اسحق ولا يجوز هذا لانه مخالف لنص كتابهم وانما اتهموا اسحق لانه أبوهم واسمعيل أبو العرب فسددهم فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره فان اسمعيل كان ذهب به وبأمه الى مكة وهو تأويل وتجرب باطل فانه لا يقال وحيدك الا لمن ليس له غيره وأيضا فان أول ولده بعزه ما ليس لمن بعده من الاولاد قالوا أمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار وقد ذهب

جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو اسحق وحكي ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أيضا وليس في ذلك كتاب ولا سنة وما أظن ذلك تلقى الا عن اُخبار أهل الكتاب وأخذ ذلك مسلمان غير حجة وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى انه اسمعيل فانه ذكر البشارة بغيلام حلیم وذكر أنه الذبيح ثم قال بعد ذلك وبشرناه باسمحق نبيا من الصالحين ولما بشرت الملائكة ابراهيم باسمحق قالوا انا نبشرك بغيلام عليم وقال تعالى فبشراها باسمحق ومن وراء اسمحق يعقوب أي يولد في حماها مولد يسمى يعقوب فيكون من ذرية عتبة ونسل وقد قدمنا هناك (٢٦٣) انه لا يجوز بعد هذا ان يؤمر بذبحه وهو صغير لان الله تعالى قد وعدهما بأنه

سيعقب ويكون له نسل فكيف يمكن بعد هذا ان يؤمر بذبحه صغيرا واسمعيل وصفه ههنا بالحلیم لانه مناسب لهذا المقام وقوله تعالى فلما بلغ معه السعي أي كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشي معه وقد كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يذهب في كل وقت يتفقد ولده وأم ولده يسألان فينظر في أمرهما وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريرا إلى هناك والله أعلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء الخراساني وزيد بن أسلم وغيرهم فلما بلغ معه السعي بمعنى شب وارْتَجَل وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل فلما بلغ معه السعي قال يابني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال عبید ابن عمير روى الانبياء وحى ثم تلا هذه الآية قال يابني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو عبد الملك الكريزي حدثنا سفيان

أجل مسمى) وهو يوم القيامة كما في قوله والساعة موعدهم وقيل إلى الاجل الذي قضاه الله لعذابهم في الدنيا بالقتل والاسر والذل والقهر (لقضى بينهم) أي لوقوع القضاء بينهم بانزال العقوبة بهم مجلبة وقيل يقضى بين من آمن منهم ومن كفر بنزول العذاب بالكافرين ونجاة المؤمنين (وان الذين أورتوا الكتاب) أي التوراة والانجيل وهم اليهود والنصارى الذين كانوا في عهده صلى الله عليه وآله وسلم (من بعدهم) أي من بعد من قبلهم من اليهود والنصارى المختلفين في الحق وقال مجاهد معنى من بعدهم من قبل مشركي مكة وهم اليهود والنصارى وقيل المراد كفار المشركين من العرب الذين أورتوا القرآن من بعد ما أورت أهل الكتاب كتابهم ووصفهم بأنهم (لنق شكنه) أي من القرآن أو من محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى كلا الوجهين فالشك هنا ليس على معناه المشهور من اعتسالة النقيضين وتساويهما في الذهن بل المراد به ما هو أعم أي مطلق التردد وقال القرطبي لنق شك من الذي أوصى به الانبياء (مريب) موقع في الرية وهي قلق النفس واضطرابها ولذلك لم يؤمنوا (فلذلك) أي فلاجل ما ذكر من التفرق والشك أو الكتاب أو العلم الذي أوتيته أو فلاجل انه شرع من الدين ما شرع (فادع) إلى الله وإلى توحيدِهِ وإلى الاتفاق والاتلاف على الملة الحنيفية القوية أو الاتباع لما أوتيته وعلى هذا اللام في موضع اني لافادة الصلوة والتعليل قال الفراء والزجاج المعنى فالى ذلك فادع كما تقول دعوت إلى فلان ولفلان وذلك إشارة إلى ما وصى به الانبياء من التوحيد وقيل في الكلام تقديم وتأخير والمعنى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فلذلك فادع (واستقم) على ما دعوت اليه فسر الراغب الاستقامة بلبس والمنهج المستقيم فلا حاجة إلى تأويلها بالدوام على الاستقامة قال قتادة استقم على أمر الله وقال سفيان استقم على القرآن وقال الضحاك استقم على تبليغ الرسالة (كما أمرت) بذلك من جهة الله تعالى (ولا تتبع أهواءهم) الباطلة وتعصياتهم الزائغة في ترك التوحيد ولا تنظر إلى خلاف من خالفك في دين الله (وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب) أي بجميع الكتب التي أنزلها الله على رسوله لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب في أصول الدين وتأليف لقلوب أهل الكتابين وتعرض لهم (وأمرت لأعدل بينكم) في أحكام الله اذ ترافعتم إلى ولا أحيف عليكم بزيادة على ما شرعه الله أو بنقصان منه وأبلغ

ابن عيينة عن اسراييل بن يونس عن سمالك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم روى الانبياء في المنام وحى ليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه وإنما علم انه بذلك ليكون أهون عليه وليجتبر صبره وجلده وعزمه في صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه قال يابنت افعل ما تؤمر أي امض لما أمرك الله من ذبحي سجدتني ان شاء الله من الصابرين أي سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد وللهذا قال الله تعالى واذكري الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا قال الله تعالى فلما أسلمنا

وتله الجبين أي فلما تشهد داود كراته تعالى ابراهيم على الذبح والولد شهادة الموت وقيل اسما بمعنى استسما وانقاد ابراهيم امثله  
 أمر الله تعالى واسمعيل طاعة لله ولائيه قاله مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وابن اسحق وغيرهم ومعنى تله الجبين أي صرعه على  
 وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه قال ابن عباس رضي الله عنهم ما وجدوا سعيدي بن جبير  
 والضحاك وقتادة وتله الجبين أكب على وجهه وقال الامام أحمد حدثنا شريح ويونس قال حدثنا جاد بن سلمة عن أبي عاصم الغنوي  
 عن أبي الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما أمر ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالمناسك عرض

لكم ما أمرني الله بتبليغه كما هو واللام لام أي أمرت بذلك الذي أمرت به لكي أعدل  
 بينكم وقيل هو زائدة والمعنى أمرت أن أعدل وقيل بمعنى الباء وأن المصدرية مقدره  
 أي بأن أعدل والاول أولى قال أبو العالسة أمرت لا سوى بينكم في الدين فأومن بكل  
 كتاب وبكل رسول والظاهر أن الآية عامة في كل شيء والمعنى أمرت لا أعدل بينكم في كل  
 شيء (الله ربنا وربكم) أي الهنا والهكم وخالقنا وخالقكم (لنا أعمالنا) أي ثوابها وعقابها  
 خاص بنا (واكم أعمالكم) أي ثوابها وعقابها خاص بكم فكل يجازي بعمله (لا حجة) أي  
 لا خصومة (بيننا وبينكم) لأن الحق قد ظهر ووضح ولم يبق للمعالجة مجال وليس في الآية  
 الا ما يدل على المتاركة في المواقلة والحاجة لا مطلقا حتى تكون منسوخة وانما عبر عن  
 أبياتهم بالحجة بحجارة لهم على زعمهم الباطل قال ابن عباس ومجاهد الخطاب لليهود  
 وقيل للكفار على العموم (الله يجمع بيننا) في المحشر لفصل القضاء (والله المصير)  
 أي المرجع يوم القيامة فيجازي كلا بعمله وهذا منسوخ بآية السيف وقيل ليست  
 بمنسوخة لأن البراهين قد ظهرت والحج قد قامت فلم يبق الا العناد وبعد العناد لا حجة ولا  
 جدال (والذين يحتاجون في الله) أي يحتاجون في دين الله (من بعدما استجيب) أي  
 استجاب الناس (له) أي لدين الله ودخلوا فيه وقيل الضمير راجع الى الله وقيل الى محمد  
 صلى الله عليه وآله وسلم المعلوم من السياق الدال عليه الفعل والاول أولى قال مجاهد  
 من بعدما أسلم الناس قال وهؤلاء قوم توهموا ان الجاهلية تعود وقال قتادة هم  
 اليهود والنصارى ومحتاجتهم قولهم بينا قبل نبيكم وكنا قبل كتابكم وكانوا يرون لانفسهم  
 الفضيلة بأنهم أهل كتاب وانهم اولاد الانبياء وكان المشركون يقولون أي القرينين خير  
 مقاماً واحسن ندياً فنزلت هذه الآية وقال ابن عباس هم أهل الكتاب كانوا يجادلون  
 المسلمين ويصدونهم عن الهدى من بعدما استجابوا لله وقال هم قوم من أهل الضلالة  
 وكانوا يتربصون بان تأتيهم الجاهلية وعن عكرمة قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح  
 قال المشركون لمن بين أظهرهم من المؤمنين قد دخل الناس في دين الله أفواجا فاخرجوا  
 من بين أظهرنا فنزلت هذه الآية والموصول مبتدأ وخبره الجملة بعده وهي (تحتهم داحضة  
 عند ربهم) أي لا ثبات لها كالشيء الذي يزول عن موضعه يقال دحضت حجته دحوضاً  
 بطلت وبابه خضع والادحاض الازلاق ومكان دحوض أي زلق ودحضت رجلاه أي زلقت

له الشيطان عند السعي فسايقه  
 فسبته ابراهيم عليه الصلاة  
 والسلام ثم ذهب به جبريل عليه  
 الصلاة والسلام الى جرة العقبة  
 فعرض له الشيطان فرماه بسبع  
 حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند  
 الجرة الوسطى فرماه بسبع حصيات  
 ثم تله الجبين وعلى اسمعيل عليه  
 الصلاة والسلام قميص أبيض فقال  
 له يا أبت انه ليس لي ثوب تكفني فيه  
 غيره فاخذه حتى تكفني فيه  
 فعالجه ليخلصه فنودي من خلننه  
 أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا  
 فالتفت ابراهيم فاذا بكبش أبيض  
 أقرن أعين قال ابن عباس لقد  
 رأيتنا نتبع ذلك الضرب من الكبش  
 وذ كرهشام الحديث في المناسك  
 بطوله ثم رواه أحمد بطوله عن  
 يونس عن حماد بن سلمة عن عطاء  
 ابن السائب عن سعيد بن جبير عن  
 ابن عباس رضي الله عنهما فذ كره  
 الآية قال اسحق فعن ابن عباس رضي  
 الله عنهما في تسمية الذبيح روايتان  
 والاطهر عن اسمعيل لما سأل بيانه  
 ان شاء الله تعالى وقال محمد بن  
 اسحق عن الحسن بن دينار عن

قتادة عن حفص بن ياسر عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تبارك وتعالى وفي بناه ذبح عظيم  
 قال خرج عليه كبش من الجنة قدرى قبل ذلك أربعين خريفاً فأرسل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ابنته واتبع الكبش فأخرجه  
 الى الجرة الاولى فرماه بسبع حصيات ثم أفلته عندها فاجاء الى الجرة الوسطى فأخرجه عندها فرماه بسبع حصيات ثم أفلته فأدركه  
 عند الجرة الكبرى فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها ثم أخذته فأتى به المتحرم من منى فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد  
 كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنه في ميزاب الكعبة حتى وحش يعني يبس وقال عبيد الرزاق أخبرنا معمر عن

الزهري أخبرنا القاسم قال اجتمع أبوهريرة رضي الله عنه وكعب جعل أبوهريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم  
وجعل كعب يحدث عن الكتب فقال أبوهريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني قد  
خبت دعوتي شفاعتي لأمي يوم القيامة فقال له كعب أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فدالك أي وأمي  
أوفداه أي وأمي أفلا أخبرك عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه لما أرى ذبح ابنه اسحق قال الشيطان إن لم أقتن هؤلاء عنده  
لم أقتنهم أبدا فخرج إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالأمه بانه ليذبحه فذهب (٢٦٥) الشيطان فدخل على سارة فقال أين ذهب

إبراهيم يا بنت قالت غدا به لبعض  
حاجته قال فإنه لم يغد به لحاجة  
انما ذهب به ليذبحه قالت ولم يذبحه  
قال زعم أن ربه أمره بذلك قالت  
فقد أحسن أن يطيع ربه فذهب  
الشيطان في أثرهما فقال للغلام  
أين يذهب بك أبوك قال لبعض  
حاجته قال فإنه لا يذهب بك لحاجة  
ولكنه يذهب بك ليذبحك قال ولم  
يذبحني قال زعم أن ربه أمره بذلك  
قال فوالله لئن كان الله تعالى أمره  
بذلك ليفعلن قال فيئس منه فتركه  
ولحق إبراهيم عليه الصلاة  
والسلام فقال ابن غدوت يا بنتك قال  
لحاجة قال فانك لم تغد به لحاجة  
قال وانما غدوت به لتذبحه قال  
ولم أذبحه قال تزعم أن ربك أمرك  
بذلك قال فوالله لئن كان الله تعالى  
أمرني بذلك لافعلن قال فتركه  
ويئس أن يطاع وقد رواه ابن جرير  
عن يونس عن ابن وهب عن يونس  
ابن يزيد عن ابن شهاب قال إن عمرو  
ابن أبي سفيان بن سعيد بن حازم  
الثقفي أخبره أن كعبا قال لا ي  
هريرة فذكره بطوله وقال في آخره  
واوحى الله تعالى إلى اسحق أني

وبابه قطع وبها حاجة وان كانت شبهة تزعمهم انها حاجة (وعليهم غضب) عظيم من الله  
لجادلتم بالباطل (ولهم عذاب شديد) في الآخرة (الله الذي أنزل الكتاب) المراد به الجنس  
فيشمل جميع الكتب المنزلة على الرسل وقيل المراد به القرآن خاصة (بالحق) متعلق  
بمعدوف أي متلبسا بالحق وهو الصدق (والميزان) أي العدل كذا قال أكثر المفسرين  
قالوا سمى العدل ميزانا لأن الميزان آلة الأتصاف والتسوية بين الخلق فالميزان متجاوز به  
عنه استعماله للسبب في المسبب وقيل الميزان ما بين في الكتب المنزلة مما يجب على كل  
إنسان أن يعمل به وقيل هو الجزء على الطاعة بالشواب وعلى المعصية بالعقاب وقال قتادة  
الميزان العدل فيما أمر به ونهى عنه وانزال العدل هو الأمر والتكليف به وقيل أنه الميزان  
على نفسه أنزله الله من السماء في زمن نوح عليه السلام وعلم العباد الوزن به لئلا يكون  
بينهم تظالم وتباخس كما في قوله لعداؤنا رسالة بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان  
ليقوم الناس بالقسط وقيل هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقضى بينكم بكتاب الله  
وقال مجاهد هو الذي يوزن به (وما يدريك لعل الساعة قريب) أي أي شيء يجعلك داريها  
عالم بما وقتها على أي قريب أو قريب مجيئها أو ذات قرب أو أتاها من قريب وقال قريب  
ولم يقل قريبة لأن تأنيها غير حقيقي قال الزجاج المعنى اعمل البعث أو اعمل محي الساعة  
قريب وقال السكسائي قريب نعت بعت به المؤنث والمذكور كما في قوله ان رجسة الله  
قريب من المحسنين وقال الكرخي ولا يقال ان قريب يستوي فيه المؤنث والمذكور لأن  
فعلها نابع عن فاعل ولا يستوي فيه ما ذكر والاستفهام انكاري أي لا سبب يوصلك للعلم  
بقربها الا الوحي الذي ينزل عليك قيل ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر الساعة وعنده  
قوم من المشركين فقالوا ممتي تقوم تكذيبها فأنزل الله هذه الآية ويدل على هذا قوله  
(يستجلبها الذين لا يؤمنون بها) استجبال استنزاه منهم بها وتكذبا بجيئها فلا يشفقون  
منها (والذين آمنوا يشفقون منها) أي خائفون وجلون من مجيئها أي فلا يستجلبونها في  
الآية احتباك حيث ذكر الاستجبال أولا وحذف الاشفاق وذكر الاشفاق ثانيا وحذف  
الاستجبال قال مقاتل لانهم لا يدرون ما بهم جمون علمه وقال الزجاج لانهم يعلمون انهم  
محاسبون ومجزيون (ويعلمون أنها الحق) أي انها آتية لا ريب فيها وكانسة لا محالة ومثل  
هذا قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ثم بين ضلال

(٣٤ فتح البيان ثامن) اعطيتك دعوة استجيب لث فيها قال اسحق اللهم اني أدعوك ان تستجيب لي ايماعبد لفيك  
من الاولين والآخرين لا يشرك بك شيئا فأدخله الجنة وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي حدثنا الوليد بن  
مسلم حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابيه عن عطاء بن يسار عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك  
وتعالى خيرني بين ان يغفر لني وبين ان يجيب شفاعتي فأخبرت شفاعتي ورجوت ان تكون أعظم لامتي ولولا الذي سبقتني  
إليه العبد الصالح لتجلبت فيها دعوتي ان الله تعالى لما فرج عن اسحق كرب الذبح قيل له يا اسحق سل تعط فقال أما والذي نفسي بيدهم

لا تعجلنهم قبل نزغات الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيئا فاعف عنه وادخله الجنة هذا حديث غريب منكر وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف الحديث وأخشى ان يكون في الحديث زيادة ومدرجة وهي قوله ان الله تعالى لما فرج عن اسحق الى آخره والله أعلم فهذا ان كان محفوظا فالاشبه ان السياق انما هو عن اسمعيل وانما حرقوه باسحق حسدا منهم كما تقدم والافالمناسك والذبايح انما محلها بجى من أرض مكة حيث كان اسمعيل لا اسحق فانه انما كان ببلاذ كنعان من أرض الشام وقوله تعالى ونادى بيانه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا أى قد حصل (٢٦٦) المقصود من رؤياك يا ضجاعتك ولذلك للذبح وذكر السدى وغيره انه

الممارين فيها فقال (ألا ان الذين يمارون في الساعة) أى يخاسمون فيها مخاصمة شت وريفة من المهارة وهي المخاصمة والمجادلة أو من المربة وهي الشك والريبة (اننى ضلال بعيد) عن الحق لانهم لم يتفكروا في الموجبات للايمان بهامن الدلائل التي هي مشاهدة لهم منصوبة لأعينهم مفهومة لعقولهم ولو تفكروا والعلو ان الذي خالقهم ابتداء قادر على الاعادة وقد دل الكتاب والسنة على وقوعها والعقول تشهد على انه لا بد من دار جزاء والبعث أشبه الغائبات بالمحسوسات فن لم يمتد لتجوز فهو أبعد عن الاهتداء الى ما وراءه (الله لطيف بعباده) أى كثير اللطف بهم بالغ الألفة لهم قال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يقتلهم جوعا بما يصيهم قال عكرمة بآز بهم وقال السدى رفيق بهم وقيل حتى بهم وقال القرطبي لطيف بهم في العرض والمحاسبة وقيل في ايصال المنافع وصرف البلاء وقيل لطف بالغوامض علمه وعظم عن الجرائم حمله وقيل اللطيف من ينشر المناقب ويستر المثالب أو يعفو عن يهفوا ويعطى العبد فوق الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة وقال الجنيد لطف بأولياؤه فعرفوه ولولطف بأعدائه ما حسدوه وقال جعفر الصادق يلطف بهم في الرزق من وجهين أحدهما انه جعل رزق من الطيبات الثاني انه لم يدفع اليك مرة واحدة فتبذره وقال الحسين بن الفضل لطيف بهم في القرآن وتفصيله وتفسيره وقيل اللطيف الذي لا يخاف الاعدله ولا يرجى الافضله وقيل هو الذي يعين على الخدمة ويكثر المدحة وقيل هو الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه وقيل هو الذي أوقد العلماء من الكتاب والسنة سراجا وجعل لهم الصراط المستقيم والدين القيم منها جا وأنزل لهم من سخائب بره ومنه ولطفه وكرمه واحسانه ما يحتاجون وقيل غير ذلك وحاصل المعنى انه يجري لطفه على عباده في كل أمورهم ومن جملة ذلك الرزق الذي يعيشون به في الدنيا وهو معنى قوله (يرزق من يشاء) منهم كيف يشاء فيوسع على هذا ويضيق على هذا وفي تفصيل قوم بالمسال حكمة ليحتاج البعض الى البعض كما قال اتخذ بعضهم بعضا خيرا وكان هذا الطفا بالعباد ليتمتعن الغنى بالنقى والنقى بالغنى وقيل ما يشاء من أنواع الرزق فهو وان كان رزق كل ذي روح لكنه فاوت بين المرزوقين في الرزق قلة وكثرة وجنسا ونوعا والحكمة بعلمها هو (وهو القوى) العظيم القوة الباهر القدرة (العزير) الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه

أمر السكينة على ربه فلم تقطع شيئا بل حال بينها وبينه صفقة من نحاس ونودي ابراهيم عليه الصلاة والسلام عند ذلك قد صدقت الرؤيا وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين أى هكذا انصرف عن أطاعنا المكاره والشدائد ونجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجا كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الاصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل خلافا لظاهر الآية من المعتزلة والدلالة من هذه ظاهرة لان الله تعالى شرع لابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده ثم نسخته عنه وصرفه الى الفداء وانما كان المقصود من شرعه أولا اثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك واهذا قال تعالى ان هذا هو البلاء المبين أى الاختبار الواضح الجلي حيث أمر بذبح ولده فسارع الى ذلك مستسلما

لا امر الله تعالى منقادا طاعته ولهذا قال تعالى وابراهيم الذي وفى وقوله تعالى وقد ناهى بذبح عظيم قال سفيان شئ الثورى عن جابر الجعفي عن ابي الطفيل عن علي بن ابي حمزة عن ابي بصير قال كذبوا بسمرة في ثبير وقال الثورى أيضا عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهم ما قال كذبوا بسمرة في ثبير وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا يوسف بن يعقوب الصفاري حدثنا داود الطيالسي عن ابن خثيم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهم ما قال الصخرة التي يعنى باصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها



ابراهيم فداء اسحق ابنة هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرب له نغاه فذبحه وهو الكبش الذي قرب به ابن آدم فقبل منه فمكنا مخزونا حتى قدى به اسحق وروى أبضاعن سعيد بن جبيرة انه قال كان الكبش يرتع في الجنة حتى يشق عنه ثبير وكان عليه عهن أحمرو عن الحسن البصرى انه قال اسم كبش ابراهيم عليه الصلاة والسلام جري وروى ابن جرير قال عبيد بن عمير ذبحه بالمقام وقال مجاهد ذبحه بمى عند المحر وقال هشيم عن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما كان أقتى الذي جعل عليه ان يختر نفسه فأمره بمائة من الابل ثم قال بعد ذلك لو كنت أقتيته بكبش لاجراء ان يذبح (٢٦٧) كبش فان الله تعالى قال في كتابه وفديناه

بذبح عظيم والصحيح الذي عليه الاكثرون انه يقدى بكبش وقال الثوري عن رجل عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال رعل وقال محمد بن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن انه كان يقول ما قدى اسمعيل عليه السلام الا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير وقد قال الامام أحمد حدثنا سفينان حدثني منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبة قالت أخبرتني امرأة من بني سليم ولدت عامه أهل دارنا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن طلحة رضى الله عنه وقالت مرة انها سألت عثمان لم دعاك النبي صلى الله عليه وسلم قال قال لي صلى الله عليه وسلم لم انى كنت رأيت قرنى الكبش حين دخلت البيت فنسيت ان أمرك ان تخمرهما فخرهما فانه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلى قال سفينان لم ير لنا الكبش معالقة في البيت حتى احترق البيت فاحترقا وهذا دليل مستدل على انه اسمعيل عليه الصلاة والسلام فان

شئ (من كان يريد حرث الآخرة تزده في حرثه) الحرث في اللغة الكسب يقال هو يحتر لعياله ويحترت أى يكسب ومنه سمي الرجل حارثا ومعنى أصل الحرث القاء البذر في الأرض فأطلق على عمرات الاعمال وفوائدها بطريق الاستعارة المبنيّة على تشبيهها بالغلل الحاصلة من البذر المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذر والمعنى من كان يريد بأعماله وكسبه ثواب الآخرة يضاعف الله له تلك الحسنات عشرة أمثالها الى سبع مائة ضعف وقيل معناها يزيد في توفيقه وعايته وتسهيل سبل الخير له (ومن كان يريد حرث الدنيا) أى من كان يريد بأعماله وكسبه ثواب الدنيا وهو متاعها وما يرزق الله به عباده منها مورا لها على الآخرة (تؤتونهما) ما قضت به مشيئتنا وقدم له في قضاءنا ولو تمهاون به ولم يطلبه لانه قال قتادة المعنى نقدر له ما قسم له كما قال مجملنا فيها ما نشاء وقال أيضا ان الله يعطى على نية الآخرة ما شاء من أمر الدنيا ولا يعطى على نية الدنيا الا الدنيا قال القشيري والظاهر ان الآية في الكافر وهو تخصص بغير محص ثم بين سبحانه ان هذا الذي يريد بعمله الدنيا لانصيب له في الآخرة فقال (وماله في الآخرة من نصيب) لانه لم يعمل للآخرة فلا نصيب له فيها وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة الاسراء وقال ابن عباس في الآية حرث الآخرة عيش الآخرة وقال من يورثه ثوابه على آخرته لم يجعل الله له نصيبا في الآخرة الا النار ولم يرد بذلك من الدنيا شيئا الا رزقا فرغ منه وقسم له وأخرج أحمد والحاكم وصححه وابن مردويه وابن حبان عن أبي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بشر هذه الامة بالسنة والرفعة والنصر والتمكين في الأرض ما لم يطلبوا الدنيا بعمل الآخرة فن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يريد حرث الآخرة الآية ثم قال يقول الله ابن آدم تنفخ لعبادتي املا صدرك غنى وأسدفقرك وان لانفعل ملاك صدرك شغلا ولم أسدفقرك وعن علي قال الحرث حرثان فخرث الدنيا المال والبنون وحرث الآخرة الباقيات الصالحات ولما بين سبحانه القانون في أمر الدنيا والآخرة أردفه ببيان ماهو الذنب العظيم الموجب للنار فقال (أم لهم شركاء) أم منقطعة وتقديره بل أنهم شركاء وقيل هي المعادلة لائق الاستفهام وفي الكلام ضمارة تقديره أي يقبلون ما شرع الله من الدين أم لهم آلهة (شرعوا لهم من الدين) وقيل أم بمعنى بل التي

قربنا توارثوا قرنى الكبش الذي فدى به ابراهيم عليه الصلاة والسلام خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل الى ان بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم والله أعلم \* (فصل) \* في ذكر الاثار الواردة عن السلف في أن الذبيح من هو ذكر من قال هو اسحق عليه الصلاة والسلام قال حمزة الزيات عن أبي يسرة رجه الله قال قال يوسف عليه الصلاة والسلام للملاك في وجهه ترعب ان تأكل معي وأنا والله يوسف بن يعقوب بنى الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وقال الثوري عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل ان يوسف عليه السلام قال للملاك كذلك أيضا وقال سفينان الثوري عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال قال موسى

عليه الصلاة والسلام يارب يقولون بانه ابراهيم واسحق ويعقوب فيم قالوا ذلك قال ان ابراهيم لم يعدل في شيء عطف الاختارني عليه وان اسحق جادى بالذبح وهو بغية ذلك أجود وان يعقوب كلما زنته بلا زادني حسن ظن وقال ربيعة عن أبي اسحق عن أبي الاحوص قال اقتخر رجل عند ابن مسعود رضى الله عنه فقال انافلان بن فلان بن الاشياخ الكرام فقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ذلك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وهذا صحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه وكذا روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه اسحق (٢٦٨) وعن أبيه العباس وعلى بن أبي طالب مثل ذلك وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير

ومجاهد والشعبي وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهرى والقاسم بن أبي برزة ومكحول وعثمان بن أبي حاضر والسدى والحسن وقتادة وأبو الهذيل وابن سابط وهذا الاختيار ابن جرير وتقدم روايته عن كعب الاحبار انه اسحق وهكذا روى ابن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهرى عن أبي سفيان عن العلاء ابن حارثة عن أبي هريرة رضى الله عنه عن كعب الاحبار انه قال هو اسحق وهذه الاقوال والله أعلم كلها ماخوذة عن كعب الاحبار فانه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضى الله عنه عن كتبه قد يما فر بما سمع له عمر رضى الله عنه فترخص الناس في استماع ما عنده ونبهوا ما عنده عنه غمها وبميتها وليس لهذه الامة والله أعلم حاجة الى حرف واحد مما عنده وقد حكى البغوى هذا القول بانه اسحق عن عمرو على وابن مسعود والعباس رضى الله عنهم ومن التابعين عن كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء

للاقتال والهزيمة التي للتوبيخ والتقريع وضمير شرعوا عائد الى الشركاء وضمير لهم الى الكفار وقيل العكس والاول أولى (ما لم يأذن به الله) من الشرك والمواصي والشرائع المضلة وانكار البعث والعمل للدين والآية بعمومها تشمل كل شيء لم يأمر به الله سبحانه أو رسوله فيدخل فيه التقليد لانه مما لم يأذن به الله بل ذمه في كتابه في غير موضع ولم يأذن به رسوله ولا امام من أئمة الدين ولا أحد من سلف الامة وسادتها وقادتها بل نهى عنه المجتهدون الاربعة ومن كان بعدهم من أهل الحق برك الايمان واتباع السنة المطهرة وانما أحدثه من أحدث من الجهال والعوام بعد القرون المشهورة بالخير فرحم الله امرأ سمع الحق فاتبعه وسمع الباطل فتركه وأدغمه بالله التوفيق (ولولا كلمة الفصل) وهي تأخير عذابهم حيث قال بل الساعة موعدهم (لقضى بينهم) في الدنيا فعوجلوا بالعبودية والضمير في بينهم راجع الى المؤمنين والمشركين أو الى المشركين وشركائهم (وان الظالمين) أى المشركين الكافرين والمكذبين (لهم عذاب أليم) مؤلف في الدنيا والآخرة قرأ الجمهور بكسر الهمزة على الاستئناف وقرئ بفتحها عطف على كلمة الفصل (ترى الظالمين) خطاب لكل من تنأى منه الرؤية (مشفقين) أى حائقين وجلين (مما كسبوا) من السيئات وذلك الخوف والوجل يوم القيامة (وهو) الضمير راجع الى ما كسبوا بتقدير مضاف قاله الزجاج أى وجزاء ما كسبوا (واقع بهم) نازل عليهم لاجل حاله أشفقوا أو لم يشفقوا والجملة حالية ولما ذكر الله سبحانه حال الظالمين ذكر حال المؤمنين فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ وخبره (في روضات الجنات) جمع روضة قال أبو حيان اللغة الكثيرة تسكين الواو ولغة هذيل فتحها والروضة الموضع التزه الكثیر الخضرة وقد مضى بيان هذا في سورة الروم وروضة الجنة أطيب مساكنها كما انها في الدنيا أحسن أمكنتها وفيه تنبيه على ان عصاة المؤمنين من أهل الجنة لانه خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنهم في روضات الجنات وهي البتاع الشريفة من الجنة والبتاع التي دون تلك الاوصاف لا بد وان تكون مخصوصة بمن كان دون الذين آمنوا وعملوا الصالحات (لهم ما يشاؤون عند ربهم) من صنوف النعم وأنواع المستلذات وعند ظرف يشاؤون وللإسالة مستقر العامل في لهم والعندية مجاز أو حقيقة (ذلك) أى ما ذكر للمؤمنين (هو الفصل الكبير) أى الذى لا يوصف ولا يتم مدى العقول الى كنه صفته ومعرفة حقيقة لانه الحق اذا قال كبير فن ذا

ومقاتل والزهرى والسدى قال هو احدى الروايتين عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد ورد في ذلك حديث لو ثبت لقننا الذى به على الرأس والعين ولكن لم يصرح سنده قال ابن جرير حدثنا أبو بكر ي حدثنا زيد بن خباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن بن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال هو اسحق في اسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصرى متروك وعلي بن زيد بن جدعان منكر الحديث وقدرناه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن ابراهيم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان به مرفوعا ثم قال قدرناه مبارك بن فضالة عن الحسن

عن الاحنف عن العباس رضى الله عنه قوله وهذا الشبه وأصح والله أعلم ذكر الابرار الواردة بانه اسمعيل عليه الصلاة والسلام وهو الصحيح المقطوع به وقد تقدمت الرواية عن ابن عباس رضى الله عنهما انه اسحق عليه الصلاة والسلام وقال سعيد بن جبيرة وعامر الشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وعطاء وغير واحد عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو اسمعيل عليه الصلاة والسلام وقال ابن جرير حدثني يونس اخبرنا ابن وهب اخبرني عمر بن قيس عن عطاء بن أبي يباح عن ابن عباس انه قال المقدى اسمعيل عليه السلام وزعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود (٢٦٩) وقال اسراييل عن ثور عن مجاهد عن ابن

عمر رضى الله عنهما قال الذبيح اسمعيل وقال ابن أبي شيبة عن مجاهد هو اسمعيل عليه السلام وكذا قال يوسف بن مهران وقال الشعبي هو اسمعيل عليه الصلاة والسلام وقد رأيت قرني الكعبش في الكعبة وقال محمد بن اسحق عن الحسن بن دينار وعمر بن عبيد عن الحسن البصرى انه كان لا يشك في ذلك ان الذى امر بنوح من ابي ابراهيم اسمعيل عليه السلام قال ابن اسحق وسمعت محمد بن كعب القرظى وهو يقول ان الذى امر الله تعالى ابراهيم بنوح من ابنه اسمعيل وانا نجد ذلك في كتاب الله تعالى وذلك ان الله تعالى حين فرغ من قصة المذبح من ابي ابراهيم قال تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ويقول الله تعالى فبشرنا هابلا اسحق ومن وراء اسحق يعقوب يقول يابن وابن بن فلم يكن ليأمره بذبح اسحق وله من الله تعالى الموعد ما وعده وما الذى امره بنوحه الا اسمعيل قال ابن اسحق سمعته يقول ذلك كثيرا

الذى يقدر قدره (ذلك) أى الفضل الكبير (الذى يبشر الله به عباده) قرئ يبشر مخفنا وثقلا وهما سبعتان ثم وصف العباد بقوله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فهوؤلاء الجاهلون بين الايمان والعمل بما أمر الله به وترك ما نهى عنه هم المبشرون بتلك البشارة ثم لما ذكر سبحانه ما أخبر به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الاحكام الشريفة التي اشتمل عليها كتابه أمره بان يخبرهم بأنه لا يطلب منهم بسبب هذا التبليغ ثوابا منهم فقال (قل لا أسألكم عليه أجرا) أى قل يا محمد لا أطلب منكم الآن ولا في مستقبل الزمان على تبليغ الرسالة ببشارة أو نذارة جهة الا ولا نفعا وان قل والخطاب اما القريش وللانصار لانهم أخواله وأجميع العرب لانهم أقارب في الجملة (الامودة) العظيمة الواسعة (في القربى) أى مظرووفة فيها بحيث تكون القربى موضعا للمودة ونظر فالها لا يخرج شئ من محبتكم عنها والاستثناء متصل أى الا ان تودوني لقرايتي بينكم أو تودوا أهل قرايتي ويجوز ان يكون منقطعا قال الزجاج الامودة استثناء ليس من الاول أى الا ان تودوني لقرايتي فحتم نظوني والخطاب لقريش وهذا قول عكرمة ومجاهد وأبي مالك والشعبي فيكون المعنى على الانقطاع لا أسألكم أجرا قط ولكن أسألكم المودة في القربى التي بيني وبينكم ارقبوني فيها ولا تجلوا الى ودعوني والناس وبه قال قتادة ومقاتل والسدى والضحاك وابن زيد وغيرهم وهو الثابت عن ابن عباس كما سيأتى وقال سعيد بن جبيرة وغيرهم آل محمد وسيأتى ما استدلل به القائلون بهذا الحسن وغيره معنى الآية الا التودد الى الله عز وجل والتقرب بطاعته وقال الحسين بن الفضل ورواه ابن جرير عن الضحاك ان هذه الآية منسوخة قال البغوي وهذا قول غير مرضى لان مودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكف الاذى عنه ومودة أقاربه والتقرب الى الله بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين أقول في الآية ثلاثة اقوال الاول ان القربى بمعنى القرابة أى الرحم والثاني بمعنى الاقارب والثالث بمعنى القرب والتقرب والزلفى وسيأتى ما يتضح به الصواب ويظهر به معنى الآية عن ابن عباس انه سئل عن قوله الامودة في القربى قال سعيد بن جبيرة قري آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال ابن عباس مجلت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وعنه قال قال لهم

وقال ابن اسحق عن بريدة بن سفيان بن بردة الاسلمى عن محمد بن كعب القرظى انه حدثهم انه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو خليفة اذا كان معه بالشام فقال له عمران هذا لشيء ما كنت أنظر فيه وانى لا اراه كما قلت ثم ارسل الى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه وكان يرى اننا من علماءهم فسأله عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عن ذلك قال محمد بن كعب وأخبرنا عدد عمر بن عبد العزيز فقال له عمر أى ابني ابراهيم أمر بنوحه فقال اسمعيل والله يا أمير المؤمنين وان يهودت تعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون أباكم الذى كان من أمر الله فيه والفضل الذى ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به فهم يحدون

ذلك وينعمون انه اسحق لان اسحق ابوهم والله أعلم أيهما كان وكل قد كان طاهرا طيبا مطهرا لله عز وجل وقال عبد الله ابن الامام  
 أحمد بن حنبل رحمه الله سألت أبي عن الذبيح هل هو اسمعيل أو اسحق فقال اسمعيل ذكره في كتاب الزهد وقال ابن أبي حاتم وسمعت أبي  
 يقول الصحيح ان الذبيح اسمعيل عليه الصلاة والسلام قال وروى عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب  
 وسعيد بن جبيرة والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي جعفر محمد بن علي وأبي صالح رضی الله عنهم أنهم قالوا  
 الذبيح اسمعيل وقال البغوي في تفسيره وإليه (٢٧٠) ذهب عبد الله بن عمرو وسعيد بن المسيب والسدي والحسن البصري

ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد  
 ابن كعب القرظي والكلبى وهو  
 رواية عن ابن عباس وحكاها أيضا  
 عن أبي عمرو بن العلاء وقد روى  
 ابن جرير في ذلك حديثا غريبا  
 فقال حدثني محمد بن عمار الرازي  
 حدثنا اسمعيل بن عبيد بن أبي كريمة  
 حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي  
 عن عبيد الله بن محمد العتيبي من  
 ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه  
 حدثني عبد الله بن سعيد عن  
 الصنابحي قال كنا عند معاوية بن  
 أبي سفيان فذكروا الذبيح اسمعيل  
 أو اسحق فقال علي الخليل سقطتم كنا  
 عند رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فقام رجل فقال يا رسول الله عد  
 علي بما أفاض الله عليك يا ابن الذبيحين  
 فضحك رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم فقيل له يا أمير المؤمنين وما  
 الذبيحان فقال ان عبد المطلب لما  
 أمر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الله  
 له أمرها عليه لينجب أحدهما قال  
 فخرج السهم على عبيد الله ففزع  
 أخواله وقالوا فدا بنت بمائة من  
 الابل ففسدها بمائة من الابل  
 والثاني اسمعيل وهذا حديث

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا أسألكم عليه أجرا الا ان تودوني في نفسي لقرايتي  
 وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم وعن الشعبي قال أكثر الناس عامنا في هذه الآية  
 قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى فكتبنا الى ابن عباس نسأله عن ذلك فقال  
 ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان واسط النسب في قريش ليس بطن من بطونهم  
 الا وله فيه قرابة فقال الله قل الخ ان تودوني لقرايتي منكم وتحفظوني بها وعن ابن عباس  
 قال كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرابة من جميع قريش فلما كذبوه  
 وأبوا ان يبايعوه قال يا قوم اذا أبيتكم ان يبايعوني فاحفظوا قرابتي فيكم ولا يكون غيركم  
 من العرب ولا يحفظني ونصرتي منكم وعنه قال قالت الانصار فعلنا وفعاننا وكأنتهم  
 نخروا فقال العباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
 فأتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار لم تكونوا اذلة فاعزكم الله قالوا بلى يا رسول الله  
 قال أفلا تجيبون قالوا ما نقول يا رسول الله قال الامة ولون ألم يخرجك قومك فأريناك  
 ألم يكذبوك فصدمقناك ألم يخذلوك فنصرناك فما زال يقول حتى جثوا على الركب  
 وقالوا اموالنا وما في ايدينا لله ورسوله ففرزت هذه الآية وفي اسناده يزيد بن أبي زياد  
 وهو ضعيف والاولى ان الآية بمكة لا مدينة وقد أشرفنا فيما سبق ان هذه الآية مدينة  
 وهذا تمسكهم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية  
 تحفظوني في أهل بيتي وتودوهم في آخرجه الديلي وأبونعيم وعنه قال لما نزلت هذه  
 الآية قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة  
 وولداهما أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه قال السيوطي بسند  
 ضعيف وعنه قال نزلت هذه الآية بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله  
 عليه وآله وسلم فأنزل الله قل لهم يا محمد لا أسألكم عليه أي على ما أذعوكم اليه أجر عرضا  
 من الدنيا الا المودة في القربى الا الحفظ في قرايتي فيكم فلما هاجر الى المدينة أحب أن يلحقه  
 باخوته من الانبياء فقال قل ما سألتكم من أجر فهو ولكم ان أجرى الاعلى الله يعني ثوابه  
 وكرامته في الآخرة كما قال نوح وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين  
 وكما قال هود وصالح وشعيب لم يستنوا أجرا كما استثنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرده  
 عليهم وهي منسوخة وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قل لا أسألكم على

غريب جدا وقد رواه الاموي في مغازيه حدثنا بعض اصحابنا أخبرنا اسمعيل بن عبيد بن أبي كريمة ما أتيتكم  
 حدثنا عمرو بن عبد الرحمن القرشي حدثنا عبيد الله بن محمد العتيبي من ولد عتبة بن أبي سفيان حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا  
 الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية رضي الله عنه فمذاكر القوم اسمعيل أو اسحق وذكره كذا كتبه من نسخة مغلوطة وانما  
 قول ابن جرير في اختياره ان الذبيح اسحق على قوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فجعل هذه البشارة هي البشارة باسحق في قوله  
 تعالى وبشره بغلام عليم وأجاب عن البشارة ببعقوب بأنه قد كان بلغه معه السعي أي العمل ومن الممكن انه قد كان ولده أولاد

مع يعقوب أيضا قال وأما القران اللذان كانا معلقين بالكعبة في الجنازة ما نقلنا من بلاد كنعان قال وقد تقدم ان من الناس من ذهب الى انه ذبح اسحق هناك هذا ما اعتمد عليه في تفسيره وليس ما ذهب اليه بذهب ولا لازم بل هو بعيد جدا والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على انه اسمعيل أثبت وأصح وأقوى والله اعلم وقوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين لما تقدمت البشارة بالذبيح وهو اسمعيل عطف يذكّر البشارة باخيه اسحق وقد ذكر في سورتي هود والنجر وقوله تعالى نياحنا لمقدرة أي سيصير منه نبي صالح وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن عليه (٢٧١) عن داود عن عكرمة قال قال ابن عباس

رضي الله عنهما الذي ذبح اسحق قال وقوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال بشر بن نبوته قال وقوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال كان هرون أكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوته وحدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت داود يحدث عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال انما بشر به نبيا حين فداه الله عز وجل من الذبيح ولم تكن البشارة بالنبوة عنده مولود وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابو نعيم حدثنا سفان الثوري عن داود عن عكرمة عن ابن عباس وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال بشر به حين ولد وحين نبئ وقال سعيد ابن ابي عمرو به عن قتادة في قوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال بعد ما كان من امره لما جاد الله تعالى بنفسه وقال الله عز وجل وباركنا عليه وعلى اسحق وقوله تعالى وباركنا عليه وعلى

ما يتكلم به من البيئات والهدى اجرا الا ان تودوا الله وان تقربوا اليه بطاعته هذا حاصل ما روى عن حبر الامامة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسيره هذه الآية والمعنى الاول هو الذي صح عنه ورواه عنه الجمع الجهم من تلامذته فن بعدهم ولا ينافيه ما روى عنه من النسخ فلا مانع من أن يكون قد نزل القرآن في مكة بان يوده كفار قريش لما ينسوه وبين قريش من القريبي ويحفظوه بها ثم يفسخ ذلك ويذهب هذا الاستثناء من أصله كما يدل عليه ما ذكرنا مما يدل على انه لم يسأل على التبليغ أجزا على الاطلاق ولا يقوى ما روى من جعلها على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم على معارضته ما صح عن ابن عباس من تلك الطرق الكثيرة وقد أغنى الله آل محمد عن هذا بما لهم من الفضائل الجليلة والمزايا الجميلة وقد بينا ذلك عند تفسيرنا لقوله انما يريد الله ليجذب عنكم الرجس أهل البيت وكما يقوى هذا على المعارضة فكذلك لا يقوى ما روى عنه ان المراد بالموودة أن يودوا الله وأن يتقربوا اليه بطاعته ولكنه يشد من عضده هذا انه تفسر مرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ومن يقترف) أي يكتسب وأصل القرف اكتسب يقال فلان يقرف لعماله من باب ضرب أي يكتسب والاقتراف الاكتساب مأخوذ من قولهم رجل قرفة اذا كان محتالا (حسنة) أي طاعة (نزله فيها) أي في هذه الحسنة أو في الجنة (حسنا) بمضاعفة ثوابها قال مقاتل المعنى من يكتسب حسنة واحدة نزله فيها حسنا نضاعفها بالواحدة عشر اضعافا وقيل المراد بهذه الحسنة هي الموودة في القريبي والحل على العموم أو لى ويدخل تحته الموودة في القريبي دخولا أو ليا لاذ كرها عقيب ذكر الموودة في القريبي وقال ابن عباس انها الموودة في آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال السدي انها نزلت في أبي بكر ومودته فيهم والظاهر العموم (ان الله لغفور شكور) أي كثير المغفرة للمذنبين كثير الشكر للمطيعين قال قتادة غفور للذنوب شكور للحسنات وقال السدي غفور للذنوب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم شكور للقليل فيضاعفه (أم) منقطعة أي بل (يقولون افترى) أي اخلق (على الله كذبا) بدعوى النبوة ونسبة القرآن الى الله تعالى والانكار له توبيخ ثم اجاب سبحانه عن قولهم هذا فقال (فان يشاء الله يختم على قلبك) أي لو افترى على الله الكذب لشاء عدم صدوره منه وختم على قلبه بحيث لا يختر بباله شيئا مما كذب فيه كما تزعمون قال قتادة يختم على قلبك فينسىك القرآن

اسحق ومن ذريتهم ما حسن وظالم لنفسه مبين كقوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سمعتهم ثم عسى من عذاب أليم (ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهاما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهم الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الآخرة من سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهم امنوا بعبادنا المؤمنين) يذكّر تعالى ما أنعم به على موسى وهرون من النبوة والنجاة بمن آمن معهما من قهر فرعون وقومه وما كان يعتمد في حقهم من الاساءة العظيمة من قتل الابناء واستحياء النساء واستعمالهم في أخس الاشياء ثم بعد هذا كله

نصرهم عليهم وأقرأ عينهم منهم فغلبوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا أجوعوه طول حياتهم ثم أنزل الله عز وجل على موسى الكتاب العظيم الواضح الخلي المستبين وهو التوراة كما قال تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وقال جل جلاله ههنا وآتيناها الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم أي في الأقوال والأفعال وتركا عليهم ما في الآخرة من أي بقيننا لهما من بعدهما ذكرا جبارا وثنا حسنا ثم فسره بقوله تعالى سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهم امنوا من عبدانا المؤمنين (وان الياس لمن المسلمين اذ قال لقومه (٢٧٢) ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم

ورب آباؤكم الأولين فكذبوه فانهم لمحضرون الاعباد الله المخلصين وتركوا عليه في الآخرة سلام على الياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) قال قتادة ومحمد بن اسحق يقال الياس هو ادريس وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابى حدثنا ابونعيم حدثنا اسرائيل عن ابى اسحق عن عبيدة بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال الياس هو ادريس وكذا قال الضحاك وقال وهب بن منبه هو الياس بن نسي بن فخص بن العيزار بن هرون بن عمران بعثه الله تعالى في بنى اسرائيل بعد حزقيل عليه ما السلام وكانوا قد عبدوا صنما يقال له بعل فدعاهم الى الله تعالى ونهاهم عن عبادة ما سواه وكان آد آمن به ملكهم ثم ارتدوا ستمروا على ضالتهم ولم يؤمن بهم منهم أحد فدعا الله عليهم فحبس عنهم القطر ثلاث سنين ثم سألوه ان يكشف ذلك عنهم ووعدوه الايمان به انهم أصابهم المطر فدعا الله تعالى لهم فجاءهم الغيث فاستمروا على أحب ما كانوا عليه من الكفر فسأل الله

فاخبرهم انه لو افترى عليه لفعل به ما اخبرهم به في هذه الآية وقال مجاهد ومقاتل ان يشا يربط على قلبك يا صبر على آذنتهم حتى لا يدخل قلبك مشقة من قولهم وقيل الخطاب له والمراد الكفار اى ان يشأ يختم على قلوب الكفار ويجعلهم بالعقوبة ذكرا القشيري وقيل المعنى لو حدثت لك نفسك ان تفترى على الله كذبا طبع على قلبك فانه لا يجترئ على الكذب الا من كان مطبوعا على قلبه والاولى والمقصود من هذا الكلام المبالغة في تقرير الاستبعاد (ويح والله الباطل) استئناف مقرر لما قبله من نفي الافتراء غير داخل في جزاء الشرط قال ابن الانباري يختم على قلبك تام وما بعده مستأنف وقال الكسائي فيه تقديم وتأخير اى والله يعجو بالباطل وقال الزجاج وعجوا لله الباطل احتجاج على من أنكروا ما أتى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم اى لو كان ما أتى به باطلا لمجاهد كما جرت به عادته في المنقرين وسقطت الواو من يعوفى بعض المصاحف كما حكاها الكسائي (ويحق الحق) اى الاسلام فيبينه (بكلماته) اى بما أنزله من القرآن وقد فعل الله تعالى ذلك فحبا باطلهم وأعلى كلمة الاسلام (انه عليهم بذات الصدور) اى عالم بما في قلوب العباد (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) المذنبين اى يقبل توبتهم اليه مما عملوا من المعاصى واقترعوا من السيئات والتوبة الندم على المعصية والقلع عنها والعزم على عدم المعاودة لها وهذه ثلاثة شروط فيما بينه وبين الله تعالى فاذا حصلت هذه الشروط صححت التوبة وان فقد احد الثلاثة لم تصح واما فيما يتعلق بحق آدمي فشرطها اربعة هذه الثلاثة والرابع ان يبرأ من حق صاحبها وقيل يقبل التوبة عن اوليائه وأهل طاعته والاولى اولى فان التوبة مقبولة من جميع العباد مسلمهم وكافرهم اذا كانت صحيحة صادرة عن خلوص نية وعزيمة صحيحة والاحاديث في ذلك التوبة وحكمها كثيرة في الصحيحين وغيرهما (ويعفون السيات) على العموم لمن تاب عن سيئته ويعفون بشأه بلا توبة أيضا اذا كان مادون الشرك (ويعلم ما يفعلون) من خير وشر فيجازى كلا بما يستحقه قرأ جزءه وغيره يفعلون بالقومية على الخطاب وقرئ بالتحسية على الخبر وهما سبعة عتبان واختار الثانية أبو عبيد وأبو حاتم لان هذا الفعل وقع بين خبرين (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اى يعطيهم ما طلبوه منه يقال أجاب واستجاب بمعنى وقيل المعنى تقبل عبادة المخلصين وقيل التقدير يستجيب لهم خذف اللام كما حذف في قوله واذا كالأولهم أى كالوهم وقيل ان الموصول

ان يقبضه اليه وكان قد نشأ على يديه اليسع بن أخطوب علمها الصلاة والسلام فامر الياس ان يذهب الى مكان كذا وكذا فها جاءه فليركبه فجاءه فرس من نارفركب وألبسه الله تعالى النور وكساه الريش وكان يطير مع الملائكة ملكا انسيا سماويا أرضيا هكذا حكاها وهب عن أهل الكتاب والله أعلم بحسنته اذ قال لقومه ألا تتقون أى ألا تخافون الله عز وجل في عبادتكم غيره أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال ابن عباس رضى الله عنهم ما وجدوا وعكروا وقتادة والسدى بعلا يعنى ربا قال عكرمة وقتادة وهى لغة أهل اليمن وفي رواية عن قتادة قال هى لغة ازديسوقه وقال ابن اسحق اخبرني بعض

اهل العلم انهم كانوا يعبدون امرأته اسمها بعل وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه هو اسم صنم كان يعبده اهل مدينة يقال له بعلبك غربي دمشق وقال الضحاك هو صنم كانوا يعبدونه وقوله تعالى أتدعون بعلاى أتعبدون صنما وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين اى هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له قال الله تعالى فكذبوه فانهم لمحضرون اى للعذاب يوم الحساب الاعباد الله المتخلصين اى الموحدين منهم وهذا استثناء منقطع من مثبت وقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخر ين اى ثناء جيل سلام على الياسين كما يقال فى اسمعيل اسمعين وهى (٢٧٣) لغة بنى اسد وانشد بعض بنى تميم فى ضرب صاده

يقول رب السوق لما جئنا

هذا ورب البيت اسرائينا

ويقال ميكال ومكاييل وميكائيل وبرايم وبراهايم واسرائيل واسرائير وطور سيناء وطور سينين وهو موضع واحد وكل هذا سائغ وقرأ آخرون سلام على آل ياسين وهى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وقال آخرون سلام على آل ياسين يعنى آل محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين قد تقدم تفسيره والله أعلم (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الاعجوزا فى الغابر ين ثم دمرنا الآخريين وانكم لتمرون عليهم مصحين وبالليل أفلات تعقلون) يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام انه بعثه الى قومه فكذبوه فنجاه الله تعالى من بين أظهرهم هو وأهله الا امرأته فانها هلكت مع من هلك من قومها فان الله تعالى اهلكهم بأنواع من العقوبات وجعل محلهم من الارض بحيرة منتنة قيحة المنظر والطم والريح وجعلها بسبيل

فى محل رفع اى يحسبون ربهم اذا دعاهم كقوله استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم واستظهره السفاقي قال المبرد المعنى يستدعى الذين آمنوا الاجابة هكذا حقيقة معنى استنفل فالذين فى موضع رفع والاول اولى (ويزيدهم) على ما طلبوه (من فضله) او على ما يستحقونه من الثواب تفضلا منه وقيل يشفعهم فى اخوانهم (والكافرون لهم عذاب شديد) هذا للكافرين مقابل لما ذكره للمؤمنين فيما قبله (ولو بسط الله الرزق لعباده) جميعهم اى لو وسع الله لهم رزقهم (لبغوا) اى عصوا وطغوا ج. معهم (فى الارض) وبطروا النعمة وتكبروا وطلبوا ما ليس لهم طلبه لان الغنى مبطرة مأثرة وكفى بحال فارون وفرعون عبرة وقيل المعنى لو جعلهم سواء فى الرزق لما اتقوا بعضهم لبعض ولتعطلت الصنائع والاول اولى والظاهر عموم أنواع الرزق وقيل هو المطر خاصة وذكره وافي كون بسط الرزق موجبا للطغيان وجوها لان طول بذرها وأصل البغى طلب تجاوزا لاقتصاد فيما يتجرى كية او كيفية وفى القرطبي بغيم طلبهم منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس (ولكن ينزل) بالتشديد وضده سبعيتان (بقدر ما يشاء) اى ينزل من الرزق لعباده بتقدير على حسب مشيئته وما تقتضيه حكمته البالغة (انه بعباده) اى بأحوالهم (خبير بصير) بما يصلحهم من توسيع الرزق وتضييقه فتدرك لكل أحد منهم ما يصلحه ويكفيه عن الفساد البغى فى الارض ويقدر لهم ما تقتضيه حكمته فيفقرو ويغنى ويمنع ويعطى ويسد ويقبض ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وما ترى من البسط على من يغنى ومن البغى بدون البسط فهو قليل ولا شك ان البغى مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب عن أبي هانى الخولاني قال سمعت عمرو بن خريث وغيره يقولون انما نزلت هذه الآية فى أصحاب الصفة وذلك انهم قالوا لو ان لنا فى الدنيا قال السيوطى سنده صحيح وعن علي مثله (وهو الذى ينزل) بالتشديد والتخفيف سبعيتان (الغيث) اى المطر الذى هو أرفع أنواع الرزق وأعمها فائدة وأكثرها منفعة ومصلحة (من بعد ما قنطوا) اى أيسوا عن ذلك فيعرفون بهذا الانزال للمطر بعد القنوط مقدار رحمة لهم ويشكرون له ما يجب الشكر عليه والعامية على فتح النون وقرئ بكسر ها وهى لغة وعليها قرئ لا تقنطوا بفتح النون فى المتواتر ولم يقرأ بالكسر فى الماضى الا شاذ او ما صدر به اى من بعد قنوطهم (ويشكرهم) اى بركات الغيث ومنافعه فى كل شئ من السهل والجبل

(٢٥ فتح البيان ثامن) مقيم يربها المسافرون ليلا ونهارا ولهذا قال تعالى وانكم لتمرون عليهم مصحين وبالليل أفلات تعقلون اى أفلات تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون ان للكافرين أمثالها (وان يونس لمن المرسلين اذ بقى الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة ألف ويريدون فآمنوا فتمنعناهم الى حين) قد تقدمت قصة يونس عليه الصلاة والسلام فى سورة الانبياء وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما ينبغي لعبدان يقول أنا خير من يونس بن متى

ونسبه الى أمه وفي رواية الى أبيه وقوله تعالى اذا بقى الى الفلك المشحون قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الموقر اى المملوء  
بالامتة فساهم اى قارع فكان من المدحضين اى المغلوبين وذلك ان السفينة بلغت بها الامواج من كل جانب وأشرفوا على  
الغرق فساهموا على من تقع عليه القرعة يلقى في البحر لتخفيف بهم السفينة فوقت القرعة على نبي الله يونس عليه الصلاة  
والسلام ثلاث مرات وهم يضحون به أن يلقى من بينهم فتجرد من ثيابه ليلقى نفسه وهم يأبون عليه ذلك وأمر الله تعالى حوتان من البحر  
الاخضر ان يشق البحار وان يلتقم يونس عليه (٢٧٤) السلام فلا يشم له الحما ولا يكسر له عظما فجاء ذلك الحوت وألقى يونس

عنه السلام نفسه فالتقمه الحوت  
وذهب به فطاف به البحار كلها ولما  
استقر يونس في بطن الحوت حسب  
انه قدمات ثم حرك رأسه ورجليه  
واطرافه فاذا هو حي فقام فصلى في  
بطن الحوت وكان من جملة دعائه يا رب  
اتخذت لك مسجدا في موضع لم  
يباغه أحد من الناس واختلفوا  
في مقدار ما لبث في بطن الحوت  
فقيل ثلاثة أيام قاله قتادة وقيل  
سبعة قاله جعفر الصادق رضى الله  
عنه وقيل أربعين يوما قاله أبو  
مالك وقال مجاهد عن الشعبي  
التقمه ضحى ولفظه عشية والله  
تعالى أعلم بمقدار ذلك وفي شعر أمية

ابن أبي الصلت

وأنت بفضل منك نجت يونس  
وقد بات في أضعاف حوت لياليا  
وقوله تعالى فلولا انه كان من  
المسبحين للبث في بطنه الى يوم  
يبعثون قيل لولا ما تقدم له من  
العمل في الرخاء قاله الضحاك بن  
قيس وأبو العالسة ووهب بن منبه  
وقتادة وغير واحد واختاره ابن  
جرير وقد ورد في الحديث الذي  
سنورده ان شاء الله تعالى ما يدل

والنبات والحيوان وما يحصل به من الخصب أو رحمة الواسعة المنتظمة لما ذكرنا تنظما  
أوليا والمراد بالرحمة المطرفذ كالمطر باسمين الغيث لانه يغيث من الشدة والرحمة لانه  
رأفة واحسان (وهو الولي) للصالحين من عباده بالاحسان اليهم وجلب المنافع لهم ودفع  
الشرو عنهم (الحمد) المستحق للحمد منهم على انعامه خصوصا وعموما ثم ذكر سبحانه  
بعض آياته الدالة على كمال قدرته الموجبة لتوحيده وصدق ما وعده به من البعث فقال  
(ومن آياته خلق السموات والارض) أى خلقهما على هذه الكيفية العجيبة والصنعة  
الغريبة الدالة على وجود صانع حكيم قادر وفيه اشارة الى ما قرئ في الكلام من المسالك  
الاربعة في الاستدلال على وجود الصانع تعالى وهى حدوث الجواهر وامكانها وحدث  
الاعراض القائمة بها وامكانها أيضا وفيه اشارة الى ان خلق السموات والارض من  
اضافة الصفة للموصوف أى السموات المخلوقة والارض المخلوقة (وما بث فيها من دابة)  
يجوز عطفه على خلقه بتقدير مضاف ويجوز عطفه على السموات وقدمه القاضى على  
الاول والدابة اسم لكل مادب قال الفراء أراد ما بث في الارض دون السماء كقوله يخرج  
منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب وقال أبو علي الفارسي تقديره وما  
بث في أحدهما خذف المضاف قال مجاهد دخل في هذا الملائكة والناس وقد قال  
تعالى ويخلق ما لا تعلمون قال الكرخي وما جوزه الزمخشري من أن يكون للملائكة  
مشى مع الطيران فيوصفون بالديب كما يوصف به الأنامى أو يخلق الله تعالى في السموات  
حيوانات يمشون فيها مشى الأنامى على الارض بعبء من الافهام لكونه على خلاف  
العرف العام ولان الشيء انما يكون آية اذا كان معلوما ظاهرا مكشوفاً ومن ثم أهمل  
القاضى ذكره (وهو على جمعهم) أى حشرهم يوم القيامة في الضمير تغليب العاقل على  
غيره لانه راجع الى الدابة ولولاه لكان يقال على جمعها (اذا) أى في وقت (بشاء) تقدير  
والظرف متعلق بجمعهم لا بتقدير فان المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته قال أبو البقاء لان  
ذلك يؤدى الى ان يصير المعنى وهو على جمعهم تقدير اذا بشاء فتمتعلق القدرة بالمشيئة وهو  
محال قال شهاب الدين والسبب ولا ادري ما وجه كونه محالا على مذهب أهل السنة فان  
كان يقول بقول المعتزلة وهو ان القدرة تتعلق بما لم يشأ الله تمشى كلامه ولكنه مذهب  
ردى لا يجوز اعتقاده (وما أصابكم من مصيبة) من المصائب كأنه ما كانت (فبما) أى

بسبب

على ذلك ان صح الخبر وفي حديث ابن عباس تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وقال ابن عباس

رضى الله عنهما وسعيد بن جبيرة والضحاك وعطاء بن السائب والسدي والحسن وقتادة فلولا انه كان من المسبحين يعنى المصلين  
وصرح بعضهم بانه كان من المصلين قبل ذلك وقال بعضهم كان من المصلين في جوف الحوت وقيل المراد فلولا انه كان من المسبحين  
هو قوله عز وجل فنادى في الظلمات أن لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجيبنا له ونجيناها من الغم وكذلك نبي المؤمنين  
قاله سعيد بن جبيرة وغيره وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله ابن أخي بن وهب حدثنا عمي حدثنا أبو صخران يزيد الرقاشي حدثه



انه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه ولا أعلم الا ان أنس ارفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نونس النبي عليه الصلاة والسلام حين بد الله ان يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الخوت فقال اللهم لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاقبلت الدعوة تخن بالعرش قالت الملائكة تبارك هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة غريبة فقال الله تعالى أما تعرفون ذلك قالوا يارب ومن هو قال عز وجل عبدى نونس قالوا عبدك نونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة قالوا يارب أو لا ترجم ما كان يصنع في الرخاء فتجيبه من البلاء قال بلى فامر الخوت فطرحه بالعراء (٢٧٥) ورواه ابن جرير عن نونس عن ابن وهب به

زاد ابن أبي حاتم قال أبو صخر حميد ابن زياد فاخبرني ابن قسيط وانا أحدثه هذا الحديث انه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول طرح بالعراء وأبى الله عز وجل عليه اليقطينة قلنا يا أبا هريرة وما اليقطينة قال شجرة الدباء قال أبو هريرة رضي الله عنه وهما الله له أروية وحشمة تأكل من خشاش الارض أو قال هشاش الارض قال فتمتفخ عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت وقال أمية ابن أبي الصلت في ذلك بيتا من شعره وهو

فأبى يقطينا عليه برجة

من الله لولا الله ألقى ضاحيا وقد تقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه مستند امر فوعا في تفسير سورة الانبياء ولهذا قال تعالى فبئذ ناهى ألقيناها بالعراء قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره وهى الارض التي ليس بها نبت ولا بناء قيل على جانب دجلة وقيل بارض اليمن فانه أعلم وهو سقيم أى ضعيف البدن قال ابن عباس رضي الله عنهما كهيئة الفرخ ليس

بسبب ما كسبت أيديكم من المعاصي وماهى الشرطية ولذا دخلت الفاء في جوابها على قراءة الجمهور ولا يجوز حذفها عند سيبويه وجوز الاخفش وبعض البغداديين الحذف كما في قوله وان أطعمتموهم انكم لمشركون وبه قال أبو البقاء وقيل هى الموصولة فيكون الحذف والاثبات جائزين والاول أولى قال الزجاج اثبات الفاء أجود لان التاء مجازات جواب الشرط ومن حذف الفاء فعلى ان ما في معنى الذى والمعنى الذى أصابكم وقع بما كسبت أيديكم وعبر بالأيدي لان أكثر الافعال تراول بها وتعالج وتحصل قال الحسن المصيبة هنا الحد ود على المعاصي والاولى الجملة على العموم كما يفيد وقوع النكرة في سياق النفي ودخول من الاستغراقية عليها قال الضحاك ما تعلم الرجل القرآن ثم نسيه الابتنى ثم قرأ هذه الآية وقال أى مصيبة أعظم من نسيان القرآن قلت ويلحق بالقرآن نسيان السنة المطهرة وترك العمل بها وإيثار الرأى عايبها أيضا على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال الأخرى كرم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما أصابكم من مصيبة الآية وسأفسر هالك يا على ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم والله أكرم من أن ينسى عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فانه أكرم من أن يعود بعد عفوئه أخرجه أحمد وابن راهويه وابن منيع وعبد بن حميد والحكيم الترمذى وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والخاصة كقول المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الأوجاع والاسقام والقطع والبلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من الذنوب والمعاصي وتلقب بهذه الآية من يقول بالتسامخ وقال لولم يكن للاطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تالموا والحق ان الآية مخصوصة بالمكلفين بالسباق (و) هو (يعفون كثير) أى من المعاصي التي يفعلها العباد فلا يعاقب عليها وعن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة فعنى الآية انه يكفر عن العبد بما يصيبه من المصائب ويعفون كثير من الذنوب وقد اثبت بالدلالة الصحيحة ان جميع ما يصاب به الانسان في الدنيا يؤجر عليه أو يكفر عنه من ذنوبه وقيل هذه الآية مختصة بالكافرين على معنى ان ما يصابون به بسبب ذنوبهم من غير ان يكون ذلك مكفرا عنهم لذنب ولا محصلا لثواب ويترك عقوبتهم عن كثير من ذنوبهم فلا يعاجلهم في الدنيا بل يهاتهم الى الدار الآخرة والاولى جملة الآية على العموم والعفو

عليه ريش وقال السدى كهيئة الصبي حين يولد وهو المنفوس وقاله ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد أيضا وأبنتنا عليه شجرة من يقطين قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وهب بن منبه وهلال بن يساف وعبد الله ابن طاوس والسدى وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغير واحد قالوا كلهم اليقطين هو القرع وقال هشيم عن القاسم بن أبي أيوب قال عن سعيد بن جبير وكل شجرة لاساق لها هي من اليقطين وفي رواية عنه كل شجرة تهلك من عامها هي من اليقطين وذكر بعضهم في القرع فوائد منها سرعة نباته وتطليل ورقه لكبره ونعمته وأنه لا يقربها الذباب وجودة نغذية ثمره وأنه يؤكل

نبأ ومطبوخا بلبه وقشره أيضا وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الدباء ويتبعه من نواحى الصحفة وقوله تعالى  
وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون روى شهر بن حوشب عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ما كانت رسالة يونس عليه الصلاة  
والسلام الا بعد ما بنده الحوت ورواه ابن جرير حدثني الحرث حدثنا أبو هلال عن شهر بن حوشب عن مجاهد رسل  
اليهم قبل ان يلتقمه الحوت قلت ولا مانع ان يكون الذين أرسل اليهم أولا أمر بالعود اليهم بعد خروجه من الحوت فصدقوه كلهم  
وآمنوا به وحكى البغوى انه ارسل الى امة (٢٧٦) اخرى بعد خروجه من الحوت كانوا مائة ألف أو يزيدون وقوله تعالى

يصدق على تاخير العقوبة كما يصدق على محو الذنب ورفع الخطابه وقال الواحدى  
وهذه أرحب آية في كتاب الله لانه جعل ذنوب المؤمنين صنفين صنف كفره عنهم بالمصائب  
وصنف عفا عنه في الدنيا وهو كرم لا يرجع في عقوبه فهذه سنة الله مع المؤمنين واما الكافر  
فانه لا يعجل له في الدنيا عقوبة ذنبه حتى يوافق به يوم القيامة وعن أبي موسى ان رسول الله  
صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تصيب عبدا نكبة فاقوه أو دونها الا بذنوب وما يعفو الله  
عنه أكثر وقرأ أو ما أصابكم الآية أخرجه الترمذى وعبد بن حميد وعن عمران بن حصين انه  
دخل عليه بعض اصحابه وكان قد ابتلى في جسده فقال انالنتبتس للماترى فيمك قال  
فلا تبتس لماترى فان ماترى بذنوب وما يعفو الله عنه أكثر ثم تلا هذه الآية الى آخرها  
وعن معاوية بن أبي سفيان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من شئ يصيب  
المؤمن في جسده يؤذيه الا كفر الله به عنه من سيئاته اخرجه احمد وعن البراء قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما عثرة قدم ولا اختلاج عرق ولا خدش عود الا بما  
قدمت أيديكم وما بعنوا الله أكثر أخرجه ابن مردويه (وما أنتم بمجزيين في الارض) أى  
بفائتين ما قضاه عليهم هر با في الارض ولا في السماء لو كك انوفها بل ما قضاه عليهم من  
المصائب واقع عليهم نازل بهم (وما لكم من دون الله من ولي) بواليكم فيمنع عنكم  
ما قضاه الله (ولانصير) ينصركم من عذاب الله في الدنيا ولا في الآخرة ثم ذكر سبحانه آية  
أخرى من آياته العظيمة الاله على توحيدده وصدق ما وعده فقال (ومن آياته الجوار)  
بجذف الياء من الخطلان من يا آت الزوائد وبائباتها وحذفها في اللفظ في كل من الوصل  
والوقف قرأت سبعية وهى السفن واحدها جارية أى سائرة (في البحر كالاعلام) أى  
الجبال جمع علم وهو الجبل قال الخليل كل شئ مر تفع عند العرب فهو علم وقال مجاهد  
الاعلام القصور واحدها علم (ان بشأ) قرأ الجمهور بالهمز وقرئ بلا همز (يسكن الريح)  
قرأ الجمهور بالافراد وقرئ بالجمع والمعنى يسكن الريح التى تجرى بها السفن (فيظللن) أى  
السفن الجوارى العائمة على فتح اللام التى هى عين الفعل وهو القياس لان الماضى  
بكسر ها وقرئ بكسرها وهو شاذ وقال الزمخشرى من ظل يظل ويظل نحو ظل يظل ويظل  
قال الشيخ وليس كما ذكر لان يظل بفتح العين من ضللت بكسرها فى الماضى ويضل بالكسر  
من ضللت بالفتح وكلاهما مقيس يعنى ان كلا منهما له اصل يرجع اليه بخلاف ظل فان

أوز يزيدون قال ابن عباس رضى  
الله عنهم ما فى رواية عنه بل يزيدون  
وكانوا مائة وثلاثين ألفا وعنه مائة  
الف وبضعة وثلاثين ألفا وعنه  
مائة ألف وبضعة وأربعين ألفا  
والله أعلم وقال سعيد بن جبير  
يزيدون سبعين ألفا وقال مكحول  
كانوا مائة ألف وعشرة آلاف رواه  
ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا  
محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا  
عمرو بن أبي سلمة قال سمعت زهير  
يحدث عن سمع أبا العالية يقول  
حدثني محمد بن أبي بن كعب رضى  
الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله  
عليه وسلم عن قوله تعالى وأرسلناه  
الى مائة ألف أو يزيدون قال  
يزيدون عشرين ألفا ورواه  
الترمذى عن علي بن حجر عن الوليد  
ابن مسلم عن زهير عن رجل عن ابى  
العالية عن أبي بن كعبه وقال  
غريب ورواه ابن ابى حاتم من  
حديث زهير به قال ابن جرير وكان  
بعض اهل العربية من اهل البصرة  
يقول فى ذلك معناه الى المائة  
الالف او كانوا يزيدون عندكم  
يقول كذلك كانوا عندكم ولهذاسلك

ابن جرير ههنا ما سلكه عند قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فىمى كالحجارة او شقوقا وقوله تعالى اذا فرقت ما ضيه  
منهم يخشون الناس كخشية الله او شدة خشية وقوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى ان المراد ليس انقص من ذلك بل ازيد وقوله  
تعالى فآمنوا اى فآمن هؤلاء القوم الذين ارسل اليهم يونس عليه السلام جميعهم فتعناهم الى حين اى الى وقت آجالهم كقوله جات  
عظمتهم فالولا كانت قرية آمنت فنحنها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا وتمعناهم الى حين  
(فاستقمتهم الربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة انا واهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولدا لله وانهم لكاذبون

أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبین فأوبابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الاعباد الله المخلصين يقول تعالى منكر اعلی هو لاء المشركين في جعلهم لله تعالى البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أي من الذكور أي يودون لانفسهم الجيد واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم أي بسوءه ذلك ولا يختار لنفسه الا البنين يقول عز وجل فكيف نسبوا الى الله تعالى القسم الذي لا يختارونه لانفسهم ولهذا قال تعالى فاستفتهم أي سألهم على سبيل الانتكار (٢٧٧)

كقوله عز وجل ألكم الذكروه الانثى تلك اذا قسمه ضربي وقوله تبارك وتعالى أم خلقنا الملائكة انا اناء وهم شاهدون أي كيف حكموا على الملائكة انهم اناء وما شاهدوا خلقهم كقوله جل وعلا وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انا اناء شهدوا خلقهم سكت كتب شهداتهم ويستألون أي يستألون عن ذلك يوم القيامة وقوله جلت عظمته ألا انهم من افكهم أي من كذبهم ليقولون ولد الله أي صدر منه الولد وانهم لكاذبون فذكر الله تعالى عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب فأول جعلوهم بنات الله فجعلوا لله ولدا تعالى وتقدس وجعلوا ذلك الولد انثى ثم عبدوهم من دون الله تعالى وتقدس وكل منها كاف في التخلد في نار جهنم ثم قال تعالى منكر اعلی عليهم أصطفى البنات على البنين أي أي شيء يجعله على ان يختار البنات دون البنين كقوله عز وجل أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة انا اناء انكم لتقولون قولا عظيما ولهذا قال تبارك وتعالى

ما ضيه مكسور العين فقط وظل هنا بمعنى صار لان المعنى ليس على وقت الظلول وهو النهار فقط أفاده السمين (روا كد) أي سوا كن ثوابت وقوفا يقال ركدا الماسر كودا سكن وكذلك ركدت الريح وركدت السفينة وكل ثابت في مكان فهو راسك وركد الميزان استوى وركد القوم هددوا والمراد بالمواع التي يركد فيها الانسان وغيره (على ظهره) أي ظهر البحر لا تجرى قال ابن عباس يتحرك ولا يجرب في البحر (ان في ذلك) الذي ذكر من أمر السفينة (لايات) دلالات عظيمة (لكل صبار شكور) أي لكل من كان كثير الصبر على البلوى كثير الشكر على النعماء قبل الايمان نصفان نصف صبر عن المعاصي ونصف شكر وهو الاتيان بالواجبات وقال قطرب الصبار الشكور الذي اذا أعطى شكروا اذا ابتلى صبر قال عون بن عبد الله فكم من منعم عليه غير شاكر وكم من مبتلى غير صابر (أويوبهقن) أي بهلكه بالغرق قاله ابن عباس والمراد أهلها ينهلك في البحر المشرك وغير المشرك (ويغف عن كثير) من أهلها بما تجاوز عن ذنوبهم فينجيهم من الغرق قرأ الجمهور يعف بالجزم عطف على جواب الشرط قال القشيري وفي هذه القراءة اشكال لان المعنى ان يشأ يسكن الريح فتبقى تلك السفن رواه كد أو يهلكها بنوب أهلها فلا يحسن عطف ويعف على هذا لانه بصير المعنى ان يشأ يعف وليس المعنى ذلك بل المعنى الاخبار عن العفوم غير شرط المشيئة فهو اذن عطف على الجزوم من حيث اللفظ لان حيث المعنى وقد قرأ قوم يعفو بالرفع وهي جيدة في المعنى قال أبو حيان وما قاله ليس بجيد اذ لم يفهم مدلول التركيب والمعنى ان الله تعالى ان يشأ أهلنا ناسا وأنجي ناسا على طريق العفو عنهم وقرئ بالنصب باضمار ان بعد الواو (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا) قرأ الجمهور بنصب يعلم قال الزجاج على الصرف قال ومعنى الصرف صرف العطف على اللفظ الى العطف على المعنى قال وذلك انه لما لم يحسن عدف ويعلم مجزوما على ما قبله اذ يكون المعنى ان يشأ يعلم عدل الى العطف على مصدر الفعل الذي قبله ولا يتأتى ذلك الا باضمار ان ليكون مع الفعل في تأويل اسم وكما قال الزجاج قال المبرد وأبو علي الفارسي واعترض على هذا الوجه بما لا طائل تحته وقيل النصب على

ما لكم كيف تحكمون أي ما لكم عقول تدبرون بها ما تقولونه أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبین أي حجة على ما تقولونه فأوبابكم ان كنتم صادقين أي هاؤوا برهان اعلی ذلك يكون مستندا الى كتاب منزل من السماء عن الله تعالى انه اتخذ ما تقولونه فانما تقولونه لا يكن استنادا الى عقل بل لا يجوز العقل بالكية وقوله تعانى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال مجاهد قال المشركون الملائكة بنات الله تعالى فقال أبو بكر رضى الله عنه فن أمهاتهن قالوا بنات سرورات الجن وكذا قال قتادة وابن زيد ولهذا قال تبارك وتعالى ولقد علمت الجنة أي الذين نسبوا اليهم ذلك انهم لمحضرون في العذاب يوم الحساب

لكذبهم في ذلك واقتراهم وقولهم الباطل بلا علم وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال زعم أعداء الله انه تبارك وتعالى هو وابليس اخوان تعالى الله ذلك علوا كبيرا حكاها ابن جرير وقوله جلّت عظمته سبحانه الله عما يصفون أي تعالى وتقدس وتنزه عن ان يكون له ولد وعما يصفه به الظالمون المخذون علوا كبيرا وقوله تعالى الاعباد الله المخلصين استثناء منقطع وهو من مثبت الا ان يكون الضمير في قوله تعالى عما يصفون عائدا الى الناس جميعهم ثم استثنى منهم المخلصين وهم المتبعون للحق المنزل على كل

(٢٧٨)

نبي ومرسل وجعل ابن جرير هذا الاستثناء من قوله تعالى انهم

العطف على تعليل محذوف والتقدير لمنتقم منهم ويعلم واعترضه الخفصاوي بأنه ترتب على الشرط اهلاك قوم ونجاة قوم فلا يحسن تقدير لمنتقم منهم وقرأ نافع وابن عامر برفع يعلم على الاستئناف أي على انه جملة اسمية أو فعلية فعلى كونها فعلية يكون الموصول فاعلا وعلى كونها اسمية يكون مفعولا والفاعل ضمير مستتر يعود على مبتدأ مفرد رأى وهو يعلم الذين وهي قراءة ظاهرة واضحة للفظ وقرئ بالجزم عطف على الجزم قبله على معنى وان يشأ يجمع بين الاهلاك والنجاة والتحذير ومعنى قوله (مالهم من محيص) مالهم من فرار ولا مهرب من العذاب قاله قطرب وقال السدي مالهم من ملجأ وهو مأخوذ من قولهم حاص به البعير حصة اذ رمى به ومنه قولهم فلان يحيص عن الحق أي يميل عنه ثم لما ذكر سبحانه دلائل التوحيد ذكر التفسير عن الدنيا فقال (فما أوتيت من شيء فمتاع الحياة الدنيا) أي ما أعطيت أيها الناس من الغنى والسعة في الرزق وأثبات الدنيا فاما هو متاع قليل يتمتع به في أيام قليلة تنقضي وتذهب وتزول

أما الدنيا فناء \* ليس للدنيا ثبوت

أما الدنيا كبيت \* نسجته العنكبوت

ثم رغبتهم في ثواب الآخرة وما عند الله من النعيم المقيم فقال (وما عند الله) من ثواب الطاعات والجزاء عليهم بالجنات هو (خير) من متاع الدنيا (وأبقي) لانه دائم لا ينقطع ومتاع الدنيا ينقطع بسرعة ثم بين سبحانه لمن هذا فقال (الذين آمنوا) أي صدقوا وعملوا على ما يوجبها الايمان (وعلى ربهم) لاعلى غيره (يتوكلون) أي يقوضون اليه أمورهم ويعتمدون عليه في كل شأنهم قيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين تصدق بجميع ماله وولاه الناس (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش) الموصول في محل جر معطوف على الذين آمنوا أو بدل منه وفي محل نصب على اضمار أعني والاولى والمراد الكبائر من الذنوب وقد قدمنا تحقيقها في سورة النساء قرأ الجمهور بكاء بالجمع وقرئ كبير بالافراد وهو نيب دم فاد بكاء لان الاضافة للجنس كاللام والرسم الكريم يحتمل القراءتين والفواحش هي من الكبائر ولكنها مع وصف كونها فاحشة كأنها فوهة وذلك كالقتل والزنا ونحو ذلك وقال مقاتل الفواحش موجبات الحدود وقال السدي هي الزنا فعطفها من عطف الخاص على العام والبعض على الكل اذ الكبائر قد لا توجب الحد كالغيبسة

والنميمة

بنات الله وما منا الا له مقام معلوم أي له موضع مخصوص في السموات ومقامات العبادة لا يتجاوز ولا

يتعداه وقال ابن عساكر في ترجمته محمد بن خالد بسنده الى عبد الرحمن بن العلاء بن سعد عن أبيه وكان ممن بايع يوم الفتح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الجلساء أظت السماء وحق لها أن تظ ليس فيها موضع قدم إلا عليه ملك راكع أو ساجد ثم قرأ صلى الله عليه وسلم وما منا الا له مقام معلوم وان نحن الصافون وان نحن المسجون وقال الضحاك في تفسيره وما منا الا له مقام معلوم قال كان مسروق يروي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من السماء الدنيا موضع الا عليه

لمحضرون الاعباد الله المخلصين وفي هذا الذي قاله نظر والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بقاتين الا من هو صال الجحيم وما منا الا له مقام معلوم وان نحن الصافون وان نحن المسجون وان كانوا يقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون) يقول تعالى مخاطبا للمشركين فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بقاتين الا من هو صال الجحيم أي انما يتقاد لقاكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة الا من هو أفضل منكم ممن ذرى للنار لهم قلوب لا يعقلون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون فهذا الضرب من الناس هو الذي يتقاد لدين الشرك والكفر والضلالة كما قال تبارك وتعالى انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك أي انما يضل به من هو ما فوق ومبطل ثم قال تبارك وتعالى منزها للملائكة مما نسبوا اليهم من الكفر بهم والكذب عليهم انهم

ملك ساجد أو قائم فذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وقال الامام الاعمش عن أبي اسحق عن مسروق عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان في السموات لسماء فيها موضع شبر الا عليه جهة ملك أو قدماه ثم قرأ عبد الله رضى الله عنه وما منا الا له مقام معلوم وكذا قال سعيد بن جبير وقال قتادة كانوا يصليون الرجال والنساء جميعا حتى نزلت وما منا الا له مقام معلوم فتقدم الرجال وتأخر النساء وانا نحن الصافون أى تقف صفوفنا في الطاعة كما تقدم عند قوله تبارك وتعالى والصفات صفا قال ابن جرير عن الوليد بن عبد الله بن أبي معيث قال كانوا لا يصفون في الصلاة حتى نزلت وانا (٢٧٩) لكن الصافون فصفوا وقال أبو نصر

كان عمر رضى الله عنه اذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال أقيموا صفوفكم استقيموا قياما يريد الله تعالى بكم هدى الملائكة ثم يقول وانا نحن الصافون تأخر يافلان تقدم يافلان ثم يتقدم فيكبر رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض مسجدا وتربها طهورا الحديث وانا نحن المسجون أى نصطف فنسج الرب ونجده ونقدسه وننزله عن النقائص فنحن عبيده فقراء اليه خاضعون لديه وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وما منا الا له مقام معلوم الملائكة وانا نحن الصافون الملائكة وانا نحن المسجون الملائكة نسج الله عز وجل وقال قتادة وانا نحن المسجون يعنى المصلون يشتون بمكانهم من العبادة كما قال تبارك وتعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول

والنهمة (واذا ما غضبواهم يغفرون) أى يتجاوزون عن الذنب الذى أعضبهم ويكظمون الغيظ ويحلمون على من ظلمهم وخص الغضب بالغفران لان استيلاءه على طبع الانسان وغلبته عليه شديدة فلا يغفره عند سورة الغضب الا من شرح الله صدره وخصه بمزيد الحلم ولهذا اثبت الله سبحانه عليهم بقوله فى آل عمران والكافين الغيظ والعافين عن الناس قال ابن زيد جعل الله المؤمنين صنفين صنفنا يعفون عن ظالمهم فبدأ بذكرهم وصنفنا يتصرون من ظالمهم وهم الذين سيأتى ذكرهم (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة) أى أجابوه الى مادعاهم اليه وأقاموا ما أوجبه عليهم من فريضة الصلاة قال ابن زيد هم الانصار بالمدينة استجابوا الى الايمان بالرسول حين أنفذ اليهم اثني عشر نقيباً منهم قبل الهجرة وأقاموا الصلاة لما اقيمتها بشرطها وطها وهياتها قاله القرطبي ونحوه فى البيضاوى (وأمرهم شورى بينهم) أى يتشاورون فيما بينهم ولا يعجلون ولا يتقدمون بالرأى والشورى مصدر شاورته مثل البشرى والقربى قال الضمك هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وورد النقباء اليهم حين اجتمع رأيهم فى دارأى أيوب على الايمان به والنصرة له وقيل المراد تشاورهم فى كل أمر يعرض لهم فلا يستأثر بعضهم على بعض برأى قال ابن العربي الشورى ألفة للجماعة وسبيل للعقول وسبيل الى الصواب وما تشاور قوم قط الا هدوا والحمد لله تعالى المشاورة فى الامور مدح القوم الذين كانوا يمشون ذلك وما أحسن ما قاله بشار بن برد

اذ اباع الرأى المشورة فاستعن \* برأى نصيح أو نصيحة حازم  
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة \* فريش الخوافى قوة للقوادم

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشاور أصحابه فى أموره وأمره الله سبحانه بذلك فقال وشاورهم فى الامر وذلك فى الآراء كثير ولم يكن يشاورهم فى الاحكام لانها منزلة من عند الله على جميع الاقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام فأما الصحابة بعده صلى الله عليه وآله وسلم فكانوا يتشاورون فى الاحكام ويستنبطونها من الكتاب والسنة وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة فان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم ينص عليها وتشاوروا فى أهل الردة فاستقر رأي أبى بكر على القتال وشاور عمر رضى الله عنه الهرمزان حين وفد عليه مسلماً وقد قدمنا فى آل عمران كلاماً فى الشورى (ومما رزقناهم

وهم بأمره يعصون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفقون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وقوله جل وعلا وان كانوا يقولون لو أن عندنا ذر من الآتين لكنا عباد الله المخلصين أى قد كانوا يمتنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكروهم بأمر الله وما كان من أمر القرون الاولى ويأتهم بكتاب الله كما قال جل جلاله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا وقال تعالى أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو اننا أنزل علينا الكتاب لكنا

أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بايات الله وصدق عنها يستجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون ولهذا قال تعالى ههنا فكفروا به فسوف يعلمون وعيدا كيد وتهديدا شديدا على كفرهم برهم عز وجل وتمكذبيهم رسوله صلى الله عليه وسلم (ولقد سبقت كلمتنا العبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذا بنا يستجيبون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) يقول تبارك (٢٨٠) وتعالى ولقد سبقت كلمتنا العبادنا المرسلين أى تقدم في الكتاب الاول ان

العاقبة للرسول وأتباعهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوى عزيز وقال عز وجل انالمنصر رسالنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ولهذا قال جل جلاله ولقد سبقت كلمتنا العبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون أى في الدنيا والآخرة كما تقدم بيان نصرتهم على قومهم من كذبهم وخالفهم كيف أهلك الله الكافرين ونجى عباده المؤمنين وان جندنا لهم الغالبون أى تكون لهم العاقبة وقوله جل وعلا فتول عنهم حتى حين أى اصبر على أذاهم لك وانتظر الى وقت مؤجل فاناستجيب لك العاقبة والنصرة والظفر ولهذا قال بعضهم نسألك الى يوم يدروما بعدها أيضا في معناها وقوله جل جلالته وأبصرهم فسوف يبصرون أى انظرهم وارقب ماذا يجعلهم من العذاب والنكال بما فعلتكم وتكذبتكم ولهذا قال تعالى على وجه التهديد والوعيد فسوف يبصرون ثم قال عز وجل أفبعذا بنا يستجيبون أى هم انما

ينتقمون) في سبيل الخير ويتصدقون به على المحاو ينج ثم ذكر سبحانه الطائفة التي تقتصر من ظلمها فقال (والذين اذا أصابهم البغي) أى بغي من بغي عليهم بغير الحق (هم ينتصرون) أى ينتقمون من ظلمهم من غير تعذر كرسبجانه هؤلاء المنتصرين في معرض المدح كما ذكر المغفرة عند الغضب في معرض المدح لان التذلل لمن بغي ليس من صفات من جعل الله له العزة حيث قال والله العزة لرسوله وللمؤمنين فالانتصار عند البغي فضيلة كما ان العفو عند الغضب فضيلة قال ابن العربي ذكرك الله الانتصار في البغي في معرض المدح وذكر العفو عن الجرم في موضع آخر في معرض المدح فاحتمل أن يكون أحدهما رافعا للآخر أو يكون ذلك راجعا الى حالتين احدهما أن يكون الباغى معلنا بالفتور مؤذيا للصغير والكبير فيكون الانتقام منه أفضل الثانية ان يقع ذلك من لم يعرف بالزلة ويسأل المغفرة فالفعل ههنا أفضل وهكذا كرايكا الطبرى في أحكامه وقال النخعي كانوا يكرهون ان يذلوا أنفسهم فيجترى عليهم السفهاء والفساق لكن هذا الانتصار مشروط بالاعتصام على ما جعله الله له وعدم مجاوزته كما بينه سبحانه عقب هذا بقوله (وجزا سيئة سيئة مثلها) فبين سبحانه ان العدل في الانتصار هو الاعتصام على المساواة وظاهر هذا العموم وقال مقاتل والشافعي وأبو حنيفة وسفيان ان هذا خاص بالمجرور ينتقم من الخارج بالقصاص دون غيره وقال مجاهد والسدي هو جواب القبيح اذا قال شخص أخزك الله يقول أخزك الله من غير أن يعتدى واذا انتصر فقد استوفى ظلامته وبرئ الاول من حقه وبقى عليه اثم الابتداء والاثم لحق الله تعالى وتسمية الجزاء سيئة اما لكونها اسوء من وقعت عليه أو على طريق المشاكلة لتشابههما في الصورة أخرج النسائي وابن ماجه وابن مردويه عن عائشة قالت دخلت على زينب وعندى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقبلت على تسبتي فردعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم تنته فقالت لي سببتا فسببتا حتى جفرت يقها في ثها ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتللم سرورا وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المستبان ما قال من شئ فعلى البادئ حتى يعتدى المظلوم ثم قرأ وجزاء سيئة سيئة مثلها (فن عقابا) الفاء للتقريع أى اذا كان الواجب في الجزاء رعاية المماثلة من غير زيادة وهي عشرة جدا فالاولى العفو والاصلاح اذا كان قابلا للاصلاح فلا يردانه

يخالف

يستجيبون العذاب لتكذيبهم وكفرهم بك فان الله تعالى يغضب عليهم بذلك ويجعل لهم العقوبة ومع هذا أيضا كانوا من كفرهم وعنادهم يستجيبون العذاب والعقوبة قال الله تبارك وتعالى فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين أى فاذا نزل العذاب بعلمتهم فبئس ذلك اليوم يومهم باهلا كهم ودمارهم وقال السدي فاذا نزل بساحتهم يعنى بدارهم فساء صباح المنذرين أى فبئس ما يتصحبون أى بئس الصباح صباحهم ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث اسمعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس رضى الله عنه قال صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا فلما خرجوا بقوسهم ومساحيمهم ورأوا الجيش

رجعوا وهم يقولون محمد والله محمد والخيس فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيرا نا اذ انزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ورواه البخاري من حديث مالك عن حميد عن أنس رضي الله عنه وقال الامام أحمد حدثنا رباح حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبي طلحة رضي الله عنه قال لما صح رسول الله صلى الله عليه وسلم خبير وقد أخذوا مساحيهم وغدوا الى حروثهم وأرضيهم فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم نكصوا ومدبرين فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين لم يخرجوه من هذا الوجه وهو (٢٨١) صحيح على شرط الشيخين وقوله تعالى وتول عنهم

حتى حين وأبصر فسوف يبصرون  
تأكد المائة دم من الامر بذلك  
والله سبحانه وتعالى أعلم (سبحان  
ربك رب العزة عما يصفون وسلام  
على المرسلين والحمد لله رب العالمين)  
ينزه تبارك وتعالى نفسه الكريمة  
ويقدسها ويبريها عما يقول  
الظالمون المكذبون المعتدون تعالى  
وتنزهه وتقدس عن قواهم علوا كبيرا  
ولهذا قال تبارك وتعالى سبحان  
ربك رب العزة أي ذى العزة  
التي لا ترام عما يصفون أي عن  
قول هؤلاء المعتدين المنتهين  
وسلام على المرسلين أي سلام الله  
عليهم في الدنيا والآخرة لسلامة  
ما قالوه في ربهم وصحته وحقيقته  
والحمد لله رب العالمين أي له الحمد  
في الاولى والآخرة في كل حال ولما  
كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة  
من النقص بدلالة المطابقة ويستلزم  
اثبات الكمال كما ان الجديد على  
اثبات صفات الكمال مطابقة  
ويستلزم التنزيه من النقص قرن  
بينهما في هذا الموضع وفي مواضع  
كثيرة من القرآن ولهذا قال تبارك  
وتعالى سبحان ربك رب العزة عما

يخالف قوله -م الخلم على العاجز محمد وعلى المتغلب مذموم والمعنى من عفا عن ظلمه  
(واصله) بالعفو بينه وبين ظالمه (فأجره على الله) أي يأجره على ذلك لا بحالته وأبهم الاجر  
تعظيم الشأنه وتبنيها على جلالته قال مقاتل فكان العفو من الاعمال الصالحة وقد بينا  
هذا في سورة آل عمران والمقصود من الآية التبريض على العفو وقد عرفت التوفيق  
بينه وبين الانتصار أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه  
 وآله وسلم اذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادي ألا يقم من كان له على الله أجر فلا  
يقوم الا من عفا في الدنيا وذلك قوله من عفا الآية وأخرج البيهقي عن أنس عن النبي صلى  
الله عليه وآله وسلم قال ينادي مناد من كان له أجر على الله فليدخلك الجنة مرتين فيقوم  
من عفا عن أخيه قال الله تعالى من عفا الآية ثم ذكر سبحانه خروح الظلمة عن محبته التي  
هي سبب القوز والتجاة فقال (انه لا يجب الظالمين) يعني من يبدأ بالظلم فانه مقاتل وبه  
قال سعيد بن جبير وقيل لا يجب من يتعدى في الاقتصاص ويجاوز الحد فيه لان المجاوزة  
ظلم (ولن انتصر بعد ظلمه) مصدر مضاف الى المفعول أي بعد ان ظلمه الظالم واللام هي  
لام الابتداء وقال الحوفي وابن عطية هي لام القسم وليس بجديد بل الاولى ومن هي  
الشرطية وجوابه (فأولئك ما عليهم من سبيل) بمواخذة وعقوبة لانهم فعلوا ما هو جازر  
لهم وقيل من موصولة والاولى وفي القرطبي الآية دليل على ان له ان يستوفي ذلك  
بنفسه وهذا ينقسم ثلاثة أقسام وذكرها في حاشية الجمل لان طول يبسطها فجعلها كتب  
الفقه دون التفاسير ولما نفي سبحانه السبيل على من انتصر بعد ظلمه بين من عليه السبيل  
فقال (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) أي يتعدون عليهم ابتداء كذا قال الاكثر  
وقال ابن جرير أي يظلمونهم بالشرك المخالف لدينهم (ويغون في الارض) أي يعملون في  
النفوس والاموال (بغير الحق) كذا قال الاكثر قيد به لان البغي قديكون معصوبا بحق  
كالاتصار المقترن بالتعدى فيه وقال مقاتل بغيرهم عملهم بالمعاصي وقيل يتكبرون  
ويتجبرون وقال أبو مالك هو ما يرجوه أهل مكة ان يكون بمكة غير الاسلام ديننا (أولئك)  
أي الذين يظلمون الناس (لهم) بهذا السبب (عذاب أليم) شديد الالم ثم رغب سبحانه في  
الصبر والعفو فقال (ولن صبر وعفرت) كره اهتماما بالصبر وترغيبا فيه والصبر هنا هو  
الاصلاح المتقدم فاعيد هنا وعبر عنه بالصبر لانه من شأن أولى العزم واشارة الى ان العفو

(٣٦ فتح البيان ثامن) يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمت على فسلموا على المرسلين فأتى رسول من المرسلين هكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من  
حديث سعيد عنه كذلك وقد أسنده ابن أبي حاتم رحمه الله فقال حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو بكر العين  
ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة قال حدثنا حسين بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك عن أبي طلحة رضي الله  
عنه ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمت على فسلموا على المرسلين وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا

تَوْحٍ حَدَّثَنَا أَبُو مَرْوَانَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْلُمَ قَالَ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصْفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ثُمَّ يَسْلُمُ اسْنَادَهُ ضَعِيفٌ وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ الْوَاسِطِيُّ حَدَّثَنَا شَابِثَةُ عَنْ يُونُسَ عَنْ أَبِي اسْمَعِيلَ الشَّعْبِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الْاَوْفَى مِنَ الْاَجْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلْيَقُلْ آخِرَ مَجْلِسِهِ حِينَ يَرِيدُ أَنْ يَقُومَ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصْفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَوَى مِنْ وَجْهِ آخِرِ مُتَمَصِّلٍ (٢٨٢) مَوْقُوفٌ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ أَخْبَرْنَا

المحمود ما نشأ عن التحمل لاعتن العجز والمعنى ومن صبر على الأذى وغفر لمن ظلمه لوجه الله ولم ينتصر وهذا فيمن ظلمه مسلم ويحكي ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن بن رجاء الله فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسخ العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذا ضيعها الجاهلون وبالجملة العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوب باليه كما تقدم وذلك اذا احتج الى كنف زيادة البغى وقطع مادة الأذى (ان ذلك) الصبر والمغفرة منه وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم (ان عزم الامور) قال مقاتل أي من الامور التي أمر الله بها وندب اليها أو مما ينبغى ان يوجهه العاقل على نفسه ولا يترخص في تركه قال أبو سعيد القرشي الصبر على المكاره من علامات الاتباه فن صبر على مكره ويصبره ولم يجزع أورثه الله تعالى حال الرضا وهو أجل الاحوال ومن جزع من المصيبات وشكا وكه الله تعالى الى نفسه ثم تمنعه شكواه وقال الزجاج الصابر يؤتى بصبره ثوابا فالرغبة في الثواب أتم عزم ما قال ابن زيدان هذا كله منسوخ بالجهاد وانه خاص بالمشركين وقال قتادة انه عام وهو ظاهر النظم القرآني وقال هنا بلا م التوكيد وفي لقمان بدونها ان الصبر على مكره حدث بظلم قتل ولد أشد من الصبر على مكره حدث بلا ظلم كوت ولد كما ان العزم على الاول أكد منه على الثاني وما ههنا من القبيل الاول فكان أنسب بالتوكيد وما في لقمان من القبيل الثاني فكان أنسب بعدمه افاده الكرخي (ومن يضل الله) أي يخذله (فخاله من ولى من بعده) أي خاله من احد يلى هدايته ويصبره وظاهر الآية العموم وقيل هي خاصة بمن أعرض عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعمل بما دعاه اليه من الايمان بالله والعمل بما شرعه الله والمودة في القرى أي فن أضله الله عن هذه الاشياء فلا يهديه هاد قاله القرطبي والاول أولى (وترى) الخطاب في الموضوعين لسلك من تتأني منه الرؤية والرؤية فهم ابصرية والجملة الواقعة بعد كل منهما حالية (الظالمين) أي المشركين المكذبين بالبعث (لمارأوا العذاب) أي حين نظروا النار وقيل نظروا ما أعدده الله لهم عند الموت واختير لفظ الماضي للتحقيق (يقولون هل الى مرد من سبيل) أي هل الى الرجعة الى الدنيا من طريق (وتراهم يعرضون عليها) أي على النار (خاشعين من الذل) أي ساكنين متواضعين من أجله (ينظرون) اليها (من طرف خفي) أي ذليل قاله

أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أخبرنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني ابن منجويه حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا حمدان حدثنا ابراهيم بن سهلويه حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع عن ثابت بن أبي صفية عن الاصمغين بن نباتة عن علي رضي الله عنه قال من أحب ان يكال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وروى الطبراني من طريق عبد الله بن صخر بن أنس عن عبد الله بن زيد بن أرقم عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قال دبر كل صلاة سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ثلاث مرات فقد اكال بالجرىب الاوفى من الاجر وقد وردت أحاديث في كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك وقد أفردت لها جازأ على حدة فليكتب ههنا ان شاء الله تعالى آخر تفسير سورة والصفات والله أعلم

ابن

\*(تفسير سورة ص وهي مكية)\*

\*(بسم الله الرحمن الرحيم ص والقرآن ذى الذكربل الذين كفروا في عزة وشقاق كم أهل كما من قبلهم من قرن فنادوا واولاد حين مناص) اما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تعالى والقرآن ذى الذكربل رأى والقرآن المشتق على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم في المعاش والمعاد قال الضحاك في قوله تعالى ذى الذكربل قوله تعالى لقد أنزلنا اليكم كتابا فيسهذ كرم أي تذ كيركم وكذا قال قتادة واختاره ابن جرير وقال ابن عباس رضي الله عنهم ما وسع يد بن جبير واسماعيل بن



أبي خالد بن عيينة وأبو حصين وأبو صالح والسدي ذى الذرى الشرف أى ذى الشأن والمكانة ولا منافاة بين القولين فإنه كتاب شريف مشتمل على التذكير والاعتذار والانداز واختلقوا في جواب هذا القسم فقال بعضهم هو قوله تعالى ان كل الاكذب الرسل خلق عقاب وقيل قوله تعالى ان ذلك لخلق تخاصم أهل النار حكاهما ابن جرير وهذا الثانى فيه بعد كبير وضعفه ابن جرير وقال قتادة جوابه بل الذين كفروا في عزة وشقاق واختاره ابن جرير ثم حكى ابن جرير عن بعض أهل العربية أنه قال جوابه ص جعلها بمعنى صدق حق والقرآن ذى الذكر وقيل جوابه (٢٨٣) ما تضمنه سياق السورة بكلها والله أعلم وقوله

تبارك وتعالى بل الذين كفروا في عزة وشقاق أى ان في هذا القرآن لذكرى لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر وانما لم ينتفع به الكافرون لانهم في عزة أى استكبار عنه وجمسة وشقاق أى ومخالفة له ومعاندة ومفارقة ثم خوفهم ما هلك به الامم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسول وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء فقال تعالى كم اهلكنا من قبلهم من قرن أى من امة مكذبة فنادوا أى حين جاءهم العذاب استغاثوا وجرأوا الى الله تعالى وليس ذلك بجعد عنهم شياً كما قال عز وجل فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون أى يهربون لا تركضوا وارجعوا الى ما آترفتم فيه ومساكنكم اعدكم تسئلون قال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن أبي اسحق عن التميمي قال سألت ابن عباس رضى الله عنهما عن قول الله تبارك وتعالى فنادوا وولات حين مناص قال ليس بحين ترو ولا فرار وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس بحين مغاث وقال شيب بن بشر عن عكرمة عن

ابن عباس ومن هي لا ابتداء الغاية أى يتبدى نظيرهم الى النار ويجوز أن تكون تبعية وقال يونس من معنى الباء أى ينظرون بطرف ضعيف من الذل والخوف وبه قال الاخفش والطرف الخفي الذى يخفى نظره كالمصبور ينظر الى السيف لما لحقهم من الذل والخوف والوجل قال مجاهد وانما ينظرون بقلوبهم لانهم يحشرون عيا وعين القلب طرف خفي وقال قتادة وسعيد بن جبيرة والسدي والقرظي ومحمد بن كعب يسارقون النظر الى النار من شدة الخوف (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) أى ان الكافرين في الخسران هم هؤلاء الذين جمعوا بين خسران الانفس والاهلين بتخليد هم في النار (يوم القيامة) اما ظرف الخسران واقول في الدنيا ولقال فالقول في القيامة ويكون التعبير عنه بالماضى للدلالة على تحقق وقوعه قاله أبو السعود واما خسرتهم لانفسهم فلكونهم صاروا في النار معذبين بها واما خسرتهم لاهليهم فلانهم ان كانوا معهم في النار فلا ينتفعون بهم وان كانوا في الجنة فقد حيل بينهم وبينهم وقيل خسرتهم لانهم لو آمنوا لكان لهم في الجنة أهل من الحور العين (ألان الظالمين في عذاب مقيم) هذا من تمام كلام المؤمنين أو من كلام الله سبحانه أى هم في عذاب دائم لا ينقطع (وما كان لهم من أولياء نصروهم من دون الله) أى لم يكن لهم أعوان يدفعون عنهم العذاب وأنصار نصروهم في ذلك الموطن من دون الله بل هو المتصرف سبحانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن (ومن يضلل الله فما له من سبيل) أى من طريق يسلكها الى النجاة ثم أمر سبحانه عباده بالاستجابة وحذرهم فقال (استجبوا لربكم) أى استجبوا دعوتهم اليكم الى الايمان به وبكتبه ورساله (من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله) أى لا يقدر أحد على رده ودفعه على معنى من قبل ان ياتي من الله يوم لا يرده أحد ولا يرده الله بعد ان حكم به على عباده ووعدهم به والمراد به يوم القيامة أو يوم الموت (مالكم من ملجأ يومئذ) تلجئون اليه (ومالكم من نكير) أى انكار يعنى بل تعترفون بذنوبكم لانها مدونة في صحائفكم وتشهد بها عليكم جوارحكم وقال مجاهد مالكم من ناصر ينصركم وقيل النكير يعنى المنكر كالإيم بمعنى المؤلم أى لا تجدون يوماً ذم منكم الما ينزل بكم من العذاب حكاه ابن ابي حاتم وقاله الكلبي وغيره والاول وأولى قال الزجاج معناه انهم

ابن عباس نادوا النداء حين لا ينفعهم وانشد \* تذكري لي لات حين تذكر \* وقال محمد بن كعب في قوله تعالى فنادوا وولات حين مناص يقول نادوا بالوحيد حين تولت الدنيا عنهم واستنصوا للتوبة حين تولت الدنيا عنهم وقال قتادة لما رأوا العذاب أرادوا التوبة عن حين النداء وقال مجاهد فنادوا وولات حين مناص ليس بحين فرار ولا اجابة وقدرى نحو هذا عن عكرمة وسعيد بن جبيرة وأبي مالك والبخاري وزيد بن اسلم والحسن وقتادة وعن مالك عن زيد بن اسلم وولات حين مناص ولاندا في غير حين النداء وهذه الكلمة وهي لات هي لا التي للثني زيدت معها التاء كما تزداد في ثم فيقولون تمت ورب فيقولون ربتي وهي مفصلة والوقف عليها ومنهم من

حكى عن المصنف الامام فيما ذكره ابن جرير انها متصله بيمين ولا تحين مناص والمشهور الاول ثم قرأ الجمهور بنصب حين تقديره  
وليس الجين حين مناص ومنهم من جوز النصب بها وانشد

تذكر حب ليلي لات حيننا \* وأضحى الشيب قد قطع القرينا  
طلبوا صلحنا ولات أوان \* فاجبننا ان ايس حين بقاء  
ولات ساعة مندم \* بخفض الساعة

(٢٧٤)

ومنهم من جوز الجربها وانشد  
وانشد بعضهم ايضا

واهل اللغة يقولون النوص التأخر  
والبوص التقدم ولهذا قال تبارك  
وتعالى ولات حين مناص اي ليس  
الحين حين فرار ولا ذهاب والله  
سبحانه وتعالى الموفق للصواب  
(وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال  
الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل  
الآلهة الها واحدا ان هذا الشيء  
عجاب وانطلق الملا منهم ان امشوا  
واصبروا على آلهتكم ان هذا الشيء  
يراد ما معناه في الملة الآخرة  
ان هذا الاختلاق أنزل عليه  
الذكر من يئنا بل هم في شك من  
ذكرى بل لما يذوقوا عذاب أم  
عندهم خزائن رحمة ربك العزيز  
الوهاب أم لهم ملك السموات  
والارض وما بينهما فليترقوا في  
الاسباب جند ما هنالك مهزوم من  
الاحزاب) يقول تعالى مخبراعن  
المشركين في تعجبهم من بعثة رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا  
كما قال عز وجل أكان للناس عجباً  
ان أوحينا الى رجل منهم أن أنذر  
الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم  
قدم صدق عند ربهم قال الكافرون  
ان هذا لساحر مبين وقال جل

لا يقدر ان ينكروا الذنوب التي يوقفون عليها (فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم  
حفيظا) أي حافظا تحفظ أعمالهم الصادرة عنهم حتى تحاسبهم عليها ولا موكل بهم رقيباً  
عليهم لتقهرهم على امتثال ما أرسلناك به (ان) أي ما (عليك) (البلاغ) لما امرت  
بإبلاغه وليس عليك غير ذلك وهذا منسوخ بآية السيف لانه قبل الامر بالجهاد (وانا  
إذا أذقنا الانسان منارحة) أي إذا أعطيناها رءاء وصحة رغني (فرح بها) بطرا ونعم الدنيا  
وان كانت عظيمة الا انها بالنسبة الى السعادة الآخرة كالقطرة بالنسبة الى البحر فلها داسمي  
الانعام اذ اذقوا والمراد بالانسان الجنس ولهذا قال (وان تصبهم سيئة) أي بلا ووشدة  
ومرض وفقر (بما قدمت أيديهم) من الذنوب وعبر باليدى لان أكثر الافعال تراول بها  
(فان الانسان كفور) أي كثير الكفر بما أنعم به عليه من نعمه غير شكور له عليها وهذا  
باعتبار غالب جنس الانسان ولم يقل فانه كفور بل وضع الظاهر موضع المضمير ليسجل على  
ان هذا الجنس موسوم بكفر ان النعم كما قال ان الانسان لظالم كفار والمعنى انه يذكر البلاء  
وينسى النعم ويعطيها ثم ذكر سبحانه سعة ملكه ونفاذ تصرفه فقال (لله ملك السموات  
والارض) أي له التصرف فيما يجاريه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع والملك بالضم  
الاستيلاء على الشيء والتمكين من التصرف فيه وفي المصباح وملك على الناس أمرهم  
ملكاً من باب ضرب اذا تولى السلطنة فهو ملك والاسم الملك بضم الميم (يخلق ما يشاء) من  
الخلق (يهب لمن يشاء انا) بدل مفصل من يحمل أي لاذ كور دعنه قاله مجاهد والحسن  
والضحاك وأبو مالك وأبو عبيدة وقال ابن عباس يريد لوطاً وشعباً لانهم لم يكن لهما الا  
البنات (ويهب لمن يشاء الذكور) أي لا اناث معهم يريد ابراهيم لانه لم يكن له الا الذكور قاله  
ابن عباس قبل وتعرف الذكور بالالف واللام للدلالة على شرفهم على الاناث ويمكن ان يقال  
ان التقديم للاناث قد عارض ذلك فلا دلالة في الآية على المفاضلة بل هي مسوقة لمعنى  
آخر وقد دل على شرف الذكور قوله سبحانه الرجال قوامون على النساء بما فضل الله وغير  
ذلك من الأدلة الدالة على شرف الذكور على الاناث وقيل تقديم الاناث لكثرتهن  
بالنسبة الى الذكور وقيل لتطيب قلوب آبائهن وقيل لغية ذلك مما لا حاجة الى التطويل  
بذكره اخرج ابن مردويه وابن عساكر عن وائل بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وآله  
وسلم قال من بركة المرأة بتسكارها بالاشي لان الله قال يهب لمن يشاء انا ما الخ (أوزروهم

ذكرنا

وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة

وعلاهننا وعجبوا أن جاءهم منذر منهم أي بشر مثلهم  
الها واحد أي أزعج ان المعبود واحد لا اله الا هو أنكر المشركون ذلك فجهم الله تعالى وتعجبوا من ترك الشرك بالله فانهم  
كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الاوثان وأشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى خلع ذلك من قلوبهم وافراد  
الاله بالوحداية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشيء عجاب وانطلق الملا منهم وهم سادتهم وقادتهم  
ورؤسأؤهم وكبرأؤهم قائلين امشوا أي استمروا على دينكم واصبروا على آلهتكم ولا تستجيبوا لما يدعوكم اليه محمد من التوحيد

وقوله تعالى ان هذا الشئ يراد قال ابن جرير ان هذا الذي يدعوننا اليه محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد شئ يريد به الشرف عليكم والاستعلاء وان يكون له منكم اتباع ولستنا نجيبه اليه ذ كرسب نزول هذه الآيات الكريمات قال السدي ان ناسا من قریش اجتمعوا فيهم أبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والأسود بن اللطيل والأسود بن عبد يعوث في نفر من مشيخة قریش فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى أبي طالب فلنكلمه فيه فلينصفنا منه فليكف عن شتم آل هاشم وندعه والهه الذي يعبدناه فاننا نخاف ان يموت هذا الشيخ فيكون منا اليه شئ فتعيرنا به العرب يقولون تركوه (٢٨٥) حتى اذا مات عنه تناووه فيه عشوار جلا منهم

يقال له المطاب فاستأذن لهم على أبي طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم يستأذنون عليك قال أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فانصفنا من ابن أخيك فوره فليكف عن شتم آل هاشم وندعه والهه قال فبعث اليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم وقد سألوك ان تكف عن شتم آل هاشم ويدعوك والهك قال صلى الله عليه وسلم يا عم أفلا ادعوهم الى ما هو خير لهم قال والى م تدعوهم قال صلى الله عليه وسلم ادعوهم ان يتكلموا بكلمة تدبر لهم بها العرب ويملكون بها العجم فقال أبو جهل لعنه الله من بين القوم ماهي وأبيك لعطينتكها وعشر أمثالها قال صلى الله عليه وسلم تقولون لا اله الا الله فنقروا وقالوا سلنا غيرها قال صلى الله عليه وسلم لوجهتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها فقاموا من عندهم غضابا وقالوا والله لنشتمك والهك الذي امرك بهذا وانطلق الملائمة منهم ان امشوا

ذكرنا وانانا اي يقرب بين الاناث والذكور ويجعلهم ازواجا فيهم ما جميعا لبعض خلقه يريد محمد صلى الله عليه وآله وسلم فانه كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبد الله و ابراهيم ومن البنات اربع زينب ورقية وام كاشوم وفاطمة قاله ابن عباس قال مجاهد هو ان تلد المرأة غلاما ثم تلد جارية ثم تلد غلاما ثم تلد جارية وقال محمد بن الحنفية هو ان تلد ثورا ما غلاما ما جارية وقال القتيبي التزويج هنا هو الجمع بين البنين والبنات تقول العرب زوجت ابلي اذا جمعت بين الصغار والبيكار ومعنى الآية اوضح من ان يختلف في مثله فانه سبحانه أخبر انه يهب لبعض خلقه انثا ويهب لبعض خلقه ذكورا ويجمع لبعض بين الذكور والاناث (ويجعل من يشاء عقيما) لا يولد له ذكورا انثى والعقيم الذي لا يولد له يريد يحيى وعيسى قاله ابن عباس وقال أكثر المفسرين هذا على وجه التمثيل وانما الحكم عام في كل الناس لان المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى في تكوين الاشياء كيف يشاء فلما معنى للتخصيص يقال رجل عقيم وامرأة عقيمة وعقت المرأة تعقما وعقما وأصله القطع ويقال نساء عقيم وعقماء وعقما (انه عليم قدير) أي بليغ العلم عظيم القدرة (وما كان لبشر) أي ماصح لفرد من افراد البشر (أن يكلمه الله) بوجه من الوجوه (الاوحيا) بأن يوحى اليه فيلهمه في المنام ويقذف في قلبه ذلك قال مجاهد نقت نقت في قلبه فيكون الهامانته كما أوحى الى أم موسى والى ابراهيم في ذبح ولده والوحى الاشارة والرسالة والكتابة وكل ما ألقىته الى غيرك ليعلمه وحى كيف كان قاله ابن فارس وهو مصدر وحى اليه يحيى من باب وعى وأوحى اليه بالالف مثله ثم غلب استعمال الوحى فيما يلقى الى الانبياء من عند الله تعالى ولغة القرآن الفاشية أوحى بالالف (أومن وراء حجاب) كما كلم موسى يريد ان كلامه يسمع من حيث لا يرى وهو تمثيل بحال الملك المحتجب الذي يكلم خواصه من وراء حجاب قال ابن عباس في الآية الا ان يبعث ملكا يوحى اليه من عنده أو يلهمه فيذف في قلبه أو يكلمه من وراء حجاب وقيل المراد به ان السامع محجوب عن الرؤية في الدنيا (أو يرسل رسولا) أي ملكا (فيوحى) ذلك الملك الى الرسول من البشر (بأذنه) أي بأمر الله وتيسيره (ما يشاء) ان يوحى اليه قال الزجاج المعنى ان كلام الله للبشر اما ان يكون بالهام يلهمهم او يكلمهم من وراء حجاب كما كلم موسى وأمر رسالة ملك اليهم وتقدير الكلام ما كان لبشر أن يكلمه الله الا ان يوحى وحيا أو يكلمه من وراء حجاب أو يرسل رسولا ومن

واصبر واعلى آلهتكم ان هذا الشئ يراد ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد فلما خرجوا دعار رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه الى قول لا اله الا الله فأبى وقال بل على دين الاشياخ ونزلت انك لا تهدي من أحببت وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا أبو بكر يابن وكيع قال حدثنا أبو اسامة حدثنا الاعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهم ما قال لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قریش فيهم أبو جهل فقالوا ان ابن أخيك يشتم آل هاشم ويفعل ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت اليه فنهسته فبعث اليه جفاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل قال نخشى أبو جهل لعنه الله

ان جلس الى جنب أبي طالب ان يكون أرق له عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب  
 عنه فجلس عند الباب فقال له أبو طالب أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك يزعمون أنك نشتم آلهتهم وتقول وتقول قالوا كثروا  
 عليه من القول وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عم اني أريدكم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدى  
 إليهم بها الجحيم الجزية ففزعوا الكلمته ولقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وأي بك عشر افقالوا وما هي وقال أبو طالب وأي كلمة هي  
 يا ابن أخي قال صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله (٢٨٦) فقاموا فزعوا عن ينقضون ثيابهم وهم يقولون اجعل الآلهة الها واحدا

قرأ يرسل رفعا أراد وهو يرسل فهو ابتداء واستئناف انتهى وقرأ الجمهور بنصب يرسل  
 وبنصب فيموحى على تقدير ان وتكون ان وما دخلت عليه معطوفين على وحياء وحياتي في  
 محل الحال والتقدير الاموحيا أو مرسل لا ولا يصح عطف أو يرسل على ان يكلمه لانه  
 يصير التقدير وما كان لبشر أن يرسل الله رسولا وهو فاسد لفظا ومعنى وقد قيل في  
 توجيه قراءة الجمهور غير هذا مما لا يخلو عن ضعف وقرئ بالرفع وكذلك في موحى باسكان  
 الياء على انه خبر مبتدأ محذوف والتقدير أو هو يرسل كما قال الزجاج وغيره ووجه  
 (انه على حكيم) تعليل لما قبلها أي متعال عن صفات النقص حكيم في كل أحكامه قال  
 المفسرون سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الاتكلم الله  
 وتنتظر اليه ان كنت نبيا كما كلم موسى فزلت (وكذلك) أي كالوحي الذي أوحينا الى  
 الانبياء قبلك (أوحينا اليك روحا من أمرنا) المراد به القرآن قاله ابن عباس وقيل النبوة  
 قال مقاتل يعني الوحي بأمرنا ومعناه القرآن لانه يتهدى به ففيه حياة من موت الكفر  
 وقيل من تبعه ضل لان الموحى اليه لا ينحصر في القرآن وقيل المراد به الرحمة وقيل جبريل  
 ثم ذكر سبحانه صفة رسوله قبل أن يوحى اليه فقال (ما كنت تدري ما الكتاب) أي أي  
 شيء هو لانه صلى الله عليه وآله وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وذلك أدخل في الإعجاز وأدل  
 على صحة نبوته ومعنى (ولا الايمان) انه كان صلى الله عليه وآله وسلم لا يعرف تفاصيل  
 الشرائع ومعالمها ولا يتهدى الى معانيها كالصلاة والصوم والزكاة والختان وابقاع  
 الطلاق والغسل من الجنابة وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصهر وهذا هو الحق وخص  
 الايمان لانه رأسها وأساسها وقيل أراد بالايان هنا الصلاة قاله جماعة من أهل العلم  
 منهم امام الأئمة محمد بن اسحق بن خزيمة واحتج بقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم  
 يعني الصلاة فسميها ايمانا وذهب جماعة الى ان الله لم يبعث نبيا الا وقد كان مؤمنا به  
 وقالوا معنى الآية ما كنت تدري قبل الوحي كيف تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى  
 الايمان وقيل كان هذا قبل البلوغ حين كان طفلا وفي المهدي وقال الحسين بن الفضل انه  
 على حذف المضاف أي ولأهل الايمان وقيل المراد بالايان دين الاسلام وقيل الايمان  
 هنا عبارة عن الاقرار بكل ما كلف الله به العباد وقال الكواشي ويجوز أن يراد بالايان  
 نفس الكتاب وهو القرآن وعطف عليه لاختلاف لفظيه ما أي ما كنت تعرف القرآن وما

ان هذا الشيء عجيب قال ونزلت من  
 هذا الموضع الى قوله بل لما يذوقوا  
 عذاب لفظ أبي كريب وهكذا رواه  
 أحمد والنسائي من حديث محمد بن  
 عبد الله بن نمير كلاهما عن أبي  
 اسامة عن الاعمش عن عباد غير  
 منسوب به نحوه ورواه الترمذي  
 والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير  
 أيضا كلهم في تفاسيرهم من حديث  
 سفيان الثوري عن الاعمش عن  
 يحيى بن عمار الكوفي عن سعيد  
 ابن جبيرة عن ابن عباس رضي الله  
 عنهم ما ذكر نحوه وقال الترمذي  
 حسن وقولهم ما سمعنا بهذا في الملة  
 الآخرة أي ما سمعنا بهذا الذي  
 يدعونا اليه محمد من التوحيد في  
 الملة الآخرة قال مجاهد وقتادة  
 وابوزيد يعنون دين قريش وقال  
 غيرهم يعنون النصرانية قاله  
 محمد بن كعب والسدي وقال العوفي  
 عن ابن عباس رضي الله عنهما  
 ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة يعني  
 النصرانية قالوا لو كان هذا القرآن  
 حقا اخبرتنا به النصارى ان هذا  
 الاختلاق قال مجاهد وقتادة  
 كذب وقال ابن عباس تخصص

وقولهم أأنزل عليه الذكركم من بيننا يعني انهم يستبعدون تخصيصه بانزال القرآن عليه من بينهم كلهم  
 كما قالوا في الآية الأخرى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال الله تعالى أهيهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم  
 معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ولهذا المآل قالوا هذا الذي دل على جهلهم وقلة عقلهم في استبعادهم انزال  
 القرآن على الرسول من بينهم قال الله تعالى بل لما يذوقوا عذاب أي انما يقولون هذا لانهم ما ذاقوا الى حين قولهم ذلك عذاب  
 الله تعالى ونعمته سيعلمون غيب ما قالوا وما كذبوا به يوم يدعون الى نار جهنم دعا ثم قال تعالى ميمنا انه المتصرف في ملكه الفعال

لما يشاء الذي يعطى من يشاء ما يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء وينزل الروح من أمره على  
 يشاء من عباده ويختتم على قلب من يشاء فلا يهديه أحد من بعد الله وان العباد لا يملكون شيئا من الامر وليس اليهم من التصرف في  
 الملك ولا مثقال ذرة ولا يملكون من قطمير ولهذا قال تعالى منكر اعلمهم أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أى العزيز  
 الذى لا يرام جنباه الوهاب الذى يعطى ما يريد لمن يريد وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون  
 الناس نقير أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل (٢٨٧) ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم

ملكاً عظيماً فمنهم من امن به ومنهم  
 من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً وقوله  
 تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن  
 رحمة ربى إذا لم أسكنكم خشية  
 الاتفاق وكان الانسان قتورا وذلك  
 بعد الحكاية عن الكفار انهم  
 أنكروا بعثة الرسول البشرى  
 صلى الله عليه وسلم وكما أخبر عز  
 وجل عن قوم صالح عليه السلام  
 حين قالوا أأتى الذر عليه من بيننا  
 بل هو كذاب أشرس يعلمون غدا من  
 الكذاب الاشر وقوله تعالى أم  
 لهم ملك السموات والارض وما  
 بينهما فليترققوا فى الاسباب أى ان  
 كان لهم ذلك فليصعدوا فى الاسباب  
 قال ابن عباس رضى الله عنهما  
 ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة  
 وغيرهم يعنى طرق السماء وقال  
 الضحاك رجه الله تعالى فليصعدوا  
 الى السماء السابعة ثم قال عز وجل  
 جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب  
 أى هؤلاء الجند المكذبون الذين هم  
 فى عزة وشقاق سيهزومون ويغلبون  
 ويكبتون كما كتبت الذين من قبلهم  
 من الاحزاب المكذبين وهذه  
 الآية كقوله جلت عظمتهم أم

فيه من الاحكام ويدل على هذا التأويل توحيد الضمير فى جعلناه وقيل المراد بالايان  
 الحكمة التى بها دعوة الايمان والتوحيد وهى لاله الا الله محمد رسول الله والايان بهذا  
 التفسير انما علمه بالوحى لا بالعقل قاله الكرخى وعن على قال قيل لمحمد صلى الله عليه وآله  
 وسلم هل عبادت وشاقت قال لا قالوا فهل شربت خراقة قال لا وما زلت أعرف ان الذى هم  
 عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الايمان وبذلك نزل القرآن وما كنت تدري  
 ما الكتاب ولا الايمان (ولكن جعلناه نورا) أى جعلنا الروح الذى أوحينا اليك ضياء  
 ودليلا على التوحيد والايان (نهدي به) المراد به الهداية الموصلة بدليل قوله (من نشاء)  
 هدايته (من عبادة) ونرشده الى الدين الحق (وانك تهدي) أى كل مكلف فالهداية  
 فيه أعم من التى قبلها فقرأ الجمهور تهدي على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول  
 وقرئ بضم التاء وكسر الدال من أهدي وفى قراءة أبى وانك لتدعو (الى صراط مستقيم)  
 قال قتادة والسدى ومقاتل وانك لتدعو الى الاسلام فهو الصراط المستقيم ثم بين  
 الصراط المستقيم بقوله (صراط الله) يدل من الاول بدل المعرفة من النكرة وفى هذه  
 الاضافة للصراط الى الاسم الشريف من التعظيم له والتفخيم لشأنه ما لا يخفى (الذى له ما فى  
 السموات وما فى الارض) ملكا وخالقا وعبيدا والمعنى انه المالك لذلك والمتصرف فيه  
 (ألا الى الله نصير) أى ترجع (الامور) يوم القيامة لا الى غيره أى جميع أمور الخلائق  
 بارتفاع الوسائط والتعلقات وعلى هذا المضارع على ظاهره وقيل المراد بهذا المضارع  
 الديمومة كقولك زيد يعطى ويمنع أى من شأنه ذلك وليس المراد حقيقة المستقبل لان  
 الامور منوطة به تعالى كل وقت وفيه وعيد بالبعث المستلزم للمجازاة ووعد بنعيم الجنات  
 فيثيب المحسن ويعاقب المسيئ قال سهيل بن ابى الجعد احترق مححف ولم يبق منه الا قوله  
 ألا الى الله تصير الامور وعرق مححف فأنجى كله الا قوله ذلك والله أعلم ذكره القرطبي

\* (سورة الزخرف وهى تسع وعشرون آية) \*

قال القرطبي هى مكينة بالاجماع وبه قال ابن عباس قال مقاتل الا قوله واسأل من أرسلنا  
 من قبلك من رسلنا يعنى فأنه نزلت بالمدينة

(بسم الله الرحمن الرحيم حم) الكلام ههنا كالكلام الذى قدمناه والله أعلم بمراده

يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ( كذبت قبلهم  
 قوم نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد وعود و قوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب ان كل الاكذب الرسل فحق عقاب وما ينظر  
 هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عمل لنا قنطينا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون) يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء  
 القرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمات فى مخالفة الرسل وتكذيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد  
 تقدمت قصصهم مبسوطه فى أماكن متعددة وقوله تعالى أولئك الاحزاب أى كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالا وأولادا

فدفع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك ولهذا قال عز وجل ان كل الاكذب الرسل فحق عقاب فجعله  
 اهلا كهم هو تكذيبهم بالرسل فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر وقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق  
 قال مالك عن زيد بن أسلم أي ليس لها منوية أي ما يتظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها أي فقد اقتربت وندت  
 وأزفت وهذه الصيحة هي نفخة الفزع الذي يأمر الله تعالى اسرا قبل ان يطولها فلا يبقى أحد من أهل السموات والارض الا فزع  
 الامن استثنى الله عز وجل وقوله جل (٢٨٨) جلالة وقالوا ربنا عمل لنا قننا قبل يوم الحساب هذا انكار من الله تعالى

على المشركين في دعائهم على  
 أنفسهم بتجيب العذاب فان القبط  
 هو الكتاب وقيل هو الحظ والنصيب  
 قال ابن عباس رضي الله عنهما  
 ومجاهد والضحاك والحسن وغير  
 واحد سألوا تجيب العذاب زاد قتادة  
 كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق  
 من عندك فامطر علينا حجارة من  
 السماء أو آتنا بعذاب أليم وقيل  
 سألوا تجيب نصيبهم من الجنة ان  
 كانت موجودة ليلقوا ذلك في  
 الدنيا وانما خرج هذا منهم مخرج  
 الاستبعاد والتكذيب وقال ابن  
 جرير تجيب ما يستحقونه من الخير  
 والشرف في الدنيا وهذا الذي قاله جريد  
 وعليه يدور كلام الضحاك واسماعيل  
 ابن أبي خالد والله أعلم ولما كان هذا  
 الكلام منهم على وجه الاستهزاء  
 والاستبعاد قال الله تعالى لرسوله  
 صلى الله عليه وسلم أمره بالصبر  
 على أذاهم ومبشره على صبره  
 بالعاقبة والنصر والظفر (واذكر  
 عبدنا داود ذا الایدان آواب  
 اناسخرا الجبال معه يسبحن  
 بالعشى والاشراق والظير محشورة  
 كل له آواب وشددنا ملكه وآتناه

به (والكتاب المبين) أقسم بالقرآن الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان  
 ما تحتاج اليه الامة من الثمينة وقيل المبين الواضح للمتدبرين وهو من الايمان الحسنة  
 البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاده بما فيها من  
 الدلالة على المقسم عليه وجواب القسم (انا جعلناه قرآنا عربيا) وهذا عندهم من البلاغة  
 وهو كون القسم والمقسم عليه من واحد ان أريد بالكتاب القرآن وان أريد به جنس  
 الكتب المنزلة لم يكن من ذلك والضمير في جعلناه على الاول يعود على الكتاب وعلى الثاني  
 يعود على القرآن وان لم يصرح بذكره والجعل هنا نصيب ولا يلتفت لخطا الزمخشري في  
 تجويزه أن يكون بمعنى خلقناه قاله السمين والمعنى سميناه ووصفناه ولذلك تعدى  
 الى مقعولين وقال السدي أي أنزلناه قرآنا وقال مجاهد قلناه وقال سفیان الثوري بيناه  
 وكذا قال الزجاج أي أنزل بلسان العرب لان كل نبي أنزل كتابه بلسان قومه وقال مقاتل  
 لان لسان أهل الجنة عربي (لعلكم تعقلون) أي لكي تفهموه وتتعقلوا معانيه وتحيطوا  
 بما فيه قال ابن زيد لعلكم تتفكرون (وانه) أي وان القرآن (في أم الكتاب لدينا) أي  
 عندنا (لعلي حكيم) أخبر عن منزلته وشرفه وفضله أي ان كذبتم به يا أهل مكة فانه عندنا  
 شريف رفيع القدر محكم النظم في أعلى طبقات البلاغة ودرجات الفصاحة لا يوجد فيه  
 اختلاف ولا تناقض والجملة عطف على الجملة المقسوم بها داخله تحت معنى القسم أو  
 مستأنفة مقررة لما قبلها قال الزجاج أم الكتاب أصل الكتاب وأصل كل شيء أمه والقرآن  
 مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ قال ابن جرير  
 المراد بقوله وان الخ أعمال الخلق من ايمان وكفر وطاعة ومعصية عن ابن عباس قال ان  
 أول ما خلق الله من شيء القلم وأمره ان يكتب ما هو كائن الى يوم القيامة عنده ثم قرأ هذه  
 الآية وأخرج ابن مردويه نحوه عن أنس مرفوعا (أفضرب عنكم الذكرا صغبا) يقال  
 ضربت عنه واضربت عنه اذا تركته وأمسكت عنه كذا قال الفراء والزجاج وغيرهما  
 وانتصاب صغبا على المصدرية وعلى الحال أي صالحين والصفح مصدر قولهم صفعت  
 عنه اذا عرضت عنه وذلك انك توليه صفحة وجهك وعنقك والمراد بالذكرا القرآن  
 والاستفهام للانكار والتوبيخ قال الكسائي المعنى أفضرب عنكم الذكرا طافلا تعظون  
 ولا تؤمرون وقال مجاهد وأبو صالح والسدي أفضرب عنكم العذاب ولانه اقبكم على

الحكمة وفصل الخطاب) يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام انه كان ذا أيدي  
 اسرافكم  
 والأيدي القوة في العلم والعمل قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي وابن زيد الأيدي القوة وقرأ ابن زيد والسماء بينناها بايد  
 وانا لموسعون وقال مجاهد الأيدي القوة في الطاعة وقال قتادة أعطى داود عليه الصلاة والسلام قوة في العبادة وفقها في  
 الاسلام وقد ذكرنا انه عليه الصلاة والسلام كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر وهذا ثابت في الصحيحين عن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم انه قال أحب الصلاة الى الله تعالى صلاة داود وأحب الصيام الى الله عز وجل صيام داود كان ينام نصف

الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفتر إذا لاقى وانه كان أواباً وهو الرجاء الى الله عز وجل في جميع  
أموره وشؤنه وقوله تعالى انا نحن رب الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق أى انه تعالى سخر الجبال تسبح معه عند اشراق الشمس  
وآخر النهار كما قال عز وجل باجبال أتوبي معه والطير وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيحه اذا مر به الطير وهو ساج  
في الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا يد تطيع الذهب بل يقف في الهواء ويسبح معه ويحسبه الجبال الشامخات ترجع معه  
وتسبح تبعاله قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا محمد بن بشر عن (٢٨٩) مسعر عن عبد الكريم عن موسى بن أبي كثير

عن ابن عباس رضى الله عنه ما انه  
باغته ان أم هانئ رضى الله عنها  
ذكرت ان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يوم فتح مكة صلى الضحى ثمان  
ركعات فقال ابن عباس رضى الله  
عنه ما قد ظننت ان لهذه الساعة صلاة  
يقول الله عز وجل يسبحن بالعشى  
والاشراق ثم رواه من حديث  
سعد بن أبي عروبة عن أبي المتوكل  
عن أيوب بن صفوان عن مولا عبد  
الله بن الحرث بن نوفل ان ابن عباس  
رضى الله عنهما كان لا يصلى الضحى  
قال فأدخلته على أم هانئ رضى  
الله عنها فقالت أخبرى هذا ما أخبرتني  
فقاتل دخل على رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يوم الفتح في بيتي ثم  
أمر بقاء صب في قسعة ثم أمر بشوب  
فأخذ بيدي وبينه فأغتسل ثم رش  
ناحية البيت فصلى ثمان ركعات  
وذلك من الضحى قيامهن وركوعهن  
وسجودهن وجلوتهن سواء قريب  
بعضهن من بعض فخرج ابن عباس  
رضى الله عنهما وهو يقول لقد  
قرأت ما بين اللوحين ما عرفت صلاة  
الضحى الا الآن يسبحن بالعشى  
والاشراق وكنت أقول أين صلاة  
الاشراق وكان بعد يقول صلاة

اسرافكم وكفركم وقال قتادة المعنى أفنهلكم ولا تأمركم ولا تنهاكم وروى عنه انه قال  
المعنى أفنفسك عن انزال القرآن من قبل انكم لا تؤمنون به وقيل الذكرا تذكيرا كأنه قال  
انترك تذكركم (ان كنتم قوماسرفين) قرئ ان بالكسر على انها الشرطية والجزء  
محذوف لدلالة ما قبله عليه وبتفحها على التعليل أى لان كنتم قومامنمكين في الاسراف  
مصرين عليه مفرطين في الجهالة مجاوزين الحد في الضلالة قال ابن عباس في الآية  
أحبيبتم أن تصفح عنكم ولم تفعلوا ما أمرت به ثم سلى سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله  
وسلم فقال (وكنتم أرسلنا من نبي في الاولين) كهي الخبرية التي معناها التكثير  
والمعنى ما أكثر ما أرسلنا من الانبياء في الامم السابقة (وما يأتيتهم من نبي الا كانوا  
يستهزؤن) كاستهزاء قومك بك (فاهلكنا) قوما (أشد منهم) أى من هؤلاء القوم (بطشا)  
أى قوة تميز أحوال أى باطشين والاول أحسن والبطش شدة الاخذ (ومضى مثل  
الاولين) أى سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حققها ان  
تسير مسير المثل لشهرتها وقال قتادة عقوبتهم وقيل صفتهم في الاهلاك والمثل الوصف  
والخبر وفي هذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تهديد شديد لهم لانه يتضمن ان  
الاولين أهل كواكب كذب الرسل وهؤلاء ان استمروا على تكذيب الرسل والكفر بما جئت به  
هلكوا مثلهم (ولئن) لام قسم (سألتم) أى هؤلاء الكفار من قومك (من خلق  
السموات والارض) أى هذه الاجرام العلوية والسفلية (ليقولن خلقهن العزيز العليم)  
جواب القسم لاجواب الشرط وهذا على القاعدة في اجتماع الشرط والقسم من حذف  
جواب المتأخر منهما وحذف منه نون الرفع لتوالي النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين  
وكرر الفعل للتوكيد اذ لوجاء العزيز بغير خلقهن لكان كافيا والمعنى أقروا بان الله خالقهن  
ولم ينكروا ذلك وهذا أسوأ لحالهم وأشد لعقوبتهم لانهم عبدوا بعض مخلوقات الله  
وجعلوا مشربا كاله بل عبدوا الى ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر من المخلوقات وهي  
الاصنام فجعلوا مشركاء لله ثم وصف سبحانه نفسه بما يدل على عظم نعمته على عباده وكمال  
قدرته في مخلوقاته فقال (الذي جعل لكم الارض مهادا) أى فراشا كالمهاد للصبى ولو شاء  
لجعلها منزلة لا يثبت فيها شئ كما ترون من بعض الجبال ولو شاء لجعلها متحركة فلا يمكن

(٢٧ فتح البيان ثامن) الاشراق ولهذا قال عز وجل والطير محشورة أى محبوسة في الهواء كل له أبواب أى مطيع  
يسبح تبعاله قال سعيد بن جبيرة وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد كل له أبواب أى مطيع وقوله تعالى وشهدنا ما كنا  
جعلنا له ملكا كاملا من جميع ما يحتاج اليه الملوكة قال ابن أبي نجيب عن جماعة كان أشد أهل الدنيا سلطانا وقال السدي كان  
يحرسه كل يوم أربعة آلاف وقال بعض السلف بلغني انه كان يحرسه في كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفا لا تدور عليهم النوبة الى  
مثليها من العام القابل وقال غيره اربعون ألفا مشتملون بالسلاح وقد ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم من رواية علي بن أحمد عن

عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان نفرين من بني اسرائيل استعدى أحدهما على الآخر الى داود عليه الصلاة والسلام انه اغتصبه بقرا فأنكر الآخر ولم يكن للمدعى بينة فأرجأ أمرهما فلما كان الليل أمر داود عليه الصلاة والسلام في المنام بقتل المدعى فلما كان النهار طلبهما وأمر بقتل المدعى فقال يا بني الله علام تقتلني وقد اغتصبني هذا بقري فقال له ان الله تعالى أمرني بقتلك فانا قاتلك لا محالة فقال والله يا بني الله ان الله لم يأمرك بقتلي لاجل هذا الذي ادعت عليه وانى لصديق فيما ادعت ولكنى كنت قد اغتلت اياه وقتلته ولم يشعر (٢٩٠) بذلك أحد فأمر به داود عليه السلام فقتل قال ابن عباس رضي الله

عنهما فاشتدت هيئته في بني اسرائيل وهو الذي يقول الله عز وجل وشددنا ملكك وقوله جل وعلا وآتيناه الحكمة قال مجاهد يعنى الفهم والعقل والفتنة وقال مرة الحكمة العدل وقال مرة الصواب وقال قتادة كتاب الله واتباع ما فيه وقال السدي الحكمة النبوة وقوله جل جلاله وفصل الخطاب قال شريح القاضي والسعي فصل الخطاب الشهود والايان وقال قتادة شاهدان على المدعى أو عين المدعى عليه هو فصل الخطاب الذي فصل به الانبياء والرسل أو قال المؤمنون والصالحون وهو قضاة هذه الامة الى يوم القيامة وكذا قال أبو عبد الرحمن السلمي وقال مجاهد والسدي هو اصابة القضاء وفهم ذلك وقال مجاهد ايضا هو الفصل في الكلام وفي الحكم وهذا يشمل هذا كله وهو المراد واختاره ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة العميري حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثني عبد العزيز بن أبي نابت عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن أبيه عن بلال بن

الانتفاع بها في الزراعة والابنية فالانتفاع بها انما يحصل لكونها مسطحة قارة ساكنة وقد تقدم بيانه قرأ الجهم ورماه داود قرأ الكوفيون مهذا وهذا كلام مبتدأ غير متصل بما قبله ولو كان متصلا بما قبله من جملة مقول الكفار لقالوا الذي جعل لنا الارض مهذا (وجعل لكم فيها سبلا) أى طرقا تسلكونها الى حيث تريدون ولو شاء لجعلها بحيث لا يسلك في مكان منها كما جعل بعض الجبال كذلك وقيل معايش تعيشون بها (اعلمكم تهتدون) يسلكونها الى مقاصدكم ومنافعكم في اسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) أى بقدر الحاجة وحسبما تقتضيه المصلحة ولم ينزل عليكم منه فوق حاجتكم حتى يهلك زراعتكم ويهدم منازلكم ويهلككم بالعرق ولادونها حتى تحتاجوا الى الزيادة وعلى حسب ما تقتضيه مشيئته في أرزاق عبادته بالتوسيع تارة والتقتير اخرى (فأنشأنا به بلدة مينا) أى أحيينا بذلك الماء بلدة مقفرة من النبات وفيه الثنات قرأ الجهم ومينا بالتخفيف وقرئ بالتشديد (كذلك) أى مثل ذلك الاحياء للارض باخراج نباتها بعد ان كانت لانيات بها (تخرجون) أى تبعثون من قبوركم احياء فان من قدر على هذا قدر على ذلك وقد مضى بيان همداني آل عمران والاعراف قرأ الجهم وتخرجون مينا للمفعول وقرئ مينا للفاعل (والذي خلق الأزواج كلها) أى الضروب والانواع كالخلو والحامض والايض والاسود قال سعد بن جبير الاصناف كلها وقال الحسن الأزواج الشتاء والصيف والليل والنهار والسموات والارض والجنة والنار وقيل أزواج الحيوان من ذكر وأنثى وقيل أزواج النبات كقوله وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ومن كل زوج كريم وقيل ما يتقلب فيه الانسان من خير وشر وايمان وكفر ونفع وضر وفقر وغنى وصحة وسقم وهذا القول يعنى الاقوال ويجمعها بعمومه وقيل الاول أولى قال بعض المحققين كل ما سوى الله فهو زوج كالفوق والتحت والربيع والخريف واليمين واليسار والقدام والخلف والماضي والمستقبل والذوات والصفات وكونها أزواج يدل على انها مكنة الوجود محدثة مسبوقة بالعدم فاما الحق تعالى فهو الفرد المتزه عن الضد والتد والمقابل والمعاضد (وجعل لكم من الفلك السفن) (والانعام ما تر كبون) أى ما تر كبون في البحر والبر وأريد بالانعام هنا ما يركب من الحيوان وهو الابل والحيسل والبغال والحمير وقرينة هذا قوله في سورة النحل والحيسل والبغال والحمير لتر كبونها حينئذ في الانعام هنا تغليب

أى بردة عن أبيه عن أبي موسى رضي الله عنه قال أول من قال أما بعد داود عليه السلام وهو فصل الخطاب وكذا قال الشعبي فصل الخطاب أما بعد (وهل أأنا نبي الخضم اذ تسوروا الخراب اذ دخلوا على داود ففرغ منهم قالوا لا نتخف خصمان بني بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واعدنا الى سواء الصراط ان هذا أخى له تسع وتسعون نجمة ولنى نجمة واحدة فقال أ كفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمت بسؤال نجمتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وطن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخزرا كعوا وأب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لقي وحسن ما ب)



قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذة من الأسر البليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده لانه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه ويزيدوان كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وان يرتد عنها إلى الله عز وجل فان القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا وقوله تعالى ففرغ منهم إنما كان ذلك لانه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر بالاشخصين قد تسورا عليه المحراب أي احتاطا به يسألانه عن (٢٩١) شأنهما وقوله عز وجل وعزني في الخطاب أي

غلبني يقال عزب عزبا إذا قهر وغلب وقوله تعالى وظن داود انما افتناه قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ما أي اختبرناه وقوله تعالى وخزرا كما أي ساجدا وأتاب ويحتمل انه ركع أولا ثم سجد بعد ذلك وقد ذكر انه استمر ساجدا أربعين صباحا فغفرنا له ذلك أي ما كان منه مما يقال فيه ان حسنات الابراسيات المقتر بين وقد اختلف الأئمة في سجدة صهل هي من عزائم السجود على قولين الجديد من مذهب الشافعي رضي الله عنه انها ليست من عزائم السجود بل هي سجدة شكر والدليل على ذلك ما رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا اسمعيل هو ابن علية عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه ما انه قال في السجدة في صليست من عزائم السجود وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وزواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي في تفسيره من حديث أيوب به وقال الترمذي حسن صحيح وقال النسائي أيضا عند

اذ الانعام هي الابل والبقر والغنم وقال الشوكاني المراد بالانعام ههنا الابل خاصة وقيل الابل والبقر والاولى انتمى (اتستوا) اللام لام العلة وهو الظاهر وللصبرورة وجوز ابن عطية ان تكون لام الامر وفيه بعد لقله دخولها على أمر الخطاب (على ظهوره) الضمير راجع الى ما قاله ابو عبيد وقال القراء اضافة الظهور الى واحد لان المراد به الجنس فصار الواحد في معنى الجمع بمنزلة الجنس فلذلك ذكر وجع الظهيران المراد ظهور هذا الجنس والاستواء الاستعلاء أي ليستعلا على ظهور مآثر كبون من الفلك والانعام (تم تذكروا نعمة ربكم) أي التي أنعم بها عليكم من تسخير ذلك المركب في البحر والبر (اذ استويتم عليه) أي على مآثر كبون ففيه مرعاة لفظ ما أيضا قال مقاتل والنكبي هو ان تقول الحمد لله الذي رزقني هذا وجلي عليه (وتقولوا) أي بألسنتكم جمع بين القلب واللسان (سبحان الذي سخرننا هذا) وقراء علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه سبحان من سخرننا هذا وقال قتادة قد علمكم كيف تقولون اذ اركبتم والمعنى ذل لنا هذا المركب الذي ركبناه سفينة كان أودابه قاله الخطيب وصرح غيره بأنه خاص بالدابة وأما السفينة فيقول فيها بسم الله مجريها ومرساها ويؤيده (وما كآله مفرنين) فان الامتناع والتعاضد والتوحش لولا تسخير الله واذلاله انما تأتي في الدواب وأما السفن فهي من عمل ابن آدم فليس لها امتناع بقوتها كامتناع الدابة قال ابن عباس والنكبي مفرنين مطبقين يقال أقرن هذا البعير اذا أطاقه وقال الاخفش وأبو عبيدة مفرنين ضابطين يقال فلان مفرن لفلان أي ضابطه وقيل مماثلين له في القوة من قولهم هو قرن فلان اذا كان مثله في القوة (وانا الى ربنا المنقلبون) أي راجعون اليه وهذا تمام ما يقال عند ركوب الدابة أو السفينة وفيه إشارة الى الرد عليهم في انكار البعث أخرج مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والحاكم وابن مردويه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا سافر ركب راحلته ثم كبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخرننا هذا وما كآله مفرنين وانا الى ربنا المنقلبون روى أن قوم اركبوا وقالوا سبحان الذي سخرن لنا هذا الخ وفيهم رجل على ناقه لا تتحرك هذا لاقال اني مفرن له هذه فسقط لو ثبتها وانذقت عنقه وينبغي أن لا يكون ركوب العاقل للتمتة والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل عنده انه هالك لا محالة ومنقلب الى الله غير منقلب من قضائه قال القرطبي علمنا سبحانه وتعالى

تفسير هذه الآية أخبرني ابراهيم بن الحسن وهو المقسمي حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال سجد ادا ود عليه الصلاة والسلام توبة وتسجدها شكرا ففرد بر واية النسائي ورجال اسناده كلهم ثقات وقد أخبرني شيخنا الحافظ أبو الجحاح المزني قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا أبو اسحق المدبرجي أخبرنا زاهر بن أبي طاهر الثقفي حدثنا زاهر بن أبي طاهر الشامي أخبرنا البوسعيدي الخبزوري أخبرنا الحماكم أبو احمد محمد بن محمد الحافظ أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن

أبي يزيد قال قال لي ابن جرير يحيى بن الحسن حدثني جدك عبد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أني رأيت فيما يرى النائم كأنني أصلي خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت فسجدت الشجرة بسجودى فسجدت تقول وهي ساجدة اللهم اكتب لي بها عندك أجرا واجعلها لي عندك ذخرا وضع بها عني وزرا واقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود قال ابن عباس رضي الله عنهما فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قام فقرأ السجدة ثم سجد فسجدت يقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة رواه الترمذي (٢٩٢) عن قتبية وابن ماجه عن أبي بكر بن خالد كلاهما عن محمد بن

يزيد بن خنيس نحوه وقال الترمذي غريب لا يعرفه الا من هذا الوجه وقال البخارى عند تفسيرها أيضا حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبيد الظنفاسى عن العوام قال سألت مجاهد عن سجدة ص فقال سألت ابن عباس رضي الله عنهما من أين سجدة فقال أو ما تقرأ ومن ذريته داود وسليمان أولاد الذين هدى الله فبهداهم اقتده فكان داود عليه الصلاة والسلام ممن أمر بديكتكم صلى الله عليه وسلم ان يقتدى به فسجدها داود عليه الصلاة والسلام فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حميد حدثنا بكر هو ابن عبد الله المزني انه أخبره ان ابا عبد الخدرى رضى الله عنه رأى رؤيا انه يكتب ص فلما بلغ الى الآية التي يسجد بها رأى الدواة والقلم وكل شيء يمحضه انقلب ساجدا قال فقصها على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل يسجد بها بعد تفرد به أحمد وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو

ما تقول اذا ركبتا الدواب وعرفنا في آية أخرى على لسان نوح عليه السلام ما تقول اذا ركبتا السفن فكلم من راكب دابة عثرت به أو شمس أو تقمعت أو طاح عن ظهرها فهلك وكم من راكب سفينة انكسرت به فغرق فلما كان الركوب مباشرة أمر بخوف واتصالا بسبب من أسباب التلف أمر أن لا ينسى عند اتصاله به موته ولا يدع ذلك بقلبه واسانه حتى يكون مستعدا لقضاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه وقال ابن العربي ليس بواجب ذكره باللسان بل يستحب وانما الواجب اعتقاده بالقلب والاول وأولى بالجمع أفضل ثم يرجع سبحانه الى ذكر الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال (وجعلوا له) أى بعد ذلك الاعتراف كما قاله القاضي وأومعه كذا في الكشاف والجملة الحالية والجعل تصير قولى أى حكموا أو أثبتوا له أو بمعنى سموا واعتقدوا (من عباده جزأ) أى ولدا وسماه جزأ دلالة على استحالة على الواحد في ذاته لان المركب لا يكون واحدا الذات قال قتادة جزأ أى عدل يعنى ما عبده من دون الله وقال الزجاج والمبرد الجزء هنا النبات والجزء عند أهل العربية النبات يقال قد أجزأت المرأة اذا ولدت النبات وقد جعل صاحب الكشاف تفسير الجزء بالنبات من يدع التفسير وصرح بأنه مكذوب على العرب ويحجب عنه بأنه قدر واد الزجاج والمبرد وهما ما اما اللغة العربية وحافظاها ومن الهم ما المنتهى في معرفتها ويؤيد تفسير الجزء بالنبات ما سياتى من قوله أم اتخذتم ما يخلق نبات وقوله وانا بشرأ حدتهم بما ضرب للرجن مثلا وقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناانا وقيل المراد بالجزء هنا الملائكة فانهم جعلوهم أولاد الله سبحانه قاله مجاهد والحسن قال الأزهرى ومعنى الآية أنهم جعلوا الله من عباده نصيبا على معنى انهم جعلوا نصيب الله من الولدان (ان الانسان) القائل ما تقدم (لكنورمين) أى ظاهر الكفران مبالغ فيه قيل المراد بالانسان هنا الكافر فانه الذى يسجد لله على سجودنا ثم أنكر عليهم هذا فقال (أم اتخذتم ما يخلق نبات) هذا استفهام تقريع وتوبيخ وأم هي هى المنقطعة بمعنى همزة الانكار وقدره بعضهم بيل التى للاتصال وبعضهم بهم ما وكل صحيح لان فيها مذاهب ثلاثة كما نقله أبو حيان والمعنى أتقولون اتخذتم انفسكم لنبات (وأصفاكم) أخلصكم وخصكم (بالبنين) فجعل لنفسه المنضول من الصنفين ولكم الفاضل منهم ما يقال أصفيت به وكذا أى أثره به وأصفيت به الودأخلصته له ومثل هذه الآية

ابن الحرث عن سعيد بن أبي هلال عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشرف الناس للسجود فقال صلى الله عليه وسلم انما هى توبة نبي ولكنى رأيتكم تشرفتم فبزل وسجد تفرد به أبو داود واسناده على شرط الصحيح وقوله تعالى وان له عندنا لى وحسن ما بآى وان له يوم القيامة لقربة يقرب به الله عز وجل بها وحسن مرجع وهو الدرجات العالية فى الجنة لتبوته وعدله التام فى ملكه كما جاء فى الصحيح المقسطون على منابر من نور عن عيينة

الرجن وكتابه يمين الذين يقسطون في أهلهم وماولوا وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا فضيل عن عظمة عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحب الناس عند الله تعالى يوم القيامة وأقربهم منه مجدا الامام عادل وان أبغض الناس عند الله عز وجل يوم القيامة وأشدهم عذابا امام جابر ورواه الترمذى من حديث فضيل وهو ابن مزيق الاغر عن عظمة به وقال لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار في (٢٩٣) قوله تعالى وان له عندنا لى وحسن ما تب قال

يقام داود عليه الصلاة والسلام يوم القيامة عند ساق العرش ثم يقول يا داود مجدى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تجدى به فى الدنيا فيقول وكيف وقد سلبت فيقول الله عز وجل انى أردته عليك اليوم قال فيرفع داود عليه الصلاة والسلام بصوت يستقرغ نعيم أهل الجنان (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) هذه وصية من الله عز وجل لولادة الامور ان يحكمه وابين الناس بالحق المتزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلو عن سبيل الله وقد نوءد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتنامى يوم الحساب بالوعيد الاكيد والعذاب الشديد قال ابن ابي حاتم حدثنا ابى حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد حدثنا مروان بن جناح حدثنى ابراهيم أبو زرعة وكان قد قرأ الكتاب ان الوليد بن عبد الملك قال له أبحاسب الخليفة فانك قد قرأت الكتاب الاول وقرأت القرآن وفقهت فقلت يا امير المؤمنين أقول قال قر في امان قلت يا امير المؤمنين أنت أكرم على الله أوداود عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ثم نوءده فى كتابه فقال تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فضلك عن سبيل الله الآية قال عكرمة لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب هذا من المقدم والمؤخر لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا وقال السدى لهم عذاب شديد بما تركوا ان يعموا اليوم الحساب وهذا القول أمشى على ظاهر الآية والله سبحانه وتعالى الموفق لاصواب (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما الا بالذات نطق الذين

قوله ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قدمت ضيزى وهذه الجملة معطوفة على اتخذنا خلقا معها تحت الانكار ثم زاد فى تقريرهم وتو بيخهم فقال (واذا بشر أحدهم) استئناف أو حال (بما ضرب للرجن مثلا) أى بما جعل له للرجن سبحانه من كونه جعل لنفسه البنات والانتفات الى الغيبة للايدان بان قبائهم اقضت أن يعرض عنهم وتحكى لغيرهم ليتجنب منها والمثل بمعنى الشبه أى المشابهة لاجبى الصفة الغريبة العجيبة والمعنى اذا بشر أحدهم بانها ولدت له بنت اعظم لذلك وظهر عليه أثره وهو معنى قوله (نظ) أى صار (وجهه مسودا) بسبب حدوث الانثى له حيث لم يكن الحادث له ذكرا مكانها (وهو كظيم) أى والحال انه شديد الحزن كثير الكرب مملوء منه قال قتادة حزين وقال عكرمة مكروب وقيل ساكت ثم زاد فى تو بيخهم وتقريرهم فقال (أومن ينشأ فى الحلية) النشوء التربية والحلية الزينة ومن عبارة عن الانثى أى يجعلون الله الانثى التى تقرى فى الزينة لتقصها اذ لو كملت فى نفسها المات كملت بالزينة قرأ الجمهور ينشأ بفتح الباء واسكان النون وقرأ ابن عباس والضحاك وحفص بضم الباء وفتح النون وتشديد الشين واختار القراءة الاولى أبو حاتم واختار الثانية أبو عبيد وقال الهروى الفعل على القراءة الاولى لازم وعلى الثانية متعذر والمعنى يربى ويكبرى فى الحلية (وهو فى الخصام غير ميين) أى عاجز عن أن يقوم بأمر نفسه واذ خوصم لا يقدر على اقامة حجة وتقرى رد عواد ودفع ما يجادل به خصمه لتقصان عتله وضعف رأيه وازافة غير لا تمنع عمل ما بعدها فى الجار المتقدم عليها لانها بمعنى النفى قال المبرد تقدير الآية ويجعلون له من نبت فى الزينة واذا احتاج الى مجازاة الخصوم ومجازاة الرجل كان غير ميين ليس عنده بيان ولا يأتى ببرهان وفيه انه جعل النشأة فى الزينة من المعايير فعلى الرجل ان يحتجب ذلك ويتزين بلباس التقوى قال قتادة قلما تتكلم امرأة بحجة الاتكاهات بالحجة عليها وقال ابن زيد والضحاك الذى ينشأ فى الحلية أصنامهم التى صاغوها من ذهب وفضة قال ابن عباس فى الآية هو النساء فرق بين زينة من وزى الرجال ونقص من من الميراث والشهادة وأمرهن بالقعدة وسماهن الخواف (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناسا) الجعل هنا بمعنى القول والحكم على الشئ كما تقول جعلت زيدا أفضل الناس أى قلت بذلك وحكمت له به أى سمواهم وحكموا وقالوا انهم اناس وجعلوا فى كفرهم ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله

فانك قد قرأت الكتاب الاول وقرأت القرآن وفقهت فقلت يا امير المؤمنين أقول قال قر فى امان قلت يا امير المؤمنين أنت أكرم على الله أوداود عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ثم نوءده فى كتابه فقال تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فضلك عن سبيل الله الآية قال عكرمة لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب هذا من المقدم والمؤخر لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا وقال السدى لهم عذاب شديد بما تركوا ان يعموا اليوم الحساب وهذا القول أمشى على ظاهر الآية والله سبحانه وتعالى الموفق لاصواب (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما الا بالذات نطق الذين

كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار كآفة  
 أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) يخبر تعالى أنه ما خالق الخلق عبثا وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحده ثم  
 يوجههم يوم الجمع فينصب المطيع ويعذب الكافر ولهذا قال تبارك وتعالى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن  
 الذين كفروا أي الذين لا يرون بعثا ولا معادا وإنما يعبدون هذه الدار فقط فويل للذين كفروا من النار أي ويل لهم يوم معادهم  
 ونشورهم من النار المعذبة لهم ثم بين تعالى (٢٩٤) أنه عز وجل من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمنين والكافرين

الولد ونسبوا إليه أخس النوعين وجعلوا ملائكته المكرمين أنا نأفاهم فتخوهم ثم قرأ  
 الجهور وعباد بالجمع وبها قرأ ابن عباس وقرأ الباقر عند بنون ساكنة واختار الأولى أبو  
 عبيدلان الأسناد فيها أعلى ولان الله إنما كذبهم في قولهم أنهم بنات الله فاخبرهم بانهم  
 عباده قال النسبي وهو الزم في الحجاج مع أهل العناد لتضاد بين العبودية والولاد انتهى  
 ويؤيده هذه القراءة قوله بل عباد مكرمون واختار أبو حاتم الثانية قال وتصدق هذه  
 القراءة قوله ان الذين عند ربك عن سعيد بن جبيرة قال كنت أقرأ هذا الحرف الذين هم  
 عند الرحمن أنا نأفاهم أنت ابن عباس فقال عباد الرحمن قلت فأنها في مصحفي قال  
 فاحمها واكتبها عباد الرحمن ثم وجههم وقرعهم فقال (أشهدوا خلقهم) أي أحضر واختر  
 الله إياهم فهو من الشهادة التي هي الحضور وفي هذا تم كبرهم وتجهيل لهم قرأ الجمهور  
 (ستكتب شهادتهم) بضم الفوقية وبناء الفعل للمفعول ورفع شهادتهم وقرئ بالنون  
 وبناء الفعل للفاعل ونصب شهادتهم وقرئ شهادتهم بالجمع والمعنى سنكتب هذه  
 الشهادة التي شهدوا بها في ديوان أعمالهم ليجازيهم على ذلك قال البقاعي يجوز ان يكون  
 في السين استعاطاف الى التوبة قبل كتابة ما قالوا ولا علم لهم به (ويستلون) عنما يوم القيامة  
 في الآخرة وهو ذا وعيد قال سليمان الجمل وهذا يدل على ان القول بغير دليل منكر وان  
 التقليد حرام بوجوب الذم العظيم انتهى (وقالوا لولاء الرحمن ما عبدناهم) هذا من آخر  
 من فنون كفرهم بالله جاوبه للاستهزاء والسخرية ومعناه لو شاء الرحمن في زعمكم عدم  
 عبادة الملائكة ما عبدناهم هذه الملائكة فاستدلوا بنفي مشيئته عدم العبادة على امتناع  
 النهي عنها أو على حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجح بعض المذات على بعض مأمورا  
 كان أو منهيها حسنا كان أو غيره وبالجملة هذا كلام حتى يراد به باطل وقد مضى بيانه في  
 الانعام وتعلقت المعتزلة بظاهر هذه الآية في ان الله لم يشأ الكفر من الكافر وإنما شاء  
 الايمان فان الكفار ادعوا أن الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الاصنام  
 فرد الله عليهم قولهم واعتقادهم وبين جهلهم بقوله (مالهم بذلك) أي بما قالوه من ان  
 الله لو شاء عدم عبادتهم للملائكة ما عبدوههم (من علم) بل تكلموا بذلك جهلا وأرادوا  
 بما صورته صورة الحق باطلا وزعموا أنه اذا شاء فقد رضى وقيل الاشارة بذلك الى قوله  
 وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن أنا نأفاهم قيادة ومقاتل والكافي وقال مجاهد وابن

فقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا  
 وعملوا الصالحات كالمفسدين في  
 الأرض أم نجعل المتقين كالفجار أي  
 لا تفعل ذلك ولا يستوون عند الله  
 وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار  
 أخرى يثاب فيها هذا المطيع  
 ويعاقب فيها هذا الفاجر وهذا  
 الارشاد يدل العقول السليمة  
 والفطر المستقيمة على انه لا بد من  
 معاد جزاء فانزى الظالم الباطني  
 يزداد ماله وولده ونعيمه ويعوت  
 كذلك وزى المطيع المظلوم يعوت  
 بكلمة فلا بد في حكمة الحكيم العليم  
 العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من  
 انصاف هذا من هذا واذا لم يقع هذا  
 في هذه الدار فتعين ان هناك دارا  
 اخرى لهذا الجزاء والموازنة ولما كان  
 القرآن يرشد الى المقاصد الصحيحة  
 والمأخذ العقلية الصريحة قال  
 تعالى كآفة أنزلناه إليك مبارك  
 ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب  
 أي ذوو العقول وهي الألباب جمع  
 اب وهو العقل قال الحسن البصري  
 والله ما تدبره بحفظ حرفه واضاعة  
 حدوده حتى ان أحدهم ليقول  
 قرأت القرآن كما ما يرى له القرآن  
 في خلق ولا عمل رواه ابن أبي حاتم (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه بالعشي الصافات  
 الجياد فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردها على فطنق مسبحا بالسوق والاعتناق) يقول تعالى مخبرا انه  
 وهب لداود سليمان أي نبيا كما قال عز وجل وورث سليمان داود أي في النبوة والافقد كان له بنون غيره فانه قد كان عنده مائة امرأة  
 حرائر وقوله تعالى نعم العبد انه أواب ثناء على سليمان بانه كثير الطاعة والعبادة والابانة الى الله عز وجل قال ابن أبي حاتم حدثنا  
 ابي حدثنا عمرو بن خالد حدثنا الوليد بن جابر حدثنا مكحول قال لما وهب الله تعالى لداود سليمان قال له يا بني ما أحسن قال سكينه

جريح  
 في قوله تعالى نعم العبد انه أواب ثناء على سليمان بانه كثير الطاعة والعبادة والابانة الى الله عز وجل قال ابن أبي حاتم حدثنا  
 ابي حدثنا عمرو بن خالد حدثنا الوليد بن جابر حدثنا مكحول قال لما وهب الله تعالى لداود سليمان قال له يا بني ما أحسن قال سكينه

الله والايان قال فما اقيح قال كفر بعد ايمان قال فاسأ - الى قال روح الله بين عباده قال فما اورد قال عفو الله عن الناس وعنو  
الناس بعضهم عن بعض قال داود عليه السلام فانت نبي وقوله تبارك وتعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافات الجياد أي اذ  
عرض على سليمان عليه الصلاة والسلام في حال مملكته وسلطانه الخليل الصافات قال مجاهد وهى التى تقف على ثلاث و طرف  
حافر الرابعة والجياد السراع وكذا قال غير واحد من السلف وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشر حدثنا مؤمل حدثنا سفيان  
عن أبيه سعيد بن مسروق عن ابراهيم التيمي في قوله عز وجل اذ (٢٩٥) عرض عليه بالعشي الصافات الجياد قال كانت

عشرين فرس ذات أجنحة كذا  
رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم  
حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن  
موسى حدثنا ابن أبي زائدة أخبرني  
اسرائيل عن سعيد بن مسروق  
عن ابراهيم التيمي قال كانت الخليل  
التي شغلت سليمان عليه الصلاة  
والسلام عشرين أنث فرس فعقرها  
وهذا أشبه والله أعلم وقال أبو داود  
حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد  
ابن أبي مرزوق أخبرنا يحيى بن أيوب  
حدثني عمارة بن غزويه أن محمد بن  
ابراهيم حدثه عن أبي سلمة بن عبد  
الرحمن عن عائشة رضي الله عنها  
قالت قدم رسول الله صلى الله عليه  
وسلم من غزوة تبوك أو خيبر وفي  
سهوتها استرفهت الريح فكشفت  
ناحية الستر عن نبات لعائشة رضي  
الله عنها العيب فقال صلى الله عليه  
وسلم ما هذا يا عائشة قالت رضي الله  
عنها بسأني ورأى بينهن فرسالة  
جناحان من رفاع فقال صلى الله  
عليه وسلم ما هذا الذي أرى  
وسطنهن قالت رضي الله عنها فرس  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ما هذا الذي علمه قالت رضي الله  
عنها جناحان قال رسول الله صلى

جر يجمع أي مالهم بعبادة الاوثان من علم ثم بين انتفاء علمهم بقوله (ان هم الايخرون)  
أي ما هم الا يكذبون فيما قالوا ويتمعلون تمعلا باطلا قال هني اخبر عن وفي الجائسة  
يظنون لان هذا كذب فناسبه الخرص وما هناك صدق مخلوط بالكذب فناسبه الظن  
(أم آتينا هم كتابا من قبله) أم هي المنقطعة بمعنى همزة الاستفهام الانكارى أي  
أأعطيناهم كتابا من قبل القرآن بما ادعوه بان يعبدوا غير الله وقيل ان الضمير في من قبله يعود  
الى ادعائهم أي أم آتينا هم كتابا من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعون به والاول أولى أو أم  
معادلة لقوله أشهدوا فتكون متصلة والمعنى احضروا أم آتينا هم كتابا المالح والاول أربع  
وأولى كما أفاده الشهاب (فهم به مستمكنون) يأخذون بما فيه ويحتجون به ويجعلونه لهم  
دليلا ثم بين سبحانه انه لا حجة بأيديهم ولا شبهة ولكنهم اتبعوا آباءهم في الضلالة فقال (بل  
قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) أي على طريقتهم ومن ذهب قال أبو عبيد الله الطريقتة والدين  
وبه قال ابن عباس وقتادة وغيره قال الجوهرى والامة الطريقتة والدين يقال فلان لامة  
له ولا تحمله أي لا دين له وقال الفراء وقطرب على قبلته وقال الاخفش على استقامة قرأ  
الجوهرة بالضم وقرئ بكسر ها قال الجوهرى والامة بالكسر النعمة والامة أيضا لغة  
في الامة (وانا) ماشون (على آثارهم مهتدون) بهم وكانوا يعبدون غير الله اعترفوا بانه  
لا مستند لهم من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع والبيان سوى  
تقليد آباءهم قال الخازن جعلوا أنفسهم مهتدين باتباع آباءهم وتقليد هم من غير حجة  
انتهى وعبارة أبي السعود بل بانوا بحجة عقلية ولا تقليمه بل اعترفوا بانه لا مستند لهم سوى  
تقليد آباءهم الجهلة مثلهم انتهى وقال هني امهتدون وفيما بعده مقتدون لان الاول وقع  
في محاجتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وادعائهم ان آباءهم كانوا مهتدين وانهم مهتدون  
كآبائهم فناسبه مهتدون والثاني وقع حكاية عن قوم ادعوا الاقتداء بالآباء دون  
الاهتداء فناسبه مقتدون أفاده الكرخي ثم أخبر سبحانه ان غير هؤلاء من الكفار قد سبقهم  
الى هذه المقالة وقال بها فقال (وكذلك) أي الامر كما ذكر من عجزهم عن الحجّة وتسكهم  
بالتقليد وقوله (ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة  
وانا على آثارهم مقتدون) استئناف مبين لذلك دال على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم  
ليس لاسلافهم أيضا مستند غير قاله أبو السعود والمترفون الاغنياء والرؤساء والمتنعمون

الله عليه وسلم فرس له جناحان قالت رضي الله عنها أما سمعت أن سليمان عليه الصلاة والسلام كانت له خيل لها أجنحة قالت رضي  
الله عنها فاضحك صلى الله عليه وسلم حتى رأيت نواجذه وقوله تبارك وتعالى فقال انى أحبيت حب الخير عن ذكرك حتى توارت  
بالحجاب ذكرك غير واحد من السلف والمتنسرين انه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر والذي يقطع به انه لم يتركها عمدا  
بل نسيانا كما شغل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت في الصحيحين من غير  
وجه من ذلك عن جابر رضي الله عنه قال جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريريش ويقول

يارسول الله والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما صليتها قال فقمنا الى  
بطحان فموضأني الله صلى الله عليه وسلم للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب ويحتمل انه  
كان سائغا في ملتهم تأخير الصلاة عذرا لغزو والقتال والخيل تراد للقتال وقد ادعى طائفة من العلماء ان هذا كان مشروعا  
ففسخ ذلك بصلاة الخوف ومنهم من ذهب الى ذلك في حال المسابقة والمضايقة حتى لا تمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود كما فعل الصحابة  
رضي الله عنهم في فتح نستر وهو منقول عن (٢٩٦) مكحول والاوراعي وغيرهما والاول اقرب لانه قال بعد ردوها على قطفوق

مسحا بالسوق والاعناق قال  
الحسن البصري قال لا والله  
لا تشغليني عن عبادة ربي آخر  
ما عليك ثم أمر بها فقوت وكذا  
قال قتادة وقال السدي ضرب  
أعناقها وعراقها بالسيف  
وقال علي بن أبي طلحة عن ابن  
عباس رضي الله عنهما جعل يسخ  
أعراف الخيل وعراقها بحبالها  
وهذا القول اختاره ابن جرير قال  
لانه لم يكن ليغذب حيا وانا بالبرقة  
ويهلك ما لا من ماله بلا سب سوى  
انه اشتغل عن صلواته بالنظر اليها  
ولاذنب لها وهذا الذي روي به ابن  
جرير فيه نظر لانه قد يكون في  
شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما اذا  
كان غضبا لله تعالى بسبب انه اشتغل  
بها حتى خرج وقت الصلاة ولهذا  
لما خرج عنها الله تعالى عوفه الله  
عز وجل ما هو خير منها وهو الریح  
التي تجرى بامر رضاء حيث أصاب  
شدوها شهرورواحه اشهر فهذا  
أسرع وخير من الخيل قال الامام  
أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا سليمان  
ابن المغيرة عن حميد بن هلال عن  
أبي قتادة وأبي الدهماء وكانا يكثران

جمع مترف اسم مفعول ترف كفرح تنعم وأترفته النعمة أطغته قال الكرخي هذا تسليمة  
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان من  
تقدمهم أيضا لم يكن لهم مستند منظور اليه وتخصيص المترفين للشعاريان التمتع هو  
الذي أوجب البطر وصر فهم عن النظر الى التقليد انتهى والامة هي من الام وهو القصد  
فالامة الطريقة التي تؤم أي تقصد ومقتدون أي متبعون قاله قتادة قال النسفي وهذه  
تسمية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبيان ان تقليد الآباء قديم انتهى قال الرازي في  
تفسيره لو لم يكن في كتاب الله الا هذه الآيات لكفت في ابطال القول بالتقليد وذلك لانه  
تعالى بين ان هؤلاء الكفار لم يتسكروا في اثبات ما ذهبوا اليه لا بطريق عقلي ولا بدليل  
نقل ثم بين انهم اغذبهوا اليه بمجرد تقليد الآباء والاسلاف وانما ذكر تعالى هذه المعاني  
في معرض الذم والتعجب وذلك يدل على ان القول بالتقليد باطل ومما يدل عليه أيضا  
من حيث العقل ان التقليد أمر مشترك فيه بين المبطل وبين الحق وذلك لانه كما حصل  
لهذه الطائفة قوم من المقلدة فكذلك حصل لاضدادهم أقوام من المقلدة فلو كان التقليد  
طريقا الى الحق لوجب كون الشيء ونقيضه حقا ومعلوم ان ذلك باطل وانه تعالى بين ان  
الداعي الى القول بالتقليد والحامل عليه انما هو حجب التمتع في طيبات الدنيا وحب  
الكسل والبطالة وبغض تحمل مشاق النظر والاستدلال لقوله الا قال مترفوها والمترفون  
هم الذين أترفتم النعمة أي أبطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعضون شمل  
المساق في طلب الحق انتهى أقول وقد احتج جماعة من الفقهاء وأهل النظر على من أجاز  
التقليد بحجج نظرية عقلية منها ما ذكره ابن القيم وأما ورددها هنا قال يقال لمن حكم  
بالتقليد هل لك من حجة فيما حكمت به فان قال نعم بطل التقليد لان الحجة أوجب ذلك  
عنده لا التقليد وان قال حكمت به بغير حجة قيل له فلم أرتقت الدماء وأبجت الفروج  
وأتلقت الاموال وقد حرم الله ذلك الابحجة قال الله عز وجل هل عندكم من سلطان بهذا  
أي من حجة بهذا فاذا قال انا أعلم اني قد أصبت وان لم أعرف الحجة لاني قلدت كثير من العلماء  
وهو لا يقول الابحجة خفيت على قيل له اذا جاز تقليد معلمك لانه لا يقول الابحجة خفيت  
عليك فتقليد معلم معلمك أولى لانه لا يقول الابحجة خفيت على معلمك كما يقبل معلمك الا  
بحجة خفيت عليك فان قال نعم ترك تقليد معلمه الى تقليد معلم معلمه وكذلك من هو أعلى

السفر نحو البيت قالوا أتيانا على رجل من أهل البادية فقال لنا البدوي أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى  
يفعل بعلمي مما علمه الله عز وجل وقال انك لا تدع شيئا اتقاء الله تعالى الأعطالك الله عز وجل خيرا منه (ولقد فتنا سليمان وألقينا  
على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بامر رضاء  
حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا الزبني  
وحسن ما أب) يقول تعالى ولقد فتنا سليمان أي اختبرناه بان سلطنا الملك وألقينا على كرسيه جسدا قال ابن عباس رضي الله

عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم يعني شيطانا ثم اناب أي رجع الى ملكه وسلطانه واهتمه قال ابن جرير  
وكان اسم ذلك الشيطان حخرا قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وقيل آصف قاله مجاهد وقيل صدق الله عليه أيضا وقيل  
حقيق قاله السدي وقد ذكروا هذه القصة مبسوطه مختصرة وقد قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال أمر سليمان عليه  
الصلاة والسلام ببناء بيت المقدس فقبل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد قال فطلب ذلك فلم يقدر عليه فقبل له ان شيطانا في البحر  
يقال له حخرا شبه المارد قال فطلبه وكاتب في البحر عين يرد هاني (٢٩٧) كل سبعة أيام مرة فترج ماؤها وجعل فيها خمر فجاء

يوم ورده فاذا هو بالخمر فقال انك  
لشراب طيب الا انك تصمين الحليم  
وتزيدن الجاهل جهلا قال ثم رجع  
حتى عطش عطشا شديدا ثم انابها  
فقال انك لشراب طيب الا انك  
تصمين الحليم وتزيدن الجاهل  
جهلا قال ثم شربها حتى غلبت على  
عقله قال فأرى الخاتم أو ختم به بين  
كتفه فذل قال وكان ملكه في  
خاتمة فأتى به سليمان عليه الصلاة  
والسلام فقال انقاد أمرنا ببناء  
هذا البيت وقيل لنا لا يسمعن فيه  
صوت حديد قال فأتى بيض  
الهدهد فجعل عليه زجاجة فجاء  
الهدهد فدار حولها فجعل يرى  
بيضه ولا يقدر عليه فذهب فجاء  
بالماس فوضعه عليه فقطعها به حتى  
أفضى الى بيضه فأخذ الماس فجعلوا  
يقطعون به الحجارة وكان سليمان  
عليه الصلاة والسلام اذا أراد أن  
يدخل الحمام أو الحمام لم يدخل  
بالخاتم فانطلق يوم الى الحمام وذلك  
أن الشيطان صخر معه وذلك عند  
مقارفة فارف فيه بعض نساءه قال  
فدخل الحمام وأعطى الشيطان  
خاتمه فألقاه في البحر فالتقه سمكة  
ونزع ملك سليمان منه وألقى على

حتى ينتهي الامر الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان أبي ذلك نقض قوله  
وقيل له كيف يجوز تقليد من هو أصغر وأقل علما ولا يجوز تقليد من هو أكبر وأكثر علما  
وهذا تناقض فان قال لان معلي وان كان أصغر فقد جمع علم من هو فوقه الى علمه فهو  
أبصر بما أخذ وأعلم بما ترك قيل له وكذلك من تعلم من معلمك فقد جمع علم معلمك وعلم من  
فوقه الى علمه فلما زمه تقليده وترك تقليد معلمك وكذلك أنت أولى ان تقلد نفسك من  
معلمك لانك جمعت علم معلمك وعلم من هو فوقه الى علمك فان قلده قوله جعل الأصغر ومن  
يحدث من صغار العلماء أولى بالتقليد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
وكذلك صاحب عنده يلزمه تقليد التابع والتابع من دونه في قياس قوله والاعلى  
للادنى أبا وكفى بقول يؤل الى هذا تناقضا وفسادا قال أبو عمرو وقال أهل العلم والنظر حد  
العلم التبيين وادراك المعلوم على ما هو به فن بان له النبي فقد علمه قالوا والمقلد لا علم له لم  
يختلفوا في ذلك ومن ههنا والله أعلم قال البخاري

عرف العالمون فضلك بالعلم \* ثم وقال الجاهل بالتقليد

وأرى الناس مجمعين على فضلك \* ملك من بين سيدومسود

وقال أبو عبد الله بن خوارزمي البصري المالكي التقليد بمعناه في الشرع الرجوع  
الى قول لاجبة لقائله وذلك ممنوع منه في الشريعة والاتباع ما ثبت عليه حجة وقال في  
موضع آخر من كتابه كل من اتبع قوله من غير أن يجب عليك قبوله بدليل يوجب  
ذلك فأنت مقلده والتقليد في دين الله غير صحيح وكل من أوجب الدليل عليك اتباع قوله  
فأنت متبعه والاتباع في الدين مستوع والتقليد ممنوع انتهى قال ابن حارث هذا والله  
الدين الكامل والعقل الراجح لا كني يأتي بالهذيان ويريد أن ينزل قوله من القلوب  
منزلة القرآن انتهى ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يرد  
عليهم فقال (قال اولوحيئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أي أتبعون آباءكم  
وتقلدوهم ولوحيئتكم بدين أهدى من دين آباءكم قال الزجاج المعنى قل لهم أتبعون  
ما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء وان جيئتكم بأهدى منه  
قرأ الجهور قل وقرئ قال وهو حكاية لما جرى بين المنذرين وقومهم أي قال كل منذر  
من أولئك المنذرين لامته وقيل ان كلا القراءتين حكاية لما جرى بين المنذرين وقومهم

(٣٨ فتح البيان ثامن) الشيطان شبه سليمان قال فجاء فقع على كرسيه وسريره وسلط على ملك سليمان كله غير نساءه  
قال فجعل يقضى بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء وكان فيهم رجل يشبهه وبه يعمر بن الخطاب رضي الله عنه في القوة فقال والله  
لاجره قال فقال يا بني الله وهو لا يرى الا انه نبي الله أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة فيدع الغسل عمد حتى تطلع الشمس  
أترى عليه بأسا قال لا فينساها وكذلك أر بعين ليله اذ وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة فأقبل فجعل لا يستقبله حتى ولا طير الا سجد له  
حتى انتهى اليهم وألقيناه على كرسيه جسدا قال هو الشيطان صخر وقال السدي ولقد فتنا سليمان أي ابتلينا سليمان وألقينا

على كرسية جسدا قال شيطانا جلس على كرسية أربعين يوما قال كان لسليمان عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وكانت امرأته  
منهن يقال لها بريدة وهي أثرت نساءه وآمنهن عنده وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزح خاتمه ولم يأمن عليه أحد من النامس غيرها  
فأعطاها يوم خاتمه ودخل الخلاء ففرج الشيطان في صورته فقال ها هي الخاتمة فاعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان عليه  
الصلاة والسلام وخرج سليمان بعد فساءلها أن تعطيه خاتمه فقالت ألم تأخذته قبل قال لا وخرج كأنه تأمها ومكث الشيطان  
يحكم بين الناس أربعين يوما قال فأنكر الناس (٢٩٨) أحكامه فاجتمع قراءى اسرائيل وعلماؤهم فخاوا حتى دخلوا على

نساءه فقالوا الهن انا قد أنكرنا هذا  
فان كان سليمان فقد ذهب عقله  
وأنكرنا أحكامه قال فبكى النساء  
عند ذلك قال فاقبلوا يمضون حتى  
أتوه فأخذ قوابه ثم نشرها يقرؤن  
التوراة قال فطار من بين أيديهم  
حتى وقع على شرفة والخاتمة معه ثم  
طار حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتمة  
منه في البحر فابتلعته حوت من  
حيثان البحر قال وأقبل سليمان عليه  
الصلاة والسلام في حاله التي كان  
فيها حتى انتهى الى صيادين  
صيادين البحر وهو جائع وقد اشتد  
جوعه فسألهم من صيدهم وقال  
اني أنا سليمان فقام اليه بعضهم  
فضرب به بعضا فشجبه فجعل يغسل  
دمه وهو على شاطئ البحر فلام  
الصيدون صاحبهم الذي ضرب به  
فقالوا بئس ما صنعت حيث ضربته  
قال انه زعم انه سليمان قال فأعطوه  
سمكتين مما قد كان عندهم ولم يشغله  
ما كان به من الضرب حتى قام الى  
شاطئ البحر فشق بطونهما فجعل  
يغسل فوجد خاتمه في بطن أحدهما  
فأخذه فلبسه فرد الله عليه بهاءه

وملكه فجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم انه سليمان عليه الصلاة والسلام فقام القوم يعترفون  
بما صنعوا فقال ما أجدكم على عذركم ولا الوهمكم على ما كان منكم كان هذا الامر لا بد منه قال فجاء حتى أتى ملكا وأرسل الى  
الشيطان فجى به فأمر به فجعل في صندوق من حديد ثم أطبق عليه وقفل عليه بقتل وختم عليه بخاتمه ثم أمر به فأتى في البحر فهو  
فيه حتى تقوم الساعة وكان اسمه حقيق قال وسخر الله له الريح ولم تكن سخرته له قبل ذلك وهو قوله وهب لي ملكا لا ينبغي  
لأحد من بعدي انك أنت الوهاب وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد في قوله تبارك وتعالى وألقينا على كرسية جسدا قال شيطانا يقال له

وجوههم



أصف فقال له سليمان عليه السلام كيف تفتنون الناس قال أرنى خاتمك أخبرك فلما أعطاه آية نبذة آصف في البحر فساح سليمان عليه السلام وذهب ملكه وقعد آصف على كرسيه ومنعه الله تبارك وتعالى من نساء سليمان فلم يقربهن ولم يقربنه وأنكره قال فكان سليمان عليه الصلاة والسلام يستطعم فيقول أتعرفوني أتعرفوني أنا سليمان فيكذبونه حتى أعطته امرأته يوماً ما حوتاً ففتح بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع إليه ملكه وفر آصف فدخل البحر فرأى هذه كلها من الأسرار لميات ومن أنكرها ما قال له ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبي (٢٩٩) شيبه وعلي بن محمد قالوا حدثنا أبو معاوية أخبرنا

الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال أراد سليمان عليه الصلاة والسلام ان يدخل الخلاء فاعطى الجراد خاتمه وكانت الجراد امرأته وكانت أحب نساءه اليه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها ها هي خاتمي فاعطته آية فلما لبسه دانت له الانس والجن والشياطين فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاء قال لها ها هي خاتمي قالت قد أعطيته سليمان قال أنا سليمان قالت كذبت ما أنت بسليمان فجعل لا يأتى أحدا يقول له أنا سليمان الا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالججارة فلما رأى ذلك سليمان عرف أنه من أمر الله عز وجل قال وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله تبارك وتعالى ان يرده على سليمان سلطانه ألقى في قلوب الناس انكار ذلك الشيطان قال فأرسلوا الى نساء سليمان فقوالوا الحسن تنكرن من سليمان شيأ قلن نعم انه يأتينا ونحن حيز وما كان يأتينا قبل ذلك فلما رأى الشيطان انه قد فطن له ظن ان أمره قد انقطع فكتموا كتبها في البحر وكسروا فدفنوها تحت كرسي سليمان ثم اناروها وقرؤها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس فأكفر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام فلم يزالوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالخنات فطرحه في البحر فتلقتة سمكة فأخذته وكان سليمان عليه السلام يحمل على شط البحر بالاجر فجاء رجل فاشترى سمكة فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فدعا سليمان عليه الصلاة والسلام فقال تحمل لي هذا السمك فقال نعم قال بكم قال بسمكة من هذا السمك قال فحمل سليمان عليه الصلاة والسلام السمك ثم انطلق به الى منزله فلما انتهى الرجل الى بابها أعطاه تلك السمكة التي

وجوههم فانه لو قيل لهم ان في التابعين من هو أعظم قدرا وأقدم عصرا من صاحبكم فان كان لتقدم العصر وجلالة القدر منزلة توجب الاقتداء فمعالوا حتى أريكم من هو أقدم عصرا وأجل قدرا فان أبيت ذلك ففي الصحابة رضي الله عنهم من هو أعظم قدرا من صاحبكم علما وفضلا وجلالة قدر فان أبيت ذلك فها أنا أدلكم على من هو أعظم قدرا وأجل خطرا وأكثر اتباعا وأقدم عصرا وهو محمد بن عبد الله نبينا ونبيكم صلى الله عليه وآله وسلم ورسول الله البنا واليكم فمعالوا فهذه سنته موجودة في دقات الاسلام ودواوينه التي تلقتم جميع هذه الامة قربانها بعد قرن وعصر ابعده وهو هذا كتاب ربنا خالق الكل ورازق الكل وموجد الكل بين أظهرنا موجود في كل بيت ويبد كل مسلم لم يلحقه تغير ولا تبدل ولا زيادة ولا نقص ولا تحريف ولا تحريف وفن وأنتم من يفهم ألفاظه ويتعقل معانيه فمعالوا الناخذ الحق من معدنه ونشرب صفوا الماء من مسبعه فهو ما وجدتم عليه آباءكم فالوا لا سمع ولا طاعة اما بلسان القبال أو بلسان الخال فتدبر هذا وتأمله ان بقي فيك بقية من انصاف وشعبية من خير ومنعة من حياء وحصنة من دين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد أوضحت هداية الايضاح في كتابي الذي سميتة أدب الطالب ومنتهى الارب انتهى وقد أوضعه الحافظ ابن القيم في اعلام الموقعين عن رب العالمين فأرجع اليهما ان رمت أن تجلي عند ظلمات التعصب وتتقشع لك سحائب التقليد (فانتقمنا منهم) وذلك الانتقام ما وقع الله بقوم نوح وعاد وثمود بما استحقوه على اصرارهم على التقليد (فانظركيف كان عاقبة المكذبين) للانباء من تلك الامم فان آثارهم موجودة ولا تكثرت بتكذيب قومك لك ثم لما بين في الآية المتقدمة انه ليس لاولئك الكفار داع يدعوهم الى تلك الاقاويل الباطلة الاتقليد الآباء والاسلاف وبين انه طريق باطل ومنهج فاسد وان الرجوع الى الدليل أولى من الاعتماد على التقليد أردفه بهذه الآية (واذ قال ابراهيم) الذي هو أعظم آباءهم ومحط فخرهم والمجمع على محبته وحقية دينه منهم ومن غيرهم (لا يبه) أي واذا كرهم وقت قوله لا يبه من غير أن يقلده كما قلدهم آباءكم (وقومه) أي الذين قلدهم وآباءهم وعبدوا الاصنام (انى براء مما تعبدون) تبرأ مما هم عليه وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال والبراء مصدرة نعت به للمبالغة وهو يستعمل للواحد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث وقال الجوهرى وتبرأت من كذا

رأى الشيطان انه قد فطن له ظن ان أمره قد انقطع فكتموا كتبها في البحر وكسروا فدفنوها تحت كرسي سليمان ثم اناروها وقرؤها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس فأكفر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام فلم يزالوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالخنات فطرحه في البحر فتلقتة سمكة فأخذته وكان سليمان عليه السلام يحمل على شط البحر بالاجر فجاء رجل فاشترى سمكة فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فدعا سليمان عليه الصلاة والسلام فقال تحمل لي هذا السمك فقال نعم قال بكم قال بسمكة من هذا السمك قال فحمل سليمان عليه الصلاة والسلام السمك ثم انطلق به الى منزله فلما انتهى الرجل الى بابها أعطاه تلك السمكة التي

في بطنها الخاتم فأخذها سليمان عليه الصلاة والسلام فشق بطنها فاذا الخاتم في جوفها فأخذ قلبه قال فلما لبسه دانت له الجن والانس والشياطين وعاد الى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر فأرسل سليمان عليه السلام في طلبه وكان شيطانا يريد ان يجعلوا يطلبونه ولا يقدر ان عليه حتى وجدوه يوما نائما فجاؤا فبنوا عليه بنيانا من رصاص فاستقيظ فوثب فجعل لا يثب في مكان من البيت الا انماط معه من الرصاص قال فأخذوه فأوثقوه وجأوا به الى سليمان عليه الصلاة والسلام فأمر به فمقر له تحت من رصاص ثم أدخل في جوفه ثم شد (٣٠٠) بالنحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله تبارك وتعالى ولقد قتنا

سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم اناب قال يعنى الشيطان الذى كان سلط عليه اسناده الى ابن عباس رضى الله عنهما قوى ولكن الظاهر انه انما تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما ان صح عنه من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر انهم يكذبون عليه وله هذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فان المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف ان ذلك الجنى لم يسلط على نساء سليمان بل عصهن الله عز وجل منه تشريفا وتكريما لنبية عليه السلام وقد رويت هذه القصة طولة عن جماعة من السلف رضى الله عنهم كسعيد ابن المسيب وزيد بن اسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصر من أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وقال يحيى بن عروبة الشيباني وجد سليمان خاتمه بعسقلان فشى في جرحه الى بيت المقدس فوضع الله عز وجل رواه ابن أبي حاتم وقد روى ابن أبي حاتم عن كعب الاحبار في صفة

وأنا منه براء وخلاء لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر في الاصل وبه قال الكسائي والمبرد والزجاج ثم استثنى خاتمه من البراة فقال (الا الذى فطرني) أى خلقني والاستثناء منقطع أى لكن الذى فطرني أو متصل من عموم ما لانهم كانوا يعبدون الله والاصنام أو الاصفة بمعنى غير وما نكرة موصوفة قاله الرمنشبرى (فانه سيهدين) أى سيرشدني لدينه ويوفقه في لظاعته ويثبتني على الحق واخباره بانه سيهديه جزما لثقتة بالله سبحانه وقوة يقينه والوجه ان السنين للتأكد دون التسوية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار (وجعلها كلمة باقية في عقبه) الضمير في جعلها عائذ الى قوله الا الذى فطرني وهى بمعنى التوحيد كأنه قال وجعل كلمة التوحيد باقية في عقب ابراهيم وهم ذريته فلا يزال فهم من يوحده الله وفاعل جعلها ابراهيم وذلك حيث وصاهم بالتوحيد وأمرهم أن يدينوا به كما في قوله ووصى بها ابراهيم بنبيه ويعقوب الآية وقيل الفاعل هو الله عز وجل أى وجعل الله سبحانه كلمة التوحيد باقية في عقب ابراهيم والعقب من بعد قال مجاهد وقتادة الكلمة لا اله الا الله لا يزال من عقبه من يعبد الله الى يوم القيامة ويوحده ويدعو الى توحيدده وقال عكرمة هى الاسلام قال ابن زيد الكلمة هى قوله أملت رب العالمين قال ابن عباس كلمة باقية لا اله الا الله وعقب ابراهيم ولده (لعلهم يرجعون) تعليل للجعل أى جعلها باقية رجاء أن يرجع اليها من بشرى منهم بدعاء من يوحده وقيل الضمير في لعلهم يرجع الى أهل مكة أى اهل أهلها يرجعون الى دينك الذى هو دين ابراهيم وقيل فى الكلام تقديم وتأخير والتقدير فانه سيهدين لعلهم يرجعون وجعلها الخ قال السدي لعلهم يتوبون فيرجعون عما هم عليه الى عبادة الله قال الرازى فى تفسيره والمقصود من هذه الآية ذكر وجه آخر يدل على فساد القول بالتقليد وتقريره من وجهين الاول انه تعالى حكى عن ابراهيم عليه السلام انه تبرأ عن دين آباءه بناء على الدليل فنقول اما ان يكون تقليد الآباء فى الاديان محرما أو جائزا فان كان محرما فقد بطل القول بالتقليد وان كان جائزا فاعلم ان أشرف آباء العرب هو ابراهيم عليه السلام وذلك لانه ليس لهم فخر ولا شرف الا بانهم من أولاده واذ كان كذلك فتقليد هذا الاب الذى هو أشرف الآباء أولى من تقليد سائر الآباء واذ ثبت ان تقليده أولى من تقليد غيره فنقول انه ترك دين الآباء وحكم بان اتباع الدليل أولى من متابعة الآباء واذ كان كذلك وجب تقليده فى ترك تقليد الآباء ووجب

سليمان عليه الصلاة والسلام جزأ عجيبا فقال حدثنا ابى حدثنا ابو صالح كاتب الليث اخبرني ابو اسحق المصرى تقليده عن كعب الاحبار انه لما فرغ من حديث ارم ذات العماد قال له معاوية يا ابا اسحق اخبرني عن كرسى سليمان بن داود عاينها ما الصلاة والسلام وما كان عليه ومن أى شئ هو فقال كان كرسى سليمان من آيات القبلة ثم صعد بالدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ وقد جعل له درجه منها مفصصا بالدر والياقوت والزبرجد ثم أمر بالكرسى خفف من جانبه بالنخل فخل من ذهب شمالي يمينها من ياقوت وزبرجد ولؤلؤ وجعل على رؤس النخل التى عن يمين الكرسى طواويس من ذهب ثم جعل على رؤس النخل التى على يسار

الكرسي نسور من ذهب مقابلة الطواويس وجعل على عيين الدرجة الاولى شجرتي صنوبر من ذهب عن يسارها أسدان من ذهب وعلى رؤس الاسدين عمودان من زبرجد وجعل من جانبي الكرسي شجرتي كرم من ذهب قدأظلتا الكرسي وجعل عناقدهما دراويقاوتأخر ثم جعل فوق درج الكرسي أسدان عظيمان من ذهب مجوفان محشوان مسكاوعنبرافذا أراد سليمان عليه السلام ان يصعد على كرسيه استدار الاسدان ساعة ثم يقعان فينضحان ما في أجوافهما من المسك والعنبر حول كرسي سليمان عليه الصلاة والسلام ثم يوضع منبران من ذهب واحد خلفه والآخر ليس (٣٠١) أحبار بني اسرائيل ذلك الزمان ثم يوضع

أمام كرسيه سبعون منبران من ذهب يقعد عليها سبعون قاضيا من بني اسرائيل وعلماؤهم وأهل الشرف منهم والطول ومن خلف تلك المنابر كلها خمسة وثلاثون منبران من ذهب ليس عليها أحد فاذا أراد ان يصعد على كرسيه وضع قدميه على الدرجة السفلى فاستدار الكرسي كله بما فيه وما عليه ويسيطر الاسد يده اليمنى وينشر النسر جناحه الايسر ثم يصعد سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثانية فيسقط الاسد يده اليسرى وينشر النسر جناحه الايمن فاذا استوى سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثالثة وقعد على الكرسي أخذ نسر من تلك النسور عظيم تاج سليمان عليه الصلاة والسلام فوضعه على رأسه فاذا وضعه على رأسه استدار الكرسي بمجافيه كما تدور الزحالمسرعة فقال معاوية رضي الله عنه وما الذي يدبره أنا اسحق قال تين من ذهب ذلك الكرسي عليه وهو عظيم مما عمله صخر الجني فاذا أحست بدورانه تلك الاسود والنسور والطواويس التي

تقليده في ترجيح الدليل على التقليد واذا ثبت هذا فنقول فقد ظهر ان القول بوجوب التقليد بوجوب المنع من التقليد وما أفضى ثبوته الى نقله كان باطلا فوجب ان يكون القول بالتقليد باطلا فهذا طريق دقيق في ابطال التقليد وهو المراد من هذه الآية الوجه الثاني في بيان ان ترك التقليد والرجوع الى متابعة الدليل أولى في الدنيا والدين انه تعالى بين ان ابراهيم عليه السلام لماعدل عن طريقه آية الى متابعة الدليل لاجرم جعل الله دينه ومذهبه بأقيا في عقبه الى يوم القيامة وأما أديان آباءه فقد اندرست وبطلت فثبت ان الرجوع الى متابعة الدليل يبق محمود الاثر الى قيام الساعة وان التقليد والاصرار ينقطع أثره ولا يبقى منه في الدنيا خبر ولا أثر فثبت من هذين الوجهين ان متابعة الدليل وترك التقليد أولى فهذا بيان المقصود الاصل من هذه الآية انتهى ثم ذكر سبحانه نعمته على قريش ومن وافقهم من الكفار المعاصرين لهم فقال (بل تمتعت هؤلاء) أى أهل مكة عقب ابراهيم (وآباءهم) أضرب سبحانه عن الكلام الاول الى ذكر ما تمتعهم به من النفس والاهل والاموال والمدنى الاعمار وأنواع النعم وسلامة الابدان من البلايا والنقم وما تمتع به آباءهم ولم يعاجلهم بالعقوبة فاغتروا بالمهلة وأكبوا على الشهوات وشغلوا بالنعم عن كلمة التوحيد وبطروا وعادوا على الباطل (حتى جاءهم الحق) يعنى القرآن (ورسول مبين) يعنى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ظاهر الرسالة واضحهها أومبين لهم ما يحتاجون اليه من أمر الدين فلم يجيبوه ولم يعملوا بما أنزل عليه وفي هذه الغاية خفاء بينه في الكشاف وشروحه وهو ان ما ذكر ليس غاية للتمتع اذ لا مناسبة بينهما مع ان مخالفة ما بعدهما لما قبلها غير مري فيها والحواب ان المراد بالتمتع ما هو سببه من اشتغالهم به عن شكر المنعم فكانه قال اشتغلوا به حتى جاءهم الحق ورسول مبين وهو غاية في نفس الامر لانه مما ينههم ويزجرهم لكنهم لطغيانهم عكسوا فقولوه وانفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة أفاده الشهاب ثم بين سبحانه ما صنعوه عند مجي الحق فقال (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانابه كافرين) أى جاحدون فسموا القرآن سحرا ووجدوه واستحققوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووجه النظم انهم لما عولوا على تقليد الآباء والاسلاف لم يتفكروا في الدليل واعتروا بطول الاموال وامتناع الله اياهم بنعيم الدنيا فاعرضوا عن الحق والغرض بهذا الكلام توبيخ المقلد المسمى (وقالوا) متحكمين بالباطل

في أسفل الكرسي درن الى اعلاه فاذا وقف وقفن كلهن منكسات رؤسهن على رأس سليمان عليه الصلاة والسلام وهو جالس ثم ينضحن جميعا ما في أجوافهن من المسك والعنبر على رأس سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام ثم تتناول حمامة من ذهب واقفة على عمود من جوهر التوراة فتجعلها في يده فيقرأها سليمان عليه الصلاة والسلام على الناس وذكرا تمام الخبر وهو غير يب جدا قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى انك أنت الوهاب قال بعضهم معناه لا ينبغي لاحد من بعدى أى لا يصلح لاحد ان يسلمني بعدى كما كان من قضية الجسد الذي ألقى على كرسيه لانه يحجر على من بعده من الناس والصحيح انه سأل من الله تعالى ملكا

لا يكون لاحد من بعده من البشر مثله وهذا هو ظاهر السياق من الآية وبذلك وردت الاحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا اسحق بن ابراهيم اخبرنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن زياد عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عقر بنامن الجن نقلت على البارحة أو كلمة نحوها ليقطع على الصلاة فامكنني الله تبارك وتعالى منه وأردت ان أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتظروا اليه كما كنتم فذكرت قول أخى سليمان عليه الصلاة (٣٠٢) والسلام رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى قال روح فرده

(لولا) هلا (نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) أى رجل عظيم من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أى من أحدهما والمراد به مائة والطائف قاله ابن عباس وبالرجلين الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف كذا قال قتادة وغيره وقال مجاهد وغيره عتبة بن ربيعة من مكة وعمر بن عبدالمطلب الثقفي من الطائف وقال ابن عباس عمر بن مسعود وخيار قريش وقال أيضا العظيم الوليد بن المغيرة القرشي وحبيب بن عمير الثقفي وعنه قال يعنون أشرف من محمد الوليد بن المغيرة من أهل مكة ومسعود الثقفي من أهل الطائف وقيل غير ذلك وظاهر النظم ان المراد رجل من احدى القريتين عظيم الجاه واسع المال مسودى قوله والمعنى انه لو كان قرآنا نزل على رجل من عظماء القريتين فهو لأ المساكين فالواضع رسالة الله منصب شريف فلا يليق الا برجل شريف وقد صدقوا في ذلك الا انهم ضموا اليه مقدمة فاسدة وهى ان الرجل الشريف عندهم هو الذى يكون كثير المال والجاه ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ليس كذلك فأجاب الله سبحانه عنهم بقوله (اهم يقسمون رحمت ربك) يعنى التوبة او ما هو اعلم منها والاستفهام للانكار المستقل بالتهجيم والتعجيب من تحكهم في اختيار من يصلح للنبوة وترسم هذه التاء مجرورة اتباعا لرسم المصحف الامام كما نص عليه ابن الجزرى ثم بين انه سبحانه هو الذى قسم بينهم ما يعيشون به من أمور الدنيا فقال (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) أى نحن أو قعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا امالا كا وهذا مملوا كا وهذا اقويا وهذا ضعيفا ولم نقوض ذلك اليهم وليس لاحد من العباد ان يتحكم فى شئ بل الحكم لله وحده واذا كان الله سبحانه هو الذى قسم بينهم أرزاقهم فكيف لا يقسمون بقسمته فى أمر النبوة وتقضى بها الى من يشاء من خلقه قال مقاتل يقول بايديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاءوا قرأ الجمهور معيشتهم بالافراد وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن محيصن معيشتهم بالجمع (و) يعنى (رفعنا بعضهم فوق بعض درجات) انه فاضل بينهم فجعل بعضهم أفضل من بعض فى الدنيا بالرزق والرياسة والقوة والحرية والعقل والعلم ثم ذكر العلة لرفع درجات بعضهم على بعض فقال (ليخذ بعضهم بعضا سخريا) أى ليشخدم بعضهم بعضا فيستخدم الغنى التقدير والرئيس المرؤس والقوى الضعيف والحر العبد والعاقل من دونه فى العقل والعالم البهاول وهذا فى غالب أحوال أهل الدنيا وبه تتم مصالحتهم

حاشا وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به وقال مسلم فى صحيحه حدثنا محمد بن مسلمة المرادى حدثنا عبد الله بن وهب عن معاوية ابن صالح حدثنى ربيعة بن يزيد عن ابي ادريس الخولاني عن ابي الدرداء رضى الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيا فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله قد سمعناك تقول فى الصلاة شيا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يداك قال صلى الله عليه وسلم ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليحمله فى وجهى فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به صبيان أهل المدينة وقال الامام أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا مرة بن معبد حدثنا أبو يعيب حابج سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثى قائما يصلى فذهبت أمر بين يديه فردنى

ويتنظم

ثم قال حدثنى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يصلى صلاة الصبح

وهو خلفه فقرأ التبت عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال لورايموني وابليس فاهوت بيدي فخازلت أذنقه حتى وجدت برد لعايه بين اصبعي هاتين الابهام والى تليها ولولا دعوة أخى سليمان لأصبح مر بوطا يسارية من سوارى المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليقبل وقد روى أبو داود ومنه من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليقبل عن أحمد بن أبي شريح عن أبي أحمد الزبيرى به وقال الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا ابراهيم بن محمد

الفزاري حدثنا الاوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد بن عبد الله الديلمي قال دخلت على عبد الله بن عمرو رضى الله عنهم وهو في حائطه بالطائف يقال له الرهط وهو محاصر فتى من قريش بنى ويشرب الخمر فقلت بلغنى عنك حديث انه من شرب شربة من الخمر لم يقبل الله عز وجل له توبة أربعين صباحا وان الشقي من شقى في بطن أمه وانه من أتى بيت المقدس لا ينهزه الا الصلاة فيه خرج من خطيئته مثل يوم ولده أمه فلما سمع الفتى ذكر الخمر اجتذب يده من يده ثم انطلق فقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهم ما انى لأحل لأحد ان يقول على تالم أقل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شرب من (٣٠٣) الخمر شربة لم تقبل له صلاة أربعين صباحا

فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة قال فان عاد كان حقا على الله تعالى أن يسقيه من طينة الخبال يوم القيامة قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان سليمان عليه السلام سأل الله تعالى ثلاثا فاعطاه اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة سأله حكما يصادف حكمه فاعطاه اياه وسأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فاعطاه اياه وسأله أيمارجل خرج من بيته لا يريد الا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه فتحن نرجوان يكون الله عز وجل قد أعطانا اياها وقد روى هذا الفصل الاخير من هذا الحديث النسائي وابن ماجه من طرق عن عبد الله بن عمرو بن الديلمي عن

وينتظم معاشهم ويصل كل واحد منهم الى مطلوبه فان كل صناعة دنياوية يحسنها قوم دون آخر فيجعل البعض محتاجا الى البعض لتحصل المواساة بينهم في متاع الدنيا ويحتاج هذا الى هذا ويصنع هذا الهدا ويعطى هذا وهذا او قال السدي وابن زيد سخر ياخولا وخراما يسخر الاغنياء الفقراء فيكون بعضهم سببا لمعاش بعض وقال قتادة والضحاك ليملك بعضهم بعضا وقيل هو من السخرية التي بمعنى الاستهزاء قال الاخفش سخرت به وسخرت منه وضحكك به وضحكك منه وهزأت به وهزأت منه وهذا وان كان مطابقا للمعنى اللغوي ولكنه بعيد من معنى القرآن ومنافيا لما هو متصودا للسياق وعلى هذا القول تكون اللام الصيغورية والعاقبة للعلة والسببية (ورجوة ربك) بمعنى بالرجعة ما أعده الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة وقيل هي النبوة لانها المرادة بالرجعة المتقدمة في قوله أهم يقسمون رجعت ربك ولا مانع من أن يراد كل ما يطلق عليه اسم الرجعة ما مشيئولا أو بدلا (خير مما يجتمعون) أي مما يجتمعونه من الاموال وسائر متاع الدنيا لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورجمته تبقى ابد الابدين ثم بين سبحانه حقارة الدنيا عنده فقال (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أي لولا أن يجتمعوا على الكفر ميلوا الى الدنيا وخر فيها أو يرغبوا فيه اذاروا والكفار في سعة وتعم (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سققا من فضة) جمع الضمير في بيوتهم وأفرده في يكفر باعتبار معنى من ولفظها ولبسوتهم بدل اشتمال من الموصول واللام للاختصاص والسقف جمع سقف قرأ الجهور بضم السين والقاف كرهن ورهن قال أبو عبيدة ولا ثالث لهما وقال القراء هو جمع سقيف نحو كنيب وكئب ورغيف ورغف وقيل هو جمع سقف فيكون جمع الجمع وقرئ بفتح السين واسكان القاف على الافراد ومعناه الجمع لكونه الجنس قال الحسن معنى الآية لولا ان يكفر الناس جميعا بسبب ميلهم الى الدنيا وتركهم الآخرة لا عطنناهم في الدنيا ما وصفناه لهوان الدنيا عندهنا وقال بهذا أكثر المفسرين وقال ابن زيد لولا ان يكون الناس أمة واحدة في طلب الدنيا واختيارهم لها على الآخرة وقال الكسائي المعنى لولا ان يكون في الكفار غنى وفقير وفي المسلمين مثل ذلك لا عطننا الكفار من الدنيا لهوانها (ومعارج) كالدرج من فضة جمع معرج بفتح الميم وكسر هاو سميت المصاعد من الدرج المعارج لان المشى عليها مثل مشى الاعرج ومعارج جمع معراج والمعراج السلم وهي لغة بعض تميم

عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان عليه الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلا ثلاثا ماؤذ كره وقد روى من حديث رافع بن عمر رضى الله عنه باسناد وسباق غريبين وقال الطبراني حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني حدثنا محمد بن أيوب بن سويد حدثني أبي حدثنا ابراهيم بن أبي عبد الله عن أبي الزاهرية عن رافع بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل اداود عليه الصلاة والسلام ابن لي يتتافي الارض فبنى داود بيتا لنفسه قبل البيت الذي أمر به فاوحى الله اليه اداود نصبت بيتك قبل بيتي قال يارب هكذا قضيت من ملك استأثر ثم أخذ في بناء

المسجد فلما تم السور سقط ثلثه فشكل ذلك الى الله عز وجل فقال يا داود انك لا تصلح ان تبني لي بيتا قال ولم يارب قال لما جرى على  
يديك من الدماء قال يارب وما كان ذلك في هوالك ومحبتك قال بلى ولكنهم عبادي وأنا ارحمهم فشق ذلك عليه فأوحى الله اليه  
لا تحزن فاني سأقضي بناءه على يدي ابنك سليمان فلما سمع داود أخذ سليمان في بناءه ولما تم قرب القرابين وذبح الذبايح وجمع بني  
اسرائيل فأوحى الله اليه قد أرى سرورك بين يدي فسلني أعطك قال أسألك ثلاث خصال حكما يصادف حكمك وملكالا ينبغي  
لاحد من بعدى ومن أتى هذا البيت لا يريد (٣٠٤) الا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم اما اثنتان فقد أعطيتهما  
وأنا أرجو ان يكون قد أعطى  
الثالثة وقال الامام أحمد حدثنا  
عبد الصمد حدثنا عمر بن راشد اليماني  
حدثنا اياس بن سلمة بن الاكوع  
عن أبيه رضى الله عنه قال ما سمعت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا  
الاستشفحة سبحان الله ربى العلى  
الاعلى الوهاب وقد قال أبو عبيد  
أحمد ثنا علي بن ثابت عن جعفر بن  
برقان عن صالح بن سمار قال لما  
مات نبي الله داود عليه السلام  
أوحى الله تبارك وتعالى الى ابنه سليمان  
عليه الصلاة والسلام ان سلني  
حاجتك قال أسألك ان تجعل لي  
قائما يخشاك كما كان قلب أبي وان  
يجعل قلبي يحبك كما كان قلب  
أبي فقال الله عز وجل أرسلت  
الى عبدى وسألته حاجته فكانت  
حاجته ان أجعل قلبه يخشاني وان  
اجعل قلبه يحبني لا ينبغي له ملكا  
لا ينبغي لاحد من بعده قال الله  
جاءت عظمته فسخرنا له الريح  
تجرى بأمره رضاء حيث أصاب  
والتي بعدها قال فاعطاه ما اعطاه  
وفي الاخرة لا حساب عليه هكذا

وهذا الكفاية جمع مفتوح ومفاتح جمع مفتاح قال الاخفش ان شئت جعلت الواحدة معراج  
ومعراج مثل مر قاورم قال والمعنى جعلنا لهم معارج من فضة (عليها) أى على المعارج  
(يظهرون) يرتقون ويصعدون يقال ظهرت على البيت أى علوت سطحه (وليسوهم ابوابا  
وسررا) أى وجعلنا البيوتهم ابوابا من فضة وسررا من فضة وتكرير لفظ البيوت لزيادة التقرير  
(عليها) أى على السرر وهو جمع سرير وقيل جمع أسرة فيكون جمعا للجمع (يتكئون)  
الاتكاء والتوكؤ والتكامل على الشيء ومنه أتو كآ عليها واتكأ على الشيء فهو متكئ  
والموضع متكأ (وزخرفا) أى وجعلنا لهم زخرفا ليجعلوه في السقف والمعارج والابواب  
والسرر ليكون بعض كل منها من فضة وبعضه من ذهب لانه لا يبلغ في الزينة وقيل النصب  
بنزع الخافض أى ابوابا وسررا من فضة ومن ذهب فلما حذف الخافض اتصب والزخرف  
الذهب وقيل الزينة أعظم من ان يكون ذهباً وغيره قال ابن زيد هو ما يتخذ الناس في  
منزلهم من الامتعة والاثاث وقال الحسن النقوش وأصله الزينة يقال زخرفت الدار  
زينةا وزخرفت فلان أى تزين قال ابن عباس في الآية يقول لولا ان تفعل الناس كلهم  
كفارا لجعلنا البيوت الكفار سقما من فضة ومعارج من فضة وهى درج عليها يصعدون  
الى الغرف وسرر فضة وزخرفا وهو الذهب وأخرج الترمذى وصححه وابن ماجه عن سهل بن  
سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو كانت الدنيا ترز عند الله جناح بعوضة  
مأسقى كافرا منها شربة ماء وعن المسور بن شداد قال كنت في الركب الذين وقفوا مع  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها قالوا من هو انما ألقوها يا رسول الله قال فان  
الدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها أخرجه الترمذى وحسنه وعن قتادة بن  
النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا أحب الله عبدا جاه من الدنيا كما  
يظل أحدكم يحمى سقيم الماء أخرجه الترمذى وقال حسن غريب وعن أبي هريرة قال  
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر أخرجه مسلم قال  
الباقى ولا يعد أن يكون ماصرا اليه الفسقة والخبارة من زخرفة الابنية وتذهيب  
السقوف وغيرها من مبادئ الفسقة ان يكون الناس أمة واحدة في الكفر قرب الساعة  
حتى لا تقوم الساعة على من يقول الله أوفى زمن الدجال لان من يبقى اذذال على الحق في

أورده أبو القاسم بن عساكر في ترجمة سليمان عليه الصلاة والسلام في تاريخه وروى عن بعض السلف انه قال غاية  
بلغنى عن داود عليه الصلاة والسلام انه قال الهى كن لسليمان كما كنت لى فأوحى الله عز وجل اليه ان قل لسليمان ان يكون لى كما  
كنت لى أى كن له كما كنت لك وقوله تبارك وتعالى فسخرنا له الريح فمجرى بأمره رضاء حيث أصاب قال الحسن البصرى رحمه الله  
لما عقر سليمان عليه الصلاة والسلام الخيل غضبا لله عز وجل عوضه الله تعالى ما هو خير منها وأسرع الريح التى غدوها شهر  
ورواها شهر وقوله جل وعلا حيث أصاب أى حيث أراد من البلاد وقوله جل جلاله والشياطين كل بناء وغواص أى منهم

غاية القبله بحيث انه لا عدا له في جانب الكفرة لان كلام الملوک لا يخلو عن حقيقة وان  
خرج مخرج الشرط فكيف بملك الملوک سبحانه ثم أخبر سبحانه ان جميع ذلك انما يتمتع  
به في الدنيا فقال (وان كل ذلك لما تمتاع الحياة الدنيا) قرأ الجمهور لما بالتخفيف وقرئ  
بالتشديد فعلى الاولى ان هي المنخفضة من الثقيلة وعلى الثانية هي النافية ولما معنى الأى  
ما كل ذلك الا ما يتمتع به في الدنيا وقرئ بكسر اللام من لما على ان اللام للعلة وما موصولة  
والعائد محذوف أى للذى هو متاع (والآخرة) أى الجنة (عند ربك للمتقين) أى لمن اتقى  
الشرک والمعاصى وآمن بالله وحده وعمل بطاعته وترك الدنيا وآثر الآخرة فانها الباقية التى  
لا تفتنى ونعيمها الدائم الذى لا ينقطع (ومن يعش) يقال عشوت الى النار قصدها  
وعشوت عنها أى أعرضت عنها كما تقول عدلت الى فلان وعدت عنه أى ملت اليه  
وملت عنه كذا قال الفراء والزجاج وأبو الهيثم والزهري وقال الخليل العشو النظر  
الضعيف وقال أبو عبيدة والاحفش ان معنى ومن يعش ومن تظلم عينه وهو نحو قول  
الخليل وهذا على قراءة الجمهور ومن يعش يضم الشين من عشا يعشو وقرئ بفتح الشين  
يقال عشى الرجل يعشى عشا اذا عمى وقال الجوهري العشاء مقصور ومصدر الاعشى  
وهو الذى لا يبصر بالليل ويصبر بالنهار والمرأة عشوى وقرئ يعشو بالواو على ان من  
موصولة غير متمتعة بمعنى الشرط والمعنى ومن يعرض ويتعاضى ويتعاهل ويتعافل  
(عن ذكر الرحمن) ولم يحف عقبه ولم يرد ثوابه وقيل بول ظهره عن القرآن (تقيم له  
شيطانا) قرأ الجمهور بالنون وقرئ بالتحسية مبنيا للفاعل وقرأ ابن عباس بالتحسية مبنيا  
للمفعول ورفع شيطان على النيابة والمعنى نسبت له جزاء على كفره شيطانا (فهو له قرين)  
أى ملازم له في الدنيا يمنع من الحلال ويمنعه على الحرام وينهاه عن الطاعة ويأمره  
بالمعصية ولا يفارقه وقيل في الآخرة اذا قام من قبره قاله سعيد الجري وقيل فيها قال  
القشيري وهو الصحيح أو هو ملازم للشيطان لا يفارقه بل يتبعه في جميع اموره ويطيعه في  
كل ما يوسوس به اليه وقال الزجاج معنى الآية ان من أعرض عن القرآن وما فيه من الحكم  
الى أباطيل المضلين يعاقبه الله بشيطان يقضه له حتى يضل ويلازمه قرين فلا يهتدى  
مجازاة له حين آثر الباطل على الحق البين أخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن عثمان الخزمي  
ان قريشا قالت قبضوا لكل رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم رجلا يأخذ  
فقبضوا ابى بكر طلحة بن عبيد الله فاتاه وهو فى القوم فقال أبو بكر الام تدعونى قال  
أدعوك الى عبادة اللات والعزى قال أبو بكر وما اللات قال أولاد الله قال وما العزى قال  
بنات الله قال أبو بكر فى أمهم فسكت طلحة فلم يجبه فقال لأصحابه أجيئو الرجل فسكت  
القوم فقال طلحة قم يا أبابكر أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فانزل الله هذه  
الآية وثبت فى صحيح مسلم وغيره ان مع كل مسلم قرين من الجن (وانهم) أى وان الشياطين  
الذين يقضهم الله لكل أحد ممن يعش عن ذكر الرحمن كما هو معنى من (ليصدونهم عن  
السبيل) أى يحولون بينهم وبين سبيل الحق ويمنعونهم منه ويوسوسون لهم انهم على  
الهدى حتى يظنوا صدق ما يوسوسون به وهو معنى قوله (ويحسبون انهم) أى يحسب

من هو مستعمل فى الابنية الهائلة  
من محاريب وتماثيل وجفان  
كالجواب وقد ورر راسيات الى غير  
ذلك من الاعمال الشاقة التى لا يقدر  
عليها البشر وطائفة غواصون فى  
البحار يستخرجون ما فيها من  
اللائى والجواهر والاشياء النفيسة  
التى لا توجد الا فيها وآخرين مقرنين  
والا كلال من قد تدر وعصى وامتنع  
من العمل وأبى أو قد أساء فى صنيعه

الكفار أن الشياطين (مهتدون) فيطيعونهم أويحسب الكفار بسبب تلك الوسوسة أنهم في أنفسهم مهتدون وصيغة المضارع في الأفعال الأربعة للدلالة على الاستقرار التجديدي لقوله (حتى إذا جاءنا) فإن حتى وإن كانت ابتدائية داخلية على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتماً أن تكون غاية لا مرمتها كما مر مراراً قاله أبو السعود قرأ بالجمهور بالتثنية أي الكافر والشيطان المقارن له وقرئ بالافراد أي الكافر وكل واحد منهما (قال) الكافر مخاطباً للشيطان (يا ليت) كان في الدنيا (بيني وبينك بعد المشركين) أي بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب المشرق على المغرب قال مقاتل يمتنى الكافر أن ينسأ بعد مشرق أطول يوم في السنة من مشرق أقصر يوم في السنة والاول أولى وبه قال القراء (فبئس القرين) أي أنت أيها الشيطان (ولن ينفعكم اليوم) هذا حكاية لما سيقال لهم يوم القيامة (اذ ظلمتم) أي لاجل ظلمكم أنفسكم في الدنيا وقيل ان اذ بدل من اليوم لانه حين ذلك في اليوم انهم ظلموا أنفسهم في الدنيا (انكم في العذاب مشتركون) قرأ الجمهور بفتح ان على انها وما بعدها في محل رفع على الفاعلية أي لن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب قال المفسرون لا يخفف عنهم بسبب الاشتراك شيء من العذاب لان لكل أحد من الكفار والشياطين الحظ الا وفر منه وقيل انها التعليل لنفي النفع أي ان ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا ويقوى هذا المعنى قراءة ان بالكسر ثم ذكر سبحانه انها لا تنفع الدعوة والوعظ من سبقته له الشقاوة فقال (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى) الهزئة لانكار التعجب أي ليس لك ذلك فلا يضيق صدرك ان كفر واوفيه تسليماً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واخباره بانه لا يقدر على ذلك الا الله عز وجل (ومن كان في ضلال مبين) عطف على العمى للتغاير العنوانى والافالمصداق واحد أي انك لاتهدي من كان كذلك ومعنى الآية ان هؤلاء الكفار بمنزلة الصم الذين لا يعقلون ما حجت به وبمنزلة العمى الذين لا يصرون لافراطهم في الضلالة وتمكنهم من الجهالة (فاما نذهب بك بالموت قبل أن تنزل بهم العذاب وقيل المعنى نخرجك من مكة) فانهم من مستقيمون) اما في الدنيا وفي الآخرة قال علي كرم الله وجهه ذهب الله بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وبقيت نعمة في عدوه (أو زينت الذي وعدناهم) من العذاب قبل موتك (فانا عليكم مقتدون) متى شئنا عذبناهم قال كثير من المفسرين قد أراه الله ذلك يوم يدرو به قال ابن عباس وقال الحسن وقتادة هي في أهل الاسلام يريد ما كان بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الفتن وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتنة شديدة فأكرم الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وذهب به فلم يره في أمته شيئاً من ذلك والاول أولى (فاستمسك بالذي أوحى اليك) من القرآن وان كذب به من كذب (انك على صراط مستقيم) أي طريق واضح تعليل للاستمسك اولاً مر به (وانه) أي وان القرآن (لذ كرك ولقومك) أي شرفك ولقريش اذ نزل عليك وأنت منهم بلغتك ولغتهم ومثله قوله لقد أنزلنا اليكم كتابه ذكركم وقيل بيان

واعتدى وقوله عز وجل هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب أي هذا الذي أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا فاعط من شئت وأحرم من شئت لاحساب عليك أي مهما فعلت فهو جازئك احكم عما شئت فهو ضواب وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خير بين ان يكون عبداً رسولاً وهو الذي يفعل ما يؤمر به وانما هو



لأنك لا تمتك فيما لكم حاجة وقيل تذكرون بها أمر الدين وتعملون به وعن علي  
 وابن عباس قالاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض نفسه على القبائل بمكة  
 ويعددهم الظهور فإذا قالوا لمن الملك بعدك أمسك فلم يجبهم بشئ لأنه لا يؤمر في ذلك بشئ  
 حتى نزلت وإنه لذكركم ولقومك فكان إذا سئل بعد قال لقريش فلا يجيبوه حتى قبلته  
 الانصار على ذلك وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال هذا  
 الامر في قريش ما بقي منهم اثنان أخرجه الشيخان وعن معاوية قال سمعت رسول الله  
 صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم أحد الا أكبه الله تعالى  
 على وجهه ما أقاموا الدين أخرجه البخاري (وسوف تسئلون) عما جعله الله لكم من  
 الشرف كذا قال الزجاج والسكبي وغيرهما وقيل يسئلون عما يلزمهم من القيام بما فيه  
 والعمل به وعن تعظيمهم له وشكرهم لهذه النعمة يوم القيامة (واسأل من أرسلنا من قبلك  
 من رسلنا أبعثنا من دون الرحمن) اي غيره (آلهة يعبدون) قال الزهري وسعيد بن جبير  
 وابن زيدان جبريل قال ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أسرى به فالمراد سؤال  
 الانبياء في ذلك الوقت عندما لقائه لهم وبه قال جماعة من السلف وقال المبرد والزجاج  
 وجماعة من العلماء المعنى واسأل أمم من قد أرسلنا وبه قال ابن عباس ومجاهد والسدي  
 والضحاك وقتادة وعطاء والحسن وفائدة ايقاع السؤال على الرسل مع ان المراد أممهم  
 التنبيه على ان المسؤل عنه عين ما نظقت به السنة الرسل لاما تقوله علماءهم من تلقاء  
 أنفسهم وعلى الاول هي مكة وعلى الثاني مدينة ومعنى الآية على القولين سؤالهم هل  
 أذن الله بعبادة الاوثان في ملته من الملل وهل سوغ ذلك لاحد منهم والمقصود تقرير  
 مشركي قريش بان ما هم عليه لم يأت في شريعة من الشرائع وقيل ليس المراد بسؤال  
 الرسل حقيقة السؤال ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والنحص عن ملههم هل جاءت  
 عبادة الاوثان قط في ملته من ملل الانبياء وكفاهم فخصا ونظر انظره في كتاب الله المعجز  
 المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه  
 الآية في نفسها كافية لاحاجة الى غيرها ولما أعلم الله سبحانه نبيه بأنه منتقم له من عدوه  
 وذكرا تفاق الانبياء على التوحيد أتبعه بذكر قصة موسى وفرعون وبيان ما نزل بفرعون  
 وقومه من النعمة فقال (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع التي تقدم بيانها (الى فرعون  
 وملائته) أي القبط (فقال اني رسول رب العالمين) ارسلني اليكم ما أجابوه به عند قوله هذا  
 محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه  
 وابرار الآية (اذاهم منها يضحكون) استهزاء وخفوية وجواب لما هو اذا الفجائية لان  
 التقدير فاجأوا وقت ضحكهم (وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها) أي كل واحدة  
 من آيات موسى أكبر مما قبلها وأعظم قدرا مع كون التي قبلها عظيمة في نفسها وقيل  
 المراد بهذا الكلام انهم موصوفات بالكبر ولا يكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس  
 هما اخوان كل واحد منهما أكبر من الآخر وقيل المعنى ان الاولى تقتضى علما والثانية

قاسم يقسم بين الناس كما أمره الله  
 تعالى به وبين ان يكون نبيا ملكا  
 يعطى من يشاء ويمنع من يشاء بلا  
 حساب ولا جناح اختار المنزل  
 الاولى بعدما استشار جبريل عليه  
 الصلاة والسلام فقال له تواضع  
 فاختار المنزل الاولى لانها أرفع قدرا  
 عند الله عز وجل وأعلى منزلة في  
 المعاد وان كانت المنزل الثانية  
 وهي النبوة مع الملك عظيمة أيضا في  
 الدنيا والآخرة ولهذا المأذ كرتبارك

تقتضى علما فاذا ضمت الثانية الى الاولى ازداد الوضوح ومعنى الاخوة بين الآيات انها  
متشاكله متناسبة في دلالتها على صحة نبوة موسى كما يقال هذه صاحبة هذه اي هما  
قريبتان في المعنى وقيل المعنى ان كل واحدة من الآيات اذا انفردت ظن الظان انها أكبر  
من سائر الآيات (وأخذناهم) بسبب تكذيبهم بتلك الآيات (بالعذاب) أي بالسنين  
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس كما قال تعالى ولقد أخذنا آل  
فرعون بالسنين الآية ثم بين سبحانه ان العلة في أخذه لهم بالعذاب هو رجاء رجوعهم فقال  
(لعلهم يرجعون) أي لكي يرجعوا عن الكفر الى الايمان ولما علموا ما جاءهم به من  
الآيات البينات والدلالات الواضحات ظنوا ان ذلك من قبيل السحر (وقالوا يا آية  
الساحر) وكانوا يسمون العلماء سحرة ويوقرون السحرة ويعظمونهم ولم يكن السحر صفة  
دم عندهم قال الزجاج خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر وأودوه بذلك في  
تلك الحال لشدة شكيتهم وفرط حماقتهم والاطهر ان النداء كان باسمه العلم كما في الاعراف  
في قوله قالوا يا موسى (ادع لنا ربك بما عهد عندك) لكن حكى الله سبحانه هنا كلامهم  
لإبصارهم بل على وفق ما ضمنه قلوبهم من اعتقادهم انه ساحر لاقتضاء مقام التسلية  
ذلك فان قريشا سموه ساحرا وهو ما أتى به سحرا أفاده الكرخي والمعنى ادع الله بما  
أخبرتنا من عهده اليك انا اذا آمننا كشف عنا العذاب الذي نزل بنا (انما مهتدون) أي  
فنحن مهتدون فيما يستقبل من الزمان ومؤمنون بما جئت به (فلما كشفنا عنهم  
العذاب) في الكلام حذف والتقدير فدعا موسى ربه فكشف عنهم العذاب فلما كشف  
عنهم العذاب (اذا هم ينكثون) فاجأوا نكثهم للعهد الذي جعلوه على أنفسهم من  
الاهتداء والنكث النقض وكانوا يتقضون في كل مرة من مرات العذاب (ونادى  
فرعون) اقتحارا (في قومه) قيل لما رأى تلك الآيات خاف ميل القوم الى موسى فجمعههم  
ونادى بصوته فيما بينهم أو أمر مناديا بنادى بقوله (قال يا قوم أليس لي ملك مصر)  
لا ينزعني فيه أحد ولا يخالفني فيه مخالف (وهذه الانهار تجري من تحتي) اي والحال  
ان الانهار تجري من تحت قصرى والمراد انهار النيل وقال قتادة المعنى تجري بين يدي  
وفي بسايتي قال الحسن تجري بأمرى أي تجري تحت أمرى وقال الضمالي اراد بالانهار  
القواد والرؤساء والخبابة وانهم يسرون تحت لوائه وقيل اراد بالانهار الاموال والاول  
أولى (أفلا تبصرون) ذلك وتستدلون به على قوة ملكي وعظم قدرى وضعف موسى عن  
مقاومتي وعن الرشيد انه لما قرأها قال لاوليتها أخس عبيدى فولاهما الخصب وكان  
خادمه على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه ولها فخرج اليها فلما شارفها قال أهى القرية  
التي اقتحريها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لهي اقل عندي من ان أدخلها  
فثنى عنانه (أم أنا خير) أم هي المنقطعة المقدره قيل التي للضراب دون الهزيمة التي  
للانكاراي بل أنا خير قال ابو عبيدة أم بمعنى بل والمعنى قال فرعون لقومه بل أنا  
خير وقال القراء ان شئت جعلتم امن الاستفهام الذي جعل بل لا اتصاله بكلام قبله

وتعالى ما أعطى سليمان عليه  
الصلاة والسلام في الدنيا به تعالى  
على انه وحظ عظيم عند الله يوم  
القيامة أيضا فقال تعالى وان له عندنا  
لرأني وحسن ما تب أي في الدار  
الآخرة (واذكر عبدنا أيوب اذ  
نادى ربه أنى مسنى الشيطان  
ينصب وعذاب اركض برجلك هذا  
مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله  
ومثلهم معهم رجعة منا وكرى  
لأولى الالباب وخذي يدك ضغنا

وقيل هي زائدة وحكى ابو زيد عن العرب انهم يجعلون ام زائدة والمعنى انا خير من هذا  
وقال الاخفش في الكلام حذف والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون ثم استأفقال  
انا خير وروى عن الخليل وسيبويه نحو قول الاخفش ويؤيد هذا ان عيسى الثقفي  
ويعقوب الحضرمي وقف على ام على تقدير ام تبصرون فحذف لدلالة الاول عليه وعلى  
هذا فتكون ام متصلة لامتقطعة والاول اولى وحكى القراء ان بعض القراء قرأ اما  
انا خير اى ألت خيرا (من هذا الذى هو مهيئ) اى ضعيف حقير ممتحن فى نفسه لاعزله  
لانه يتعاطى اموره بنفسه وليس له ملك ولا قوة يجرى بها امر او يتقدها امرا (ولا يكاد  
يبين) الكلام لما فى لسانه من العقدة وقد تقدم بيانه فى سورة طه قال ابن عباس فى الآية  
كانت بموسى للثغفة فى لسانه والثلغفة بالضم ان تصير الراء غينا والاما والسين ثا وقد لئخ من  
باب طرب فهو ألثغ وقيل المعنى لا يكاد يبين حجة التى تدل على صدقه فيما يدعى ولم يرد به  
انه لا قدرة له على الكلام والاول اولى (قلوا لى عليه) من عنده مرسله الذى يدعى انه  
الملك بالحقيقة (سورة) جمع سوار وجم اقرأ حفص وقرأ الجمهور اساور وجمع اسورة وقال  
ابو عمرو بن العلاء واحد الاساور والاساور والاساور اساور وهى لغة فى سوار وقرأ ابى  
اساور وابن مسعود اساور قال مجاهد كانوا اذا سؤد وارجلا سؤروه بسوارين  
وطوقوه بطوق ذهب علامة لسيادته ارادوا بالقاء الاسورة عليه القاء مقابليد الملك اليه  
أى فهلا حلى باسورة (من ذهب) ان كان عظيما مقدماسيدا (أوجاء معه الملائكة  
مقترنين) أى هلا جاء معه الملائكة متتابعين متقارنين ان كان صادقا يعينونه على امره  
ويشهدون له بالنبوة ويمشون معه فاوهم اللعين قومه ان الرسل لا بد ان يكونوا على هيئة  
الجبابرة ومخفوفين بالملائكة (فاستخف قومه) أى حملهم على خفة الجهل والسفه بقوله  
وكيده واستفزههم بالقول واستزلهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة فى الطاعة  
وهى الاسراع قال ابن الاعرابى المعنى فاستجهل قومه فاطاعوه لخفته اذ حلامهم وقلة  
عقولهم يقال استخفه الفرح أى ازججه واستخفه أى حمله ومنه ولا يستخفك الذين  
لا يؤقنون وقد استخف بقومه وقهرهم حتى اتبعوه وعزروه وقيل استخف قومه أى  
وجدهم خذاف العقول فصيغة الاستفعال للوجدان وفى نسبه الى القوم تجوز  
(فاطاعوه) فيما أمرهم به وقبلوا قوله وكذبوا موسى (انهم كانوا فاسقين) أى  
خارجين عن طاعة الله (فلما أسفونا) أى أغضبونا قاله المفسرون والاسف الغضب وقيل  
أسد الغضب وقيل السخط وقيل المعنى أغضبوا رسلنا قال ابن عباس فلما أسخطونا  
وأغضبونا أى بالافراط فى الفساد والعصيان (انتم منا منهم) ثم بين العذاب الذى وقع به  
الانتقام فقال (فاغرقناهم أجمعين) فى البحر وانما أهل كوايا الغرق ليكون هلاكهم بما  
تعززوا به وهو الماء فى قوله وهذه الامة ارتجرت من تحتى فقيهه اشارة الى ان من تعزز بشئ  
دون الله أهلكه الله به وقد استضعف اللعين موسى وعابه بالفقر والضعف فسلطه الله تعالى  
عليه اشارة الى انه ما استضعف أحد شيا الا غلبه أفاده القشيري أخرج أحمد والطبرانى  
والبيهقى فى الشعب وابن أبى حاتم عن عقبه بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فاضرب به ولا تحت انا وجدناه  
صابرا نعم العبد انه أواب) يذكر  
تبارك وتعالى عبده ورسوله أوب  
علمه الصلاة والسلام وما كان  
استلاه تعالى به من الضر فى جسده  
وماله وولده حتى لم يبق من جسده  
مغزاة سليما سوى قلبه ولم يبق  
له من الدنيا شئ يستعين به على  
مرضه وما هو فيه غير ان زوجته  
حفظت وده لا يمانها بالله تعالى  
ورسوله فكانت تحذم الناس بالاجرة

قال اذا رأيت الله يعطى العبد ما شاء وهو مقيم على معاصيه فانما ذلك استدرج منه له  
 وقرأ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين وعن طاوس بن شهاب قال كنت عند  
 عبد الله فذكر عنده موت الفجأة فقال تخفيف على المؤمن وحسرة على الكافر فلما آسفونا  
 انتقمنا منهم (فجعلناهم سلفاً) أى قدوة لمن عمل بعملهم من الكفار في استحقاق العذاب  
 لاجل الاعتبار بهم قرأ الجمهور سلفاً بفتح السين واللام جمع سالف كخدم و خادم و رصده  
 و راصد و حرس و حارس يقال سلف يسلف اذا تقدم ومضى قال الفراء والزجاج جعلناهم  
 متقدمين سابقين ليعتظ بهم الآخرون اللاحقون وقرئ سلفاً بضم السين واللام قال  
 الفراء هو جمع سليف نحو سرور و سرير وقال أبو حاتم هو جمع سلف نحو خشب و خشب  
 و قرئ بضم السين وفتح اللام جمع سلفه وهم الفرقة المتقدمة نحو غرف و غرفة كذا قال  
 النضر بن شميل وقال ابن عباس سلفاً هو أختلقة (ومثلاً للآخرين) أى عبرة وموعظة  
 لمن يأتي بعدهم أو قصة عجيبة تجرى الامثال وتسير سير الاقوال ولما قال سبحانه  
 واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أن يجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون تعلق  
 المشركون بامر عيسى وقالوا ما يريد محمد صلى الله عليه وآله وسلم الا ان اتخذها كما  
 اتخذ النصارى عيسى بن مريم فانزل الله (ولما ضرب ابن مريم مثلاً) كذا قال قتادة  
 ومجاهد وقال الواحدى أكثر المفسرين على ان هذه الآية نزلت في مجادلة ابن الزبير  
 مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب  
 جهنم قال ابن الزبيرى (١) خصمك ورب الكعبة أليست النصارى يعبدون المسيح  
 واليهود عزير او بنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن  
 وآلهتنا معهم ففرحوا به وضحكوا وارتفعت أصواتهم فانزل الله ان الذين سبقتم لهم منا  
 الحسنى أولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية المذكورة هنا وقد مضى هذا في سورة  
 الانبياء ولا يخفالك ان ما قاله ابن الزبيرى مندفع من أصله وباطل برمته فان الله سبحانه  
 قال انكم وما تعبدون ولم يقل ومن تعبدون حتى يدخل في ذلك العقلاء كالسج و عزير  
 والملائكة قال الشهاب ابن الزبيرى هو عبد الله الصمباني المشهور وهذه القصة على تقدير  
 صحتها كانت قبل اسلامه (اذا قومك) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (منه) أى من ذلك  
 المثل المضروب (بصدون) أى يضجون ويصجون فرح بذلك المثل المضروب والمراد  
 بقومه هنا كفار قريش اذ ظنوا انه ألزم وأختم النبي صلى الله عليه وآله وسلم به وهو انما  
 سكت انتظار اللوحى قرأ الجمهور يصدون بكسر الصاد وقرئ بضمها وهما سبعيتان قال  
 الكسائى والفراء والزجاج والآخرى هما الغتان ومعناها يضجون قال الجوهري صد  
 يصد صدداً أى ضج وقيل انه بالضم الاعراض وبالكسر من الضجيج قاله قطرب قال  
 أبو عبيدلو كانت من الصدود عن الحق يقال اذا قومك عنه يصدون عن ابن عباس ان  
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لقريش انه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير  
 قالوا أليست تزعم ان عيسى كان نبياً وعبد من عباد الله صالحاً وقد عبده النصارى فان  
 كنت صادفاً فانه كما آلهتهم فانزل الله ولما ضرب ابن مريم مثلاً الآية قلت وما يصدون قال

وتطعمه وتتخدمه نحو ان غماني  
 عشرة سنة وقد كان قبل ذلك في مال  
 جزيل وأولاد وسعة طائله من الدنيا  
 فسباب جميع ذلك حتى آل به الحال  
 ان ألقى على مزبلة من مزابل  
 البلدة هذه المدة بكلها ورفضه  
 القريب والبعيد سوى زوجته  
 رضى الله عنها فانها كانت لا تفارقه  
 صبا حوا ومساءً الا بسبب خدمة  
 الناس ثم تعود اليه قريبا فلما طال  
 المطال واشتد الحال وانتهى القدر

(١) بكسر الزاى المجمة وفتح الباء  
 الموحدة وسكون العين والراء المهملة  
 والالف المقصورة معناها سبي الخلق  
 اه منه

يضجون (وقالوا آلهتنا خير) عندك (أم هو) أي المسيح قال السدي وابن زيد خاصموه  
وقالوا ان كان كل من عبد غير الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير  
والملائكة وقال قتادة يعنون محمد صلى الله عليه وآله وسلم أي آلهتنا خير أم محمد  
صلى الله عليه وآله وسلم ويقوى هذا قراءة ابن مسعود آلهتنا خير أم هذا (ما ضرب بوهلك  
الاجدلا) أي ما ضرب بولك هذا المثل في عيسى الاليجادلوك لا طلب الحق حتى يرجعوا له  
عند ظهوره وبيانه على ان جدلا منتصب على العلة او مجادلين على انه مصدر في موضع  
الجدل وقرئ جدلا (بل هم قوم خصمون) أي شديدوا الخصومة كثير والدد عظميو  
الجدل وأخرج سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن جيد والترمذي وصححه وابن ماجه وابن  
جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي  
امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا  
الجدل ثم تلا هذه الآية وقد ورد في ذم الجدل بالباطل أحاديث كثيرة ثم بين سبحانه ان  
عيسى ليس برب وانما هو عبد من عباده اختصه بنبوته فقال (ان هو الا عبدا نعمة عليه)  
بما أكرمناه به من النبوة وأنعمنا عليه برفعة المترلة والذكركر (وجعلناه مثلالبنى  
اسرائيل) أي آية وعبرة لهم يعرفون به قدرة الله سبحانه فانه كان من غير آب وكان يحيى  
الموت ويرى الاكاه والابرس وكل مريض باذن الله فمن أين يدخل في قوله انكم وما  
تعبدون أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال ان المشركين أتوا رسول الله صلى الله  
عليه وآله وسلم فقالوا أرايت من يعبد من دون الله أين هم قال في النار قالوا الشمس والقمر  
قال والشمس والقمر قالوا عيسى بن مريم قال قال الله ان هو الا عبدا نعمة عليه  
وجعلناه مثلالبنى اسرائيل (ولونشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلقون) الخطاب  
لقريش أي لونشاء لاهلكا هم وجعلنا بدل لكم في الارض ملائكة مكرمين يعمر ونها  
ويعبدون وتفاهس ذاتهم يدون تخويف لقريش قال السمين في من هذه أقوال أحدها انها  
بمعنى بدل أي لجعلنا بدل لكم ومنه قوله تعالى أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة أي بدلها  
والثاني وهو المشهور انها ابتدائية وتأويل الآية عليه لولدنا منكم يا رجال ملائكة  
في الارض يخلفونكم كما تخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى دون ذكره الزمخشري  
والثالث انها تبعيضية قال أبو البقاء وقيل المعنى حولنا بعضكم ملائكة وقال ابن  
عطية لجعلنا بدلنا منكم ومقصود الآية انالونشاء لاسكنا الملائكة الارض وليس في  
اسكاننا اياهم السماء شرف حتى يعبدوا (وانه لعلم للساعة) قال مجاهد والضحاك والسدي  
وقتادة ان المراد المسيح وان خروجه أي نزوله مما يعلم به قيام الساعة أي قريها الكونه شرطا  
من أشراطها لان الله سبحانه ينزله من السماء قبيل قيام الساعة كما ان خروج الدجال من  
اعلام الساعة وقال الحسن وسعيد بن جبير المراد القرآن لانه يدل على قرب مجي الساعة  
وبه يعلم وقتها وأهو الها وأحو الها وقيل المعنى ان حدوث المسيح من غير آب واحياه للموت  
دليل على صحة البعث وقيل الضمير لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والأول أولى قال ابن  
عباس أي خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة وأخرجه الحاكم وابن

وتم الاجل المقدر تضرع الى  
رب العالمين واله المرسلين فقال  
انى مسنى الضر وأنت أرحم  
الراحمين وفي هذه الآية الكريمة  
قال رب انى مسنى الشيطان بنصب  
وعذاب قيل بنصب فى بنى وعذاب  
فى مالى وولدى فعند ذلك استجاب  
له أرحم الراحمين وأمره ان يقوم  
من مقامه وان يركض الارض  
برجله ففعل فانبع الله تعالى عينا  
وأمره ان يغتسل منها فاذهبت

مردويه عنه مرفوعا وعن أبي هريرة نحوه أخرجه عبد بن حميد قرأ الجمهور لعلم بصيغة  
 المصدر جعل المسيح علما للساعة مبالغة لما يحصل من العلم بحصولها عند نزوله وقرأ جماعة  
 من الصحابة بفتح العين واللام أي خروجه علم من أعلامها وشرط من شروطها وقرئ  
 للعلم بلامين مع فتح العين واللام أي للعلامة التي يعرف بها قيام الساعة (فلا تترن بها)  
 أي فلا تشكن في وقوعها ولا تكذب بها فانها كائنة لا محالة (واتمعون) قرأ الجمهور  
 بحذف الباء وصلوا ووقفا وقرئ بأشائها وصلوا ووقفا وقرئ بحذفها في الوصل دون الوقف  
 أي أتبعوني فيما أمركم به من التوحيد وبطلان الشرك وقرأ نض الله التي فرضها عليكم  
 (هذا) أي الذي أمركم به وأدعوكم إليه (صراط مستقيم) أي طريق قيم موصل إلى الحق  
 (ولا يصدنكم الشيطان) أي لا تغتروا بوساوسه وشبهه التي يوقعها في قلوبكم فيمنعكم  
 ذلك من أتباعي وأمن الإيمان بالساعة فإن الذي دعوتكم إليه هو دين الله الذي اتفق  
 عليه رسوله وكتبه ثم علل نهيهم عن أن يصدهم الشيطان ببيان عداوته لهم فقال (إنه لكم  
 عدو مبين) أي مظهر لعداوته لكم غير محتاش عن ذلك ولا متمسك به كيدل على ذلك  
 ما وقع بينه وبين آدم وما ألزم به نفسه من اغواء جميع بني آدم الأعباد الله المخلصين (ولما  
 جاء عيسى) إلى بني إسرائيل (بالبينات) أي بالمعجزات الواضحة والشرائع النيرة قال  
 قتادة البينات ههنا الإنجيل (قال قد جئتكم بالحكمة) أي النبوة وقيل الإنجيل وقيل  
 ما يرغب في الجميل ويكف عن القبيح (و) جئتكم (لأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه)  
 من أحكام التوراة ولم يترك العاطف ليلتعلق بما قبله ليؤذن بالاهتمام بالعله حتى جعلت  
 كأنها كلام برأسه والبعض هو أمر الدين قال قتادة يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا في  
 أمر عيسى قال الزجاج الذي جاء به عيسى في الإنجيل انما هو بعض الذي اختلفوا فيه  
 فبين لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه وقيل إن بني إسرائيل اختلفوا بعد موت  
 موسى في أشيائه من أمر دينهم وقال أبو عبيدة إن بعض ههنا بمعنى كل كما في قوله يصيبكم  
 بعض الذي يعددكم وقال مقاتل هو كقوله ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم يعني  
 ما أحل في الإنجيل مما كان محرما في التوراة كاعم الأبل والشحم من كل حيوان وصيد  
 السمك يوم السبت ثم أمرهم بالتقوى والطاعة فقال (فأتقوا الله) أي اتقوا معاصيه  
 (واطيعون) فيما أمركم به من التوحيد والشرائع وابلغهم عنه (إن الله هو ربي وربكم  
 فاعبدوه) هذا بيان لما أمرهم بأن يطيعوه فيه (هذا) أي عبادة الله وحده والعمل  
 بشرائعه (صراط مستقيم) وهذا تمام كلام عيسى عليه السلام أو استئناف من الله يدل  
 على ما هو المقتضى للطاعة في ذلك (فاختلف الأحزاب من بينهم) قال مجاهد والسدى  
 الأحزاب هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى وقال الكلبي ومقاتل هم فرق النصارى  
 اختلفوا في أمر عيسى قال قتادة المعنى أنهم اختلفوا فيما بينهم وقيل اختلفوا من بين  
 من بعث إليهم من اليهود والنصارى والأحزاب هي الفرق المتحزبة قيسل هم يعقوبية  
 والنسطورية والملكانية والشعمونية وهذا مبني على أنه بعث جميع بني إسرائيل فتحزبوا في

جميع ما كان فيه بدنه من الأذى ثم  
 أمره فضرب الأرض في مكان آخر  
 فأنبع له عينا أخرى وأمره أن يشرب  
 منها فاذهبت جميع ما كان في بطنه من  
 السوء وتكاملت العاقبة ظاهرا  
 وباطنا ولهذا قال تبارك وتعالى اركض  
 برحلك هذا ما غتسل بارد وشراب  
 قال ابن جرير وابن أبي حاتم جميعا  
 حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا  
 ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن  
 عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس

وقيل المراد بالاحزاب الذين تحزبوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذبوه وهم المرادون بقوله هل ينظرون الا الساعة والاول اولى (فويل للذين ظلموا) من هؤلاء المختلفين وهم الذين أشركوا بالله ولم يعملوا بشراعه وقالوا في عيسى ما كفروا به (من عذاب يوم أليم) أى أليم عذابه وهو يوم القيامة (هل ينظرون) أى هل يترقبون وينتظرون هؤلاء الاحزاب أو الكفار (الا الساعة أن تأتيهم بغتة) أى فجأة (وهم لا يشعرون) أى لا يقطنون بذلك لاشتغالهم بامور دنياهم وانكارهم لها كقوله تأخذهم وهم يحضمون (الاخلاء) فى الدنيا أى المتحابون فيها (يومئذ) أى يوم تأتيتهم الساعة (بعضهم لبعض عدو) أى يعادى بعضهم بعضا لانها قد انقطعت بينهم العلائق واشتغل كل واحد منهم بنفسه ووجدوا تلك الامور التى كانوا فيها أخلاء أسبابا للعداوة فصاروا أعداء ثم استثنى المتقين فقال (الا المتقين) فانهم أخلاء فى الدنيا والاخرة لانهم وجدوا تلك الخلة التى كانت بينهم من أسباب الخير والثواب فبقيت خلتهم على حالها عن علي بن أبي طالب فى الآية قال خليلان مؤمنان و خليلان كافران توفى أحد المؤمنين ببشر بالجنة فد كخليله فقال اللهم ان خليلي فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولاك ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر وينبئني انى ملائكت اللهم لا تضله بعدى حتى تريحه ما أريتني وترضى عنه كما رضيت عنى فيقال له اذهب فلو تعلم ماله عندى لضحكك كثيرا ولبكيت قليلا ثم يموت الاخر فيجمع بين أرواحهما فيقال ليلن كل واحد منكما على صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه نعم الاخ ونعم الصاحب ونعم الخليل واذا مات أحد الكافرين بشر بالثأر فيذ كخليله فيقول اللهم ان خليلي فلانا كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولاك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير وينبئني انى غير ملائكت اللهم فلا تهده بعدى حتى تريحه مثل ما أريتني وتسخط عليه كما سخطت على قيموت الاخر فيجمع بين أرواحهما فيقال ليلن كل واحد منكما على صاحبه فيقول كل لصاحبه بدس الاخ وبدس الصاحب وبدس الخليل أخرجه عبد الرزاق وعبد ابن حميد وجميد بن زنجويه فى ترجمته وابن جرير والبيهقى وابن مردويه وابن أبي حاتم (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) أى يقال لهؤلاء المتقين المتحابين فى الله بهذه المقالة تشرى قالهم وتطيبها لقلوبهم فيذهب عند ذلك خوفهم ويرتفع حزنهم (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) لله منقادين له مخلصين فى أمر الدين (ادخلوا الجنة) أى يقال لهم ذلك قال مقاتل اذا وقع الخوف يوم القيامة نادى مناديا عبداى لا خوف عليكم فاذا سمعوا النداء رفع الخلائق رؤسهم فيقال الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فيمنكس أهل الاوثان رؤسهم غير المسلمين (أنتم وأزواجكم) المراد بهنسا وهم المؤمنات وقيل قرناؤهم من المؤمنين وقيل زوجاتهم من الخور العين (تجبرون) تكرمون أو تنعمون أو تفرحون أو تسرون أو تنجبون أو تلذذون بالسماع والاولى تفسر ذلك بالفرح والسرور الناشئين عن الكرامة والنعمة ناداهم باربعة أمور الاول نفي الخوف والثانى نفي الحزن والثالث الامر بدخول الجنة والرابع البشارة بالسرور (بظاف عليهم بحفاف من ذهب)

ابن مالك رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام لم يبت به بلاؤه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين كانا من أخص اخوانه به كانا يغسوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وما ذاك قال منذ ثمانى عشرة سنة لم يرجه الله

جمع صحفة وهي القصعة الواسعة العريضة قال الكسائي أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة  
وهي تشبع عشرة ثم الصحفة وهي تشبع الخمسة ثم الميكة وهي تشبع الرجلين أو  
الثلاثة والمعنى ان لهم في الجنة أطعمة يطاف عليهم بها في صحاف الذهب (وأكواب) أى  
ولهم فيها أشربة يطاف عليهم بها في الاكواب وهي جمع كوب قال الجوهري الكوب كوز  
لاعروته والجمع أكواب قال قتادة الكوب المدور القصير العنق القصير العروة والابريق  
المستطيل العنق الطويل العروة وقال الاخفش الاكواب الابريق التي لاخر اطيم  
لها وقال قطرب هي الابريق التي ليست لها عرى والعروة ما عسك منه و يسمى أذنا  
قال ابن عباس الاكواب الجرار من الفضة (وفيها) أى في الجنة (ما تشبهه الانفس) أى  
أنفس أهل الجنة من فنون الاطعمة والاشربة والاشياء المعقولة والمسموعة والمموسة  
وتحوها مما تطلبه النفس وتهواه كأنها ما كان جزاء لهم بما صنعوا أنفسهم من الشهوات  
في الدنيا قرأ الجمهور تشبهى وفي مصحف عبدالله بن مسعود تشبهه بأثبات الضمير العائد الى  
الموصول (وتلذذ العين) من كل المستلذذات التي يستلذذها ويطلب مشاهدتها وأعلىها  
النظر الى وجهه الكريم جزاء ما تحمله من مشاق الاشتياق تقول لذ الشيء يلذ اذا  
ولذا اذا وجد لذذا أو التذبه وهذا حصر لانواع النعم لانها امام شهوات في القلوب  
أومستلذذات في العيون عن عبدالرحمن بن سابط قال قال رجل يارسول الله هل في الجنة  
خيل فاني أحب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة جزاء  
فتطير بك في أى الجنة شئت الافعلت وسأله آخر فقال يارسول الله هل في الجنة من ابل فاني  
أحب الابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك ما شئت  
نفسك ولذت عينك أخرجه الترمذى (وأنتم فيها خالدون) لاتموتون ولا تخرجون منها  
(وتلك الجنة التي أورتوها) أى يقال لهم يوم القيامة هذه المقالة اى صارت اليكم كما يصير  
الميراث الى الوارث (بما كنتم تعملون) في الدنيا من الاعمال الصالحة وتلك مبتدأ والجنة  
صفتها والموصول مع صلتها صفة للجنة والخبر بما كنتم الخ وقيل الخبر الموصول مع صلتها  
والاول أولى وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب للتشريف والخطاب كل واحد من أهل  
الجنة فلذلك أفرد الكاف ولم يقل وتلكم الذي هو مقتضى أورتوها ايذا بان كل واحد  
مقصود بذاته أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه  
 وآله وسلم قال ما من أحد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار الكافر يرث المؤمن منزله من  
النار والمؤمن يرث الكافر منزله في الجنة وذلك قوله وتلك الجنة التي أورتوها (لكم فيها)  
سوى الطعام والشراب (فاكهة كثيرة) أى كثيرة الانواع والاصناف والفواكهة معروفة  
وهي الثمار كلها رطبها وابيسها (منها ما يكون) وكل ما يؤكل يخلف بدله ومن تبعيضه  
أوابدية وقدم الجار لاجل الفاصلة ثم شرع سبحانه في الوعيد بعد ذكر الوعد كما هو دأب  
القرآن الكريم فقال (ان المجرمين) أى أهل الاجرام الكفريه كما يدل عليه ايرادهم في  
مقابله المؤمنين الذين لهم ما ذكره الله سبحانه قبل هذا (في عذاب جهنم خالدون)

تعالى فيكشف ما به فلما راح اليه لم  
يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال  
أوب علمه الصلاة والسلام لأدري  
ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم انى  
كنت أمر على الرجلين يتنازعا  
فبذكر ان الله تعالى فأرجع الى بيتي  
فأكفر عنهم ما كراهية ان يذكر الله  
تعالى الا في حق قال وكان يخرج  
الى حاجته فاذا قضاهأ أمسكت  
امرأته يسده حتى يبلغ فلما كان



لا ينقطع عنهم العذاب أبداً (لا يفتر عنهم) أي لا يخفف عنهم ذلك العذاب جملة حالية وكذلك (وهم فيه مبلسون) أي أبسون من النجاسة وقيل ساكنون سكوت يأس وقد مضى تحقيق معناه في الانعام ولا يشكل على هذا قوله الآتي ونادوا الخ لأن تلك أزمته متطاولة وأحقاب ممتدة فختلف بهم الاحوال فيسكنون تارة لغلبة اليأس عليهم وعلمهم انه لا فرج ويشتد عليهم العذاب تارة فيستغيثون وقرأ عبد الله هم فيها أي في النار دلالة العذاب عليهم (وما ظلمناهم) أي ما عذبناهم بغير ذنب ولا بزيادة على ما يستحقونه (ولكن كانوا هم الظالمين) لانفسهم بما فعلوا من الذنوب قرأ الجمهور الظالمين بالنصب على انه خبر كان والضمير ضمير فصل وقرئ الظالمون بالرفع على ان الضمير مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر كان (ونادوا يا مالك) أي نادى الجرمون هذا النداء والاتبان بالماضي على حد آتى أمر الله ومالك هو خازن النار قرأ الجمهور بغير الترخيم وقرئ يا مال بالتخيم قيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ يا مال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم (ليقض علينا ربك) بالموت من قضى عليه إذا مات قال تعالى فوكره موسى فقضى عليه توسلوا بمالك خازن النار الى الله سبحانه ليسأله لهم ان يقضى عليهم بالموت ليستريحوا من العذاب وقال البيضاوي هو لا ينافي ابلاسهم فانه جوارح الموت من فرط الشدة (قال انكم ما كتمون) أي مقبضون في العذاب هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك قيل سكت عن اجابتهم أربعين سنة قاله الخازن والسنة ثلثمائة وستون يوماً واليوم كالف سنة مما تعدون قاله القرطبي وقيل ثمانين سنة وقيل مائة سنة وقال ابن عباس يمكث عنهم ألف سنة ثم أجابهم بهذا الجواب (لقد جئناكم بالحق) يحتمل أن يكون هذا من كلام الله سبحانه أو من كلام مالك والاول أظهر والمعنى انا أرسلنا اليكم الرسل وأنزلنا عليهم الكتب فدعوكم فلم تقبلوا ولم تصدقوا وهو معنى قوله (ولكن أكثركم للحق كارهون) أي لا تقبلونه وتنفرون منه لان مع الباطل الدعوة ومع الحق التعب قيل معنى أكثركم كلكم وقيل أراد الرؤساء والقادة ومن عداهم اتباع لهم والمراد بالحق كل ما أمر الله به على ألسن رسله وأنزله في كتبه وقيل هو خاص بالقرآن (أم أبرموا أمراً فانا مبرمون) كلام مستأنف ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأم هي المنقطعة التي بمعنى بل والهزمة أي بل أبرموا أمراً وفي ذلك انتقال من توبيخ أهل النار وحكاية حالهم الى حكاية ما يقع من هؤلاء الأبرام الاتقان والاحكام يقال أبرمت الشيء أحكمته وأتقنته وأبرم الحبل اذا أحكم فتله والمعنى بل أحكموا كيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانا محكمون لهم كيدا قاله مجاهد وقتادة وابن زيد ومثل هذا قوله تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وقيل المعنى أم قضاؤهم انا فاقضون عليهم أمرنا بالعذاب قاله الكلبي (أم يحسبون أنالانسمع سرهم ونجواهم) أي بل أيحسبون أنالانسمع ما يسرون في انفسهم أو ما يتجادثون به سرا في مكان خال وما يتناجون به فيما بينهم (بلى) نسمع ذلك ونعلم به (ورسلنا اليهم يكتبون) أي الحفظة عندهم يكتبون جميع ما يصدر عنهم

ذات يوم ابطأ عليهم فأوحى الله تبارك وتعالى الى أيوب عليه الصلاة والسلام أن اركض برحلك هذا مغتسل بارد وشراب فاستبظأته فالتفتت تنظرفاً قبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان فلما رأته قالت اي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى فوالله على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منك اذ كان صحيحاً قال فاني أنا

من قول أو فعل عن يحيى بن معاذ قال من ستر من الناس ذنوبه وأبداها لمن لا تحق عليه خافية فقد جعل له أهون الناظرين اليه وهو من امارات النفاق أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال بينا ثلاثة بين الكعبة واستارها قمر شيان وثقفي أو ثقفيمان وقرشي فقال واحد منهم أترون ان الله يسمع كلامنا فقال واحد اذا جهرتم يسمع واذا أسرتم لم يسمع فنزلت هذه الآية ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول للكفار قولاً يلزمهم به الخبث ويقطع ما يوردونه من الشبهة فقال (قل ان كان للرحمن ولد) وصح ذلك ببهان صحيح وان كان له ولد في قولكم وعلى زعمكم (فأنا أول العابدين) أي أول من عبد الله وحده لان من عبد الله وحده فقد دفع ان يكون له ولد قاله ابن قتيبة وقال الحسن والسدي ان المعنى ما كان للرحمن ولدو يكون قوله فأنا أول العابدين ابتداء كلام قال ابن عباس في الآية يقول ان يكن للرحمن ولد فأنا أول العابدين أي الشاهدين وعن زيد بن أسلم قال هذا معروف من كلام العرب ان كان هذا الامر قط أي ما كان وعن قتادة نحوه وقيل المعنى قل يا محمد ان ثبت لله ولد فأنا أول من يعبد هذا الولد الذي تزعمون ثبوته ولكنه يستحيل ان يكون له ولد وفيه نفي للولد على أبلغ وجه وأتم عبارة وأحسن أسلوب وهذا هو الظاهر من النظم القرآني لان هذا الكلام وارد على سبيل الفرض والمراد نفي الولد وذلك انه علق العبادة بكنوثة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالاً مثلها ومن هذا القبيل قوله تعالى وأنا وأياكم اعلى هدى وفي ضلال مبين ومثل هذا قول الرجل لمن يناظره ان ثبت ما تقوله بالدليل فأنا أول من يعتقده ويقول به فتكون ان في ان كان شرطية ويرجح هذا ابن جرير وغيره وقيل معنى العابدين الاتقيين من العبادة وهو تكلف لا ملجئ اليه ولكنه قرئ العبدون بغير أنف من عبد يعبد عبد ابان البحر يك اذا نف وغضب فهو عبد والاسم العبدة مثل الانفة ولعل الحامل على هذه القراءة الشاذة البعيدة لمن قرأها هو استبعاد معنى فأنا أول العابدين وليس بمستبعد ولا مستنكر وقد حكى الجوهري عن أبي عمرو في قوله فأنا أول العابدين انه من الأنف أو الغضب وحكاها الماوردي عن الكسائي والقتبي وبه قال الفراء وكذا قال ابن الأعرابي ان معنى العابدين الغضاب الاتقيين وقال أبو عبيدة معناه الجاحدين وحكى عبدني حتى أي جحدي ولا شك ان عبدواً عبد بمعنى أنف أو غضب ثابت في لغة العرب وكفى بنقل هؤلاء الأئمة حجة ولكن جعل ما في القرآن من هذا من التكلف الذي لا ملجئ اليه ومن التعسف الواضح وقد رد ابن عرفة ما قالوه فقال انما يقال عبد يعبد وهو عبد وقل ما يقال عابد والقرآن لا يأتي بالقليل من اللغة ولا الشاذ قرأ الجمهور ولداً بالافراد وقرئ بضم الواو وسكون اللام (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) أي تنزيهاً له وتقديساً عما يقولون من الكذب بان له ولداً ويفترون عليه سبحانه ما لا يليق بحجابه وهذا ان كان من كلام الله سبحانه فقد نزه نفسه الكريمة عما قالوه وان كان من تمام كلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أمره بان يقوله فقد أمره بان يضم الى ما حكاه عنهم

هو قال وكان له اندران اندر القمع واندر للشعير فبعث الله تعالى سبحانه فيهما كانت احدهما على اندر القمع أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الاخرى في اندر الشعير حتى فاض هذا اللفظ ابن جرير رحمه الله وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه

برغمهم الباطل تنزيهه وتقديسه (فذرهم يخوضوا ويلعبوا) أى اترك الكفار حيث  
 لهم يتدوا بما هديتهم به ولا أجابوك فيمادعوتهم اليه يخوضوا فى أباطيلهم ويلهووا فى دنياهم  
 (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) وهو يوم القيامة وقيل العذاب فى الدنيا وقيل يوم  
 الموت وهو الاظهر فان خوضهم ولعبهم انما ينتهى بيوم الموت قيسل وهذا منسوخ  
 بآية السيف وقيل هو غير منسوخ وانما اخرج مخرج التهديد وفيه دليل على ان  
 ما يقوله من باب الجهل والخوض واللعب قرأ الجمهور يلاقوا وقرئ يلقوا (وهو  
 الذى فى السماء الله وفى الارض الله) الجار والمجرور فى الموضوعين متعلق باله لانه بمعنى  
 معبود أو مستحق للعبادة والمعنى وهو الذى معبود فى السماء ومعبود فى الارض أو مستحق  
 للعبادة فى السماء والعبادة فى الارض وبما تقر من ان المراد باله معبود اندفع ما قيل هذا  
 يقتضى تعدد الالهة لان النكرة اذا أعيدت نكرة تعددت كقولك أنت طالق وطالق  
 وابطاح الاندفاع ان الاله هنا معنى المعبود وهو تعالى معبود فيهما والمغايرة انما هي بين  
 معبوديته فى السماء ومعبوديته فى الارض لان المعبودية من الامور الاضافية فيكفى  
 التغاير فيهما من أحد الطرفين فاذا كان العابد فى السماء غير العابد فى الارض صدق ان  
 معبوديته فى السماء غير معبوديته فى الارض مع ان المعبود واحد وفيه دلالة على  
 اختصاصه باستحقاق الالهية فان التقديم يدل على الاختصاص أفاده الكرخى قال  
 أبو على الفارسي واله فى الموضوعين مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف أى هو الذى فى  
 السماء هو اله وفى الارض هو اله وحسن حذفه لطول الكلام قال والمعنى على الاخبار  
 بالالهية لا على الكون فيهما قال قتادة يعبد فى السماء والارض وقيل فى معنى على أى هو  
 القادر على السماء والارض كما فى قوله ولا صلبنكم فى جذوع النخل وقرأ عمر وعلى وابن  
 مسعود وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله على تضمين العلم معنى المشتق فيتعلق  
 به الجار والمجرور من هذه الحثية (وهو الحكيم العليم) أى البليغ الحكمة الكثير  
 العلم (وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما) تبارك تفاعل من البركة وهى  
 كثرة الخيرات والمراد بما بينهما الهواء وما فيه من الحيوانات (وعنده علم الساعة) أى  
 علم الوقت الذى يكون فيه قيامها (واليه ترجعون) فيجازى كل أحد بما يستحقه من خير  
 وشر وفيه وعيد شديد قرأ الجمهور بالفوقية على سبيل الالتفات من الغيبة الى الخطاب  
 وقرئ بالتحسية (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) أى لا يملك من يدعونه من  
 دون الله من الاصنام ونحوها الشفاعة عند الله كما يزعمون انهم يشفعون لهم قرأ الجمهور  
 يدعون بالتحسية وقرئ بالفوقية (الامن شهد بالحق) أى التوحيد (وهم يعلمون) أى هم  
 على علم وبصيرة بما شهدوا به والاستثناء متصل والمعنى الامن شهد بالحق وهم المسيح وعزير  
 والملائكة فانهم يملكون الشفاعة لمن يستحقها وقيل هو منقطع والمعنى لكن من شهد  
 بالحق يشفع فيه هؤلاء وقيل المستثنى منه محذوف أى لا يملكون الشفاعة فى أحد  
 الا فى من شهد بالحق قال سعيد بن جبير وغيره معنى الآية انه لا يملك هؤلاء الشفاعة الا لمن

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أيوب يغتسل عرياً ناخراً عليه جراد من ذهب فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يحثوفى ثوبه فناداه ربه عز وجل يا أيوب ألم أكن أعنتك عما ترى قال عليه الصلاة والسلام بلى يا رب ولكن لا تخابى عن بركتك انقرد باخراجه البخارى من حديث عبد الرزاق به وله هذا قال تبارك وتعالى ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة مناوذ كرى

شهد بالحق وأمن على علم وبصيرة وقال قتادة لا يشفعون لعابديها بل يشفعون لمن شهد  
 بالوحدانية وقيل مدار الاتصال في هذا الاستثناء على جعل الذين يدعون عامالكل  
 ما يعبد من دون الله ومدار الانقطاع على جعله خاصا بالاصنام (وإن سألتهم) اللام هي  
 الموطئة للقسم والمعنى إن سألت هؤلاء المشركين العابدين للاصنام (من خلقهم ليقولن  
 الله) جواب القسم وجواب الشرط محذوف على القاعدة أي أقرؤا واعترفوا بان خلقهم  
 الله ولا يقدرن على الإنكار ولا يستطيعون الجحود لظهور الامر وجلائه (فأني  
 يوفكون) أي فكيف ينقلبون عن عبادة الله الى عبادة غيره وينصرفون عنهم مع هذا  
 الاعتراف فان المعترف بان الله خالقه اذا عمد الى صنم أو حيوان وعبد مع الله أو عبده  
 وحده فقد عبد بعض مخلوقات الله وفي هذا من الجهل ما لا يقادر قدره يقال أفكده بأفكده  
 أفكدا اذا قلبه وصرفه عن الشيء وقيل المعنى ولئن سألت المسيح وعزير والملائكة من  
 خلقهم ليقولن الله فأني يوفك هؤلاء الكفار في اتخاذهم لهم الهة وقيل المعنى ولئن  
 سألت العابدين والمعبودين جميعا (وقيله) قرأ الجهور بالنصب عطفا على محل الساعة كأنه  
 قيل انه يعلم الساعة ويعلم قيله أو عطفا على سرهم ونحوهاهم أي يعلم سرهم ونحوهاهم ويعلم  
 قيله أو عطفا على مفعول يكتبون المحذوف أي يكتبون ذلك ويكتبون قيله أو عطفا على  
 مفعول يعلمون المحذوف أي يعلمون ذلك ويعلمون قيله أو هو مصدر أي قال قيله أو منصوب  
 باضمار فعل أي الله يعلم قيل رسوله أو هو معطوف على محل بالحق أي شهد بالحق وقيله  
 أو منصوب على حذف حرف القسم ومن المجوزين للاول المبرد وابن الانباري والثاني القراء  
 والاخفش وللنصب على المصدرية أيضا القراء والاخفش وقرئ قبله بالجر عطفا على لفظ  
 الساعة أي وعنده علم الساعة وعلم قيله والقول والقال والقبل والمقال كلها مصادر بمعنى  
 واحداً على هذه الاوزان وقال أبو عبيدة يقال قلت قولاً وقلاً وقياً وقياً وقياً وقياً وقياً  
 الواو للقسم وقرأ قتادة ومجاهد والحسن وأبو قلابة والاعرج وابن هرمز ومسلم بن  
 جندب قبله بالرفع عطفا على علم أي وعنده علم الساعة وعنده قيله أو على الابتداء وخبره  
 الجملة المذكورة بعده أو خبره محذوف تقديره وقيله كيت وكيت أو وقيله مسموع والضمير  
 في وقيله راجع الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قتادة هذا نبيكم يشكركم الى ربه  
 وقيل عائد الى المسيح وعلى الوجهين فالمعنى انه قال مناديا لربه (يا رب ان هؤلاء) الذين  
 أرسلتني اليهم (قوم لا يؤمنون) ثم لما نادى ربه بهذا أجابه بقوله (فاصفح عنهم) أي  
 أعرض عن دعوتهم (وقل سلام) أي أمرى تسليم منكم ومتاركة لكم وقال القراء ان  
 سلام مرفوع باضمار عليكم قال عطاء بن رباح حتى ينزل حكمي ومعناه المتاركة  
 كقوله سلام عليكم لا يتبعني الجاهلني فليس في الآية مشروعية السلام على الكفار كما  
 قيل وقال قتادة أمره بالصفح عنهم ثم أمره بقتالهم فصار الصفع منسوخا بالسيف وقيل  
 هي محكمة لم تنسخ (فسوف يعلمون) قرأ الجهور بالتحمية وقرئ بالفوقية وفيه تهديد  
 شديد لهم ووعيد عظيم من الله عز وجل وتسلية له صلى الله عليه وآله وسلم

لاولى الالباب قال الحسن وقاتلة  
 أحياءهم الله تعالى له باعيانهم وزادهم  
 مثلهم معهم وقوله عز وجل رجعة  
 من أي به على صبره وثباته وانابته  
 ونواضعه واستكانته وذكري لاوى  
 الالباب أي لذوى العقول ليعلوا  
 ان عاقبة الصبر الفرج والفرج  
 والراحة وقوله جلت عظمته  
 وخديك ضغنا فاضرب به ولا  
 تحنت وذلك ان أيوب عليه الصلاة  
 والسلام كان قد غضب على زوجته

\* (سورة الدخان هي ست أو سبع أو تسع وخمسون آية) \*

قال القرطبي هي مكية بالاتفاق الاقوله انا كاشفو العذاب قليلا وبه قال ابن عباس وابن الزبير وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أصبح يسب مغفوره سبعون ألف ملك أخرجه البيهقي في الشعب ورفعته الثعلبي أيضا والترمذي وقال غريب لا يعرفه الا من هذا الوجه وعمرو بن أبي خنم ضعيف قال البخاري منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفورا لله أخرجه البيهقي وابن مردويه ومحمد بن نصر والترمذي وقال غريب لا يعرفه الا من هذا الوجه وهشام بن مقدم يضعف والحسن لم يسمع من أبي هريرة كذا قال أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد ويشهد له طرق أخرى منها ما أخرجه الدارمي ومحمد بن نصر عن أبي رافع قال من قرأ الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفورا له وزوج من الحور العين وأخرج ابن مردويه عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة حم الدخان في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة قال الشهاب في سورة الواقعة ولم يذكر البيضاوي في فضائل السور حديثا غير موضوع عن أول القرآن الى هنا غير ما هنا وما مر في سورة يس والدخان

ووجد عليها في أمر فعلته قيل  
باعث ضفيرة بن يحيى بن فاطمة آياه  
فلامها على ذلك وحلف ان شفاه  
الله تعالى لضرب بنهما مائة جلدة  
وقيل لغير ذلك من الاسباب فلما  
شفاه الله عز وجل وعافاه ما كان  
جزاؤها مع هذه الخدمة التامة  
والرحمة والشفقة والاحسان ان  
تقابل بالضرب فأفتاه الله عز وجل  
ان يأخذ ضغما وهو الشراخ فيه

(بسم الله الرحمن الرحيم) قد تقدم قبل هذه السورة الكلام على هذا والله أعلم بمراده به  
(والكتاب) والاول والقسم والكتاب القرآن (المبين) أي المشتمل على بيان ما للناس حاجة اليه  
في دينهم ودنياهم (انا أنزلناه) جواب القسم وقد أنكر بعض النحاة ان تكون هذه الجملة  
جوابا للقسم لانها صفة للمقسم به ولا تكون صفة المقسم به جوابا للقسم وقال الجواب  
انا كما منذرين واختاره ابن عطية وقال أيضا جملة انا أنزلناه اعتراض متضمن لتفخيم  
الكتاب وريح الاول بالسبق وبكونه من البدائع وبسلامته من النكاح اللازم لما اختاره  
ابن عطية وقيل ان قوله انا كما الخ جواب ثان أو جملة مستأنفة مقررة للانزال وفي  
حكم العلة له كانه قال انا أنزلناه لان من شأننا الانذار والضمير في أنزلناه راجع الى الكتاب  
وهو القرآن واقتصر على ذلك البيضاوي وتبعه الجلال المحلى وعلى هذا فقد أقسم بالقرآن  
انه أنزل القرآن وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن فقدي يقول الرجل اذا  
أراد تعظيم الرجل له اليه حاجته أتشفع بك اليك وأقسم بحمك عليك وجاء في الحديث  
أعود برضالك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لأحصى ثناء عليك وقيل  
المراد بالكتاب سائر الكتب المنزلة والضمير راجع الى القرآن على معنى انه سبحانه أقسم  
بسائر الكتب المنزلة انه أنزل القرآن والاول أولى واستدلوا به هذه الآية على حدوث  
القرآن بوجوه لا دلالة لها عايمه (في ليلة مباركة) أي ليلة القدر كما في قوله انا أنزلناه في ليلة  
القدر ولها أربعة أسماء هي وليلة البراءة وليلة الصلوة وليلة الرحمة قال بكرمة وطائفة  
الليلة المباركة هناليلة النصف من شعبان وقال النووي في باب صوم التطوع من شرح  
مسلم انه خطأ والصواب وبه قال العلماء هناليلة القدر وقيل بينها وبين ليلة القدر

أربعون ليلة والجمهور وأكثر المفسرين على الأول وليلة القدر في أكثر الأقوال في شهر رمضان وقال قتادة أنزل القرآن كله في ليلة القدر من أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا ثم أنزل الله سبحانه على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في الليالي والأيام في ثلاث وعشرين سنة في أنواع الوقائع حالاً خالوا وقد تقدم تحقيق الكلام في هذا في سورة البقرة عند قوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وذو كرسليمان الجبل أدلة القولين وبسط فيها الانطوّل بذكرها هنا وقال مقاتل كان ينزل من اللوح المحفوظ كل ليلة قدر من الوحي على مقدار ما ينزل به جبريل في السنة إلى مثلها من العام وقيل ابتداء نزوله في ليلة القدر ووصف الله سبحانه هذه الليلة بأنها مباركة تنزل القرآن فيها وهو مشتمل على مصالح الدين والدنيا ولو كونها تنزل فيها الملائكة والروح كما سيأتي في سورة القدر ان شاء الله تعالى قال ابن عباس أنزل القرآن في ليلة القدر ونزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحو ما لحوال الناس وقيل المباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكانت ببركة (انا كما منذرين) أي مخوفين عقابنا مستأنف أو جواب ثان بغير عاطف ومن جملة تبركها ما ذكره الله سبحانه ههنا بقوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) أي يفصل ويبين من قولهم فرقت الشيء أفرقه فرقا والامر الحكيم المحكم المبرم الذي لا يحصل فيه تغيير ولا نقض وذلك ان الله سبحانه يكتب فيها ما يكون في السنة من حياة وموت وبسط وقبض وخير وشر ورزق وأجل ونصر وهزيمة وخصب وقحط وغير ذلك من أقسام الحوادث وجزئياتها في أوقاتها وأما كتبها ويبين ذلك للملائكة من تلك الليلة إلى مثلها من العام المقبل فيجدونه سواء فيزدادون بذلك إيماناً كما قال مجاهد وقتادة والحسن وغيرهم وقيل معنى حكيم أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صاحب الامر على الحقيقة ووصف به الامر مجازاً وهذه الجملة اما فقه اخرى لليلة وما يبينها ما اعترض او مستأنفة لتقرير ما قبلها قرأ الجمهور يفرق بضم الياء وفتح الراء مخففاً وقرئ بفتح الياء وضم الراء ونصب كل امر ورفع حكيم على انه الفاعل والحق ما ذهب اليه الجمهور من ان هذه الليلة المباركة هي ليلة القدر لاليلة النصف من شعبان لان الله سبحانه اجملها هنا وبينها في سورة البقرة بقوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وبقوله في سورة القدر اننا انزلناه في ليلة القدر فلم يبق بعد هذا البيان الواضح ما يوجب الخلاف ولا ما يقتضي الاشتباه قال ابن عباس في الآية يكتب من ام الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق وموت وحياة ومطر حتى يكتب الحاج يحج فلان ويحج فلان وقال ابن عمر امر السنة إلى السنة الا الشقاوة والسعادة فانه في كتاب الله لا يبدل ولا يغير اخرج ابن ابي حاتم وخرج عبد بن حميد وغيره عنه انه قال انك لتري الرجل يمشي في الاسواق وقد وقع اسمه في الموتى ففي تلك الليلة يفرق امر الدنيا إلى مثلها من قابل من موت او حياة او رزق كل امر الدنيا يفرق تلك الليلة إلى مثلها وخرج ابن زنجويه والديلمي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقطع الاجال من شعبان إلى شعبان حتى ان الرجل ليسبحه ويولد

مائة قضيب فيضرب بها ضربة واحدة وقد برت يمينه وخرج من حنثه ووفي بندره وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى واناب اليه ولهذا قال جل وعلا اننا وجدناه صابراً نعم العبد انه اتى الله تعالى عليه ومدحه بانه نعم العبد انه اتى الله تعالى عليه ومدحه منيب ولهذا قال جل جلاله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله

له وقد خرج اسمه في الموتى وأخرج به ابن أبي الدنيا وابن جرير عن عثمان بن محمد وهذا  
 مرسل لا تقوم به الحجة ولا يعارض بمثله صريح القرآن وما روى في هذا فهو إما مرسل  
 أو غير صحيح وقد اورد ذلك صاحب الدر المنثور واورده ماورد في فضل ليلة النصف من  
 شعبان وذلك لا يستلزم انها المراد بقوله في ليلة مباركة وانتصاب قوله (امر من عندنا)  
 يفرق اي يفرق فرقا لان امر بمعنى فرقا قاله الزجاج والقراء والمعنى انا امر ببيان ذلك  
 ونسخه من اللوح المحفوظ فهو على هذا منتصب على المصدريه مثل قولك يضرب ضربا  
 قال المبرداً امر في موضع المصدر والتقدير انزلناه انزالا وقال الاخفش انتصابه على الحال  
 أي امرين وقيل على الاختصاص اعنى بهذا الامر امر احصا من عندنا وفيه تفخيم  
 لشأن القرآن وتعظيم له وقد ذكر بعض اهل العلم في انتصاب امر اثني عشر وجها  
 اظهرها ما ذكرناه وقرأ زيد بن علي بالرفع اي هو امر (انا كأم سليمان) الرسل محمد او من  
 قبله قال الرازي المعنى انا فعلمنا ذلك الانذار لاجل انا كأم سليمان للانبيا ومثله قال ابن  
 الخطيب وانتصاب (رحمة) على العلة اي انزلناه للرحمة قاله الزجاج وقال المبرداً انها  
 منتصبة على انها مفعول المرسلين اي انا كأم سليمان رحمة وقيل هي مصدر في موضع الحال  
 اي راجع في قوله الاخفش وقيل انها مصدر منصوب بفعل مقدر اي رحمة راجحة وقيل انها  
 حال من ضمير سليمان اي ذوى رحمة وقرأ الحسن بالرفع اي هي رحمة ورأفة بالمرسل اليهم  
 (من ربك) متعلق بالرحمة أو صفة لمحذوف وفيه التفات من التكلم الى الغيبة ولو جرى على  
 منوال ما تقدم لقال من ربنا والمعنى رأفة مني بخلقى ونعمة عليهم بما بعثت اليهم من الرسل  
 (انه هو السميع) لمن دعاه (العليم) بكل شيء ثم وصف سبحانه نفسه بما يدل على عظيم قدرته  
 الباهرة فقال (رب السموات والارض وما بينهما) قرأ الجمهور بالرفع على انه عطف بيان  
 على السميع العليم وعلى انه مبتدأ وخبره قوله الاتي لاله الا هو وعلى انه خبر لمبتدأ  
 محذوف أي هورب وقرأ الكوفيون بالجر على انه بدل من ربك أو بيان له أو نعت (ان كنتم  
 موقنين) بان رب السموات والارض وما بينهما وقد اقر بذلك كما حكاها الله عنهم في غير  
 موضع فايقنوا بان محمد رسوله (لا اله الا هو) مستأنفة مقررة لما قبلها وخبر رب السموات  
 كما مر وكذلك جملة (يحيى ويميت) فانها مستأنفة مقررة لما قبلها (ربكم ورب آباءكم  
 الاولين) قرأ الجمهور بالرفع على الاستئناف بتقدير مبتدأ أي هوربكم أو على انه بدل من  
 رب السموات أو بيان أو نعت له وقرأ الكسائي في رواية الشيرازي عنه وغيره بالجر ووجه  
 الجر ما ذكرناه في قراءته من قرأ بالجر في رب السموات وقرأ الانطاكى بالنصب على المدح  
 (بل هم في شك يلعبون) اضرب عن كونهم موقنين الى كونهم في شك من التوحيد  
 والبعث وفي اقرارهم بان الله خالقهم وخالق سائر الخلق وانما يقولونه تقليداً لا بائس  
 من غير علم وان ذلك منهم على طريقة اللعب والهز في دينهم عما يعين لهم من غير حجة ومحل  
 يلعبون الرفع على انه خبر ثان أو النصب على الحال (فارتقب) الفاء لترتيب ما بعدها على  
 ما قبلها لان كونهم في شك واجب يقتضى ذلك والمعنى فانتظر لهم يا محمد (يوم تأتي السماء  
 بدخان مبين) وقيل المعنى احفظ قولهم هذا التشهد عليهم يوم تأتي السماء الخ وقد اختلف

بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء  
 قدرا واستدل كثير من الفقهاء  
 بهذه الآية الكريمة على مسائل  
 في الايمان وغيرها وقد أخذوها  
 بمقتضاها والله أعلم بالصواب (واذكر  
 عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب  
 اولى الادي والابصار انا اخلصناهم  
 بخالص ذكرى الدار وانهم عندنا لمن  
 المصطفين الاخيار واذا كرام عييل  
 واليسع وذالكفل وكل من الاخيار  
 هدا ذكر) يقول تبارك وتعالى

في هذا الدخان المذكور في الآية متى يأتي فليل انه من اشراط الساعة وانه يمكث في الارض أربعين يوماً وقد ثبت في الصحيح انه من جملة العشر الآيات التي تكون قبل قيام الساعة وقيل انه أمر قدمضي وهو ما أصاب قريشاً بعد ما صلى الله عليه وآله وسلم حتى كان الرجل يرى بين السماء والارض دخاناً وهذا ثابت في الصحيحين وغيرهما وبه قال القراء والزجاج وقيل انه يوم فتح مكة وقال ابن قتبية فيه وجهان والال انه في سنة القحط يعظم ينس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار الكثير ويظلم الهواء وذلك يشبه الدخان ويقولون كان ينشأ أمر ارتفع له دخان ولهذا يقال للسنة المجيدة الغبراء الثاني ان العرب يسمون الشيء الغالب بالدخان والسبب فيه ان الانسان اذا اشتد خوفه أو وضعفه ظلمت عيناه ويرى الدنيا كالمهلوة من الدخان أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود ان قريشاً لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابطؤا عن الاسلام قال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجوع فأنزله الله هذه الآية فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقيل يا رسول الله استسقى الله المطر فاستسقى لهم فسقوا فأنزل الله انا كاشفو العذاب قليلاً انكم عائدون فلما أصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فأنزل الله يوم تبطش البطشة الكبرى انما منتقمون فانتقم الله منهم يوم بدر فدمضى البطشة والدخان واللزام وقد روى عن ابن مسعود نحو هذا من غير وجه وروى نحوه عن جماعة من التابعين كقاتل ومجاهد وعن أبي مليكة قال دخلت على ابن عباس فقال لم أنعم هذه الليلة فقلت لم قال طلع الكوكب فخشيت ان يطرق الدخان قال ابن كثير وهذا اسناد صحيح وكذا صححه السيوطي ولكن ليس فيه انه سبب نزول الآية وقد عرفنا انك انه لا منافاة بين كون هذه الآية نازلة في الدخان الذي كان يتراعى لقريش من الجوع وبين كون الدخان من آيات الساعة وعلا ماها واشراطها فقد وردت أحاديث صحاح وحسان وضعاف بذلك وليس فيها انه سبب نزول الآية فلا حاجة بنا الى التطويل بذلك وما هو الواجب التمسك بما ثبت في الصحيحين وغيرهما من دخان قريش عند الجهد والجوع هو سبب النزول وبهذا تعرف اندفاع ترجيح من رجح انه الدخان الذي من اشراط الساعة كابن كثير في تفسيره وغيره في غيره وهكذا يندفع قول من قال انه الدخان السكائر يوم فتح مكة متمسكاً بما أخرجه ابن سعد عن أبي هريرة قال كان يوم فتح مكة دخان وهو قول الله فارتقب الخ فان هذا لا يعارض ما في الصحيحين على تقدير صحة اسناده مع احتمال أن يكون أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ظن من وقوع ذلك الدخان يوم الفتح انه المراد بالآية ولهذا لم يصرح بانه سبب نزولها (بغشى الناس) صفة ثانية للدخان اى يشملهم ويحيط بهم (هذه اعداب اليم) اى يقولون هذا أو قائلين ذلك أو يقول الله لهم ذلك (ربنا اكشف عنا العذاب انما مؤمنون) اى يقولون ذلك وقد روى انهم أتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا ان كشف الله عنا العذاب أسلمنا والمراد بالعذاب الجوع الذي كان بسببه ما يرونه من الدخان أو يقولونه اذا رأوا الدخان الذي هو من آيات الساعة اذا رأوه

مخبراً عن فضائل عبادته المرسلين وأبيائه العابدين واذكر عبدنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدي والابصار يعنى بذلك العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما أما أولى الأيدي يقول أولى القوة والابصار يقول الفقه في الدين وقال مجاهد أولى الأيدي يعنى القوة في طاعة الله



يوم فتح مكة على اختلاف الاقوال والراجح منها انه الدخان الذي كانوا يتخيّلونه بمنازل بهم من  
 الجوع وشدة الجهد ولا يتأفي ترجيح هذا ما ورد ان الدخان من آيات الساعة فان ذلك دخان  
 آخر ولا ينافيه أيضا ما قيل انه الذي كان يوم فتح مكة فانه دخان آخر على فرض صحة وقوعه  
 (ان لهم الذكري) أي كيف يتذكرون ويتعظون بمنازل بهم (و) الحال انه (قد جاءهم رسول  
 مبين) بين لهم كل شيء يحتاجون اليه من أمر الدنيا والدين (ثم تولوا عنه) أي أعرضوا  
 عن ذلك الرسول الذي جاءهم ولم يكتفوا بمجرد الاعراض عنه بل جاوزه (وقالوا معلم  
 مجنون) أي قالوا في حقه تارة انما يعلمه القرآن بشر وتارة أخرى انه مجنون أو قال بعضهم  
 هذا وبعضهم ذلك فكيف يتذكرون هؤلاء وانى لهم الذكري ثم لم يدعوا الله بان يكشف  
 عنهم العذاب وانه اذا كشفه عنهم آمنوا أجاب الله سبحانه عليهم بقوله (انا كاشفوا العذاب  
 قليلا) أي انا نكشفه عنهم كسفا قليلا أو زما قليلا وهذا جواب بطريق الالتفات لمزيد  
 التهديد والتوبيخ وما بينهما اعتراض أي الى يوم بدر أو الى ما بقي من أعمارهم ثم أخبر سبحانه  
 عنهم انهم لا ينزحرون عما كانوا عليه من الشرك ولا يفنون بما وعدوا به من الايمان فقال  
 (انكم عائدون) الى ما كنتم عليه من الشرك وقد كان الامر هكذا فان الله سبحانه لما  
 كشف عنهم العذاب رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر والعناد وقيل المعنى انكم  
 عائدون الينا بالبعث والنشور والاول اولى (يوم نبطش البطشة الكبرى انتم ممنون)  
 قرأ الجهور ببطش بفتح النون وكسر الطاء أي ببطش بهم وقرئ بضم الطاء وهي  
 لغة وقرئ بضم النون وكسر الطاء والظرف منصوب باضمار اذ كر وقيل بدل من يوم  
 تأتي السماء وقيل هو متعلق بمنتمقون وقيل بمادل عليه منتقمون وهو منتقم  
 والبطشة الكبرى هي يوم بدر قاله الاكثر والمعنى انهم لما عادوا الى التكذيب والكفر  
 بعد رفع العذاب عنهم انتقم الله منهم بوقعة بدر وقال الحسن وعكرمة المراد بها عذاب النار  
 يوم القيامة واختار هذا الزجاج والاول اولى وعن ابن عباس انه قال قال ابن مسعود  
 البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة قال ابن كثير وهذا اسناد صحيح وقال  
 ابن الخطيب هذا القول أصح لان يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذي يوصف بهذا الوصف  
 العظيم وان الانتقام التام انما يحصل يوم القيامة لقوله تعالى اليوم تجزي كل نفس بما  
 كسبت وقال ابن كثير قبل هذا فسر ذلك ابن مسعود يوم بدر وهذا قول جماعة ممن وافق  
 ابن مسعود على تفسيره الدخان بما تقدم وروى أيضا عن ابن عباس من رواية العوفي عنه  
 وعن أبي بن كعب وجماعة وهو محتمل والظاهر ان ذلك يوم القيامة وان كان يوم بدر يوم  
 بطشة كبرى أيضا انتهى قال الشوكاني بل الظاهر انه يوم بدر وان كان يوم القيامة  
 بطشةا كبر من كل بطشة فان السياق مع قرئش فنفسه يره بالبطشة الخاصة لهم اولى من  
 تفسيره بالبطشة التي تكون يوم القيامة لكل عاص من الانس والجن انتهى (ولقد فتنا)  
 وقرئ فتنا بالتشديد على المبالغة أو التأكيد لكثر متعلقه أي ابتلينا (قبلهم) أي قبل  
 هؤلاء العرب ليكون ماضى من خبرهم عبرة لهم (قوم فرعون) معوم معنى القصة ههنا ان  
 الله سبحانه أرسل اليهم رسوله وأمرهم بما شرع لهم فكذبوه ثم أوسع عليهم الارزاق فظغوا

تعالى والابصار يعنى البصر في  
 الحق وقال قتادة والسدى اعطوا  
 قوة في العبادة وبصر في الدين  
 وقوله تبارك وتعالى انا اخلصناهم  
 بخالص ذكرى الدار قال مجاهد أي  
 جعلناهم يعملون للاخرة ليس لهم  
 هم غيرها وكذا قال السدى ذكروهم  
 للاخرة وعملهم لها وقال مالك بن  
 دينار نزح الله تعالى من قلوبهم  
 حب الدنيا وكرها وأخلصهم بحب  
 الآخرة وكرها وكذا قال عطاء

وبغوا قال الزجاج بلوناهم أي امتحناهم وفعلناهم فعل الممتحن والمعنى عام لمناهم معاملة  
 المختبر يبعث الرسل اليهم والتمكين في الارض (وجاءهم رسول كريم) على الله كريم في قومه  
 أي كريم في نفسه حسيب نسيب لان الله لم يبعث نبيا الا من سرة قومه وكرامهم وقال  
 مقاتل حسن الخلق بالتجاوز والصفح وقال الفراء كريم على ربه اذا خصه بالنبوة واسماع  
 الكلام قال ابن عباس هو موسى (أن أدوا) ان هذه هي المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول  
 أو مخففة من الثقيلة والمعنى ان الشأن والحديث أدوا (الى عباد الله) أو مصدرية أي  
 بان أدوا والمعنى انه طلب منهم ان يسلموا اليه بنى اسرائيل الذين كان فرعون استعبدهم  
 فادأوهم استعاره بمعنى اطلاقهم وارسالهم معه قال مجاهد المعنى أرسلوا معي عباد الله  
 وأطلقوهم من العذاب فعباد الله على هذا منقول به كقوله في سورة طه فارسل معي بنى  
 اسرائيل ولا تعذبهم وقيل المعنى أدوا الى عباد الله ما واجب عليكم من حقوق الله فيكون  
 منصوبا على انه منادى مضاف وقيل أدوا الى سمعكم حتى أبلغكم رسالة ربي وقال ابن  
 عباس اتبعوني الى ما أدعوكم اليه من الحق (اني لكم رسول) من الله اليكم (أمين)  
 على الرسالة غيرتهم وهذا تعليل للامر (وأن لا تغلوا على الله) أي لا تعيروا ولا تكبروا  
 عليه بترفعكم عن طاعته ومتابعة رسله واهانه وحميه وهذا واضح وقيل لا تبغوا على الله  
 وقيل لا تفتروا عليه قاله ابن عباس والاول أولى والفرق بين البغي والافتراء ان البغي  
 بالفعل والافتراء بالقول وقال ابن عباس أيضا لا تعثوا وقال ابن جرير لا تمتعظوا وقال  
 يحيى بن سلام لا تستكبروا والفرق بينهما ان التعظيم تطاول المقدر والاستكبار ترفع  
 الجحتر فأفاده الماوردى وجهه (اني أنيكم) تعليل لما قبلها من النهي قرأ الجمهور بكسر همزة  
 انى وقرئ بالفتح بتقدير اللام (سلفان مبين) أي بحجة بينة واضحة بعترف بجهتها كل عاقل  
 ولا سبيل الى انكارها وقال قتادة وابن عباس بعدز بن والاول أولى وبه قال يحيى بن سلام  
 (واني عدت بربي وربكم) من (أن ترجون) استعاذ بالله سبحانه لما توعدوه بالقتل قال  
 قتادة ترجوني بالخجارة وبه قول ابن عباس وقيل تشقوني كذا قال ابن عباس أيضا وقيل  
 تقتلونى (وان لم تؤمنوا لى) أي ان لم تصدقوني وتقرروا بنبوتى ولم تؤمنوا بالله لا جمل  
 برهاني فاللام في لى لام الاجل وقيل أي وان لم تؤمنوا لى كقوله فآمن له لوط أي به  
 (فاعتزلون) أي فاتركوني ولا تتعرضوا لى بأذى قال مقاتل دعوني كما قالوا على ولالى  
 وقيل كونوا بعزل عنى وأنا بعزل منكم الى ان يحكم الله بيننا وقيل فخلوا سبيلى قاله ابن  
 عباس والمعنى متقارب ثم لما لم يصدقوه ولم يجيبوا دعوته رجع الى ربه بالدعاء كما حكى الله  
 عنه بقوله (فدعاه به ان هو لا يقوم بجرمون) أي كانوا قرأ الجمهور بفتح الهمزة على اضممار  
 حرف الجر أي دعاه بان هو لا يقوم بجرمون) أي كانوا قرأ الجمهور بفتح الهمزة على اضممار  
 لكنفروا فدعاه به وسماه دعاء مع انه لم يذكرا لا مجرد كونهم مجرمين لانهم قد استحقوا بذلك  
 الدعاء عليهم وقيل كان دعاءه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا  
 لا تجعلنا قسمة للقوم الظالمين والاول أولى (فاسر بعبادى ليلا) أجاب الله سبحانه دعاءه فأمره  
 أن يسرى بنى اسرائيل ليلا يقال سرى وأسرى لغتان جيدتان قرأ الجمهور فأسر بالقطع

انخراساني وقال سعيد بن جبير  
 يعني بالدار الجنة يقول أخصانها  
 لهم يذكرهم لها وقال في رواية أخرى  
 ذكرى الدار عقي الدار وقال قتادة  
 كانوا يذرون الناس الدار الآخرة  
 والعمل لها وقال ابن زيد جعل لهم  
 خاصة أفضل شئ في الدار الآخرة  
 وقوله تعالى وانهم عندنا لمن  
 المصطفين الاخير أي لمن المختارين  
 المحتمين الاخير فهم اخيار مختارون  
 وقوله تعالى واذ كرا سمعيل واليسع

من أسرى وقرأ أهل الحجاز بالوصل من سرى وهما سبيتان والجملة بتقدير القول أي فقال  
الله لموسى أسر بعبادي ليلا (انكم متبعون) أي يتبعكم فرعون وجنوده وقد تقدم في غير  
موضع خروج فرعون بعدهم (واترك البحر هو) أي سا كما يقال رهباير هو رهو اذا  
سكن لا يتحرك قال الجوهرى يقال افعل ذلك رهو أي سا كما على هيمتك وعيش راه أي  
سا كن ورها البحر سكن وقال الهروي وغيره وهو المعروف في اللغة والمعنى اترك البحر سا كما  
على صفة بعد ان ضرب به بعصاك ولا تأمره ان يرجع كما كان ليدخله آل فرعون بعدك  
وبعد بني اسرائيل فينطبق عليهم في غرقون وقال أبو عبيدة رهباير رجل يهره رهو أي  
فتح قال ومنه قوله واترك البحر رهو والمعنى اتركه منفرجا كما كان بعد دخولكم فيه وكذا  
قال أبو عبيدة وبه قال مجاهد وغيره قال ابن عرفة وهما يرجعان الى معنى واحد وان اختلف  
لفظا هما لان البحر اذا سكن جريه انفرج قال الهروي ويجوز ان يكون رهو انعتاما لموسى  
أي سر سا كما على هيمتك وقال كعب والحسن رهو اطريقا وقال الضحاك والربيع  
سهلا وقال عكرمة ييسا كقوله فاضرب لهم طريقا في البحر ييسا وعلى كل تقدير  
فالمعنى اتركه ذار هو أو اتركه رهو على المبالغة في الوصف بالمصدر وقال ابن عباس رهو  
سمتا وعنه قال كهيمته وامضه وعنه أيضا قال الرهوان يترك كما كان (انهم) أي ان  
فرعون وجنده بعد خربكم (جند مغرقون) أي ممنكون في هذا الوصف وان كان لهم  
وصف القوة والجمع الذي شأنه النجدة الموجبة للعلو في الامور أخبر سبحانه موسى بذلك  
ليسكن قلبه ويطمئن جاشه قرأ الجمهور بكسر الهمزة على الاستئناف لقصد الاخبار بذلك  
وقرى بالفتح على تقدير لانهم (كم تركوا) كم هي الخبرة المفيدة للتكثير وقدم مضى الكلام  
في معنى الآية في سورة الشعراء والتقدير فاغرقواوكم مفعول به أي تركوا أمورا كثيرة  
وقد بينا بقوله (من جنات) أي بساتين (وعيون) تجرى (وزروع ومقام كريم) قرأ  
الجمهور مقام بنسخ الميم على انه اسم مكان للقيام وقرى بضمها اسم مكان الإقامة قال ابن  
عباس ومقام كريم المنابر وعن جابر مثله وقيل هو ما كان لهم من المنازل الحسنة  
والمجالس الشريفة والمخاض المزيه (ونعمة كانوا فيها فاكهين) النعمة بالفتح التسيم  
ونضارة العيش ولذا انه يقال نعم الله وناعمة فتنم وبالكسر المنية وما أنعم به عليك  
وفلان واسع النعمة أي واسع المال ذكر معنى هذا الجوهرى وقال المحلى نعمة أي متعة  
أي أمور يمتعون وينتفعون بها كالملابس والاراكب قرأ الجمهور فاكهين بالالف وقرى  
بغير ألف والمعنى على الاولى متنعين طيبة أنفسهم وعلى الثانية أشربين بطرين قال  
الجوهرى فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا والفكه أيضا  
الاشرب بطر قال وفاكهين أي ناعمين وقال الثعلبي هما الغتان كالحاذر والحذر والقاره  
والنهره وقيل ان الفاكه هو المستمتع بأنواع اللذة كما يتمتع الرجل بأنواع الفاكهه (كذلك)  
أي الامر كذلك يجوز ان تكون في محل نصب والاشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا  
أي مثل ذلك الساب سلبناهم اياها وقيل مثل ذلك الاخراج أخرجنهم منها وقيل مثل  
ذلك الاهلاك أهلكناهم فعلى الوجه الاول يكون قوله (وأورشاهما) معطوفا على تركوا

وذا الكفل وكل من الاخيار قد  
تقدم الكلام على قصصهم  
وأخبارهم مستقصاة في سورة  
الانبياء عليهم الصلاة والسلام  
بما أغنى عن اعادته هنا وقوله عز  
وجله هذا ذكرا أي هذا أفضل لمن  
فيه ذكر لمن يتذكر وقال السدي  
يعني القرآن العظيم (وان للمتقين  
لحسن ما أب جنات عدن مفتحة  
لهم الابواب متكئين فيها يدعون  
فيها بما فاكهه كثيرة وشراب

وعلى الوجوه الآخرة يكون معطوفا على الفعل المقدر (قوما آخرين) المراد بهم بنو  
اسرائيل فان الله سبحانه ملكهم مصر بعد أن كانوا فيها مستعبدين فصاروا لها وارثين أى  
انها وصلت اليهم كما يصل الميراث الى الوارث ومثل هذا قوله وأورثنا القوم الذين كانوا  
يستضعفون مشارق الارض ومغارها وهذا قول الحسن وقيل انهم لم يرجعوا الى مصر  
والقوم الآخرون غير بنى اسرائيل وهو قول ضعيف جدا قاله الكرخي (فما بكت عليهم  
السماء والارض) هـ ذى بيان لعدم الاكتران بهلا كهم والاعتداد بوجودهم كقولك  
بكت عليهم السماء وكسفت لهم ملكهم الشمس فى تقيض ذلك فالبكاء مجاز مرسل ومع  
ذلك لا بد من جعل الآية استعارة بالبكاء والمعنى انه لم يصب بفقدهم وهلا كهم احد  
من أهل السماء ولا من أهل الارض وكانت العرب تقول عند موت السيد منهم بكت  
له السماء والارض أى عمت مصيبته وقال الحسن فى الكلام مضاف محذوف أى فما  
بكى عليهم أهل السماء والارض من الملائكة والناس وقال الزمخشري ذكركه ذاعلى  
سبيل السخرية بهم يعنى انهم كانوا يسيءون أنفسهم ويعتقدون انهم لوماؤا البكت  
عليهم السماء والارض ولم يكونوا بهذا الخدبل كانوا دون ذلك فذكر هذا تكريهاهم وقال  
مجاهدان السماء والارض تبيكان على المؤمن أربعين صباحا وقيل تبكى على المؤمن  
مواضع صلواته ومصاعده له وعلى هذا انه بكاء كالمعروف من بكاء الحيوان وفى معنى  
الآية وجهان والثانى أظهر وأوفق بالاحاديث ونظم القرآن قال السدى لما قتل الحسين  
رضى الله عنه بكت عليه السماء وبكواها حرتها وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله  
عليه وآله وسلم ما من عبد الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات  
فقداه وبكاه عليه وتلاه هذه الآية فما بكت الخنود كرائهم لم يكونوا يعمدون على الارض عملا  
صالحا تبكى عليهم ولم يصعد لهم الى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام صالح فيفقدهم  
فيبكي عليهم أخرجه الترمذى وابن أبى الدنيا وأبو يعلى وابن أبى حاتم وابن مردويه وأبو  
نعيم فى الحلية والخطيب وأخرج ابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقى فى الشعب  
نحو من قول ابن عباس وعنه قال يقال الارض تبكى على المؤمن أربعين صباحا وعن  
شريح بن عبيد الحضرمي مر سلا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الاسلام  
بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ الا لا غربة على مؤمن مامات مؤمن فى غربة غابت عنه فيها  
بواكيه الابكت عليه السماء والارض ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه  
الآية ثم قال انهما لا تبيكان على كافر أخرجه ابن جرير وابن ابى الدنيا وعن على بن الله  
تعالى عنه ان المؤمن اذا مات بكى عليه مصلاه ومصعد عمله من السماء ثم تلا هذه الآية  
(وما كانوا منظرين) أى مؤخرين للتوبة وممهدين الى وقت آخر بل عوجوا بالعقوبة  
لفرط كفرهم وشدة عنادهم (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين) أى خلصناهم  
بأهلاك عدوهم مما كانوا فيه من الاستعباد وقتل الابناء واستحياء النساء وتكليفهم  
للأعمال الشاقة (من فرعون) بدل من العذاب اما على حذف مضاف أى من عذابه واما  
على المبالغة كأنه نفس العذاب فابدل منه او على انه حال من العذاب أى صادران فرعون

وعندهم قاصرات الطرف اتراب  
هذا ما توقعه دون ليوم الحساب  
ان هذا الرزق امله من نفاذ) يخبر  
تعالى عن عباده المؤمنين السعداء  
ان لهم فى الدار الآخرة لحسن  
مآب وهو المرجع والمنقلب ثم  
فسره بقوله تعالى جنات عدن  
أى جنات اقامة مفتحة لهم  
الابواب والاف واللام ههنا معنى  
الاضافة كأنه يقول مفتحة لهم  
أبوابها أى اذا جاؤها افتحت لهم

وقرأ ابن عباس من فرعون بفتح الميم على الاستفهام التحقيري كما يقال لمن افتخر بحسبه  
 او نسبه من أنت والاول اولى ثم بين سبحانه فقال (انه كان عاليا) في التكبر والتجبر  
 (من المسرفين) في الكفر بالله وارتكاب معاصيه كما في قوله ان فرعون علا في الارض  
 ومن اسرافه انه كان على حقارته وخسته ادعى الالهية ولما بين سبحانه كيفية دفعه  
 للضرع بنى اسرائيل بين ما كرمهم به فقال (ولقد اخترناهم) اي مؤمنا بنى اسرائيل  
 (على) اي مع (علم) مناجالهم وهي كونهم احق بان يختاروا او كونهم يزعمون  
 وتحصل منهم الفرط في بعض الاحوال (على العالمين) اي على عالمي زمانهم على علم منه  
 سبحانه باستحقاقهم لذلك وليس المراد انه اختارهم على جميع العالمين بدليل قوله في هذه  
 الامة كنتم خيرا فمما اخرجت للناس وقيل على كل العالمين لكثرة الانبياء فيهم وهذا  
 خاصة لهم وليس غيرهم حكاه ابن عيسى والزحشري وغيرهما والاول اولى وقيل يرجع  
 هذا الاختيار الى تخليصهم من الغرق وايراثهم الارض بعد فرعون (وايتناهم من  
 الايات) اي معجزات موسى (ما فيه بلا عيبين) اي اختيار ظاهر وامتحان واضح لتنظر  
 كيف يعملون وقال قتادة الايات انجاءهم من الغرق وقلق البحر لهم وتظليل الغمام  
 عليهم وانزال المن والسلاوى لهم وقال ابن زيد الايات هي الشر الذي كفهم عنه والخير  
 الذي امرهم به وقال الحسن وقتادة البلاء المدين النعمة الظاهرة كما في قوله ويسلي  
 المؤمنين منه بلاء حسنا ونبلوكم بالشر والخير فتنة (ان هؤلاء) اي كفار قريش لان  
 الكلام فيهم وقصة فرعون مسوقة للدلالة على استوائهم في الاصرار على الكفر (ليقولون  
 ان هي الامواتنا الاولى) التي نعوذ بها في الدنيا ولا حيا بعد ها ولا بعث وهو معنى قوله (وما  
 نحن بمنشرين) اي بمبعوثين يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم وليس في الكلام  
 قصدا الى اثبات موتة اخرى بل المراد ما العاقبة ونهاية الامر الاموات الاولى المزيلة  
 للحياة الدنيوية قال الرازي وابن الخطيب المعنى انه لا ياتنا من الاحوال الشديدة الا  
 الموتة الاولى وهذا الكلام يدل على انه لا تأتيم الحياة الثانية البتة فلا حاجة الى التكلف  
 الذي ذكره الزحشري في هذا المقام ثم اوردوا على من وعدهم بالبعث ما ظنوه ليسلا وهو  
 حجة واحدة فقالوا (فأوبأنا) اي ارجعواهم بعد موتهم الى الدنيا قال القرام والخطاب  
 لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده كقوله رب ارجعوني والاولى انه خطاب له  
 صلى الله عليه وآله وسلم ولا تبعه من المسلمين (ان كنتم صادقين) فيما تقولونه وتخبرونابه  
 من البعث ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله (أهم خير) في القوة والمنعة (أم قوم تبع) الجبري  
 الذي دار في الدنيا جيموشه وغلب أهلها وقهرهم وحير الخيرة وبني سمقند وقيل هدمها  
 وكان مؤمنا وكان قومه كافرين وكان من ملوك اليمن سمي تبعالكثرة اتباعه وقيل كل  
 واحد من ملوك اليمن يسمى تبعالانه يتبع صاحبه الذي قبله كما سمي في الاسلام خليفة  
 وفيه وعيد شديد وقيل المراد بقوم تبع جميع اتباعه لا واحد بعينه وكان تبع هذا  
 يعبد النار فأسلم ودعا قومه وهم جبري الى الاسلام فكذبوه وعن ابن عباس عن النبي صلى  
 الله عليه وآله وسلم قال لا تسبوا تبعافانه قد أسلم رواه البيهقي والحاكم وصححه وابن المبارك

أبوابها قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد  
 ابن أيوب الهباري حدثنا عبد الله  
 ابن عمير حدثنا عبد الله بن مسلم يعني  
 ابن هرم عن ابن سابط عن عبد الله  
 ابن عمر رضي الله عنهم ما قال قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في  
 الجنة قصر يقال له عدن حوله  
 البروج والمروج له خمسة آلاف باب  
 عند كل باب خمسة آلاف حبة  
 لا يدخله الا يسكنه الانبي او  
 صديق أو شهيد او امام عدل وقد ورد

وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وعن سهل بن سعد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نذرتنحوه أخرجوه الطبراني وابن ماجه وابن مردويه وروى نحوه هذا عن غيرهما من الصحابة والتابعين قال الرياشي كان أبو كرب أسعد الجعفي من التبابعة ممن آمن بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل ان يبعث بسبع مائة سنة واليه تنسب الانصار وهو أول من كسى البيت بعدما أراد غزوه وبعد ما غزا المدينة وأراد خرابها ثم انصرف عنها لما أخبرها انها مهاجر نبي اسمه أحمد وقال شعرا وأودعه عند أهلها وكانوا يتوارثونه كابر عن كابر الى ان هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدفنوه اليه وقال كعب بن زيد الله يومه ولم يذمه والمراد بقوله (والذين من قبلهم) عاد وعمود ونحوهم من الامم الكافرة (أهلكناهم) مستأنفة لبيان حالهم وعاقبة أمرهم (انهم كانوا مجرمين) أى كافرين منكرين للبعث لتعليل لاهلاكهم يعنى ان الله سبحانه قد أهلكهم بسبب كونهم مجرمين فاهلا كل من هو دونهم بسبب كونه مجرما مع ضعفه وقصور قدرته بالاولى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) أى ما بين جنسى السماء والارض (لا عينين) أى بغير غرض صحيح قال مقاتل لم تخلقهما عابثين لغير شئ وقال الكلبي لاهين وقيل غافلين قرأ الجهم وما بينهما وقري وما بينهما لان السموات والارض جمع (ما خلقناهما) وما بينهما (الابالحق) أى بالامر الحق والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال وقال الكلبي اللعق وكذا قال الحسن وقيل الاقامة الحق واطهاره وقيل بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وقيل بالجد ضد اللعب (ولكن أكثرهم لا يعلمون) لقلته نظيرهم ان الامر كذلك وهم المشركون وفيه تجهيل عظيم لمنكري البعث والحشر وتوكيد لان انكارهم يؤدى الى ابطال الكائنات بأسرها ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وفي هذه الآية دليل على صحة الحشر ووقوعه ووجه الدلالة انه لو لم يحصل البعث والجزاء لكان هذا الخلق عبثا لانه تعالى خلق نوع الانسان وخلق ما ينتظم به أسباب معاشهم من السقف المرفوع والمهاد المقروش وما فيه ما وما بينهما من بحائب المصنوعات وبدائع الاحوال ثم كلفهم بالايمان والطاعة فاقتضى ذلك ان يغير المطيع من العاصي بان يكون المطيع متعلق فضله واحسانه والعاصي متعلق عدله وعقابه وذلك لا يكون فى الدنيا القصر زمانها وعدم الاعتداد بما فعلها لكونها مشوبة بانواع الآفات والمحن فلا بد من البعث لتجزى كل نفس بما كسبت فظهر بهم مذاوجه اتصال الآية بما قبلها وهو انه لما حكى مقالة منكري البعث والجزاء وهدهدهم ببيان ما آل المجرمين الذين مضوا ذكر الدليل القاطع الدال على صحة البعث والجزاء فقال وما خلقنا الخ (ان يوم الفصل) أى يوم القيامة الذى يفصل فيه الحق عن الباطل والاضافة على معنى فى والظاهر انها بمعنى اللام (ميقاتهم) أى الوقت المجمع لتمييز الحسن من المسىء والحق من المبطل (أجمعين) لا يخرج عنهم أحد من ذلك وقد اتفق القراء على رفع ميقاتهم على انه خبران واسمها يوم الفصل وأجاز الكسائي والقراء نصبه على انه اسمها ويوم الفصل خبرها ثم وصف سبحانه ذلك اليوم فقال (يوم لا يعنى مولى عن مولى شياً) بدل من يوم الفصل أو منتصب بفعل

في ذكر أبواب الجنة الثمانية أحاديث كثيرة من وجوه عديدة وقوله عز وجل متكئين فيها قيل متربعين على سررتحت الخ ليدعون فيها بقا كهة كثيرة أى مه ما طلبوا وجدوا وأحضر كأرادوا وشرب أى من أى أنواعه شأوا أنتهم به الخ دام بأكواب وأباريق وكأ من معين وعندهم قاصرات الطرف أى عن غير أزواجهن فلا يلتفتن الى غير يعولنهن أتراب أى متساويات فى

يدل عليه الفصل أى يفصل بينهم يوم لا يغنى والمعنى انه لا يتنعق قريب قريباً ولا يدفع عنه شيئاً ويطلق المولى على الولي وهو القريب والناصر وفي المختار المولى المعتق والمعتق وابن العم والناصر والجار والخليف أى لا يدفع ابن عم عن ابن عمه ولا صديق عن صديقه شيئاً ومولى الاول مرفوع بالفاعلية والثاني مجرور بعن واعرابهما اعراب المتصور كفتى وعصا ورحى والمراد بالمولى الثاني الكافر وبالاول المؤمن اى لا يغنى مولى مؤمن عن مولى كافر شيئاً فهذه الآية تطير قوله تعالى واتقوا يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئاً الآية (ولا هم ينصرون) الضمير راجع الى المولى وان كان مفرداً في اللفظ لانه في المعنى جمع لانه تكرة في سياق النبي وهو من صيغ العموم اى ولا هم ينعون من عذاب الله والجلد توكيد لما قبلها فالمعنى لا ينصر المؤمن الكافر ولو كان بينهما في الدنيا علاقة من قرابة أو صداقة أو غيرهما كما اشار له القرطبي (الامن رحم الله) قال الكسائي الاستثناء منقطع أى لكن من رحم الله وكذا قال الفراء وقيل هو متصل والمعنى لا يغنى قريب عن قريب الا المؤمنين فانه يؤذن لهم في الشفاعة فيشفعون في بعضهم أو مرفوع على البدلية من مولى الاول ويغنى بمعنى يتنعق قاله الحوفي أو مرفوع المحل أيضاً على البدلية من واو ينصرون أى لا يتنعق من عذاب الله الا من رحمه الله ذكره السمين (انه هو العزيز الرحيم) أى الغالب الذى لا ينصر من أراد عذابه الرحيم بعباده المؤمنين ثم لما وصف اليوم ذكر بعده وعيد الكفار فقال (ان شجرة الزقوم طعام الاثيم) هى الشجرة التى خلقها الله في جهنم على صورة شجرة الدنيا وسمائها الشجرة الملعونة والزقوم غيرها وهو كل طعام ثقيل فاذا جاء أهل النار التجوا اليها فأكلوا منها وقد مضى الكلام على شجرة الزقوم في سورة الصافات وشجرت ترسم بالثناء المجرورة ووقف عليها بالهاء أبو عمرو وابن كثير والكسائي ووقف الماقون بالهاء على الرسم قاله الخطيب وفي القرطبي كل ما فى كتاب الله من ذكر الشجرة فالوقف عليه بالهاء الاخر فاو احد في سورة الدخان ان شجرت الزقوم انتهى أى فيجوز الوقف عليها بالهاء والهاء وفي القاموس كلام مبسوط على الزقوم والزقوم فليرجع اليه والاثيم الكثير الاثم قال في الصحاح اثم الرجل بالكسر اثمنا واثمنا اذا وقع في الاثم فهو اثم واثم واثم فعنى طعام الاثيم طعام ذى الاثم قيل هو أبو جهل ولا وجه للتخصيص (كالمهل) وهو درى الزيت وعكر القطران وقيل هو النحاس المذاب وقيل كل ما يذوب في النار من ذهب أو فضة وكل منطبع سواء كان من صغراً أو حديداً أو رصاص وقيل الحديد والقيح (يغلى في البطون كغلى الحميم) قرأ الجمهور تغلى بالهاء على ان الفاعل ضمير يعود على الشجرة والجملة خبر ثالث أو حال أو خبر مبتدأ محذوف أى تغلى غلياً مثل غلى الحميم وهو الماء الشديد الحرارة وقرئ بالتحمية على ان الفاعل ضمير يعود الى الطعام وهو فى معنى الشجرة ولا يصح عوده الى المهل لانه مشبه به وانما يغلى ما يشبه بالمهل (خذوه) أى يقال للملائكة الذين هم خزنة النار خذوه أى الاثيم (فاعتلوه) العتل القود بالعنف يقال عتله بعته اذا جره

في السن والعمر هذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وسعيد ابن جبير ومحمد بن كعب والسدى هذا ما توعدون ليوم الحساب أى هذا الذى ذكرنا من صفة الجنة هى التى وعدنا بعبادته المتقين التى يصيرون اليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار ثم أخبر تبارك وتعالى عن الجنة انه لا فراغ لها ولا زوال ولا انقضاء ولا انتهاء فقال تعالى ان هذا الرزقنا مال من فنناد كقوله عز وجل ما عندكم تنقذ وما

وذهب به الى مكروه وقيل العتل ان تأخذ بتلابيب الرجل ومجامعته فنجره قرأ الجمهور  
 فاعتلوه بكسر التاء وقرئ بضمها وهما الغتان وقرأه نان سبعيتان (الى سواء الجحيم) أى  
 الى وسطه ومعظمه كقوله فرأه فى سواء الجحيم (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم) من  
 هى التبعية أى صبوا فوق رأسه بعض هذا النوع وازافة العذاب الى الجحيم للبيان أى  
 عذاب هو الجحيم وهو الماء الحار كما تقدم أومن اضافة الصفة للموصوف أو المسبب للسبب  
 فالمصوب هو الجحيم لاعدابه وصب العذاب استعارة كقوله أفرغ علينا صبرا فقد شبه  
 العذاب بالمائع ثم خيل له بالصب (ذق) الامر للاهانة به أى قولوا له تمكروا وتقرعوا وتبخنا  
 ذق العذاب (انك) قرأ الجمهور بكسر الهمزة وقرأ الكسائي بفتحها وروى ذلك عن على  
 أى لانك (انت العزيز الكريم) قيل ان اباجهل كان يزعم انه اعزاهل الوادى واكرمهم  
 فيقولون له ذق العذاب ايها المتعزز المتكرم على زعمك وفيما كنت تقول له قال القراء أى  
 لهذا القول الذى قلته فى الدنيا عن ابن عباس فى الآية قال يقول لست بعزير ولا كريم  
 أخرج الأعمى فى مغازبه عن عكرمة قال لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اباجهل  
 فقال ان الله أمرنى ان أقول لك أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى قال فترع يده من يده  
 وقال ما تستطيع لى أنت ولا صاحبك من شىء لقد علمت انى أمتنع أهل بطحاء وأنا العزيز  
 الكريم فقتله الله يوم بدر وأذله وغيره بكلمته وأنزل ذق انك أنت العزيز الكريم (ان هذا)  
 العذاب أو هذا الامر (ما كنتم به تترون) اى تشكون فيه حين كنتم فى الدنيا والجمع  
 باعتبار جنس الأئيم ثم ذكر سبحانه مستقر المتقين فقال (ان المتقين) الذين اتقوا الكفر  
 والمعاصى (فى مقام) قرأ الجمهور مقام بفتح الميم وهو موضع القيام وقرئ بضمها وهو  
 موضع الإقامة قاله الكسائي وغيره وهما سبعيتان وقال الجوهري قديكون كل واحد  
 منهما معنى الإقامة وقديكون بمعنى موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذى  
 وقع مستعملا فى معنى العموم ثم وصف المقام بقوله (أمين) يأمن فيه صاحبه من جميع  
 المخاوف قال النسفى هو من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان  
 استعارة لان المكان الخفيف كما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره انتهى وأصل  
 الامن طمأنينة النفس وزوال الخوف والأمن والامان والأمانة فى الاصل مصادر  
 ويستعمل الأمان تارة اسما للحالة التى عليها الانسان فى الأمن وتارة لما يؤمن عليه  
 الانسان كقوله وتخونوا أماناتكم أى ما أتمتمت عليه (فى جنات ويعيون) بدل من مقام  
 أمين جى به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من الماء كل والمشارب أو بيان  
 له أو خبر ثان (يلبسون من سندس واستبرق) خبر ثان أو ثلث أو حال من الضمير المستكن  
 فى الجار والمجرور والسندس مارق من الديباغ وفى المصباح الديباغ ثوب سداه ولجته  
 ابريسم ويقال انه معرب انتهى والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبرق واللفظ اذا  
 عرب خرج من ان يكون مجمىالا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره  
 عن مناجه واجرائه على أوجه الاعراب فساغ ان يقع فى القرآن العربى وقد تقدم تفسيره

عند الله باق وكقوله جل وعلا عطاء  
 غير مجذوذ وكقوله تعالى لهم أجر  
 غير ممنون أى غير مقطوع وكقوله  
 عز وجل أكلها دائم وظلها تلك  
 عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين  
 النار والآيات فى هذا كثيرة جدا  
 (هذا وان للطاغين لشر ما تب جهنم  
 يصلونها فبئس المهادهذا فلينذوقوه  
 جحيم وغساق وآخر من شكله أزواج  
 هذا فوج مقحّم معكم لامر حبا  
 بهم انهم صالوا النار قالوا بل أنتم  
 لامر حبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس  
 القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا



في سورة الكهف (متقابلين) أي في مجالسهم ينظر بعضهم إلى بعض وهو آثم للانس فلا  
 يرد ما قيل من ان الجلوس على هذه الصفة موحش لان قليل الثواب اذا اطلع على حال  
 كثير الثواب يتنصع لان أحوال الآخرة بخلاف أحوال الدنيا وقال المحلى لا ينظر  
 بعضهم إلى قفا بعض لدوران الاسرة بهم (كذلك) أي تفعل بالمتقين فعلا كذلك أو الامر  
 كذلك (وزوجناهم) أي أكرمناهم بان زوجناهم (بجورعين) الجور جمع حوراء وهي  
 البيضاء والعين جمع عيناء وهي الواسعة العين وقال مجاهد انما سميت الحوراء حوراء لانه  
 يحار الطرف في حسننها وقيل هو من حور العين وهو شدة بياض العين في شدة سوادها  
 كذا قال أبو عبيدة وقال الاصمعي ما أدري ما الحور في العين قال أبو عمرو الحور أن  
 تسود العين كلها مثل عين الطباء والبقر قال وليس في بني آدم حور وانما قيل للنساء  
 حور لانهن شبيهن بالطباء والبقر وقيل المراد بقوله وزوجناهم قرناهم وليس من عقد  
 التزويج لانه لا يقال زوجته بامرأة وقال أبو عبيدة وجعلناهم أزواجاً لهم كما زوج البعل  
 بالبعل أي جعلناهم اثنين اثنين وكذا قال الأخفش واختلف أيها ما أفضل في الجنة النساء  
 الآدميات أم الحور ذكرا بن المبارك ان نساء الآدميات من دخل منهن الجنة فضلن على  
 الحور العين بما علمن في الدنيا وروى مرفوعا ان الآدميات أفضل من الحور العين  
 بسبعين ألف ضعف وقيل ان الحور العين أفضل لقوله عليه الصلاة والسلام فأبدله  
 زواجها من زوجها والله أعلم (يدعون فيها) أي في الجنة (بكل فاكهة) أي يأمررون  
 باحضار ما يشتهون من الفواكه حال كونهم (آمنين) من الخنم والاسقام والآلام قال  
 قتادة آمنين من الموت والوصب والشيطان وقيل من انقطاع ما هم فيه من النعيم  
 (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) أي لا يموتون فيها أبدا الا الموتة التي ذاقوها في  
 الدنيا والاستثناء منقطع أي لكن الموتة كذا قال الزجاج والفراء وغيرهما ومثل هذه  
 الآية قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وقيل ان الابعث بعد  
 واختاره الطبري كقولك ما كتبت رجلا اليوم ارجلا عندك أي بعد رجلك عندك وآباه  
 الجمهور لان محي الابعث بعد لم يثبت وقيل هي بمعنى سوى أي سوى الموتة الاولى نقله  
 الطبري وضعفه قال ابن عطية وليس تضعيفه بصحيح بل كونها بمعنى سوى مستقيم  
 منتسق قال ابن قتيبة انما استثنى الموتة الاولى وهي في الدنيا لان السعداء حين يموتون  
 يصيرون بلطف الله وقدرته إلى أسباب من الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم  
 من الجنة ويفتح لهم أبوابها فاذا ماتوا في الدنيا فكانهم ماتوا في الجنة لاتصالهم بأسبابها  
 ومشاهدتهم اياها فيكون الاستثناء على هذا متصلا قال الزمخشري فان قلت كيف  
 استثنيت الموتة الاولى المدبوقة قبل دخول الجنة من الموت المنقذ ذوقه فيها قلت أريد ان  
 يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة  
 الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالخال كأنه قيل ان كانت الموتة  
 الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها في الجنة انتهى قلت وهذا عند علماء

فزده عذابا ضعفا في التاروقا لواماننا  
 لا ترى رجالا كانوا عدهم من الاشرار  
 أخذناهم سخرى بأم زانت عنهم  
 الابصار ان ذلك لحق تخصم أهل  
 النار) لماذا كرتبارك ونعالى ما ك  
 السعداء ثني بذكر حال الاشقياء  
 ومرجعهم وما بهم في دار معادهم  
 وحسابهم فقال عز وجل هذا وان  
 للطاغين وهم الخارجون عن طاعة  
 الله عز وجل الخالفون لرسول الله  
 صلى الله عليه وسلم لشر ما بآي

البيان يسمى نقي الشيء بدليله (ورقاهم عذاب الجحيم) قرأ الجمهور ورقاهم بالتخفيف وقرئ  
 بالتشديد على المبالغة (فضلا من ربك) اى لاجل الفضل منه أو اعطاهم ذلك عطاء فضلا  
 منه (ذلك) الذى تقدم ذكره من صرف العذاب ودخول الجنة (هو الفوز العظيم)  
 الذى لا فوز بعده المتناهي فى العظم لانه خلاص عن المكاره وظفر بالمطالب ثم لما بين سبحانه  
 الدلائل وذكروا الوعد والوعيد قال (فانما يسرناه بلسانك) اى انما انزلنا القرآن بلغتك  
 كي يفهمه قومك فينذروا ويعتبروا ويعملوا بما فيه أو سهلناه بلغتك عليك وعلى من  
 يقرؤه وهذا فذللك للسورة واجمال لما فيها من التفصيل (لعلهم يتذكرون) اى يتعظون  
 فيؤمنون لكنهم لا يؤمنون (فارتقب) اى فانتظر ما وعدناك من النصر عليهم واهلا كههم  
 على يدك (انهم مرتقبون) اى فانهم منتظرون ما ينزل بك من موت أو غيره وقيل انتظر  
 أن يحكم الله بينك وبينهم فانهم منتظرون بك نواب الدهر والمعنى متقارب قال الخليل وهذا  
 قبل الامر بجهادهم اى فهو منسوخ وليس يصحح لان رفع الاباحة الاصلية ليس نسخا  
 انما النسخ رفع حكم ثبت فى الشرع بحكم آخر

\* (سورة الجاثية وتسمى الشريعة قاله الخازن هي ست اوسبع وثلاثون آية) \*

وهي مكية كلها فى قول الحسن وجابر وعكرمة وقال ابن عباس وقتادة الا آية منها وهي  
 قوله قل للذين آمنوا الى ايام الله فانها نزلت بالمدينة فى عمر بن الخطاب ذكره الماوردي  
 وقال المهدي والنجاشى انها نزلت فى عمر شته رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة فاراد ان  
 يبطش به فانزل الله قل للذين آمنوا الاية ثم نسخت باية القتال فالسورة كلها مكية على  
 هذا من غير استثناء

(بسم الله الرحمن الرحيم حم) قد تقدم الكلام على هذا فى فاتحة سورة غافر وما بعدها  
 والله أعلم بمراده به (تنزيل الكتاب) اى القرآن مبتدأ (من الله) خبره (العزير) فى ملكه  
 (الحكيم) فى صنعه ثم أخبر سبحانه بما يدل على قدرته الباهرة فقال (ان فى السموات  
 والارض) اى فى خلقهما (لايات) دالة على قدرة الله ووحدانيته (للمؤمنين) قال  
 الزجاج ويدل على ان المعنى فى خلقهما قوله (وفى خلقكم) أنفسكم على اطوار مختلفة  
 قال مقاتل من تراب ثم من نطفة الى أن يصير انسانا وحاصل ما ذكره من الدلائل ستة  
 على ثلاث فواصل الاولى للمؤمنين الثانية يوقنون الثالثة يعقلون ووجه التغير بينهما ان  
 المنصف من نفسه اذا نظر فى السموات والارض وانه لا بد له من صانع آمن واذا نظر  
 فى خلق نفسه ونحوها ازاد ايمانا يقين واذا نظر فى سائر الحوادث عقل واستحكم علمه  
 (و) فى خاتمة (ما يثبت) اى ما يفرقه وينشره (من دابة آيات) وللحجة فى هذا الموضع كلام  
 طويل فى رفع آيات ونصيبها والبحث فى مسألة العطف على معمولى عاملين مختلفين وجميع  
 المجوزين له وجوابات المانع من مقرر فى علم النحو بسوط فى مطولاته (لقوم يوقنون)  
 يعنى انه لا اله الا هو (واختلاف الليل والنهار) اى فى تعاقبهما أو تغايرهما فى الطول

لسوء منقلب ومرجع ثم فسره  
 بقوله جل وعلا جهنم يصلونها اى  
 يدخلونها فتعمرهم من جميع  
 جوانبهم فيئس المهاد هذا قليد وقوه  
 جيم وغساق أما الجيم فهو الحار  
 الذى قد انتهى حره وأما الغساق  
 فهو ضده وهو البارد الذى لا يستطاع  
 من شدة برده المؤلم ولهذا قال عز  
 وجل وآخر من شكله أزواج أى  
 وأشياء من هذا القبيل الشئ وضده

والقصر والظلام والضياء وذهابها وما وجيئها (وما أنزل الله من السماء من رزق) معطوف على اختلاف الرزق المطر لانه سبب لكل ما يرزق الله العباد به (فأحيى به الأرض بعد موتها) أحياء الأرض اخراج نباتها وموتها اخلوها عن النبات ويسبها (وتصرف الرياح) في مهاجها أى أنها تهب تارة من جهة وتارة من أخرى وتارة تكون حارة وتارة تكون باردة وتارة نافعة وتارة ضارة والرياح أربعة بحسب جهات الأفق (آيات لقوم يعقلون) مراد الله سبحانه في كتابه ويفهمون الدليل فيؤمنون (تلك آيات الله نتلوها عليك) أى هذه الآيات المذكورة هي حجج الله وبراهينه (بالحق) أى محقين أو متلبسة بالحق أو الباء للسببية فتعلق بنفس الفعل (فبأى حديث بعد الله وآياته) أى حججه قيل أن المقصود فبأى حديث بعد آيات الله وذكر الاسم الشريف ليس الاقصود تعظيم الآيات فيكون من باب أعجبني زيد وكرمه وقيل المراد بعد حديث الله وهو القرآن كما في قوله الله نزل أحسن الحديث وهو المراد بالآيات والعطف لجرد التغير العنواني (يؤمنون) قرأ الجهور بالفوقية وقرئ بالتحتية والمعنى يؤمنون بأى حديث وانما قدم عليه لان الاستفهام له صدر الكلام (ويل) وادق جهنم أو كلمة عذاب (لكل أفاك أئيم) أى لكل كذاب كثير الأثم من تكب لم يوجب ثم وصف هذا الأفاك بصفة أخرى فقال (يسمع آيات الله) أى القرآن (تتلى عليه ثم يصبر) على كفره و يقيم على ما كان عليه حال كونه (مستكبرا) أى متماديا على كفره متكبرا عن الإيمان ومتمعظما في نفسه عن الانقياد للحق والاصرار ما أخذ من اصرار الجمار على العانة وهو ان يخفى عليها صارا أذنيه وثم للتراخي الرتبى عند العقل أى اصراره على الكفر بعد ما قررت له الأدلة المذكورة وسمعها مستبعد في العقول قال مقاتل اذا سمع من آيات القرآن شيئا اتخذها هزوا وجملة (كان لم يسمعها) في محل نصب على الخال أو مستأنفة وان هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف (فبشره بعدذاب أليم) هذا من باب التهمكم أى فبشر على اصراره واستكباره وعدم استماعه الى الآيات بعدذاب شديد الالم قيل نزلت في النضر بن الحرث وما كان يشتري من أحاديث الجهم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا الدين الله (واذا علم من آياتنا شيئا) قرأ الجهور بفتح العين وكسر اللام مخففة على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول والمعنى انه اذا وصل اليه وبلغه شيء وعلم انه من آيات الله (اتخذها) أى الآيات (هزوا) وقيل الضمير في اتخذها عائده الى شيء لانه عبارة عن الآيات والاول أولى (أو أولئك) أى كل أفاك متصف بتلك الصفات (لهم عذاب مهين) بسبب ما فعلوا من الاصرار والاستكبار عن سماع آيات الله واتخاذها هزوا والعذاب المهين هو المشتمل على الازلال والفضيحة (من ورائهم) أى من وراء ما هم فيه من التعزيب الدنيا والتكبر عن الحق (جهنم) فانها من قدامهم لانهم متوجهون اليها وعبر عن القدام بالورا كقوله من ورائه جهنم والورا مستعمل بمعنى الامام كما يستعمل بمعنى الخلف وهو مشترك بين المعنيين فيستعمل في الشيء وضده كالجون يستعمل في الابيض

يعاقبون بها قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لانتن أهل الدنيا ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحرث عن دراج به ثم قال لا تعرفه الامن حديث رشدين كذا قال وقد تقدم من غير حديثه ورواه ابن جرير

والاسود على سبيل الاشتراك وقيل جعلها باعتبار اعراضهم عنها كأنها خلفهم وقيل  
 الورا اسم للجهة التي يوارىها الشخص من خلف أو قدام (ولا يغنى) أى لا يدفع (عنهم  
 ما كسبوا) من أموالهم وأولادهم (شيئاً) من عذاب الله ولا ينفعهم بوجه من وجوه النفع  
 (ولا يغنى عنهم) ما اتخذوا من دون الله أولياء من الاصنام وما في الموضعين امام صدره  
 أو موصولة وزيادة لافى الجملة الثانية للتأكيد (ولهم عذاب عظيم) فى جهنم التي هى من  
 ورائهم (هذا) أى القرآن (هدى) للمهتدين به (والذين كفروا بايات ربهم) القرآنية  
 (لهم عذاب من رجز أليم) الرجز أشد العذاب قرأ الجمهور أليم بالجر صفة للرجز وقرئ  
 بالرفع صفة لعذاب (الله الذى سخر لكم البحر) أى جعله على صفة تتمكنون به من  
 الركوب عليه بان جعل له أملس السطح يطفو عليه ما يتخذ له كالخشب ولا يمنع الغوص  
 فيه (لتجرى الفلك فيه باهره) أى بأذنه واقداره لكم (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة تارة  
 والغوص للدر والمعالجة للصيد وغير ذلك (ولعلكم تشكرون) أى وليكى تشكروا النعم  
 التى تحصل لكم بسبب هذا السخر للبحر (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض  
 جميعاً منه) أى سخر لعباده جميع ما خلقه فى سمواته وأرضه مما يتعلق به مصالحهم ويقوم  
 به معاشهم وما سخره لهم من مخلوقات السموات الشمس والقمر والنجوم النيرات والمطر  
 والسحاب والرياح وجميع ما حال من ما فى السموات أو تآ كيدله وقوله منه متعلق بمحذوف  
 هو صفة لجمعا أى كأنما منه أو متعلق بسخر أو حال من ما فى السموات أو خير مبتدأ محذوف  
 والمعنى ان كل ذلك رحمة منه لعباده وقال ابن عباس جميعاً منه أى منه النور والشمس  
 والقمر وكل شئ هو من الله وعن طاوس قال جاء رجل الى عبد الله بن عمرو بن العاص  
 فسأله ما خلق الخلق قال من الماء والنور والظلمة والهواء والتراب قال فم خلق هؤلاء  
 قال لا أدري ثم أى الرجل عبد الله بن الزبير سأله فقال مثل قول عبد الله بن عمرو فأى ابن  
 عباس فسأله ما خلق الخلق فقال من الماء والنور والظلمة والريح والتراب قال فم خلق  
 هؤلاء فقرا ابن عباس وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعاً منه فقال الرجل  
 ما كان لىأتى بهذا الا رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ان فى ذلك)  
 المذكور من التسخير (لايات لقوم يتفكرون) خص المتفكرين لانه لا ينتفع بها الا من  
 تفكر فيها فانه ينتقل من التفكير الى الاستدلال بها على التوحيد (قل للذين آمنوا يغفروا)  
 أى قل لهم اغفروا يغفروا أى يعفوا ويصفحوا قاله على بن عيسى واختاره ابن العربي  
 وقيل التقدير قل لهم ليغفروا والمعنى قل لهم ليتجاوزوا (للذين لا يرجون ايام الله) أى  
 عن الذين لا يرجون وقائع الله باعدائه أى لا يتوقعونها ومعنى الرجاء هنا الخوف وقيل  
 هو على معناه الحقيقي والمعنى لا يرجون ثوابه فى الاوقات التى وقتها الله لثواب المؤمنين  
 والاولى أولى والايام يعبر بها عن الوقائع كما تقدم فى تفسير قوله وذكروهم بايام الله قال  
 مقاتل لا يخشون مثل عذاب الله للامم الخالية وذلك انهم لا يؤمنون به فلا يخافون عقابه  
 وقيل المعنى لا ياملون نصر الله لا وليائه وابقاعه بأعدائه وقيل لا يخافون البعث قبل

عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن  
 وهب عن عمرو بن الحرث به وقال  
 كعب الاحبار غساق عين فى جهنم  
 يسيل اليها حمة كل ذات حمة من  
 حبة وعقرب وغير ذلك فيستنقع  
 فيؤتى بالادحى فيغمس فيها غمسة  
 واحدة فيخرج وقد سقط جلده ووجهه  
 عن العظام ويتعلق جلده ووجهه  
 فى كعبه وعقبه ويحرجه كما  
 يحرج الرجل ثوبه رواه ابن ابي حاتم  
 وقال الحسن البصرى فى قوله تعالى  
 وآخر من شكه أزواج ألوان من

والآية منسوخة بآية السيف والاقرب أن يقال انه محمول على ترك المنازعة وعلى التجاوز فيما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية وعن ابن عباس في الآية قال كان نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض عن المشركين اذا آذوه وكانوا يستهزؤن به ويكذبونه فأمره الله ان يقاتل المشركين كافة فكان هـذا من المنسوخ والاولى القول بعدم النسخ (ليجزي) الله (قوما) قرئ بالتخمية وقرئ بالنون أى ليجزى نحن والجملة لتعليل الامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون أمر وبالْمَغْفِرَةِ ليجزىهم الله يوم القيامة (بما كانوا يكسبون) في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جلتم بالصبر على آذية الكفار والاعضاء عنهم بكنظم الغيظ واحتمال المكروه وقيل المعنى ليجزى الكفار بما عملوا من السيئات كانه قال لا تكافؤهم أنهم لشكافهم نحن قيل المراد بالقوم كلاهما فيكون التنكير للتعظيم أو التحقير أو التنويع والاولى ثم ذكر المؤمنين واعمالهم والمشركين واعمالهم فقال (من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها) اي ان عمل كل طائفة من احسان واساءة العاملا لا يتجاوز الى غيره وفيه ترغيب وترهيب والجملة مستأنفة لبيان كيفية الجزاء (ثم الى ربكم ترجعون) اي تصيرون فيجازى كلابعمله ان كان خيرا خيرا وان كان شرا فشر (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكيم والنبوة) المراد بالكتاب التوراة كذا في الكشف وتبعه القاضي ولعل الاول ان يحمل الكتاب على الجنس حتى يشمل الانجيل والزبور ايضا لكن جمهور المفسرين على تفسيره هنا بالتوراة لانه ذكر بعدها الحكم ونحوه وما ذكر لاحكم فيه اذ الزبور ادعية ومناجاة والانجيل احكامه قليلة جدا وعيسى ما ورى بالعمل بالتوراة والمراد بالحكم الفهم والفقهاء الذي يكون بهما الحكم بين الناس وفصل خصوماتهم وبالنبوة من بعثه الله من الانبياء فيهم (ورزقناهم من الطيبات) اي المستلذات التي أحلها الله لهم ومن ذلك المن والسلوى وهذه نعم ذنوبية وما قبله من الكتاب والنبوة نعم دينية (وفضلناهم على العالمين) من اهل زمانهم حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من كثرة الانبياء فيهم وخلق البحر وغرق العدو ونحوها وقد تقدم بيان هذا في سورة الدخان قال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب اليه منهم (وآتيناهم بينات من الامر) أي شرائع واضحات في الحلال والحرام أو معجزات ظاهرات وقيل العلم ببعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشواهد نبوته وتعيين مهاجرة (فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم) أي فواقع الاختلاف بينهم في ذلك الامر الا بعد مجيء العلم اليهم ببيانه وايضاح معناه فجعلوا ما يجب زوال الخلاف موجبا لثبوت وقيل المراد بالعلم يوشع بن نون فانه آمن به بعضهم وكفر بعضهم وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فاختلقوا فيها حسدا و (بغيا بينهم) قيل بغيا من بعضهم على بعض بطلب الرياسة (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين فيجيزى المحسن باحسانه والمسبي باسائه (ثم جعلناك على شريعة من الامر) ثم للاستئناف والشريعة في اللغة المذهب والملة والمنهاج ويقال لمشرعة الماء وهي مورد

العذاب وقال غيره كالمهري  
والسوم وشرب الخمر وكل  
الزقوم والصعود والهوى الى  
غير ذلك من الاشياء المختلفة  
المتضادة والجميع مما يعذبون به  
ويهانون بسببه وقوله عز وجل هذا  
فوج مقتحم معكم لامر حجابهم  
انهم صالوا النار هذا الخبر من الله  
تعالى عن قيل أهل النار بعضهم  
لبعض كما قال تعالى كلما دخلت أمة  
لغت أخذت يا عني بدل السلام

شاريه شريعة والجمع شرائع فاستعير ذلك للدين لان العباد يردون ماتحيا به نفوسهم ومنه  
 الشارع لانه طريق الى المقصد. وقد المراد بالشرعية هنا ما شرعه الله لعباده من الدين أى  
 جعلناك يا محمد على منهج واضح من امر الدين يوصلك الى الحق وقال ابن عباس على  
 هدى من أمر دينه قال قتادة الشريعة الامر والنهى والحدود والفرائض المبنية لانهما  
 طريق الى الحق وقال الكلبي السنة لانه يستن بطريقه من قبله من الانبياء وقال ابن  
 زيد الدين لانه طريق الى النجاة وقال ابن العربي الامر يرد في اللغة بمعنىين احدهما معنى  
 الشأن كقوله واتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد والثاني ما يقابله النهى وكلاهما  
 يصح ان يكون مرادها وتقديره ثم جعلناك على طريقه من الدين وهى ملة الاسلام  
 كما قال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ولا خلاف ان الله تعالى لم يغير  
 بين الشرائع في التوحيد والمكارم والمصالح وانما خالف بينهما في الفروع حسب ما علمه  
 سبحانه وتعالى (فاتبعها) أى فاعمل بأحكامها فى أمتك (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)  
 توحيد الله وشرائعه لعباده وهم كفار قرىش ومن وافقهم ثم علل النهى عن اتباع أهوائهم  
 فقال (انهم لن يغفوا عنك من الله شيئا) أى لا يدفعون عنك شيئا مما أراد الله بك ان  
 اتبعت أهواءهم (وان الظالمين بعضهم اولياء بعض) أى انصار ينصر بعضهم بعضا لان  
 الجنسية عند الانضمام قال ابن زيد ان المنافقين اولياء اليهود (والله ولي المتقين) أى  
 ناصرهم والمراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك والمعاصى والاشارة بقوله (هذا) الى القرآن  
 أو الى اتباع الشريعة (بصائر للناس) أى براهين ودلائل لهم فيما يحتاجون اليه من أحكام  
 الدين وبيانات تبصرهم وجه الفلاح ومعالم يتبصرون بها فى الاحكام والحدود جعل ذلك  
 بمنزلة البصائر فى القلوب ليتوصل بكل واحد منها الى محصيل العرفان واليقين وجمع الخبر  
 باعتبار ما فى المبتدأ من تعدد الآيات والبراهين وقرئ هذه بصائر أى هذه الآيات لان  
 القرآن معناها (وهدى) أى رشد وطريق يودى الى الجنة لمن عمل به (ورحمة) من الله  
 فى الآخرة (لقوم يوقنون) أى من شأنهم الايقان وعدم الشك والتزلزل بالشبهة  
 (أم حسب الذين اجترحوا السيئات) أم هى المنقطعة المقدرة بيل والهزيمة وما فى بيان  
 معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثانى والهزيمة لانكار الحسبان بطريق  
 انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجترار الاكتساب ومنه الجوارح وقد تقدم  
 فى المائدة والجملة مستأنفة سيمت لبيان تباين حالى المسيئين والحسنين اثر بيان حالى  
 الظالمين والمتقين وهو معنى قوله (أن تجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى نسوى  
 بينهم مع اجترارهم السيئات وبين أهل الحسنات قيل نزلت فى قوم من المشركين وقيل  
 المسيئون عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة والحسنون على وحزرة وعبيدة بن الحرث  
 حين برزوا اليهم يوم بدر فقتلوهم والعموم أولى (سواء محياهم ومماتهم) فى دار الدنيا وفى  
 الآخرة كلالا يستوون فى شئ منهما فان حال أهل السعادة فيها غير حال أهل الشقاوة  
 فهو لاء فى عز الايمان والطاعة وشرفهما فى الحيا وفى رحمة الله تعالى ورضوانه فى الممات

يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم  
 ببعض فتمقول الطائفة التى تدخل  
 قبل الاخرى اذا أقبلت التى بعدها  
 مع الخزنة من الزبانية هذافوج  
 منقتم أى داخل معكم لامر حبا  
 بهم انهم صالوا النار أى لانهم من  
 أهل جهنم قالوا بل أنتم لامر حبا  
 بكم أى فيقول لهم الداخلون بل  
 أنتم لامر حبا بكم أنتم قدمتموه لنا  
 أى أنتم دعوتونا الى ما أفضى بنا  
 الى هذا المصير فينس القراراى

وأولئك في ذل الكفر المعاصي وهو أنهم ما في الحيا وفي لعنة الله والعذاب الخالد في الممات  
 وشستان بينهما وقيل المراد انكاران يستووا في الممات كما استووا في الحياة قرأ الجمهور  
 سواء بالرفع على انه خبر مقدم والمبتدأ محياهم ومماتهم والمعنى انكار حسابناهم ان محياهم  
 ومماتهم سواء وقرئ بالنصب على انه حال من الضمير المستتر في الحار والمجرور في قوله  
 كالذين آمنوا أو على انه مفعول ثان لحسب واختار قراءة النصب أبو عبيد وقال معناه  
 فجعلهم سواء وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على معنى سواء في محياهم ومماتهم ولماسقط  
 الخافض انتصب (سواء ما يحكمون) أي ساء حكمهم هذا الذي حكموا به وقال مجاهد في  
 الآية المؤمن في الدنيا والآخرة مؤمن والكافر في الدنيا والآخرة كافر وقال مسروق  
 قال لي رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الداري ولقد رأيته قام ذات ليلة حتى أصبح  
 أو قرب ان يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويكي أم حسب الذين اجترحوا  
 السيئات الآية وعن النضيل انه بلغها جعل يردد هاويكي ويقول يا فضيل ليت شعري  
 من أي الفريقين أنت (وخلق الله السموات والارض بالحق) المقضى للعدل بين العباد  
 وهذا كالذليل لما قبله من نفي الاستواء ومحل بالحق النصب على الحال من الفاعل أو  
 المفعول أو الباء اللسيبية (وتجزى كل نفس بما كسبت) أي خلق الله اياهما ليدل بهما على  
 قدرته وتجزى أو اللام للصيرورة قاله ابن عطية أي صار الامر من حيث اهتدى به اقوم  
 وضل به اقوم آخرون (وهم) أي النفوس المدلول عليها بكل نفس (لا يظلمون) ينقص ثواب  
 أو زيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما مع انه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة أهل السنة لبيان  
 غاية تفرده سبحانه تعالى عما ذكر بتزليده منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه أو سماه  
 ظلما نظرا الى صدوره منا كإفني الابتلاء والاختبار ثم يجب سبحانه من حال الكفار فقال  
 (أفرأيت من اتخذ الله هواه) قال الحسن وقتادة ذلك الكافر اتخذ دينه ما بهواه فلا  
 يهوى شيئا الا ركبه وقال عكرمة بعد ما بهواه أو يستحسنه فاذا استحسن شيئا وهواه  
 اتخذها قال سعيد بن جبير كان أحدهم يعبد الحجر فاذا رأى ما هو أحسن منه رعى به  
 وعبد الآخر وقال ابن عباس ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان  
 والمعنى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعو اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه  
 (وأضله الله على علم) قد علمه قال ابن عباس يقول أضله في سابق علمه تعالى وقيل المعنى أضله  
 عن الثواب على علم منه بأنه لا يستحقه وقال مقاتل على علم منه انه ضال لانه يعلم ان الصنم  
 لا ينفع ولا يضر قال الزجاج على سبق في علمه انه ضال قبل أن يخلقه وقال الكرخي أضله  
 وهو عالم بالحق وهذا أشد تشنيعا عليه (وختم) أي طبع (على سمعه) حتى لا يسمع الوعظ  
 (و) طبع على (قلبه) حتى لا يفقه الهدى ولا يعقله (وجعل على بصره غشاوة) أي ظلمة  
 وغطاء حتى لا يبصر الرشد قرأ الجمهور غشاوة وبالالف مع كسر الغين وقرئ بغير الف مع فتح  
 الغين وقرأ ابن مسعود والاعمش كقراءة الجمهور مع فتح الغين وهي لغتهم بعبارة وقرئ  
 يضمها وهي لغة عكل (فمن يهديهم بعد الله) أي بعد اضلال الله له أي لا يهتدى (أفلا

فبئس المنزل والمستقر والمحير قالوا  
 ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا  
 في النار كما قال عز وجل قالت أخرجهم  
 لاولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم  
 عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف  
 ولكن لا تعلمون أي لكل منكم  
 عذاب بحسبه وقالوا مالنا لنرى  
 رجلا كأن عدهم من الاشرار  
 اتخذناهم خيرا أم زاعجت عنهم  
 الابصار هذا اخبار عن الكفار  
 في النار أنهم يفتقدون رجلا كانوا

تذكرون) تذكرا اعتبار حتى تعلموا حقيقة الحال قال الواحدى ليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذرو ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياه عن الهدى حتى أخبرانه ختم على سمعه وقلبه وبصره ثم بين سبحانه بعض جهالاتهم وضلالاتهم فقال (وقالوا) أى منكمرو البعث (ماهى الاحياءنا الدنيا) أى ما الحياة الا الحياة التى نحن فيها (نموت ونحيا) أى يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نموت ونحن ونحيا فيها أولادنا وقيل نكون نطفاميتة ثم نصير أحياء وقيل فى الآية تقديم وتأخير أى نحيا ونموت وكذا قرأ ابن مسعود وعلى كل تقدير فإرادهم بهذه المقالة انكار البعث وتكذيب الآخرة وقيل هذا من كلام من يقول بالتناسخ أى يموت الرجل ثم تجعل روحه فى موات فيصيا به (وما يهلكنا الا الدهر) أى مرور الليالى والايام والدهر فى الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وفى القاموس دهرهم أمر كمنع نزل بهم مكره فهم مدهور بهم ومدهورون وقرئ الادهر يمر قال مجاهد يعنى السنين والايام انتهى كأنوا يزعمون ان مرورها هو المؤثر فى هلاك النفس وينكرون ملك الموت وقبض الارواح باذن الله وكانوا يضيفون كل حادثه تحدث الى الدهر والزمان ألا ترى ان أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان وقال قتادة الا العمر والمعنى واحد وقال قطرب المعنى وما يهلكنا الا الموت وقال عكرمة وما يهلكنا الا الله عن أنى هريرة قال كان أهل الجاهلية يقولون انما يهلكنا الليل والنهار وهو الذى يحيننا ويميتنا فيسبون الدهر فقال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر يسدى الأمر أقلب الليل والنهار وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديثه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم الحديث وفى الموطأ عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فان الله هو الدهر وقد استدلل بهذا الحديث من قال ان الدهر من أسماء الله تعالى ومرادهم بهذا الحصر انكار ان يكون الموت بواسطة ملك الموت وازافة الحوادث الى الدهر والزمان وان المؤثر فى هلاك النفس هو مرور الايام والليالى (وما لهم بذلك) أى بنسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق به اعلى الاستقلال (من علم) ثم بين كون ذلك صادرا منهم لانه علم فقال (انهم الا يظنون) أى ما هم الا قوم غايه ما عندهم الظن فياتى كما هو الابوه ولا يستندون الا اليه (واداتلى عليهم آياتنا بينات) أى اذا تليت آيات القرآن على المشركين حال كونها واضحات ظاهرة المعنى والدلالة على البعث أو مبيينات لما يخالف معتقدتهم قاله الكرخى (ما كان حجتهم الا ان قالوا اتوا باياتنا) أحياء (ان كنتم صادقين) انما نبعت بعد الموت أى ما كان لهم حجة ولا تمسك ولا متشبث يتعلقون ويعارضون به الا هذا القول الباطل الذى ليس من الحجة فى شئ وانما سماه حجة مع انه ليس بحجة لانهم أدلوا به كما يدلى المحجج بحجته وساقوه مساقها فسمى حجة على سبيل التمسك أولانه فى حسابهم وتقديرهم حجة ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يرد عليهم فقال (قل الله يحييكم فى الدنيا ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يجمعكم الى) أى فى (يوم القيامة) بالبعث

يعتقدون انهم على الضلالة وهم المؤمنون فى زعمهم قالوا ما لنا انزاهم معنا فى النار قال مجاهد هذا قول أبى جهل يقول ما لى أبى بلالا وعمرا وصهيبا وفلانا وفلانا وهذا ضرب مثل والافضل الكفار هذا حالهم يعتقدون ان المؤمنين يدخلون النار فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم فقالوا ما لنا انزى رجالا كنا نعتد منهم من الاشرار أخذناهم سخريا أى فى الدار الدنيا أم زاعت



والنشور (لاريب فيسه) أى في جمعكم لان من قدر على ابتداء الخلق قدر على اعادته وفي  
 هذا رد لقولهم وما يهلكنا الا الدهر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) بذلك لاعراضهم عن  
 التفكير بالدلائل فلهذا حصل معهم الشك في البعث وجاءوا في دفعه بما هو أوهن من بيت  
 العنكبوت ولو نظر واحق النظر لخصوا على العلم اليقين وان دفع عنهم الريب وأراحوا  
 أنفسهم من ورطة الشك والحيرة ثم لما ذكر سبحانه ما احتج به المشركون وما أجاب به عليهم  
 ذكر اختصاصه بالملك فقال (ولله ملك السموات والارض) أى هو المتصرف فيهما وحده  
 كما أراد لا يشاركه أحد من عباده وهو شامل للاحياء والاماتة المذكورين قبله وللجمع  
 والبعث وللغاطبين وغيرهم ثم وعد أهل الباطل فقال (ويوم تقوم الساعة يومئذ  
 يحسر المبطلون) أى المكذبون الكافرون المتعلقون بالباطل يظهر في ذلك اليوم  
 خسرا منهم لانهم يصيرون الى النار والعامل في يوم هو يسر ويومئذ تبدل منه والتنوين  
 عوض عن المضاف اليه المدلول عليه بما أضيف اليه المبدل منه فيكون التقدير يوم  
 تقوم الساعة يوم تقوم الساعة فيكون بدلا لا كبداء والاولى أن يكون العامل في يوم هو  
 ملك أى والله ملك يوم تقوم الساعة ويكون يومئذ معمولا بالخسر والجملة مستأنفة من  
 حيث اللفظ وان كان لها تعلق بما قبلها من حيث المعنى أفاده السمين وقال الفتازنى  
 وهذا بالتأ كيد أشبه وأتى بتأنى ان هذا مقصود بالنسبة دون الاول وقال الحفناوى اليوم  
 في البديل بمعنى الوقت والمعنى وقت ان تقوم الساعة وتحشر الموتى فيه وهو جزء من يوم  
 تقوم الساعة فانه يوم متسع مبدؤه من النفخة الاولى فهو بدل البعض والعامد مقدر ولما  
 كان خسرا منهم وقت حشرهم كان هو المقصود بالنسبة (وترى كل أمة) الخطاب لكل  
 من يصلح له أو للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والامة الملة والرؤية بصرية او علمية وفيه بعد  
 ومعنى قوله (جائية) مستوفزة والمستوفز الذى لا يصيب الارض منه الا ركبتاه وأطراف  
 أنامله قال الضحاك وذلك عند الحساب وقيل معنى جائية مجتمعة قاله ابن عباس وقال  
 الفراء المعنى وترى أهل كل دين مجتمعين وقال عكرمة متميزة عن غيرها وقال مؤرج  
 معناه باغثة قريش خاضعة وقال الحسن بركة على الركب والجثو الجلوس على الركب  
 تقول جثنا يجثو ويجثي جثوا وجثيا اذا جلس على ركبتيه والاولى أولى ولا ينافيه ورود  
 هذا اللفظ المعنى آخر فى لسان العرب وقد ورد اطلاق الجثوة على الجماعة من كل شئ فى لغة  
 العرب وعن عبد الله بن باباه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأتى أراكم  
 بالكوم دون جهنم جائين ثم قرأ سفيان هذه الآية أخرجه البيهقي فى البعث وعبد الله بن  
 احمد فى زوائد الزهد وابن أبى حاتم وسعيد بن منصور وعن ابن عمر فى الآية قال كل أمة مع  
 نبيا حتى يجي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كوم قد علا الخلاق فذلك المقام  
 المحمود وظاهر الآية ان هذه الصفة تكون لكل أمة من الامم من غير فرق بين أهل الاديان  
 المتبعين للرسول وغيرهم من أهل الشرك وقال يحيى بن سلام هو خاص بالكفار والاول  
 أولى ويؤيده قوله (كل أمة تدعى الى كتابها) وقوله فيما سياتى فأما الذين آمنوا والذين

عنهم الابصار يسألون أنفسهم  
 بالتحال يقولون أو اعلمهم معنا فى  
 جهنم ولكن لم يقع بصرا عليهم  
 فعند ذلك يعرفون انهم فى الدرجات  
 العاليات وهو قوله عز وجل ونادى  
 أصحاب الجنة أصحاب النار ان قد  
 وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم  
 ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن  
 مؤذن بينهم ان لعنة الله على  
 الظالمين الى قوله ادخلوا الجنة

الى كتابها الى الكتاب المنزل عليها وقيل الى صحيفة أعمالها وقيل الى حسابها وقيل اللوح  
المحفوظ والاول اولى قرأ الجهور كل أمة بالرفع على الابتداء وخبره تدعى وقرئ بالنصب  
على البدل من كل أمة (اليوم) أى يقال لهم اليوم (تجزون ما كنتم تعملون) من خير  
وشر (هذا كتابنا) لامنفاة بين هذا وقوله كتابها لانه كتابهم بمعنى انه مشتمل على أعمالهم  
وكتاب الله بمعنى انه هو الذى أمر الملائكة بكتبه واليه أشار فى التقرير قاله الكرخي  
(ينطق عليكم) بما عمتم (بالحق) بلا زيادة ونقصان وهذا من تمام ما يقال لهم والقائل  
بهذا هم الملائكة وقيل هو من قول الله سبحانه أى يشهد عليهم وهو استعارة يقال نطق  
الكتاب بكذا أى بين وقيل انهم يقرؤنه فيذكرونها لو افكانه نطق عليهم دليله قوله  
تعالى ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال ابن  
عباس هو أم الكتاب فيه أعمال بنى آدم وقيل هو ديوان الحفظه ومحل ينطق النصب على  
الحال أو الرفع على انه خبر آخر لاسم الإشارة وجملة (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)  
تعليل للنطق بالحق أى نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم أى بكتبتها وتثبيتها عليكم وليس  
المراد بالنسخ ابطال شئ واقامة آخر مقامه اذ ورد ان الملك اذا صعد بالعمل يوم بالمقابلة  
على ما فى اللوح قال الواحد رى وأكثرا مفسر بن على ان هذا الاستنساخ من اللوح  
المحفوظ فان الملائكة تكتب منه كل عام ما يكون من أعمال بنى آدم فيجدون ذلك موافقا  
لما يعملونه قالوا لان الاستنساخ لا يكون الا من أصل وقيل ان الملائكة تكتب كل يوم  
ما يعمله العبد فاذا رجعوا الى مكانهم نسخوا منه الحسنات والسيئات وتركوا المباحات  
وقيل ان الملائكة اذا رفعت أعمال العباد الى الله سبحانه أمر عز وجل ان يثبت عنده  
منها ما فيه ثواب وعقاب ويسقط منها ما لا ثواب فيه ولا عقاب وقال ابن عباس الملائكة  
يستنسخون أعمال بنى آدم فقام رجل فقال يا ابن عباس ما كثرى هذا تكتبه الملائكة  
فى كل يوم وليلة فقال انكم لستم قوما عر باهل يستنسخ الشئ الا من كذب وعنى بن  
أبى طالب ان الله ملائكة ينزلون كل يوم بشئ يكتبون فيه أعمال بنى آدم وعنى ابن عمر  
نحو ما روى عن ابن عباس وعن ابن عباس فى الآية قال يستنسخ الحفظه من أم  
الكتاب ما يعمل بنو آدم فانما يعمل الانسان ما استنسخ الملك من أم الكتاب وأخرج نحوه  
الحاكم عنه وصححه وأخرج الطبرانى عنه أيضا فى الآية قال ان الله وكل ملائكة يستنسخون  
من ذلك العام فى رمضان ليلة القدر ما يكون فى الارض من حديث الى مثلها من السنة  
المقبلة فاستعارضون به حفظة الله على العباد عشية كل خميس فيجدون ما رفع الحفظه  
موافقا لما فى كتابهم ذلك ليس فيه زيادة ولا نقصان (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
فيسدخ لهم ربهم فى رحمة) التى من جملتها الجنة قاله البيضاوى وهذا تفصيل لحال  
الفریقين فالمؤمنون يدخلهم الله برحمته الجنة وفسر المحلى كالزنجشبرى الرحمة بنفس  
الجنة وهو أظهر (ذلك) الادخال فى رحمة (هو الفوز المين) أى انظار الواضح لخلوصه  
عن الاكدار والشوائب التى تحاطه (وأما الذين كفروا) فيقال لهم (أفلم تكن آياتي)

لاخوف عليكم ولا أنتم تجزون  
وقوله تعالى ان ذلك لحق تحاصم  
أهل النار أى ان هذا الذى أخبرناك  
به يا محمد من تحاصم أهل النار  
بعضهم فى بعض ولعن بعضهم لبعض  
لحق لا هرية فيه ولا شك (قل انما أنا  
مذرور وما من اله الا الله الواحد القهار  
رب السموات والارض وما بينهما  
العزير الغفار قل هو نبأ عظيم أنتم عنه

أى القرآن (تلى عليكم) الاستفهام للتوبيخ لان الرسل قد أنتمم وتلت عليهم آيات الله  
 فكذبوا ولم يعملوا بها (فاستكبرتم) أى تكبرتم عن قبولها وعن الايمان بها (وكنتم قوما  
 مجرمين) أى من أهل الأجرام وهى الآثام والاحترام الاكتساب يقال فلان جريمة أهله  
 اذا كان كاسيهم فالمجرم من كسب الآثام بفعل المعاصى (و) كنتم (اذ قيل) لكم أيها  
 الكفار (ان وعد الله حق) أى وعده بالبعث والحساب والجزاء أو بجميع ما وعده من  
 الامور المستقبله واقع لاحتماله والعمامة على كسر الهمزة لانها محكية بالقول وقرئ به فتحها  
 وذلك مخرج على لغة سليم يجرون القول مجرى الظن مطلقا قاله السمين (والساعة) قرأ  
 الجمهور بالرفع على الابتداء أو العطف على موضع اسم ان وقرئ بالنصب على اسم ان  
 أى القيامة (لارىب فيها) أى فى وقوعها (قلتم) استغرابا واستبعادا وانكارا لها  
 (ماندرى ما الساعة) أى أى شىء (ان نظن الاظنا) أى نخدس حدسا وتوهم توهما قال  
 المبرد تقديره ان نحن الاظن ظنا وقيل التقدير ان ظن الا انكم تظنون ظنا وقيل  
 ان ظن مضمين معنى نعتقد أى مانعتقد الاظنا لعلمنا وقيل ان ظناله صفة مقدرة أى  
 الاظنا يينا وقيل ان الظن يكون معنى العلم والشك فكأنهم قالوا مالنا اعتقاد الا الشك  
 وجعل ذلك قول بعضهم تحير وايين ما سمعوا من آياتهم وماتلى عليهم فى أمر الساعة (وما نحن  
 بمستيقنين) أى لم يكن لنا يقين بذلك ولم يكن معنا الا مجرد الظن ان الساعة آتية (وبداهم  
 سيات ما عملوا) أى ظهر لهم سيات أعمالهم على الصورة التى هى عليها أى جزاؤها  
 (وحاف بهم ما كانوا يستهزؤن) أحاط بهم ونزل عليهم جزاء أعمالهم بدخولهم النار (وقيل  
 اليوم نساكم كما كنسيتم لنا يومكم هذا) أى تترككم فى النار كما تركتم العمل لهذا اليوم  
 والنسيان أريد به الترتك مجازا ما بعلاقة السببية أو تشبيهه فى عدم المبالاة وأضاف اللقاء  
 الى اليوم توسعا لانه وأضاف الى الشىء ما هو واقع فيه ككر الليل (وما أواكم النار) أى  
 مسكنكم ومستقركم الذى تأوون اليه (وما لكم من ناصرين) ينصرونكم فيمنعون  
 عنكم العذاب (ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا) أى ذلك العذاب العظيم بسبب  
 انكم اتخذتم القرآن هزوا ولعبا (وغرتكم الحياة الدنيا) أى خدعتكم بزخارفها  
 وأباطيلها فظنتم انه لا دار غيرها ولا بعث ولا نشور (فاليوم لا يخرجون منها) أى من النار  
 قرأ الجمهور بضم الياء وفتح الراء مبنيا للمنعول وقرئ بفتح الياء وضم الراء مبنيا للفاعل  
 وهما سبعيتان والالتفات من الخطاب الى الغيبة لتحقيرهم واللايدان باسقاطهم عن رتبة  
 الخطاب (ولا هم يستعجبون) أى لا يسترضون ولا يطلب منهم الرجوع الى طاعة الله لانه  
 يوم لا تقبل فيه توبة ولا تنفع فيه معذرة (فله الحمد) أى الوصف بالجلل على وفاء وعده  
 فى المكذبين (رب السموات ورب الارض رب العالمين) أى خالق ما ذكر لا يستحق الحمد  
 سواه والعالم ما سوى الله وجمع لاختلاف أنواعه قرأ الجمهور رب فى المواضع الثلاثة بالجر  
 على التثنية للاسم الشريف أو البيان أو البدل وقرئ بالرفع فى الثلاثة على تقدير مبتدأ  
 أى هو رب السموات الخ (وله الكبرياء فى السموات والارض) أى الجلال والعظمة

معرضون ما كانلى من علم بالملأ  
 الاعلى اذ يختصمون ان يوسى الى  
 الأئمة أنذار ميمين) يقول تعالى  
 أمر ارسوله صلى الله عليه وسلم أن  
 يقول للكفار بالله المشركين به  
 المكذبين لرسوله إنما أنا منسذ  
 لست كاتزعمون وما من اله الا الله  
 الواحد القهار اى هو وحده قد قهر  
 كل شىء وغلبه رب السموات  
 والارض وما بينهما ما أى هو مالك  
 جميع ذلك ومتصرف فيه العزيز

والسلطان وخص السموات والارض اظهورا ثار ذلك فيهما وهو القهر والتصرف لانفسها لانها صفة ذاتية للرب تعالى واطهارهما في موضع الاضمار لتفخيم شأن الكبرياء (وهو العزيز الحكيم) أي العزيز في سلطانه فلا يغالبه مغالب والحكيم في كل أفعاله وأقواله وجميع أفضيته عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تبارك وتعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازارى فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار أخرجه ابن أبي شيبة ومسلم وأبو داود وابن ماجه والبيهقي

\* (سورة الاحقاف هي أربع وخمسة وثلاثون آية) \*

وهذا الاختلاف مبنى على ان حم آية أولاهي مكية قال القرطبي في قول جميعهم قال ابن عباس وابن الزبير نزلت بمكة وقال المحلى الأقل رأيتم ان كان من عند الله الآية والافاصبر كما صبر أولو العزم والاووصينا الانسان بوالديه الثلاث أي آخرها قوله الأساطير الأولين وعن ابن مسعود قال أقرأتني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة الاحقاف وأقرأها آخر خالف قراءته فقلت من أقرأها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت والله لقد أقرأتني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير ذاتنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله ألم تقرتني كذا وكذا قال بلى وقال الاستحرام تقرتني كذا وكذا قال بلى فتمعرو وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي اقرأ كل واحد منكما مع فاتمها لك من كان قبلكم بالاختلاف والاحقاف وادبا لمن كانت عاقبه منازل عاد وقبل جمع حقف وهو التل من الرمل

\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \* (حم) الله أعلم بمراده به وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى وبيان ما هو الحق من ان فواتح السور من المتشابه الذي يجب ان يوكل علمه الى من أنزله (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما من المخلوقات بأسرها (الاباحق) ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا هو استثناء مفرغ من أعم الاحوال أي المخلوق المتلبس بالحق الذي تقتضيه المشيئة الالهية (واجل) أي بتقدير أجل (مسمى) وهذا الاجل هو يوم القيامة فانها تنتهي فيه السموات والارض وما بينهما وتبدل الارض غير الارض والسموات وقيل المراد به هوانتها أجل كل فرد من افراد المخلوقات والاول أولى وهذا اشارة الى قيام الساعة وانقضاء مدة الدنيا وان الله لم يخلق خلقه باطلا وعشما لغير شيء بل خلقه للنواب والعقاب (والذين كفروا عما أنذروا) وخوفوا به في السر ان من البعث والحساب والجزاء والعذاب (معرضون) والجله في محمل نصب على الحال أي والحال انهم مولون غير مستعدين له ولا مؤمنين به (قل رأيتم) أخبروني (ماتدعون) وتعبدون (من دون الله) من الاصنام وغيرها (أروني) يحتمل ان يكون تأ كيد القول قل رأيتم أي أخبروني أروني والمفعول الثاني لأ رأيتم قوله (ماذا) أي أي شيء (خلقوا من الارض) ويحتمل ان لا يكون تأ كيد بل يكون هذا من باب التنازع لان رأيتم يطلب مفعولا ثانيا أو أروني كذلك (أم لهم شرك في السموات) أم منقطعة مقدرة

الغفار أي غفار مع عظمته وعزته قل هو نبأ عظيم أي خبر عظيم وشأن بليغ وهو ارسال الله تعالى ابى اليكم ثم أنتم عنه معرضون أي غافلون قال مجاهد وشريح القاضي والسدى في قوله عز وجل قل هو نبأ عظيم يعني القرآن وقوله تعالى ما كان لى من علم بالملا الأعلى اذ يختصمون أي لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملا الأعلى يعني في شأن آدم عليه الصلاة

بيل والهمزة والمعنى بل ألهم شركه مع الله فيها والاستفهام للتوبيخ والتقريع وتخصيص  
الشرك بالسماوات دون ان يعمم بالارض أيضا احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد  
الحوادث السفلية (اي توفى بكتاب) منزل هذا من جملة المقول والامر بتكيت لهم  
واظهار العجزهم وقصورهم عن الايمان بذلك واشارة الى نفي الدليل المنقول بعد الاشارة الى  
نفي الدليل المعقول (من قبل هذا) أي القرآن فانه قد صرح ببطلان الشرك وان الله  
واحد لا شريك له وان الساعة حق لا ريب فيها فهل للمشركين كتاب يخالف هذا الكتاب  
أو حجة تنافي هذه الحجة (أو اشارة من علم) قال في الصحاح أي بقية منه وكذا الاثرية بالتحريك  
قال ابن تيمية أي بقية من علم الاولين وقال القراء والمبرد يعني ما يؤثر عن كتب الاولين  
قال الواحدي وهو معنى قول المفسرين قال عطاء أوشى تأثره عن نبي كان قبل محمد  
صلى الله عليه وآله وسلم قال مقاتل أو رواه من علم عن الانبياء وقال الزجاج أو اشارة أي  
علامة والاثارة مصدر كالمساحة والشجاعة وأصل الكلمة من الاثر وهي الرواية يقال  
أثرت الحديث أثره أو اثاره واثرا اذا ذكرته عن غيرك قرأ الجمهور اثاره على المصدر  
كالمساحة والغواية وقرأ ابن عباس وزيد بن علي وغيرهما بفتح الهمزة والياء أثره من غير  
ألف وقرئ أثره بضم الهمزة وسكون الياء قال ابن عباس أو اثاره من علم أي خط أخرجه  
أحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم قال سفيان لأعلم الا عن النبي صلى الله عليه وآله  
وسلم يعني ان هذا الحديث مرفوع لا موقوف على ابن عباس وعن أبي هريرة قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان نبي من الانبياء يخط فن صادف مثل خطه علم  
أخرجه عبد بن حميد وابن مردويه ومعنى هذا ثابت في الصحيح ولاهل العلم فيه تفاسير  
مختلفة ومن أين لنا ان هذه الخطوط الرملية موافقة لذلك الخط وأين السند الصحيح الى  
ذلك النبي أو الى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ان هذا الخط هو على صورة كذا فليس  
ما يفعله أهل الرمل الاجهالات وضلالات وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله  
وسلم أو اثاره من علم قال حسن الخط أخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس قال خط كان  
تخطه العرب في الارض وعنه قال بينه من العلم (ان كنتم صادقين) في دعواكم التي  
تدعونها وهي قولكم ان الله شريكاً أو ان الله أمركم بعبادة الاوثان ولم يأوتوا بشئ من  
ذلك فتبين بطلان قولهم لقيام البرهان العقلي والنقل على خلافه (ومن اضل ممن يدعو من  
دون الله من لا يستجيب له) أي لا احد أضل منه ولا أجهل فانه دعاء من لا يسمع فكيف  
يطمع في الاجابة فضلا عن جلب نفع أو دفع ضرر فتبين بهذا انه أجهل الجاهلين وأضل  
الضالين والاستفهام للتوبيخ والتقريع (الي يوم القيامة) غاية لعدم الاستجابة والمراد  
بها التأييد كقوله تعالى وان عليك لعنتي الي يوم الدين قاله الشهاب وقال في الانتصاف  
في هذه الغاية نكتة وهي انه تعالى جعل عدم الاستجابة مغيا بيوم القيامة فاشعرت  
الغاية بانتفاء الاستجابة في يوم القيامة على وجهه أبلغ وأتم وأوضح وضوحاً لحقه بالبين  
الذي لا يتعرض لذكره اذ هنالك تجد العداوة والمباينة بينها وبين عابديها (وهم عن

والسلام وامتناع ابليل من  
السجود له ومحاجته ربه في تفضيله  
عليه فأما الحديث الذي رواه الامام  
أحمد حيث قال حدثنا أبو سعيد  
مولي بن هاشم حدثنا جهضم  
اليماني عن يحيى بن أبي كثير عن  
زيد بن أبي سلام عن أبي سلام عن  
عبد الرحمن بن عائش عن مالك بن  
يخامر عن معاذ رضي الله عنه قال  
احتبس علينا رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ذات غداة عن صلاة

دعاهم غافلون) الضمير الاول للاصنام والثاني لعابديها والمعنى الاصنام التي يدعونها  
 غافلون عن ذلك لا يسمعون ولا يعقلون لكنهم بجادات فالغفلة مجاز عن عدم الفهم فيهم  
 والجمع في الضمير باعتبار معنى من وأجرى على الاصنام ما هو للعقلاء لا اعتقاد المشركين  
 فيها انها تعقل (واذا حشر الناس) العابدون للاصنام (كانوا) اي كان الاصنام لهم  
 أي لعابديهم (أعداء) يبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا وقد قيل ان الله يخلق  
 الحياة في الاصنام فتكذبهم وقيل المراد انهم اتكذبهم وتعاديمهم بلسان الحال لا بلسان  
 المقال وأما الملائكة والمسح وعزير والشياطين فانهم يبرؤون من عبدتهم يوم القيامة كفاي  
 قوله تعالى تبرا ناليد ما كانوا ايانا يعبدون (وكانوا بعبادتهم كافرين) أي كان  
 المعبودون بعبادة المشركين اياهم جاحدين مكذبين وقيل الضمير في كانوا للعابدين كفاي  
 قوله والله ربنا ما كنا مشركين والاول أولى (واذا تلى عليهم آياتنا) اي آيات القرآن حال  
 كونها (بينات) واضحات المعاني ظاهرات الدلالات (قال الذين كفروا للحق) أي لاجله  
 وفي شأنه وهو عبارة عن الايات كما قاله القاضي كالكشاف واليه أشار في التقرير  
 ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلوع عليهم للتسجيل عليهم بالحق  
 وعليهم بالكفر والانهم مالك في الضلالة كما يؤخذ ذلك من تقريره وايضا حاه انه هنا أقام  
 ظاهرين مقام مضميرين اذا اصل قالوا لها اي للآيات ولكنه أبرزهما ظاهرين لاجل  
 الوصفين المذكورين افاده الكرخي (لمجاهم) أي وقت أن جاءهم قالوا من غير نظر  
 وتأمل (هذا سحرمين) أي ظاهر السحرية بين البطلان (أم يقولون افتراه) أم هي  
 المنقطعة المقدرة بسبل والههزة أي بل أي يقولون والاستفهام للانكار والتعجب من  
 صنيعهم وبل للانتقال عن تسميتهم الآيات سحر الى قولهم ان رسول الله افتري ما جاء به  
 والظاهر ان الافتراء على الله اشنع من السحر لا يحتاج الى البيان وان كان كلاهما كفرا  
 وفي ذلك من التوبيخ والتقرير ما لا يخفى ثم أمره الله سبحانه ان يجيب عنهم فقال (قل  
 ان افتريته) على سبيل الفرض والتقدير كما تدعون (فلا تملكون لي من الله شيئا) أي فلا  
 تقدرون على ان تردوا عني عقاب الله فكيف افتري على الله لاجلكم وأنتم لا تقدرون  
 على دفع عقابه عني (هو اعلم بما تفيضون فيه) أي تخوضون فيه من التكذيب  
 والافاضة في الشيء الخوض والاندفاع فيه يقال افاضوا في الحديث أي اندفعوا فيه  
 وافاض البعير اذا دفع جرت به من كرشه والمعنى الله اعلم بما تقولون في القرآن وتخوضون  
 فيه من التكذيب والقول بانه سحر وكهانة (كفى به شهيدا بيني وبينكم) فانه يشهد لي  
 بان القرآن من عنده وانى قد بلغتكم ويشهد عليكم بالتكذيب والجحود وفي هذا وعيد  
 شديد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) لمن تاب وآمن وصدق بالقرآن وعمل بما فيه أي  
 كثير الرحمة والمغفرة بليغهما وفيه اشعار بحلم الله عنهم مع عظيم جرمهم (قل ما كنت  
 بدعاً من الرسل) البدع من كل شيء المبدأ أي ما أتى بأول رسول كذا قال ابن عباس يعني قد  
 بعث الله قبلي كثيرا من الرسل وقيل البدع بمعنى البدع كالحف والخفيف والبدع مالم

الصبح حتى كذنا تراه في قرن الشمس  
 نخرج صلى الله عليه وسلم سريعا  
 فتوب بالصلاة فصلى ويجوز في صلته  
 فلما سلم قال صلى الله عليه وسلم كما  
 أنتم ثم أقبل اليها فقال اني قت من  
 الليل فصليت ما قدر لي فنعست  
 في صلاتي حتى استمعت فاذا أنا  
 بربي عز وجل في أحسن صورة  
 فقال يا محمد أتدري فيم يختصم الملائكة  
 الأعلى قلت لا أدري يا رب اعادها  
 ثلاثا فأرأيت وضع كفه بين كتفي حتى

ير له مثل من الابتداع وهو الاختراع وشيء بدع بالكسراى مبتدع وفلان بدع في هذا الامر أى بديع كذا قال الاخفش وقرئ بدعا بفتح الدال مصدر على تقدير حذف مضاف أى ما كنت ذابذع قاله أبو البقاء وقرئ بفتح الباء وكسر الدال على الوصف كحذر (وما أدري ما يفعل بي) فيما يستقبل من الزمان هل أبقي في مكة أو أخرج منها وهل أموت أو أقتل كما فعل بالانبياء قبلى قرئ يفعل مبنيا للمفعول وللفاعل وما استهفها مية كما جرى عليه المحنى أو موصولة كما قال الزمخشري (ولا) أدري ما يفعل (بكم) يعنى هل تعجل لكم العقوبة كالمكذبين قبلكم أم تهملون وهذا انما هو في الدنيا وأما في الآخرة فقد علم انه وأمتة في الجنة وان الكافرين في النار وقيل ان المعنى ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة وانها المنزلة قدح المشركون وقالوا كيف تتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا واننا لافضل له علينا فنزل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والا قول أولى قال ابن عباس رضى الله عنه فأ نزل الله تعالى بعد هذا ليغفر لك الله الخ وقوله ليس دخل المؤمنين والمؤمنات جنات الآيه فاعلم الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ما يفعل به وبالمؤمنين جميعا وأرغم الله أنف الكفار وأخرج ابوداود في ناسخه ان هذه الآيه منسوخة بقوله ليغفر لك الله وقد ثبت في صحيح البخارى وغيره من حديث أم العلاء قالت لما مات عثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنه قلت رجلك الله يا أبا السائب شه ادنى عليك لقد اكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يدريك ان الله اكرمه اما هو فقد جاءه اليقين من ربه وانى لارجوه الخير وما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم قالت أم العلاء فوالله لأزكى بعده أحدا (ان أتبع الاما يوحى الى) قرأ الجمهور مبنيا للمفعول أى ما أتبع القرآن ولا ابتدع من عندى شيئا والمعنى قصر افعاله صلى الله عليه وآله وسلم على الوحي لا قصر اتباعه على الوحي (وما أنا بالانذير مبين) أى أنذركم عقاب الله واخوفكم عذابه على وجه الايضاح (قل أرأيتم) أى أخبروني ماذا حالكم (ان كان ما يوحى الى من القرآن (من عند الله) وقيل المراد محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى ان كان من سلام من عند الله في الحقيقة (و) الحال انكم قد كفرتم به وشهدت شاهد من بنى اسرائيل) العالمين بما أنزل الله في التوراة (على مثله فآمن) أى على مثل القرآن من المعانى الموجودة في التوراة المطابقة له من اثبات التوحيد والبعث والنشور وغير ذلك وهذه المثلية هي باعتبار تطابق المعانى وان اختلفت الالفاظ قال الجرجاني مثل صلة والمعنى وشهد شاهد عليه انه من عند الله وكذا قال الواحدي فآمن الشاهد بالقرآن لما تبين له انه من كلام الله ومن جنس ما ينزله على رسله وهذا الشاهد من بنى اسرائيل هو عبد الله بن سلام كما قال الحسن ومجاهد وقتادة وعكرمة وغيرهم وفي هذا نظر فان السورة مكية بالاجماع وعبد الله بن سلام كان اسلامه بعد الهجرة فيكون المراد بالشاهد رجلا من أهل الكتاب قد آمن بالقرآن في مكة وصدقه واختار هذا ابن جرير والراجح انه عبد الله بن سلام وان هذه الآيه مدنية لامكية وروى عن مسروق ان المراد بالرجل موسى عليه

وجدت برداً نامله بين صدرى فتجلى  
لى كل شئ وعرفت فقال يا محمد فيم  
يختصم المسلا الاعلى قلت فى  
الكنارات قال وما الكفارات  
قلت نقييل الاقدام الى الجماعات  
والجلوس فى المساجد بعد الصلوات  
واسسباغ الوضوء عند الكريهات  
قال وما الدرجات قلت اطعام الطعام  
ولين الكلام والصلوة والناس نيام

قال سل قلت اللهم اني أسألك فعل  
الخيرات وترك المنكرات وحب  
المساكين وان تعفر لي وترحمني واذا  
أردت فتنة بقوم فتوفني غير مقتون  
وأسألك حبك وحب من يحبك  
وحب عمل يقر بى الى حبك وقال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها  
حق فادرسوها وتعلموها فهو حديث  
المنام المشهور ومن جعله يقظة

السلام وشهادته ما في التوراة من نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخرج البخارى  
ومسلم وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
يقول لأحد عيسى على وجه الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت  
وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله وأخرج الترمذى وابن جرير وابن مردويه  
عن عبد الله بن سلام قال نزل في آيات من كتاب الله نزلت في وشهد شاهد من بني اسرائيل  
ونزل في قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وعن ابن عباس قال هو  
عبد الله بن سلام وقد روى نحوه هذا عن جماعة من التابعين وفيه دليل على أن هذه الآية  
مدنية فيخصص بها عموم قولهم ان سورة الاحقاف كلها مكية واياه ذكر الكواشى  
وكونه اخبارا قبل الوقوع خلاف الظاهر ولذا قيل لم يذهب أحد الى أن الآية مكية اذا  
فسر الشاهد بابن سلام وفيه بحث لان قوله وشهد شاهد معطوف على الشرط الذى يصير  
به الماضى مستقبلا فلا ضرر في شهادة الشاهد بعد نزولها وادعاء أنه لم يقل به أحد من  
السلف مع ذكره في شروح الكشاف لوجه له الا أن يراد من السلف المفسرون قاله  
الشهاب (واستكبرتم) أى آمن الشاهد واستكبرتم أنتم عن الايمان وقد اختلف في  
جواب الشرط ما هو فقال الزجاج محذوف تقديره أنؤمنون وقيل تقديره فقد ظلمتم  
لدلالة أن الله لا يهدى الخ عليه وقيل تقديره فى أضل منكم وقيل قوله فآمن واستكبرتم  
وقال أبو على الفارسي تقديره أنؤمنون عقوبة الله وقيل التقدير ألستم ظالمين (ان الله  
لا يهدى القوم الظالمين) فخرهم الله سبحانه الهداية بظلمهم لانفسهم بالكفر بعد قيام  
الحجة الظاهرة على وجوب الايمان ومن فقد هداية الله له ضل عن عوف بن مالك الأشجعي  
قال انطلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمامه حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم  
فكروا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر اليهود ارونى اثني  
عشر رجلا منكم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله يحيط الله عن كل يهودى  
تحت أديم السماء الغضب الذى عليه فسكتوا ثم اجابهم منهم أحد ثم رد عليهم فلم يجبه أحد  
ثلاثا فقال أبيت فوالله لانا الحاشر وأنا العاقب وأنا المقفى آمنتم أو كذبتم ثم انصرف وأنا  
معه حتى كدنا أن نخرج فاذا رجلا من خلفه فقال كما أنت يا محمدا قبل فقال ذلك الرجل  
أى رجل تعلمونى فيكم يا معشر اليهود فقالوا والله ما نعلم فينا رجلا أعلم بكتاب الله ولا أفقه  
منك ولا من أيتك ولا من جلدك فقال فانى أشهد بان الله أنه النبي الذى تجدونهم يتوبانى  
التوراة والانجيل قالوا كذبت ثم ردوا عليه وقالوا شرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم كذبتم ان يقبل منكم قولكم فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله وأنا وابن سلام فانزل  
الله قل أرى يتم ان كان من عند الله الى قوله ان الله لا يهدى القوم الظالمين أخرجه أبو يعلى  
وابن جرير والطبرانى والحاكم وصححه وصححه السيوطى ثم ذكر الله سبحانه نوعا آخر من  
أقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به فقال (وقال الذين كفروا) أى  
كفار مكة (للذين آمنوا) أى لاجلهم وفى حقهم وقيل هى لام التبليغ (لو كان)  
ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن والنبوة (خيرا ما سبقونا اليه) فان معالى



الامور لا تتأهلها أيدي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعماء منهم انهم  
 المستحقون للسبق الى كل مكرمه وان الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية وزل عنهم انها  
 منوطة بكالات نفسانية ومملكات روحانية مبناهما الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية  
 والاقبال على الآخرة بالكلمة وان من فاز بها فقد حازها بجذافيرها ومن حرّم اغفاله منها  
 من خلاق ولم يعلموا ان الله سبحانه يختص برحمته من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء  
 ويصطفى لدينه من يشاء عن قتادة قال قال ناس من المشركين نحن أعز ونحن ونحن فلو  
 كان خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان فنزلت هذه الآية وعن عون بن أبي شداد قال  
 كانت لعمر بن الخطاب آمة أسلمت قبله يقال لها زينة وكان عمر يضربها على الاسلام وكان  
 كفار قريش يتولون لو كان خيرا ما سبقتنا اليه زينة فأنزل الله في شأنها هذه الآية وعن  
 أسمر بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بنو غفار وأسلم كانوا الكثيرين من  
 الناس فتسمة يقولون لو كان خيرا ما جعلهم الله أول الناس فيه (واذ لم يهتدوا به) أي بالقرآن  
 وقيل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل بالايمان (فسيقولون) غير مكتفين بنبي خيرته  
 (هذا افك قديم) بخا وزواني خيرية القرآن الى دعوى انه كذب قديم كما قالوا اساطير  
 الاولين (ومن قبله كتاب موسى) قرأ الجمهور بكسر الميم من من على انها حرف جر وهي  
 مع مجرورها خبر مقدم وكتاب موسى مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب على الخار او  
 مستأنفة والكلام مسوق لدقولهم هذا افك قديم فان كونه قد تقدم القرآن كتاب موسى  
 وهو التوراة وتوافق في أصول الشرائع يدل على انه حق ويقتضى بطلان قولهم وقرئ  
 بفتح الميم على انها موصولة ونصب كتاب أي وآتيناهم من قبله كتاب موسى (اماما) أي يقتدى  
 به في الدين (ورجعة) من الله ان آمن به وهما منتصبان على الحال قاله الزجاج وغيره وقال  
 الاخفش على القطع وقال أبو عبيدة أي جعلناه اماما ورجعة (وهذا كتاب مصدق) يعنى  
 القرآن فانه مصدق لكتاب موسى الذي هو امام ورجعة وغيره من كتب الله وقيل مصدق  
 للنبي صلى الله عليه وآله وسلم واتصاب (لساناعربيا) على الحال الموطئة وصاحبها الضمير  
 في مصدق العائد الى كتاب الله وجوز أبو البقاء أن يكون مفعولا لمصدق والاول أولى  
 وقيل على حذف مضاف أي ذالسان عربي وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل بلسان  
 على اسقاط حرف الجر وهو ضعيف (لينذر الذين ظلموا) أي لينذر الكتاب أولي نذر الله  
 وقيل الرسول والاول أولى قرأ الجمهور بالتحسية وقرئ لتندربا الفوقية على ان فاعله النبي  
 صلى الله عليه وآله وسلم (وبشرى) في محل نصب عطفا على محل لتندربا لانه مفعول به قاله  
 الزمخشري وتبعه أبو البقاء وتقديره للانداز والبشرى وقيل منصوب على المصدرية  
 لفعل محذوف أي وبشر بشرى وقال الزجاج الاجود أن يكون في محل رفع أي وهو  
 بشرى وقيل انه معطوف على مصدق فهو في محل رفع وقوله (للمحسنين) متعلق  
 ببشرى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة  
 لعلم والاستقامة على الشريعة التي هي منتهى العلم وتم للدلالة على تأخر رتبة العمل

فقد غلط وهو في السنن من طرق  
 وهذا الحديث بعينه قدرناه  
 الترمذي من حديث جهضم بن  
 عبد الله اليماني به وقال حسن  
 صحيح وليس هذا الاختصاص هو  
 الاختصاص المذكور في القرآن فان  
 هذا قد فسر وأما الاختصاص الذي  
 في القرآن فقد فسر بعد هذا وهو  
 قوله تعالى (اذ قال ربك للملائكة

وتوقف اعتباره على التوحيد وقد تقدم تفسير هذا في سورة السجدة (فلا خوف عليهم) أي من حقوق مكرهه في الآخرة والقائه زائدة في خبر الموصول لما فيه من معنى الشرط ولم تمنع ان من ذلك لبقاء معنى الاستدعاء بخلاف ليت ولعل وكان (ولا هم يحزنون) على فوات محبوب في الدنيا وان ذلك دائم مستمر (أولئك) الموصوفون بما ذكر (أصحاب الجنة) التي هي دار المؤمنين حال كونهم (خالدين فيها) وفي هذه الآية من الترغيب أمر عظيم فان نفى الخوف والحزن على الدوام والاستمرار في الجنة على الابد مما يتطلب الانفس سواء ولا تشوق الارواح الى معاده (جزءا بما كانوا يعملون) أي يجوزون جزاء بسبب أعمالهم التي عملوها من الطاعات لله وترك معاصيه في الدنيا ولما كان رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما كما ورد به الحديث حدث الله تعالى عليه بقوله (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) قرأ الجمهور بضم الحاء وسكون السين وقرئ بفتحهما وقرئ احسانا وقد تقدم في سورة العنكبوت ووصينا الانسان بوالديه حسنا من غير اختلاف بين القراء وقد تقدم في سورة الانعام وسورة بني اسرائيل وبوالدين احسانا فاعل هذا هو وجه اختلاف القراء هنا وعلى جميعها فتصابه على المصدرية أي وصيئناه أن يحسن اليهما حسنا و احسانا وقيل يتضمن وصيئنا معنى ألزمتنا وقيل على انه مفعول له والحسن خلاف القبح والاحسان خلاف الاساءة والتوصية الامر (حمله أمه كرها ووضعته كرها) تعليل للتوصية المذكورة واقتصر في التعليل على الام لان حقها أعظم ولذلك كان لها ثلثا البر قاله الخطيب قرأ الجمهور كرها بضم الكاف في الموضعين وقرئ بشتمها قال الكسائي وهما الغتان بمعنى واحد قال أبو حاتم الكره بالفتح لا يحسن لانه الغضب والغلبة واختار أبو عبيد الفتح وقال لان لفظ الكره في القرآن كله بالفتح الا التي في سورة البقرة كتب عليكم القتال وهو كره لكم وقيل ان الكره بالضم ما حمل الانسان على نفسه وبالفتح ما حمل على غيره وانما ذكر سبحانه حمل الام ووضعها تاء كيد الوجوب الاحسان اليها الذي وصى الله به والمعنى انها حملته ذات كره ووضعته ذات كره ثم بين سبحانه مدة جماله وفصاله فقال (وجمله وفصاله ثلاثون شهرا) أي عدته ما هذه المدة من عند ابتداء جماله الى أن يفصل من الرضاع أي ينظم عنه وقد استدلت بهذه الآية على ان أقل مدة الحمل ستة أشهر لان مدة الرضاع ستان أي مدة الرضاع الكامل في قوله حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة فذكر سبحانه في هذه الآية أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع وفي هذه الآية إشارة الى أن حق الام آكد من حق الاب لانها حملته بمشقة ووضعته بمشقة وأرضعته هذه المدة بتعب ونصب ولم يشاركها الاب في شيء من ذلك قرأ الجمهور وفصاله بالالف وقرئ فصله بفتح الفاء ويكون الصاد والفصل والنصال بمعنى كلفهم والقطام والقطف والقطاف عن نافع بن جبیر أن ابن عباس أخبره قال اني لصاحب المرأة التي أتى بها عمر وضعت لسته أشهر فأنكر الناس ذلك فقالت لعمر لم تنظلم قال كيف قلت اقرأ وجهه وفصاله ثلاثون شهرا والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين كم الحول قال سنة قلت كم السنة

اني خالق بشر من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم

قال اثنا عشر شهرا قلت فأربعة وعشرون شهرا حولان كاملان ويؤخر الله من الحمل  
 ماشاء ويقدم ماشاء فاستراح عمر الى قولي وعنه انه كان يقول اذا ولدت المرأة لتسعة أشهر  
 كفاها من الرضاع أحد وعشرون شهرا واذا ولدت لسبعة أشهر كفاها من الرضاع ثلاثة  
 وعشرون شهرا واذا وضعت لستة أشهر فحولان كاملان لان الله يقول وحمله وفضاله  
 ثلاثون شهرا (حتى اذا بلغ أشده) أي بلغ استحكام قوته وعقله وغايه شبابه واستوائه وهو  
 جمع لا واحد له من لفظه وكان سيبويه يقول واحد شدة وبلوغ الأشد ان يكتمل ويستوفي  
 السن التي تستحكم فيها قوته ولبه وذلك اذا نأف على الثلاثين وناطح الاربعين وقدمضى  
 تحقيق الأشد مستوفى ولا بد من تقدير جملة تكون حتى غايه لها أي عاش واستمرت حياته  
 وقيل بلغ عمره ثمانى عشرة سنة وقيل الأشد الحلم قاله الشعبي وابن زيد وقال الحسن  
 وهو بلوغ الاربعين والاول أولى لقوله (وبلغ اربعين سنة) فان هذا يفيد ان بلوغ الاربعين  
 هوشى وراء بلوغ الأشد قال المفسرون لم يعث الله نبياقط الا بعد اربعين سنة الابن  
 الخالة (قال رب أوزعني) أي ألهمني ورغبني ووفقني قال الجوهرى استوزعت الله  
 فأوزعني أي استلهمته فألهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي) أي ألهمني شكر  
 ما أنعمت علي من الهداية (وعلى والدي) من التحن على منهما حين ربياني صغيرا وقيل  
 أنعمت علي بالصحة والعافية وعلى والدي بالغبى والثروة (وأن أعمل) عملا (صالحا ترضاه) مني  
 (وأصلح لي في ذريتي) أي اجعل ذريتي صالحين راسخين في الصلاح متمكنين منه وعدى بقى  
 لتضمنه معنى اللطف وهو نزل منزلة اللازم ثم عدى ليفيد سران الصلاح فيهم والا  
 فالاصلاح متعد كما في قوله تعالى وأصلحناله زوجه وفي هذه الآية دليل على انه ينبغي لمن  
 بلغ عمره اربعين سنة ان يستكثر من هذه الدعوات (اني تبت اليك) من ذنوبي (واني من  
 المسلمين) أي المسلمون لك المتقادين لطاعتك المخلصين لتوحيدك (أولئك) اشارة الى  
 الانسان المذكور والجمع لانه راد به الجنس (الذين تقبل عنهم احسن ما عملوا) من أعمال  
 الخير في الدنيا والمراد بالاحسن الحسن كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم فالقبول ليس  
 قاصرا على أفضل عباداتهم وأحسنها بل يع كل طاعتهم فاضلها ومفضلها والقبول هو  
 الرضا بالعمل والاثابة عليه وقيل ان اسم التفضيل على معناه ويراد به ما يثاب العبد عليه  
 من الاعمال لا ما لا يثاب عليه كالباح فانه حسن وليس بأحسن (وتجاوز عن سيئاتهم)  
 فلانعاقبهم عليها قرأ الجمهور يتقبل ويتجاوز على بناء الفعلين للمفعول وقرئ بالنون  
 فيها على اسنادهما الى الله سبحانه والتجاوز الغفران وأصله من جرت الشئ اذا لم تقف  
 عليه (في اصحاب الجنة) أي انهم كانوا في عدادهم منتظمون في سلكهم فالجار والمجرور  
 في محل النصب على الحال كقولك أكرمى الامير في أصحابه أي كائنات في جملتهم وقيل ان  
 في بمعنى مع أي مع اصحاب الجنة وقيل انها خبر مبتدأ محذوف أي هم في اصحاب الجنة  
 (وعد الصدق) مصدر مؤ كد لمضمون الجملة السابقة لان قوله أولئك الذين تقبل عنهم في  
 معنى الوعد بالتقبل والتجاوز ويجوز ان يكون مصدر الفعل محذوف أي ووعدهم الله

وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال  
 رب فانظرنى الى يوم يعثون قال  
 فانك من المنظرين الى يوم الوقت  
 المعلوم قال فبعزتك لا تغوينهم  
 أجمعين الاعبادك منهم المخلصين  
 قال فالحق والحق اقول لا ملائ  
 جهنم منك ومن ربك منهم اجمعين  
 هذه القصة ذكرها الله تبارك  
 وتعالى في سورة البقرة وفي اول سورة

وعد الصدق (الذي كانوا يعدون) به على السن الرسل في الدنيا عن ابن عباس قال أنزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فاستجاب الله له فأسلم والداه جميعا واخوانه وولده كلهم ونزلت فيه أيضا فأما من أعطى واتقى إلى آخر السورة وقال النسفي قيل نزلت في أبي بكر الصديق وفي أبيه أي تخافة وأمه ام الخير وفي أولاده واستجابة دعائه فيهم فإنه آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحدهما من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار أسلم هو ووالداه وبنيه وبناؤه غير أبي بكر رضي الله تعالى عنه ولما ذكر سبحانه من شكر نعمته الله سبحانه عليه وعلى والديه ذكر من قال لهما قول لا يدل على التضجر منهما ما عند دعوتهم ماله إلى الإيمان فقال (والذي قال لو لوالديه أف لك) الموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولهذا أخبر عنه بالجمع وأف كلمة تصدر عن قائلها عند تضجره من شيء مرد عليه قرئ أف بكسر الفاء مع التنوين وقرئ بفتحها من غير تنوين وقرئ بكسر هاء من غير تنوين فالقرآت ثلاثة سبعة والهجرة في الكل مضمومة وقد مضى بيان الكلام على هذا في سورة بني اسرائيل واللام في لك البيان المؤقف له كما في قوله هيت لك وقد أخرج البخاري عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الخجاز استعمله معاوية بن أبي سفيان فخطب بفعل بكسر الهمزة ياء معاوية عليه ما عليه لكي يبايع له بعد أبيه فقال عبد الرحمن بن أبي بكر شياً فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدر واعليه فقال مروان هذا أنزل فيه والذي قال لو لوالديه أف لك فقالت عائشة ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري وعن محمد بن زياد قال لما بايع معاوية لابنائه قال مروان سنة أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فقال عبد الرحمن سنة هرقل وقبصر فقال مروان هذا الذي قال الله فيه والذي قال لو لوالديه أف لك الآية فبلغ ذلك عائشة فقالت كذب مروان والله ما هو به ولو شئت أن أسمي الذي نزلت فيه لسميته ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن أبامروان ومروان في صلبه فرؤان من لعنه الله أخرجه النسائي وعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم وصححه وعن ابن عباس في الآية قال هذا ابن لابي بكر ونحوه عن السدي ولا يصح هذا ويرده ما سيأتي من قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول في أمم والصحيح أنه ليس المراد من الآية شخصاً معيناً بل المراد كل شخص كان موصوفاً بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه إلى الدين الصحيح والإيمان بالبعث فأبى وأنكر وقيل نزلت في كل كافر عاق لوالديه (أتعداني) بنونين محققين وفتح ياء أهل المدينة ومكة وأسكنها الباقون وقرئ بأدغام إحدى النونين في الأخرى وقرئ بفتح النون الأولى فرار من نوالى مثلين مكسورين (أن أخرج) قرأ الجمهور مبنياً للمفعول وقرئ مبنياً للفعل والمعنى أتعداني أن أبعث بعد الموت وهذا هو الموعود به (وقد خلت القرون من قبلي) أي والحال أن قد مضت القرون فأولوا يعث منهم أحد (وهذا يستغيثان الله) لهو يطلبان منه التوفيق إلى الإيمان واستغاثت إحدى بنفسه تارة وبالباخرى يقال استغاث الله واستغاث به

الاعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وههنا وهي ان الله سبحانه وتعالى اعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشر من صلصال من جامسنون وتقدم اليهم بالامر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له اكراما واعظاما واحتراما وامثال الامر الله عز وجل فامتثل الملائكة

وقال الرازي معناه يستغيثان بالله من كفره فلما حذف الجار وصل الفعل وقيل  
 الاستغاثة الدعاء فلا حاجة الى الباء وزعم ابن مالك انه يتعدى بنفسه فقط وعاب قول  
 النجاشي مستغاث به قلت لكنهم لم يرد في القرآن الا معتديا بنفسه اذ تستغيثون ربكم  
 فاستغاثه الذي من شيعته وان يستغيثوا يغاثوا قال الفراء يقال اجاب الله دعاه  
 وغواثه (وياء) اي يقولان له ويالك وليس المراد به الدعاء عليه بل الخت له على الايمان  
 ولهذا قال له (آمن) بالبعث واعترف وصدق (ان وعد الله حق) قرأ الجمهور بكسر الهمزة على  
 الاستئناف والتعليل وقرئ بفتحها أي آمن بان وعد الله حق لا خلف فيه وهو من جملة  
 مقولهم ما (فيقول) عند ذلك مكذبا لما قاله (ما هذا) الذي تقولانه من البعث (الأساطير  
 الاولين) أي احاديثهم وابطالهم التي يسطرونها في الكتب من غير ان تكون لها حقيقة  
 (اولئك) القائلون هذه المقالات هم (الذين حق عليهم القول) اي وجب عليهم العذاب  
 بقوله سبحانه لا بليس لأملأن جهنم منكم وامن تبعك منهم اجمعين كما يفيد قوله (في اعم  
 قد خلت من قبلهم من الجن والانس) وجملة (انهم كانوا خاسرين) تعليل لما قبلها وهذا  
 يدفع كون سبب النزول عبد الرحمن بن ابي بكر وانه الذي قال لو اديه ما قال فانه من افاضل  
 المؤمنين وليس ممن حقت عليه كلمة العذاب (ولكل) اي لكل فريق من الفريقين  
 المؤمنين والكافرين والابرار والفجار من الجن والانس (درجات مما عملوا) أي مراتب  
 عند الله يوم القيامة بأعمالهم قال ابن زيد درجات أهل النار تذهب سفلا ودرجات أهل  
 الجنة تذهب علوا ومراتب أهل النار يقال لها درجات كالتبالكاف كما في الحديث لادرجات  
 والجواب ان ذلك على جهة التعليل والمراد المراتب المطلقة (وليوفهم اعمالهم) أي جزاء  
 أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات  
 والعقاب درجات قرأ الجمهور بالنون وقرئ بالتحسية واختار أبو عبيد الاولي وأبو حاتم  
 الثانية (وهم لا يظلمون) أي لا يزداد مسيء ولا ينقص محسن بل يوفي كل فريق ما يستحقه من  
 خير وشرا والجملة حالية مؤكدة أو مستأنفة مقررمة لما قبلها (ويوم يعرض الذين كفروا على  
 النار) أي اذ كرلهم يا محمد يوم ينكشف الغطاء فينظرون الى النار ويقرءون منها وقيل  
 معنى يعرضون يعذبون من قولهم عرضه على السيف وعرض الشخص على النار أشد في  
 اهائه من عرض النار عليه اذ عرضه عليهم ساقيه انه كالخطب المخلوق للاحتراق وقيل في  
 الكلام قلب والمعنى تعرض النار عليهم (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا) أي يقال لهم  
 ذلك قرأ الجمهور أذهبتم بهمزة واحدة وقرئ بهمزتين محقتين ومعنى الاستفهام  
 التقرير والتوبيخ قال الفراء والزجاج العرب توبخ بالاستفهام وبغيره فالتوبيخ كائن  
 على القراءتين قال الكلي المراد بالطيبات اللذات وما كانوا فيه من المعاش والمعنى  
 ان كل ما قدر لكم من اللذات والطيبات فقد ذهبتم به وأخذتموه وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد  
 استيفاء حظكم منها شيء وقيل المعنى أفنيتم شبايبكم في الكفر والمعاصي قال ابن جرير  
 الطيبات الشبايب والقوة مأخوذة من قولهم ذهب أطيباه أي شبايبه وقوته قال الماوردي

كلهم ذلك سوى ابليس ولم يكن منهم  
 جنسا كان من الجن فخانه طبعه  
 وجبلته أحوج ما كان اليه فاستنكف  
 عن السجود لآدم وخاصم ربه عز  
 وجل فيه وادعى انه خير من آدم فانه  
 مخلوق من نار وادم مخلوق من طين  
 والنار خير من الطين في زعمه وقد  
 أخطأ في ذلك وخالف امر الله تعالى  
 وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل

ووجدت الضحالك قاله أيضا قلت القول الاول أظهر والثاني فيه بعد (واستمتعتم بها) أي  
 بالطيبات والمعنى انهم اتبعوا الشهوات واللذات التي في معاصي الله سبحانه ولم يبالوا بالذنب  
 تكذبا منهم لما جاءت به الرسل من الوعد بالحساب والعقاب والثواب (قال يوم تجزون  
 عذاب الهون) أي العذاب الذي فيه ذلكم وخزي عليكم قال مجاهد وقتادة الهون  
 الهوان بلغة قريش (بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق) أي بسبب تكبركم عن  
 عبادة الله والايان به وتوحيده (وبما كنتم تفسقون) أي تخرجون عن طاعة الله  
 وتعملون بمعاصيه فجعل السبب في عذابهم أمرين التكبر عن اتباع الحق والعمل بمعاصي  
 الله سبحانه وهذا شأن الكفرة فانهم جمعوا بينهما قبل لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
 بالطيبات أثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه والصالحون من بعدهم اجتناب  
 اللذات في الدنيا رجاؤه ثواب الآخرة وفي الباب أخبار وأثر تدل على ذم التمتع (واذكر)  
 يا محمد لقومك (أخاعد) هو هود بن عبد الله بن رياح كان أخاهم في النسب لاني الدين (أذأند  
 قومه) أي وقت انذاره اياهم (بالاحقاف) هي ديار عادي جمع حقف وهو الرمل العظيم  
 المستطيل المعوج قاله الخليل وغيره وكانوا قهروا أهل الارض بقوتهم والمعنى ان الله  
 سبحانه أمره ان يذرك قومه قصتهم ليستعظوا ويحافوا ويعتبروا بها وقيل أمره ان يذرك  
 في نفسه قصتهم مع هود ليقصدى به يومهون عليه تكذيب قومه له قال عطاء الاحقاف  
 رمال بلاد الشحر والشحر قريب من عدن وفي القاموس الشحر كنع فتح القم وساحل  
 البحرين عمان وعدن وقال مقاتل هي باليمن في حضرموت وقال ابن زيد هي رمال  
 مبسوطة مستطيلة مشرفة على البحر كهيئة الجبال ولم تبلغ أن تكون جبالا وقيل  
 الاحقاف ما استدار من الرمل وقال ابن عباس الاحقاف جبل بالشام وقيل وادي بين  
 عمان ومهرة واليه تنسب الابل المهرية وقيل كانوا من قبيلة ارم (وقد دخلت النذر من  
 بين يديه ومن خلفه) أي وقدمت الرسل من قبله ومن بعده كذا قال القراء وغيره والمعنى  
 أعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون بخوانذاره فالذين  
 قبله أربعة آدم وشيث وادريس ونوح والذين بعده كصالح وابراهيم واسحق وكذا  
 سائر انبياء بني اسرائيل (أن) أي بان قال (لا تعبدوا الا الله) وحده (اني أخاف عليكم)  
 تعليل لما قبله (عذاب يوم عظيم) أي هائل بسبب شرككم قاله القاضي وفيه اشارة الى أن  
 عظيم مجاز عن هائل لانه يلزم العظم (قالوا) أي جواب الانذاره (أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا)  
 أي لتصرفنا عن عبادتها وقيل لتزيلنا وقيل لتمنعنا والمعنى متقارب (فأتينا بما تعدنا)  
 من عذاب يوم عظيم (ان كنت من الصادقين) في وعدك لنا به (قال انما العلم) بوقت مجيئه  
 (عند الله) لا عندى ولا مدخل لي فيه فاستعجل به (وأبلغكم) أي وأما انافنا وظيفتى  
 التبليغ (ما أرسلت به) اليكم من ربكم من الانذار والاعذار الا الايمان بالعذاب اذ ليس  
 من مقدورى بل هو من مقدورات الله تعالى (ولكنى أراكم قوما تجهلون) حيث بقيتم  
 مصرين على كفركم ولم تهتدوا بما جئتمكم به بل اقترحتم على ما ليس من وظائف الرسل

وارغم انفه وطرده عن باب رحمة  
 ومحل انسه وحضرة قدسه وسماه  
 ابليس اعلاماله بانه قد ابلس من  
 الرحمة وانزله من السماء مذموما  
 ودحورا الى الارض فسأل الله النظرة  
 الى يوم البعث فانظره الحليم الذي  
 لا يجمل على من عصاه فلما آمن  
 الهلاك الى يوم القيمة ترمد وطني وقال  
 فبعزتك لاغوينهم اجمعين الاعدادك

(فلما رأوه) الضمير يرجع الى ما في قوله بما تعدنا وقال المبرد والزجاج يعود الى غير مذكور  
ويبينه قوله (عارضاً) فيعود الى السحاب أي فلما رأوا السحاب عارضاً فعارضوا نصب على  
التكرير بمعنى التفسير وسمى السحاب عارضاً لانه يبدو في عرض السماء قال ابن عباس  
العارض السحاب وبه قال الجوهري وزاد يعترض في الافق ومنه قوله هذا عارض  
مطرنا واتصاب عارضاً على الحال أو التمييز (مستقبل أوديتهم) أي متوجهاتها نحوها سائر  
اليها قال المفسرون كانت عاد قد حبس عنهم المطر أياما فاساق الله اليهم سحابة سوداء  
فخرجت عليهم من واد لهم يقال له المعتب فلما رأوه مستقبل أوديتهم استبشروا و (قالوا)  
هذا عارض مطرنا أي غيم فيه مطر وقوله مستقبل أوديتهم صفة لعارض لان اضافته  
لفظية لا معنوية فصح وصف السكرته به وهكذا مطرنا فلما قالوا ذلك أجاب عليهم هود  
أو القائل هو الله (بل هو ما استجلبتم به) من العذاب حيث قلتم فائتنا بما تعدنا (ريح فيها  
عذاب أليم) الريح التي عذبوا بها نساء من ذلك السحاب الذي رأوه (تدمر كل شيء بأمر  
ربها) صفة ثانية لريح أي تهلك كل شيء مرت به من نفوس عاد و أموالها والتدمير الاهلاك  
وكذا الدمار وقرئ يدمر بالتحية مفتوحة وسكون الدال وضم الميم ورفع كل على  
الفاعلية من دمر دمارا ومعنى بأمر ربها ان ذلك بقضائه وقدره اخرج البخاري ومسلم  
وغيرهما عن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستحجماً عاصحاً  
حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم وكان اذا رأى غيماً او ريحاً عرف ذلك في وجهه قلت  
يا رسول الله اناس اذا رأوا الغيم فرحوا ان يكون فيه المطر وأراك اذا رأيت به عرف في  
وجهك الكراهية قال يا عائشة وما يؤمنني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح  
وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض مطرنا وأخرج مسلم والترمذي والنسائي وابن  
ماجه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا عصفت الريح قال  
اللهم اني اسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها  
وشر ما ارسلت به فاذا تحيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فاذا مطرت سرتي  
عنه فسأله فقال لا أدري لعله كما قال قوم عاد هذا عارض مطرنا (فأصبحوا لا يرى الا  
مساً كنهم) بعد خراب أموالهم وذهاب أنفسهم قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب لمحمد  
صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح للرؤية ونصب مساً كنهم وقرئ بالتحية مبنياً  
للمفعول ورفع مساً كنهم قال سيبويه معناه لا يرى اختصاصهم الامسا كنهم وقال  
الكسائي والزجاج معناها لا يرى شيء الامسا كنهم فهي محمولة على المعنى كما تقول ما قام  
الاهند أي ما قام أحد الاهند وفي الكلام حذف والتقدير بقاءهم الريح فدمرتهم  
فأصبحوا الخ قال ابن عباس في الآية أول ما عرفوا انه عذاب رأوا ما كان خارجاً من  
رجالهم ومواسمهم يطير بين السماء والارض مثل الريش دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم  
فباعت الريح ففتحت أبوابهم ومالت عليهم بالرمل فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية  
أيام حسوا منهم أين ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل وطرحتهم في البحر فهو وقوله

منهم المخلصين كما قال عز وجل أرايتك  
هذا الذي كرمت على لئن أخرجتني الى  
يوم القيامة لأحتسبن ذريته الا  
قليلاً وهو لأهم المستثنون في الآية  
الآخرى وهي قوله تعالى ان عبادي  
ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك  
وكيلاً وقوله تبارك وتعالى قال  
فالحق والحق أقول لأملأن جهنم  
منك ومن تبعك منهم أجمعين قرأ  
ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق  
الاول وفسره مجاهد بأن معناه انا

فأصبحوا الآية وعنه قال ما أرسل الله على عاد من الریح الا قدر خاتمی هذا (كذلك)  
 الجزء (نجزي القوم المجرمين) قد تقدم تفسير هذه القصة في سورة الاعراف (ولقد مكناهم  
 فيما ان مكناكم فيه) قال المبرد ما في قوله فيما بمنزلة الذي وان بمنزلة ما التنافية وتقديره  
 ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه من كثرة المال وطول العمر وقوة الابدان وقبل ان  
 زائدة أي ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه وبه قال القتيبي والاول أولى لأنه أبلغ في التوبيخ  
 لكفار قريش وأمثالهم قال ابن عباس يقول لم نمكنكم وعنه قال عاد مكنا في الارض  
 أفضل مما مكنت فيه هذه الامة وكانوا أشد قوة وأكثر أموالاً وأطول أعماراً (وجعلنا  
 لهم سمعاً وبصيراً وافتدة) أي انهم عرضوا عن قبول الحج والتذكرة مع ما عطاهم الله من  
 الخواص وآلات الفهم التي بها تدرك الأدلة ولهذا قال (فما أغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم  
 ولا أفندتهم من شيء) أي فأنفعهم ما عطاهم الله من ذلك حيث لم يتوصلوا به الى التوحيد  
 واعتقاد صحة الوعد والوعيد ووجد السمع لأنه لا يدرك به الا الصوت وما يتبعه بخلاف  
 البصر حيث يدرك به اشياء كثيرة بعضها بالذات وبعضها بالواسطة والفؤاد يعلم ادراكه كل  
 شيء قاله الكرخي وقد قدمنا من الكلام على افراد السمع وجمع البصر ما يغني عن الاعادة  
 ومن في من شيء زائدة والتقدير فمأغنى عنهم شيأ من الاغناء ولا نفعهم بوجوده من وجوه  
 النفع (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) أي لانهم كانوا جاحدين (وحاق بهم ما كانوا به  
 يستهزؤن) أي احاط بهم العذاب الذي كانوا يستهزؤن به بطريق الاستهزاء حيث قالوا فافتتنا  
 بما تعدنا (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) الخطاب لاهل مكة والمراد بالقرى قرى قوم  
 ثمود وهى الحجر وسدوم قرى قوم لوط بالشام ونحوهما مما كان مجاوراً للبلاد الحجاز وكانت  
 اخبارهم متواترة عندهم (وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) أي ينال الحجة ونوعناها لكي  
 يرجعوا عن كفرهم فلم يرجعوا ثم ذكر سبحانه انه لم ينصرهم من عذاب الله ناصر فقال  
 (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) أي فهل انصرهم آلهتهم التي تقربوا  
 بها بزعمهم الى الله لتشفع لهم حيث قالوا هو لا شفعاؤنا عند الله ومنعتم من الهلاك  
 الواقع بهم قال الكسائي القربان كل ما يتقرب به الى الله من طاعة ونسيكة والجمع قرابين  
 كالرهبان والرهابين وأحد مفعول اتخذوا ضمير محذوف راجع الى الموصول والثاني  
 آلهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون قربانا مفعولاً ثانياً وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقيل  
 يصح ذلك ولا يفسد المعنى ورجحه ابن عطية وأبو البقاء وأبو حيان وأنكر ان يكون في المعنى  
 فساد على هذا الوجه (بل ضلوا عنهم) أي غابوا عن نصرهم ولم يحضروا عند الحاجة اليهم  
 بالكلية وقيل بل هلكوا وقيل الضمير في ضلوا راجع الى الكفار أي تركوا الاصنام  
 وتبرؤا منها والاول أولى (وذلك افكهم) أي ذلك الضلال والضياغ أثر افكهم الذي هو  
 اتخاذهم آياها آلهة وزعمهم انها تقربهم الى الله قرأ الجمهور افكهم بكسر الهمزة وسكون  
 الفاء مصدر افك يافك افكاً أي كذبهم وقرئ افك بفتح الهمزة والفاء والكاف على أنه  
 فعل أي ذلك القول صرفهم عن التوحيد وقرئ بفتح الهمزة وتشديد الفاء أي صيرهم

الحق والحق أقول وفي رواية عنه  
 الحق مني وأقول الحق وقرأ آخرون  
 بنصبه ما قال السدي هو قسم أقسم  
 الله به قلت وهذه الآية كقوله تعالى  
 ولكن حق القول مني لا ملأنا  
 جهنم من الجنة والناس أجمعين  
 وكقوله عز وجل قال اذهب فن  
 تبعك منهم فان جهنم جزاءكم جزاء  
 موفورا (قل ما سألكم عليه من  
 أجر وما أنا من المتكلفين ان هو  
 الا ذكر للعلمين ولتعلمن نبأه بعد



آفكين قال أبو حاتم يعني قلوبهم عما كانوا عليه من النعيم وقرئ بالمد وكسر الفاء بمعنى صارفهم (وما كانوا يفترون) معطوف على أفكهم أى وأثر افتراءهم أو أثر الذى كانوا يفترونه والمعنى وذلك أفكهم أى كذبهم الذى كانوا يقولون انها تقربهم الى الله وتشفع لهم وما كانوا يكدون انها آلهة ولما بين سبحانه ان فى الانس من آمن وفيهم من كفر بين أيضا ان فى الجن كذلك فقال (واذ صرفنا اليك نفر من الجن) أى اذ كراذوجهننا اليك نفر منهم وبعثناهم اليك وأقبلنا بهم نحوك والنفرون العشرة (يستمعون القرآن) صفة ثانية لفتراؤهم لان النكرة قد تخصصت بالصفة الاولى عن ابن مسعود قال هبطوا يعنى الجن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقرأ القرآن يظن نخلة فلما سمعوه قالوا أنصتوا قالوا صه وكانوا تسعة أصدهم زوبعة فأزل الله واذصرفنا الى قوله ضلال مبين وعن الزبير قال اذصرفنا اليك نفر من الجن بنخلة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلى العشاء الآخرة كادوا يكتفون عليه لبدوا وكانوا تسعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رسلا الى قومهم وعنه قال أتوه يظن نخلة وعنه قال صرفت الجن الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرتين وكانوا اشرف الجن بنصيبين وهى قرية من اليمن وجنها اشرف الجن وسادتهم وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن مسروق قال سألت ابن مسعود من أذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن قال آذنتهم الشجرة وأخرج أحدومسلم والترمذى عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منكم أحد ليلة الجن قال ما صحبه منا أحد ولكننا فقدنا ذات ليلة فقلنا اغتيل استظير ما فعل قال فمئنا بشر ليلة بات بها قوم فلما كان فى وجه الصبح اذا نحن به يجيى من قبل حراء فاخبرناه فقال انه أتانى داعى الجن فأتيتهم فقرأت عليهم القرآن فانطلق فأرانا آنا رهم وأنا نيرانهم وأخرج أحد عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الجن وقد روى نحو هذا من طرق والجمع بين الروايات بالجل على قصتين وقصتنا من صلى الله عليه وآله وسلم مع الجن حضر احدهما ابن مسعود ولم يحضر فى الاخرى وقد وردت أحاديث كثيرة ان الجن بعد هذا وفدت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرة بعد مرة وأخذوا عنه الشرائع وذكر سليمان الجمل فى سبب هذه الواقعة قولين من الخطيب والخازن لاجابة بنا الى ذكرهما فانهم ليسا من التفسير فى شئ (فلما حضروه) أى حضره القرآن عند تلاوته وقيل حضره النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويكون فى الكلام التمام من الخطاب الى الغيبة والاول اولى (قالوا أنصتوا) أى اسكتوا أمر بعضهم بعضا لجل ان يسمعوا (فلما قضى) قرأ الجمهور مبني للمفعول أى فرغ من تلاوته وقرئ مبني للفاعل أى فرغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تلاوته والاولى تؤيد ان الضمير فى حضره للقرآن والثانية تؤيد انه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (ولوا الى قومهم منذرين) أى انصرفوا قاصدين الى من وراءهم من قومهم منذرين لهم عن مخالفة القرآن ومخذرين لهم واتصاب

حين) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ما أسالكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجزاعتطونه من عرض الحياة الدنيا وما أتامن المتكلمين أى وما أزيد على ما أرسلنى الله تعالى به ولا ابتغى زيادة عليه بل ما أمرت به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه وانما ابتغى بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة قال سفيان الثورى عن الاعمش ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق

منذرين على الحال المقدرة أي مقدرين الانذار وهذا يدل على انهم آمنوا بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا يهودا وقد أسلموا والجن لهم مل مثل الانس فهم اليهود والنصارى والجنوس وعبدة الاصنام وفي مسألهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع قاله الخازن (قالوا يا قومنا) في الكلام حذف والتقدير فوصلوا الى قومهم فقالوا يا قومنا (اناس معنا كتابا) أي قرآنا (أنزل من بعد موسى مصداق لما بين يديه) أي لما قبله من الكتب المنزلة كالطوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وغيرها (يهدى الى الحق) أي الى الدين الحق أي العقائد الصحيحة (والى طريق مستقيم) أي الى طريق الله القويم أي الشرائع القرعيسة والاحكام الدينية قال مقاتل لم يعث الله نبيا الى الجن والانس قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم (يا قومنا أجبوا داعي الله وأمنوا به) يعنون محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو القرآن (يعفركم) جواب الامر (من ذنوبكم) أي بعضها وهو ما عدا حق العباد لانه لا يغفر الا برضا أصحابه وقيل ان من هنا لا بداء الغاية والمعنى انه يقع ابتداء الغفران من الذنوب ثم ينتهي الى غفران ترك ما هو الاولى وقيل هي زائد والاولى (ويجركم من عذاب أليم) وهو عذاب النار وفي هذه الآية دليل على ان حكم الجن حكم الانس في الثواب والعقاب والتعبد بالامر والنواهي وقال الحسن ليس لمؤمن الجن ثواب غير نجاتهم من النار وبه قال أبو حنيفة والاولى وبه قال مالك والشافعي وابن أبي ليلى وعلى القول الثاني فقال القائلون به انهم بعد نجاتهم من النار يقال لهم كونوا ترابا كما يقال للبهائم والاولى أريج وقد قال الله تعالى في مخاطبة الجن والانس ولئن خاف مقام ربه حسنان فبأى آلاء ربك تكذبان فاستن الله سبحانه على الثقلين بان جعل جزاء محسنهم الجنة ولا ينافي هذا الاقتصار ههنا على ذكر اجازتهم من عذاب أليم ومما يؤيد هذا ان الله سبحانه قد جازى كافرهم بالنار وهو مقام عدل فكيف لا يجازى محسنهم بالجنة وهو مقام فضل ومما يؤيد هذا أيضا ما في القرآن الكريم في غير موضع ان جزاء المؤمنين الجنة وجزاء من عمل الصالحات الجنة وجزاء من قال لا اله الا الله الجنة وغير ذلك مما هو كثير في الكتاب والسنة وقد اختلف أهل العلم هل أرسل الله الى الجن رسولا منهم أم لا وظاهر الآيات القرآنية ان الرسل من الانس كما في قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلوا الطعام ويمشون فى الأسواق وقال سبحانه فى ابراهيم الخليل وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب فى كل نبي بعثه الله بعد ابراهيم فهو من ذريته وأما قوله سبحانه فى سورة الانعام يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم فقبل المراد من مجموع الجنس من ماصدق عليه أحدهما وهم الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أى من أحدهما (ومن) شرطية (لا يجب داعي الله فليس بمنجزى الارض) أى لا يقوت الله ولا يسبقه ولا يقدر على الهرب منه لانه وان هرب كل مهرب فهو فى الارض لا سبيل له الى الخروج منها وفى هذا ترهيب شديد (وليس له من دونه اولياء) أى انصار يتبعونه من عذاب الله بين سبحانه بعد استحالة نجاته بنفسه استحالة نجاته بواسطة غيره (أولئك) أى من لا يجب داعي الله (فى

قال أينما عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم ان يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم فان الله عز وجل قال لنبيكم صلى الله عليه وسلم قل ما سألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين أخرجاه من حديث الاعمش به وقوله تعالى ان هو الا ذكرا للعالمين يعنى القرآن ذكر لجميع المكلفين من الانس والجن قاله

ضلال مبين) أي ظاهر واضح وهذا آخر كلام الجن الذين سمعوا القرآن قد اجتمع ههنا  
 همزتان مضمومتان من كلمتين وليس لهما نظير في القرآن غير هذا ثم ذكر سبحانه دليلا على  
 البعث فقال (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض) الرؤية هنا هي القلبية التي  
 بمعنى العلم والهمزة لانكار والواو للعطف على مقدر أي لم يتفكروا ولم يعلموا أن الذي  
 خلق هذه الاجرام العظام من السموات والأرض ابتداء (ولم يعي) مجزوم بحذف الالف  
 قرأ الجهور بسكون العين وفتح الياء مضارع عي وقرأ بكسر العين وسكون الياء  
 (بخلقهن) أي لم يتعب ولم ينصب ولم يعجز عن ذلك ولا ضعف عنه يقال عى بالامر وعي  
 اذ لم يهد لوجهه قال الشهاب عدم العى تجاز عن عدم الانقطاع والتقص يعنى ان قدرته  
 واجبة لا تنتقص ولا تنقطع بالايجاد ابد الاباد (بقادر على أن يحيى الموتى) قال أبو عبيدة  
 والاحفش الباء زائدة للتوكيد كما في قوله وكفى بالله شهيدا قال الكسائي والقراء والزجاج  
 العرب تدخل الباء مع الجحد والاستفهام فقول ما أظنك بقائم والحارو المجروفي محل رفع  
 على انها ما خبر لان وقرأ جماعة بقدر على صيغة المضارع واختار أبو عبيدة الاولى وأبو حاتم  
 الثانية (بلى انه على كل شئ قدير) لا يعجزه شئ تعليل لما أفادته بلى من تعليل الخاص بالعام  
 ولما أتت البعث ذكر بعض ما يحصل في يومه من الاهوال فقال (ويوم يعرض الذين  
 كفروا على النار) أي يقال ذلك اليوم للذين كفروا (أليس هذا بالحق) وهذه الجملة هي  
 المحكية بالقول والاشارة بهذا الى ما هو مشاهد لهم يوم عرضهم على النار وفي الاكتفاء  
 بمجرد الاشارة من التحويل للمشار اليه والتنخيم لشأنه ما لا يحصى كانه أمر لا يمكن التعبير  
 عنه بلفظ يدل عليه (قالوا بلى وربنا) اعترفوا حين لا ينفعهم الاعتراف وأكذوا هذا  
 الاعتراف بالقسم لان المشاهدة هي حق اليقين الذي لا يمكن بحجده ولا انكاره ولا أنهم  
 يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيقة ما هم فيه (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)  
 أي بسبب كفركم بهذا في الدنيا وانكاركم له وفي هذا الأمر لهم بذوق العذاب توبيخ بالغ  
 وتهكم عظيم ولما قرر سبحانه الأدلة على النبوة والتوحيد والمعاد أمر رسوله بالصبر فقال  
 (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) الصبر الوثوق بحكم الله والثبات من غير بث ولا  
 استكراه قاله القشيري والفاء جواب شرط محذوف أي اذا عرفت ذلك وقامت عليه  
 البراهين ولم ينبج في الكافرين فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل والجزم وأولو الجند والصبر  
 فانك منهم قال مجاهد أولو العزم من الرسل خمسة نوح و ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وهم  
 أصحاب الشرائع وبه قال ابن عباس وقال أبو العالصة هم نوح وهود و ابراهيم فأمر الله  
 رسوله ان يكون رابعهم وقال السدي هم ستة ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى  
 ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى وقال ابن  
 جريج ان منهم اسمعيل ويعقوب وأيوب وليس منهم يونس وقال الشعبي والكلبى هم الذين  
 أمروا بالقتال فأظهر والمكاشفة وجاهدوا الكفرة وقيل هم ثمانية الرسل المذكورين في  
 سورة الانعام وهم ثمانية عشر ابراهيم واسحق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف  
 وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى واسمعيل والياس واليسع ويونس ولوط واختار

ابن عباس رضى الله عنهما وروى  
 ابن أبي حاتم عن ابيه عن ابي غسان  
 مالك بن اسمعيل حدثنا قيس عن  
 عطاء بن السائب عن سعيد بن  
 جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما  
 في قوله تعالى للعالمين قال الحسن  
 والانس وهذه الآية كقوله تعالى  
 لا نذكركم به ومن بلغ وكقوله عز وجل  
 ومن يكفر به من الاحزاب فالنار  
 موعده وقوله تعالى وتعلمن نبأه أي

هذا الحسين بن الفضل لقوله بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقيل  
 ان الرسل كلهم أولو عزم ولم يعث الله عز وجل نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأى وكال عقل  
 وقيل هم اثنا عشر نبيا أرسلوا الى بني اسرائيل وقال الحسن هم أربعة ابراهيم وموسى  
 وداود وعيسى وعن ابن عباس قال هم الذين أمروا بالقتال حتى ضوا على ذلك نوح وهود  
 وصالح وموسى وداود وسليمان وعن جابر بن عبد الله قال بلغني ان أولي العزم من الرسل  
 كانوا ثمانمائة وثلاثة عشر وعن عائشة قالت ظل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صائما  
 ثم طوى ثم ظل صائما ثم طوى ثم ظل صائما قال يا عائشة ان الدنيا لا تتبعي لمحمد ولا آل محمد  
 يا عائشة ان الله لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصابر على مكروهها والصابر عن  
 محبوبها ثم لم يرض مني الا ان يكفني ما كفهم فقال اصبر كما صبر أولو العزم من الرسل واني  
 والله لا أصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة الا بالله أخرجه ابن أبي حاتم والدليل قيل هذه  
 الآية منسوخة بآية السيف وقيل محكمة قال القرطبي والظاهر انها منسوخة لأن  
 السورة مكينة وذكر مقاتل ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم  
 أحد فأمره الله ان يصبر على ما أصابه كما صبر أولو العزم تسهلا عليه وثمينا له (ولا تستجمل  
 لهم) أي لا تستجمل العذاب يا محمد لكفار فانه نازل بهم لاجل حاله وان تأخر واللام للتعليل  
 ولما أمره سبحانه بالصبر ونهاه عن استجمال العذاب اقومه رجاء ان يؤمنوا قال (كانهم  
 يوم يرون ما يوعدون) من العذاب في الآخرة اطوله (لم يلبثوا الا ساعة من نهار) أي  
 الا قدر ساعة من ساعات الايام لما يشاهدونه من الهول العظيم والبلاء المقيم (بلاغ) قرأ  
 الجمهور بالرفع على انه خبره بتداحذوف أي هذا الذي وعظتهم به بلاغ أو تلك الساعة  
 بلاغ أو هذا القرآن بلاغ أو هو مبتدأ وان خبر لهم الواقع بعد قوله ولا تستجمل لهم أي لهم  
 بلاغ وقرئ بالنصب على المصدر أي بلغ بلاغا وقرئ بلغ بصيغة الامر وبلغ بصيغة الماضي  
 (فهل يهلك الا القوم الفاسقون) قرأ الجمهور يهلك على البناء للمفعول وقرئ على البناء  
 للفاعل وقرئ بالنون ونصب القوم والمعنى انه لا يهلك بعدذاب الله الا القوم  
 الخارجون عن الطاعة الواقعون في معاصي الله قال قتادة لا يهلك على  
 الله الا هالك مشرك قيل وهذه الآية أقوى آية في الرجاء وقال  
 الزجاج تأويله لا يهلك مع رجمة الله تعالى وفضلها الا  
 القوم الفاسقون وهذا تظميع في  
 سعة فضل الله سبحانه  
 وتعالى

خبره وصدق به بعد حين اي عن قريب  
 قال قتادة بعد الموت وقال عكرمة  
 يعني يوم القيامة ولا منافاة بين  
 القولين فان من مات فقد دخل في  
 حكم القيامة وقال قتادة في قوله  
 تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين قال  
 يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبير  
 اليقين آخر تفسير سورة ص والله  
 المجد والمنة والله سبحانه وتعالى اعلم

\* (تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع أوله سورة محمد صلى الله عليه وسلم) \*

(ولما برغت شمس هذا التفسير البهيم وتضوع في الآفاق عرفه الأريحي وطار صيته في البلدان وتمتع بمسامرة لطائفه كل قاص ودان نشط لتقرينه حضرة العلامة الأريب المصقع الأديب من لا يجاديه في مجال الأدب مجاري جناب الأمثل السيد محمد بن حسين بن محسن اليمني الأنصاري فقال)

\* (بسم الله الرحمن الرحيم) \*

حمدك يا من افتتح كتابه الكريم بسم الله الرحمن الرحيم وشكرالك يا من أنزل في تبيان العظيم أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم ونصلي ونسلم على نبيك الهادي إلى الصراط المستقيم وعلى آله وصحبه المقتفين بنجته القويم ونسألك اللهم أن تفيض علينا ناسيب نعمتك وان تدخلنا بفضلك فسيح جنتك (وبعد) فان علم التفسير أجل العلوم مقدارا وأعلاها مانارا وأوسعها مجرا وأعزها قطرا وأقدمها ذكرا وأعزها ذخرا واني بحمد الله قد وقفت على تفسيره ووجدت زمانه وفريد وقته وأوانه العلامة الامام والسيد السند الهمام رافع ألوية الاسلام الجامع لجل العلوم منشورها والمنظوم علامه المعقول فهامة المنقول أبو المحاسن والمكارم نخبة سادات بني هاشم الجناب العالي من لم تسمع بمثل العصر الخوالي امير الملك وصاحب الجاه مولانا أبو الطيب السيد صدوق الحسن خان والاجاه لابرح شمل الاحباب بوجوده مجموعا وحكمه مطاعا فاذا سمعنا وجنابه العالي من طوارق الحدثنان ممنوعا

مدى الدهر مخصوصا بعز ورفعة \* وارغام أعداء وتحقيق آمال

فألقيته روضة كالت السحاب رباها بلا لى القطر وتوشحت أعطاف قدود غصونها بقلائد الزهر وتأرجحت بأريج ريحانها وصقلت يد الشمال صحيفة غدرانها أبهج منظرا وأرق أثرا على بلوغ الغاية القصوى تألفت القلوب وأقرت العقول السليمة بأعجازها للنظراء فانه منحة علام الغيوب قدمت اليه البلغاء أعناقها مستسلمين لا يجازي بلاغته ثمين من جيامعانيه المشرقة في دوحه فصاحته فله هوم من جنة علم قطفوها دانية لا يسمع فيها الاغنية ومجزرة فهم أضاءت فيها شمس التحقيق وأشرقت فيها كواكب التدقيق وحسن مشيد لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزىل من حكيم جيد قد سل صوارم الحجج القطعية على أقوال المخددين وري بسهمه شياطين المبطلين خفض هام كل معاند بذلك السيف المسلول وأشهر فضيحه بين أرباب المنقول والمعقول فتكذب خوفا ان يقطع الزحام حين رام لمفاضله ذلك الفاضل الهمام وقيل له وهو خائف وجل ما هكذا يا سعد تورد الابل فلعمري ان هذا هو التأليف الذي يقتر به العالمون ولمثل هذا فليعمل العاملون فيه من دقائق العلوم شواردها ومن اطائف الفهوم قلائد حوى من التفصيل مالم يحوه كتاب وفتح للطالب إلى أقصى المطالب كل باب وتناسق فيه جزيل المعاني مع لطيف الالفاظ تناسق العقد المنظوم حتى صار عمدة ينسج على منواله أرباب المنشور والمنظوم وسار لشهرته مسير الشمس في الآفاق وترغت

بالثناء عليه السنة الفضلاء كأنها الجمائم وهو في جديها الاطواق وأيد قول من قال ان  
لكل علم رجال ولكل ميدان أبطال وانه ليس كل من صنف أجاد ولا كل من قال وفي  
المراد

ان السلاح جميع الناس تحمله \* وليس كل ذوات الخلب السبع  
باهي به الاوائل في الفضيلة الدهر فتحلى من نكت البديع برذا العجز على الصدر ونادى  
سان حال منشييه ومشيد أساسه ومعليه قائلا

واني وان كنت الاخير زمانه \* لا تبالم تستطعه الاوائل  
بخزي الله مؤلفه عن المسلمين خيرا فانه قلدا اجيادهم قلاندا نعم ونصر الدين بما أحكمه  
من محكم هذا التفسير الذي على تزييف مقالة الخصم حكيم هذا واني وان أطلقت لسان  
البراعة ونظمت في أجياد الطروس قلاندا البراعة فأنامعترف بأني عن ارتقاء مدارج  
الثناء في قصور وان بتوات من جنات المدائح أعلى قصور كيف وهو علامة وقته الذي  
انعقد الاجماع على انه الرئيس المقدم واذا راية مجد رفعت فهو الملتقى لها وليس ثم من  
يتقدم الخائر لا على شرفي العلم والنسب مفخر العجم والعرب واسطة عقد البكار  
والموالي كوكب سماء دولة بهم قال التي مازال نورها متعالى وقصها متوالى وشرفها بين  
الدول عالى والسعد خادم والبشر قادم الآخذ من كل فن بأوفرنصيب الراى للمعالي  
بكل سهم مصيب من زان منصب الرياسة بحسن سيرته وطرز حله الزمان بجميل سيرته  
وخالص طويته وصافي سميته

ولو انى أنفقت عمرى في الثنا \* عليه لما وفيت جانب حقه  
المشار اليه أعلاه حمده الله ورعاه وأبقاه ساميا ذرى المجد مخدوم العز والسعد رافلا  
في حمل الحبور واردا مواردا السرور ولا زالت أيامه مشرقة السنى وبابه كعبة المرام  
والمنى ماتر نمجده مادم وصدق بشكره صادق وبعد ما عجز القلم عن المدح أراد ان  
يجول في ميدان القريض الفسيح فقرض بايات آيات جارية فوق خيل عربيات  
تبوس أقدام مفسر الآيات البيئات مطلعها الاول وأخرها الذي عليه المعول

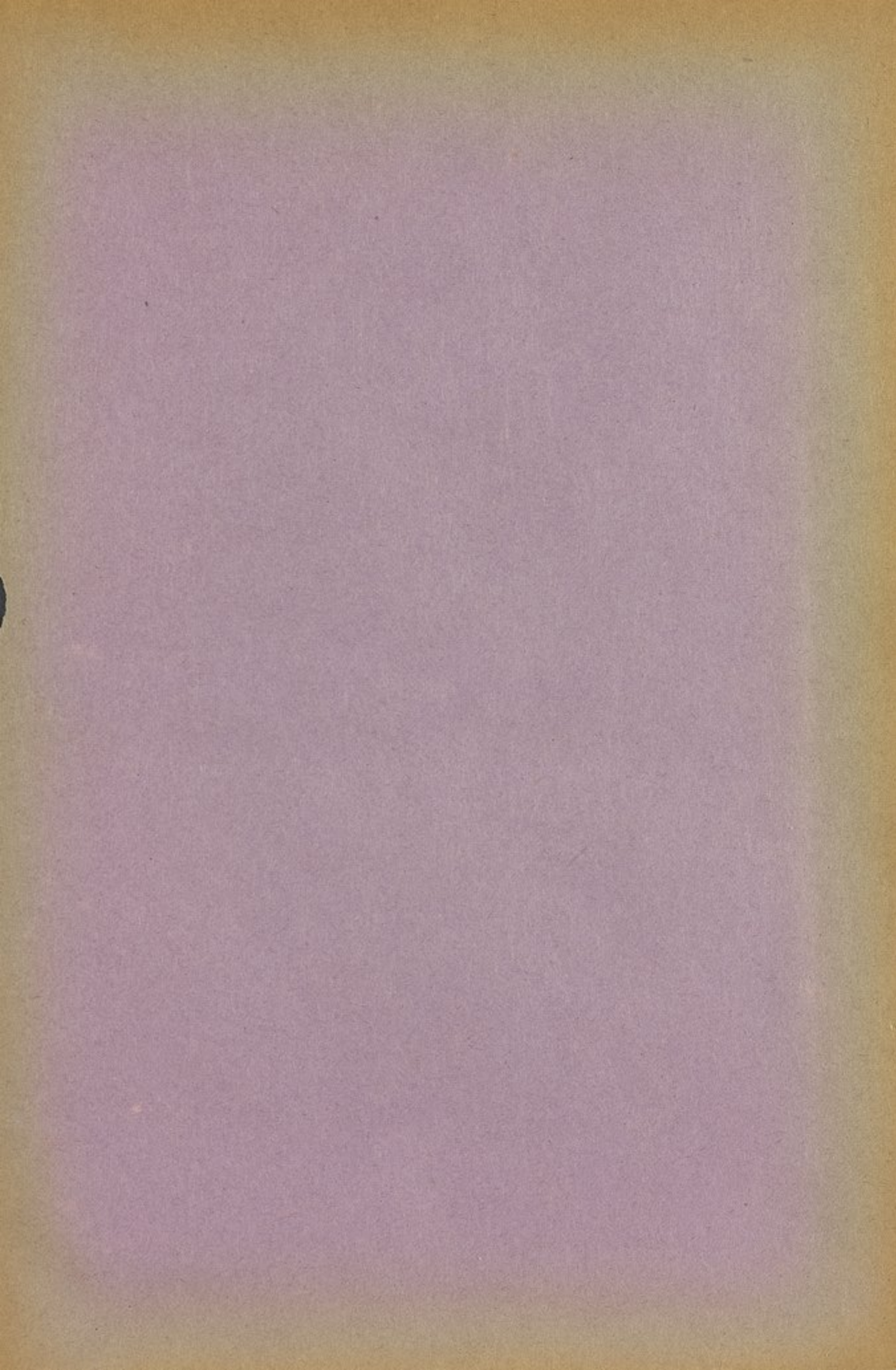
فتح البيان الذى أبدى لنا فيه \* فرأنا نظم كالدر من فيه  
لله جندك كم أبديت من نكت \* قلاندا الدر والعقبان تحكيه  
قد ارتضاك اله الخلق منجعا \* يا كعبة العلم نه تها على تيه  
يا حادى العيس اما جرت نادية \* فأقرأ عليه سلاما من عبيديه  
وسل ظلال الغضى عنه فتم له \* مشوى بها فهجير الهجر يلقيه  
وحى أقار ذلك الحى عن دنف \* عيته الليل فكرا ثم يحويه  
وانح الحى يا حالك الله ملتمسا \* فك القلوب الاسارى عند أهليه  
سقى الحيا عسرا قوام صوارهم \* عن منة الغيث عام الجذب تغنيه  
وحقكم ان رضيتم فى ضنى جسدى \* بحبكم لوجودى فى تفانيه  
الله يا ساكنى بهم قال نفس شبح \* على الطلول أسألها ما قيمه

تبدو بدور معانيكم فتوهمه \* بأنهن ثباياكم فتصديه  
رعيما لمنزل أنس بالحسل لنا \* لزال صوب الحيا بالدر يوليه  
شمس بهازان وجه الدهر فانكشفت \* عن أهله ظلمات من مساويه  
غترا كأن أبا النورين خولها \* فزيت به سدور من أياديه  
ذال الامام الاثيل المجد من شهدت \* له البلاغة في معنى قوافيه  
أبو الحسن مولانا أبو حسن \* لزال في رتب العليا رقيه  
السيد العالم الخريرجتنا \* لكم ذاتيه به تها على تيه  
من سيد العرب العرباء جوهره \* كم قلت مستنشدا تفسيره ايه  
حليف حزم له في كل معضلة \* نور من الرأى نحو الحق يهديه  
غيت عما قسمنا في المجد فاشتركت \* في جوده الخلق واختصت معاليه  
فلواتته النجوم الشهب يوم ندى \* لم يرض بالشمس دينارا فبعطيه  
تهوى الأهله ان تسمى لخدمته \* ولو بها اشتعلت يوما مذاكيه  
مقداره عن ذوى الاقدار يرفعه \* وجوده لذوى الحاجات يدينه  
ان يحمل المجد ورد افهوقاطفه \* أو يجتني منه شهد فهو جانيه  
هام الزمان به حيا فأوشك أن \* يعود شوقا الى رؤياه ماضيه  
دوح الفخار الذى مزن الامارة لا \* تنفك في رشحات البرسقيه  
من الملول الأولى لولا حلومهم \* تزلزل المجد وان دكت رواسيه  
نشا ونفس الندى منه نشئت فغدا \* كل لصاحبه الأذى يريسه  
ساس الامور فأجرى فى أوامره \* حكم المنى والمنيا فى مناهيه  
تعشق المجد طفلا واستهام به \* فهان فيه علمه ما يقاسيه  
سل الخياحين يهوى عن أنامله \* أهت أندى نانا أم غواذيه  
له خصال بحيط الفجر لو نظمت \* لم ينتظم سجع الداجى لثانيه  
شمائل لحوها الليل واقتقدت \* بوده لفسد اها فى دراره  
قلادة المجد والعليا صنائعه \* وزينة الدين والديناماسعيه  
مولى كأنك تسلفى مجالسنا \* آى السجود علينا اذ تسميه  
ياساعد الجود بل يانفس حاتم \* يانقش خاتمته ياطوق هاديه  
لازات يا غوثى غوثا ومنجعا \* ولا برحت اليك المدح أهديه  
لولا تملككم رقى بأ نعمكم \* مارق شعرى ولا راق مبانيه  
واستجبل من أى نظمى أى معجزة \* تخلد الذكر فى الدنيا وتقيه  
مدح تسيروا اذا ما فيك فتهت به \* سير الكواكب فى الدنيا قوافيه  
بيوت شعر بناها الفكر من ذهب \* سكانها حور عين من معانيه  
صلى السلام على مسك الختام أبى الزهراء \* صلى صلاة منه ترضيه

والآل والعقب ما ناحت مطوقة \* على غصون أراك البان تشجيه  
 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم  
 قاله بلسانه وحرره بيمنانه أسير ذنوبه ورهين عيوبه الحقير الفقير  
 الى رحمة ربه العزيز الباري محمد بن حسين بن محسن  
 اليمني الانصاري عفا الله  
 عنه أمين







COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0037852833

BUTLSTAX

BP

130.4

.M79

1882g

v.8